



مجمع البیان





این کتاب را بر طلبه علوم دینیه وقف نمود

الذین یبدلونه

۱۱۳۶



استوى اى هو الرحمن لانه لما قال ممن خلق بينه بعد ذلك فقال هو الرحمن قال احمد بن يحيى الاستوى
الاقبال على الشىء فكانه اقبل على خلق العرش وقصد الى ذلك وقد سبق القول فى معنى الاستواى
فى سورة البقرة والاعراف له ما فى السموات وما فى الارض اى له ملك ما فى السموات وما فى الارض
وتدبيرها وعلمها يعنى انه مالك كل شىء ومدبره وما بينهما يعنى الهواء وما تحت الثرى التراب
الندى يعنى ما وارى الثرى من كل شىء عن الضحاك وقيل يعنى ما فى ضمن الارض من الكنوز والاموات
وان تجهر بالقول اى ان ترفع صوتك به فانه يعلم السر واخفى فلا تجهد نفسك برفع الصوت وانك وان لم
تجهر علم الله السر واخفى من السر ولم يقل واخفى منه لدلالة الكلام عليه كما يقول القايل فلان كالفيل او
اعظم وقيل تقديره ان تجهر بالقول او لا تجهر فانه يعلم السر واخفى ثم اختلفوا فيما هو اخفى من السر
فقيل السر ما حدث به العبد غيره فى خفية واخفى منه ما اضمر فى نفسه ما لم يحدث به غيره
عن ابن عباس وقيل السر ما اضمره العبد فى نفسه واخفى منه ما لم يكن ولا اضمره احد عن قتاده
وسعيد بن جبير وابن زيد وقيل السر ما تحدث به نفسك واخفى منه ما تريد ان تحدث به
فى ثانى الحال وقيل العمل الذى تستره عن الناس واخفى الوسوسة عن مجاهد وقيل معناه يعلم
السر اى يعلم اسرار الخلق واخفى سر نفسه عن زيد بن اسلم جعله فعلا ماضيا وروى عن السيد
بن الباقر والصادق عليهما السلام السر ما فى نفسك واخفى ما خطر ببالك ثم اسمه الله لا اله
الا هو لا معبود تحق له العبادة غيره له الاسماء الحسنى اى الاسماء الداله على توحيده وعلى
انعامه على العباد وعلى المعانى الحسنه فانها دعوة جاز وروى عن النبى صلى الله عليه وآله
انه قال ان لله سبحانه تسع وتسعين اسما من احصاها دخل الجنه قال الزجاج تاويله من
وحد الله وذكر هذه الاسماء الحسنى يريد بها توحيد الله واعظامه دخل الجنه وقد جاء
فى الحديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنه فهذا لمن ذكر اسم الله موحدا له به
فكيف بمن ذكر اسماءه كلها يريد بها توحيده والثناء عليه وانما قال الحسنى بلفظ التوحيد
ولم يقل الاحاسن لان الاسماء مونثه يقع عليها هذه كما يقع على الجماعة هذه كانه اسم
للجموعة قال الاعشى شعر وسوف يعقبنيه ان ظفرت به رب كريم وبيض ذات اطهاد
... لحدا يوذات بهجة وما رب اخرى قوله عز وجل وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ رَأَىٰ

نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى
فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا
اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي
إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا
يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ثمان آيات القراة قرا ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو انى
انا ربك بفتح الالف والباقون انى بالكسر وقرا حمزه لاهله امكثوا فى القصص ايضا بضم الهاء
وانا مشدد مفتوح الهمزة اخترناك على الجمع والباقون لاهله بكسر الهاء وانا اخترتك
على التوحيد وقرا ابن عامر واهل الكوفه طوى بالتنوين والباقون بغير تنوين وفى
الشواذ قراءة الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الالف الحجة قال ابو على من كسر
انى فلان الكلام حكاية كانه نودى فقيل يا موسى انى انا ربك ومن فتح فكان المعنى نودى بكذا
ونادى قد يوصل بحرف الجر قال ناديت باسم ربيعه بن مكدم ان المنوه باسمه الموثوق ومن
الناس من يعمل هذه الاشياء التى هى فى المعنى قول كما يعمل القول ولا يضمر القول معها وينبغى
ان يكون فى نودى ضمير يقوم مقام الفاعل لانه لا يجوز ان يقوم واحد من قولك يا موسى
ولا انى انا ربك مقام الفاعل لانها جمل والجمل لا يقوم مقام الفاعل فان جعلت الاسم الذى
يقوم مقام الفاعل موسى لان ذكره قد جرى كان مستقيما وقوله طوى يصرف ولا يصرف فمن
صرفه فعلى وجهين احدهما ان يجعله اسم الوادى فيصرفه لانه سمى مذكر والاخر ان يجعل
صفة وذلك قول من قال انه قدس مرتين فيكون طوى كقولك ثنى ويكون صفة كقوله
مكانا سوى وقوم عدى وجاء فى طوى الضم والكسر مرتين فيكون طوى كقولك ثنى ويكون صفة
كقوله مكانا سوى وقوم عدى كما جاء فى مكان سوى بالضم والكسر قال الشاعر شعر افى جنب بكر
قطعتنى ملامة لعمرى لقد كانت ملامتها ثنى اى ليس هذا باول ملامتها ومن لم يصرف احتمل
امرين احدهما ان يكون اسما لبقعة او ارض وهو مذكر فيكون بمنزلة امراة سميتها بحجر وجوز
ان يكون معه ولا كعمر ولا يمتنع ان يقدر العدل فيها لم يخرج الى الاستعمال الا ترى ان جمع وكتع
معدولتان عما لم يستعملا فكذلك يكون طوى واما ضم الهاء فى قوله لاهله امكثوا فقد

مضى القول في مثله واما قوله وانا اخترتك فالافراد اكثر في القراءة وهو اشبه بما قبله
من قوله اني انا ربك وجه الجمع ان يكون الوجه في قراءة حمزة وانا اخترناك مع انه
قرا اني انا ربك بالكسر ان يكون التقدير ولانا اخترناك فاستمع فيكون الجار
والمجرور في موضع نصب فقوله فاستمع ولم يذكره الشيخ ابو علي وقوله اخفيها
فانهم قالوا معناه اظهرها قال ابو علي الغرض فيه ازيل عنها خفاها وهو ما تلف فيه
القربة ونحوها من كساء وما يجري مجراه وعليه قول الشاعر شعر لقد علم الايقاظ اخفية
الكرى يزججها من حالك فاكتحالها قال اراد الايقاظ عيونا فجعل العين كالخفا للنوم
كانها يستره وهو من الفاظ السلب فاخفيته سلبت عنه خفاءه كما يقول اسكيت
الرجل ازلت عنه ما يشكوه وما اخفيها بفتح الالف فانه اظهرها قال امرؤ القيس
خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من عشي مجلب وقوله فان تدموا
الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد رواية ابي عبيدة بضم النون من نخفه وروايه
الفراء بفتح النون اللغة الايناس وجدان الشيء الذي يونس به والقبس الشعلة
من النار في طرف عود او قصبة والخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه وخلع نعله
والوادي منفرج الجبل ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء واد واصله عظم الامر ومنها
الدية لانها العطية في الامر العظيم وهو القتل والمقدس المطهر قال امرؤ القيس
كما شبرق الولدان ثوب المقدس يريد العابد من النصارى المسيح كالقيس
ونحوه وسمي الوادي طوى لانه طوي بالبركة مرتين عن الحسن فعلى هذا يكون مصدرا كقوله
طويت طوى قال عدي بن زيد اعاذل ان اللوم في غير كنهه علي طوى من غيك المتردد
ويقال اخفيت الشيء كتمته واظهرته جميعا وخفيته بلا الف اظهرته لا غير والردى الهلاك
وردي يردى ردى اذا هلك وتردى بمعناه الاعراب قوله اذ راى الظرف يتعلق
بمحذوف وهو في موضع النصب على الحال من حديث موسى وكاد اخفيها جملة في موضع
رفع بانها خبر وان فهي خبر بعد خبر اللام في لتجزى يتعلق بآتية ويجوز ان يتعلق بقوله
واقم الصلوة فتردى منصوب باضمار ان في جواب النهي المعنى ثم خاطب الله سبحانه نبيه

تسلية

تسلية له مما ناله من اذى قومه وتثبيتا له بالصبر على امر ربه كما صبر موسى عليه السلم
حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة فقال وهل اتيك حديث موسى هذا ابتداء
واخبار من الله تعالى على وجه التحقيق اذ لم يبلغه فيقول هل سمعت بخبر فلان
وقيل انه استفهام تقرير بمعنى الخبر اي وقد اتيك حديث موسى اذ راى نارا عن
ابن عباس وكان موسى رجلا غيورا لا يصحب الرفقة لئلا ترى امراته فلما قضى
الاجل وفارق مدين خرج ومعه غنم له وكان اهله على اتان وعلى ظهرها جوالق فيها
اثاث البيت فاضل الطريق في ليلة مظلمة وتفرقت ماشيته ولم تنقدح زنده
وامراته في الطلق فراى نارا من بعيد كانت عند الله نورا وعند موسى نارا فقال عند ذلك لاهله
وهي بنت شعيب كان تزوجها بمدين امكثوا اي الزموا مكانكم قال مقاتل وكانت ليلة الجمعة في الشتاء
والفرق بين المكث والاقامة ان الاقامة تدوم والمكث لا يدوم اني آنست نارا اي ابصرت نارا لعلي اتيكم منها
بقبس اي بشعلة اقتبسها من معظم النار تصطلون بها او اجد على النار هاديا يدلني على
الطريق وقيل علامة استدل بها على الطريق والهدى ما يهتدى به فهو اسم ومصدر قال السدي
لان النار لا تخلو من اهل لها وناس عندها فلما اتاها قال ابن عباس لما توجه نحو النار فاذا النار
في شجرة عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فسمع النداء
من الشجرة وهو قوله نودي يا موسى اني انا ربك الذي خلقك ودبرك قال وهب نودي من
الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا ما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ادري مكانك
اين انت فقال انا معك امامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لربه
عز وجل وايقن به وانما علم موسى عليه السلم ان هذا النداء من قبل الله سبحانه بمعجز اظهره الله تعالى
كما قال في موضع آخر اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك الى آخره وقيل انه لما راى شجرة
خضراء من اسفلها الى اعلاها تتوقد فيها نار بيضاء وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما
لم تكن الخضرة تطفئ النار ولا النار تحرق الخضرة تحير وعلم انه معجزة خارق للعادة وانه لامر عظيم
فالقيت عليه السكينة ثم نودي انا ربك وانما كرر الكناية لتاكيد الدلالة وازالة الشبهة وتحقيق
المعرفة فاخلع نعليك اي انزعهما وقيل في السبب الذي امر بخلع النعلين اقوال احدها انهما كانتا

من جلد حمار ميت عن كعب وعكرمة وروى ذلك عن الصادق عليه السلام وثانيهما كانا من جلد بقرة ذكية ولكنه امر بخلعهما ليباشر بقدمه الارض فتصيبه بركة الوادى المقدس عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وابن جريج وثالثها ان الحفاء من علامة التواضع ولذلك كانت السلف تطوف حفاة عن الاصم ورابعها ان موسى عليه السلام انما لبس النعل اتقاء من الانجاس وخوفا من الحشرات فامنه الله مما يخاف واعلمه بطهارة الموضع عن ابى مسلم انك بالواد المقدس اى المبارك عن ابن عباس ومجاهد وقيل المطهر عن الجبائى طوى هو اسم الوادى عن ابن عباس ومجاهد والجبائى وقيل سمى به لان الوادى قدس مرتين فكانه طوى بالبركة مرتين عن الحسن وانا اخترتك اى اصطفيتك بالرسالة فاستمع لما يوحى اليك من كلامى واصغ اليه وتثبت لما بشره سبحانه بالنبوة امره باستماع الوحى ثم ابتداء بالتوحيد فقال اننى انا الله لا اله الا انا اى لا اله يستحق العبادة غيرى فاعبدنى خالصا ولا تشرك فى عبادتى احدا امره الله سبحانه بان يبلغ ذلك قومه واقم الصلوة لذكرى اى لان تذكرنى فيها بالتسبيح والتعظيم لان الصلوة لا تكون الا بذكر الله عن الحسن ومجاهد وقيل معناه لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل معناه صل لى ولا تصل لغيرى كما يفعله المشركون عن ابى مسلم وقيل معناه اقم الصلوة متى ذكرت ان عليك صلوة كنت فى وقتها ام لم تكن عن اكثر المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام ويعضده ما رواه انس ان النبى صلى الله عليه وآله قال من نسى صلوة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقراء اقم الصلوة لذكرى رواه مسلم فى الصحيح ثم اخبر سبحانه بمجى الساعة فقال ان الساعة آتية يعنى ان القيمة جائية قائمة لا محالة اكاد اخفيها اى اريد ان اخفيها عن عبادى لئلا يأتيهم الا بغتة قال ثعلب هذا اجود الاقوال وهو قول الاخفش وفائدة الاخفاء التهويل والتخويف فان الناس اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وروى عن ابن عباس اكاد اخفيها من نفسى وهى كذلك فى قراءة ابى وروى ذلك عن الصادق عليه السلام والمعنى اكاد اظهر عليها احدا وهو قول الحسن وقتاده والمقصود من ذلك تبعيد الوصول الى علمها وتقديره اذا كنت اخفيها من نفسى فكيف اظهرها لك قال المبرد هذا على عادة العرب اذا بالغوا فى كتمان شىء كتمته حتى من نفسى اى لم اطلع عليه احدا فبالغ سبحانه فى اخفاء الساعة

وذكره بابلغ ما تعرفه العرب قال ابو عبيدة اخفيها اظهرها ودخلت الفاء تاكيدا والمعنى يوشك ان اقيمها لتجزى كل نفس بما تسعى اى بما تعمل من خير وشر لينتصف من الظالم للمظلوم فلا يصدنك عن الصلوة من لا يؤمن بالساعة وقيل معناه لا يمنعك عن الايمان بالساعة من لا يؤمن بها وقيل عن العبادة ودعاء الناس اليها وقيل عن هذه الخصال واتبع هواه والهوا ميل النفس الى الشىء ومعناه ومن بنى الامر على هوى النفس دون الحق وذلك ان الدلالة قد قامت على قيام الساعة فتردى اى فتهلك كما هلك اى ان صددت عن الساعة بترك الشاهد لها هلكت والخطاب وان كان لموسى عليه السلام فهو فى الحقيقة لساير المكلفين وفى هذه الايات دلالة على ان الله تعالى كلم موسى ع وان كلامه محدث لانه حل الشجرة وهى حروف منظومة

قوله عز وجل وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى فَأَلْقِيهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى عشر آية القراءة قرا ابن عامر اشدد بقطع الهمزة وفتحها واشركه بضمها والباقون اشدد بهمزة الوصل واشركه بالفتح وفى الشواذ قراءة عكرمة واهش بالشين وقراءة ابرهيم واهش بكسر الهاء الحجة الوجه فى قراءة ابن عامر انه جعله خبرا وساير القراءة جعلوه دعاء وضم الهمزة فى اشركه ضعيف جدا لانه ليس على موسى اشراك هرون فى النبوة بل ذلك الى الله تعالى فالوجه فتح الهمزة على الدعاء ومن قراء اهش بكسر الهاء فيمكن ان يكون اراد اهش بضم الهاء اى اكسر الكلاء بها للغنم فجاء بها على يفعل وان كان متعديا كما جاء هر الشىء يهره هرا اذا كرهه وشد الحبل شده ويشده ونم الحديث ينمه وينمه واما اهس بالسين فمعناه اسوق وكان ينبغى ان يقول اهس بها غنمى ولكن لما دخل السوق معنى الانحاء لها والميل بها عليها استعمل معها على حملا على المعنى اللغه التوكؤ والاتكاء بمعنى مثل التوقى والاتقاء والهش ضرب ورق الشجر ليتساقط المآرب الحوائج

واحد نهما ما آرب بضم الراء وفتحها وكسرها عن علي بن عيسى والسيرة والطريقة من النظاير
ومعناه مرور الشيء على جهة واصله الجناح من الجنوح وهو للطائر لان الطائر يميل به
في طيرانه وعضد الانسان جناحه لانه من جهته تميل اليد حيث شاء صاحبها
وقيل يريد بالجناح الجنب لان فيه جنوح الاضلاع وقال الراجز اضمها للصدر والجناح
قال ابو عبيدة الجناحان الناحيتان والطغيان تجاوز الحد في العصيان وشرح
الصدر توسعه ومنه شرح المعنى وهو بسط القول فيه والعقدة حله مجتمعة يصعب
تفكيكها والحل معناه ضد العقد ونظيره الفصل والقطع والوزير حامل الثقل عن الرئيس
مشتق من الوزر الذي هو الثقل والازر الظهر يقال ازر فلان على امري اي كان لي ظهيرا
ومنه المئزر لانه يشد على الظهر والازار لانه يسبل على الظهر والتازير التقوية ويمكن ان يكون
آزره وازره مثل ارخ وورخ واكد ووكد قال امرؤ القيس بمحنيه قد آزر الضال
نبتها مضم جيوش غانمين وخيب الاعراب وما تلك بيمينك قال الزجاج تلك اسم مبهم
يجري مجرى التي ويوصل كما توصل التي والمعنى ما التي بيمينك وانشد الفراء عدس ما لعباد
عليك امارة امنت وهذا تحملين طليق اي والذي تحملين قال بعض المتاخرين ان
الصحيح الذي لا غبار عليه ان يكون تلك مبتدا وما خبره قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام
وبيمينك الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من معنى الفعل في تلك وهو الاشارة
قال وانما قلنا ذلك لان اسماء الاشارة انما تتبين بصفاتها كما ان الاسماء الموصولة
تبين بصلاتها ولا يجوز وصف المبهم بالجملة لان الجمل نكرات وقوله فاذا هي حية تسعى
وهذا يدل على ان ههنا غير مضاف الى الجملة لانه لو كان كذلك لم يعمل فيه ما في الجملة
حتى لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف وسيرتها انتصب على تقدير سنعيدها الى
سيرتها فحذف الجار من غير سوء في موضع نصب على الحال والتقدير بيضاء من غير سوء
فيكون حالا عن حال اية اخرى اسم في موضع الحال ايضا والمعنى تخرج بيضاء مبينة
قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبة على اتيناك اية اخرى او نؤتيك اية اخرى لان في قوله
تخرج بيضاء دليلا على انه يعطي اية اخرى لنريك اللام يتعلق بقوله واضمر المفعول الثاني

من ترى

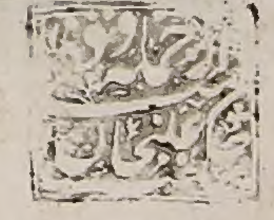
من ترى يجوز ان يكون محذوفا وتقديره لنريك من اياتنا الكبرى ايات ويجوز ان يكون
الكبرى صفة محذوف وهو المفعول الثاني والتقدير لنريك الاية الكبرى من اياتنا هرون
بدل من قوله وزيرا بدل عليه واخي صفة لهرون ويجوز ان يكون لهرون مفعولا اول
لاجعل وزيرا مفعولا ثانيا له وعلى هذا فيكون مثل قوله تعالى جعلوا لله شركاء الجن فان
المفعول الثاني من هذا الباب قد تقدم على المفعول الاول ولو قرأ بالرفع هرون لكان
خبر مبتدا محذوف فكانه قيل من هذا الوزير فقيل هو هرون وكثيرا نعت لمصدر
محذوف في الموضعين اي تسبيحا كثيرا وذكرا كثيرا ويجوز ان يكون نعتا لظرف محذوف
تقديره نسبحك وقتا كثيرا ونذكرك وقتا كثيرا المعنى ثم بين سبحانه ما اعطى موسى
من المعجزات فقال وما تلك بيمينك يا موسى عما في يده من العصا تنبيها له عليها ليقع
المعجز بها بعد التثبت فيها والتامل لها قال موسى هي عصاي اتوكا عليها اي اعتمد عليها
اذا مشيت والتوكؤ التحامل على العصا في المشي واهش بها على غنمي اي واخبط بها ورق
الشجر لترعاه غنمي ولي فيها مارب اخرى ولم يقل آخر لتوافق رؤوس الاي اي حاجات اخر
نقص على الله زمه وكنى عن العارض قال ابن عباس كان يحمل عليها زاده ويركزها فيخرج
منها الماء ويضرب بها الارض فيخرج ما ياكل وكان يطرد بها السباع واذا ظهر
عدو حاربت واذا اراد الاستقاء من بئر طالت وكانت شعبتاها كالدلو وكان يظهر
عليها كالشمعة فتضيء له الليل وكانت تحدثه وتونسه واذا طالت شجرة جفاها بمحجنها
قال الله سبحانه القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى اي تمشي بسرعة وقيل صارت
حية صفراء ولها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى صارت ثعبانا وهي اكبر من الحيات
عن ابن عباس وقيل انه القاها وحانت منه نظرة فاذا باعظم ثعبان نظر اليه الناظرون
تمر بالصخرة مثل الخلفة من الابل فتلقمها وتطعن بنابه في اصل الشجرة العظيمة فتجتثها وعيناها
يتوقدان نارا وقد صار المحجن عنقا فيه شعر مثل النيازك فلما عاين ذلك ولى مدبرا ولم يعقب
ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى ارجع الى حيث كنت فرجع وهو شديد
الخوف قال خذها بيمينك ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى اي سنعيدها الى الحالة

الاولى عصا وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف وقد خلها بخلال فلما امره سبحانه باخذها ادلى طرف المدرعة على يده فقال مالك يا موسى ارايت لو اذن الله بما تحاذر اكانت المدرعة يغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية واذا يده في الموضع الذي كان يضعها اذا توكا بين الشعبتين عن وهب وقيل كانت العصا من آس الجنة اخرجها آدم عليه السلم وتوارثها الانبياء الى ان بلغ شعيبا فدفعها الى موسى قال وهب كانت من عوسج وكان طولها عشرة اذرع على مقدار قامة موسى واضمم يدك الى جناحك معناه اجمع يدك الى ما تحت عضدك عن مجاهد والكلبي وقيل الى جنبك وقيل ادخلها في جيبك وكنى عن الجيب بالجناح يخرج بيضاء لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوءا عن ابن عباس من غير سوء اي من غير عوض في قول الجميع قالوا وكان موسى ادم اللون ففعل فخرجت يده كما قال الله ثم ردها فعادت الى لونها الذي كانت عليه آية اخرى اي فيريك بها آية اخرى ويخرج مبجنه اية اخرى لنريك من اياتنا وحجتنا الكبرى منها ولو قال الكبر على الجمع وصفا بجميع الايات لكان جايزا وقيل معناه لنريك من دلالتنا الكبر سوى هاتين الدلالتين وقيل انها هلاك فرعون وقومه فلما حمله سبحانه الرسالة واراده المعجزات امره بالتبليغ وقال اذهب الى فرعون فادعه الى انه طغى اي تجبر وتكبر في كفره قال موسى عند ذلك رب اشرح لي صدري اي وسع لي صدري حتى لا اضجر ولا اخاف ولا اغتم ويسر لي امري اي سهل علي اداء ما كلفتني من الرسالة والدخول على الطاغي ودعاه الى الحق واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي اي اطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفهموا كلامي وكان في لسان موسى عليه السلم رتة لا يفصح معها بالحروف شبه التهتهة وقيل ان سبب تلك العقدة في لسانه جمرة طرحها في فيه لما اراد فرعون قتله لانه اخذ بلحية فرعون ونتفها وهو طفل فقالت آسية بنت مزاحم لا تفعل فانه صبي لا يعقل وعلامة جهله انه لا يميز بين الدرة والجمرة فامر فرعون حتى احضر الدرة والجمرة بين يديه فاراد موسى ان ياخذ الدرة فصرف جبرئيل يده الى الجمرة فاخذها ووضعها في فيه فاحترق لسانه عن سعيد بن جبير

ومجاهد

ومجاهد والسدي وقيل انه انحل اكثر ما كان بلسانه الا لعثة منه بدلالة قوله ولا يكاد يبين عن الجبائي وقيل استجاب الله سبحانه دعاه فاحل العقد عن لسانه عن الحسن وهو الصحيح لقوله سبحانه اوتيت سؤلك يا موسى ومعنى قوله لا يكاد يبين اي لا ياتي ببيان وحجة وانما قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه واجعل لي وزيرا يوازرني على المضي الى فرعون ويعاضدني عليه وقيل اجعل لي معاونا اتقوى برايه ومشاورته وقال من اهلي لانه اذا كان الوزير من اهله كان اولى بيذل النصح له ثم بين الوزير وفسره فقال هرون اخي وكان اخاه لابيه وامه وكان بمصر اشدد به ازري اي قوي به ظهري واعني به واشركه في امري اي اجمع بيني وبينه في النبوة ليكون احرص على موازرتي لم يقتصر ع على سوال الوزارة له حتى سال ان يكون شريكه في النبوة ولولا ذلك لجاز ان يوزره من غير مسئلة وانما سمي الوزير وزيرا لانه يعين الامير على ما هو بصدده من الامور اخذ من الوزارة التي هي المعاونة وقيل انما سمي وزيرا لانه يحمل الثقل عن الامير من الوزر الذي هو الثقل وقيل انه يلتجي الامير اليه فيما يعرض له من الامور من الوزر الذي هو الملجا قالوا ان هرون كان اكبر من موسى بثلاث سنين كي نسبحك كثيرا اي ننزهك عما لا يليق بك بين عليه السلم انه سئل هذه الحاجات ليتوصل بها الى طاعة ربه وعبادته وتادية رسالته لا الرياسة ونذكرك كثيرا اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من نعمك ومننت به علينا من تحميل رسالتك انك كنت بنا بصيرا اي باحوالنا وامورنا عالما وقيل بصيرا باحتياجنا في النبوة الى هذه الاشياء قال الله سبحانه اجابة له قد اوتيت سؤلك اي اعطيت مناك وطلبتك يا موسى فيما سالته والسوال الشيء والمراد فيما يساله الانسان وقال الصادق عليه السلم حدثني ابي عن جدي عن امير المومنين عليه السلم قال كن لما لا ترجوا ارجا منك لما ترجوا فان ابن عمران ع خرج يقتبس لاهله نارا فكلمه الله عز وجل فرجع نبيا وخرجت ملكة سبا فاسلمت مع سليمان وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مومنين قوله تعا وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ

كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين
في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتنا ولا تنيا
اذهب الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ثماني آيات بلا خلاف الا
في تفصيلها خلافا القراءة قراء ابو جعفر ولتصنع بالجزم والباقون ولتصنع بكسر اللام والنصب
في الشواذ قراءة ابي نهيك ولتصنع بكسر اللام وفتح التاء الحجة قوله ولتصنع بالجزم مثل قولهم
لتغن بحاجتي فالمامور غايب غير مخاطب لان المعاني بالحاجة غير المخاطب وليس ذلك مثل قوله
فلتفرحوا فان المامور هناك مخاطب في قوله ولتصنع على عيني قال احمد بن يحيى معناه ليكون حركتك
وتصرفك على عين مني في قراءة القراء ولتصنع على عيني بضم التاء لتربي وتغذى بمرأى مني اللغة
اصل المن القطع ومنه اجر غير ممنون وحبل منين اي منقطع فالمن نعمه يقطع لصاحبها عن غيره
والمرة الكرة الواحدة من المر القذف الطرح واليم البحر والاصطناع افتعال من الصنع والصنع
ايجاد الخير لصاحبه دون في الامرين دنيا وونيا اذا افتر فهو وان ومنوان فيه قال العجاج فما ونى
محمد مذ ان غفر له الاله ما مضى وما غير الاعراب مرة يحتمل ان يكون مصدرا ويحتمل ان يكون
ظرفا ويكون التقدير مرة اخرى ردفا اخر ما يوحى ما مصدرية وتقديره اوحينا الى امك
ايحاء وان اقذفيه في موضع نصب بانه مفعول على اوحينا واللام يتعلق بالقيت لتربي ولتصنع
على عيني بضم التاء معناه لتربى وتغذى بمرأى مني المعنى لما اخبر الله سبحانه موسى بانه اتاه طلبته
واعطاه سؤله عدد عقيب ما تقدم ذلك من نعمه عليه ومننه لديه فقال ولقد مننا عليك مرة
اخرى اي انعمنا عليك من صغرك الى كبرك جارية نعمنا عليك متوالية فاجابتنا الان دعائك
تلوها ثم فسر سبحانه تلك النعمة فقال اذ اوحينا الى امك ما يوحى اي حين اوحينا الى امك اي الهمناها
ما يلهم وهو ما كان فيه سبب نجاتك من القتل حتى غيبت بامرك وقيل كانت رات في المنام عن
الجبائي ثم فسر ذلك الايحاء فقال ان اقذفيه في التابوت اي اجعليه فيه بان تربيه فيه فاقذفيه في اليم
يريد النيل فليلقه اليم بالساحل هو شط البحر لفظه امر فكانه امر البحر كما امر ام موسى والمراد
به الخبر ومعناه يلقيه البحر بالشط ياخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون كان عدوا لله ولانبيائه
وعدوا لموسى خاصة لتصوره ان ملكه ينقرض على يديه وكانت هذه المنن من الله سبحانه على موسى ع



ان فرعون

ان فرعون كان يقتل غلمان بني اسرائيل ثم خشي ان يفني نسلهم فكان يقتل بعد ذلك في سنة
ويترك في سنة فولد موسى في السنة التي كان يقتل الغلمان فيها فنجاه الله تعالى منه والقيت عليك محبة
مني اي جعلتك بحيث يحبك من يراك حتى احبك فرعون فسلمت من شره واحبتك
امراته آسيه بنت مزاحم فتبنتك وربتك في حجرها عن عكرمه وقيل معناه حببتك الى
عبادي فلا يلقاك احد مؤمن ولا كافر الا احبك عن ابن عباس وهذا كما يقال البسه الله
جمالا والقى عليه جمالا وقال قتاده ملاحة كانت في عين موسى فما راه احد الا عشقه ولتصنع
على عيني ولتربى ولتغذى بمرأى مني اي يجري امرك على ما اريد بك من الرفاهة في غذائك
عن قتاده وذلك ان من صنع الانسان شيئا وهو ينظر اليه صنعه كما يحب ولا يتهيأ له خلافه
وقيل لتربى وتطلب لك الرضاع على علم مني ومعرفة ليصل الى امك عن الجبائي وقيل لتربى ويطلب
لك الرضاع وتغذى بحياطتي وكلاءتي وحفظي كما يقال في الدعاء في الحفظ والحياطة عين الله
عليك عن ابي مسلم اذ تمشي اختك الظرف يتعلق بتصنع والمعنى ولتصنع على عيني قدرنا مشي
اختك وقولها هل ادلكم على من يكفله لان هذا كان من اسباب تربية موسى عليه السلم
على ما اراد الله وهو قوله اذ تمشي اختك يعني حين قالت لها ام موسى قصيه فاتبعت
موسى اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعته فيه والقته في النيل وكان يشرع من النيل
نهر كبير في باغ فرعون فبينما هو جالس على راس البركة مع امراته آسيه اذا التابوت
يجي على راس الماء فامر باخراجه فلما فتحوا راسه اذا صبي من احسن الناس وجها فاحبه
فرعون بحيث لا يتمالك فجعل موسى يبكي ويطلب اللبن فامر فرعون حتى اتته النساء اللواتي
كن حول داره فلم ياخذ موسى من لبن واحد منهن وكانت اخت موسى واقفة هناك اذ امرتها
امها ان تتبع التابوت فقالت انا اتي بامراة ترضعه وذلك قوله فيقول هل ادلكم على من يكفله
اي ادلكم على امراة تربيه وترضعه وهي ناصحة له فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك
قوله فرجعناك الى امك كي تقر عينها برؤيتك وبقائك ولا تحزن من خوف قتله او غرقه
وذلك انها حملته الى بيتها امنة مطمئنة قد جعل لها فرعون اجرة على الرضاع وقتلت
نفسا فنجيناك من الغم كان قتل قبطيا كافرا عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله

انه قال رحم الله اخي موسى قتل رجلا خطا وكان ابن اثنتي عشرة سنه فنجيناك من الغم اي من
القتل وكربه لانه خاف ان يقتصوا منه بالقبطي فالمعنى خلصناك من غم القصاص وامناك
من الخوف وفتناك فتونا اي اختبرناك اختبارا ومعناه انا عاملناك معاملة المختبر
حتى خلصت للاصفياء بالرسالة وكان هذا من اكبر نعمه سبحانه عليه وقيل معناه وخلصناك
من محنة بعد محنة منها انها في جملة البينة التي كان فرعون يذبح الاطفال فيها ثم القاه
في اليم ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم جرح لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة
بدل الدرة فدرء ذلك عنه قتل فرعون ثم مجي رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله
عن ابن عباس فعلى هذا يكون المعنى وخلصناك من المحن تخليصا وقيل معناه وشددنا عليك
التعبد في امر المعاش حتى بعت لشعيب عشر سنين ثم بين ذلك فقال فلبثت سنين في اهل مدين
اي لبثت فيهم حين كنت راعيا لشعيب ثم جئت على قدر يا موسى اي الوقت الذي قدر لارسالك
نبيا قال الشاعر نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر وقيل معناه جئت
على الوقت الذي يوحى فيه الى الانبياء وهو على راس اربعين سنة وقيل على المقدار الذي قدر الله
لمجيك وكتبه في اللوح المحفوظ والمعنى جئت في الوقت الذي قدره الله لكلامك ونبوتك
في الوحي اليك واصطنعتك لنفسي اي لوحيي ورسالتي عن ابن عباس والمعنى اخترتك
واتخذتك صنيعتي واخلصتك في الوحي اليك واصطنعتك لنفسي اي لتتصرف على ارادتي
ومحبتي وانما قال لنفسي وان المحبة اخص شي بالنفس وتبليغه الرسالة وقيامه باداتها
تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لاقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى
صرت في التبليغ عني بالمنزلة التي اكون انا بها لو خاطبتهم عليهم عن الزجاج اذهب انت
واخوك باياتي اي بحجتي ودلالاتي وقيل بالايات التسع عن ابن عباس ولا تنيا في ذكري اي ولا
تضعفا في ذكري ولا تضعفا في رسالتي عن ابن عباس وقيل لا تفترا في امري عن السدي
وقيل لا تقصرا عن محمد بن كعب اي يحملكما خوف فرعون على ان لا تقصدا في امري اذهبا
الى فرعون كرر الامر بالذهاب للتاكيد وقيل ان في الاول خص موسى عم بالامر وفي الثاني
امرهما ليصيرا متبعين وشريكين في الامر ثم بين من يذهبان اليه انه طغا اي جاوز الحد

في الطغيان

في الطغيان فقولا له قولا لينا اي ارفقا له في الدعاء والقول ولا تغلظا له في ذلك عن ابن عباس
وقيل معناه كنياه عن السدي وعكرمه وكنيته ابو الوليد وقيل ابو العباس وقيل ابو مره وقيل
ان القول اللين هو هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى عن مقاتل وقيل هو ان موسى اتاه
فقال له تسلم وتومن برب العالمين على ان لك شبابك فلا تهرم ويكون ملكك لا تنزع الملك
منك حتى تموت ولا ينزع منك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت فاذا مت دخلت الجنة
فاعجبه ذلك وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم هامان واخبره بالذي
دعا اليه انه يريد ان يقبل منه فقال هامان قد كنت ارى ان لك عقلا وان لك رايا بينا انت
رب تريد ان يكون مربوبا وبينا انت تعبد وتريد ان تعبد فقلبه عن رايه وكان يحيى بن معاذ
يقول هذا رفقك لمن يدعي الربوبية فكيف رفقك بمن يدعي العبودية لعله يتذكر او يخشى
اي ادعواه على الرجاء والطمع لا على الاياس من فلاحه فوقع التعبد لهما على الوجه لانه ابلغ لهما
في دعائه الى الحق قال الزجاج والمعنى في هذا عند سيبويه اذهبا على رجائكما وطمعكما والعلم
من الله قد اتى من وراء ما يكون وانما تبعث الرسل وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم والمراد
بيان الغرض بالبعثة اي ليتذكر ما اغفل عنه من ربوبية الله تعالى وعبودية نفسه او يخشى
العقاب بالوعيد وفي قوله سبحانه فقولا له قولا لينا دلالة على وجوب الرفق في الدعاء الى الله
وفي الامر بالمعروف ليكون اسرع الى القبول وابعد من النفور وقيل ان هرون كان بمصر فلما اوحى
الله تعالى الى موسى ان ياتي مصر اوحى الى هرون ان يتلقى موسى فتلقاه على مرحلة ثم ائتمرا وذهبا
الى فرعون قوله عز وجل قالا رَبَّنَا اِنَّنَا نَخَافُ اَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا اَوْ اَنْ يَطْغٰى قَالَ لَا تَخَافَا اِنَّنِي مَعَكُمَا
اَسْمَعُ وَاَرٰى فَاْتِيَاهُ فَقُولَا اِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَاَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي اِسْرَآئِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ
بِاٰيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰى اِنَّا قَدْ اُوحِيَ اِلَيْنَا اَنَّ الْعَذَابَ عَلٰى مَنْ كَذَّبَ
وَتَوَلّٰى قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسٰى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدٰى قَالَ فَمَا بَالُ
الْقُرُونِ الْاُولٰى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ
مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَاَخْرَجْنَا بِهِ اَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتّٰى كُلُوا
وَارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِاُولِي النُّهٰى مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً

اخرى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى ثنتا عشرة اية القراءة قرا ابو بصير
عن الكسائى خلقه بفتح اللام والباقون خلقه بسكون اللام وقرا اهل الكوفة وروح وزيد
عن يعقوب مهدا والباقون مهادا بالالف الحجة من قرا اعطى كل شئ خلقه فالمعنى اعطاء
كل شئ صورته اى خلق كل حيوان على صورة اخرى ثم هداه ومن قرا خلقه بفتح اللام فانه
جعله على الفعل والفاعل فى موضع جر بانه صفة شئ والمفعول الثانى لاعطى محذوف فكانه اعطى
كل شئ مخلوق ما اوجبه تدبيره ثم هداه السبيل والمهد مصدر كالفرش والمهاد مثل الفراش
والبساط فى قوله جعل لكم الارض فراشا وفى موضع آخر بساطا ويجوز ان يكون المهد استعمل
استعمال الاسماء فجمع كما يجمع فعل على فعال والاول بين اللغة الفرط التقدم ومنه الفارط المتقدم
الى الماء قال قد فرط العجل علينا وعجل قد فرط القوم سليا وعجل ومنه الافراط الاسراف لانه تقدم
بين يدى الحق والتفريط التقصير لانه تاخر عما يجب فيه التقدم وقال الزجاج القرن اهل كل عصر
فيهم نبى وامام او عالم يقتدى به فانه لم يكن واحد منهم لم يسم قرنا والنهى جمع نهيه وانما قيل
الاولى العقول اولوا النهى لانهم ينهون الناس عن القبائح وقيل انه ينتهى الى رايهم الاعراب
اسم جملة فى موضع الرفع بكونها خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون فى موضع النصب على الحال
علمها عند ربى فى كتاب علمها مبتدا وفى كتاب خبره وعند ربى معمول الخبر ويجوز ان يكون
قوله عند ربى صفة لكتاب فلما تقدم انتصب على الحال وتقديره فى كتاب ثابت عند ربى وفى كتاب
بدل منه ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وقوله لا يضل ربى تقديره لا يضل ربى عنه فحذف الجار
والمجرور كما حذف من قوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا اى فيه الذى جعل لكم الارض
يجوز ان يكون فى موضع جر بانه صفة ربى يجوز ان يكون فى موضع رفع بانه خبر مبتدا محذوف
من نبات فى موضع نصب صفة لقوله ازواجا وشتى صفة له ايضا فهى صفة بعد صفة وتارة منصوبة
على الحال المعنى لما امر الله سبحانه موسى وهرون ان يمضيا الى فرعون ويدعواه الى الله قالا ربنا
اننا نخاف ان يفرط علينا اى نخشى ان يتقدم فينا بعذاب ويعجل علينا او ان يطغى اى يجاوز الحد فى
الاساءة بنا وقيل معناه اننا نخاف ان يبادر الى قتلنا قبل ان يتامل حجتنا او ان يزداد كفرا الى كفره
بردنا قال لا تخافا اننى معكما بالنصرة والحفظ معناه اى ناصركما وحافظكما اسمع ما يسئل عنكما جوابه

وادى

وادى ما يقصد كما به فادفعه عنكما فهو مثل قوله فلا يصلون اليكما ثم فسر سبحانه ما اجمله فقال
فاتياه اى فاتيا فرعون فقولا انا رسولا ربك اى ارسلنا اليك خالقك بان يدعوك الى ان ارسل
معنا بنى اسرائيل اى اطلقهم واعتقهم عن الاستعباد ولا تعذبهم بالاستعمال فى الاعمال الشاقة
قد جئناك باية من ربك بدلالة واضحة ومعجزة لائحة من ربك تشهد لنا بالنبوة والسلام
على من اتبع الهدى قال الزجاج لم يرد بالسلام هنا التحية وانما معناه من اتبع الهدى سلم
من عذاب الله ويدل عليه قوله بعده انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى اى انما
يعذب الله سبحانه من كذب بما جئنا به واعرض عنه فاما من اتبعه فانه يسلم من العذاب
وههنا حذف وهو فاتياه فقالا له ما امرهما الله تعالى ثم قال لهما فرعون فمن ربكما اى فمن ربك
وربه يا موسى وانما قال ربكما على تغليب الخطاب قيل تقديره فمن ربكما يا موسى وهرون فاكتفى بذكر
احدهما عن الثانى اختصارا ويستوى رؤس الاية واراد به فمن ربكما يا موسى وهرون فاكتفى
بذكر احدهما عن الثانى اى جنس من الاجناس ربكما حتى افهمه بنين موسى ان الله تعالى ليس له
جنس وانما يعرف سبحانه بافعاله قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه معناه اعطى كل شئ خلقته
اى صورته التى قدرها له ثم هدى اى هداه الى مطعمه ومشربه ومنكحه الى غير ذلك من ضروب
هدايته عن مجاهد وعطيه ومقاتل وقيل معناه اعطى كل شئ مثل خلقه اى زوجه من جنسه
ثم هداه لنكاحه عن ابن عباس والسدى وقيل معناه اعطى خلقه كل شئ من النعم فى الدنيا مما
ياكلون ويشربون وينتفعون به ثم هداهم الى طرق معايشهم والى امور دينهم ليتوصلوا بها الى
نعم الاخرة عن الجبائى قال فرعون فما بال القرون اى فما حال الامم الماضية فانها لم تقربوا لله
وما تدعوا اليه بل عبدت الاوثان ونعنى بالقرون الاولى مثل قوم نوح وعاد وثمود فقال
موسى عليه السلام علمها عند ربى اى اعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها والتقدير علم اعمالهم
عند ربى فى كتاب يعنى اللوح المحفوظ والمعنى ان اعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم وقيل المراد بالكتاب
ما تكتبه الملائكة وقيل ايضا ان فرعون انما قال فما بال القرون الاولى حين دعاه موسى الى الاقرار
بالبعث اى فما بالهم لم يبعثوا لا يضل ربى اى لا يذهب عليه شئ وقيل معناه لا يخطى ربى ولا ينسى من
النسيان عن ابى مسلم اى لا ينسى ما كان من امرهم بل يجازيهم باعمالهم وقيل معناه لا يفعل ولا يترك

شيئا عن السدى ثم زاد فى الاخبار عن الله سبحانه فقال الذى جعل لكم الارض مهدا اى فرشا ومهادا
اى فراشا وسلك لكم فيها سبلا والسلك ادخال الشى فى الشى فالمعنى ادخل لكم اى لاجلكم فى الارض
طرقا تسلكونها وقال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا وانزل من السماء ماء يعنى المطر وتم
الاخبار عن موسى ثم اخبر الله سبحانه عن نفسه فقال موصولا بما قبله من الكلام فاخرجنا
اى بذلك الماء ازواجا اى اصنافا من نبات شتى اى مختلفة الالوان احمر وابيض واخضر واصفر
وكل لون منها زوج وقيل مختلفة الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما يصلح الطعام الانسان
ومنها ما يصلح للتفكة ومنها ما يصلح لغير الانسان من اصناف الانسان الحيوان كلوا اى مما اخرجنا
بالمطر من النبات والثمار وارعوا انعامكم اى واسيموا مواشيكم فيما انبتناه بالمطر واللفظ
للامر والمراد الاباحة والتذكير بالنعمة ان فى ذلك اى فيما ذكر الايات اى دلالات لاولى النهى
اى لذوى العقول الذين ينتهون عما حرم الله عليهم عن الفحشاء وقيل لذوى الورع عن قتاده
وقيل لذوى التقى عن ابن عباس منها خلقناكم اى من الارض خلقنا اباكم آدم وفيها نعيدكم
اى وفى الارض نعيدكم اذا امتناكم ومنها نخرجكم تارة اخرى اى دفعة اخرى اذا حشرناكم ولقد اريناه
يعنى فرعون اياتنا كلها يعنى الايات التسع اى معجزاتنا الدالة على نبوة موسى عليه السلام فكذب
بجميع ذلك وابى ان يؤمن به وقيل معناه فجحد الدليل وابى القبول ولم يرد سبحانه بذلك
جميع اياته التى يقدر عليها ولا كل ما يرخلقها وانما اراد كل الايات التى اعطاها موسى النظم
ووجه اتصال قوله فما بال القرون الاولى بما قبله من الدعاء اى التوحيد ان فرعون لما ظهرت
المعجزات ودلايل التوحيد على يد موسى تحير وخاف على الفضيحة فاقبل على نوع آخر من السؤال
تلبيسا وكثيرا ما يفعل ذلك اهل البدع عند ظهور الحجة وقيل لما دعاه موسى الى الاقرار
بالبعثة قال فما بال وكذلك القرون لم يبعثوا قوله عز وجل قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ
يَا مُوسَى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى
قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى
فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ

من ارضكم

مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ
اسْتَعْلَى قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ
وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى عشر آيات القراءة قرأ ابو جعفر لا نخلفه بالجزم
والباقون بالرفع وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو والكسائى سوى بكسر السين والباقون بضمها
وقرأ يوم الزينة بالنصب هبيرة عن حفص وهى قراءة الحسن والاعمش والثقفى والباقون
يوم الزينة بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير ابى بكر ورويس فيسحتكم بضم الياء والباقون
فيسحتكم بفتح الياء والحاء وقرأ ابو عمرو ان هذين وقرأ ابن كثير وحفص ان هذان
خفيف وقرأ الباقون ان هذان وابن كثير وحده يشدد النون من ان وقرأ ابو عمرو
فاجمعوا بوصول الهمزة وفتح الميم والباقون فاجمعوا بقطع الهمزة وقرأ ابن عامر وروح وزيد
تخيل اليه بالتاء وهو قراءة الحسن والثقفى والباقون يخيل بالياء الحجة فاما قوله لا نخلفه بالجزم
فانه يكون على جواب الامر والقراءة المشهورة بالرفع على انه يكون لا نخلفه فى موضع النصب بكونه صفة
لقوله موعدا وهو الظاهر واما قوله سوى فان المكان النصف فيما بين الفريقين قال
موسى بن جابر وجدنا اباءنا كان حل ببلدة سوى بين قيس عيلان والفزر قال ابو على قوله
سوى فعل من التسوية فكان المعنى مستوى مسافته على الفريقين فيكون مسافة كل فريق اليه كمسافة
الفريق الآخر وهذا بناء نقل فى الصفات ومثله قوم عدى فاما فعل فى الصفات اكثر قالوا
دليل خيع ومال لبد ورجل حطم وانما انتصاب قوله مكانا لا يخلو ان يكون مفعولا للموعد اما
انه مفعول به او على انه ظرف له او يكون منتصبا بانه المفعول الثانى ولا يجوز الاول ولا الثانى
لان الموعد قد وصف بالجملة التى هى لا نخلفه نحن ولا ذا وصف لم يجز ان يعمل عمل الفعل لانه
بالصفة ولانه اذا عطف عليه لم يجز ان يتعلق به بعد العطف عليه شى وكذلك اذا اخبر عنه
لم يجز ان يقع بعد الخبر عنه شى يتعلق بالمخبر عنه لم يجز سيبويه هذا ضارب طريق زيدا ولا
هذا ضويرب زيدا اذا حقر اسم الفاعل لان التحقير فى تخصيصه الاسم بمنزلة احداث الوصف
عليه وقد جاء من ذلك شى فى الشعر قال بشر بن ابى خازم اذا فاقد خطباء فرخين رجعت
ذكرت سليمى فى الخليط المباين ويحتمل على اضمار فعل آخر كما ذهبوا اليه فى نحو قول الشاعر

ان الغزارة والتوح لدارم والمستحق اخوهم الاثقالا فاذا لم يجز ذلك كان مفعولا ثانيا لقوله
فاجعل فيكون بمنزله قوله جعلوا القران عضين ونحوه واما يوم الزينة فمن نصبه على الظرف
كما يقول قيامك يوم الجمعة فالموعد اذا هنا مصدر والظرف بعده خبر عنه قال ابن جنى
وهو عندى على حذف المضاف اى انجاز موعدنا اياكم فى ذلك اليوم الاترا انه ولا يراد انه فى
اليوم يعدكم لان الوعد قد وقع الان وانما يتوقع انجازه فى ذلك اليوم لكن فى قوله وان يحشر
الناس ضحى ظاهر حاله ان يكون مجرور الموضع حتى كانه قال انتظروا موعدكم يوم الزينة وحشر
الناس ضحى اى يوم هذا وهذا فيكون ان يحشر معطوفا على الزينه وقد يجوز ان يكون مرفوع
الموضع عطفا على الموعد فكانه قال انجاز موعدكم وحشر الناس ضحى فى يوم الزينة اى هذان
الفعلان فى يوم الزينه واما من رفع يوم الزينه فان الموعد عنده ينبغى ان يكون زمانا
فكانه قال وقت وعدكم يوم الزينه كقولنا مبعث الجيوش شهر كذا اى وقت بعثها حينئذ
والعطف عليه بقوله وان يحشر الناس ضحى يوكد الرفع لان ان لا يكون ظرفا بل هو حرف موصول
فى معنى المصدر وينبغى ان يكون على حذف المضاف اى وقت وعدكم يوم الزينه ووقت حشر الناس
كان قولك ورودك مقدم الحاج انما هو على حذف المضاف اى وقت قدوم الحاج
واما قوله فيسحتكم بعذاب فان سحت واسحت بمعنى قال الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان
لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف فمن لم يدع على انه بمعنى لم يبق واما ان قوله ان هذان
لساحران فمن قرا بتشديد النون من ان والالف من هذان وقد قيل فيه اقوال احدها
ان ان بمعنى نعم وانشد وا بكر العواذل فى الضحى يلحينني والومهن ويقلن شيب
قد علاك وقد كبرت فقلت انه فعلى هذا يكون تقديره نعم هذان لساحران وهذا
لا يصح لان ان اذا كانت بمعنى نعم ارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر واللام لا يدخل على خبر
مبتداء جاء على اصله واما ما انشد فى ذلك من قوله خالى لانت ومن جرير خاله ينل العلاء
ويكرم الاخوالا وقوله شعر ام الحليس لعجوز شهربه ترضى من اللحم بعضم الرقبه فمحمول على الشذ فى
الضرورة وايضا فان ابا على قال ما قيل ان فى الاية لا يقتضى ان يكون جوابه نعم لانك وان جعلته
جوابا لقول موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قالوا نعم هذان ساحران كان محالا فان جعلته

على تقدير فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا نعم هذان لساحران كان محالا
ايضا وثانيها ما قاله الزجاج ان تقديره نعم هذان لهما ساحران فاللام دخل على مبتدا
محذوف وهو ايضا مثل الاول لما قلناه ولان سيبويه قال نعم عدة وتصديق وان يصرف
الى الناصبة للاسم اولى وهو قراءة ابو عمرو وعيسى ابن عمرو قال ابو على هذا الذى قاله
الزجاج لا يتجه لامرين احدهما ان الذى حمله النحويون على الضرورة لا يمتنع من ان يسم
هذا التاويل فيه ولم يحملوه مع ذلك عليه والاخر ان التاكيد باللام لا يتعلق بالحذف الا ترى
ان الوجه فى الرتبة ان يتم الكلام ولا يحذف ثم يوكد فاما ان يحذف ثم يوكد فليس بالابق
فى التدبير وثالثها ما قاله المتقدمون من النحويين ان التقدير انه هذان لساحران
فحذف ضمير النصب وهذا ايضا فيه نظر من اجل دخول اللام فى الخبر ولان اضمار الهاء
بعدها مما ياتى فى ضرورة الشعر نحو قوله ان من لام فى بنى بنت حسان المه واعصه فى الخطوب
وقوله ان من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جاذرا وظباء ورابعها ما قاله على بن عيسى
وهو ان ان لما كانت شبيهة بالفعل وليست باصل فى العمل الغيت ههنا كما يلغى اذا خففت وهذا
غير مستقيم وايضا لان الالغاء فى ان ما رايناه فى غير هذا الموضع وايضا فانها قد عملت
مخففة فى قوله تعالى ان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم وكيف يجوز الغاوها فى غير التخفيف وايضا
فقد اعمل اسم الفاعل والمصدر لشبهها بالفعل فلا يجوز الغاوها وايضا فان اللام
يمنع من هذا التاويل لان اذا الغيت ارتفع ما بعدها بالابتداء واللام لا تدخل على خبر
المبتدا على ما بيناه وخامسها ان هذا التاويل الالف ليست بالف التثنية وانما هى الف هذا
زيدت عليها النون وهذا قول الفراء وهو غير صحيح فانه لا يكون تثنية الا ويكون لها
علم ولو كان على ما زعم لم ينقلب هذه الالف ما فى حالة الجر والنصب ويدل على هذه الالف للتثنية
ان الالف التى كانت فى الواحد قد حذفت كما حذفت الياء من الذى والتى اذا قلت اللذان
واللتان وسادسها وهو اجود ما قيل فيه ان يكون هذان اسم ان بلغت كنانه يقولون
اتانى الزيدان ورايت الزيدان ومررت بالزيدان قال بعض شعرائهم شعر ان اباها وابا اباها
قد بلغا فى المجد غايتاها ياليت عيناها لنا وفاها وموضع الخلخال من رجلاها بثمن نعطى بها اباها

فالمجد غاياتها وقال آخر تزود منا بين اذناه ضربة دعته الى هابى التراب عظيم وقال آخر
واطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما ويقولون ضربته بين اذناه
ومن يشترى الخفان وقيل انها لغة لبنى الحرث بن كعب وهذا القول اختيار ابى الحسن وابى
على الفارسى ومن قرا ان هذين لساحرين فهو صحيح مستقيم وزيف الزجاج هذه القراءة
لمخالفتها المصحف وقيل انه احتج فى مخالفته المصحف بما روى انه من غلط الكاتب ويروى
عن عثمان وعائشة ان فى القرآن غلطا ستقيمه العرب بالسنتها وهذا غير صحيح عند اهل النظر
قال ابا عمرو ومن ذهب من القراء مذهبه لا يقرأ الاية الا بما اخذه عن الثقات من السلف
ولا يظن به مع علو مرتبته ان يتصرف فى كتاب الله من قبل نفسه فيغيره ومن قرأ ان هذان
بسكون النون من ان ولا الف فقد قال الزجاج يقوى هذه القراءة قراءة ابى ما هذان الا
ساحران وروى عنه ايضا ان هذان الا ساحران وهذا يدل على انه جعل اللام بمنزلة
الا والجواب انه بصرى المذهب والبصريون ينكرون مجى اللام بمعنى الا قالوا لو كان كذلك
لجاز ان يقول جاء فى القوم لزيدا بمعنى الا زيدا فالوجه الصحيح فيه انه قال ان هذه مخففة
من الثقيلة الزمتها اللام ليكون فرقا بينها وبين ان النافية واما تشديد النون
فى قول ابن كثير ففيه وجهان احدهما ان يكون عوضا من الف هذا التى سقطت من اجل
حرف التثنية والاخر ان يكون للفرق بين النون التى يدخل على المبهم والنون التى يدخل
على المتمكن وذلك ان هذه انما وجدت مشددة مع المبهم واما قوله فاجمعوا كيدكم قال
ابو الحسن انما يقولون الا بالوصل قال وبالقطع اكثر القراءة قال فاما ان يكون لغة فى ذا
المعنى لانه باب فعلت وافعلت كثير وان يكون اجمعوا على كذا ثم قال كيدكم على مستانف
قال ابو على فان قيل فقد تقدم ذكر قوله فجمع كيده فاذا قالوا فاجمعوا كيدكم كان تكريرا
قيل لا يكون كذلك لان ذلك فى قصة وهذا فى اخرى لان الاخبار عن فرعون فى جمعه كيده
وسحره وهذا فيما يتواصى به السحرة فى جمع كيدهم ويشبه ان يكون ذلك على لغتين كما ظنه
ابو الحسن قال الشاعر وانتم معشر زيد وعلى ما به فاجمعوا امركم طرا وكيدوا وفى قوله
فاجمعوا كيدكم لان كيدهم من امرهم واما قوله يخيل اليه فمن قرأ بالياء فانه جعل فاعله

قوله انها

قوله انها تسعى من قرأ بالتاء فعلى هذا يكون فاعله الضمير المستكن فى العصا يا الى الحبال
والعصيا وانها تسعى فى محل الرفع لانه بدل من ذلك الضمير وهو بدل الاشتمال ويجوز
ان يكون موضعه على هذه القراءة نصبا ايضا على معنى تخيل اليه كونها ذات سعى
المعنى ثم حكى سبحانه عن فرعون انه نسب موسى الى السحر تلبيسا عن قومه بان قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى اى من ارض مصر فلناتينك بسحر مثله اى بمثل ما اتيت
به فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى اى اضرب بيننا
وبينك موعدا مكانا نعد لحضورنا ذلك المكان لا يقع فيها فى حضورنا خلاف ثم وصف
المكان بانه تستوى مسافته على الفريقين ومكانا بدل عن موعد وقيل مكانا سوى اى عدلا
بيننا وبينك عن قتاده وقيل منصفا يكون النصف بيننا وبينك عن مجاهد قال ابو الحسن
موسى موعدكم يوم الزينة وكان يوم عيد لهم فسمى يوم الزينة لان الناس يتزينون
فيه ويزينون فيه الاسواق عن مجاهد وقتاده والسدى وان يحشر الناس ضحى يعنى ضحى
ذلك اليوم ويريد بالناس اهل مصر يقول يحشرون الى العيد ضحى فينظرون الى امرى
وامرك فيكون ذلك ابلغ فى الحجة وابعد من الشبهة قال الفراء يقول اذا رايت الناس
يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد قال وجرت عادتهم بحشر الناس فى ذلك اليوم
فتولى فرعون اى انصرف مما فارق موسى على هذا الوعد فجمع كيده اى حيلته ومكره
وذلك جمعه السحرة ثم اتى اى احضر الموعد قال لهم موسى اى قال للسحرة لانهم احضروا
ما علموا من السحر ليقابلوا معجزة موسى ع فوعظهم فقال ويلكم وهى كلمة وعيد وتهديد
معناه الزمكم الله الويل والعذاب ويجوز ان يكون على النداء نحو يا ويلنا فيكون
دعاء بالويل عليهم وقيل ان ويلكم كلمتان تقديرها وى لكم فيكون مبتدا وخبرا ويكون
ويلكم بمنزلة التعجب لكم لا تفتروا على الله كذبا اى لا تشركوا مع الله احدا عن ابن عباس
وقيل لا تكذبوا على الله بان تنسبوا معجزتى الى السحر وسحركم الى انه حق وبان تنسبوا الى فرعون
انه اله معبود فيسحتكم اى يستاصلكم بعذاب عن قتاده والسدى وقيل يهلككم عن ابن
عباس والكلبى ومقاتل والجبائى واصل السحت استقصاء الحلق يقال سحت شعره اذا استاصله

وسحته الله واسحته اذا استاصله واهلكه وقد خاب من افترى اى خسر من كذب
على الله ونسب اليه باطلا عن قتاده وقيل انقطع رجاء من كذب على الله عن ثوابه وجنته
فتنازعوا امرهم بينهم اى تشاوروا القوم وتفاوضوا فى حديث موسى وهرون وفرعون
وجعل كل واحد منهم ينازع الكلام صاحبه وقيل تشاورت السحرة فيما يهيئوه من
الحبال والعصى وفيمن يبتدى بالالقاء واسروا النجوى يعنى ان السحرة احفوا كلامهم
وتناجوا فيما بينهم سرا من فرعون فقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه عن الفراء والزجاج
وقيل ان موسى لما قال لهم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر واسر
بعضهم الى بعض يتناجون عن محمد بن اسحق وقيل اسروا النجوى بان قالوا ان كان هذا ساحر
نستغلبه وان كان من السماء فله امره عن قتاده وقيل تناجوا مع فرعون واسروا عن موسى
وهرون قولهم ان هذان لساحران عن الجبائى وابى مسلم ان هذان يعنى به موسى وهرون
لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما قاله فرعون وجنوده السحرة ويريدان
بالارض ارض مصر ويذهبا بطريقتكم المثلى هى تانيث الامثل وهو الافضل الاشبه بالحق
يقال فلان امثل قومه اشرفهم وافضلهم والمعنى يريدان ان يصرفا وجوه الناس اليهما عن على
وقيل ان طريقتكم المثلى بنو اسرائيل كانوا اكثر القوم عددا واموالا اى يريدان ان اذهبا
لانفسهم عن قتاده واكثر المفسرين وقيل يذهبا بطريقتكم التى انتم عليها فى السيرة والدين عن
الجبائى وابى مسلم وابن زيد فاجمعوا كيدكم اى لا تدعوا من كيدكم شيئا الا جئتم به ثم ائتوا
صفا اى مصطفين مجتمعين ليكون انظم لاموركم واشد لهيبتكم عن ابن عباس واكثر
المفسرين وقيل ثم ائتوا موضع الجمع ويسمى المصلى المصف عن ابى عبيدة والمعنى ثم ائتوا
الموضع الذى يجتمعون فيه لعيدكم وصلوتكم وقد افلح اليوم من استعلى اى قد سعد اليوم
من غلب وعلى عن ابن عباس قال بعضهم ان هذا من قول فرعون للسحرة وقال الاخرون بل هو
قول بعض السحرة لبعض قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى هذا قول السحرة
خيروه بين ان يلقوا اولا ما معهم او يلقى موسى عصاه ثم يلقون ما معهم قال موسى بل
القوا انتم ما معكم امرهم بالالقاء اولا ليكون معجزه اظهر اذا القوا ما معهم ثم يلقى هو عصاه

فتبلغ

فتبلغ ذلك وههنا حذف اى فالقوا ما معهم فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى الضمير فى اليه راجع الى موسى وقيل الى فرعون اى ترى الحبال من سحرهم انها
تسير وتعدو مثل سير الحيات وانما قال يخيل اليه لانها لم تكن تسعى حقيقة وانما تحركت
لانهم جعلوا داخلها الزيبق فلما حميت الشمس طلب الزيبق الصعود فحركت الشمس ذلك فظن انها
تسعى قوله عز وجل فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما فى يمينك
تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقى السحرة سجدا
قالوا امنا برب هارون وموسى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذى
علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن
اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض
ما انت قاض انما تقضى هذه الحيوة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه
من السحر والله خير وابقى انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن
ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى عشر ايات القراءة قرا ابن ذكوان تلقف بالرفع
والباقون بالجزم الا ان حفصا يقراها خفيفة والاخرون مشددة وابن كثير برواية البزى فى ان
فليح بتشديد التاء ايضا وقرا كيد سحر بغير الف اهل الكوفة غير عاصم والباقون ساحر بالالف
الحجة من قرا تلقف بالرفع فانه يرتفع لانه فى موضع الحال والحال يجوز ان يكون من الفاعل
الملقى ومن المفعول الملقى فان جعلته من الفاعل جعلته المتلقف وان كان التلقف فى الحقيقة
للعصا لان التلقف كان بالقائه فجاز ان ينسب اليه وان جعلته من المفعول فانه انث على
المعنى لانه الذى فى يمينه عصا ومثل ذلك فى ان يكون مرة للخطاب ومرة للمونث قوله يومئذ
تحدث اخبارها فهذا يكون على تحدث انت ايها الانسان وعلى ان الارض تحدث
واما ان تلقف بالجزم فعلى ان يكون جوابا كانه ان يلقه تلقفا وتلقف ومن شدد التاء فانما
اراد يتلقف وهذا يكون على يتلقف انت ايها المخاطب وعلى يتلقف هى الا انه ادغم التاء فى التاء
والادغام فى هذا ينبغى ان يكون جايزا لان المدغم يسكن واذا سكن لزم ان يجتلب له همزة الوصل

كما جلبت فی امثلة الماضی نحو اذّارء تم واذنت واطیروا وهمزة الوصل لا یدخل علی المضارع ق
وسالت احمد بن موسی کیف یبتدا من ادغم فقال کلاما معناه انه یصیر بالابتداء الی قول
من خفف و یدع الادغام ومن قرا کید ساحر فلان الکید للساحر فی الحقیقه ولیس للسحر
الا ان یرید کید ذی سحر فیکون فی المعنی مثل کید ساحر والاختلاف بین القراء فی امنتم
والوجه فی ذلك ذکرناه فی سورة الاعراف اللغة یقال لقفت الشیء وتلقفته والتقفته
اذا اخذته بسرعة قال الکسائی الصبی فی الحجاز اذا جاء من عند معلمه قال جئت من عند
کبیری والکبیر فی اللغة الرئیس ولهذا یقال للمعلم الکبیر والاختیار والتزکی
طلب الزکاء والزکاء النماء فی الخیر ومنه الزکوة لان المال ینمو بها الاعراب انه مفعول
من ما صنعوا لان ما ههنا موصول صنعوا صلته ویجوز ان یکون حرفا فیکون تقدیره ان صنعهم
والفرق بین امنتم به وامنتم له ان امنتم به بالباء هو من الایمان الذی هو ضد الکفر وامنتم
له بمعنی التصدیق من خلاف یحتمل ان یکون من بمعنی ای عن ای عن خلاف وان یکون بمعنی
علی خلاف فیکون الجار والمجرور فی موضع نصب علی الحال فی جذوع النخل فی بمعنی علی وانما جاز
الا ذلك لان الجذوع قد اشتملت علیهم وقد صاروا فیها قال الشاعر هم صلبوا
العبدی فی جذع نخلة فلا عطشت شیبان الا بجدعها ایّنا اشد عذابا وابقا
تعلیق ومعنی التعلیق ان عملت تعمل فی المعنی ولا تعمل فی اللفظ والذی فطرنا موضعه
جر عطف علی ما جاءنا فاقض ما انت قاض یجوز ان یکون ما مصدریه فی تقدیر
الظرف ای فاقض القضاء مدة کونك قاضیا ویجوز ان یکون ما مفعوله ای فاقض
ما انت قاضیه فحذف الهاء انما یقضی هذه الحیوة الدنیا حذف المضاف وتقدیره
انما یقضی امور هذه الحیوة الدنیا ویجوز ان یکون التقدیر انما یقضی مدة هذه الحیوة
وهذه علی القول الاول منصوبة مفعول بها وعلی الثانی منصوبة علی الظرف ویجوز
ان یکون الواو للقسم جنات عدن یجوز ان یکون بدلا من الدرجات ولا یجوز ان یکون
خبر مبتدا محذوف لانه قوله خالدین فیها نصب علی الحال من قوله لهم وذو الحال الضمیر
المجرور باللام فعلی هذا لا یجوز الوقف علی الدرجات العلی والدرجات مرتفع بالظرف

بلاخلاف

ثف

بلا خلاف فیهم لان الظرف جری خبرا علی المبتدا وهو اولئك واعتمد علیه فیرتفع المعنی
فاوجس فی نفسه خیفة موسی معناه فاوجس موسی وجد فی نفسه ما یجده الخائف
ویقال اوجس القلب فزعا ای اضمر والسبب فی ذلك انه خاف ان یلتبس علی الناس امرهم
فیتوهموا انهم فعلوا مثل فعله ویظنوا المساوات فیشکوا ولا یتبعونه عن الجبائی وقیل
انه خوف الطباع اذا رای الانسان امرا فظیعا فانه یحذره ویخافه فی اول وهله وقیل
انه خاف ان یتفرق الناس قبل القائه العصا وقیل ان یعلموا ببطلان السحر فیبقوا
فی شبهته وقیل انه خاف لانه لم یدر بان العصا اذا انقلبت حیة هل یظهر المزیة
لانه لم یعلم انها تتلقفها وکان ذلك موضع خوف لانها لو انقلبت حیة ولم تتلقف
ما یأفکون ربما ادعوا المساواة لاسیما والاهواء معهم والدولة لهم فلما تلقفت زالت
الشبهة وتحقق عند الجمع صحة امر موسی وبطلان سحرهم قلنا لا تخف انك انت الاعلی
علیهم بالظفر والغلبة والق ما فی یمینك یعنی العصا تلقف ما صنعوا ای تبتلع ما صنعوا فیه
من الحبال والعصی لان الحبال والعصی اجسام لیست من صنعهم قالوا ولما القی عصاه
صارت حیة وطافت حول الصفوف حتی رآها الناس کلهم ثم قصدت الحبال والعصی
فابتلعها کلها علی کثرتها ثم اخذها موسی فعادت عصا کما کانت انما صنعوا کید سحر
ای ان الذی صنعوه او ان صنیعهم کید ساحر ای مکره وحیلته ولا یفلح الساحر ای لا یظفر
الساحر ببغیته اذ لا حقیقة للسحر حیث اتی ای حیث کان من الارض وقیل لا یفوز الساحر
حیث اتی بسحره لان الحق مبطله فالقی السحرة سجدا ههنا حذف وهو ما القاه عصاه
فتلقفت ما صنعوا فالقی السحرة سجدا ای سجدوا قالوا امنا برب هرون وموسی اضافوه
سبحانه الیهما لدعائهما الیه وکونهما رسولین له قال فرعون للسحرة امنتم له ای لموسی
والمعنی فصدقتم له قبل ان اذن لکم ای من غیر اذنی لانه بلغ من جهله انه لا یعتقد دین
الا باذنه والفرق بین الاذن والامر ان فی الامر دلالة علی ارادة الفعل المامور به ولیس
فی الاذن ذلك فقوله واذا حللتم فاصطادوا اذن وقوله اقیموا الصلوة امر انه لکبیرکم
الذی علمکم السحر معناه انه لاستاذکم وانتم تلامذته وقد یعجز التلمیذ عما یفعله الاستاذ

وقيل انه لرئيسكم ومتقدمكم وانتم اتباعه وانباعه ما عجزتم عن معارضته ولكنكم تركتم معارضته
احتشاما واحتراما وانما قال ذلك ليوهم العوام انما اتوا به انما هو لتواطؤ من جهتهم
ليصرفوا وجوه الناس اليهم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى ايديكم اليمنى وارجلكم
اليسرى ولاصلبنكم فى جذوع النخل اى على جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا
لكم وابقا وادوم انا على ايمانكم برب موسى على تركم الايمان به قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا
من البينات اى لن نفضلك ولن نختارك على ما اتانا من الادلة الدالة على صدق
موسى وصحة نبوته والمعجزات التى تعجز عنها قوى البشر والذى فطرنا اى وعلى الذى خلقنا
وقيل معناه لن نؤثرك والله الذى فطرنا على ما جاءنا من البينات وما ظهر لنا من الحق
فاقض ما انت قاض اى فاصنع ما انت صانعه على اتمام واحكام وقيل معناه فاحكم انت حاكم
وليس هذا بامر منهم ولكن معناه اى شى صنعت فانا لا نرجع عن الايمان انما تقضى هذه الحيوة
الدنيا اى انما تصنع بسلطانك وتحكم فى هذه الحيوة الدنيا دون الاخرة فلا سلطان لك
فيها ولا حكم وقيل معناه انما يفنى وتذهب هذه الحيوة الدنيا دون الحيوة الاخرة انا امنا بربنا
ليغفر لنا خطايا من الشرك والمعاصى وما اكرهتنا عليه من السحر وانما قالوا ذلك لان الملوك
كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كيلا يخرج السحر من ايديهم وقيل ان السحرة قالوا لفرعون ارنا موسى
اذا نام فاراهم فاذا هو نائم وعصاه تحارسه فقالوا ليس هذا بسحر ان الساحر اذا نام بطل
سحره فابى عليهم الا ان يعملوا فذلك اكراههم عن عبد العزيز بن ابان والله خير وابقى اى الله
خير لنا منك وثوابه ابقى لنا من ثوابك وقيل خير ثوابا للمؤمن وابقى عقابا للعاصى منك
وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى وههنا انتهى الاخبار عن السحرة ثم قال الله
سبحانه انه من يأت ربه مجرما وقيل من قول السحرة قال ابن عباس فى رواية الضحاك المجرم
الكافر وفى رواية عطاء يعنى الذى اجرم وفعل مثل فعل فرعون فان له جهنم لا يموت فيها
فيستريح من العذاب ولا يحيى حيوة فيها راحة بل هو معاقب بانواع العقاب ومن يأته
مؤمنا مصدقا بالله وبانبيائه قد عمل الصالحات اى ادى الفرائض عن ابن عباس فاولئك
لهم الدرجات العلى يعنى درجات الجنة وبعضها اعلى من بعض والعلى جمع العليا وهو تانيث الاعلى

جنات

جنات عدن اى اقامة تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى معناه ان الثواب
الذى تقدم ذكره جزاء من تطهر بالايمان والطاعة عن دنس الكفر والمعصية وقيل تزكى طلب
الزكوة وبارادة الطاعة والعمل بها قوله عز وجل ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى
فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم
من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من
عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات
ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى وانى لغفار
لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثرى
وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامرى فرجع
موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد
ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى عشر آيات القراءة قرأ حمزة لا تخف
جزم والباقون لا تخاف وقرأ اهل الكوفة غير عاصم قد انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم وقرأ
الباقون قد انجيناكم وواعدناكم ورزقناكم بالنون وقرأ ابو جعفر وابو عمرو ويعقوب
وسهل وواعدناكم بغير الف والباقون بالالف وقرأ الكسائى فيحل بضم الحاء ومن يحلل
بضم اللام والاخرون بالكسر فى الموضعين الحجة قال ابو على من رفع قوله لا تخاف فانه حال من
الفاعل فى اضرب اى غير خائف ولا خاش ويجوز ان يقطعه من الاول اى انت لا تخاف
ومن قرأ لا تخف جعله جواب الشرط اى ان لا تضرب لا تخف دركا ممن خلفك ولا تخشى
غرقا بين يديك فاما من قرأ لا تخف دركا ثم قال لا تخشى فيجوز ان يقطعه من الاول
اى ان يضرب لا تخف وانت لا تخشى ولا يحمله على قول الشاعر كان لم ترى قبلى اسيرا
يمانيا ولا على نحو اذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملق لان ذلك انما يجى
فى ضرورة الشعر كان نحو قوله الم يأتيك والانباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد كذلك
ولكنك تقدر انك حذفت الالف المنقلبة عن اللام ثم اشبعت الفتحة لانها فى فاصلة
فاثبتت الالف الناشئة عن اشباع الفتحة ومثل هذا ما ثبت فى الفاصلة قوله فاضلونا

النبيلة وقد جاء اشباع هذه الفتحة في كلامهم قال: وانتم من الغوائل حتى ترمى ومن ذم
الرجال بمنتزاح اى بمنتزح وحجة من قرأ وعدناكم ان ذلك يكون من الله سبحانه قال
ابو الحسن زعموا ان واعدناكم لغة في وعدناكم فاذا كان كذلك فاللفظ لا يدل على ان الفعل
من اثنين فيكون القراءة بوعدنا حسنا لان واعد بمعنى وعد ويعد من وعد فعل واحد
لا محالة وليس واعد كذلك فالاخذ بالاثنين اولى من قرأ انجيناكم وواعدناكم فحجته
قوله وانزلنا عليكم المن وحجة من قرأ يحل بكسر الحاء وانه يرى في زعمهم انه لشارب
حلال ومباح له غير محظور عليه ولا ممنوع عنه فالحل والحلال في المعنى مثل المباح فهو
خلاف الحظر والحجر والحرام والحرم فهذه الالفاظ معناها المنع والمباح من قولهم باح بالسر
والامر يبوح به اذا لم يجعله دونه خطرا فمعنى يحل عليكم ينزل بكم ويباح لكم بعد ما كان
ذا خطر وحجر ومنع عليكم ووجه قراءة من قرأ يحل عليكم غضبي ان الغضب لما كان يتبعه
العقوبة والعذاب جعله بمنزلة العذاب فقال يحل اى ينزل به فجعله بمنزلة قولهم
حل بالمكان يحل وعلى هذا جاء تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم فكما ان هذا
عذاب قد اخبر عنه بانه يحل كذلك اخبر عن الغضب بمثله وجعله بمنزلته يتبعه ويتصل
به اللغة البئس البائس وجمعه ابآس جمع البئس بسكون الباء يبوس قال الكميت
فما زدته الا يبوسا وما ارى لهم رحما والحمد لله يوصل قال ابو زيد حل عليه امر الله يحل حلولا
وحل الدار يحلها حلولا وحل العقدة يحلها حلا وحل له الصوم يحل حلا له واحله
الله احلالا وحل الدار يحلها حلولا وحل عليه حقي يحل محلا واحل الرجل من احرامه
احلالا وحل يحل حلا والاسف اشد الغضب ويكون ايضا بمعنى الحزن الاعراب هم اولاء
مبتدأ وخبره ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال بني اسرائيل
فقال ولقد اوحينا الى موسى بعد ما راى فرعون من الآيات فلم يؤمن هو ولا قومه
ان اسر بعبادي اى سر بهم ليلا من ارض مصر فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اى اجعل
لهم طريقا في البحر الطريق كما يضرب اللبن بالا تخاف دركا ولا تخشى اى لا تخاف ان يدركك
فرعون من خلفك ولا تخشى من البحر غرقا ومن قرأ لا تخف بالجزم فمعناه لا تخف ان يدركك

فرعون

فرعون وانت لا تخشى شيئا من البحر مثل قوله يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ويجوز ان يكون
في موضع جزم على نحو ما ذكرناه في الحجة فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم معناه الحق
جنوده بهم وبعث بجنوده خلفهم وفي اثرهم وفي الكلام حذف فانهم فعلوا ذلك فدخل
موسى وقومه البحر ثم اتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم اى جاءهم من البحر ما جاءهم
ولحقهم منه ما لحقهم وفيه تعظيم من الامر ومعناه غشيهم اى علاهم الذي عرفتموه وسمعتم
به ومثله قول ابي النجم شعر: انا ابو النجم وشعري شعري اى المعروف بهم واضل فرعون
قومه وما هدى اى صرفهم عن الحق والهدى وما هداهم الى ما ازال بضلالهم ولا يهديهم
وحسن حذف المفعول لمكان راس الآية وانما قال سبحانه تكذيبا لقوله فرعون
لقومه وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم خاطب سبحانه بني اسرائيل وعدد نعمه عليهم
فقال يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون بمرأى منكم وواعدناكم جانب
الطور الايمن وهو ان الله تعالى وعد موسى بعد ان اغرق فرعون ليأتي جانب الطور
الايمن فيؤتيه التورية فيها بيان الشرايع والاحكام وما يحتاجون اليه ونزلنا
عليكم المن والسلوى يعني في التيه وقد مر بيان ذلك في سورة البقرة كلوا من
طيبات ما رزقناكم صورته صورة الامر والمراد به الاباحة ولا تطغوا فيه ولا تعتدوا
فيه فتأكلوه على الوجه المحرم عليكم وقيل ان المعنى لا تجاوزوا عن الحلال الى الحرام وقيل معناه
لا تبتغوا ولوا من الحلال للاستعانة على المعصية فيحل عليكم غضبي اى فيجب عليكم عقوبتي ومن ضم
الحاء فالمعنى فينزل عليكم عقوبتي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اى هلك لان من هوى من علو
الى سفل فقد هلك وقيل فقد هوى الى النار عن الزجاج فقد صار الى الهاوية واني
لغفار وهو فعال من المغفرة لمن تاب عن الشرك وآمن بالله ورسوله وعمل صالحا اى ادى
الفرائض ثم اهتدى اى ثم لزم الايمان الى ان يموت واستمر عليه وقيل ثم لم يشك في ايمانه
عن ابن عباس وقيل ثم اخذ بسنة النبي صلى الله عليه وآله ولم يسلك سبيل البدعة عن ابن عباس
ايضا والربيع بن انس وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام ثم اهتدى الى ولايتنا اهل البيت فوالله
لو ان رجلا عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجئ بولايتنا لاكبه الله في النار

على وجهه ورواه الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده واورده العياشي في تفسيره من عدة
طرق وما اعجلك عن قومك يا موسى قال ابن عباس كانت المواعدة ان يوافي الميعاد هو وقومه
وقيل مع جماعة من وجوه قومه وهو متصل بقوله وواعدناكم جانب الطور الايمن فتعجل موسى
من بينهم شوقا الى ربه وخلفهم ليلحقوا به فقيل له ما اعجلك اي باي سبب خلفت قومك و
سبقتهم وجئت وحدك قال موسى في الجواب هم اولاء على اثري من ورائي يدركونني عن قريب
وقيل معناه هم على ديني ومنهاجي عن الحسن وروي عنه ايضا انه قال هم ينتظرون بعدي ما
الذي اتيهم به وليس يريد انهم يتبعونه وعجلت اليك رب لترضى اي سبقتهم اليك حرصا على تعجيل
رضاك لازداد رضى الى رضاك قال الله تعالى فانا قد فتنا قومك اي امتحناهم وشددنا عليهم
التكليف بما حدث فيهم من امر العجل فالزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا انه ليس باله كما قال
سبحانه الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون من بعدك اي من بعد
انطلاقك واضلهم السامري واضاف الفتنة الى نفسه ليبين سبحانه على ان الفتنة غير الاضلال وقيل
ان معنى فتنا قومك عاملناهم معاملة المختبر المبتلي ليظهر لغيرنا المخلص منهم من المنافق فيوالي
المخلص ويعادي المنافق فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا اي رجع موسى من الميقات
الى بني اسرائيل شديد الغضب حزينا عن ابن عباس وقيل جزعا عن مجاهد وقيل متحيرا
على ما فاته لانه خشي ان لا يمكنه تدارك امر قومه عن الجبائي قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا اي صدقا بالاتيان الكتاب هو التورية ليعلموا ما فيه ويعملوا به فيستحقوا الثواب
عن الجبائي وقيل الوعد الحسن هو ما وعدهم به من النجاة من فرعون ومجيئهم الى جانب الطور
ووعده بالمغفرة لمن تاب وقيل هو ما وعدهم الله به من الاخرة على التمسك بدينه في الدنيا
عن الحسن افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل عليكم اي يجب غضب
من ربكم بعبادتكم العجل والمعنى ام اردتم ان تصنعوا صنعا يكون سبب غضب ربكم فاخلفتم
موعدي اي ما وعدتموني من حسن الخلافة بعدي ومن ذلك قوله بئسما خلفتموني من بعدي
وقيل ان اخلافهم موعده انه امرهم اللحاق به فتركوا المسير على اثره للميقات وقيل هو انه امرهم
ان يتمسكوا بطريقة هرون وطاعته ويعملوا بامره الى ان يرجع فخالفوه قوله عز وجل قالوا

ما اخلفنا

ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى
السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون
الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم
به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع
الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال
يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب
قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول
فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي عشر آيات القراءة قرا اهل المدينة وعاصم بملكنا بالفتح
وقرا حمزة والكسائي وخلف بملكنا بضم والباقون بكسر الميم وقرا ابن عامر وحفص ورويس
حملنا بالضم والتشديد والباقون حملنا بفتح الحاء والتخفيف وقرا اهل الكوفة غير عاصم
لم تبصروا بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وابي الحسن وقتادة وابي رجاء
ونصر بن عاصم فقبصت قبصة بالصاد وروي ايضا عن الحسن قبصة بضم القاف الحجة
قال ابو علي في قوله بملكنا هذه لغات والكسر اكثر والفتح لغة فيه والمعنى ما اخلفنا موعدك
بملكنا الصواب لكن لخطائنا فاضيف المصدر الى الفاعل وحذف المفعول واما من
ضم الميم فانه لا يخلو من ان يريد به مصدر الملك او يكون لغة في مصدر المالك فان اريد
الاول فالمعنى لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك لمكان ملكنا ويكون على هذا التقدير
كقوله لا يسالون الناس الحافا اي ليس منهم مسئلة فيكون منهم الحافا ومثل ذلك ومن قرا
بما لم يبصروا به بالياء فالمعنى بما لم يبصر به بنو اسرائيل ومن قرا بالتاء صرف الخطاب
الى الجميع والقبض بالضاد باليد كلها وبالصاد باطراف الاصابع والقبضة بالضم لقدر
المقبوض والقبضة فعلة منه وقد ذكرنا الاختلاف في قوله يا ابن ام والوجه في ذلك
في سورة الاعراف اللغة الوزر اصله الثقل ومنه الوزر الذنب لان صاحبه قد حمل به
ثقلا والموزر الحامل الاوزار الاحمال والاثقال ومنه الاوزار للسلاح لانها تثقل على
لابسها والخوار الصوت المتردد الشديد كصوت البقر ونحوه والعكوف الاقامة

وملازمة البيت ومنه الاعتكاف في المسجد ورقب يرقب رقبة ورقبانا انتظر والمرقب المكان العالي
الذي يقف عليه الرقيب وفلانا داري واعمرته والاسم الرقبى والعمرى وبصر بالشيء يبصر
اذا صار عليما به وابصر يبصر اذا راى الاعراب فكذلك القى السامري الكاف صفة مصدر
محذوف وكذلك القى تقديره القى السامري القاء مثل القائنا جسدا بدل من عجل اى ان لا يرجع
تقديره افلا يرون انه لا يرجع ويجوز ان ينصب يرجع بان فيكون ان الناصبة للفعل
ولا يكون ان المخففة من ان ضلوا جملة في موضع نصب على الحال وقد يضمر ان لا ينبغي
في موضع جر من الحذف وفاء في موضع نصب على الخلاف فيه تقديره ما منعك من اتباعي
ولا زائدة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد المعنى قالوا اي قال الذين لم يعبدوا العجل ما اخلفنا
موعدك بملكنا اي ونحن لا نملك من امرنا شيئا والمعنى انا لم نطق رد عبدة العجل عن عظيم
ما ارتكبوا وجاء في الرواية ان الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر الفا والذين عبدوه
كانوا ستمائة الف رجل ومن قرا بملكنا بضم الميم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا اي لم نقدر
على ردهم ولكنا حملنا اي اوزارا من زينة القوم معناه ولكنا حملنا اثقالا من حلي آل فرعون
وهو ما استعاروه من حليهم حين ارادوا السير وقيل هو القاه البحر على الساحل من ذهبهم
وفضتهم وحليهم بعد اغراقهم فاخذوه وقيل هو من اثقال الذنوب والاثام اي حملنا اثاما
من حلي القوم لانهم استعاروا حليا من القبط ليتزينوا في عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند
الخروج الى مصر مخافة ان يعلموا بخروجهم فحملوها وكان ذلك ذنبا منهم اذ كانوا مستامنين
فيما بينهم وقيل كانوا في حكم الاسرا فيما بينهم فكان يحل لهم اخذ اموالهم فعلى هذا لم يكن حمله على
الاثم فقذفناها اي القيناها في النار ليذوب فكذلك القى السامري ايضا ليوهم انه منهم
عن الجبائي وقيل معناه فمثل ما القيناه نحن من هذا الحلي في النار القى السامري ايضا فاتبعناهم
وقيل ان هذا كلام مبتدا من الله حكى عنهم انهم القوا ثم قال وكذلك القى السامري عن ابي مسلم
فاخرج لهم عجلا جسدا اي اخرج لهم من ذلك عجلا جسما له خوار اي صوت وقد ذكرنا صفة العجل
في سورة الاعراف فقالوا هذا الهكم واله موسى اي قال السامري ومن تبعه من السفلة والعوام
هذا العجل معبودكم ومعبود موسى فنسي فيه قولان احدهما انه من قول السامري ومن تبعه

اى فنسى موسى

اي نسي موسى انه الهه وهو قول ابن عباس وقتاده ومجاهد والسدي والضحاك وقيل معناه
فنسي اي ضل واخطا الطريق وقيل معناه انه تركه هنا وخرج يطلبه والثاني انه قول الله
عز وجل اي فنسي السامري اي ترك ما عليه من الايمان الذي بعث الله به موسى عن ابن عباس
ايضا وقيل معناه فنسي السامري الاستدلال على حدوث العجل وانه لا يجوز ان يكون الها
وقيل معناه فنسي السامري اي نافق وترك الاسلام ثم احتج سبحانه عليهم فقال افلا يرون
انه لا يرجع اليهم قولا اي افلا يرون بنو اسرائيل ان العجل الذي عبدوه واتخذوه الها
لا يرد عليهم جوابا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ومن كان بهذه الصفة فانه لا يصلح للعبادة
قال مقاتل لما مضى من موعد موسى خمسة وثلثون يوما امر السامري بنو اسرائيل ان يجمعوا
ما استعاروه من حلي آل فرعون وصاغه عجلا في السادس والثلاثين والسابع و
الثامن ودعاهم الى عبادته في التاسع فاجابوه وجاءهم موسى بعد استكمال الاربعين
قال سعيد بن جبير كان السامري من اهل كرمان وكان مطاعا في بني اسرائيل وقيل
كان من قرية يعبدون البقر فكان حب ذلك في قلبه وقيل كان من بني اسرائيل فلما جاوز
البحر نافق فلما قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة اغتنمها واخرج لهم العجل ودعاهم اليها
عن قتاده ولقد قال لهم هرون من قبل عود موسى اليهم يا قوم انما فتنتم به يعني ان الله
شدد عليكم التعبد فاعلموا الهكم واعبدوه ولا تعبدوا العجل موعظة ونصحا
ويحتمل ان يكون اراد فتنكم السامري به واضلكم وان ربكم الرحمن فاتبعوني اي اتبعوني
فيما ادعوكم اليه واطيعوا امري في عبادة الله ولا تتبعوا السامري ولا تطيعوا امره في عبادة
العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين معناه لا نزال مقيمين على عبادته حتى يرجع الينا موسى
فننظر نعبده كما عبدناه ام لا فاعتزلهم هرون في اثني عشر الفا فلما رجع موسى عليه السلم
وهو ممتلئ غيظا ورا عبادتهم العجل وسمع الصياح والجلبة اذ كانوا يرقصون حول
العجل ويضربون الدفوف والمزامير واستقبله هرون فالقى الالواح واخذ بعات
هرون قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن اي هلا تتبعني بمن اقام على
ايمانه عن ابن عباس وقيل معناه هلا قاتلتهم اذ علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم وقيل هلا لحقت

في حين رايتهم ضلوا بعبادة العجل قبل استحكام الامر والاصل ان لا مزيدة وتقديره
ما منعك ان تتبعني افعصيت امري فيما امرتك به يريد قوله اخلفني في قومي واصلح
ولا تتبع سبيل المفسدين فلما اقام معهم ولم يبالغ في منعهم نسبه الى العصيان وقيل
ان صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير لان موسى عليه السلام كان يعلم هرون لا يعصيه
في امره سوال متى قيل ان الظاهر يقتضي ان موسى كان امره باللحاق به فعصى هرون امره
قلنا يجوز ان يكون امره بذلك بشرط المصلحة ورأى هرون ان الاقامة اصلح والشاهد
يرى ما لا يرى الغائب ويجوز ان يكون لم يامره بذلك وانما امره بمجاهدتهم وزجرهم
عن القبيح وانما عاتبه ع مع ان اللوم انما توجه على القوم لان من خلفه موسى خصه
بالملامة وهذا انما يتجه اذا ثبت لهرون ذنب فاما وهو نبي الحبيب من جميع الذنوب بري
من العيوب فالقول الاول هو الوجه قال هرون يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
قد فسرنا في سورة الاعراف وقيل كانت العادة الجارية في القبض عليهما في ذلك الا لا معارقة
ايا كم ام اردتم ان يحل عليكم اي يجب غضب من ربكم بعبادتكم العجل والمعنى ام اردتم
ان تصنعوا صنعا يكون سببا لغضب ربكم فاخلفتم موعدي اي ما وعدتموه لي من حسن
الخلافة بعدي وبين ذلك قوله بئسما خلفتموني من بعدي وقيل ان اخلافهم موعده
انه امرهم اللحاق به فتركوا المسير على اثره للميقات وقيل هو انه امرهم ان يتمسكوا
بطريقة هرون وطاعة ويعملون بامره الى ان يرجع فخالفوه قوله عز وجل الى زمان
كان العادة في زماننا هذا القبض على اليد والمعانقة وذلك ما تختلف العادة فيه
بالازمنة والامكنة وقيل ايضا انه اجراه مجرى نفسه اذا غضب في القبض على لحيته لانه
لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه ثم بين ع عذره في مقامه معهم فقال اني خشيت ان تقول
فرقت بين بني اسرائيل يعني اني لو فارقتهم او قاتلتهم لصاروا احزابا وتفرقوا فرقا فريقا
يلحقون بك معي وفريقا يقيمون مع السامري على عبادة العجل وفريقا يتوقفون
شاكين في امره مع اني لم امن ان تركتهم ان يصيروا بالخلاف الى تسافك الدماء وشدة
التصميم والثبات على اتباع السامري فانهم كانوا يمنعون بعض الامتناع بمكاني فيهم وكنت ارجوه

اليهم

اليهم من الانكار مقدار ما يحله الحاله وذلك قوله يا قوم انما فتنتم به فاعتذر ع بما تقبل
مثله لانه وجه واضح من وجوه الراي وقوله ولم ترقب قولي معناه ولم تحفظ وصيتي ولم تعمل
به حين قلت اخلفني في قومي واصلح ولما ظهرت براءة ساحة هرون اقبل على السامري قال له
فما خطبك يا سامري اي ما شانك وما دعاك الى ما صنعت فكانه قال ما هذا الخطب والامر
العظيم الذي احدثت وما حملك عليه قال السامري بصرت بما لم يبصروا به اي رايت ما لم
تروه وقيل معناه علمت ما لم تعلموا من البصيرة فقبضت قبضة من اثر الرسول اي قبضت
قبضة تراب من اثر الرسول قدم جبرئيل عليه السلام فنبذتها في العجل وكذلك اي كما حدثتك
يا موسى سولت لي نفسي اي زينت لي نفسي من اخذ القبضة والقائها في صورة العجل وقيل
معناه حدثتني نفسي فاما حديث العجل وما الذي قبضه السامري وكيفية ذلك واختلافهم
فيه فقد سبق ذكره قوله تعالى قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيٰوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ
فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ
الْقِيٰمَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهَا وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حِمْلًا يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ
الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا
قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا احدى عشرة آية القراءة قرا ابن كثير واهل
البصرة غير سهل لن تخلفه بكسر اللام وقرا الضرير لن نخلفه بالنون وكسر اللام وهو قراءة
الحسن وقرا الباقون لن تخلفه بفتح اللام وقرا ابو جعفر لنحرقنه بفتح النون وسكون الحاء
وتخفيف الراء وهو قراءة علي عليه السلام وابن عباس وقرا ابو عمرو يوم ننفخ في الصور بالنون
والباقون ينفخ بالياء وفتح الفاء وفي الشواذ قرا ابو حيوة لا مساس وقرا مجاهد وقتادة
وسع كل شيء علما وقرا ابو عامر في الصور بفتح الواو الحجة قال ابو علي اخلفت يتعدى
الى مفعولين ولن تخلفه مثل لن نعطاه لما اسندت الفعل الى احد المفعولين فاقيم الفاعل مقام

نفى الفعل متعديا الى مفعول واحد وفاعل الذى هو يخلفه هو الله سبحانه او موسى ومعناه سيأتيك به ولن يتأخر عنك ولن تخلفه اى ستأتيه ولا مذهب لك عنه وقال ابن جنى معناه لن تصادفه مخلفا كقول الاعشى شعر اثوى وقصر ليله ليزودا ومضى واخلف من قتيلة موعدا وهو وعيد والمعنى فى القراءة الاولى ابين واما تخلفه بالنون فالمعنى لن نخلفك اياه اى لن ننقص منه وعيدا ما عقدناه لك وقوله لنحرقنه من قولهم فلان يحرق على الارم اى يحك اسنانه على بعضها ببعض غيظا قال زهير شعر ابى الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فافضى والسيوف معاقله وكان لنحرقنه على هذا لنبردنه ولنحتنه حتى يقال حرق الحديد اى برده فتحات وتساقط وقوله مساس مثل نزال وحذار قال ابن جنى على هذا الضرب من الكلام لا النافية للنكرة فلا اذا فى قوله لا مساس نفى للفعل كقوله لا امسك ولا اقرب منك فكانه حكاية قول القائل لا مساس فكانه قال لا اقول مساس وقال الكميت لا همام لى لا همام اى لا اقول همام ولا بد من ان يكون الحكاية مقدرة الا ترى انه لا يجوز ان يقول لا اضرب فيجتمع فيه لفظ الامر لتنافى اجتماع لفظ الامر والنهى فالحكاية اذا معتقدة مقدرة واما قوله وسع كل شىء علما فمعناه على ما قاله ابن جنى انه خرق كل مضمت بعلمه لانه يفضى كل مخفى فصار العلم فضاء متسعا بعد ما كان متلاقيا مجتمعا فيما ومنه قوله تعالى السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وهذا فى العمل وذلك فى العلم والوجه فى قوله ينفخ فى الصور فنفخنا فيه من روحنا وقوله فى الصور فانه جمع صورة وقد يقال فيها صير واصله صور قال شعر اشبهن من بقر الخلصاء اعينها فهن احسن من صيرانها صيرا وصور ايضا قال ابو عبيدة الصور جمع صورة ويقال الصور القرن ويقال فيه ثقب بعدد نفس البشر فاذا نفخ فيه قام الناس من الارماس اللغة ظلت اصله ظللت وللعرب فيهما مذهبان فتح الظاء وكسرها فمن قال ظلت ترك الظاء على حالها ومن قال ظلت بالكسر فقد حرك اللام اليها للاشعار باصلها ومثلها مست ومست فى مسست وهلحت فى احسست قال خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس لننسفنه يقال نسف فلان الطعام بالمنسف اذا ذراه ليطير عنه قشوره والصفصف الموضع المستوى لا نبات به كانه على صف واحد فى استوائه والقاع الارض الملساء وقيل مستنقع الماء وجمعه اقواع وقيعان وقيعة والامت الاكمة يقال مد حبله حتى ما ترك

فيما

فيما امتا وملا سقاه حتى ترك فيه امتا اى انثناءة قال الشاعر شعر ما فى انجذاب سيره من امت ثم حكى سبحانه عن موسى عليه السلام انه قال للسامرى فاذهب فان لك فى الحيوة ان تقول لا مساس قد اختلف فى معناه فقيل انه امر الناس بامر الله ان لا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يؤاكلوه تضييقا عليه والمعنى لك ان تقول لا امس ولا امس ما دمت حيا قال ابن عباس لك ولولدك والمساس فعال من المماسة ومعنى لا مساس لا يمس بعضنا بعضا فصار السامرى يهيم فى البرية مع الوحش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد عاقبه الله تعالى بذلك وكان اذا لقى احدا يقول لا مساس اى لا تقربنى ولا تمسنى وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك وان مس واحد من غيرهم واحدا منهم حم كلاهما فى الوقت وقيل ان السامرى خاف وهرب فجعل يهيم فى البرية لا يجد احدا من الناس يمسه حتى صار لبعده عن الناس كالقائل لا مساس عن الجبائى وان لك موعدا لن تخلفه اى وعدا لعذابك يعنى يوم القيمة لن تخلف ذلك الوعد ولن يتأخر عنك قال الزجاج المعنى يكافيك الله على ما فعلت يوم القيمة وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا معناه وانظر الى معبودك الذى ظلت على عبادته مقيما يعنى العجل لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه فى اليم نسفا اى لنذرينه فى البحر قال ابن عباس يحرقه ثم ذراه فى البحر وهذا يدل على انه كان حيوانا لحما ودما وعلى القراءة الاخرى لنحرقنه اى لنبردنه بالمبرد يدل على انه كان ذهبا وفضة ولم يصر حيوانا ونبه عليه السلام بذلك على ان ما يمكن سحقه واحراقه لا يصلح للعبادة وقال الصادق عليه السلام ان موسى عليه السلام هم بقتل السامرى فاوحى الله سبحانه اليه لا تقتله يا موسى فانه سخى ثم اقبل موسى على قومه فقال انما السامرى فاوحى الله الهكم الله الذى لا اله الا هو اى الذى يستحق العبادة وسع كل شىء علما اى يعلم كل شىء علما تاما وهى لفظة عجيبة فى الفصاحة وفى ذلك دلالة على ان المعدوم يسمى شيئا لكونه معلوما ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق اى مثل ما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه نقص عليك من اخبار ما قد مضى وتقدم من الامم والامور وقد آتيناك من لدنا ذكرا يعنى القرآن لان فيه ذكر كل ما يحتاج اليه من امور الدين ثم اوعد سبحانه على الاعراض عنه وترك الايمان به فقال من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا اى حملا ثقيلا من الاثم

يشق عليه حمله بما فيه من العقوبة كما يشق حمل الثقيل خالدين فيها اى فى عذاب ذلك الوزر جزاءه
وهو الخلود فى النار وساء لهم يوم القيمة حملا تقديره وساء الحمل حملا يعنى المحمول اى بئس الوزر
لهم يوم القيمة قال الكلبى بئس ما حملوا على انفسهم من المآثم كفرهم بالقران يوم ينفخ فى الصور
هو بدل من يوم القيمة وقد سبق معناه ونحشر المجرمين يومئذ زرقا قال ابن عباس
يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله الها يحشرون زرق العيون سود الوجوه ومعنى
الزرقة الخضرة فى سواد العيون كعين السنور والمعنى فى هذا تشويه الخلق وقيل زرقا
عميا ترى زرقا وهى عمى عن الفراء وقيل عطاشا يظهر فى عيونهم كالزرقة مثل قوله ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا عن الازهرى يتخافتون بينهم اى يتشاورون بينهم فيقول المجرمون
بعضهم لبعض ان لبثتم الا عشرا اى ما لبثتم الا عشر ليال عن ابن عباس وقتاده يعنى من النفخة
الاولى الى الثانية وذلك انه يكف عنهم العذاب فيما بين النفختين وهو اربعين سنه
وقيل ما لبثتم فى الدنيا ينسون من شدة هول ذلك اليوم مدة لبثهم فى الدنيا وقيل
فى القبر يذهب عنهم طول لبثهم فى قبورهم كانهم كانوا نياما ماتوا فسهوا وقيل انهم يقللون
لبثهم فى الدنيا لطول ما هم لابثون فيه من النار عن الحسن ثم قال سبحانه نحن اعلم بما يقولون
اى بما يتشاورون بينهم اذ يقول امثلهم طريقة اى اصلحهم طريقة واوفاهم عقلا واصوبهم
رايا وقيل اكثرهم سدادا عند نفسه ان لبثتم الا يوما اى ما لبثتم الا يوما فى الدنيا وفى القبور
انما قال ذلك لان اليوم الواحد والعشرة اذا قوبلا بيوم القيمة وما لهم من الايام فى النار
كان اليوم الواحد اقرب اليه وهو كقوله لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقيل انهم
قالوا ذلك بعد انقطاع عذاب القبر عنهم لان الله يعذبهم لم يعيدهم عن الجبائى ثم قال
سبحانه لنبيه صلعم ويسالونك اى ويسالك منكروا البعث عند ذكر القيمة عن الجبال
ما حالها فقل يا محمد ينسفها ربى نسفا اى يجعلها ربى بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح
فيذريها كتذرية الطعام من القشور والتراب فلا يبقى على وجه الارض منها شئ وقيل
يصيرها كالهباء وقيل ان رجلا من ثقيف سال النبى صلى الله عليه وآله كيف تكون الجبال
عظمها يوم القيمة فقال ان الله يسوقها بان يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها

فيذرها

فيذرها اى فيدع اماكنها من الارض اذا نسفها قاعا اى ارضا ملساء وقيل منكشفة
عن الجبال صفصفا اى ارضا مستوية ليس للجبل فيها اثر وقيل القاع والصفصف بمعنى واحد
وهو المستوى الذى لا نبات فيه عن ابن عباس ومجاهد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اى ليس فيها
منخفض ولا مرتفع عن عكرمة عن ابن عباس وعن الحسن العوج ما انخفض من الارض والامت
ما ارتفع من الروابى وقيل لا يرى فيها واديا ولا رابية عن مجاهد قوله عز وجل يومئذ يتبعون
الداعى لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما
وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك
وحيه وقل رب زدنى علما ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ثمان آيات
القراءة قرا ابن كثير فلا يخف بالجزم والباقون فلا يخاف بالالف وقرا يعقوب ان نقضى
بالنون وحيه بالنصب والباقون يقضى بضم الياء وحيه بالرفع الحجة من قرا ولا يخف فانه
على النهى ومن قرا فلا يخاف فانه على الخبر وتقديره فهو لا يخاف وموضع الفاء مع ما بعدها
فى الموضعين مجزوم لكونه فى موضع جواب الشرط والمبتداء محذوف مراد بعد الفاء وهو
مؤمن فى موضع نصب على الحال والعامل فى الحال يعمل وذو الحال الذكر الذى فى يعمل الغا
الحسن ومن قرا من قبل ان يقضى اليك وحيه فانه اضاف القضاء الى الله تعالى وجعل الوحى
مفعوله والمعنى فى القراءتين واحد اللغة الهمس اخفاء الكلام والصوت الخفى قال الراجز شعر
وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا يعنى صوت اخفاف الابل فى سيرها والعنو
الخضوع والذل ومنه العانى الاسير واخذت الشئ عنوة اى بغلبة لان الماخوذ منه وقد يكون العنوة
عن تسليم وطاعة لانه على طاعة الذليل للعزيز قال الشاعر شعر هل انت مطيعى ايها القلب عنوة
ولم تلح نفس لم يلم فى احتيالها وقال آخر شعر فما اخذوها عنوة عن موده ولكن بضرب المشرفى استقالها
والهضم النقص يقال هضمنى حقى ولا يهضمنى اى ينقصنى وامراه هضيم الحشا اى ضامرة الكشحين لنقصانه

عن ضد غيره ومنه هضمت المعدة الطعام اى نقصته مع تغييرها والعزم الارادة المتقدمة
فى لتوطين النفس على الفعل الاعراب يومئذ ظرف يتبعون ولا عوج له جملة فى موضع الحال والتقدير
يتبعون الداعى غير معرضين عن جانبه لان معناه لا عوج لهم عن دعائه اى لا يقدرون على ان لا
يتبعوه قرانا منصوب على الحال وعربيا صفته وفى الحقيقة الحال قوله عربيا وانما ذكر قرانا للبيان
وكذلك الكاف فى محل نصب بانه صفة مصدر محذوف والمعنى ثم وصف سبحانه القيامة فقال
يومئذ يتبعون الداعى اى يوم القيمة يتبعون صوت داعى الله الذى ينفخ فى الصور وهو اسرافيل
عليه السلم لا عوج له اى لدعاء الداعى ولا يعدل عن احد بل يحشرهم جميعا عن ابى مسلم وقيل معناه
لا عوج لهم عن دعائه لا يميلون عنه ولا يعدلون عن ندائه اى يتبعونه سراعا ولا يلتفتون
يمينا ولا شمالا عن الجبائى وخشعت الاصوات للرحمن اى خضعت الاصوات بالسكون لعظمة الرحمن
عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا وهو صوت الاقدام عن ابن عباس وابن زيد اى لا تسمع
من صوت اقدامهم الا صوتا خفيا كما تسمع من وطى الابل وقيل الهمس اخفاء الكلام عن مجاهد
وقيل معناه ان الاصوات العالية بالامر والنهى فى الدنيا فيخفض فى ذلك اصحابها فلا تسمع منهم الا الهمس
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا اى لا ينفع ذلك اليوم شفاعة احد
فى غيره الا شفاعة من اذن الله له فى ان يشفع ورضى له قولا فيها من الانبياء والاولياء و
الصديقين والشهداء ثم قال سبحانه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير يرجع الى الذين
يتبعون الداعى اى يعلم سبحانه منهم جميع اقوالهم وافعالهم قبل ان خلقهم وبعد ان خلقهم وما كان
فى حياتهم وبعد مماتهم لا يخفى عليه شئ من امورهم تقدم او تاخر عن ابى مسلم وقيل يعلم ما بين
ايديهم من احوال الاخرة وما خلفهم من احوال الدنيا ولا يحيطون به علما اى ولا يحيطون
هم بالله علما اى بمقدوراته ومعلوماته وقيل بكنه عظمته فى ذاته وافعاله وقيل لا يحيطون
علما بما بين ايديهم وما خلفهم الا من اطلعه الله على ذلك عن الجبائى وقيل معناه ولا يدركونه
بشئ من الحواس حتى علمهم به وعنت الوجوه للحى القيوم اى خضعت وذلت خضوع الاسير
فى يد من قهره والمراد خضع ارباب الوجوه واستسلم الحكم للحى الذى لا يموت وانما اسند
الفعل الى الوجوه لان اثر الذل يظهر عليها وقيل المراد بالوجوه الرؤساء والقادة والملوك

ان يذلون

ان يذلون وينسلخون عن ملكهم وعزهم وقد سبق معنى الحى القيوم فى مواضع وقد خاب
من حمل ظلما اى خاب عن ثواب الله من حمل شركا الى يوم القيمة عن ابن عباس وقيل قد خسر الثواب
من جاء يوم القيمة كافرا ظالما ومن يعمل من الصالحات اى ومن يعمل شيئا من الطاعات
وهو مؤمن عارف بالله تعالى مصدق بما يجب التصديق به وانما قال ذلك لانه لا ينفع الطاعة
من غير ايمان فلا يخاف ظلما ولا هضما اى فهو لا يخاف ان يظلم ويزاد عليه فى سيئاته ولا ان يهضم
ان ينقص من حسناته عن ابن عباس وقيل لا يخاف ان يؤخذ بذنب لم يعمله ولا ان يبطل حسنة
عملها عن الضحاك وقيل لا يخاف ظلما بان لا يجزى بعمله ولا هضما بالانتقاص من حقه عن ابن زيد
ومن قرأ فلا يخف على النهى فمعناه فليأمن ولا يخف الظلم والهضم والنهى عن الخوف امر بالامن وفى
هذه الاية دلالة على بطلان التحابط وكذلك اى كما اخبرناك باخبار القيمة انزلناه اى
انزلنا هذا الكتاب قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد اى كررنا فيه من الوعيد وذكرناه على وجوه
مختلفة وبيناه بالفاظ متفرقة لعلهم يتقون المعاصى وقيل العرب من ان ينزل بهم مثل ما
نزل باولئك او يحدث لهم ذكرا معناه او يجدد القران لهم عظة واعتبارا اى تذكره
انه عقاب الله للامم فيعتبروا وقيل يحدث لهم شرفا بايمانهم به وانما اضاف احداث الذكر
الى القران لانه يقع عنده كما قال واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فتعالى الله الملك الحق
اى ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين فلا يشبهه احد فى صفاته لانه اقدر من كل قادر
واعلم من كل عالم وقادر سواه يحتاج اليه وهو غنى عنه وكل قادر وعالم قادر على كل شئ
وعاجز عن كل عالم بشئ جاهل بشئ وما هو عالم به يجوز ان ينساه ويسهو عنه فهو معرض
الزوال والله سبحانه لم يزل عالما قادرا ولا يزال كذلك والملك الذى يملك الدنيا والاخرة
والحق الذى يحق له الملك وكل ملك سواه يملك بعض الاشياء ويبيد ملكه ويفنى ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه فيه وجوه احدها ان معناه لا تعجل بتلاوته قبل ان يفرغ
جبرئيل من ابلاغه فانه ع كان يقول معه ويعجل بتلاوته مخافة نسيانه اى تفهم ما يوحى
اليك الى ان يفرغ الملك من قراءته ولا تقرأه معه ثم اقرأ بعد فراغه منه وهكذا كقوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به عن ابن عباس والحسن والجبائى وثانيها ان معناه لا تقرأه لاصحابك

ولا تمله عليهم حتى تبين لك معانيه عن مجاهد وقتاده وعطية وابي مسلم وثالثها ان معناه
ولا تسال انزال القرآن قبل ان ياتيك وحيه لانه تعالى انما ينزله بحسب المصلحة وقت الحاجة وقل رب
زدني علما اى استزد من الله سبحانه علما الى علمك روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله انه
قال اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله تعالى فلا بارك الله لي في طلوع شمسه وقيل معناه
زدني علما بقصص انبيائك ومنازل اوليائك وقيل زدني قرآنا لانه كلما ازداد من نزول
القرآن عليه ازداد علما عن الكلبي ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما معناه
امرناه ووصينا اليه الا يقرب الشجرة ولا ياكل منها فترك الامر عن ابن عباس ولم نجد له عزما اى عقدا
ثابتا وقيل معناه فنسي من النسيان الذي هو السهو ولم نجد له عزما على الذنب لانه اخطا
ولم يتعمد عن ابن زيد وجماعة وقيل ولم نجد له حفظا لما امر به عن عطية وقيل صبرا عن قتاده
وروي عن ابن عباس انه قال انما اخذ الانسان من انه عهد اليه فنسي ومن حمله على النسيان فما
الذي نسيه فيه اقوال احدها انه نسي الوعيد بالخروج من الجنة اذا اكل والثاني انه نسي قول الله
سبحانه ان هذا عدو لك ولزوجك الثالث انه نسي الاستدلال على ان النهي عن الجنس فقد نهي
عن الجنس فنسي وظن ان النهي عن العين النظم وجه اتصال قوله وكذلك انزلناه قرآنا عربيا
بما قبله انه لما ذكر يتصل كذلك نقص عليك وقيل انه يتصل بما قبله من قصة موسى اى كما
انزلنا التورية على موسى انزلنا عليك القرآن ووجه اتصال قوله ولقد عهدنا الى آدم
الآية بما قبله انه لما ذكر تصريف الآيات والقرآن وان بها يتذكر امره سبحانه بالتذكير
وان لا يكون مثل آدم في نسيان العهد وقيل انه اتصل بقوله ولا تعجل بالقرآن اى خوف
النسيان للتعظيم ولكن توكل على الله واسأله التوفيق بحفظه فان اباك آدم نسي ما عهد
اليه وقيل انه عطف على قوله كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق فقص عليه قصة
آدم عليه السلام عن ابي مسلم قوله عز وجل وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
أَبَى فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ
أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ
قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا

وطفقا

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ
فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى
فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا عشر آيات القراءة
قرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بالكسر والباقون وأنك بالفتح وفي الشواذ قراءة ابن تغلب ونحشره
بالجزم الحجة من قرأ بالفتح فتقديره ان لك ان لا تجوع فيها وان لك انك لا تظمأ ولا يجوز
ان يقول ان انك منطلق لكراهة اجتماع حرفين متقاربين في المعنى فاذا فصل بينهما جاز ومن كسر
فقال وانك لا تظمأ قطع الكلام الاول واستانف ومن قرأ ونحشره فانه عطفه على موضع
قوله فان له معيشة ضنكا وموضعه جزم لكونه جواب الشرط اللغة ضحي الرجل يضحى ضحى اذا برز
للشمس قال عمر بن ابي ربيعة رأت رجلا ايما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيخصر
يعني اما والضنك الضيق والصعب يقال منزل ضنك وعيش ضنك لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث
لان اصله المصدر قال شعر واذا هم نزلوا الضنك فانزل المعنى ثم بين سبحانه تفصيل ما اجمله
من قصة آدم ع فقال واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قد مر تفسيره
ابى اى امتنع من ان يسجد فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك حواء فلا يخرجنكما
من الجنة اى لا تطيعاه والمعنى لا يكونن سببا لخروجكما من الجنة بغروره ووساوسه
فتشقى اى فتقع في تعب العمل وكذا الاكتساب للنفقة على زوجتك ونفسك وكذلك قال فتشقى
ولم يقل فتشقيا وقيل لان امرهما في السبب واحد فاستوى حكمهما لاستوائهما في السبب والعلة
وقيل ليستقيم رؤس الآي قال سعيد بن جبير اهبط على آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويرشح
العرق عن جبينه فذلك هو الشقاوة ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى اى في الجنة لسعة
الجنة وثيابها وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى اى لا تعطش ولا يصيبك حر الشمس عن ابن عباس
وسعيد بن جبير وقتاده قالوا ليس في الجنة شمس انما فيها ضياء ونور وظل ممدود ويسأل
ههنا فيقال كيف جمع بين الجوع والعرى وبين الظماء والضحى والجوع من جنس الظماء والعرى
من جنس الضحى واجيب عن ذلك بجوابين احدهما ان الظماء اكثر ما يكون من شدة الحر والحر يكون

من الضحى وهو الانكشاف للشمس فجمع بينهما لاجتماعهما في المعنى وكذلك الجوع والعرى متشابهان من حيث ان الجوع عرى في الباطن من الغذاء والعرى للجسم في الظاهر والثاني ان العرب تلفا الكلام بين بعضهما بعضا تكالا على علم المخاطب وانه يرد كل واحد منهما الى ما يشاكله قال امرؤ القيس شعر كاني لم اركب جوادا للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال ولم اسباء الزق الروى ولم اقل لخيل كرى كرة بعد اجفال وكان حقه ان يقول كما قال عبد يغوث شعر كاني لم اركب جوادا ولم اقل لخيلي كرى نعسى عن رجاليا ولم اسباء الزق الروى ولم اقل لايسار صدق اظهروا ضوء ناريا وقد تؤول قول امرى القيس على الجواب الاول فوسوس اليه الشيطان قد تقدم بيانه فقال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى اى على شجرة من اكل منها لم يمت وملك لا يبلى جديدة ولا يفنى هذا كقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاية فاكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة هذا مفسر في سورة الاعراف وعصى آدم ربه فغوى معناه خالف آدم ما امره ربه فخاب من ثوابه والمعصية مخالفة الامر سواء كان الامر واجبا او ندبا قال الشاعر شعر امرتك امرا جازما فعصيتني ولا تمتنع ان يسمى تارك الفعل عاصيا كما سمى بذلك الواجب يقولون فلان امرته بكذا وكذا من الخيرة فعصاني وخالفني وان لم يكن ذلك واجبا ولا شبهة ان لفظة غوى يحتمل الخيبة قال الشاعر شعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لايما ويجوز ان يكون معناه فخاب من كان يطمع فيه باكل الشجرة من الخلود ثم اجتباه ربه اى اصطفاه الله تعالى واختاره للرسالة فتاب عليه وهدى اى قبل توبته وهداه الى ذكره وقيل هداه للكلمات التى تلقاها منه قال اهبطا منها جميعا يعنى آدم وحوا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم منى هدى قد فسرناه جميعا في سورة البقرة فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى اى فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة قال ابن عباس رضى الله سبحانه لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم قرأ هذه الاية ومن اعرض عن ذكرى اى ومن اعرض عن القرآن وعن الدلايل التى انزلها الله تعالى لعباده وصرف عنها ولم ينظر فيها فان له معيشة ضنكا اى عيشا ضيقا عن مجاهد وقتادة والجبائي هو ان يقتر الله عليه الرزق عقوبة له على اعراضه فان وسع عليه فانه يضيق عليه المعيشة

بان يمسكه

بان يمسكه ولا ينفعه على نفسه وان كان انفقه فان الحرص على الجمع وزيادة الطلب تضييق للمعيشة عليه وقيل هو عذاب القبر عن ابن مسعود وابى سعيد الخدرى والسدى ورواه ابو هريرة مرفوعا وقيل معناه ان يكون عيشه منغصا بان ينفق انفاق من لا يوقن بالخلف عن ابن عباس وقيل هو الحرام في الدنيا الذى يودى الى النار عن عكرمة والضحاك وقيل عيشا ضيقا في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدرها وانما العيش الرغد في الجنة عن ابى مسلم ونحشره يوم القيمة اعمى اى اعمى البصر عن ابن عباس وقيل اعمى عن الحجة عن مجاهد يعنى انه لا حجة له يهتدى اليها والاول هو الوجه لانه الظاهر ولا مانع منه ويدل عليه قوله قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال الفراء يقال انه يخرج من قبره بصيرا فيعمى في حشره وقد روى معوية بن عمار قال سالت ابا عبد الله عليه السلم عن رجل لم يحج وله مال قال هو ممن قال الله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى فقلت سبحان الله اعمى قال اعماه الله عن طريق الحق فهذا يطابق قول من قال ان المعنى في الاية انه اعمى عن جهات الخير لا يهتدى لشيء منها قوله تعالى قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ خمس آيات القراءة قرأ الكسائى وابو بكر ترضى بضم التاء والباقون بفتحها الحجة حجة من فتح التاء قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وحجة من ضم التاء انه جاء في صفة بعض الانبياء كان عند ربه مرضيا وكان معنى ترضى لفعلك ما امرت به من الافعال التى يرضاها الله او ترضى بها تعطاه من الدرجة الرفيعة وترضى مما يعطيك الله من الدرجة العالية والرتبة المرضية شعر اناء الليل ساعاته واحدها انى قال السعدى حلو ومر كعصف الريح مرته بكل انى حذاه الليل ينتعل شعر افلم يهد لهم فاعل يهد مضمر يفسره كم اهلكنا والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا من قبلهم من القرون وموضع كم نصب باهلكنا شعر قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها

هذا جواب من الله سبحانه لمن يقول لهم حشرتني اعمى ومعناه كما حشرناك اعمى جائتك محمد والقرآن
والدلائل فاعرضت عنها وتعرضت لنسيانها فان النسيان ليس من فعل الانسان فيتوعد
عليه كذلك اليوم تنسى اى تصير بمنزلة من ترك فى النسى بعد ان لا يغنى وقيل معناه
حشرتك اعمى لتكون فضيحة كنت اعمى القلب فتركت اياتى فلم تنظر فيها وكما تركت اوامرنا
فجعلتها كالشى المنسى تترك اليوم فى العذاب كالشى المنسى وكذلك نجزى من اسرف
ولم يؤمن بايات ربه اى وكما ذكرنا نجزى من اشرك وجاوز الحد فى العصيان ولم يؤمن
بايات ربه اى لم يصدق بحجج ربه وكتبه ورسله ولعذاب الاخرة اشد من عذاب الدنيا
وعذاب القبر وابقى اى ادوم لانه لا يزول وعذاب الدنيا وعذاب القبر يزول افلم يهد
لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يعنى كفار مكة والمعنى اذ لم يتبين لهم طريق الاعتبار
كثرة اهلاكنا القرون قبلهم تكذيبهم رسلنا فيعتبروا ويؤمنوا وقوله يمشون فى مساكنهم
يريد اهل مكة كانوا يتجرون الى الشام فيمرون بمساكن عاد وثمود ويرون علامات
الاهلاك وفى هذا تنبيه لهم وتخويف اى افلا يخافون ان يقع بهم مثل ما وقع باولئك
ان فى ذلك اى فى اهلاكنا اياهم لايات اى لعبرا ودلالات لاولى النهى اى لذوى العقول
الذين يتدبرون فى احوالهم ولولا كلمة سبقت من ربك فى تاخير العذاب لكان لزاما اى لازما
لهم واقعا فى الحال واللزام مصدر وصف به واجل مسمى قال قتادة الاجل المسمى قيام الساعة
وقال غيره هو الاجل الذى يكتبه الله للانسان انه يبقيه اليه وقيل ان عذاب اللزام
كان يوم بدر قتل الله فيه رؤس الكفار ولولا ما قدر الله تعالى من اجالهم الباقية
ووعدهم من عذاب الاخرة لكان القتل الذى نالهم يوم بدر لازما لهم ابدا فى ساير الازمان
ثم امر سبحانه نبيه بالصبر على اذاهم بان قال فاصبر على ما يقولون من تكذيبك واذاهم
اياك وسبح بحمد ربك اى صل لربك بالحمد له والثناء عليه وقيل معناه سبحه واحمده فى هذه
الاوقات قبل طلوع الشمس يعنى صلوة الفجر وقبل غروبها يعنى صلوة العصر ومن اناء الليل
اى ساعاته قال ابن عباس هى صلوة الليل كله وقيل يريد اول الليل المغرب والعشاء فسبح
واطراف النهار يعنى الظهر وسمى وقت صلوة الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو

طرفا النصف

طرف النصف الاول وطرف النصف الثانى وهذا قول قتادة والجبائى ومن حمل التسبيح على الظاهر قال
اراد من ذلك المداومة على التسبيح والتحميد فى عموم الاوقات لعلك ترضى بالشفاعة والدرجة
الرفيعة وبجميع ما وعدك الله به من النصر واعزاز الدين فى الدنيا والشفاعة والجنة
فى الاخرة قوله عز وجل وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ وَلَوْ أَنَّا
أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ
وَنَخْزَىٰ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ آيات
القراءة قرا يعقوب وسهل زهرة بفتح الهاء والباقون بكسرها وقرا اهل المدينة والبصرة وقتيبة
وحفص اولم تاتهم بالتاء والباقون بالياء زهرة الدنيا حسنها ويجوز فتح العين فيها
والزهرة النور الذى يروق عند الرؤية ومنه يقال لكل شى مستنير زاهر ومن الحديث فى صفة
النبى صلى الله عليه وآله كان ازهر اللون اى نير اللون والزهراوان البقرة وآل عمران ويوم الجمعة
يوم ازهر قال الزجاج زهرة منصوب بمعنى متعنا لان معناه جعلنا لهم الحيوة وزهرة
لنفتنهم فيه اى لنجعل ذلك فتنة اى لنجعلهم ويجوز ان يكون حالا من الهاء فى به ويجوز
ان يكون من ما متعنا به ولو انا اهلكناهم تقديره ولو ثبت اهلاكنا لهم لان لو تقتضى
الفعل فيكون انا اهلكناهم فى موضع رفع بانه فاعل الفعل المقدر ومن اصحاب الصراط
معلق بقوله فستعلمون وهو مبتدا وخبر وكذلك من اهتدى قال ابو رافع نزل برسول الله
صلى الله عليه وآله فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق
واسلفنى الى هلال رجب فاتيته فقلت له فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرته فقال والله لو باعنى واسلفنى لقضيته وانى لامين
فى السماء وامين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الاية تسلية له عن
الدنيا ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقد فسرناه فى سورة الحجر
وقال ابى بن كعب فى هذه الاية من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا

يضره ما فى ايدى الناس بطل حزنه ولا يشتفى غيظه ومن لم يرلله عليه نعمة الا فى مطعم او مشرب
نقص عمله ودنا عذابه وروى اصحابنا عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال لما نزلت هذه الاية
استوى رسول الله جالسا ثم قال هذه الكلمات التى تقدمت زهرة الحيوة الدنيا اى بهجتها
ونظايرها وما يروق الناظر عند الرؤية وقال ابن عباس وقتاده زينة الحيوة الدنيا
لنفتنهم فيه اى لنعاملهم معاملة المختبر بشدة التعبد فى العمل بالحق فى هذه الامور واداء الحقوق
عنه وقيل لنفتنهم فيه اى لنشدد عليهم التعبد بان نكلفهم متابعتك والطاعة
لك مع كثرة اموالهم وقلة مالك وقيل معناه لنعذبهم به فان الله قد يوسع الرزق
على بعض اهل الدنيا تغليظا لحاله ولذلك قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله
جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء ورزق ربك الذى وعدك به فى الاخرة
خير مما متعنا به هولاء فى الدنيا وابقى اى ادوم وامر اهلك بالصلوة معنا وامر يا محمد
اهل بيتك واهل دينك بالصلوة وروى ابو سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الاية
كان رسول الله يأتى باب فاطمه وعلى عليهما السلام تسعة اشهر عند كل صلوة فيقول الصلوة
رحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ورواه
ابن عقدة باسناده من طرق كثيرة عن اهل البيت وغيرهم مثل ابى برزة وابى رافع وقال
ابو جعفر عليه السلام امره الله تعالى ان يخص اهله دون الناس ليعلم الناس ان لاهله عند الله
منزلة ليست للناس فامرهم مع الناس عامة ثم امرهم خاصة واصطبر عليها اى واصطبر
على فعلها وعلى امرهم بها لا نسالك رزقا لخلقنا ولا لنفسك بل كلفناك العبادة
واداء الرسالة وضمنا رزق الجميع نحن نرزقك الخطاب للنبى والمراد به جميع الخلق
اى نرزق جميعهم ولا نسترزقهم وننفعهم ولا ننتفع بهم فيكون ابلغ فى الامتنان
عليهم والعاقبة للتقوى اى العاقبة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس يريد للذين
صدقوك يعنى واتبعوك واتقوك وفى الاثار ان عروة ابن الزبير كان اذا راى ما عند
السلاطين دخل بيته وقرا ولا تمدن عينيك الايات ثم ينادى الصلوة الصلوة
رحمكم الله وقالوا الكفار لولا ياتينا محمد باية من ربه اقترحناها عليه كما اتى به الانبياء



نحو الناقة

نحو الناقة ولم تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى اى ولم ياتهم القرآن بيان ما فى الكتب الاولى
من انباء الامم التى اهلكناهم لما اقترحوا الايات ثم كفروا بها فماذا يؤمنهم ان يكون
حالهم فى سوال الاية كحال اولئك ولو انا اهلكناهم يعنى كفار قريش بعذاب من قبله
اى من قبل بعث محمد صلى الله عليه واله ونزول القرآن لقالوا يوم القيمة ربنا لولا
ارسلت الينا اى هلا ارسلت الينا رسولا يدعونا الى طاعتك ويرشدنا الى دينك
فنتبع اياتك اى نعمل بما فيها من قبل ان نذل بالعذاب ونخزى فى جهنم وقيل من قبل
ان نذل فى الدنيا بالقتل والاسير ونخزى فى الاخرة بالعذاب فقطعنا عذرهم بارسال الرسول
فلم يبق لهم متعلق ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه واله قل يا محمد كل متربص اى كل واحد منا
ومنكم منتظر فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم وانتم تتربصون بنا الدواير فتربصوا انتم اى انتظروا
وهذا على وجه التهديد فستعلمون اى فسوف تعلمون فيما بعد من اصحاب الصراط السوى
اى اهل الدين المستقيم ومن اهتدى الى طريق الحق انحن ام انتم وفى قوله سبحانه ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله الاية دلالة على وجوب اللطف لانه سبحانه بين انه انما بعث الرسل اليهم لطفا
لهم وانه لو لم يبعثه لكان لهم الحجة عليه فكان فى البعثة قطع العذر وازاحة العلة
وبالله التوفيق والعصمة سورة الانبيا مكيه كلها وهى مائة واثنتى عشرة آية
كوفى واحدى عشر اية فى الباقين اختلافها آية واحدة ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم
كوفى ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه واله قال من قرا سورة الانبياء حاسبه الله حسابا
يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن وقال ابو عبد الله عليه السلام من قرا سورة الانبياء
حبا لها كان ممن رافق النبيين اجمعين فى جنات النعيم وكان مهيبا فى اعين الناس حيوة
الدنيا تفسيرها ختم الله سبحانه سورة طه بذكر الوعيد وافتتح هذه السورة بذكر القيمة
فقال بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ
مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ اِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَاَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ اَفَتَاْتُونَ السِّحْرَ وَاَنْتُمْ تُبْصِرُونَ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ
وَالْاَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بَلْ قَالُوا اَضْغَاثُ اَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَاْتِنَا بِاٰيَةٍ

كما ارسل الاولون خمس آيات القراءة قرا حمزة والكسائي وحفص قال ربي والباقون قل ربي
اللغة من قرا قال فانه اضاف القول الى الرسول صلعم والخبر عنه ومن قرا قل فانه على الخطاب
الاعراب من ذكر في موضع رفع ومن ربهم من ربهم صفة لذكر فيجوز ان يكون في موضع جر على لفظه
ويجوز ان يكون في موضع رفع على محل الجار والمجرور استمعوه في محل النصب على الحال باضمار
قد وتقديره ما ياتيهم ذكر رباني الا مستمعا وهم يلعبون حال من الواو في استمعوه لاهية قلوبهم
حال من الواو في يلعبون وان شئت كان حالا بعد حال وقوله واسروا النجوى الذين ظلموا موضع
الذين ظلموا يجوز ان يكون رفعا على وجوه احدها ان يكون على البدل من الواو في اسروا
والثاني ان يكون مرفوعا على الذم فيكون خبر مبتدا محذوف اي هم الذين ظلموا والثالث
ان يكون فاعل اسروا على لغة من يقول اكلوني البراغيث فيكون الواو من اسروا حرفا لعلامة
الجمع كالتاء في قالت ولا يكون اسما ويجوز ان يكون في موضع نصب على الذم باضمار اعني
اقترب للناس حسابهم اقترب افتعل من القرب والمعنى اقترب للناس وقت حسابهم
يعني القيمة كما قال اقتربت الساعة اي دنا وقت محاسبة الله اياهم ومسالتهم عن نعمه هل
قابلوها بالشكر وعن اوامره هل امتثلوها وعن نواهيه هل اجتنبوها وانما وصف ذلك
بالقرب لانه ات وكل ما هو ات قريب ولان احد اشراط الساعة مبعث رسول الله صلى الله
عليه واله فقال بعثت انا والساعة كهاتين وايضا فان الزمان يقرب بكثرة ما مضى وقلة ما بقي
فيكون يسيرا بالاضافة الى ما مضى وهم في غفلة من دنوها وكونها معرضون عن التفكر فيها
والتاهب لها وقيل عن الايمان بها وتضمنت الاية الحث على الاستعداد ليوم القيمة ما ياتيهم
من ذكر من ربهم يعني القرآن محدث اي محدث التنزيل مبتدا التلاوة كنزول سورة بعد سورة
واية بعد اية الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم اي لم يستمعوه استماع نظر وتدبر
وقبول وتفكر وانما استمعوه استماع لعب استهزاء قال ابن عباس معناه يستمعون القرآن
مستهزئين غافلة قلوبهم عما يراد بهم واسروا النجوى اي تناجوا فيما بينهم يعني المشركين
ثم بين منهم فقال الذين ظلموا اي اشركوا بالله ثم بين سبحانه سرهم الذي تناجوا به فقال
هل هذا الا بشر مثلكم اي انه ادمي مثلكم ليس مثل الملائكة افتاتون السحر وانتم تبصرون اي افتقبلون

السحر

السحر وانتم تعلمون انه سحر نفروا الناس عنه بشيئين احدهما انه بشر والاخر انه
ما اتى به سحر وقيل ان اسروا معناه اظهروا وهذا القول فان هذا اللفظ مشترك
بين الاخفاء والاظهار والاول اصح ثم امر سبحانه نبيه فقال قل يا محمد ربي الذي خلقني
واصطفاني يعلم القول في السماء والارض اي يعلم اسرار المتناجين لا يخفى عليه شيء من ذلك
وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم وضمائرهم بل قالوا اضغاث احلام بل للاضراب
عما حكى الله سبحانه انهم قالوا اولا وللاخبار عما قالوا ثانيا اي قالوا ان القرآن تخاليط
احلام رآها في المنام عن قتادة بل افتراه اي ثم قالوا لا بل افتراه اي تخرصه وافتعله
بل هو شاعر وهذا قول المتحير الذي بهره ما سمع فمرة يقول سحر ومرة يقول شعر ومرة يقول
حلم ولا يجزم على امر واحد وهذه مناقضة ظاهرة فليأتنا باية كما ارسل الاولون معناه
فليأتنا باية ظاهرة يستدركها الخاص والعام كما اتى بها الاولون من الانبياء قال ابن عباس
باية مثل الناقة والعصا وقال الزجاج اقترحوا الايات التي لا يكون معها امهال فقال سبحانه في قوله
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث دلالة ظاهرة على ان القرآن محدث لانه تعالى اراد بالذكر
القرآن بدلالة قوله وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقد وصفه بانه محدث ويوضحه قوله الا استمعوه قوله تعالى مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ثُمَّ
صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ خمس آيات القراءة قرا نوحي بالنون حفص عن عاصم
والباقون يوحى وقد تقدم ذكره في سورة يوسف الاعراب اهلكناها في موضع الجر لانه صفة
قرية جسدا واحدا يعني الجمع اي وما جعلناهم اجسادا بمعنى ذوي اجساد ولذلك قال لا ياكلون
وتقديره غير اكلين الطعام ومن نشاء في موضع نصب على العطف على هم من قوله
فانجيناهم لما تقدمت الحكاية عن الكفار بانهم اقترحوا الايات قال سبحانه مجيبا لهم ما امنت
قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون اي لم يؤمنوا قبل هؤلاء الكفار من اهل قرية جاءتهم

الايات التي طلبوها فاهلكناهم مصرين على الكفر انهم يؤمنون عند مجيئها هذا اخبار
عن حالهم وان سبيلهم سبيل من تقدم من الامم طلبوا الايات فلم يؤمنوا واهلكوا فهؤلاء
ايضا لو اتاهم ما اقترحوه لم يؤمنوا ولاستحقوا عذاب الاستيصال وقد حكم سبحانه في هذه
الامة ان لا يعذبهم عذاب الاستيصال فلذلك لم يجبهم في ذلك وقيل ما حكم الله سبحانه
بهلاك قرية الا وفي المعلوم انهم لا يؤمنون فلذلك لم يات هؤلاء بالايات المقترحة وما
ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا هذا جواب لقولهم ما هذا الا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل قبلك
يا محمد الا رجالا من بني آدم نوحي اليهم لا ملائكة فان الشكل الى الشكل اميل وبه انس وعنه افهم
ومن الانفة منه ابعد فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون اختلفوا في المعني باهل الذكر
على اقوال فروى عن علي عليه السلم انه قال نحن اهل الذكر وروي ذلك عن ابي جعفر ويعضده
ان الله تعالى سمى النبي صلى الله عليه وآله ذكرا في قوله ذكرا رسولا وقيل اهل الذكر اهل التورية
والانجيل عن الحسن وقتاده وقيل هم اهل العلم باخبار من مضى من الامم وقيل هم
اهل القرآن والذكر القرآن وهم العلماء بالقرآن عن ابن زيد وما جعلناهم جسدا
لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين اي باقين لا يموتون هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ومعناه وما جعلنا الانبياء قبلك اجسادا لا ياكلون
الطعام ولا يموتون حتى يكون اكلك الطعام وشربك وموتك علة في ترك الايمان
بك فانا لم نخرجهم عن حد البشرية بالوحي قال الكلبي الجسد المجسد فيه الروح وياكل ويشرب فعلى
هذا يكون ما لا ياكل ولا يشرب نفسا ثم صدقناهم الوعد اي صدقناهم الوعد بان العاقبة الحميدة
يكون لهم ومعناه انجزنا ما وعدناهم به من النصر والنجاة والظهور على الاعداء وما وعدناهم
به من الثواب فانجيناهم ومن نشاء اي فانجيناهم من اعدائهم وانجينا معهم من نشاء
من المؤمنين بهم واهلكنا المسرفين على انفسهم بتكذيبهم الانبياء قال قتاده المسرفون هم
المشركون وهذا تخويف لكفار مكة ثم ذكر نعمته عليهم بانزال القرآن فقال ولقد انزلنا اليكم
يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم اي فيه شرفكم ان تمسكتم به كقوله وانه لذكر لك ولقومك قال هو
خطاب للعرب لانه انزل القرآن بلغتهم وقيل هو خطاب لجميع المؤمنين لان فيه شرف المؤمنين

كلهم

كلهم وقيل ان معناه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم ودنياكم عن الحسن وقيل فيه ذكر مكارم الاخلاق
ومحاسن الافعال لتتمسكوا بها افلا تعقلون ما فضلتم به على غيركم وقيل معناه افلا تتدبرونه
فتعلمون ان الامر على ما قلناه قوله تعالى وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا
قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ
فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ
حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا
أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ عشر آيات اللغة القصم الكسر
يقال قصمه يقصمه وهو قاصم الجبابرة والانشاء الايجاد ونظيره الاختراع والابداع والركض
العدو بشدة الوطي وركض دابته ضربها برجله حتى تعدو وارتكاض الصبي اضطرابه
في الرحم والترفه النعمة والمترف المنعم والزاهق من الاضداد يقال للهالك زاهق وللسمين
من الدواب زاهق وزهقت نفسه تزهق زهوقا اي تلفت والدمغ شج الراس حتى يبلغ
الدماغ يقال دمغه يدمغه اي اصاب دماغه ومنه في صفة النبي صلى الله عليه وآله الدامغ
جيشات الاباطيل والاستحسار الانقطاع من الاعياء ويقال بعير حسير اي معيي واصله
من قولهم حسر عن ذراعيه فالمعنى انه كشف قوته بالاعياء وجاء الحسير قال علقمة بن عبدة
شعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اللغة كم في موضع نصب بانه
مفعول قصمنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز ويجوز ان يكون صفة لكم والتقدير
كثيرا من القرى قصمنا اذا ظرف مكان العامل فيه يركضون وتلك في موضع رفع اسم زالت
ودعواهم في موضع نصب خبر زالت وجائز ان يكون دعواهم اسما وتلك خبرا ان كنا
فاعلين يجوز ان يكون للشرط اي انا كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله اتخذناه من لدنا
ومن عنده مبتدا ولا يستكبرون من خبره ويجوز ان يكون ومن عنده معطوفا على من
في السموات فيكون لا يستكبرون موضع الحال فالمعنى غير مستكبرين وكذا لا يستحسرون ويسبحون

ولا يفترون كلها احوال على هذا التفسير ثم بين سبحانه ما فعله بالمكذبين فقال وكم قصمنا اى
اهلكنا من قرية عن مجاهد والسدى وقيل عذبنا عن الكلبي كانت ظالمة اى كافرة يعني اهلها
وانشانا اوجدنا بعدها اى بعد هلاك اهلها قوما آخرين فلما احسوا اى فلما ادركوا
بحواسهم باسنا اى عذابنا اذا هم منها يركضون معناه اذا هم من القرية اى من العقوبة
يهربون سراعا هرب المنهزم من عدوه اى لا تركضوا اى يقال لهم تقريعا وتوبيخا لا تهربوا
وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم اى وارجعوا الى ما نعمتم فيه والى مساكنكم التى كفرتم
وظلمتم فيها وقيل انهم لما اخذتهم السيوف انهزموا مسرعين فقالت لهم الملائكة بحيث
سمعوا النداء لا تركضوا وارجعوا الى ما خولتم ونعمتم فيه وارجعوا الى مساكنكم وقال ابن قتيبة
معناه الى نعمكم التى اترفتكم ومساكنكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم والمعنى ان الملائكة
استهزءت بهم فقالت لهم ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فانكم
اهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاء بهم ايضا اى لا سبيل الى هذا فقد بروا الامر قبل حلوله
وقيل لكيلا تسألوا عن اعمالكم وعن تنعمكم في الدنيا بغير الحق وعما استحققتم به العذاب
عن الجبائى وابى مسلم قالوا على سبيل التندم لما راوا العذاب يا ويلنا انا كنا ظالمين لانفسنا حيث
كذبنا رسل ربنا والمعنى انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب والويل الوقوع فى الهلكة
فما زالت تلك دعواهم اى لم يزالوا يقولون يا ويلنا وتلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا اى
محصودا مقطوعا خامدين ساكنى الحركات ميتين كما تخمد النار اذا اطفيت والمعنى استاصلناهم
بالعذاب فاهلكناهم عن الحسن وقيل بالسيف وهو قتل بخت نصر لهم عن مجاهد وقيل نزلت
فى قرية باليمن فقتلوا نبيا لهم يقال له حنظلة فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم
وتكافيهم حتى خرجوا من ديارهم منهزمين فبعث الله ملائكة حتى ردوهم الى مساكنهم
فقتل صغارهم وكبارهم حتى لم يبق لهم اسم ولا رسم وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين بل خلقناهما لغرض صحيح وهو ان يكون دلالة ونعمة وتعريضا للثواب لو اردنا
ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا اللهو المراة عن الحسن ومجاهد وقيل هو الولد عن ابن عباس
وقيل معناه اللهو الذى هو داعى الهوى ونازع الشهوة والمعنى لو اتخذنا نساء واحدا او ولدا

لاتخذناه من اهل السماء ولم نتخذه من اهل الارض يريد لو كان ذلك جائزا عليه لم يتخذه
بحيث يظهر لهم ويستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه وقد احسن ابن قتيبة فى شرح اللهو هنا فقال
التفسيران فى الارض للهو متقاربان لان امراة الرجل لهوه وولده لهوه ولذلك يقال
امراة الرجل وولده ريحانتاه واصل اللهو الجماع كنى عنه باللهو كما كنى عنه بالسر فقيل
للمراة لهو لانها تجامع قال امرؤ القيس شعر الا زعمت بسباسة اليوم اننى كبرت والا
يحسن اللهو امثالى وتاويل الاية ان النصارى لما قالت فى المسيح وامه ما قالت قال الله
عز وجل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذنا صاحبة وولدا كما تقولون لاتخذنا ذلك من عندنا
ولم نتخذه من عندكم لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره
ان كنا فاعلين اى ما كنا فاعلين عن قتادة ومجاهد وابن جريج وقيل معناه
ان كنا فاعلين ذلك لاتخذناه من عندنا بحيث لا يصل علمه اليكم عن الجبائى بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه اى يعلوه ويبطله وقيل يهلكه فاذا هو زاهق اى هالك
مضمحل عن قتادة وتاويله ان الله سبحانه يظهر الحق بادلته ويبطل الباطل فكيف
يفعل الباطل واللعب ولكم الويل مما تصفون اى الهلاك لكم يا معشر الكفار مما يصفون
الله تعالى به من اتخاذ الصاحبة والولد وله من فى السموات والارض ملكا وملكا
وخلقا وهذا رد ايضا على من اثبت له الولد والشريك اى فكيف يجوز اتخاذ الشريك
والولد ومن عنده يعنى الملائكة الذين لهم عند الله تعالى المنزلة كما يقال عند الامير
كذا وكذا من الجند وان كانوا متفرقين فى الاماكن ولا يراد بذلك قرب المسافة لا يستكبرون
عن عبادته اى لا يانفون ولا يمتنعون عن ذلك عبادته واراد نفى البنوة عنهم لان الولد
لا يستعبد ابنه ولا يستحسرون اى لا يعيون عن قتادة والسدى وقيل لا يملكون عن ابن زيد
وقيل لا ينقطعون ماخوذ من البعير الحسير المنقطع بالاعياء يسبحون اى ينزهون الله تعالى
عن جميع ما لا يليق بصفاته على الدوام الليل والنهار اى فى الليل والنهار لا يفترون
لا يضعفون عنه قال كعب جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس فى السهولة النظم اتصل قوله
وله من فى السموات والارض بما تقدم من ذكر هلاك الكفار فبين سبحانه انه لم يهلكهم

الا بالاستحقاق لانه سبحانه خلقهم للعبادة فلما كفروا جازاهم بكفرهم ولولا ذلك لكان خلق
السماء والارض وما بينهما لاعبين لان خلقهما انما هو لاجل المكلفين وخلق المكلف انما هو
لتعريض الثواب وجه اتصال قوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا بما قبله
ان هولاء الذين وصفتموهم بانهم بنات الله هم عبيد لله على اتم وجوه العبودية
وذلك تخييل معنى الولادة لان الولادة لا تكون الا مع المجانسة قوله عز وجل أَمِ اتَّخَذُوا
آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ
رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
فَهُمْ مُعْرِضُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ
مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي
الظَّالِمِينَ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ عشر آيات القراءة قراء اهل الكوفة غير ابي بكر الا نوحي
بالنون والباقون بوحي وقرا ابن كثير الم ير بغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة
والباقون اولم يروا بالواو وفي الشواذ قراءة الحسن وابن محيصن الحق بالرفع فهم
معرضون وقراءة الحسن ايضا وعيسى الثقفي رتقا بفتح التاء وجه النون انه اشبه
بما تقدم من قوله وما ارسلنا والياء في المعنى كالنون والوجه في قراءة الحسن الحق
بالرفع الاستيناف فان الوقف في هذه القراءة على قوله لا يعلمون والتقدير هذا الحق
وهو الحق فيحذف المبتداء ويوقف على الحق ثم يستانف فيقال فهم معرضون لان اكثرهم
لا يعلمون والوجه في قوله رتقا بفتح التاء انه قد كثر مجي المصدر على فعل واسم المفعول
منه على فعل مفتوح العين وذلك كالمنقوض والنقض والطرد والرتق على هذا يكون الشي
المرتوق كما ان النقض المنقوض والهدم المهدوم وقراء الجماعة رتقا بسكون التاء

كانه ما صنع

كانه مما وضع من المصادر موضع اسم المفعول كالصيد بمعنى المصيد والخلق بمعنى المخلوقات
اللغة ام اتخذوا من ام هي هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام في مثل
قولك زيد عندك ام عمرو وقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الا هذه الصفة
الالهة وتقديره غير الله ما يفعل ما هذه الاجود ان تكون مصدرية ويحتمل ان تكون اسما
الاعراب ثم عاد سبحانه الى توبيخ المشركين فقال ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون هذا
استفهام معناه الجحد اي لم يتخذوا الهة من الارض هم ينشرون اي يحيون الاموات عن مجاهد
يقال انشر الله الموتى فنشروا اي احياهم فحيوا وهو من النشر بعد الطي لان المحيا كانه كان
مطويا بالقبض عن الادراك فانشر بالحيوة والمعنى في ذلك ان هولاء واذا كانوا لا يقدرون
على الاحياء الذي من قدر عليه قدر على ان ينعم بالنعم التي يستحق بها العبادة فكيف يستحقون
العبادة قال الزجاج ومن قرأ ينشرون بفتح الياء فمعناه ولا يموتون ابدا ويبقون احياء
اي لا يكون ذلك واقول قد يجوز ان يكون ينشرون وينشرون بمعنى يقال نشر الله الميتة
بمعنى انشره ثم ذكر سبحانه الدلالة على توحيده وانه لا يجوز ان يكون معه اله سواه فقال
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ومعناه لو كان في السموات والارض الهة سوى الله
لفسدتا وما استقامتا وفسد من فيهما ولم ينتظم امرهم وهذا هو دليل التمانع الذي
بنى عليه المتكلمون مسئلة التوحيد وتفسير ذلك انه لو كان مع الله سبحانه اله اخر لكانا قديمين
والقدم من اخص الصفات فالاشتراك فيه يوجب التماثل فيجب ان يكونا قادرين عالمين
حيين ومن حق كل قادرين ان يصح كون احدهما مريدا لضد ما يريده الاخر من اماتة واحياء
او تحريك وتسكين او افقار واغناء ونحو ذلك فاذا فرضنا ذلك فلا يخلو اما ان يحصل مرادها
وذلك محال واما ان لا يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين واما ان يقع مراد احدهما ولا يقع
مراد الاخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادرا فاذا لا يجوز ان يكون
الاله الا واحدا ولو قيل انهما لا يتمانعان لان ما يريده احدهما يكون حكمة فيريده الاخر
بعينه والجواب انه كلامنا في صحة التمانع لا في وقوع التمانع يكفي في الدلالة لانه يدل على انه
لا بد من ان يكون احدهما متناهي المقدور فلا يجوز ان يكون الها ثم نزه سبحانه نفسه عن

ان يكون معه اله فقال فسبحان الله رب العرش عما يصفون وانما خص العرش لانه اعظم المخلوقات ومن قدر على اعظم المخلوقات كان قادرا على ما دونه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون معناه ان جميع افعاله حكمة وصواب ولا يقال للفاعل الحكيم لم فعلت الصواب وهم يسئلون لانهم يفعلون الحق والباطل وقيل معناه انه لا يسال عن ادعاء الربوبية وهم مسئولون اذا ادعوها ويدل على التاويل النظم والسياق وقيل معناه لا يحاسب على افعاله وهم يحاسبون على افعالهم وقيل معناه لا يساله الملائكة والمسيح عن فعله وهو يسالهم ويجازيهم فلو كانوا الهة لم يسالوا عن افعالهم ام اتخذوا من دونه الهة وهذا استفهام انكار وتوبيخ ايضا قل هاتوا برهانكم اى قل لهم يا محمد هاتوا حجتكم على صحة ما فعلتموه لانهم لا يقدرون على ذلك ابدا وفي هذا دلالة على فساد التقليد لانه طالبهم بالحجة على صحة قولهم والبرهان هو الدليل المؤدى الى العلم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى اى قل لهم يا محمد هذا القرآن ذكر من معى بما يلزمهم من الاحكام وذكر من قبلى من الامم ممن نجا بالايمان او هلك بالكفر عن قتاده وقيل هذا ذكر من معى بالحق في اخلاص الالهية والتوحيد في القرآن وعلى هذا ذكر من قبلى في التوريه والانجيل عن الجبائى وقال لان القرآن ذكر اتاه اتاه الله ومن معه والتوريه والانجيل ذكر تلك الامم وقال ابو عبد الله عليه السلم يعنى بذكر من معى من معه وما هو كاين وبذكر من قبلى ما قد كان وقيل ان معناه في القرآن خبر من معى على دينى ممن يتبعنى الى يوم القيمة من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر ما انزل الله في الكتب قبل فانظروا هل في واحد من الكتب ان الله امر باتخاذ اله سواه فليحمل فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الامر به وقال الزجاج قل لهم هاتوا برهانكم بان رسولا من الرسل انبا امته بان لهم الها غير الله فهل في ذكر من معى وذكر من قبلى الا توحيد الله ويدل على صحة هذا قوله فيما بعد وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون فلما توجهت الحجة عليهم ذمهم سبحانه على جهلهم بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون عن التامل والفكر وانما خص الاكثر منهم لان فيهم من آمن وما ارسلنا من قبلك يا محمد من رسول اى رسولا ومن مزيدة الا يوحى اليه او نوحى اليه اى يوحى الله اليه انه لا اله الا انا

على الحقيقه

على الحقيقه الا انا فاعبدون اى فوجهوا العبادة الى دون غيرى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعنى من الملائكة سبحانه نزه نفسه عن ذلك لان اتخاذ الولد لا يخلو ان يكون على سبيل التولد او على سبيل التبنى وكلاهما لا يجوز عليه الاول يقتضى ان يكون من قبيل الاجسام والثانى هو التبنى يكون بان يقيم غيره مقام ولده واذا كان حقيقه الولد مستحيلا منه فالمشبه كذلك وليس ذلك كالخلة لانه من الاختصاص وحقيقته جائزة عليه بل عباد مكرمون اى ليسوا اولاد الله كما تزعمون بل هم عباد مكرمون اكرمهم الله واصطفاهم لا يسبقونه بالقول اى لا يتكلمون الا بما يامرهم به ربهم فكل اقوالهم طاعة لربهم وناهيك بذلك جلالة قدرهم وهم بامره يعملون ومن كان بهذه الصفة لا يوصف بانه ولده يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما قدموا من اعمالهم وما اخروا منها يعنى ما عملوا وما هم عاملون ولا يشفعون الا لمن ارتضى الله دينه وقال مجاهد الا لمن رضى الله عنه وقيل انهم اهل شهادة ان لا اله الا الله عن ابن عباس وقيل هم المؤمنون المستحقون للثواب وحقيقته انهم لا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع فيه فيكون في معنى المصدر قوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وهم من خشيته اى من خشيتهم فاضيف الى المفعول مشفقون خائفون وجلون من التقصير في عبادته ومن يقل منهم انى اله من دونه اى من يقل من هولاء الملائكة انى اله تحق لى العبادة من دونه فذلك اى فذلك القائل نجزيه جهنم يعنى ان حالهم مثل حال سائر العبيد في استحقاق الوعيد وقيل انه عنى به ابليس لانه الذى دعا الناس الى عبادته عن ابن جريج وقتادة وقيل ان هذا لا يصح لان الله سبحانه علق الوعيد بالشرط ولان ابليس ليس من الملائكة عند الاكثرين كذلك نجزى الظالمين يعنى المشركين الذين يصفون الله سبحانه بما لا يليق به وفي هذه الاية دلالة على الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات على ما قاله بعضهم وانهم مكلفون اولم ير الذين كفروا استفهام يراد به التقريع والمعنى اولم يعلموا انه سبحانه الذى يفعل هذه الاشياء ولا يقدر عليها غيره فهو الاله المستحق للعبادة دون غيره ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

تقدیره کانتا ذواتی رتق فجعلناهما ذواتی فتق والمعنی کانتا ملتزقتین منسدتین ففصلنا
بینهما بالهواء عن ابن عباس و الحسن و الضحاک وعطاء وقتاده وقیل کانت السموات
مرتفقه مطبقه ففتقناها سبع سموات وکانت الارض کذلک ففتقناها سبع
ارضین عن مجاهد والسدی وقیل کانت السماء رتقا لا تمطر وکانت الارض رتقا
لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر والارض بالنبات عن عکرمه وعطیه وابن زید و هو
المروی عن ابی جعفر وابی عبدالله علیهما السلام وجعلنا من الماء کل شیء حی ای واحیینا بالماء
الذی ننزله من السماء کل شیء حی وقیل وخلقنا من النطفة کل مخلوق حی عن ابی العالیه
والاول اصح روی العیاشی باسناده عن الحسن بن علوان قال سئل ابوعبدالله ع
عن طعم الماء فقال سل تفقها ولا تسئل تعنتا طعم الماء وطعم الحیوة قال سبحانه وجعلنا
من الماء کل شیء حی وقیل معناه وجعلنا من الماء حیوة کل ذی روح و نماء کل نام فیدخل فیه
الحیوان والنبات والاشجار عن ابی مسلم افلا یؤمنون ای افلا یصدقون بالقران وبما
یشاهدون من الدلیل والبرهان ـ وجه اتصال الایة الاولی بما قبلها انه سبحانه
قال فاسئلوا اهل الذکر هل ارسلنا قبلک الا رجالا وهل اتخذوا الهة من الارض یحیی
والمدد والخشب فان کله من الارض عن ابی مسلم وقیل انه یتصل بقوله لا یسئل عما یفعل بما قبله
انه لما بین التوحید عطف علیه ببیان العدل وقیل انه یتصل بقوله اقترب للناس حسابهم
والحساب هو السؤال عما انعم علیهم به وهل قابلوا نعمه بالشکر ام قابلوها بالکفر عن ابی مسلم
ووجه اتصال قوله هذا ذکر معی وذکر من قبلی بما قبله ان ما قدمنا ذکره من التوحید
والعدل مذکور فی القران وفی الکتب السالفه قوله تعالی وَجَعَلْنَا فِی الْأَرْضِ رَوَاسِیَ أَنْ
تَمِیدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِیهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا
وَهُمْ عَنْ آیَاتِهَا مُعْرِضُونَ وَهُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ
یَسْبَحُونَ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِکَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ کُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ وَنَبْلُوکُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَیْرِ فِتْنَةً وَإِلَیْنَا تُرْجَعُونَ خمس آیات اللغة الرواسی الجبال
رست ترسو رسوا اذا ثبتت بثقلها فهی راسیة کما ترسو السفینه اذا وقفت متمکنه

فی وقوفها

فی وقوفها والمید الاضطراب بالذهاب فی الجهات والفج الطریق الواسع بین الجبلین والفلک
اصله کل شیء دایر ومنه فلکة المغزل ویقال فلک ثدی المراة تفلیکا اذا استدار والسباحة
العوم والسبح والجری بمعنی ـ ان تمید بکم فی موضع نصب بانه مفعول له وتقدیره کراهة
ای تمید بکم او حذار ان تمید ومن قال ان لا ههنا مضمرة والتقدیر لان لا تمید وفلاحه
لقوله سبلا بدلا من فجاج لان الفج هو السبیل کل فی فلک یسبحون جملة اسمیة فی موضع الحال
وفی تعلق یسبحون افان مت فهم الخالدون شرط وجزاء دخلت الفاء فی الشرط وفی الجزاء
وقوله فتنة مفعول له والمعنی للفتنه ویجوز ان یکون مصدرا فی موضع الحال ای نبلوکم
فاتنین ویجوز ان یکون منصوبا علی المصدر لان الابتلاء بمعنی الفتنه المعنی ثم بین سبحانه
کمال قدرته وشمول نعمته بان قال وجعلنا فی الارض رواسی ای جبالا ثوابت تمنع الارض
من الحرکة والاضطراب ان تمید بهم ای تتحرک وتمیل وتضطرب بهم وقیل لئلا تسفل بهم عن قتاده
وجعلنا فیها ای فی الرواسی فجاجا ای طرقا واسعة بینها لولا ذلک لما امکن ان یهتدوا الی
مقاصدهم فی الاسفار ثم بین الفجاج فقال سبلا لعلهم یهتدون بها الی طریق بلادهم
ومواطنهم وقیل لیهتدوا بالاعتبار بها الی دینهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا ای رفعنا
السماء فوق الخلق کالسقف محفوظا من الشیاطین بالشهب التی ترمی بها کما قال وحفظناها من کل
شیطان رجیم عن الجبائی وقیل محفوظا من ان یسقط الی الارض کما قال ان الله یمسک السموات
والارض ان تزولا وقیل محفوظا من ان یطمع احد فی ان یتعرض لها بنقض وان یلحقها بلی او هرم
علی طول الدهر عن الحسن وهم عن ایاتها ای عن الاستدلال بما فیها من دلائل الحدث و الحاجه
الی المحدث معرضون اعرضوا عن التفکر فیها وهو الذی خلق اللیل والنهار والشمس والقمر
کل فی فلک یسبحون ای یجرون وقیل یدورون واراد الشمس والقمر والنجوم لان قوله اللیل
یدل علی النجوم وقال ابن عباس یسبحون بالخیر والشر والشدة والرخاء وقیل معناه انه سبحانه
جعل لکل واحد منها فلکا یدور فیه بسرعه کالسباحة وانما قال یسبحون لانه اضاف الیها
فعل العقلاء کما قال والشمس والقمر رایتهم لی ساجدین وقال النابغه الجعدی شعر تمززتها
والدیک یدعو صباحه اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا ثم قال سبحانه وما جعلنا لبشر من قبلک

يا محمد الخلد اى دوام البقاء فى الدنيا افاين مت انت على ما يتوقعونه وينتظرونه افهم الخالدون
اى افهم يخلدون بعدك يعنى مشركى مكه حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فقال لين مت
فانهم ايضا يموتون فاى فايدة لهم فى تمنى موتك كل نفس ذائقة الموت اى لا بد لكل نفس حية
بحيوة ان يدخل عليها الموت ويخرج عن كونها حية ونبلوكم بالشر والخير اى نعاملكم معامله
المختبر بالفقر والغنى وبالضراء والسراء وبالشدة والرخاء عن ابن عباس وقيل بما تكرهون
وما تحبون ليظهر صبركم على ما تكرهون وشكركم فيما تحبون عن ابن زيد او روى عن
ابى عبد الله عليه السلم ان امير المؤمنين عليه السلم مرض فعاده اخوانه فقالوا كيف نجدك يا امير
المؤمنين قال بشر قالوا ما هذا كلام مثلك قال ان الله تعالى يقول ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فالخير الصحة والغنى والشر المرض والفقر وقال بعض الزهاد الشر غلبة الهوى على النفس والخير
العصمة عن المعاصى فتنة اى ابتلاء واختبارا وشدة تعبد والينا ترجعون اى الى حكمنا
تردون للجزاء بالاعمال حسنها وسيها يتصل بقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد بما ذكر
سبحانه من خلق الاشياء فانه بين انه لم يخلقها للخلود وانما خلقها للتوصل بها الى نعيم الاخرة
فلا بد لكل انسان من الموت والرجوع الى الجزاء عن القاضى قوله تعالى وَإِذَا رَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ
مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ لَوْ يَعْلَمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ بَلْ تَأْتِيهِمْ
بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ خمس آيات القرآة الهزء الظهار
خلاف الايمان الابطان لايهام النقص عن فهم القصد يقال هزا وبه يهزا هزوا فهو هازى
ومثله السخرية ويقول العرب ذكرت فلانا اى عبته قال عنتره ٥ لا تذكرى مهرى وما اطعمته
فيكون جلدك مثل جلد الاجرب العجلة تقديم الشى قبل وقته وهو مذموم والسرعة
تقديم الشى فى اقرب اوقاته وهو محمود والاستعجال طلب الشى قبل وقته الذى حقه ان يكون
فيه دون غيره ○ واذا راك يا محمد اذا اتخذوا وهو معنى قوله ان يتخذونك الاهزوا
لان معناه اتخذوك هزوا وهو قوله اهذا الذى يذكر تقديره قايلين اهذا الذى يذكر الهتكم

خذف

خذف قايلين وهو فى موضع الحال كما حذف ذلك من قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء
ما نعبدهم اى قايلين ما نعبدهم والياء فى قوله بذكر الرحمن يتعلق بقوله كافرون وقوله حين
لا يكفون يجوز ان يكون مفعولا به ليعلم ويجوز ان يكون ظرفا له فيكون مفعول يعلم محذوفا فالتقدير
لو يعلمون الامر حين لا يكفون وجواب لو محذوف وتقديره لما استعجلوا بغتة نصب على الحال من
المفعول تقديره بل تاتيهم مبغوتين مفاجئين ويجوز ان يكون حالا من الفاعل وهو الضمير المستكن
فى تاتى والتقدير بل تاتيهم باغتة مفاجئة المعنى ثم خاطب الله سبحانه نبيه صلعم فقال واذا راك
اى اذا راك يا محمد الذين كفروا وانت تعيب الهتهم وتدعوهم الى التوحيد ان يتخذونك الا ما
يتخذونك الا هزوا اى سخرية يقول بعضهم لبعض اهذا الذى يذكر الهتكم اى يعيب الهتكم وذاك
قوله انها جماد لا تنفع ولا تضر وهم بذكر الرحمن اى بتوحيده وقيل بكتابه المنزل هم كافرون
اى جاحدون فعجب الله سبحانه نبيه منهم حيث جحدوا الحى المنعم القادر العالم الخالق الرازق
واتخذوا ما لا ينفع ولا يضر ثم انكروا من دعاهم الى تركها اتخذوه هزوا وهم احق بالهزو
عند من تدبر حالهم خلق الانسان من عجل قيل فيه قولان احدهما ان المعنى بالانسان آدم ع م
ثم انه قيل فى عجل ثلاث تاويلات منها انه ع م بعد خلق كل شى اخرها ر يوم الجمعة وهو
اخر الايام الستة على سرعة معاجلا به غروب الشمس عن مجاهد ومنها ان معناه فى سرعة
من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما انشاء
انشاء فكانه سبحانه نبه بذلك على الاية العجيبة فى خلقه ومنها ان آدم لما خلق وجعلت الروح
فى اكثر جسده وثب عجلان مبادرا الى ثمار الجنة وقيل هم بالوثوب فهذا معنى قوله من عجل عن
ابن عباس والسدى وروى ذلك عن ابى عبد الله عليه السلم والقول الثانى ان المعنى بالانسان
الناس كلهم ثم اختلف فى معناه على وجوه احدها ان معناه خلق الانسان عجولا اى خلق على حب العجلة
فى امره عن قتاده وابى مسلم والجبائى قال معنى انه يستعجل فى كل شى يشتهيه فالعرب عادتهم فى استعمال
هذا اللفظ عند المبالغة يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلق الا من نوم وبكثرة
وقوع الشر منه ما خلق الا من شر وهو قول الخنساء فى وصف البقرة ○ فانما هى اقبال وادبار
وثانيها انه من المقلوب والمعنى خلقت العجلة من الانسان عن ابى عبيده وقطرب وهذا ضعيف

لانه مع حمل كلامه تعالى على القلب يحتاج الى تاويل فلا فائدة فى القلب وثالثها ان العجل هو الطين عن
ابى عبيدة وجماعة واستشهد بقول الشاعر شعر والنبع يثبت بين الصخر صاحبة والنخل
ينبت بين الماء والعجل ورواية تغلب ~ والنبع فى الصخرة الصماء منبته فعلى هذا يكون
كقوله وبدأ خلق الانسان من طين ورابعها ان معناه خلق الانسان من تعجيل من الامر
لانه تعالى قال انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون عن ابى الحسن الاخفش ساريكم
اياتى الدالة على وحدانيتى وعلى صدق محمد فيما يوعدكم به من العذاب فلا تستعجلون حلول
العذاب بكم فانه يدرككم عن قريب قال ابن عباس فى رواية عطاء يريد النضر بن الحرث
وهو الذى قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية ويريد بقوله ساريكم اياتى القتل
يوم بدر ويقولون يعنى يقول المشركون للمسلمين متى هذا الوعد اى تعدونا يريدون
وعد القيامة ان كنتم صادقين اى يقولون ان كنتم صادقين فى هذا الوعد فمتى يكون
ذلك ثم قال الله سبحانه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار اى لو علموا
الوقت الذى لا يدفعون فيه عذاب النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم يعنى ان النار تحيط بهم
من جميع جوانبهم ولا هم ينصرون وجواب لو محذوف وتقديره لعلموا صدق ما وعدوا
به لما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد ثم قال بل تاتيهم الساعة بغتة اى فجاءة فتبهتهم
اى فتحيرهم فلا يستطيعون ردها اى فلا يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون اى لا يوخرون
الى وقت اخر ولا يمهلون لتوبة او معذرة قوله عز وجل وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ
فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ
أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ
الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ خمس آيات القراءة قرأ ابن عامر ولا تسمع بضم التاء الصم بالنصب
والباقون ولا يسمع بفتح الياء الصم بالرفع اللغة الوجه فى قراءة ابن عامر انه وجه الخطاب
الى النبى صلى الله عليه وآله فكانه قال ولا تسمع انت يا محمد الصم كما قال وما انت بمسمع من فى القبور

بان الله تعالى لما خاطبهم فلم يلتفتوا الى ما دعاهم اليه صاروا بمنزلة الميت الذى لا يسمع
ولا يعقل ووجه قراءة الباقين انه جعل الفعل لهم ويقويه قوله اذا ما ينذرون
الكلام الحظ قال ابن هرمة ان سليمى والله يكلؤها ضنت بشئ ما كان يرزؤها والفرق
بين السخرية معنى طلب الذلة لان التسخير التذليل فاما الهزء فيقتضى طلب صغر القدر
بما يظهر فى القول ام لهم آلهة ام هذه هى المنقطعة وتقديره بل الهم آلهة
ولا يستطيعون ردها جملة مستانفة لانها لا تستقيم ان تكون صفة لآلهة ولا حالا
منها لان الله وصفها بقوله تمنعهم من دوننا على زعمهم ولا يستطيعون ضد هذه
الصفة المعنى لما تقدم ذكر استهزاء الكفار بالنبى والمؤمنين سلى الله سبحانه
نبيه صلى الله عليه وآله بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك كما استهزئ هولاء بك
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اى حل بهم وبال استهزائهم وسخريتهم
وقوله منهم يعنى من الرسل قل يا محمد لهولاء الكفار من يكلؤكم بالليل والنهار من
الرحمن اى يحفظكم من باس الرحمن وعذابه وقيل من عوارض الآفات وهو استفهام
معناه النفى تقديره لا حافظ لكم من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى بل هم عن كتاب
ربهم معرضون لا يؤمنون به ولا يتفكرون فيه وقيل معناه انهم لا يلتفتون الى شئ من
المواعظ والحجج ثم قال على وجه التوبيخ لهم والتقريع ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا تقديره
ام لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا وعقوباتنا وتم الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف
فقال لا يستطيعون نصر انفسهم فكيف ينصرونهم وقيل معناه ان الكفار لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا يقدرون على دفع ما ينزل بهم من نفوسهم ولا هم منا يصحبون اى ولا
الكفار يجارون من عذابنا عن ابن عباس قال ابن قتيبة اى لا يجيرهم احد لان المجير
صاحب الجار يقول العرب صحبك الله اى حفظك الله واجارك وقيل يصحبون اى
ينصرون ويحفظون عن مجاهد وقيل لا يصحبون من الله بخير عن قتادة بل متعنا
هولاء واباءهم فى الدنيا بنعمها فلم يعاجلهم بالعقوبة حتى طال عليهم العمر اى طالت
اعمارهم فغرهم طول العمر واسباب الدنيا حتى اتوا ما اتوا افلا يرون انا نأتى الارض

يصحبون

ننقصها من اطرافها اي الم يرهولاء الكفار ان الارض يأتيها امرنا فننقصها بتخريبها وبموت
اهلها وقيل بموت العلماء وروى ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم قال ننقصها بذهاب علمائها
وقيل معناه ننقصها من اطرافها بظهور النبي صلعم على من قاتله ارضا فارضا وقوما فقوما
فيأخذ قراهم وارضهم عن الحسن وقتاده ومعناه انا ننقصها من جانب المشركين ونزيدها
من جانب المسلمين افهم الغالبون اي فهولاء الغالبون ام نحن ومعناه ليسوا بغالبين
ولكنهم المغلوبون ورسول الله الغالب قد تقدم تفسير هذه الاية في سورة الرعد قل انما
انذركم بالوحي اي قل يا محمد انذركم من عذاب الله واخوفكم بما اوحى الله الي ولا يسمع الصم الدعاء
شبههم بالصم الذين لا يسمعون النداء اذا نودوا لانهم لم ينتفعوا بالسمع والمعنى انهم يستثقلون
القرآن وسماعه وذكر الحق فهم في ذلك بمنزلة الاصم الذي لا يسمع اذا ما ينذرون اي يخوفون
النظم انما اتصل قوله ام لهم الهة بقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وتقديره افهم الخالدون
ام لهم الهة تمنع نفوسهم من الموت وما ينزل الله بهم عن ابي مسلم وقيل اتصل بقوله من يكلؤكم
اي ام لهم الهة تكلؤهم وتمنعهم ووجه اتصال قوله قل انما انذركم بالوحي بما قبله انه اتصل
بقوله قل من يكلؤكم وتقديره لو تفكروا لعلموا انه لا عاصم من الله وان فيما انذركم به من القرآن
اعظم الايات والحجج وقيل انه اتصل بما تقدم من العظة بحال من مضى من الامم والمعنى ان ذلك
وجميع ما يعظهم به من الوحي قوله تعا وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ
أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ خمس آيات القراءة قرأ ابو جعفر ونافع مثقال حبة بالرفع وفي لقمان
مثله والباقون بالنصب وقرأ آتينا بها بالمد ابن عباس وجعفر بن محمد ومجاهد وسعيد بن جبير
والعلاء بن سيابه والباقون اتينا بالقصر وجه النصب انه كان الظلامة مثقال حبة وهذا
احسن لتقدم قوله فلا تظلم نفس شيئا فاذا ذكر يظلم فكانه ذكر الظلامة كقولهم من كذب كان
شرا له ووجه الرفع انه اسند الفعل الى المثقال كما اسند في قوله وان كان ذو عسرة الى ذي عسرة

وكذلك قوله شعر اذا كان يوم ذو كواكب اشهبا ومن قرأ آتينا فهو فاعلنا فهو من آتى يؤاتي
مواتاة عن ابن جني وروي عن الصادق عليه السلم انه قرأ ومعناه جازينا بها وعلى فيجوز ان يكون
من فعلنا ويكون مفعول اتينا محذوفا تقديره اتينا بها للجزاء اللغة النفحة الوقعة
اليسيرة يقع بهم ويقال نفح ينفح نفحا ونفح الطيب ينفح نفحا وله نفحة طيبة ونفحة الدابة
اذا رمحت بحافرها ونفحته بالسيف اذا تناوله من بعيد واما حديث شريح
انه ابطل النفح من نفح الدابة فالمعنى انه كان لا يلزم صاحبها شيئا والقسط العدل
وانما مصدر يوصف به والتقدير ونضع الموازين ذوات القسط شيئا انتصب على انه
مفعول ثان ليظلم ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر اي لا تظلم نفس ظلما ومن رفع مثقال
حبة فان كان يكون تامة ومن نصب فان كان ناقصة واسمها الضمير المستكن فيها العائد
الى شيء وكفى بنا حاسبين قال الزجاج انتصب قوله حاسبين على التمييز وعلى الحال ودخلت الباء
في بنا لانه خبر في معنى الامر والمعنى اكتفوا بالله حسيبا وقد روي عن ابن عباس انه قال قرأ
ضياء بغير واو ويكون على هذا منصوبا على الحال من الفرقان ويجوز ان يكون مفعولا له
وبالواو ويكون عطفا على الفرقان ويكون الواو داخلة على ضياء وان كان صفة في المعنى
دون اللفظ كما يدخل على الصفة التي هي صفة لفظا قال سيبويه اذا قلت مررت بزيد وصاحبك
وزيد هو الصاحب جاز ولو قلته بالفاء لم يجز كما جاز بالواو لان الفاء يقتضي التعقيب وتأخير
الاسم عن المعطوف عليه بخلاف الواو والذين يخشون في محل جر لانه صفة للمتقين ويجوز ان يكون
في محل نصب ورفع على المدح وبالغيب في محل النصب على الحال لما تقدم الانذار بالعذاب ذكر عقيبه
ولئن مستهم نفحة اي اصابتهم طرف عن ابن عباس وقيل قليل عن ابن كيسان وقيل نصيب عن
ابن جريج وقيل بعض ما يستحقونه من العقوبة عن ابي مسلم من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا
ظالمين اي يدعون بالويل والثبور عند نزوله ثم قال سبحانه ونضع الموازين القسط ليوم
القيمة اي نضع الموازين ذوات القسط ليوم القيمة وقيل معناه نحضر الموازين التي لا جور فيها
بل كلها عدل وقسط لاهل يوم القيمة او في يوم القيمة وقال قتاده معناه نضع العدل في المجازاة
بالحق لكل احد على قدر استحقاقه فلا ينقص المثاب بعض ما يستحقه ولا نفعل بالمعاقب فوق ما

وقد سبق الكلام في الميزان في سورة الاعراف فلا تظلم نفس شيئا اي لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد
في اساءة مسيء وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها اي جئنا بها والمراد احضرناها
للمجازات بها وكفى بنا حاسبين اي عالمين حافظين وذلك ان من حسب شيئا علمه وحفظه
عن ابن عباس وقيل محصنين والحسب العد عن السدي ولقد اتينا موسى وهرون
الفرقان اي اعطيناهما التورية تفرق بين الحق والباطل عن مجاهد وقتاده وقيل البرهان
الذي فرق به بين حق موسى وباطل فرعون وقيل هو فرق البحر وضياء اي واتيناهما ضياء
وهو من صفة التورية ايضا مثل قوله فيها هدى ونور والمعنى انهم استضاؤا بها
حتى اهتدوا في دينهم وذكرا للمتقين يذكرونه ويعملون بما فيه ويتعظون بمواعظه
ثم وصف المتقين فقال الذين يخشون ربهم بالغيب اي في حالة الخلوة والغيبة عن الناس
وقيل في سرائرهم من غير رياء وهم من الساعة اي من القيمة واهوالها مشفقون اي خائفون
وهذا ذكر مبارك انزلناه اراد به القرآن انه ذكر ثابت نافع دايم نفعه الى يوم القيمة
وقيل سماه مباركا لوفور فائدته من المواعظ والزواجر والامثال الداعية الى مكارم
الاخلاق والافعال لما وصف التورية اتبعه ذكر القران الذي اتاه نبينا صلى الله عليه
واله افانتم له منكرون استفهام على معنى التوبيخ اي فلماذا تنكرونه وتجحدونه مع كونه
معجزا النظم وجه اتصال قصة موسى وهرون بما قبلها انه لما تقدم ذكر الوحي بين عقيبه
ان انزال القرآن على نبيه ليس ببدع فقد انزل على موسى وهرون التورية وقيل اتصل
بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك والمعنى ان هؤلاء كما انهم استهزؤا بك مع انا انزلنا
اليك الكتاب كذلك وقد انزلنا على موسى وهرون الكتاب فكذبوهما واستهزؤا بهما
قوله عز وجل وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ
كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ
رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ

يرجعون

يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
إِبْرٰهِيمُ عشر آيات القراءة قرأ الكسائي جذاذا بكسر الجيم والباقون بضمها وفي الشواذ قراءة
ابن عباس وابي السمال بفتح الجيم شعر قال ابو حاتم فيه لغات جذاذ وجذاذ وجذاذ واجودها الضم
كالحطام والرفات من جذذت الشيء اذا قطعته قال النابغة ¶ تجذ السلوقي المضاعف نسجه ويوقدون بالصفاح نار الحباحب وقال آخر بنو المهلب جذ الله دابرهم
امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف الاعراب ثم عطف سبحانه على ما تقدم من قصة موسى وهرون
بقصة ابرهيم فقال ولقد اتينا اي اعطينا ابرهيم رشده يعني الحجج التي توصله الى الرشد
من معرفة الله وتوحيده وقيل معناه هداه اي هديناه صغيرا عن قتاده ومجاهد
وقيل هو النبوة من قبل اي من قبل موسى وقيل من قبل محمد والقران وقيل من قبل معرفة
بلوغه وكنا به عالمين اي انه اهل لايتاء الرشد وصالح للنبوة اذ قال لابيه وقومه حين راهم
يعبدون الاصنام ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون والعامل في اذ قوله اتينا اي
اتيناه رشده في ذلك الوقت والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله
من مثلت الشيء بالشيء اذا شبهته به فاسم ذلك الممثل تمثال وجمعه تماثيل وقيل انهم
جعلوها امثلة لعلمائهم الذين انقرضوا وقيل انهم جعلوها امثلة للاجسام العلوية والمعنى
ما هذه الصورة التي انتم مقيمون على عبادتها وروى العياشي بالاسناد عن الاصبغ ابن
نباتة ان عليا عليه السلام مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
لقد عصيتم الله ورسوله قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم اعترفوا بالتقليد
اذ لم يجدوا حجة لعبادتهم اياها سوى اتباع الاباء ونسبهم في ذلك الوقت الى الضلال قالوا
اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين معناه اجاد انت فيما تقول محق عند نفسك ام لاعب
مازح وانما قالوا ذلك لاستبعادهم انكار عبادة الاصنام عليهم اذ الفوا ذلك واعتادوه
قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي بل الهكم اله السموات والارض الذي
خلقهن وابتداءهن فدل على الله سبحانه بصنعه وانا على ذلكم من الشاهدين ومعنى
هذه الشهادة تحقيق الاخبار والشاهد الدال على الشيء عن مشاهدة فابرهيم عليه السلم

وقد سبق الكلام في الميزان في سورة الاعراف فلا تظلم نفس شيئا اى لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد
في اساءة مسئ وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها اى جئنا بها والمراد احضرناها
للمجازات بها وكفى بنا حاسبين اى عالمين حافظين وذلك ان من حسب شيئا علمه و حفظه
عن ابن عباس وقيل محصين والحسب العد عن السدى ولقد اتينا موسى وهرون
الفرقان اى اعطيناهما التورية تفرق بين الحق والباطل عن مجاهد وقتاده وقيل البرهان
الذى فرق به بين حق موسى وباطل فرعون وقيل هو فرق البحر وضياء اى واتيناها ضياء
وهو من صفة التورية ايضا مثل قوله فيها هدى ونور والمعنى انهم استضاؤا بها
حتى اهتدوا في دينهم وذكرا للمتقين يذكرونه ويعملون بما فيه ويتعظون بمواعظه
ثم وصف المتقين فقال الذين يخشون ربهم بالغيب اى في حالة الخلوة والغيبة عن الناس
وقيل في سرائرهم من غير رياء وهم من الساعة اى من القيمة واهوالها مشفقون اى خايفون
وهذا ذكر مبارك انزلناه اراد به القرآن انه ذكر ثابت نافع دايم نفعه الى يوم القيمة
وقيل سماه مباركا لوفور فائدته من المواعظ والزواجر والامثال الداعية الى مكارم
الاخلاق والافعال لما وصف التورية اتبعه ذكر القران الذى اتاه نبينا صلى الله عليه
وآله افانتم له منكرون استفهام على معنى التوبيخ اى فلماذا تنكرونه وتجحدونه مع كونه
معجزا النظم وجه اتصال قصة موسى وهرون بما قبلها انه لما تقدم ذكر الوحى بين عقيبه
ان انزال القرآن على نبيه ليس ببدع فقد نزل على موسى وهرون التورية وقيل اتصل
بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك والمعنى ان هؤلاء كما انهم استهزؤا بك مع انا انزلنا
اليك الكتاب كذلك قد انزلنا على موسى وهرون الكتاب فكذبوهما واستهزؤا بهما
قوله عز وجل وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ
كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ
رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ

يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
إِبْرٰهِيمُ عشر آيات القراءة قرأ الكسائي جذاذا بكسر الجيم والباقون بضمها وفي الشواذ قراءة
ابن عباس وابى السمال بفتح الجيم الحجة قال ابو حاتم فيه لغات جذاذ وجذاذ وجذاذ واجودها الضم
كالحطام والرفات من جذذت الشئ اذا قطعته قال النابغة ٭ بجذ السلوقى المضاعف
نسجه ويوقدون بالصفاح نار الحباحب وقال آخر بنو المهلب جذ الله دابرهم
امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف الاعراب ثم عطف سبحانه على ما تقدم من قصة موسى وهرون
بقصة ابرهيم فقال ولقد اتينا اى اعطينا ابرهيم رشده يعنى الحجج التى توصله الى الرشد
من معرفة الله وتوحيده وقيل معناه هداه اى هديناه صغيرا عن قتاده ومجاهد
وقيل هو النبوة من قبل اى من قبل موسى وقيل من قبل محمد والقران وقيل من قبل معرفة
بلوغه وكنا به عالمين اى انه اهل لايتاء الرشد وصالح للنبوة اذ قال لابيه وقومه حين راهم
يعبدون الاصنام ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون والعامل في اذ قوله اتينا اى
اتيناه رشده في ذلك الوقت والتمثال اسم للشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله
من مثلت الشئ بالشئ اذا شبهته به فاسم ذلك الممثل تمثال وجمعه تماثيل وقيل انهم
جعلوها امثلة لعلمائهم الذين انقرضوا وقيل انهم جعلوها امثلة للاجسام العلوية والمعنى
ما هذه الصورة التى انتم مقيمون على عبادتها وروى العياشى بالاسناد عن الاصبغ ابن
نباتة ان عليا عليه السلام مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون
لقد عصيتم الله ورسوله قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم اعترفوا بالتقليد
اذ لم يجدوا حجة لعبادتهم اياها سوى اتباع الاباء ونسبهم في ذلك الوقت الى الضلال قالوا
اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين معناه اجاد انت فيما تقول محق عند نفسك ام لاعب
مازح وانما قالوا ذلك لاستبعادهم انكار عبادة الاصنام عليهم اذ الفوا ذلك واعتادوه
قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن اى بل الهكم اله السموات والارض الذى
خلقهن وابتداهن فدل على الله سبحانه بصنعه وانا على ذلكم من الشاهدين ومعنى
هذه الشهادة تحقيق الاخبار والشاهد الدال على الشئ عن مشاهدة فابرهيم عليه السلام

شاهد بالحق لانه دال عليه بما يرجع الى نفقة المشاهدة ثم اقسم ابرهيم عليه السلم فقال وتالله لاكيدن
اصنامكم اى لادبرن فى بابهم تدبيرا خفيا يسوءكم ذلك وقيل انما قال ذلك فى سر من قومه ولم يسمع
ذلك الا رجل منهم فافشاه عن قتاده ومجاهد بعد ان تولوا مدبرين اى بعد ان تنطلقوا ذاهبين
قالوا كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد اذا رجعوا منه دخلوا على الاصنام وسجدوا لها فقالوا لابرهيم
الا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال اشتكى رجلى وانصرف فجعلهم جذاذا اى جعل اصنامهم
قطعا قطعا عن قتاده وقيل حطاما عن ابن عباس الا كبيرا لهم تركه على حاله ويجوز ان يكون
اكبرهم عندهم فى التعظيم قالوا جعل يكسرهن بفاس فى يده حتى لم يبق الا الصنم الكبير وعلق الفاس
فى عنقه وخرج لعلهم اليه يرجعون اى لعلهم يرجعون الى ابرهيم فيسالونه عن حال الاصنام بينهم
على حالهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسالونه وهو لا ينطق فيعلمون جهل من اتخذه الها وفى الكلام
ههنا حذف فتقديره فلما رجع قومه من عيدهم فوجدوا اصنامهم مكسرة قالوا من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين من هذه موصوله تقديره الذى فعل هذا بالهتنا فانه ظالم نفسه لانه يقتل
اذا علم به وقيل انهم قالوا من فعل هذا استفهموا عن صنع ذلك وانكروا عليه فعله بقولهم انه
لمن الظالمين اذ فعل ما لم يكن له ان يفعله قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم اى قال
الذى سمع من ابرهيم قوله لاكيدن اصنامكم للقوم ما سمعه منه فقالوا سمعنا فتى يذكرهم
بسوء وقيل انهم قالوا سمعنا فتى يعيب الهتنا ويقول انها لا تبصر ولا تنفع ولا تضر ولا تسمع فهو
الذى كسرها وعلى القول الاول قالوا سمعنا فتى وان لم يسمعوه كما يقال سمعت الله يقول او سمعت
الرسول يقول اذا بلغك عنه رسالته على لسان ثقة صدوق وقوله يقال له ابرهيم ارتفع
ابرهيم على وجهين احدهما يقال له هو ابرهيم والمعروف به ابرهيم وعلى النداء اى يقال لهم
يا ابرهيم عن الزجاج قوله تعالى قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنتَ
فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا
إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ
قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا

على ابرهيم

عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ عشر آيات القرءة النكس هو ان يجعل اسفل الشئ اعلاه
ومنه النكس فى العلة وهو ان يرجع الى الاول حاله ومنه النكس وهو السهم الذى ينكر فوقه فيجعل
اعلاه اسفله ويقال للمانى ايضا نكس تشبيها بذلك المعنى على اعين الناس فى موضع الحال اى بمرئا
مشهودا بل فعله كبيرهم هذا من وقف على فعله ففاعله مضمر وتقديره فعله من فعله
وكبيرهم مبتداء وهذا ضعيف ومن لم يقف على فعله فكبيرهم فاعله وهذا يكون صفة
لكبيرهم او بدلا عنه وجواب الشرط الذى هو قوله ان كانوا ينطقون محذوف يدل عليه
قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم على الوجه الثانى ويقتضى ان يكون للشرط جزاان على هذا
الجزاء الثانى معطوف على الاول التقدير ان كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا فسئلوهم
والمعنى ان لم يقدروا على النطق لم يقدروا على الفعل ثم ذكر سبحانه ما جرى بين ابرهيم
وقومه فى امر الاصنام بقوله قالوا يعنى قوم ابرهيم فاتوا به اى فجيئوا به على اعين الناس
اى بحيث يراه الناس ويكون بمشهد منهم لعلهم يشهدون عليه بما قاله فيكون ذلك
حجة عليه بما فعل عن الحسن وقتاده والسدى قالوا كرهوا ان ياخذوه بغير بينه وقيل معناه
لعلهم يشهدون عقابه وما نصنع به اى يحضرونه عن ابن اسحاق والضحاك قالوا أأنت
فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم المعنى فلما جاؤا به قالوا له هذا القول مقررين له على ذلك
فاجابهم ابرهيم بان قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اختلفوا
فى معناه وتقديره على وجوه احدها انه مقيد بقوله ان كانوا ينطقون والتقدير
فقد فعله كبيرهم ان نطقوا فسئلوهم فقد علق الكلام بشرط لا يوجد فلا يكون كذبا
ويكون كقول القايل فلان صادق فيما يقول ان لم يكن فوقنا سماء وثانيها انه خرج مخرج
الخبر وليس بخبر انما هو الزام يدل عليه الحال فكانه قال لما ينكرون ان يكون فعله كبيرهم
هذا والالزام ياتى تارة بلفظ السوال وتارة بلفظ الامر وتارة بلفظ الخبر وربما يكون
احد هذه الامور ابلغ فيه ووجه الالزام ان هذه الاصنام انها الهة كما يزعمون فانما
فعله ذلك بهم كبيرهم لان غير الالهة لا يقدر ان يكسر الاله وثالثها ان تقديره فعله
من فعله على ما تقدم من ذكره وهو قول الكسائى واما ما ذكر فيه انه اراد به الخبر عن الكبير وقال

انه غضب من ان يعبد معه الصغار فكسرهن وما روي في ذلك من ان ابرهيم كذب ثلاث كذبات
قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله في سارة لما اراد الجبار اخذها وكانت زوجته
انها اختي فمما لا يعول عليه فقد دلت الادلة العقلية لا يحتمل التاويل على ان الانبياء
لا يجوز عليهم الكذب وان لم يقصدوا به غرورا كما لا يجوز عليهم التعمية في الاخبار ولا التقية لان ذلك
يؤدي الى التشكك في اخبارهم وكلام ابرهيم ع يجوز ان يكون من المعاريض فقد يباح ذلك
عند الضرورة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الكذب لا يصلح في جد ولا هزل
وقد قيل في قوله اني سقيم ان معناه اني ساسقم لانه لما نظر الى بعض النجوم علم وقت نوبة حمى كانت
تاتيه فقال اني ساسقم وقيل معناه اني سقيم عندكم فيما ادعوكم اليه وسنذكر الكلام فيه
في موضعه واما في قوله في سارة انها اختي فانما اراد في الدين قال سبحانه انما المومنون اخوة
وقد دل الدليل العقلي على ان الكذب قبيح لكونه كذبا فلا يحسن على وجه من الوجوه فرجعوا الى
انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون معناه فرجع بعضهم الى بعض وقال بعضهم لبعض انتم الظالمون
حيث تعبدون ما لا يقدر على الدفع عن نفسه وما نرى الامر الا كما قال وقيل معناه فرجعوا الى عقولهم
وتدبروا في ذلك اذ علموا صدق ابرهيم فيما قاله وحاروا عن جوابه فانطقهم الله بالحق فقالوا
انكم انتم الظالمون هذا الرجل في سواله وهذه الهتكم حاضرة فاسئلوا ثم نكسوا على رؤسهم
اذ تحيروا وعلموا انها لا تنطق ثم اعترفوا بما هو حجة عليهم فقالوا لقد علمت يا ابرهيم ما هؤلاء
ينطقون فكيف تسالهم فاجابهم ابرهيم عليه السلام بعد اعترافهم بالحجة قال افتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اي فتوجهون عبادتكم الى الاصنام التي لا تنفعكم شيئا ان عبدتموها
ولا تضركم ان تركتموها لانها لو قدرت على نفعكم وضركم لدفعت عن نفسها من دون الله سبحانه
الذي يقدر على ضركم ونفعكم على انه ليس كل من قدر على الضر والنفع استحق العبادة انما يستحقها
من قدر على اصول النعم التي هي الحيوة والشهوة والقدرة وكمال العقل وقدر على الثواب والعقاب
ثم قال ابرهيم ع مهجنا لافعالهم مستقذرا لها اف لكم ولما تعبدون من دون الله قال الزجاج
معنى اف لكم نتنا لافعالكم وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه وما قيل في تفسيره في سورة بني اسرائيل
افلا تعقلون اي افلا تتفكرون بعقولكم في ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة قالوا حرقوه والمعنى

فلما سمعوا

فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض حرقوه بالنار وانصروا الهتكم اي فادفعوا عنها
وعظموها ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصريها والمعنى فلا تنصرونها الا بتحريقه بالنار قال ابن عمر
ومجاهد ان الذي اشار بتحريق ابرهيم بالنار رجل من اكراد فارس فخسف الله به الارض فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقيل ان هذا القائل نمرود وفي الكلام حذف قال السدي جمعوا الحطب حتى
ان الرجل منهم ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيشترى به حطب وحتى ان المراة لتغزل
فتشتري به حطبا حتى بلغوا من ذلك ما ارادوا فلما ارادوا ان يلقوا ابرهيم في النار لم يدروا
كيف يلقونه فجاء ابليس فدلهم على المنجنيق وهو اول منجنيق صنعت فوضعوه فيها ثم رموه قلنا
يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم معناه فلما جمعوا الحطب والقوه في النار قلنا للنار ذلك وهذا
مثل فان النار جماد لا يصح خطابه والمراد انا جعلنا النار بردا عليه وسلامة لا يصيبه من اذاها
شيء كما قال سبحانه كونوا قردة خاسئين والمعنى انه يصيرهم كذلك لا انه خاطبهم وامرهم بذلك
وقيل يجوز ان يتكلم الله سبحانه بذلك ويكون ذلك صلاحا للملائكة ولطفا لهم لا انه خاطبهم
وامرهم بذلك وقيل يجوز لهم وذكر في كون النار بردا على ابرهيم وجوه احدها ان الله سبحانه
احدث فيها بردا بدلا من شدة الحرارة التي فيها فلم تؤذيه وثانيها ان الله سبحانه حال بينها وبينه
فلم تصل اليه وثالثها ان الاحراق انما يحصل بالاعتمادات التي في النار صعدا فيجوز ان يذهب سبحانه
تلك الاعتمادات وعلى الجملة فقد علمنا ان الله سبحانه منع النار من احراقه وهو اعلم بتفاصيله
قال ابو العالية لو لم يقل سبحانه وسلاما لكانت تؤذيه من شدة بردها ولكان بردها عليه اشد
من حرها فصارت سلاما عليه ولو لم يكن يقل على ابرهيم لكان بردها باقيا على الابد
وقال ابو عبد الله عليه السلام لما اجلس ابرهيم في المنجنيق وارادوا ان يرموا به في النار اتاه جبرئيل
فقال السلام عليك يا ابرهيم ورحمة الله وبركاته الك حاجة فقال اما اليك فلا فلما طرحوه
دعا الله فقال يا الله يا واحد يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
فحسرت النار عنه وانه لمحتب ومعه جبرئيل وهما يتحدثان في روضة خضراء وروى الواحدي
بالاسناد مرفوعا الى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال ان نمرود الجبار لما القى ابرهيم
في النار نزل اليه جبرئيل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة

وتعد معه بحدته تمام الخيرة اكعب ما احرقت النار من ابرهيم غير وثاقه وقيل
ان ابرهيم القي في النار وهو ابن ستة عشر سنة واراد وابه كيدا معناه ان الكفار
ارادوا بابرهيم كيدا شرا وتدبيرا في اهلاكه فجعلناهم الاخسرين قال ابن عباس هو ان
سلط الله على نمرود وخيله البعوض حتى اخذت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة
في دماغه حتى اهلكته والمعنى انهم كادوه بسوء فانقلبت عليهم ذلك قوله تعالى ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا
جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من
القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه
من الصالحين خمس آيات اللغة النافلة العطية الخاصة والنفل النفع الذي يجر الحمد
فيما زاد على حد الواجب ومنه النافلة للصلوة وهي الفضل على الفرائض وقيل النافلة الغنيمة
قال لله نافلة الاعز الافضل نافلة نصب على الحال من يعقوب وقيل انه نصب على المصدر
من وهبنا وتقديره وهبنا له هبة ويهدون صفة الائمة ومفعولاه محذوف وتقديره
يهدون الناس الطريق وحذف التاء من اقامة لان الاضافة عوض منها ولا يجوز
ذلك في غير الاضافة لا يقال اقام فاما لا يقال اقامة ولوطا منصوب بفعل مضمر تفسيره هذا
الظاهر تقديره واتينا لوطا اتيناه الا انه اذا ذكر المحذوف لم يذكر الموجود والنصب في لوطا
لتكون الجملة فيكون فعلية معطوفة على جملة فعلية وفاسقين يجوز ان يكون منصوبا بكونه
صفة لقوم سوء ويجوز ان يكون خبر الكان او يكون خبرا بعد خبر الاعراب ثم بين سبحانه تمام
نعمته على ابرهيم فقال ونجيناه اي من نمرود وكيده المعنى ورفعناه ولوطا عن الهلكة وهو
ابن اخي ابرهيم فاسرى به الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اختلف فيها فقيل هي ارض الشام
اي نجاهما من كوفى الى الشام عن قتاده وانما قال باركنا فيها لانها بلاد خصب وقيل الى الارض
بيت المقدس لان بها مقام الانبياء عن الجبائي وقيل نجاهما الى مكه كما قال ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا عن ابن عباس ووهبنا له اسحاق ويعقوب اي وهبنا لابرهيم

اسحاق

اسحاق حين سال الولد فقال رب هب لي من الصالحين ويعقوب نافلة قال ابن عباس وقتاده
نافلة راجع الى يعقوب فانه زاده من غير دعاء فهو نافلة وقيل انه راجع الى اسحاق ويعقوب
جميعا لانه اعطاهما اياه من غير جزاء ولا استحقاق عن مجاهد وكلا جعلنا صالحين اي وجعلنا
ابرهيم واسحاق ويعقوب صالحين للنبوة والرسالة وقيل معناه حكمنا بكونهم صالحين وسميناهم
صالحين وهو غاية ما يوصف به من الثناء الجميل وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في افعالهم واقوالهم
يهدون الخلق اي طريق الحق والى الدين المستقيم بامرنا لمن اهتدى بهم فالنعمة لنا عليه
واوحينا اليهم فعل الخيرات قال ابن عباس شرايع النبوة واقام الصلوة اي اقامة
الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين اي مخلصين في العبادة ولوطا اتيناه حكما
وعلما ومعنى اعطينا لوطا حكمة وعلما وقيل الحكم النبوة وقيل هو الفصل بين الخصوم بالحق اي جعلناه
حاكما وعلمناه ما يحتاج الى العلم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث وهي قرية سدوم
على ما روي والخبائث التي كانوا يعملونها هي انهم كانوا ياتون الذكران في ادبارهم ويتضارطون
في انديتهم وقيل هي ما حكى الله تعالى انكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون
في ناديكم المنكر وغير ذلك من القبائح واراد بالقرية اهلها ثم ذمهم فقال انهم كانوا
قوم سوء فاسقين اي خارجين عن طاعة الله تعالى وادخلناه في رحمتنا اي في نعمتنا وجنتنا
انه من الصالحين اي بسبب انه من الصالحين الذين اصلحوا افعالهم فعملوا بما هو الحسن
منها دون القبيح وقيل اراد بكونه من الصالحين انه من الانبياء قوله تعالى ونوحا اذ نادى
من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم
من باسكم فهل انتم شاكرون خمس آيات القراءة قرا ابو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم
وروح وزيد عن يعقوب لتحصنكم بالتاء والباقون بالياء وقرا ابو بكر عن عاصم ورويس
عن يعقوب لنحصنكم بالنون والباقون ليحصنكم بالياء الحجة من قرا بالياء فيجوز ان يكون

الفاعل اسم الله لتقدم قوله علمناه ويجوز ان يكون للباس لانه اللبوس بمعنى اللباس ويجوز ان يكون
داود ومن قرأ بالتاء حمله على الصنعة لان الدرع ومن قرأ بالنون فلتقدم قوله علمناه ✱ النفش
بفتح الفاء وسكونها ان تنتشر الابل والغنم بالليل فترعى بلا راع والانتشار واللبوس اسم للسلاح
كله عند العرب درعا كان او جوشنا او سيفا او رمحا قال الهذلي ✱ يصف رمحا عليه لبوس
للبوس كانه روق بجبهة ذى نعاج مجفل وقيل هو كل ما يلبس من ثياب ودرع وقيل هو الدرع
واصله اللبس من الاختلاط ومنه سميت المراة لباسا وسمي الليل لباسا لانه يباشر الناس
بظلمته والاحصان الاحراز واصله من المنع ✱ ونوحا معطوف على قوله ولوطا وقوله
اذ نفشت ظرف لقوله يحكمان فى قوله وكنا لحكمهم شاهدين ويجوز ان يكون فى موضع
الجر بالعطف على يحكمان اى وقت حكمهما فى الحرث وكونا شاهدين له ويجوز ان يكون فى موضع
الجر بالعطف على يحكمان النصب على الحال وكلا منصوب لانه مفعول اول لاتينا وحكما مفعول ثانى
يسبحن فى موضع نصب على الحال من الجبال والطير عطف على الجبال ويجوز ان يكون مفعولا معه
وتقديره يسبحن مع الطير فيكون الواو بمعنى مع ✱ ثم عطف سبحانه قصة نوح وداود
على قصة ابرهيم ولوط فقال ونوحا اذ نادى اى دعا ربه فقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا وقال انى مغلوب فانتصر وغير ذلك من قبل اى من قبل ابرهيم ولوط فاستجبنا له
اى اجبناه الى ما التمسه فنجيناه واهله من الكرب العظيم اى من الغم الذى يحمى الى القلب
وهو ما كان يلقاه من الاذى طول تلك المدة وتحمل الاستحقاق من اسقاط من اعظم الكرب
ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا اى منعناه منهم بالنصرة حتى لم يصلوا اليه
بسوء وقيل معناه نصرناه على القوم ومن بمعنى على عن ابى عبيدة انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين صغارهم وكبارهم وذكورهم واناثهم وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت
فيه غنم القوم وكنا اى واتينا داود وسليمان حكما وعلما اذ يحكمان وقيل تقديره واذكر
داود وسليمان حين يحكمان فى الحرث فى الوقت الذى نفشت فيه غنم القوم اى تفرقت ليلا
وكنا لحكمهم شاهدين اى لحكمهم عالمين لم يغب عنا منه شىء وانما جمع فى موضع التثنية لانه اضاف
الحكم الى الحاكم والى المحكوم لهم وقيل ان الاثنين جمع فهو مثل قوله فان كان له اخوة وهو يريد اخوين

واختلف

واختلف فى الحكم الذى حكما به فقيل انه زرع وقعت فيه الغنم ليلا فاكلته عن قتادة وقيل كان
كرما قد بدت عناقيده فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبى الله
قال وما ذاك قال يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم
الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا عاد الكرم كما كان ثم تدفع كل واحد منهما الى صاحبه
ما له عن ابن عباس وابن مسعود وروى ذلك عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام قال الجبائى اوحى
الله تعالى الى سليمان بما نسخ به حكم داود الذى كان يحكم به قبل ولم يكن ذلك عن اجتهاد لانه
لا يجوز للانبياء ان يحكموا بالاجتهاد وهذا هو الصحيح المعول عليه عندنا قال على بن عيسى
والبلخى يجوز ان يكون ذلك عن اجتهاد لانه راى النبى صلى الله عليه واله افضل من راى غيره
فاذا جاز التعبد بالتزام حكم غير النبى من طريق الاجتهاد فكيف يمنع من حكم النبى صلى الله
عليه واله وعلى هذا الوجه والذى يدل على صحة القول الاول ان النبى اذا كان يوحى اليه
وله طريق الى العلم بالحكم فلا يجوز ان يحكم بالظن على ان الحكم بالظن والاجتهاد والقياس
قد بين اصحابنا فى كتبهم انه لم يتعبد به فى الشرع الا فى مواضع مخصوصة ورد النص
بجواز ذلك نحو قيم المتلفات واروش الجنايات والجزاء للصيد والقبلة وما جرى
هذا المجرى وايضا فلو جاز للنبى ان يجتهد لجاز لغيره ان يخالفه كما يجوز للمجتهدين
ان يختلفا ومخالفة الانبياء يكون كفرا وقد قال الله سبحانه وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحى يوحى فاخبر سبحانه انه انما ينطق عن جهة الوحى ويقوى ما ذكرناه قوله تعالى
ففهمناها سليمان اى علمناه الحكومة فى ذلك وقيل ان سليمان قضى بذلك وهو ابن احدى
عشرة سنة وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قضى بحفظ المواشى على اربابها ليلا
وقضى بحفظ الحرث على اربابه نهارا وكلا اتيناه حكما وعلما اى وكل واحد من داود
وسليمان اعطيناه حكمة وقيل معناه النبوة وعلم الدين والشرع وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير وقيل معناه سيرنا الجبال مع داود حيث سار فعبر عن ذلك بالتسبيح لما فيه
من الاية العظيمة التى تدعوا الى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وكذلك
تسخير الطير له تسبيح يدل على ان مسخرها قادر لا يجوز عليه ما يجوز على العباد عن الجبائى

وعلى ابن عيسى وقيل ان الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبح معه بالغداة
والعشى معجزة له عم وكنا فاعلين اى قادرين على فعل هذه الاشياء ففعلناها دلالة على نبوته
وعلمناه صنعة لبوس لكم اى علمناه كيف يصنع الدرع قال قتاده اول من صنع الدرع
داود وانما كانت صفائح فجعل الله سبحانه الحديد فى يده كالعجين فهو اول من سردها
وحلقها فجمعت الخفة والتحصين فهو قوله لتحصنكم من باسكم اى لتحرزكم وتمنعكم من وقع
السلاح فيكم عن السدى وقيل معناه من حربكم اى فى حالة الحرب والقتال فان الباس
فى اللغة هو شدة القتال فهل انتم شاكرون لنعم الله تعالى عليكم وعلى انبيائه قبلكم
وهذا تقرير للخلق على شكره فان انعامه على الانبياء انعام على الخلق وقيل ان سبب لانة
الحديد انه كان نبيا ملكا وكان يطوف فى ولايته متنكرا يتعرف احوال عماله ومتصرفيه
فاستقبله جبرئيل عليه السلام ذات يوم على صورة ادمى فسلم عليه فرد السلام وقال ما سيرة
داود فقال نعم النبوة لولا خصلة فيه قال وما هى قال انه ياكل من بيت مال
المسلمين فتفكر وانثنى عليه وقال اللهم اقسم داود انه لا ياكل من بيت مال المسلمين
فعلم الله سبحانه صدقه فالان له الحديد كما قال والنا له الحديد وروى
ان لقمان الحكيم حضره فراه يفعل ذلك فصبر ولم يساله حتى فرغ من ذلك
فقام ولبسه وقال نعم الجنة للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله قوله تعالى
وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ
عَالِمِينَ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ
وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً
مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ست آيات اللغة الريح هو الحر يشتد
تارة ويضعف تارة وهو جسم لطيف منفش يمتنع بلطفه من القبض عليه يظهر
للحس بحركته والعصوف شدة حركة الريح عصفت تعصف عصفا وعصوفا اذا اشتد



والعصف

والعصف التبن لان الريح تعصفه فتطيرها له الاعراب ولسليمان الريح اللام يتعلق بسخرنا
والتقدير وسخرنا لداود الجبال وسخرنا لسليمان الريح عاصفة نصب على الحال تجرى
بامره فى موضع الحال ايضا وهو حال بعد حال ويحتمل ان يكون حالا عن الحال هى عاصفة
ومن يغوصون له عطف على الريح ومن الشياطين فى موضع نصب على الحال من سخرنا
وذو الحال من يغوصون له ويجوز ان يكون حالا من يغوصون وذو الحال فى موضع
نصب على انه صفة بعد صفة تقديره واهلا مثلهم كائنين معهم وانتصب رحمة بانه مفعول له
المعنى ثم بين سبحانه نقصه سليمان على ما تقدم فقال ولسليمان الريح اى سخرنا لسليمان
الريح عاصفة اى شديدة الهبوب قال ابن عباس اذا اراد ان تعصف الريح عصفت واذا
اراد ان ترخى رخت وذلك قوله رخاء حيث اصاب تجرى بامره اى بامر سليمان الى الارض
التى باركنا فيها وهى ارض الشام لانها كانت ماويه وقد سبق ذكرها فى هذه السورة
وقيل كانت الريح تجرى فى الغداة مسيرة شهر وفى الرواح كذلك وكان يسكن بعلبك
وبنى له بيت المقدس فيحتاج الى الخروج اليها والى غيرها قال وهب كان سليمان يخرج
الى مجلسه فتعكف عليه الطير ويقوم له الانس والجن حتى يجلس على سريره ويجتمع مع جنوده
ثم يحمل الريح الى حيث اراد وكنا بكل شىء عالمين فانما اعطيناه ما اعطيناه لما علمنا
من المصلحة ومن الشياطين من يغوصون له اى وسخرنا لسليمان من الشياطين
من يغوصون له فى البحر فيخرجون الجواهر واللالى والغوص هو النزول الى تحت الماء
ويعملون عملا دون ذلك اى سوى ذلك من الابنية كالمحاريب والتماثيل وغيرهما وكنا له
حافظين لئلا يهربوا منه ويمتنعوا عليه وقيل يحفظهم الله من ان يفسدوا ما عملوه
عن الفراء والزجاج وايوب اذ نادى ربه اى واذكر يا محمد ايوب حين دعا ربه لما اشتدت
المحنة به انى مسنى الضر اى نالنى الضر واصابنى الجهد وانت ارحم الراحمين اى ولا احد
ارحم منك وهذا تعريض منه بالدعاء لازالة ما به من البلاء وهو من لطيف الكنايات
فى طلب الحاجة ومثله قول موسى عم رب انى لما انزلت الى من خير فقير فاستجبنا له اى اجبنا
دعاءه ونداءه فكشفنا ما به من ضر اى ازلنا ما به من الاوجاع والامراض واتيناه

اهله ومثلهم معهم قال ابن عباس وابن مسعود رد الله سبحانه اهله الذين هلكوا باعيانهم
واعطاه مثلهم معهم وكذلك رد الله عليه امواله ومواشيه باعيانها واعطاه
مثلها معها وبه قال الحسن وقتاده وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم وقيل انه خير ايوب
فاختار احياء اهله فى الاخرة ومثلهم فى الدنيا فاوتى على ما اختار عن عكرمه ومجاهد
قال وهب وكان له سبع بنات وثلاث بنين وقال ابن يسار سبع بنين وسبع بنات
رحمة من عندنا اى نعمة منا عليه وذكرى للعابدين اى موعظة لهم فى الصبر والا
نقطاع الى دين الله تعالى والتوكل عليه لانه لم يكن فى عصره احد اكرم على الله منه فابتلاه
بالمحن العظيمة فاحسن الصبر عليها فينبغى لكل عاقل اذا اصابته محنة ان يصبر
عليها ولا يجزع ويعلم ان عاقبة الصبر محمودة واسمعيل وادريس وذا الكفل اى واذكر
هولاء الانبياء وما انعمت عليهم من فنون النعمة ثم قال كل من الصابرين صبروا
على بلاء الله والعمل بطاعته فاما اسمعيل فانه صبر بنفسه لاذبح فيه ولا ضرع وقام
ببناء بيت الكعبة واما ادريس فانه صبر على الدعاء الى الله وكان اول من بعث الى قومه
فدعاهم الى الدين فابوا فاهلكهم الله تعالى ورفعه الى السماء السادسة واما ذو الكفل
فاختلف فيه فقيل انه كان رجلا صالحا ولم يكن نبيا ولكنه تكفل لنبى بصوم النهار وقيام
الليل وان لا يغضب ويعمل بالحق فوفى بذلك فشكر الله ذلك له عن ابى موسى الاشعرى وقتاده
ومجاهد وقيل هو نبى اسمه ذا الكفل عن الحسن قال ولم يقص الله خبره مفصلا وقيل هو الياس
عن ابن عباس وقيل كان نبيا وسمى ذا الكفل بمعنى انه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره
ممن هو فى زمانه لشرف عمله عن الجبائى وقيل هو اليسع ابن خطوب الذى كان مع الياس
وليس اليسع الذى ذكره الله فى القرآن تكفل لملك جبار ان هو تاب دخل الجنة ودفع
اليه كتابا بذلك فتاب الملك وكان اسمه كنعان فسمى ذا الكفل والكفل فى اللغة هو الخط
وفى كتاب النبوة بالاسناد عن عبد العظيم ابن عبد الله الحسنى قال كتبت الى ابى جعفر عليه السلم
اساله عن ذى الكفل وما اسمه وهل كان من المرسلين فكتب عليه السلم ان الله بعث
مائة الف نبى واربعة وعشرين الف نبى المرسلين منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا

وان ذا الكفل منهم وكان بعد سليمان ابن داود عم وكان يقضى بين الناس كما يقضى داود
عليه السلم ولم يغضب قط الا لله تعالى وكان عوديا ابن ادارين وادخلناهم فى رحمتنا اى جعلنا
هولاء الذين ذكرناهم من الانبياء فى نعمتنا وادخلناهم بالرحمة ولو قال رحمناهم لما افاد
ذلك بل افاد انه فعل بهم الرحمة انهم من الصالحين اى انما ادخلناهم فى رحمتنا
لانهم كانوا من صلحاء عمالهم قوله عز وجل وَذَا النُّونِ اِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ
اَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادٰى فِى الظُّلُمَاتِ اَنْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ سُبْحَانَكَ اِنِّى كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذٰلِكَ نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ وَزَكَرِيَّا اِذْ نَادٰى
رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَاَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيٰى
وَاَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ اِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ اربع آيات القراة قرا يعقوب فظن ان لن يقدر عليه بضم الياء
والباقون نقدر بالنون وكسر الدال وقرا ابن عامر وابو بكر نجى بنون واحدة و
تشديد الجيم والباقون ننجى بنونين الحجة قوله ان لن نقدر عليه ان هذه مخففه
بنون واحدة وتشديد الجيم من الثقيلة وتقديره ظن انه لن نقدر عليه لن نضيق
عليه من قرا لن يقدر عليه فهو مثل الاول فى المعنى بنى الفعل للمفعول به واقيم الجار
والمجرور مقام الفاعل ومن قرا نجى المؤمنين بنون واحدة وقال ابو بكر السراج هو
وهم لان النون لا يدغم فى الجيم وانما خفيت لانها تخرج من الخياشيم فحذفت فى الكتابة
وهى فى اللفظ ثابتة قال ابو على والقول فى ذلك ان عاصما ينبغى ان يكون بنونين واخفى
الثانية فظن السامع انه مدغم وكذلك غيره المعنى ثم ذكر سبحانه قصة يونس
فقال وذا النون اى واذكر ذا النون والنون الحوت وصاحبها يونس ابن متى اذ ذهب
الحين ذهب مغاضبا لقومه عن ابن عباس والضحاك اى مراغما لهم من حيث انه دعاهم
الى الايمان مدة طويلة فلم يومنوا حتى اوعدهم الله بالعذاب فخرج من بينهم مغاضبا
لهم قبل ان يومنوا له فظن ان لن نقدر عليه اى لن نضيق عليه عن عطاء وجماعة من
المفسرين وقيل ظن ان لن نقضى عليه ما قضيناه والقدر بمعنى القضا عن مجاهد وقتاده

والكلبي والجبائي قال الجبائي ضيق الله عليه الطريق حتى الجاه الى ركوب البحر ثم قذف فيه فابتلعته السمكة
ومن قال انه خرج مغاضبا لربه وانه ظن ان لن نقدر الله على اخذه بمعنى انه يعجز عنه
فقد اساء الثناء على الانبياء فان مغاضبة الله كفر وكبيرة عظيمة وتجويز العجز على الله
سبحانه كذلك فكيف يجوز ذلك على نبي من انبياء الله تعا وقال ابن زيد انه استفهام معناه
التوبيخ وتقديره افظن ان لن نقدر عليه وانكره علي بن عيسى وقال لا يجوز حذف الاستفهام
من غير دليل عليه وقد جاء في كلام العرب حذفه على خلاف ما قاله انشد النحويون قول عمر
ابن ابي ربيعة شعر ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب اى احبها فنادى
في الظلمات قيل انها ظلمة الليل وظلمة النهار وظلمة بطن الحوت عن ابن عباس وقتاده وقيل
كان حوت في بطن حوت عن سالم ابن ابي الجعد ان لا اله الا انت سبحانك لما اراد السؤال
والدعاء قدم ذكر التوحيد والعدل ثم قال اني كنت من الظالمين اي من الذين يقع منهم
الظلم وانما قاله على سبيل الخشوع والخضوع لان جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم قال الجبائي
لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله تعا لان العقوبة عداوة للمعاقب
لكن ذلك على وجه التاديب والتاديب يجوز للمكلف وغير المكلف كتاديب الصبي وغيره
وبقاؤه في بطن الحوت حيا معجزة له فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي من بطن الحوت
وكذلك ننجي المؤمنين اي ننجيهم اذا دعونا به كما انجينا ذا النون ثم قال سبحانه وزكريا
اي واذكر زكرياء اذ نادى ربه ودعاه يا رب لا تذرني فردا بغير وارث ولا ولد
يعينني على امر الدين والدنيا في حيوتي ويرثني بعد مماتي وانت خير الوارثين
هذا ثناء على الله سبحانه بانه الباقي بعد فناء خلقه وانت خير من بقي حيا بعد
ميت وان الخلق كلهم يموتون ويبقى هو فاستجبنا له ووهبنا له يحيى روى الحارث
ابن المغيرة قال قلت لابي عبد الله عليه السلام اني من اهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد فقال
ادع وانت ساجد رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء رب لا تذرني
فردا وانت خير الوارثين قال ففعلت فولد لي علي والحسين واصلحنا له زوجه بان كانت
عقيمة فجعلناها ولودا عن قتاده وقيل كانت هرمة فرددنا عليها شبابها عن ابي مسلم

وقيل

وقيل كانت سيئة الخلق فجعلناها حسنة الخلق انهم يعني زكريا وامراته ويحيى وقيل
معناه ان الانبياء الذين تقدم ذكرهم كانوا يسارعون في الخيرات اي يبادرون الى
الطاعات والعبادات ويدعوننا رغبا ورهبا اي للرغبة والرهبة رغبة في
الثواب ورهبة من العقاب وقيل راغبين وراهبين عن الضحاك وقيل رغبا ببطون
الاكف ورهبا بظهور الاكف وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين عن ابن عباس وقيل
الخشوع المخافة الثابتة في القلب عن الحسن وقيل معناه انهم قالوا طال النعمة اللهم لا تجعلها
استدراجا وطال البلاء اللهم لا تجعلها عقوبة بذنب سلف منا وفي قوله سبحانه
يسارعون في الخيرات دلالة على ان المسارعة الى كل طاعة مرغب فيها وعلى ان الصلوة
في اول الوقت افضل قوله سبحانه والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها
وابنها اية للعالمين ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم
بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه
وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون خمس آيات القراءة
قرا حمزه والكسائي وابو بكر وحرم بكسر الحاء بغير الف والباقون وحرام وهو قراءة
الصادق عليه السلام وفي الشواذ قراءة الحسن وابن ابي اسحق امة واحدة بالرفع وقرا ابن
عباس وقتاده وحرم وفي رواية اخرى عن ابن عباس وحرم وهي قراءة عكرمه
وابي العالية الاعراب قال ابو علي حرم وحرام لغتان وكذلك حل وحلال وكل واحد من حرم
وحرام ان شئت رفعته بالابتداء لاختصاصه بما جاء بعده من الكلام وخبره محذوف
وتقديره وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون مقضي وثابت ومحكوم عليه وان شئت
جعلته خبر مبتدا محذوف وجعلت لا زائدة والمعنى حرام على قرية اهلكناها رجوعهم
كما قال فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون وان شئت جعلته خبر مبتدا
واضمرت مبتدا كما ذكرت ويكون المعنى وحرام على قرية اهلكناها بالاستيصال رجوعهم
لانهم لا يرجعون اي لا يتوبون ابدا ويكون لا غير زائدة معنى حرام عليهم انهم ممنوعون
من ذلك قال الزجاج تقديره اي قرية اهلكناها ان يتقبل منهم عمل لانهم لا يرجعون اي لا يتوبون

ابدًا كما قال سبحانه ختم الله على قلوبهم الاية فعلى هذا يكون حرام خبر مبتداء محذوف وهو قوله
ان يتقبل منهم عمل وانهم لا يرجعون في موضع نصب لانه مفعول له فاما من قرا وحرم على قرية فانه
حرم فهو حرم اي فرماله قال زهير للغة وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب مالى ولا حرم
واما حرم معناه ظاهر ومن قرا امة بالرفع جعله بدلا من امتكم ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر
وامة منصوب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة وذو الحال الامة الاولى وفي الحقيقة الحال
قوله واحدة التي هي صفة لامة كقوله تعالى قرانا عربيًا والتقدير ان هذه امتكم امة واحدة اى مجتمعة
غير متفرقة الاعراب ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقصة عيسى فقال والتى احصنت فرجها يعنى مريم
ابنة عمران اى واذكر مريم التى حفظت فرجها وحصنته وعفت وامتنعت من الفساد
فنفخنا فيها من روحنا اى اجرينا فيها روح المسيح كما يجرى الهواء بالنفخ واضاف الروح
الى نفسه على وجه الملك تشريفا له فى الاختصاص بالذكر وقيل معناه امرنا جبرئيل فنفخ فى جيب
درعها فخلقنا المسيح فى رحمها وجعلناها وابنها آية للعالمين انما قال اية ولم يقل ايتين
لان فى موضع دلالة فلا يحتاج الى ان يثنى والاية فيهما انها جاءت به من غير فحل فتكلم فى
المهد بما يوجب براة ساحتها من العيب هذه امتكم امة واحدة اى هذا دينكم دين واحد
عن ابن عباس ومجاهد والحسن واصل الامة الجماعة التى على مقصد واحد اى هذا جعلنا الشريعة
امة لاجتماعهم بها على مقصد واحد وقيل معناه جماعة فى انها مخلوقة مملوكة لله تعالى اى فلا
يكونوا الا على دين واحد وقيل معناه هولاء الذين تقدم ذكرهم من الانبياء فرتبكم الذى
يلزمكم وانا ربكم الذى خلقتكم فاعبدونى ولا تشركوا بى شيئا ثم ذكر لليهود والنصارى
بالاختلاف فقال وتقطعوا امرهم بينهم يلعن بعضهم بعضًا ويبراء بعضهم من بعض عن الكلبى
وابن زيد والتقطع هذا بمنزلة التقطيع ثم قال مهددا لهم كل الينا راجعون اى كل من اجتمع
وافترق راجع الى حكمنا فى الوقت الذى لا يقدر على الحكم سوانا فيجازيهم باعمالهم فمن يعمل
من الصالحات شيئا مثل صلة الرحم ومعونة الضعيف ونصر المظلوم والتنفيس عن المكروب
وغير ذلك من انواع الطاعات وهو من شرط الايمان لان هذه الاشياء لو فعلها
الكافر لم ينتفع بها عند الله فلا كفران لسعيه اى فلا جحود لاحسانه فى عمله بل يشكر ويثاب

عليه

عليه وانا له كاتبون اى نامر ملائكتنا ان يكتبوا ذلك ويثبتوه فلا يضيع منه شئ وقيل كاتبون
اى مثبتون جزاء حتى يوفر عليه عاملها مجموعة ومنه الكتيبة لانضمام رجالها طال وحرام على
قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اختلف فى معناها على وجوه احدها الا مزيدة والمعنى حرام
على قرية اهلكناها بالعقوبة ان يرجعوا الى دار الدنيا عن الجبائى وقيل معناه واجب عليها
انها اذا اهلكت لا ترجع الى دنياهم عن قتاده وعكرمه والكلبى قال عطاء يريد حتم منى وو
ان الله تعالى كتب على من اهلك ان لا يرجع الى الدنيا قضا منه حتما وفى ذلك تخويف لكفار مكه
بانهم ان عذبوا واهلكوا لم يرجعوا الى الدنيا كغيرهم من الامم المهلكة وقد جاء الحرام بمعنى
الواجب فى شعر الخنساء شعر وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على عمرو وثانيها
ان معناه حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب ان يتقبل منهم عمل لانهم لا يرجعون
احياء للمجازات عن ابى مسلم وروى محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلام انه قال كل قرية اهلكها الله
بعذاب فانهم لا يرجعون قوله تعالى حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ
مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا
لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا
وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ
الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ثمانى آيات القراة قراء ابى جعفر وابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد
والباقون بالتخفيف وقد ذكرنا اختلافهم فى ياجوج وماجوج فى سورة الكهف وفى الشواذ
قراءة ابن مسعود من كل جدث قراء ابن السميقع حصب جهنم ساكنة الصاد وقراء ابن عباس
حضب بالضاد مفتوحة وقراء على وعايشه والزبير وابى بن كعب وعكرمه حطب بالطاء
اللغة من خفف فتحت فلان المفعول فى الظاهر مسند الى هذين الاسمين او اراد فتح
سد ياجوج ومن شدد حمله على الكثرة فهو مثل مفتحة لهم الابواب والحدث القبر
بلغة الحجاز والجدف بالفاء بلغة تميم وفى الحطب لغات حطب حصب بالصاد وحضب بالضاد

ولا يقال حصب بالصاد الا اذا القي في التنور وفي الموقد وقال احمد ابن يحيى اصل الحصب الرمي
حطبا كان او غيره قال الاعشى ﴿ فلا تك في حربنا محصبا لتجعل قومك شتى شعوبا ﴾ وامثلها
شاكنا بالصاد والضاد فالطرح هو مصدر رفع موقع اسم المفعول كالخلق والصيد بمعنى
المخلوق والمصيد ﴿ الحدب الارتفاع من الارض بين الانخفاض والحدبة خروج الظهر ورجل
احدب والنسول الخروج عن ما الشيء الملابس يقال نسل ينسل وينسل قال امرؤ القيس فان يك
قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل ونسل ريش الطائر اذا سقط وقيل
النسول الخروج باسراع مثل نسلان الذئب قال عسلان الذئب امسى قاربا برد الليل عليه
فنسل وشخص المسافر شخوصا اي خرج من منزله وشخص من بلد الى بلد وشخص بصره اذا نظر
اليه كانه خرج اليه والحسيس الحس والحركه ﴿ واقترب الوعد قال الفراء معنى الواو الطرح
والمعنى اذا فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق قال الزجاج الواو لا يجوز ان يطرح
عند البصريين وجواب اذا عندهم قوله يا ويلنا وههنا قول محذوف اي قالوا يا ويلنا
وقوله فاذا هي شاخصة اذا ظرف مكان والعامل فيه شاخصة وهي ضمير القصة
في محل رفع بالابتداء وابصار الذين كفروا مبتدأ آخر وشاخصة خبر مقدم والجملة
خبر هي وقيل ان تمام الكلام عند قوله هي وتقديره فاذا هي بارزة واقعة يعني انها
من قربها كانها وقعت ثم ابتدأ فقال شاخصة ابصار الذين كفروا على تقديم الخبر
على المبتدأ ﴿المعنى﴾ لما تقدم انهم لا يرجعون الى الدنيا وعدهم بالرجوع الى الآخرة وبين علامة
ذلك فقال حتى اذا فتحت جهنم والمعنى سد ياجوج وماجوج بسقوط او هدم او كسر
وذلك من شرائط الساعة وهم من كل حدب ينسلون اي وهم يريد ياجوج وماجوج
اي من كل نشز من الارض يسرعون عن قتادة وابن مسعود والجبائي وابي مسلم يعني انهم
يتفرقون في الارض فلا يرى اكمة الا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين وقيل ان قوله هم
كناية عن الخلق يخرجون من قبورهم الى الحشر عن مجاهد وكان يقرأ من كل جدث
يعني القبر ويدل عليه قوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون واقترب الوعد
الحق اي الموعود الصدق ومعناه اقترب قيام الساعة فاذا هي شاخصة ابصار الذين

كفروا

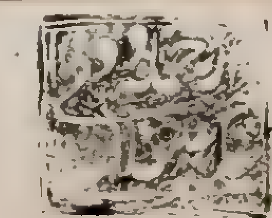
كفروا معناه فاذا القصة ان ابصار الذين كفروا تشخص في ذلك اليوم اي لا تكاد تطرف من شدة
ذلك اليوم وهوله ينظرون الى تلك الاهوال عن الكلبي يا ويلنا اي يقولون يا ويلنا قد كنا
في غفلة من هذا اشتغلنا بامور الدنيا وغفلنا عن هذا اليوم فلم نتفكر فيه بل كنا ظالمين
بان عصينا الله تعالى وعبدنا غيره ثم قال الله سبحانه انكم وما تعبدون من دون الله
يعني الاوثان حصب جهنم اي وقودها عن ابن عباس وقيل حطبها عن مجاهد وقتادة وعكرمة
واصل الحصب الرمي فالمراد انهم يرمون فيها كما يرمى بالحصباء عن الضحاك وابي مسلم
ويسأل عن هذا فيقال ان عيسى عليه السلام قد عبد والجواب انهم لا يدخلون في الآية لان ما
لما لا يعقل ولان الخطاب لاهل مكه وانما كانوا يعبدون الاصنام فان قيل واي فائدة في ادخال
الاصنام النار قيل يعذب بها المشركون الذين عبدوها فيكون زيادة في حسرتهم وغمهم ويجوز
ان يرمى بها في النار توبيخا للكفار حيث عبدوها وهي جماد لا تضر ولا تنفع وقيل ان المراد بقوله
وما تعبدون من دون الله الشياطين الذين دعوهم الى عبادة غير الله فاطاعوهم
وكانهم عبدوهم كما قال يا ابت لا تعبد الشيطان انتم لها واردون خطابا للكفار اي انتم
في جهنم خالدون وقيل ان معنى لها اليها كقوله بان ربك اوحى لها اي اليها لو كان هؤلاء
الاصنام والشياطين آلهة كما تزعمون ما وردوها اي ما دخلوا النار ولا امتنعوا منه
وكل من العابد والمعبود فيها اي في النار خالدون دائمون لهم فيها زفير اي صوت
كصوت الحمار وهو شدة تنفسهم في النار عند احراقها لهم وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمعون
ما يسرهم عن الجبائي ولا ما ينتفعون به وانما يسمعون صوت المعذبين وصوت
الملائكة الذين يعذبونهم ويسمعون ما يسوءهم عن الجبائي وقيل يجعلون في توابيت
من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره عن عبد الله
ابن مسعود قالوا ولما نزلت هذه الآية اتى عبد الله ابن الزبعرى رسول الله صلى الله عليه
وآله فقال يا محمد الست تزعم ان عزيرا رجل صالح وان عيسى رجل صالح وان مريم امراة
صالحة قال بلى قال فان هؤلاء يعبدون من دون الله فهم في النار فانزل الله تعالى ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم

خالدون الحسنى اى الموعدة بالجنة وقيل الحسنى السعادة عن ابن زيد وكانه يذهب الى الكلمة
بانه سيسعدوا والى العدة لهم على طاعتهم فان الحسنى وكلتا عنها مبعدون لا يسمعون
حسيسها اى يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الذى يحس وهم فيما اشتهت انفسهم من نعيم
الجنة وملاذها خالدون اى دائمون والشهوة طلب النفس اللذة يقال اشتهى شهوة وقيل
ان الذين سبقت لهم الحسنى عيسى وعزير والملائكة الذين عبدوا من دون الله وهم
كارهون استثناهم من جملة ما يعبدون من دون الله عن الحسن ومجاهد وقيل ان الاية عامة
فى كل من سبقت له الموعدة للسعادة لا يحزنهم الفزع الاكبر اى الخوف الاعظم وهو عذاب
النار اذا اطبقت على اهلها عن سعيد بن جبير وابن جريج وقيل هو النفخة الاخيرة لقوله
ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله عن ابن عباس وقيل
هو حين يؤمر بالعبد الى النار عن الحسن وقيل هو حين يذبح الموت على صورة كبش املح وينادى
يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى
صلى الله عليه وآله قال ثلثة على كثبان من مسك لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا يكترثون للحساب
رجل قرأ القرآن محتسبا ثم ام به قوما محتسبا ورجل اذن محتسبا ومملوك ادى حق الله عز وجل
وحق مواليه وتتلقاهم الملائكة اى تستقبلهم الملائكة للتهنئة يقولون لهم هذا يومكم الذى
كنتم توعدون فى الدنيا فابشروا بالامن والفوز قوله تعالى يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ
كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ
إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قُلْ إِنَّمَا
يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ
وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ
عَلَى مَا تَصِفُونَ تسع آيات القراءة قرأ ابو جعفر يوم تطوى بالتاء والضم السماء بالرفع
والباقون نطوى بالنون السماء بالنصب قرأ اهل الكوفة غير ابى بكر للكتب على الجمع والباقون

للكتاب

للكتاب وقرأ حفص قال رب والباقون قل رب وقرأ ابو جعفر رب احكم بضم الباء وقرأ زيد
عن يعقوب ربى احكم وهو قراءة ابن عباس وعكرمة والجحدرى وابن محيصن والباقون
رب احكم وفى الشواذ قراءة الحسن كطى السجل بسكون الجيم وقراءة ابى زرعة ابن عمرو السجل بضم
السين والجيم وتشديد اللام وقراءة ابى السمال السجل بفتح السين وسكون الجيم. الحجة
من قرأ يوم تطوى السماء فبنى الفعل للمفعول به ومن قرأ يوم نطوى السماء فالفاعل هو الله
سبحانه والمعنى واحد وفى انتصاب يوم وجهان عندى على احدهما ان يكون بدلا من الهاء المحذوفة
من الصلة الا ترى ان المعنى هذا يومكم الذى توعدونه والاخر ان يكون منتصبا بنعيد
والمعنى نعيد الخلق اعادة كابتدائه اى كابتداء الخلق ومثله فى المعنى كما بدأكم تعودون وتقديره
كما بدأ خلقكم يعود خلقكم فحذف المضاف فى الموضعين واقام المضاف اليه مقامه والمعنى
يعود خلقكم عودا كبدائه ومثله فى المعنى كما بدأنا اول خلق نعيده ومن المضاف افرد
الكتاب ولم يجمع فانه واحد يراد به الكثرة ومن قرأ الكتب فلان المراد به الجمع ومن قرأ
قال رب فانه ذكر الرسول ومن قرأ قل فهو على قل انت يا محمد وقراءة ابى جعفر رب احكم معناها
رب احكم وهى ضعيفة عند النحويين البصريين وقد جاء مثله فى المثل وهو قولهم اصبح
ليل واطرق كرا وافتد مخنوق وقد جاء فى الشعر وهو عجبت لعطار اتانا يسومنا بدسكرة
الموان دهن البنفسج فقلت له عطار هلا اتيتنا بنور الخزامى او بخوصة عرفج اراد يا عطار
ومن قرأ ربى احكم فالمعنى ظاهر الاعراب الكاف فى قوله كطى السجل فى محل النصب لانه صفة مصدر
محذوف وتقديره يطوى السماء طيا مثل طى السجل فان كانت السجل اسما للصحيفة فالمصدر
الذى هو طى مضاف الى المفعول فى المعنى وان كان اسم ملك او كاتب فهو مضاف الى الفاعل
فى المعنى فان كان مفعولا كان اللام بمعنى من اجل وان كان فاعلا كان اللام للاختصاص
وعدا علينا منصوب على المصدر قال الزجاج لان قوله نعيده بمعنى قد وعدنا ذلك
والاجود ان يقدر فاعلا محذوفا لان القراء يقفون على قوله نعيده قال الزجاج جامع
العلوم الكاف فى كما بدأنا من صلة نعيده وان كان متقدما ومثله كما علمه الله فليكتب
رحمة للعالمين نصب على الحال او على انه مفعول له وانما الهكم اله واحد فى محل رفع باسناد

يوحى اليه وقيامه مقام الفاعل وعلى سواء في موضع نصب على الحال بتوعدون في موضع رفع
بانه فاعل قريب لانه اعتمد على همزة الاستفهام فهو كقولهم اقائم اخواك ويجوز ان يكون مبتداء
وقريب خبره وعلى الوجهين فهو مفعول لا ادرى علقتها همزة الاستفهام والتقدير اقريب
ما توعدون ام بعيد فهو بعيد عطف على قريب لعله بالتاخير وان ادرى لعله
فتنة لكم فتنة لكم مفعول ادرى محذوف والتقدير ما ادرى كيف يكون الحال لا على يوم
نطوى السماء والمراد بالطى هنا هو الطى المعروف وان الله سبحانه يطوى السماء بقدرته
وقيل ان طى السماء ذهابها عن الحسن كطى السجل للكتاب والسجل صحيفة فيها الكتب
عن ابن عباس ومجاهد وقتاده والكلبى وعلى هذا فمعناه نطويها كما نطوى الصحيفه
المجعولة للكتاب ويجوز ان يكون المراد بالكتاب المكتوب وقيل ان السجل ملك يكتب اعمال
العباد عن ابن عمر والسدى وقيل هو ملك يطوى كتب بنى آدم اذا دفعت اليه عن عطاء
وقيل هو اسم كاتب للنبى صلى الله عليه وآله قال ابن عباس فى رواية كما بدأنا اول خلق نعيده
اى كما بدأناهم فى بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم روى ذلك مرفوعا
عن النبى صلى الله عليه وآله وقيل معناه نبعث الخلق كما ابتدأناه اى قدرتنا على الاعادة
كقدرتنا على الابتداء عن الحسن والزجاج وقيل معناه نعيد كل شى كما كان اول مرة
عن ابن عباس وعدا علينا اى وعدناكم ذلك وعدا انا كنا فاعلين ما وعدناكم من ذلك
ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قيل فيه اقوال احدها ان الزبور كتب الانبياء ومعناه
كتبنا فى الكتب التى انزلناها من بعد كتبته فى الذكر اى ام الكتاب الذى فى السماء وهو اللوح
المحفوظ عن سعيد ابن جبير ومجاهد وابن زيد وهو اختيار الزجاج قال لان الزبور
والكتاب بمعنى واحد زبرت وكتبت وثانيها ان الزبور الكتب المنزلة بعد التورية والذكر
هو التورية عن ابن عباس والضحاك وثالثها ان الزبور زبور داود والذكر تورية موسى
عن الشعبى وروى عنه ايضا ان الذكر القران وبعد بمعنى قبل ان الارض يرثها عبادى
الصالحون وقيل يعنى ارض الجنة يرثها عبادى المطيعون عن ابن عباس وسعيد ابن جبير
وابن زيد فهو مثل قوله واورثنا الارض وقوله الذين يرثون الفردوس وقيل هى الارض



المعروفة

المعروفة يرثها امة محمد صلى الله عليه وآله بالفتوح بعد اجلاء الكفار كما قال عليه السلام زويت لى الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها عن ابن عباس فى رواية
اخرى وقال ابو جعفر عليه السلام هم اصحاب المهدى فى آخر الزمان ويدل ذلك ما رواه الخاص
والعام عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله
ذلك اليوم حتى يبعث رجلا صالحا من اهل بيتى يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا
وقد اورد الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقى فى كتاب البعث والنشور اخبارا كثيرة فى المعنى
حدثنا بجميعها عنه حافده ابو الحسن عبيد الله ابن محمد بن احمد فى شهور سنه ثمانية عشرة
وخمسماية ثم قال فى اخر الباب فاما الحديث الذى اخبرنا ابو عبد الله الحافظ بالاسناد
عن محمد بن خالد الجندى عن ابان ابن صالح عن الحسن عن انس بن مالك ان النبى صلى الله
عليه وآله قال لا يزداد الامر الا شدة ولا الناس الا شحا ولا الدنيا الا ادبارا ولا تقوم الساعة
الا على شرار الناس ولا مهدى الا عيسى بن مريم فهذا حديث تفرد به محمد بن خالد الجندى
قال ابو عبد الله الحافظ ومحمد بن خالد رجل مجهول واختلف عليه فى اسناده فرواه
مرة عن ابان ابن صالح عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وآله ومرة عن ابان ابن ابى
عياش وهو متروك عن الحسن عن النبى ص وهو منقطع والاحاديث فى التنصيص على خروج
اصح اسنادا وفيها بيان كونه من عترة النبى صلى الله عليه وآله هذا لفظه ومن جملتها ما حدثنا
ابو الحسن حافده عنه قال اخبرنا ابو على الروذبارى قال اخبرنا ابو بكر قال حدثنا ابو داود
السجستانى فى كتاب السنن عن طرق كثيرة ذكرها ثم قال كلهم عن عاصم المقرى عن زر عن عبد
الله عن النبى صلى الله عليه وآله قال لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم
حتى يبعث فيه رجلا منى او من اهل بيتى وفى بعضها يواطى اسمه اسمى يملأ الارض قسطا وعدلا
كما ملئت ظلما وجورا وبالاسناد قال حدثنا ابو داود قال حدثنا احمد ابن ابرهيم قال حدثنى
عبد الله ابن جعفر الرقى قال حدثنى ابو المليح الحسن ابن عمر عن زياد ابن بيان عن على بن نفيل
عن سعيد بن المسيب عن ام سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول المهدى
من عترتى من ولد فاطمة ان فى هذا يعنى ان فى الذى اخبرناكم به مما توعدنا به الكفار

من النار والخلود فيها وما وعدنا به المؤمنين من الجنة والكون فيها وقيل معناه
ان في هذا القرآن ودلايله لبلاغا اي كفاية ووصلة الى البغية والبلاغ سبب الوصول
الى الحق لقوم عابدين لله مخلصين له قال كعب هم امة محمد الذين يصلون الصلوة
الخمس ويصومون شهر رمضان سماهم عابدين وما ارسلناك يا محمد الا رحمة للعالمين
اي نعمة عليهم قال ابن عباس رحمة للبر والفاجر والمؤمن والكافر فهو رحمة للمؤمن
في الدنيا والاخرة ورحمة للكافرين بان عوفي مما اصاب الامم من الخسف والمسخ وروي
ان النبي صلى الله عليه واله قال لجبرئيل لما نزلت هذه الاية هل اصابك من هذه الرحمة
شيء قال نعم اني كنت اخشى عاقبة الامر فامنت بك لما اثنى الله علي بقوله ذي قوة عند
ذي العرش مكين وقد قال صلى الله عليه واله انما انا رحمة مهداة وقيل ان الوجه
في انه نعمة على الكافر انه عرضه للايمان والثواب الدائم وهداه وان لم يهتد
كمن قدم الطعام الى جايع فلم ياكل فانه منعم عليه وان لم يقبل وفي الاية دلالة على
بطلان قول اهل الجبر في انه ليس لله على الكافر نعمة فانه سبحانه بين ان في ارسال
محمد نعمة على العالمين وعلى كل من ارسل اليهم ثم قال له عليه السلم قل انما يوحى الي انما الهكم
اله واحد فهل انتم مسلمون اي مستسلمون منقادون لذلك بان تتركوا عبادة
غير الله وقيل معناه الامر اي اسلموا كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا فان تولوا
اي اعرضوا ولم يسلموا فقل اذنتكم اي اعلمتكم بما يجب الاعلام به على سواء في الايذان
لم ابين الحق لقوم دون قوم ولم اكتمه عن قوم دون قوم وفي هذا دلالة على
بطلان قول اصحاب الرموز وان للقران بواطن خص بالعلم بها اقوام وان ادري
اي وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون يعني اجل يوم القيمة فان الله تعالى
هو العالم بذلك وقيل معناه اذنتكم بالحرب ولا ادري متى يؤذن فيه انه يعلم الجهر
من القول ويعلم ما تكتمون اي الله يعلم السر والعلانية وان ادري اي وما ادري
لعله كناية عن غير مذكور فتنة لكم اي لعل ما اذنتكم به اختبار لكم وشدة تكليف
ليظهر صنيعكم عن الزجاج وقيل لعل هذه الدنيا فتنة لكم عن الحسن وقيل لعل تاخير العذاب

محنة

محنة واختبار لكم لترجعوا عما انتم عليه ومتاع الى حين اي تمتعون الى وقت انقضاء اجالكم
قل رب احكم بالحق اي فوض يا محمد امورك الى الله فقل يا رب احكم بيني وبين من كذبني بالحق
قال قتادة كان النبي عليه السلم اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق اي افصل بيني وبين المشركين بما
يظهر به الحق للجميع وقيل معناه احكم بحكمك الحق وهو اظهار الحق على الباطل وربنا الرحمن
الذي يرحم عباده المستعان الذي يعينهم في امورهم فجمع بين الرحمة والمعونة اللذين
تضمنتا اصول النعم على ما تصفون من كذبهم وباطلكم في قولكم هل هذا الا بشر مثلكم وقولكم
اتخذ الرحمن ولدا وقيل معناه وربنا المستعان على دفع ما تصفون سورة الحج
عن ابن عباس وعطاء الا ايات قال الحسن هي مدنية غير ايات نزلت في السفر وقال بعضهم غير
ست ايات وقال بعضهم غير اربع ايات عدد اييها ثمان وتسعون اية كوفي سبع مكي ست مدني خمسة
بصري اربع شامي اختلافها خمس ايات الحميم والجلود كلاهما كوفي وعاد وثمود غير الشامي
وقوم لوط حجازي كوفي سماكم المسلمين مكي فضلها ابي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه
واله من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى
وفيما بقي وقال ابو عبد الله عليه السلم من قراها في كل ثلاثة ايام لم يخرج سنته حتى يخرج الى بيت
الله الحرام وان مات في سفره دخل الجنة تفسيرها لما ختم سورة الانبياء بالدعاء
الى التوحيد والاعلام بان نبيه رحمة للعالمين افتتح هذه السورة بخطاب المكلفين ليتقوا
الشرك ومخالفة الدين فقال بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل
مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان
مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام
ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم

مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ خمس آيات القراءة قرأ
اهل الكوفة غير عاصم سكرى وما هم بسكرى والباقون سكارى في الموضعين وفي
الشواذ قراءة الاعرج والحسن بخلاف فسكرى بضم السين وقرأ ابو جعفر وربأت بالهمز ههنا وفي حم
والباقون وربت اللغة قالوا رجل سكران وامرأة سكرى والجمع سكارى وسكارى بضم
السين وفتحها الا ان القراءة بالضم واما سكرى في الجمع فهو مثل صرعى وجرحى وذلك ان السكر
كانه علة لحقت عقولهم كما ان الصرع والجرح علة لحقت اجسامهم وفعلى مختص في الجمع بالمبتلين
كالمرضى والسقمى والهلكى واما سكرى بالضم فيجوز ان يكون اسما مفردا على فعلى بمعنى الجمع واما
قوله ربت فهو من ربا يربو اذا زاد واما الهمز فربأت لقوم اذا اشرفت عليهم عاليا
وهنا كانه ذهب الى علو الارض لما فيها من افراط الربو فاذا وصف علوها دل على ان
الزيادة شاعت فيها الاعراب الزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحال الهائلة وقيل اصله
زل فضوعف للمبالغة واباه البصريون قالوا ان زل ثلاثي وزلزل رباعي وان اتفق
بعض الحروف في الكلمتين لانه لا يمتنع مثل هذا الا ترى انهم يقولون دمث ودمثر وصبط
وصبطر وليس احدهما مأخوذا من الاخر وان كان معناهما واحدا لان الراء ليست من حروف
الزيادة والزلزال بالفتح الاسم وقال الشاعر شعر يعرف الجاهل المضلل ان الدهر فيه النكراء
والزلزال والذهول الذهاب عن الشيء دهشا وحيرة يقال ذهب عنه يذهل ذهولا
وذهل بمعنى والذهل السلو قال صحا قلبه يا عز او كاد يذهل والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن
او على رأس شجرة والحمل بكسر الحاء ما كان على ظهر او على رأس المريد المتجرد للفساد
وقيل ان اصله الملاسة فكان متملس من الخير ومن صخرة مرداء اي ملساء ومنه الامرد
والمرد من البناء المتطاول المتجاوز والمضغة مقدار ما يمضغ من اللحم والهمود والدروس
قال الاعشى شعر قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا وارى ثيابك باليات همدا والبهيج
الحسن الصورة العامل في يوم ترونها قوله تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عما ارضعته
ويجوز ان يكون ما مصدرية فيكون التقدير اي تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عن ارضاعها

والدثور

ولدها

ولدها ومفعول ارضعت محذوف على الوجهين ومرضعة جار على الفعل يقال امرأة مرضع اي ذات
رضاع ارضعت ولدها او لم ترضعه غيرها ومرضعة ترضع قال امرؤ القيس شعر فمثلك حبلى قد طرقت
ومرضع فالهيتها عن ذي تمائم محول وسكارى نصب على الحال وان جعلت ترى بمعنى الظن فهو المفعول
الثاني له كتب عليه انه من تولاه فانه يضله الهاء في عليه تعود الى الشيطان والهاء في انه
يحتمل وجهين احدهما ان يكون ضمير الامر والشان والاخر ان يكون عائدا الى الشيطان واما فتح
ان في قوله فانه يضله على احد وجهين ان يكون عطفا على الاول للتاكيد والمعنى كتب عليه ان من تولاه
يضله وتاويله كتب على الشيطان اضلال متوليه وهدايتهم الى عذاب السعير هذا قول الزجاج
وفيه نظر لان الاصل في التوكيد ان لا يدخل حرف العطف بين المؤكد والمؤكد فالقول الصحيح فيه
ان يكون على معنى فالشان انه يضله فيكون مبنيا على مبتدأ مضمر ونقر مرفوع بالعطف على خلقناكم
ولنبين مستأنف ويكون خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نقر وما نشاء يجوز ان يكون مفعول نقر
ويجوز ان يكون ظرف زمان ويكون مفعول نقر محذوفا وتقديره ونقر في الارحام الولد مدة
مسمى وطفلا منصوب على الحال ثم لتبلغوا اي لان تبلغوا والجار والمجرور معطوف على محذوف
تقديره لترضعوه وتنشئوا ثم لتبلغوا اشدكم لكيلا يعلم اذا اجتمع اللام بمعنى كي مع كي فاللام
للام وكي يكون بمعنى ان واللام يتعلق بيرد قال عمران بن الحصين وابو سعيد الخدري
نزلت الايتان من اول السورة ليلا في غزاة بني المصطلق وهم حي من خزاعة والناس يسيرون
فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وآله
وقرأها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب
ولم يضربوا الخيام والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وآله اتدرون اي يوم ذاك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذاك يوم يقول الله تعالى
لآدم ابعث بعث النار من ولدك فيقول آدم من كم وكم فيقول عز وجل من كل الف تسعمائة
وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو يا رسول
الله فقال صلى الله عليه وآله ابشروا فان معكم خليقتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيء الا كثرتاه
ما انتم في الناس الا كشعرة بيضاء في الثور الاسود او كرقم في ذراع البكر او كشامة في جنب البعير

قال انی لارجو ان تکونوا ربع اهل الجنة فکبروا ثم قال انی لارجو ان یکونوا ثلث اهل الجنة فکبروا ثم
انی لارجو ان تکونوا ثلثی اهل الجنة وهم مایة وعشرون صفا ثمانون منها امتی ثم قال ویدخل
من امتی سبعون الفا الجنة بغیر حساب فی بعض الروایات قال یا رسول الله سبعون الفا
قال نعم ومع کل واحد سبعون الفا فقام عکاشة ابن محصن فقال یا رسول الله ادع الله
ان یجعلنی منهم فقال قد سبقك بها عکاشة قال ابن عباس کان الانصاری منافقا فلذلك
لم یدع له خاطب سبحانه جمیع المکلفین فقال یا ایها الناس اتقوا ربکم معناه یا ایها
العقلاء المکلفون اتقوا عذاب ربکم واخشوا معصیة ربکم کما یقال احذر الاسد والمراد
احذر افتراسه لا عینه ان زلزلة الساعة ای زلزلة الارض یوم القیمة عن ابن عباس
والحسن والسدی والمعنی انها تقارن قیام الساعة وتکون معها وقیل ان هذه الزلزلة قبل
قیام الساعة وانما اضافها الی الساعة لانها من اشراط ظهورها وآیات مجیها عن علقمة
والشعبی شیء عظیم ای امر عظیم هایل لا یطاق وقیل معناه ان شدة یوم القیمة امر صعب وفی هذا
دلالة علی ان المعدوم یسمی شیئا فان الله سبحانه سماها شیئا وهی معدومة یوم ترونها
معناه یوم ترون الزلزلة او الساعة تذهل کل مرضعة عما ارضعت ای تشتغل کل مرضعة
عن ولدها وتنساه وقیل تسلو عن ولدها وتضع کل ذات حمل حملها ای تضع الحبالی ما فی بطونها
فی هذا دلالة علی ان الزلزلة تکون فی الدنیا فان الرضاع ووضع الحمل انما یتصور فی الدنیا قال الحسن
تذهل المرضعة عن ولدها لغیر فطام وتضع الحامل ما فی بطنها لغیر تمام ومن قال المراد به
یوم القیمة قال انه تهویل لامر القیمة وتعظیم لما فیه من الشداید ای لو کان ثم مرضعة لذهلت
او حامل لوضعت وان لم یکن هناك حامل ولا مرضعة وتری الناس سکاری من شدة الخوف
والفزع وما هم بسکاری من الشراب وقیل معناه کانهم سکاری من ذهول عقولهم لشدة ما یمر
بهم لانهم یضطربون اضطراب السکران ثم علل سبحانه ذلك فقال ولکن عذاب الله شدید
فمن شدته یصیبهم ما یصیبهم ومن الناس من یجادل فی الله بغیر علم هذا اخبار عن المشرکین
الذین یخاصمون فی توحید الله سبحانه ونفی الشرك عنه بغیر علم منهم بل للجهل المحض وقیل
المراد به النضر بن الحرث فانه کان کثیر الجدال وکان یقول الملائکة بنات الله والقرآن اساطیر

الاولین وینکر البعث ویتبع کل شیطان مرید یغویه عن الهدی ویدعوه الی الضلال وقال
المراد بالآیة النضر بن الحرث فالمراد بالشیطان المرید شیطان الانس لانه کان یاخذ من
الاعاجم والیهود ما یطعن به علی المسلمین کتب علیه انه من تولاه فانه یضله معناه کل
متبع کل شیطان کتب الله علی ذلك الشیطان فی اللوح المحفوظ انه یضل من تولاه فکیف
یتبع مثله ویعدل بقوله عمن دعاه الی الرحمة وقیل معناه کتب علی الشیطان انه من تولاه
اضله الله تعالی وقیل معناه کتب علی المجادل بالباطل ان من اتبعه ووالاه یضله عن
الدین ویهدیه الی عذاب السعیر ثم ذکر سبحانه الحجة فی البعث لان اکثر الجدال کان فیه
فقال یا ایها الناس ان کنتم فی ریب ای شك من البعث والنشور والریب قبح الشك
فانا خلقناکم من تراب معناه فالدلیل علی صحته انا خلقنا اصلکم آدم وهو من تراب
فمن قدر علی ان یصیر التراب بشرا سویا حیا فی الابتداء قدر ان یحیی العظام ویعید
الاموات ثم من نطفة معناه ثم خلقنا اولاده ونسله من نطفة فی ارحام الامهات
وهی الماء القلیل ویکون من الذکر والانثی وکل ماء صاف فهو نطفة قل ام کثر ثم من علقة
بان تصیر النطفة علقة وهی القطعة من الدم الجامد ثم من مضغة ای شبه قطعة
من اللحم ممضوغة فان معنی المضغة مقدار ما یمضغ من اللحم مخلقة وغیر مخلقة ای تامة الخلق
وغیر تامة عن ابن عباس وقتادة وقیل مصورة وغیر مصورة وهی ما کان سقطا لا تخطیط
فیه ولا تصویر عن مجاهد لنبین لکم معناه لندلکم علی مقدورنا بتصریفکم فی ضروب الخلق
او لنبین لکم ان من قدر علی الابتداء قدر علی الاعادة او لنبین لکم ما یزیل ریبکم فی البعث
ونقر فی الارحام ما نشاء الی اجل مسمی معناه ونبقی فی ارحام الامهات ما نشاء الی وقت تمامه
عن مجاهد وقیل ونقر من قدرنا له اجلا مسمی فی رحم امه الی اجله ثم نخرجکم طفلا ای نخرجکم
من بطون امهاتکم وانتم اطفال والطفل الصغیر من الناس وانما وحد والمراد به الجمع لانه بمعنی المصدر
کقولهم رجل عدل ورجال عدل وقیل اراد ثم یخرج کل واحد منکم طفلا ثم لتبلغوا اشدکم وهو حال اجتماع
العقل والقوة وتمام الخلق وقیل هو وقت الاحتلام والبلوغ وقد سبق تفسیر الاشد واختلاف
العلماء فی معناه ومنکم من یتوفی ای قبل بلوغ الاشد ای تقبض روحه فیموت فی حال صغره

او شبابه ومنكم من يرد الى ارذل العمر اى اسوء العمر واخسه عند اهله وقيل الخرف واهونه
وهي حال الخرف وانما صار ارذل العمر لان الانسان لا يرجو بعد صحة وقوة وانما يترقب الموت
والفنا بخلاف حال الطفولية والضعف الذى يرجى له الكمال والتمام بعدها لكيلا يعلم
من بعد علم شيئا اى لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان به عالما وقيل معناه لكى يصير الى حال
يعدم عقله او يذهب عنه علومه هرما فلا يعلم شيئا مما كان علمه واذا ذهب اكثر علومه جاز
ان يطلق عليه ذهاب الجميع قال عكرمة من قراء القران لم يصير بهذه الحالة واحتج بقوله
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال الا ى قروا القران ثم ذكر سبحانه
دلالة اخرى على البعث فقال وترى الارض هامدة يعنى هالكة عن مجاهد اى يابسة دارسة من اثر
النبات فاذا انزلنا عليها الماء وهو المطر اهتزت اى تحركت بالنبات والاهتزاز شدة
الحركة فى الجهات وربت اى زادت وانبتت اى اضعفت نباتها وقيل انتفخت لظهور نباتها
عن الحسن يعنى الارض من كل زوج اى من كل صنف بهيج موفق للعين حسن الصورة واللون
قوله تعالى ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَاَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتٰى وَاَنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاَنَّ السَّاعَةَ اٰتِيَةٌ
لَا رَيْبَ فِيهَا وَاَنَّ اللّٰهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا
هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ
يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَاَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ
خمس آيات القراءة ثانى عطفه منصوب على الحال تقديره ثانيا عطف له فى الدنيا
خزى له خزى مبتداء وخبره وفى يتعلق بما يتعلق به اللام والمبتداء وخبره فى محل الرفع
بانه خبر من يجادل خبر بعد خبر ذلك بان الله هو الحق وذلك بما قدمت يداك
يجوز ان يكون ذلك مبتداء والجار والمجرور فى موضع الخبر ويجوز ان يكون التقدير
الامر ذلك فيكون ذلك خبر مبتداء محذوف لما قدم سبحانه ذكر الادلة عقبه
بما يتصل اليه فقال ذلك بان الله هو الحق معناه ذلك الذى سبق ذكره من تصريف
الخلق على هذه الاحوال واخراج النبات بسبب ان الله هو الحق اى لتعلموا انه الذى يحق له
العبادة دون غيره وقيل هو الذى يستحق صفات التعظيم وانه يحيي الموتى لان من قدر على انشاء

الخلق فانه يقدر على اعادته وانه على كل شئ قدير واما العبد ومات فيقدر على ايجاده
واما الموجودات فيقدر على افنائها واعادتها ويقدر على جميع الاجناس
ومن كل جنس على ما لا نهاية له وان الساعة اتية لا ريب فيها اى وليعلموا ان
القيمة اتية لا شك فيها وان الله يبعث من فى القبور اى يحييهم للجزاء لان ما ذكرنا
يدل على البعث على الوجه الذى بيناه ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم سبق
تفسيره ولا هدى اى لا يرجع فيما يقوله الى علم ولا دلالة ولا كتاب منير اى مضىء له نور
يؤدى من تمسك به الى الحق والمعنى انه لا يتبع ادلة العقل ولا ادلة السمع وانما يتبع
الهوى والتقليد وفى هذا دلالة على ان الجدال بالعلم صواب وبغير العلم خطاء لان
الجدال بالعلم يدعوا الى اعتقاد الحق وبغير العلم يدعوا الى اعتقاد الباطل ثانى عطفه
اى متكبرا فى نفسه عن ابن عباس يقول العرب ثنى فلان عطفه اذا تكبر وتجبر وعطفا
الرجل جانباه من يمين وشمال وهو موضع يعطفه الانسان اى يلويه ويميله
عند الاعراض عن الشئ وقيل معناه لاوى عنقه اعراضا عن الله ورسوله عن قتاده
ومجاهد ليضل عن سبيل الله اى ليضل الناس عن الدين ومن فتح الياء اراد
ليضل عن طريق الحق المودى الى توحيد الله له فى الدنيا خزى اى هوان وذل و
فضيحة بما يجرى على السنة المؤمنين من الذم وبالقتل وغير ذلك ونذيقه يوم
القيمة عذاب الحريق اى النار التى تحرقهم ذلك اى يقال له ذلك العذاب بما قدمت
يداك اى بما كسبت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد فى تعذيبهم لان الله لا يظلم
ولا يعاقب ابتداء ولا يزيد على الجزاء وفى هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة
الذين ينسبون كل ظلم فى العالم اليه قوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ عَلٰى حَرْفٍ
فَاِنْ اَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَاَنَّ بِهِ وَاِنْ اَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلٰى وَجْهِهِ خَسِرَ
الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا
يَنْفَعُهُ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ اَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلٰى
وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ اِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

لا انهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ خمس آيات

القراة قراء روح وزيد عن يعقوب خاسر الدنيا والاخرة بالجر وهو قراة مجاهد وحميد وابن قيس والباقون خسر بغير الف والاخرة بالنصب قراء اهل البصرة وابن عامر وورش ثم ليقطع بكسر اللام والباقون بسكونها وكذلك ثم ليقضوا وزاد ابن عامر وليوفوا وليطوفوا بالكسر فيهما ايضا وقراء ابو بكر وليطوفوا بتشديد الفاء والاعشى عنه بكسر اللام ايضا والباقون وليوفوا ساكنة الواو خفيفة الفاء الاعراب من قرا خاسر الدنيا والاخرة فان هذه الجملة يكون بدلا من قوله انقلب على وجهه فكانه قال وان اصابته فتنة خسر الدنيا والاخرة ومثله قول الشاعر شعر ان تجبنوا وتعذروا وتبخلوا لا تحفلوا بغدا عليك مرحلين كانهم لا يفعلوا فقوله بغدوا عليك بدل من لا تحفلوا ومن قراه خاسر الدنيا والاخرة فانه منصوب على الحال واما قوله ثم ليقطع فان اصل هذه اللام الكسر فاذا دخلها الواو والفاء او ثم فمن اسكنها مع الفاء والواو فلان الفاء والواو يصيران كشي من نفس الكلمة لان كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه فصار بمنزلة كتف وفخذ فاما ثم فهو منفصل الكلام من الكلمة وليست كالواو والفاء فمن اسكن اللام منها شبه الميم في ثم بالفاء والواو وجعله كقولهم اراك مستعجلا كقول العجاج اراك منتصبا وما تكردسا ومثل ذلك قولهم وهي فهي شعر الحرف الطرف والجانب نظاير والاطمينان التمكن والفتنة ههنا المحنة والانقلاب الرجوع والعشير الصاحب المعاشر اي المخالط والنصرة المعونة وقيل ان النصرة ههنا الرزق يقول العرب من ينصرني نصره الله اي من اعطاني اعطاه الله قال الفقعسي وانك لا تعطي امرا فوق حظه ولا تملك الشق الغيث ناصره اي معطيه وجائده ويقال نصر الله ارض فلان اي جاد عليها بالمطر والسبب كل ما يتوصل به الى الشي ومنه قيل للحبل سبب وللطريق سبب وللباب سبب يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه قال الزجاج اختلف الناس في تفسير هذه اللام فقال البصريون والكوفيون معنى هذه اللام التاخير والتقدير يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه ولم يشرحوه

قال وشرحه

قال وشرحه ان اللام لليمين والتوكيد فحقها ان يكون في اول الكلام فقدمت ليجعل في حقها وان كان في اصلها ان يكون في اخره كما ان اللام ان حقها ان يكون في الابتداء فلما لم يجوز ان يلي ان جعلت في الخبر في مثل قولك ان زيدا لقايم فهذا قول وقالوا ايضا ان يدعوا معه هاء مضمر وان ذلك في موضع رفع ويدعوه في موضع الحال المعنى ذلك هو الضلال البعيد يدعوا اي في حال دعائه اياه ويكون لمن ضره اقرب مستانفا مرفوعا بالابتداء وخبره لبئس المولى ولبئس العشير وفيه وجه آخر اغفله الناس وهو ان يكون ذلك في تاويل الذي هو في موضع نصب لوقوع يدعوا عليه ويكون لمن ضره مستانفا وهو مثل قوله وما تلك بيمينك يا موسى وما التي بيمينك وقال ابو علي ان اللامات التي هي حروف داله على معاني سوى الجارة التي للام على اربعة اضرب احدها تدخل على خبر ان اذا خففت او على غير خبرها ليفصل بين ان النافية والموكدة مثل قوله وان كانوا ليقولون وان كان ليضلنا والثاني يختص بالدخول على الفعل المضارع والماضي ويكون جوابا للقسم نحو قوله لاملان جهنم وقول امرء القيس لناموا فما ان من حديث ولا صال والثالث يدخل في الشرط اذا كان جزاوه معتمدا على قسم نحو قوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا والرابع يختص بالدخول على الاسماء المبتداة وهي التي يدخل على خبر ان ويدخل على الفعل المضارع اذا كان للحال وكان خبر لان وهو واحد جهتي مضارعة الفعل المضارع الاسم وقد يدخل هذه اللام في ضرورة الشعر على خبر المبتدا في غير ان وذلك كقوله ام الحليس لعجوز شهربه وكما حكى ابو الحسن في حكاية نادرة ان زيدا وجهه لحسن فاذا كان هذه اللام حقها ان تدخل على المبتدا او على اسم ان وخبرها من حيث دخل على المبتدا وكان دخولها على خبر المبتدا ضرورة مع انه المبتدا في المعنى فدخوله على الموصول والمراد به الصلة ينبغي ان لا يجوز لان الصلة ليست بالموصول كما ان خبر المبتدا المبتدا فمن زعم ان اللام اذا كان حكمها ان يكون في الصلة ثم قدم الى الموصول فذلك غير سايغ كما ان سائر ما يكون في الصلة لا يتقدم على الموصول قال والوجه في ذلك ان يجعل قوله يدعوا تكرارا للفعل الاول على جهة تكثير هذا الفعل هو الدعاء من فاعله ولا يجعلها متعدية اذا انعدت مرة ويجوز ان يجعل مع يدعوا هاء

مضمومة ويكون في موضع نصب على الحال من ذلك فكانه قال ذلك هو الضلال البعيد يدعوا
ويجوز ان يجعل ذلك هو الضلال البعيد مفعول يدعوا على ان يكون ذلك في معنى الذي ويكون
هو الضلال البعيد صلة كما قال ابو اسحاق ايضا فيكون اللام في هذه الوجوه داخلة على
اسم مبتداء وموصول ولا موضع للجملة التي هي لمن ضره اقرب من نفعه الاية لانها لا تقع
موقع مفرد ويكون اللام في قوله لبئس المولى ولبئس العشير في موضع رفع لو قوع خبر
المبتداء ويكون هذه اللام لليمين فهذا ما يجب ان تحمل الاية عليه واقول ان اعرابه على
الوجه الاول ان يكون ما لا يضره مفعول يدعوا وما لا ينفعه معطوفا عليه وذلك مبتدا
وهو الضلال البعيد خبره وهو يدعو تكرار للفعل الاول وعلى الوجه الثاني يكون مصدرا
يدعو خاليا من معنى الاشارة في ذلك وعلى الوجه الثالث يكون ذلك اسما موصولا بمعنى الذي
والجملة صلة والموصول والصلة في موضع النصب بانه المفعول ليدعوا واللام في لمن ضره
لام الابتداء والموصول والصلة في موضع الرفع بالابتداء ولبئس المولى جواب القسم والقسم
في موضع رفع بانه خبر المبتداء والعايد الى المبتداء هو الضمير المحذوف من الجملة لان التقدير
لبئس المولى لبئس العشير هو قال الزجاج وفيه وجه آخر وهو ان يكون يدعوا في معنى يقول
ويكون من في موضع رفع وخبره محذوف ويكون المعنى لمن ضره اقرب من نفعه هو مولاي
ومثله قول عنترة يدعون عنتر والرماح كانها اشطان بير في لبان الادهم اي يقولون يا عنتر
ويجوز ان يكون يدعوا في معنى يسمي كما قال ابن احمر اهوى لها مستقصا حتى اذا فشرقها وكنت
ادعوا قذاها الاثمد القرد او اقول انما قال خبر المبتداء هنا محذوف لان من يعبد القسم
لا يقول لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى فلذلك قدر الخبر محذوفا الاعراب قيل نزلت الاية
من الناس من يعبد الله على حرف في جماعة كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه
وآله المدينة فكان احدهم اذا صح جسمه ونتجت فرسه وولدت امراته غلاما وكثرت
ماشيته رضي به واطمان اليه وان اصابه وجع المدينة وولدت امراته جارية قال ما
اصبت في هذا الدين الا شرا عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر الكفار وما تعاطوه من الجدال
ذكر سبحانه بعده حال المقلدة الضلال والدعاة الى الضلال فقال ومن الناس من يعبد الله

على حرف

على حرف اي على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف اي طرف جبل ونحوه عن علي بن عيسى قال
وذلك من اضطرابه في طريق العلم اذا لم يتمكن في الدلائل المؤدية الى الحق فينقاد لادنى شبهة
لا يمكنه حلها وقيل على حرف اي على شك عن مجاهد وقيل معناه انه يعبد الله بلسانه دون قلبه
عن الحسن قال الدين حرفان احدهما اللسان والثاني القلب فمن اعترف بلسانه ولم يساعد
قلبه فهو على حرف فان اصابه خير اطمان به اي ان اصابه رخاء وعافية وخصب وكثرة مال
اطمان على عبادة الله بذلك الخير وان اصابته فتنة اي اختبار بجدب وقلة مال انقلب
على وجهه اي رجع عن دينه الى الكفر والمعنى انصرف الى وجهه الذي يتوجه منه وهو الكفر
خسر الدنيا والاخرة اي خسر الدنيا بفراقه وخسر الاخرة بنفاقه ذلك هو الخسران المبين
اي الضرر الظاهر لفساد عاجله واجله وقيل خسر في الدنيا العز والغنيمة وفي الاخرة الثواب
والجنة يدعوا من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه اي يدعوا هذا المرتد بعبادته سوى الله
ما لا يضره ان لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده ذلك الذي فعل هو الضلال البعيد عن الحق
والرشد يدعو وعلى الوجه الاخر معناه يدعوا الذي هو الضلال البعيد لمن ضره اقرب
من نفعه قال السدي ويعني الذي ضره في الاخرة بعبادته اياه اقرب من النفع وان كان لا نفع
عنده ولكن العرب يقول لما لا يكون هذا بعيد ونفع الصنم بعيد لانه لا يكون فلما كان
نفعه بعيدا قيل لضره انه اقرب من نفعه على معنى انه كائن لبئس المولى اي لبئس الناصر هو
ولبئس العشير الصاحب المعاشر المخالط هو يعني الصنم يخالطه العابد ويصاحبه ولما
ذكر الشاك في الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين على الايمان فقال ان الله يدخل
الذين امنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
ان الله يفعل ما يريد باوليائه واهل طاعته من الكرامة وباعدائه واهل معصيته
من الاهانة لا يدفعه دافع ولا يمنعه مانع ثم قال من كان يظن ان لن ينصره الله الهاء
في ينصره عائدة الى النبي صلى الله عليه وآله عن ابن عباس وقتاده والمعنى من كان يظن ان
الله لن ينصر نبيه محمدا ولا يعينه على عدوه في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء
اي فليمدد حبلا في سقفه ثم ليقطع اي ليمد ذلك الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا والمعنى

فليختنق غيظا حتى يموت فان الله ناصره ولا ينفعه غيظه عن قتاده واكثر المفسرين وقيل فليمدد
بسبب الى السماء معناه فليطلب شيئا يصل به الى السماء المعروفه ثم ليقطع نصر الله ووحي الله
عن محمد ولينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ من نصر الله له ونزول الوحي عليه اى لا يتهيأ لهم ازالة ما يغيظهم
من امر رسول الله صلى الله عليه وآله ونصره على اعدائه دائما وانما ذكر السماء لان النصر يأتيه
من قبل السماء ومن الملائكة عن الجبائي وقيل ان الهاء في ينصره عائدة الى من عن مجاهد
والضحاك وابو مسلم ثم اختلف في معناه فقيل من كان يظن من الناس ان الله لا ينصره فليجهد
جهده وليصعد السماء ثم ليقطع المسافه فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ هل ينفعه
كيده في ازالة غيظه لما يدعى اليه من دين الله فان الذي حكم الله به لا يبطل بكيد الكايد
عن ابي مسلم وقيل المراد بالنصر الرزق ويقال الارض منصورة اى ممطورة والمعنى من ظن
ان الله لا يرزقه بهذا النوع من الكيد كذلك عليه بانواع الكيد وهذا مثل ضربه
الله لهذا الجاهل الذي يسخط لما اعطاه الله اى مثله مثل من فعل بنفسه هذا قوله عز وجل
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ
وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ثلاث آيات الاعراب خبر ان الاولى جملة الكلام مع ان
الثانية وزعم الفراء ان قولك ان زيدا انه لقايم كان جيدا قال جرير شعر ان الخليفة
ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم المعنى ثم بين سبحانه ان نزل الايات حجة على
الخلق فقال وكذلك اى ومثل ما تقدم من آيات القرآن انزلناه يعني القرآن آيات
بينات اى حججا واضحات على التوحيد والعدل والشرايع وان الله يهدي من يريد
اى وانزلنا اليك ان الله يهدي الى الدين من يريد وقيل الى النبوة وقيل الى الثواب
وقيل يهدي من يهتدي بهداه ان الذين آمنوا بمحمد والذين هادوا وهم اليهود والصابئين

والنصارى

والنصارى والمجوس والذين اشركوا ظاهر المعنى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة اى يبين
المحق من المبطل بما يضطر الى العلم بصحة الصحيح فيبيض وجه المحق ويسود وجه المبطل
والفصل التمييز بين الحق والباطل ان الله على كل شيء شهيد اى عليم مطلع على ما من شانه
ان يشاهد يعلمه قبل ان يكون لانه علام الغيوب ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله
والمراد به جميع المكلفين فقال الم تر الم تعلم ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
من العقلاء والتمييز ويسجد الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ووصف سبحانه
هذه الاشياء بالسجود والخضوع والذل والانقياد لخالقها فيما يريد منها وكثير
من الناس يعني المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتدأ
فقال وكثير حق عليه العذاب اى ممن ابى السجود ولا يوحده سبحانه قال الفراء قوله وكثير
حق عليه لانه لا يحق عليه العذاب الا بتركه السجود ومن يهن الله فما له من مكرم معناه
من يهنه الله بان يشقيه ويدخله جهنم فما له من مكرم بالسعادة اى بادخاله الجنة
لانه لا يملك العقوبة والمثوبة سواه ان الله يفعل ما يشاء من الانعام والانتقام بالفريقين
لفريقين من المؤمنين والكافرين قوله تعالى هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ
فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ
مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ
أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ
الْحَمِيدِ خمس آيات القراءة قرأ اهل المدينه وعاصم ولؤلؤا بالنصب وفي سورة
فاطر مثله والباقون بالجر في الموضعين الا يعقوب فانه قرأ ههنا بالنصب وفي فاطر
بالجر وترك ابو جعفر وابو بكر وشجاع الهمزة الاولى في جميع القرآن وفي الشواذ قراءة
ابن عباس يحلون بفتح الياء وتخفيف اللام الحجة قال ابو علي وجه الجر في لؤلؤ انهم
يحلون فيها من اساور من ذهب ومن لؤلؤ ووجه النصب انه على ويحلون لؤلؤا ويجوز

ان يكون عطفا على موضع الجار والمجرور لان المعنى يحلون فيها من اساور يحلون اساور
وقال ابن جنى يحلون من حلى يحلى يقال لم احل منه بطايل اى لم اظفر ويجوز ان يكون من قولهم
امراة حاليه اى ذات حلى ه الخصم يستوى فيه الواحد والجمع والذكر والانثى يقال رجل
خصم ورجال ونساء خصم وقد يجوز فى الكلام هذان خصمان اختصموا وهولاء
خصم اختصموا قال الله سبحانه وهل اتيك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب وهكذا
حكم المصادر اذا وصف بها او اخبر بها نحو عدل ورضى وصوم وفطر وزور وخرى
وقن وما اشبه ذلك وانما قال فى الاية خصمان لانهما جمعان وليسا برجلين
ومثله وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا والحميم الماء المغلى والصهر الاذابة يقال
صهرته فانصهر قال ش تروى لقى القى فى صفصف تصهره الشمس فما ينصهر يعنى
ولدها والمقامع جمع مقمعة وهى مدقة الراس من قمعه قمعا اذا ردعه والحريق
بمعنى المحرق كالاليم والاساور جمع اسوار وفيه ثلاث لغات اسوار بالالف وسوار
وسوار بالكسر والضم والجمع اسورة الحجة قيل نزلت الاية هذان خصمان اختصموا فى ستة
نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر وهم حمزة ابن عبد الله ابن عبد
المطلب قتل عتبه ابن ربيعه وعلى ابن ابى طالب قتل الوليد ابن عتبه و
عبيدة ابن الحرث ابن عبد المطلب قتل شيبه ابن ربيعه عن ابى ذر الغفارى وعطا
وكان ابو ذر يقسم بالله تعالى انها نزلت فيهم ورواه البخارى فى الصحيح وقيل نزلت
فى اهل القرآن واهل الكتاب عن ابن عباس وقيل فى المومنين والكافرين عن الحسن
ومجاهد والكلبى وهذا كقول ابى ذر الا ان هولاء لم يذكروا يوم بدر المعنى لما تقدم ذكر
المؤمنين والكافرين بين سبحانه ما اعده لكل واحد من الفريقين فقال هذان
خصمان اى جمعان فالفرق الخمسة الكافرة خصم والمومنون خصم وقد ذكروا فى قوله
ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين الاية اختصموا فى ربهم اى فى دين ربهم
فقالت اليهود والنصارى للمسلمين نحن اولى بالله منكم لان نبينا قبل نبيكم وديننا قبل
دينكم وقال المسلمون بل نحن احق بالله منكم امنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وكفرتم

انتم بنيا

عرله

انتم بنبينا حسدا فكان هذا خصومتهم وقيل معنى اختصموا اقتتلوا يوم بدر فالذين كفروا قطعت لهم
ثياب من نار قال ابن عباس حين صاروا الى جهنم البسوا مقطعات النيران وهى الثياب القصار وقيل يجعل لهم ثياب
نحاس من نار وهى اشد ما يكون حمى عن سعيد بن جبير وقيل ان النار تحيط بهم كاحاطة الثياب التى يلبسونها يصب
من فوق رؤسهم الحميم اى الماء المغلى فتذيب ما فى بطونهم من الشحوم ويتساقط الجلود وفى خبر مرفوع يصب
على رؤسهم الحميم فينفذ الى اجوافهم فيسلت ما فيها يصهر به ما فى بطونهم والجلود اى يذاب وينضج بذلك الحميم
ما فيها من الامعاء ويذاب به الجلود ولهم مقامع من حديد قال الليث المقمعة شبه الجرز من الحديد يضرب بها
الراس وروى ابو سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى قوله ولهم مقامع من حديد لو وضع
مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الارض وقال الحسن ان النار ترميهم بلهبها حتى
اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفا فاذا انتهوا الى اسفلها ضربهم زفير لهبها فلا
يستقرون ساعة فذلك قوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها اى كلما حاولوا الخروج من النار
لما يلحقهم من الغم والكرب الذى ياخذ بانفاسهم حيث ليس لها مخرج ردوهم اليها بالمقامع وذوقوا عذاب الحريق
اى ويقال لهم ذوقوا والذوق طلب ادراك الطعم والحريق الاسم من الاحتراق قال الزجاج هذا لاحد الخصمين
وقال فى الخصم الذين هم المومنون ان الله يدخل الذين امنوا بالله واقروا بوحدانيته وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت ابنيتها واشجارها يحلون فيها اى يلبسون الحلى فيها
من اساور وهى حلى من ذهب ولؤلؤا اى ومن لؤلؤ ولباسهم فيها حرير اى ديباج حرم الله
سبحانه لبس الحرير على الرجال فى الدنيا وشوقهم اليه فى الاخرة فاخبر ان لباسهم
فى الجنة حرير وهدوا الى الطيب من القول اى ارشدوا فى الجنة الى التحيات الحسنة
يحيى بعضهم بعضا ويحييهم الله وملائكته بها وقيل معناه ارشدوا الى شهادة
ان لا اله الا الله والحمد لله عن ابن عباس وزاد ابن زيد والله اكبر وقيل الى القرآن
الذى يلتذونه ويشتهونه وتطيب به نفوسهم وقيل اذا ذكر الله فهم به
ينتفعون وهدوا الى صراط الحميد والحميد هو الله المستحق للحمد المستحمد الى عباده
بنعمه عن الحسن اى الطالب منهم ان يحمدوه وروى عن النبى صلى الله عليه وآله
انه قال ما احد احب اليه الحمد من الله عز ذكره وصراط الحميد هو طريق الاسلام

وطريق الجنة قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ
نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ
بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ
مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ
ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ
حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ سبع آيات القراءة قرأ حفص عن عاصم
والروح وزيد عن يعقوب سواء بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن عباس
وابن مجلز عن مجاهد وعكرمة والحسن رجالا بالتشديد والضم وهو المروي عن ابي عبد
الله عليه السلام وقراءة ابن ابي اسحاق والزهري والحجدري رجالا بالضم والتخفيف اللغة قال ابو علي
وجه الرفع في سواء انه خبر مبتدأ مقدم المعنى العاكف فيه والبادي سواء ليس
احدهما باحق من صاحبه وهذا يدل على ان ارض الحرم لا يملك ولو ملكت لم يستويا
فيه وصار العاكف فيها اولى بها من البادي بحق ملكه ولكن سبيلها سبيل المساجد
التي من سبق اليها كان اولى به ومن نصب سواء اعمل المصدر اعمال اسم الفاعل
فرفع العاكف به كما يرفع بمستو وقال جعلناه مستويا العاكف فيه والبادي ووجه
اعماله ان المصدر قد يقوم مقام اسم الفاعل في الصفة في نحو قولهم رجل عدل
فيصير عدل كعادل كذلك يجوز في نصب سواء وجه آخر وهو ان نصبه على الحال فاذا نصبته
عليها وجعلت قوله للناس مستقرا جاز ان يكون حالا يعمل فيها معنى الفعل وذو الحال
الذكر الذي في المستقر ويجوز ان يكون حالا من الفعل الذي هو جعلناه فان جعلتها حالا
من الضمير المتصل بالفعل كان الضمير ذا الحال والعامل فيها الفعل وجاز كون للناس
مستقرا على ان يكون المعنى انه جعل للناس ونصب لهم منسكا ومتعبدا كما قال ان اول بيت

وضع للناس واما قوله رجالا فهو جمع راجل مثل طالب وطلاب وكاتب وكتاب واما رجالا بتخفيف الجيم
فهو غريب في الجمع فهو نحو ظوار وعراق ورخال في جمع ظئر وعرق ورخل العاكف المقيم
الملازم والبادي اصله من بدا يبدو اذا ظهر والبدو خلاف الحضر سمي بذلك لظهوره
والبادي في الآية الطارئ والمكان ما يتمكن عليه الشيء وقيل هو اسم لما احاط بالشيء و
المكان والموضع والمستقر نظائر والرجال جمع راجل مثل صحاب وقيام في جمع صاحب وقائم و
الضامر المهزول والضمر السير والعميق البعيد قال الراجز يقطعن بعد النازح العميق
والبائس الذي به ضر الجوع والفقير الذي لا شيء له يقال بؤس فهو بائس اي صار ذا
بؤس وهو الشدة قال الازهري لا نعرف التفث في لغة العرب الا من قول ابن عباس واهل
التفسير وقال النضر بن شميل هو اذهاب التعب خبر ان الذين كفروا محذوف يدل
عليه قوله ومن يرد فيه بالحاد والباء في قوله بظلم للتعدية وربما جاءت الباء فيه
مزيدة قول الشاعر شعر بواد يمان ينبت الشث صدره واسفله بالمرخ والشبهان
وقول الاعشى ضمنت برزق عيالنا ارماحنا ملء المراجل والصريح الاجردا وقول
امرئ القيس شعر الا هل اتاها والحوادث جمة بان امرأ القيس بن تملك بيقرا قال الزجاج
والذي يذهب اليه اصحابنا ان الباء ليست بلغات والمعنى عندهم ومن ارادته
فيه بان يلحد بظلم وهو مثل قوله شعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل
المعنى اريد فاراد نسي هذا على كل ضامر في موضع نصب على الحال اي يأتوك رجالا وركبانا
ويأتين في موضع جر لان المعنى في قوله وعلى كل ضامر على ابل ضامرة آتية من كل فج عميق
وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قرأ يأتون فعلى هذا يعود الضمير في يأتون الى الناس
المعنى ثم بين سبحانه حال الكفار فقال ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
عطف بالمضارع على الماضي لان المراد بالمضارع ايضا الماضي ويقويه قوله الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله ويجوز ان يكون المعنى ان الذين كفروا فيما مضى وهم
الآن يصدون الناس عن طاعة الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس اي مستقرا
ومنسكا ومتعبدا وقيل معناه خلقناه للناس كلهم لم يخصوا به بعضا دون بعض قال الزجاج

جعلناه للناس وقف تام ثم قال سواء العاكف فيه والباد اى العاكف المقيم فيه والباد الذى ينتاب
من غير اهله مستويان فى سكناه والنزول به فليس احدهما احق بالمنزل يكون فيه من الاخر غير انه
لا يخرج احد من بيته عن ابن عباس وقتاده وسعيد بن جبير قالوا دور مكه وبيعها حرام و
بالمسجد الحرام على هذا الحرم كله كقوله اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقيل المراد بالمسجد
عين المسجد الذى يصلى فيه عن الحسن ومجاهد والجبائى والظاهر يدل عليه وعلى هذا يكون المعنى فى
جعلناه للناس اى قبلة لصلوتهم ومنسكا لحجهم فالعاكف والباد سواء فى حكم النسك وكان
المشركون يمنعون المسلمين عن الصلوة فى المسجد الحرام والطواف به ويدعون انهم اربابه وو
ومن يرد فيه بالحاد بظلم والالحاد العدول عن القصد واختلف فى معناه ههنا فقيل هو الشرك و
غير الله تعالى عن قتاده فكانه قال ومن يرد فيه ميلا عن الحق بان يعبد غير الله ظلما وعدوانا
وقيل هو عن استحلال الحرام والركوب للاثام عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد وقيل
هو كل شىء نهى عنه حتى شتم الخادم لان الذنوب هناك اعظم وقيل هو دخول مكه بغير احرام عن
نذقه من عذاب اليم اى نعذبه عذابا وجيعا وقيل ان الاية نزلت فى الذين صدوا رسول الله
عن مكه عام الحديبيه واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت معناه واذكر يا محمد اذ وطانا لابرهيم
مكان البيت وعرفناه ذلك بما جعلنا له من العلامة قال السدى ان الله تعالى لما امر ببناء الكعبة
لم يدر اين يبنى فبعث الله ريحا خجوجا فكنست ما حول الكعبة عن اساس الاول الذى كان البيت عليه
قبل ان رفع ايام الطوفان وقال الكلبى بعث الله سبحانه سحابة على قدر البيت فيها راس يتكلم
فقامت بحيال الكعبة وقالت يا ابرهيم ابن على قدرى وقيل ان المعنى جعلنا البيت مثواه ومسكنه
عن ابن الانبارى ان لا تشرك بى شيئا اى واوحينا اليه ان لا تعبد غيرى قال المبرد كانه قال وحدنى
فى هذا البيت لان معنى لا تشرك بى شيئا وحدنى وطهر بيتى من الشرك وعبادة الاوثان عن قتاده
للطائفين والقائمين والركع السجود مفسر فى سورة البقرة والمراد بالقائمين والمقيمين بمكة
وقيل القائمين فى الصلوة عن عطا واذن فى الناس بالحج اى ناد فى الناس واعلمهم بوجوب الحج
واختلف فى المخاطب به على قولين احدهما انه ابرهيم عن على وابن عباس واختاره ابو مسلم قال
ابن عباس قام فى المقام فنادى يا ايها الناس ان الله دعاكم الى الحج فاجابوا لبيك اللهم لبيك

الخجوج التى تلتوى فى هبوبها
وقيل الشديدة

والثانى

والثانى ان المخاطب به نبينا محمد صلى الله عليه وآله اى واذن يا محمد فى الناس بالحج فاذن عليه السلام
فى حجة الوداع اى اعلمهم بوجوب الحج عن الحسن والجبائى وجمهور المفسرين على القول الاول وقالوا اسمع الله
تعالى صوت ابرهيم كل من سبق علمه بانه يحج الى يوم القيمة كما سمع سليمان مع ارتفاع منزله
وكثرت جنوده حوله صوت النملة مع حفظه وسكونه وفى رواية عطاء عن ابن عباس قال لما
امر الله ابرهيم ان ينادى فى الناس بالحج صعد ابا قبيس ووضع اصبعيه فى اذنيه وقال يا ايها الناس
اجيبوا ربكم فاجابوه بالتلبية فى اصلاب الرجال واول من اجابه اهل اليمن ياتوك رجالا
اى مشاة على ارجلهم وعلى كل ضامر اى ركبانا قال ابن عباس يريد الابل ولا يدخل بعير ولا غيره
الحرم الا وقد هزل وروى سعيد وابن جبير عن ابن عباس انه قال لبنيه يا بنى حجوا من مكه مشاة
حتى ترجعوا اليها مشاة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول للحاج الراكب بكل خطوة
تخطوها راحلته سبعون حسنه وللحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة من حسنات
الحرم قيل الحسنة بمائة الف ياتين من كل فج عميق اى طريق عميق وروى مرفوعا عن انس بن مالك
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى باهى باهل عرفات الملائكة يقول يا ملائكتى
انظروا الى عبادى شعثا غبرا اقبلوا يضربون الى من كل فج عميق فاشهدكم انى قد اجبت دعاءهم
وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم واعطيت محسنهم جميع ما سالونى غير التبعات
التى بينهم فاذا افاض القوم الى جمع ووقفوا وعادوا فى الرغبة والطلب الى الله يقول يا ملائكتى
عبادى وقفوا فعادوا فى الرغبة والطلب فاشهدكم انى قد اجبت دعاهم وشفعت فيهم ووهبت
مسيئهم لمحسنهم واعطيت محسنهم جميع ما سالونى وكفلت عنهم بالتبعات التى بينهم وقوله ليشهدوا
منافع لهم قيل يعنى بالمنافع التجارات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل التجارة فى الدنيا
والاجر والثواب فى الاخرة عن مجاهد وقيل هى منافع الاخرة وهى العفو والمغفرة عن سعيد بن
المسيب وعطية العوفى وهو المروى عن ابى جعفر الباقر عليهما السلام ليحضروا ما ندبهم الله اليه
مما فيه النفع لهم فى الاخرة ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات اختلف فى هذه الايام والذكر
فيها فقيل هى ايام العشر وقيل لها معلومات للحرص على علمها من اجل وقت الحج فى اخرها والمعدودات
ايام التشريق عن ابن عباس وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام واختاره الزجاج قال لان الذكر ههنا يدل

على التسمية على ما ينحر لقوله ما رزقهم من بهيمة الانعام اى على ذبح ونحر ما رزقهم من الابل
والبقر والغنم وهذه الايام يختص بذلك وقيل ان الذكر فيها كناية عن الذبح لان صحة الذبح
لما كان بالتسمية سمي باسمه توسعا وقيل هو التكبير قال ابو عبد الله عليه السلام التكبير بمنى عقيب
خمسة عشر صلوة اولها صلوة الظهر من يوم النحر يقول الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر
الله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا والله اكبر على ما رزقنا
من بهيمة الانعام والبهيمة اصلها من الابهام وذلك انها لا تفصح كما يفصح الحيوان الناطق
والانعام الابل واشتقاقها من النعمة وهي اللين سميت بذلك للين اخفافها وقد يجتمع معها
البقر والغنم فيسمى الجميع انعاما وان انفرد لم يسم انعاما فكلوا منها اى بهيمة الانعام
وهذا اباحة وندب وليس بواجب واطعموا البائس الفقير فالبائس الذى ظهر عليه اثر البؤس
من الجوع والعري وقيل البائس الذى يمد يده بالسؤال ويتكفف للطلب امر سبحانه ان يعطى
هؤلاء من الهدى ثم ليقضوا تفثهم اى ليزيلوا تفث الاحرام من تقليم ظفر واخذ شعر وغسل
واستعمال طيب عن الحسن وقيل معناه ليقضوا مناسك الحج كلها عن ابن عباس وابن عمر قال الزجاج
قضى التفث كناية عن الخروج من الاحرام الى الاحلال وليوفوا نذورهم اى وليتموا نذورهم
بقضائها ولم يقل بنذورهم لان المراد بالايفاء الاتمام قال ابن عباس هو نحر ما نذروا من البدن
وقيل ما نذروا من اعمال البر في ايام الحج وانما ندب الانسان ان يتصدق ان رزقه الله الحج
وان كان على ثقة بها هناك وليطوفوا بالبيت العتيق هذا امر ظاهره لانه سبحانه امر به عقيب
المناسك كلها وروى اصحابنا ان المراد به طواف النساء الذى يستباح به وطي النساء حلت
له النساء والبيت العتيق هو الكعبة وانما سمي عتيقا لانه اعتق من ان تملكه العبيد عن مجاهد
وسفيان ابن عيينه وابن مسلم وقيل انما سمي عتيقا من ان تصل الجبابرة الى تخريبه وما قصده
جبار قبل نبينا صلى الله عليه وآله الا اهلكه الله تعالى وانما لم يهلك الحجاج حين نقضه وبناه ثانيا
ببركة نبينا صلى الله عليه وآله فان الله سبحانه امن ببركته هذه الامة من عذاب الاستيصال
عن مجاهد وقيل سمي به لانه قديم فهو اول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده ابرهيم عليه السلام
عن ابن زيد ذلك قيل ههنا وقف معناه الامر ذلك اى هكذا امر الحج والمناسك ومن يعظم حرمات الله

فهو خير له

فهو خير له عند ربه اى فالتعظيم خير له منزلة عند ربه اى في الآخرة والحرمة ما لا يحل انتهاكه وقال
الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وهي في هذه الاية ما نهى عنها ومنع من الوقوع
فيها وتعظيمها ترك ملابستها واختار اكثر المفسرين في معنى الحرمات هنا انها المناسك لدلالة
ما يتصل بها من الايات على ذلك وقيل معناها ههنا البيت الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام
عن ابن زيد قال ويدل على ذلك وقوله والحرمات قصاص واحلت لكم الانعام اى الابل والبقر
والغنم الا ما يتلى عليكم يعني في سورة المائدة من الميتة والمنخنقة والموقوذة ونحوها فاجتنبوا
الرجس من الاوثان من هنا للتبيين والتقدير فاجتنبوا الذى هو الاوثان وروى اصحابنا
ان اللعب بالشطرنج والنرد وسائر انواع القمار من ذلك وقيل انهم كانوا يلطخون الاوثان
بدماء قرابينهم فسمى ذلك رجسا واجتنبوا قول الزور يعني الكذب وقيل هو تلبية المشركين
لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وروى اصحابنا انه يدخل فيه الغناء
وسائر الاقوال الملهية وروى ايمن بن خريم عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قام خطيبا
فقال يا ايها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الاوثان
واجتنبوا قول الزور يريد انه قد جمع في النهي بين عبادة الوثن وشهادة الزور قوله تعالى
حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي
بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا
مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ
اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ
الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ خمس آيات القراءة قرأ اهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء والتشديد والباقون
فتخطفه بسكون الخاء وقرأ منسكا بالكسر اهل الكوفة غير عاصم والباقون منسكا بالفتح
وفي الشواذ قراءة الحسن ورواية ابي اسحاق والمقيمي الصلوة بالنصب تخطف بحذف تاء الفعل
وهما في كلا القراءتين حكاية حال يكون والمعنى في ذلك انه في مقابلة قوله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها فالمشرك بعكس هذا الوصف فلم يستمسك لكونه بما فيه

امان من جزور ونجاة من الهوى واختطاف الطير فصار كمن خر من السماء فهوت
به الريح فلم يكن له معتصم والاصل في المنسك الفتح لانه لا يخلو من ان يكون مصدرا
او مكانا وكلاهما مفتوح العين من باب يفعل الا انه قد جاء اسم المكان منه في كلمات
على المفعل نحو المطلع والمسجد شاذا عن القياس ومن قرأ والمقيمي الصلوة فانه حذف
النون تخفيفا لا لتعاقبها الاضافة وشبه ذلك بالذين واللذان في قوله وان الذي
حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد وقول الاخطل ابني كليب ان عمي اللذا
قتلا الملوك وفككا الاغلالا ونحوه بيت الكتاب والحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم
من ورائهم وكف قال الاخر قتلنا ناجيا بقتيل عمرو وخير الطالبي الترة الغشوم
الخطف والاختطاف الاستلاب والسحق البعيد والسحوق النخلة الطويلة والشعائر
علامات مناسك الحج التي تشعر بما جعلت له واشعرت البدن اعلمتها بما يشعر انه
هدى والمنسك موضع العبادة والنسك العبادة يقال نسك ينسك وينسك
اي يعبد وقيل هو عبارة الذبح والنسيكة الذبيحة يقال نسكت الشاة ذبحتها و
الاخبات الخضوع والطمأنينة واصله من الخبت وهو المكان المطمئن وقيل المنخفض
ثم قال سبحانه حنفاء لله اي مستقيمي الطريقة على امر الله مائلين عن سائر الاديان
وهي نصب على الحال غير مشركين به اي حجاجا مخلصين اي مسلمين موحدين لا يشركون
في تلبية الحج به احدا ثم ضرب سبحانه مثلا لمن اشرك فقال ومن يشرك بالله فكانما خر
من السماء اي سقط من السماء فتخطفه الطير اي تأخذه بسرعة قال ابن عباس يريد
تخطف لحمه او تهوي به الريح اي تسقطه في مكان سحيق اي بعيد مفرط في البعد قال
الزجاج اعلم الله سبحانه ان بعد من اشرك به من الحق كبعد من خر من السماء فذهبت
به الطير وهوت به الريح في مكان بعيد وقال غيره شبه حال المشركين بحال الهاوي
من السماء في انه لا يملك لنفسه حيلة فهو هالك لا محالة ذلك اي الامر ذلك الذي
ذكرنا ومن يعظم شعائر الله اي معالم دين الله والاعلام التي نصبها لطاعته ثم اختلف
في ذلك فقيل هي مناسك الحج كلها عن ابن زيد وقيل هي البدن وتعظيمها استسمانها

عن مجاهد

عن مجاهد وعن ابن عباس في رواية مقسم والشعائر جمع شعيرة وهي البدن اذا اشعرت اي اعلمت
عليها بان يشق سنامها من الجانب الايمن ليعلم انها هدي فالذي يهدى مندوب اليه بطلب الاجر
الاعظم وقيل شعائر الله دين الله كله وتعظيمها التزامها عن الحسن فانها اي فان تعظيمها الدلالة
تعظم عليه ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه فقال انها من تقوى القلوب اضاف
التقوى الى القلوب لان حقيقة التقوى تقوى القلب وقيل اراد صدق النية لكم فيها اي في
الشعائر منافع فمن تاول الشعائر الهدى قال ان منافعها ركوب ظهرها وشرب
لبنها اذا احتيج اليها وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وهو قول عطاء ابن ابي رباح ومذهب
الشافعي وعلى هذا فقوله الى اجل مسمى معناه الى ان ينحر وقيل ان المنافع من رسلها و نسلها
وركوب ظهرها واصوافها واوبارها الى اجل مسمى اي الى ان يسمى هديا فاذا سمي شعائر ومن
قال ان الشعائر مناسك الحج قال المراد بالمنافع التجارة الى اجل مسمى الى ان يعود من مكة ومن
قال ان الشعائر دين الله قال لكم فيها منافع اي الاجر والثواب في الاجل المسمى القيمة ثم محلها
الى البيت العتيق من قال ان شعائر الله هي البدن قال ان محل الهدي والبدن الكعبة
وقيل محله الحرم كله قال اصحابنا ان كان الهدي للحج فمحله منى وان كان للعمرة المفردة فمحله
مكة قبالة الكعبة بالحزورة معناه محلها حيث يحل نحرها ومن قال ان الشعائر مناسك الحج قال
ثم محل الحج والعمرة والطواف بالبيت العتيق وان منتهاها الى البيت العتيق لان التحلل يقع
بالطواف والطواف يختص بالبيت العتيق ولكل امة جعلنا منسكا اي لكل جماعة مؤمنة من الذين
سلفوا جعلنا عبادة في الذبح عن مجاهد وقيل قربانا احل لكم ذبحه وقيل متعبدا او موضع
نسك يقصده الناس وقيل منهاجا وشريعة عن الحسن ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام اي تعبدناهم بذلك ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام وبهيمة غير
الانعام لا يحل ذبحها ولا التقرب بها فالهكم اله واحد اي معبودكم الذي توجهون
اليه العبادة واحد لا شريك له والمعنى فلا تذكروا على ذبائحكم الا الله وحده فله اسلموا
اي انقادوا واطيعوا وبشر المخبتين اي المتواضعين المطمئنين الى الله عن مجاهد
وقيل الذين لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون كانهم اطمأنوا الى يوم الجزاء ثم وصفهم فقال

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى اذا خوفوا بالله خافوا والصابرين على ما اصابهم من البلايا
والمصائب في طاعة الله والمقيمي الصلوة في اوقاتها يردونها كما امرهم الله ومما رزقناهم
ينفقون اى يتصدقون من الواجب وغيره عن ابن عباس قوله تعالى وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا
لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا
فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَنْ يَنَالَ
اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ
كَفُورٍ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ
اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ خمس آيات القراءة قرأ لن تنال الله ولكن تناله
بالتاء يعقوب وقرأ الاول بالتاء ابو جعفر وقرأ الباقون بالياء وقرأ ابن كثير واهل
البصرة ان الله يدفع بغير الف والباقون يدافع بالالف وقرأ اهل المدينة ويعقوب
ولولا دفاع الله بالالف والباقون بغير الف وقرأ اهل المدينة وحفص اذن بضم الالف
يقاتلون بفتح التاء وقرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب اذن بضم الالف يقاتلون بكسر التاء
وقرأ اهل الحجاز لهدمت خفيفة الدال والباقون بالتشديد واظهر التاء عاصم ويعقوب
وادغمه الآخرون وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابو عمرو وابو جعفر وقتادة والضحاك
صوافن بالنون وقرأ الحسن وشقيق وابو موسى الاشعري وسليمان التيمي صوافي وقرأ
جعفر بن محمد عليهما السلام وصلوات بضم الصاد واللام وقرأ الجبائي والكلبي وصلوات
بضم الصاد وفتح اللام الحجة التانيث يقال للجماعة وللفظ التقوى والتذكير بمعنى
الجمع ولان التقوى بمعنى الاتقاء والدفع مصدر دفع وقد يكون فاعل بمعنى فعل
نحو طارقت النعل وعاقبت اللص واما قوله اذن للذين يقاتلون القراءة معه
متقاربة والمأذون لهم في القتال اصحاب رسول الله وما ظلموا به ان المشركين اخرجوهم

من ديارهم

من ديارهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم هاجروا الى المدينة فمن قرأ اذن على بناء الفعل
للفاعل لما تقدم من ذكر الله سبحانه وقوله للذين يقاتلون في موضع نصب ومن قرأ اذن على بناء
الفعل للمفعول به والمعنى على ان الله سبحانه اذن لهم في القتال والجار والمجرور في موضع رفع وقوله
هدمت المخفف انما جاز لان ذلك قد يكون للقليل والكثير تقول ضربت زيدا ضربة
وضربت الف ضربة فاللفظ والقلة والكثرة على حالة واحدة وهدمت بالتشديد
يختص للتكثير قال الشاعر ❊ ما زلت افتح ابوابا واغلقها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار
فاما من قال صوافن فقال انه الجياد من الخيل الا انه استعمل هنا في الابل والصافن
الرافع احدى رجليه بغير اذى فيها عن سنبكها قال عمرو بن ام كلثوم ❊ تركنا الخيل
عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا والصوافي الخوالص لوجه الله واما صلوات
وصلوات فيمكن ان يكون جمع صلوة وان كانت غير مستقيمة فتكون مثل حجرة وحجرات
وحجرات البدن جمع بدنة وهي الابل المبدنة بسمن قال الزجاج تقول بدنت الابل
اى سمنتها وقيل اصل البدن الضخم وكل ضخم بدن وبدنى تبدينا اراد اذا ضخم وبدن تبدينا
اذا اسن وثقل لحمه بالاسترخاء وفي الحديث ❊ اني قد بدنت فلا تبادروني بالركوع
والسجود وقال وكنت خلت الشيب والتبدينا والوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس
اذا وقعت في المغيب للغروب ووجب الحائط وقع ووجب القلب اضطرب لذلك ووقع ما يوجب النظر
به ووجب الفعل اذا وقع ما يلزم به ووجب البيع اذا وقع الوجوب والصواف المصطفة الازهري
عن ابن الاعرابي قال قنعت بما رزقت بالكسر وقنعت الى فلان خضعت له بالفتح والمعتر و
المعتري واحد وروي عن الحسن وابي رجاء وعمرو بن عبيد انهم قرؤا والمعتري يقال عره
واعتراه وعراه واعتراه كله بمعنى اتاه وقصده قال طرفة ❊ ففي جفاننا تعتري نادينا وسديف
حين هاج الصنبر ويقال قنع الرجل قنوعا اذا سأل قال الشماخ ❊ لمال المرء يصلحه
فيغني مفاقره اعف من القنوع والصومعة اصلها من الانضمام ومنه الاصمع اللاصق الاذن
وكل منضم فهو متصمع قال ابن ذويب يصف صائدا فرمى فانفذ من نحوص عائط سهما
فخر وريشه متصمع والبيع كنائس اليهود والبدن منصوب باضمار فعل تقديره وجعلنا البدن

جعلناها صواف منصوبة على الحال الذين اخرجوا من ديارهم في محل الجر بانه بدل من الذين يقاتلون
ويجوز ان يكون في موضع الرفع على تقديرهم الذين اخرجوا في محل النصب على المدح على تقدير
اعني الذين اخرجوا بغير حق في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون صفة مقدر محذوف
وتقديره اخرجوا اخراجا بهذه الصفة الا ان يقولوا ربنا الله الا هيهنا لنقض النفي وتقديره
الا بان يقولوا اي بقولهم وبعضهم منصوب على البدل من الناس وهو بدل البعض من الكل
والتقدير دفع الله بعض الناس ببعض ثم عاد الى ذكر الشعائر فقال والبدن وهي الابل
العظام وقيل الناقة والبقرة مما يجوز في الهدي والاضاحي عن عطاء والسدي جعلناها
لكم من شعائر الله اي من اعلام دينه وقيل من علامات مناسك الحج والمعنى جعلنا لكم فيها
عبادة الله من سوقها الى البيت واشعارها وتقليدها ونحرها والاطعام منها لكم فيها
خير اي نفع في الدنيا والاخرة وقيل اراد بالخير ثواب الاخرة وهو الوجه لانه الغرض
المطلوب فاذكروا اسم الله عليها اي في حال نحرها وعبر به عن النحر قال ابن عباس هو ان
يقول الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك ولك صواف اي قياما مقيدة
على سنة محمد صلى الله عليه وآله عن ابن عباس وقيل هو ان يعقل احدى يديها ويقوم
على ثلث تحركذلك فيستوي بين اوصفها لئلا يتقدم بعضها على بعض عن مجاهد
وقيل هو ان ينحر وهي صافة اي قائمة قد ربطت يداها ما بين الرسغ او الخف الى الركبة
عن ابي عبد الله عليه السلم هذا في الابل فاما البقر فانه يشد يداها ورجلاها ويطلق
ذنبها والغنم يشد ثلث قوايم منها ويطلق فرد رجل منها فاذا وجبت جنوبها
اي سقطت الى الارض وعبر عن ذلك عن تمام خروج الروح منها فكلوا منها وهذا
اذن وليس بامر لان اهل الجاهلية كانوا يحرمونها على انفسهم وقيل ان الاكل منها
واجب اذا تطوع بها واطعموا القانع والمعتر اختلف في معناهما فقيل ان القانع
الذي يقنع بما اعطي وبما عنده ولا يسال والمعتر الذي يتعرض لك ان تطعمه
من اللحم ويسئل عن ابن عباس ومجاهد وقتاده وعكرمه وابرهيم وقيل القانع
الذي يسال والمعتر الذي يتعرض ولا يسال عن الحسن سعيد ابن جبير وقال ابوجعفر

وابوعبدالله

وابوعبدالله عليهما السلم القانع الذي يقنع بما اعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يلوي شدقه
غضبا والمعتر المار بك لتطعمه وفي رواية الحلبي عن ابي عبدالله عليه السلم قال القانع الذي
يسئل فيرضى بما اعطي والمعتر الذي يعتري رحلك ممن لا يسال وروي عن ابن عباس انه قال
في جواب نافع ابن الازرق لما ساله عن ذلك القانع الذي يقنع بما اعطي والمعتر الذي يعتري
الابواب اما سمعت قول زهير على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة
والبذل وروي عنهم عليهم السلم انه ينبغي ان يطعم ثلثه ويعطي القانع والمعتر ثلثه ويهدي لاصدقائه
الثلث الباقي كذلك اي مثل ما سخرناها لكم اي ذللناها لكم حتى لا تمتنع عما تريد وانها من النحر
والذبح بخلاف السباع الممتنعة ولتنتفعوا بركوبها وحملها ونتاجها نعمة منا عليكم
لعلكم تشكرون الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي لن يصعد
الى الله لحومها ولا دماؤها وانما يصعد اليه التقوى عن الجبائي وهذا كناية عن القبول وذلك
ان ما تقبله الانسان يقال هد ياله ووصل اليه عجب الله سبحانه عباده مما اعتادوه في مخاطبتهم
وكانوا في الجاهلية اذا ذبحوا هديا استقبلوا الكعبة بالدماء فتضحها حول البيت قربة الى الله
وقيل معناه لن يبلغوا رضا الله بذلك وانما يبلغونه بالتقوى كذلك سخرناها لكم تقدم تفسيره
ولتكبروا الله على ما هديكم اي على ما بين لكم وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وقيل
هو ان يقول الله اكبر على ما هدانا وبشر المحسنين اي الموحدين عن ابن عباس وقيل الذين
يعملون الاعمال الحسنة ولا يسيئون الى غيرهم ثم بين سبحانه دفعه عن المؤمنين بشارة
لهم بالنصرة فقال ان الله يدافع عن الذين امنوا غائلة المشركين بان يمنعهم منهم وينصرهم
عليهم ان الله لا يحب كل خوان كفور وهم الذين خانوا الله بان جعلوا معه شريكا وكفروا نعمه
عن ابن عباس وقيل من ذكر اسم غير الله وتقرب الى الاصنام بذبيحته فهو خوان كفور عن
الزجاج ثم بين سبحانه اذنه لهم في قتال الكفار بعد تقدم بشارتهم بالنصرة فقال اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا وقد سبق معناه في الحجة وكان المشركون يؤذون
النبي لا يزال يجي مشجوج ومضروب الى رسول الله ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فيقول صلوات الله عليه اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزل الله هذه الاية بالمدينة

وهي اول آية نزلت في القتال وفي الاية محذوف وتقديره اذن للمؤمنين ان يقاتلوا او بالقتال
من اجل انهم ظلموا بان اخرجوا من ديارهم وقصدوا بالايذاء والاهانة وان الله على نصرهم
لقدير وهذا وعد لهم بالنصر ومعناه انه سينصرهم ثم بين سبحانه حالهم فقال الذين
اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله يحتمل معناه ان يكون اراد اخرجوا الى المدينة
فتكون الاية مدنية ويحتمل الى الحبشة فتكون الاية مكية وذلك بانهم تعرضوا لهم الاذى حتى اضطروا
الى الخروج وقوله بغير حق معناه من غير ان استحقوا ذلك عن الجبائي ان لم يخرجوا من ديارهم
الا لقولهم ربنا الله وحده وقال ابو جعفر عليه السلام نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمد الذين
اخرجوا من ديارهم واخيفوا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قد تقدم الكلام في هذا لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد صوامع في ايام شريعة عيسى عليه السلام وبيع في ايام شريعة
موسى ومساجد في ايام شريعة محمد صلى الله عليه وآله عن الزجاج والحسن وقيل لولا ان دفع الله
بعض الناس ببعض لهدم في كل شريعة نبي المكان الذي يصلى فيه وقيل البيع للنصارى في البرية
والصوامع في الجبال للبرادي ويشترك فيها الفرق الثلث والمساجد للمسلمين والصلوة
كنيسة اليهود عن ابي مسلم وقال ابن عباس والضحاك وقتاده الصلوة كنايس اليهود ويسمونها
صلوتا فعرب قال الحسن اراد بذلك عين الصلوة وهدم الصلوة بقتل اهاليها ومنعهم من
اقامتها وقيل اراد بالصلوة المكتوبات كما قال لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى واراد المساجد
يذكر فيها اسم الله كثيرا الهاء تعود الى المساجد وقيل الى جميع المواضع التي تقدم ذكرها لان
الغالب فيها ذكر الله ولينصرن الله من ينصره وهذا وعد من الله بانه ينصر دينه وشريعته
ان الله لقوي عزيز اي قادر قاهر قوله تعالى الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ
وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَ
كُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا
وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ خمس آيات كوفي القراءة
قرا اهل البصرة اهلكتها بالتاء والباقون اهلكناها والمعنى واحد يقال الخوة الدار

اخواء

اخواء ممدود فهي خاوية وخوى خوا الانسان من الطعام خوى مقصور فهو خو والتعطل
ابطال العمل بالشيء ولهذا يقال للدهري معطل لانه تما ابطل العمل بالعلم على مقتضى الحكمة و
المشيد المرتفع من الابنية شاد الرجل بناه تشيده وشيده تشيده قال عدي ابن زيد
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور وقال امرؤ القيس وتيما لم يترك بها جذع
نخلة ولا اطما الا مشيدا بجندل وقيل المشيد المجصص والمبني بالشيد والشيد الجص و
الجيار المعنى ثم وصف سبحانه من ذكرهم من المهاجرين فقال الذين ان مكناهم في الارض اقاموا
الصلوة واتوا الزكوة والتمكين اعطاء ما يصح معه الفعل فان كان الفعل لا يصح الا بالة
فالتمكين اعطاء تلك الالة لمن فيه القدرة وكذلك ان كان لا يصح الفعل الا بعلم ونصب دلالة
والصحة وسلامة ولطف وغير ذلك فالتمكين اعطاء جميع ذلك وان كان الفعل يكفي في
صحة وجوده مجرد القدرة فخلق القدرة والتمكين فالمعنى الذين ان اعطيناهم ما به يصح الفعل
منهم وسلطناهم في الارض لحقوقها واعطوا ما افترض الله عليهم من الزكوة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر وهذا يدل على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف هو الحق
لانه يعرف صحته والمنكر هو الباطل لانه لا يمكن معرفة صحته قال الزجاج هذه صفة من قوله
ينصره وقال الحسن وعكرمة هم هذه الامة وقال ابو جعفر عليه السلام نحن هم ولله عاقبة الامور هو قوله
الا الى الله ترجع الامور ومعناه انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا مانع ولا منازع
ثم عزى سبحانه نبيه عن تكذيبهم اياه وخوف مكذبيه بذكر من كذبوا انبياءهم فاهلكوا
فقال وان يكذبوك يا محمد فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم
لوط كل امة من هؤلاء الامم كذبت نبيها ثم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى لان قومه
بنو اسرائيل وكانوا امنوا به وانما كذبه فرعون وقومه فامليت للكافرين اي اخرت عقوبتهم
وامهلتهم يقال املا الله لفلان في العمر اي اخر عنه اجله ثم اخذتهم اي بالعذاب فكيف
كان نكير استفهام معناه التقرير فكيف انكرت عليهم ما فعلوه من التكذيب فابدلهم بالنعمة
نقمة وبالحيوة هلاكا قال الزجاج المعنى ثم اخذتهم فانكرت ابلغ انكار ثم ذكر سبحانه كيف عاقب
المكذبين فقال وكاين من قرية اهلكناها اي وكم من قرى اهلكناها واخذناها وذلك

لقوله امليت وهي ظالمة اي وكم من قصر مشيد بالكفر فهي خاوية على عروشها اي خالية
من اهلها ساقطة لا يقوا لها وبئر معطلة عطف على قوله من قرية اي وكم من بلدة باد
اهلها وغار ماؤها وتعطلت من دلائها ولا يستقي ولا وارد لها وقصر مشيد اي وكم من قصر
رفيع مخصص تداعى للخراب بهلاك اهله فلم يبق فيه داع ولا مجيب جواب الاباء وملوك
البدو واصحاب القصور وملوك الحضر وفي تفسير اهل البيت عليهم السلم قوله وبئر معطلة
ان المعنى وكم من عالم لا يرجع ولا ينتفع بعلمه وقال الضحاك وهذه البئر بحضرموت في بلدة
يقال لها حاضور انزل بها اربعة الاف ممن امن بصالح ومعهم صالح فلما حضروا مات
صالح فسمي المكان حضرموت ثم انهم كثروا فكفروا وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم
نبيا يقال له حنظله فقتلوه في السوق فاهلكهم الله فاتوا عن اخرهم وعطلت بئرهم
وخرب قصر ملكهم قوله تعالى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ
يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا
وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ست آيات القراة قرا ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم مما يعدون باليا
والباقون بالتاء وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين بالتشديد وفي سبا ايضا في موضعين
والباقون معاجزين بالالف في السورتين الحجة من قرا يعدون بالياء ان قبله يستعجلونك
وحجة التاء ان ذلك اعم وقوله معاجزين اي ظانين ومقدرين ان يعجزونا لانهم ظنوا ان لا
بعث ولا نشور وهو قوله ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا ومعجزين ينسبونك
مع تبع النبي الى العجز نحو جهلته نسبته الى الجهل وروي عن مجاهد انه فسر معجزين مثبطين
اي يثبطون الناس عن النبي عليه السلم ۞ ثم حث سبحانه على الاعتبار بحال من مضى من القرون
المكذبة لرسلهم فقال افلم يسيروا في الارض اي فلم يسر قومك يا محمد في ارض اليمن والشام
عن ابن عباس فيكون لهم قلوب يعقلون بها اي يعلمون بها ما يرون من العبر والمعنى فيعقلوا

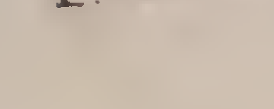
بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم او اذان يسمعون بها اخبار الامم المكذبة فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والهاء في انها ضمير القصة والجملة بعدها تفسيرها قال الزجاج
وقوله التي في الصدور من التوكيد الذي يزيده العرب في الكلام كقوله عشرة كاملة وقوله
يقولون بافواههم وقوله يطير بجناحيه وقيل انه انما ذكر ذلك لئلا يتوهم الى غير معنى
القلب نحو قلب النخلة فيكون انفى للبس بتجويز الاشتراك وكذلك قوله يقولون بافواههم
لان القول قد يكون بغير الفم والمعنى ان الابصار وان كانت عميا فلا تكون في الحقيقة
كذلك اذا كان اصحابها عارفين بالحق وانما يكون المعنى عمى القلب يقع معه الجحود لوحدانيته
الله ويستعجلونك يا محمد بالعذاب الذي ينزل بهم ويستبطونه ولن يخلف الله وعده
في انزال العذاب بهم قال ابن عباس يعني يوم بدر وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
اختلف في معناه على وجوه احدها ان يوما من ايام الاخرة يكون كالف سنة من ايام الدنيا
عن ابن عباس ومجاهد وعكرمه وابن زيد وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه اراد ان
يوما من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض كالف سنة ويدل عليه ما روي ان الفقراء
يدخلون الجنه قبل الاغنياء بنصف يوم خمسماية عام ويكون المعنى على هذا انهم
يستعجلون العذاب وان يوما من ايام عذابهم عذابهم في الاخرة كالف سنة منه وثانيها
ان المعنى وان يوما عند ربك والف سنة في قدرته واحد فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون
به من العذاب وبين تاخره في القدرة الا انه سبحانه تفضل بالامهال ولا يفوته
شيء عن الزجاج وهي معنى قول ابن عباس في رواية عطاء وثالثها ان يوما واحدا كالف
سنة في مقدار العذاب وشدته اي لشدته وعظمه كمقدار الف سنه من ايام الدنيا
على الحقيقه وكذلك نعيم الجنه لا يكون في مقدار يوم من ايام الجنه من النعيم والسرور
مثل ما يكون في الف سنه من ايام الدنيا لو بقي منعم فيها ثم الكافر يستعجل ذلك العذاب
لجهله عن الجبائي وهذا كما يقال في المثل ايام السرور قصار وايام الهموم طوال وقال الشاعر
شعر ۞ يطول اليوم لا القاك فيه ؛ وحول نلتقي فيه قصير ؛ وقال ۞ تطاول ايام معربا
فيوم كشهرين اذ يستهل وقال حرير ويوم كابهام الحبارى لهوته ثم اعلم سبحانه انه

احد قوما بعد الابلاء والامهال فقال وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة مستحقة لتعجيل
العقاب ثم اخذتها اى اهلكتها والى المصير لكل احد ثم خاطب نبيه عليه السلم فقال قل لهم
يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اى مخوف من معاصى الله مبين لكم ما يجب عليكم
فعله وما يجب عليكم تجنبه فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة من الله لمعاصيهم
ورزق كريم يعنى نعيم الجنة فانه اكرم دار والذين سعوا فى اياتنا اى بذلوا الجهد فى ابطال
اياتنا وبالغوا فى ذلك واصل السعى الاسراع فى المشى معاجزين اى مغالبين عن ابن عباس
والمعاجزة محاولة للغالب قراء مقدرين انهم يسبقوننا والمعاجزة المسابقة وقيل
ظالمين ان يعجزوا الله ان يفوتونه ولن يعجزونه عن قتادة وهذا مثل ما تقدم ومن قراء
معجزين فمعناه مثبطين لمن اراد اتباع النبي عليه السلم عن مجاهد وقيل قاصدين تعجيز
رسولنا وقيل ناسبين من تبعه الى العجز اولئك اصحاب الجحيم الملازمون للجحيم اى
النار قوله تعالى وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ اِلَّا اِذَا تَمَنّٰى اَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي
اُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللّٰهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللّٰهُ اٰيَاتِهِ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا
يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَاِنَّ الظَّالِمِينَ
لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ
لَهُ قُلُوبُهُمْ وَاِنَّ اللّٰهَ لَهَادِي الَّذِينَ اٰمَنُوا اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتّٰى تَاْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً اَوْ يَاْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ اربع آيات المعنى روى ابن عباس
وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما تلا سورة والنجم وبلغ الى قوله افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان فى تلاوته تلك الغرانيق وان شفاعتهم
لترتجى ففرح بذلك المشركون فلما انتهى الى السجدة سجد المسلمون وسجد ايضا المشركون لما سمعوا
من ذكر الهتهم بما اعجبهم وهذا الخبر ان صح محمول على انه كان يتلو القران فلما بلغ الى هذا
الموضع وذكر اسماء الهتهم وقد علموا من عادته عم انه يعيبها قال بعض الحاضرين من
الكافرين تلك الغرانيق العلى والقى ذلك فى تلاوته توهم ان ذلك من القران فاضافه
سبحانه الى الشيطان لانه انما حصل باغوائه ووسوسته وهذا اورده المرتضى قدس الله



روحه





روحه فى كتاب التنزيه وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدى وهو وجه حسن فى تاويله
الاعراب وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي من هنا مزيدة والتقدير ما ارسلنا
قبلك رسولا ولا نبيا وانما ذكر اللفظين لاختلاف فايدتهما فالرسول الذى ارسله
الله تعالى ولا يحل عند الاطلاق على غير رسول الله والنبي الذى له الرفعة والدرجة
العظيمة بالارسال وقيل ان بينهما فرقا فالرسول الذى ينزل عليه الملائكة بالوحي
والنبي الذى يوحى اليه فى منامه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقيل الرسول
هو المبعوث الى امة والنبي هو الذى لا يبعث الى امة عن قطرب وقيل ان الرسول هو
المبتدا بوضع الشرايع والاحكام والنبي الذى يحفظ شريعة غيره عن الجاحظ
والقول هو الاول لان الله سبحانه خاطب نبينا عليه السلم مرة بالنبي وتارة بالرسول فقال
يا ايها النبي ويا ايها الرسول والنبي واحد الا ان الرسول يعم الملائكة والبشر والنبي
يختص البشر فكذلك جمع بينهما هنا وفى قوله وكان رسولا نبيا الا اذا تمنى القى الشيطان
فى امنيته قال المرتضى رضى الله عنه لا يخلوا التمنى فى الاية من ان يكون معناه
التلاوة كما قال حسان ابن ثابت ﴿ تمنى كتاب الله اول ليلة ﴾ واخره لاقا حمام المقادير
او يكون من تمنى القلب فان كان المراد التلاوة فالمعنى ان من ارسل قبلك من الرسل كان اذا
تلا ما يؤديه الى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا كما فعلت اليهود واضاف ذلك
الى الشيطان لانه يقع بغروره فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يزيله ويرخصه بظهور
حجة وخرج هذا على وجه التسلية للنبي عليه السلم لما كذب المشركين عليه واضافوا الى تلاوته
فى مدح الهتهم ما لم يكن فيها وان كان المراد انما تمنى القلب فالوجه ان الرسول متى تمنى بقلبه
بعض ما تمناه من الامور وسوس اليه الشيطان بالباطل يدعوه اليه وينسخ الله ذلك
ويبطله بما يرشده اليه من مخالفة الشيطان وترك السماع غروره قال واما الاحاديث
المروية فى هذا الباب فهى مطعونة مضعفة عند اصحاب الحديث وقد تضمنت ما ينزه الرسل
عليهم السلم عنه وكيف يجوز ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وقد قال الله سبحانه كذلك لنثبت
به فوادك وقال سنقرئك فلا تنسى وان حمل ذلك على السهو فالساهى لا يجوز ان يقع منه مثل هذه

الالفاظ المطابقة لوزن السورة ونظمها ثم ليعني ما تقدمها من الكلام لانا نعلم
ضرورة ان الشاعر لو انشد قصيدة لم يجز ان يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها
وفي معنى البيت الذي تقدمه وعلى الوجه الذي يقتضيه فايدته ويمكن ان يكون
الوجه فيه ما ذكرناه في النزول لان المعلوم انهم كانوا يلغون عند قراته طلبا
لتغليطه ويمكن ان يكون هذا في الصلوة لانهم كانوا يلغون في قراته وقيل انه كان ع
اذا تلا القران على قريش توقف في فصول الايات واتى بكلام على سبيل الحجاج لهم وقيل فلما
تلا الايات قال تلك الغرانيق العلى على سبيل الانكار عليهم وعلى ان الامر بخلاف ما قالوه
وظنوه وليس يمتنع ان يكون هذا في الصلوة لان الكلام في الصلوة حينئذ كان مباحا
وانما نسخ من بعد وقيل ان المراد بالغرانيق الملائكة وقد جاء ذلك في بعض الحديث فتوهم
المشركون انه يريد الهتهم وقيل ان ذلك كان قرانا منزلا في وصف الملائكة فلما ظن المشركون
ان المراد بهم الهتهم نسخت تلاوته وقال البلخي ويجوز ان يكون النبي عليه السلام سمع هاتين
الكلمتين في قومه وحفظهما فلما قرأ القيها الشيطان في ذكره فكاد ان يجريها على لسانه
فعصمه الله ونبهه ونسخ وسواس الشيطان واحكم اياته بان قراها النبي محكمة سليمة
مما اراد الشيطان ويجوز ان يكون النبي عليه السلام لما انتهى الى ذكر اللات والعزى قال الشيطان
هاتين الكلمتين رافعا صوته فالقاهما في تلاوته في غمار الناس فظن الجهال ان ذلك من قول
النبي عليه السلام فسجدوا عند ذلك والغرانيق جمع غرنوق وهو الحسن الجميل يقال ثياب غرنوق
وغرانق اذا كان ممتليا ريا ثم يحكم الله اياته اي يبقي اياته ودلايله واوامره محكمة لا سهو
فيها ولا غلط والله عليم بكل شي حكيم واضع للاشياء ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم اي ليجعل ذلك تشديدا في التعبد وامتحانا عن الجبائي و المعنى
انه شدد المحنة والتكليف على الذين في قلوبهم شك وعلى الذين قست قلوبهم من الكفار
فيلزمه الدلالة على الفرق بين ما يحكمه الله وبين ما يلقيه الشيطان وان الظالمين لفي شقاق بعيد
اي في معادة ومخالفة بعيدة عن الحق وليعلم الذين اوتوا العلم بالله وبتوحيده وبحكمته
انه الحق من ربك اي ان القران حق لا يجوز عليه التبديل والتغيير فيؤمنوا به اي يثبتوا على ايمانهم

وقيل يزدادوا

وقيل يزدادوا ايمانا الى ايمانهم فتخبت له قلوبهم اي تخشع وتتواضع لقوة ايمانهم وان الله
لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم اي طريق واضح لا عوج فيه اي يثبتهم على دين الحق وقيل يهديهم
بايمانهم الى طريق الجنة ولا يزال الذين كفروا في مرية منه اي في شك من القران عن ابن جريج
وهذا خاص فيمن علم الله تعالى انهم لا يؤمنون من الكفار حتى تاتيهم الساعة بغتة اي فجاة
وعلى غفلة او ياتيهم عذاب يوم عقيم قيل انه عذاب يوم بدر عن قتادة ومجاهد وسماه
عقيما لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه ومثله قول الشاعر عقم النساء فما يلدن
شبيهه ان النساء بمثله لعقيم وقيل انما سمي ذلك اليوم عقيما لانه لم يكن فيه للكفار خير
فهو كالريح العقيم الذي لا تاتي بخير عن الضحاك واختاره الزجاج وقيل المراد به يوم القيمة
والمعنى حتى تاتيهم علامات الساعة او عذاب يوم القيمة وسماه عقيما لانه لا ليلة له عن عكرمة
والجبائي اتصلت الاية الاولى بما تقدم من ذكر الكفار وما متعوا به من نعيم الدنيا وما راى
النبي عليه السلام ما مني به اصحابه من الاقتار تمنى لهم الدنيا فبين سبحانه ان ذلك التمني وساوس
الشيطان ان ما اعد الله لهم من نعيم الاخرة خير وقيل اتصل بقوله انما انا لكم نذير مبين فبين سبحانه
ان كذلك وان حاله كحال الانبياء قبله قوله تعالى الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين
امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور خمس آيات
القراءة قرا ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرا اهل المدينة مدخلا بالفتح
والباقون بضم الميم وقد سبق ذكره المعنى لما تقدم ذكر القيمة بين صفته فقال الملك يومئذ
لا يملك احد سواه شيئا بخلاف الدنيا يحكم بينهم اي يفصل بين المؤمنين والكافرين ثم بين
ذلك فقال الذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ينعمون فيها والذين كفروا وكذبوا
باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين يهينهم ويذلهم والذين هاجروا في سبيل الله اي فارقوا اوطانهم
وخرجوا من مكة الى المدينة ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا في الغربة ليرزقنهم الله رزقا حسنا وهو

رزق الجنة عن السدى والرزق الحسن اذا راه لا تمتد عينه الى غيره وهذا لا يقدر عليه غير الله
ولذلك قال وان الله لهو خير الرازقين وقيل بل هو مثل قوله بل احياء عند ربهم يرزقون
ليدخلنهم مدخلا يرضونه لان لهم فيه ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين والمدخل يجوز ان يكون بمعنى
المكان وبمعنى المصدر وان الله لعليم باحوالهم حليم عن معاجلة الكفار بالعقوبة ذلك
اى الامر ذلك الذى قصصنا عليك ومن عاقب بمثل ما عوقب به اى من جازى الظالم بمثل ما ظلمه
قال الحسن معناه قاتل المشركين كما قاتلوه والاول لم يكن عقوبة ولكنه كقولهم الجزاء بالجزاء لازدواج
الكلام ثم بغى عليه اى ظلم باخراجه من منزله يعنى ما فعله المشركون من بغى على المسلمين حتى اخرجوهم
الى مفارقة ديارهم لينصرنه الله يعنى المظلوم الذى بغى عليه ان الله لعفو غفور روى
ان الاية نزلت فى قوم من مشركى مكة لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقال
ان اصحاب محمد لا يقاتلون فى هذا الشهر فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ان لا يقاتلوهم فى الشهر
الحرام فابوا فاظفر الله بهم المسلمون قوله تعالى ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
فِى اللَّيْلِ وَاَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَاَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
الْبَاطِلُ وَاَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْاَرْضُ
مُخْضَرَّةً اِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَاِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ
اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى الْاَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِاَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ اَنْ تَقَعَ
عَلَى الْاَرْضِ اِلَّا بِاِذْنِهِ اِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ خمس آيات القراءة قراء اهل العراق غير
ابى بكر ما يدعون هنا وفى لقمان بالياء والباقون بالتاء الحجة من قراء تدعون بالتاء
فعلى الخطاب للمشركين وحجته قوله يا ايها الناس ضرب مثل ومن قراء بالياء فعلى الحكاية وحجته
قوله يكادون يسطون ○ فتصبح الارض انما رفع لانه لم يجعله جوابا للاستفهام والمراد به
الخبر ومثله قول الشاعر ○ الم تسئل الربع القديم فينطق وهل يخبرنك اليوم بيداء سملق
ثم قال سبحانه ذلك اى ذلك النصر بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل اى يدخل
ما انتقص من ساعات الليل فى النهار وما انتقص من ساعات النهار فى الليل وان الله
سميع لدعاء المؤمنين بصير بهم ذلك الذى فعل من نصر المؤمنين بان الله هو الحق اى ذو الحق

فقوله

فى قوله وفعله وقيل معناه ان الواحد فى صفات التعظيم التى من اعتقدها عليها فهو محق
وان ما يدعون من دونه هو الباطل لانه ليس عنده نفع ولا ضر وان الله هو العلى عن الاشتباه
الكبير الذى كل شىء سواه يصغر مقداره عن معناه الم تر ان الله انزل من السماء ماء اى مطرا
فتصبح الارض مخضرة بالنبات ان الله لطيف بارزاق عباده من حيث لا يحتسبون خبير
بما فى قلوبهم وقيل اللطيف المحيط بتدبير دقايق الامور الذى لا يتعذر عليه شىء يتعذر على غيره
له ما فى السموات وما فى الارض اى له التصرف فى جميع ذلك وان الله لهو الغنى الحميد
الغنى الحى الذى ليس بمحتاج الحميد المحمود بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض
من الحيوان والجماد والفلك تجرى فى البحر بامره اى وسخر لكم الفلك فى حال جريها ويمسك
السماء ان تقع على الارض الا باذنه اى يمنع السماء من وقوعها على الارض الا باذنه والمعنى
الا اذا اراد الله فى ذلك بان يريد ابطالها واعدامها ان الله بالناس لرؤف رحيم برافته
ورحمته فعل هذا التسخير وامسك السماء من الوقوع قوله تعالى وَهُوَ الَّذِى اَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ اِنَّ الْاِنْسَانَ لَكَفُورٌ لِكُلِّ اُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِى الْاَمْرِ
وَادْعُ اِلَى رَبِّكَ اِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ وَاِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اَللّٰهُ
يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ
اِنَّ ذٰلِكَ فِى كِتَابٍ اِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ خمس آيات ○ ثم ذكر سبحانه دلالة اخرى على
وحدانيته فقال وهو الذى احياكم بعد ان كنتم نطفا ميتة ثم يميتكم عند اجالكم ثم يحييكم
للبعث والحساب وفيه بيان ان من قدر على ابتداء الاحياء قدر على اعادة الاحياء ان الانسان
لكفور اى جحود فان مع هذه الادلة الدالة على الاحياء قدر على اعادة الخلق بعد الخلق لكل
امة اى لكل قرن معنى جعلنا منسكا هم ناسكوه اى شريعة هم عاملون بها عن ابن عباس
وقيل مكانا يالفونه وموضع يعتادونه لعبادة الله ومناسك الحج من هذا لانها مواضع
العبادات فيه فهى متعبدات الحج وقيل موضع قربان اى متعبدا فى اراقة الدماء منى وغيرها
عن مجاهد وقتادة فلا ينازعنك فى الامر هذا نهى لهم عن منازعة النبى وقيل نهى له
لان المنازعة يكون بين اثنين فاذا وجه النهى الى من ينازعه فقد وجه اليه ومنازعتهم

قولهم اتاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله يعنون الميتة اى فلا يخاصمنك فى امر الذبح
وقيل معناه ليس لهم ان ينازعونك فى شريعتهم وقد نسخت هذه الشريعة الشرايع المتقدمة
وادع الى ربك اى لا تلتفت الى منازعتهم وادع الى توحيد ربك والى دينه انك لعلى هدى
مستقيم اى على دين قيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون اى ان خاصموك فى امر الذبيحة
فقل الله اعلم بتكذيبكم فهو يجازيكم به وهذا قبل الامر بالقتال وقيل معناه وان جادلوك
على سبيل المراء والتعنت بعد لزوم الحجة فلا تجادلهم على هذا الوجه وادفعهم بهذا
القول وقيل معناه وان نازعوك فى نسخ الشريعة فحاكمهم الى الله يحكم بينكم يوم القيمة
اى يفصل بينكم فيما كنتم فيه تختلفون اى فيما تذهبون فيه الى خلاف ما يذهب ثم قال
لنبيه والمراد جميع المكلفين الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض من قليل وكثير
لا يخفى عليه شىء من ذلك ان ذلك فى كتاب مثبت فى الكتاب المحفوظ عن الجبائى ان ذلك
على الله يسير اى كتبه فى اللوح على الله يسير لا يحتاج الى معالجة خطوط وحروف وانما
يقول له كن فيكون وقيل ان الحكم بينكم يسير على الله قوله عز وجل وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ وَإِذَا تُتْلَى
عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ
يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ خمس آيات القراءة قرأ يعقوب
وسهلان الذين يدعون بالياء والباقون بالتاء اللغة السطوة اظهار الحال الهائلة
للاخافة يقال سطا عليه يسطو سطوة وسطاية والانسان مسطو والسطوة والبطشة
بمعنى المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال الكفار فقال ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به
سلطانا اى حجة وما ليس لهم به علم انها الهة وانما قال ذلك لان الانسان قد يعلم اشياء

من غير حجة

من غير حجة ودليل كالضروريات وما للظالمين من نصير اى وما للمشركين
من مانع من العذاب ثم اخبر سبحانه عن شدة عنادهم فقال واذا تتلى عليهم اياتنا
يعنى من القران وغيره من حجج الله بينات اى واضحات لمن تفكر فيها وهى منصوبة
على الحال يعرف يا محمد فى وجوه الذين كفروا المنكر اى الانكار وهو مصدر يريد
اثر الانكار من الكراهة والعبوس يكادون يسطون اى يقعون ويبطشون من شدة
الغيظ بالذين يتلون عليهم اياتنا والمعنى يكادون ويبسطون اليهم ايديهم بالسوء
يقال سطا عليه وسطا به اذا تناوله بالبطش قل يا محمد افانبئكم بشر من ذلكم واكره اليكم
من هذا القران الذى تسمعون واشد عليكم منه ثم فسر ذلك فقال النار اى هو النار
وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير اى المرجع والماوى ثم خاطب سبحانه جميع
المكلفين فقال يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له قال الاخفش ان قيل فاين المثل الذى
ذكره الله فى قوله ضرب مثل قيل ليس هاهنا مثل والمعنى ان الله قال ضرب لى مثل اى شبه
فى الاوثان ثم قال فاستمعوا هذا المثل الذى جعلوه مثلى وقال القتيبى هاهنا مثل لان ضرب
مثل هؤلاء الذين يعبدون الاصنام بمن عبد من لا يخلق ذبابا وقيل معناه اثبت حديث
يتعجب منه فاستمعوا له لتنبهوا على جهل الكفار من قولك ضربت خيمة اى نصبتها واثبتها
وقيل معناه جعل ذلك كالشىء اللازم الثابت من قولك ضرب السلطان الجزية على اهل
الذمة ان الذين يدعون من دون الله يعنى الاصنام وكانت ثلثمائة وستين حول
الكعبة لن يخلقوا ذبابا فى صغره وقلته ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا
مما عليهم قال ابن عباس كانوا يطلون اصنامهم بالزعفران فيجف فياتى الذباب فيختلسه
لا يستنقذوه منه اى لا يقدرون على استنقاذه منه ضعف الطالب والمطلوب الطالب
الذباب والمطلوب الصنم عن ابن عباس وروى عنه على العكس من هذا وهو ان الطالب
الصنم والمطلوب الذباب فعلى هذا يكون معناه ضعف السالب والمسلوب وقيل ان معناه
راجع الى العابد والمعبود فالطالب العابد والمعبود عن الضحاك وهو قول السدى الطالب الذى
يطلب الى هذا الصنم بالتقرب اليه والصنم المطلوب اليه ما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه

حق عظمته حيث جعلوا هولاء الاصنام شركاء له عن الحسن والفرا وقيل ما عرفوه حق معرفته
عن الاخفش وقيل ما وصفوه حق صفته عن قطرب ان الله لقوى عزيز اى قادر لا يقدر احد
على مغالبته الله يصطفى من الملائكة رسلا يعنى جبرئيل وميكائيل ومن الناس يعنى النبيين
ان الله سميع بصير سميع باقوالهم بصير بضمايرهم وافعالهم النظم انما اتصل قوله ويعبدون
من دون الله يقول انك على صراط مستقيم اى من خالفك على الكفر والضلال وانما اتصل
قوله يا ايها الناس ضرب مثل بقوله ويعبدون من دون الله ما لا حجة لهم فيه والمعنى
ان من لا يقدر على خلق ذباب مع صغره واذا سلبه الذباب شيئا لا يقدر على استرداده كيف
يستحق ان يعبد ثم قال ما قدروا الله حق قدره اى من اشرك غيره فى العبادة مع كمال
قدرته ما عرفه حق معرفته ثم قال الله يصطفى من الملائكة رسلا ليعلم انه سبحانه انما اصطفاهم
لعبادته ايّاه لمن جعل الملائكة والانبياء اولادا فانه لم يعظمه حق عظمته ولم يعرفه حق معرفته
اذ جعل من يعبده سبحانه معبودا قوله عز وجل يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ
مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ
هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ثلث آيات الاعراب حق جهاده منصوب على المصدر
لانه مضاف الى المصدر من حرج من مزيدة اى ما جعل عليكم حرجا ملة ابيكم منصوب باضمار
فعل تقديره اتبعوا والزموا ملة ابيكم لان قبله جاهدوا فى الله حق جهاده قال المبرد
عليكم ملة ابيكم قال الزجاج وجايز ان يكون منصوبا على تقدير وافعلوا الخير فعل ابيكم
المعنى لما وصف الله سبحانه نفسه بانه سميع بصير عقبه بقوله يعلم ما بين ايديهم يعنى
ما بين ايدى الخلايق من القيمة واحوالها وما يكون فى مستقبل احوالهم وما خلفهم اى ما
يخلفونه من دنياهم وقيل يعنى ما بين ايديهم اى اول اعمالهم وما خلفهم اخر اعمالهم عن الحسن
وقيل معناه يعلم ما كان قبل خلق الملائكة والانبياء وما يكون بعد خلقهم عن على بن عيسى

والى الله ترجع الامور يوم القيمة فلا يكون لاحد امر ولا نهى ثم خاطب سبحانه المومنين فقال
يا ايها الذين امنوا ركعوا واسجدوا اى صلوا واعبدوا ربكم بفعل ما تعبدكم به من العبادات
وافعلوا الخير قال ابن عباس يريد صلة الرحم ومكارم الاخلاق ومعناه لا تقتصروا
على فعل الصلوة والواجبات من العبادات وافعلوا غيرها من انواع البر من اغاثة الملهوف
واعانة الضعيف وبر الوالدين وما جانسها لعلكم تفلحون اى لكى تفلحوا وتسعدوا وجاهدوا
فى الله حق جهاده اكثر المفسرين جعلوا الجهاد ههنا على جميع اعمال الطاعة وقالوا حق
الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى قال السدى هو ان يطاع ولا يعصى وقال
الضحاك معناه جاهدوا فى الله حق جهاده بالسيف من كفر بالله وان كان الاباء والابناء
وروى عن عبد الله ابن المبارك انه قال هو من مجاهدة الهوى والنفس هو اجتباكم اى
اختاركم واصطفاكم لدينه وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى من ضيق لا مخرج منه ولا مخلص
من عقابه بل جعل التوبة والكفارات ورد المظالم مخلصا من الذنوب فليس فى دين الاسلام ما لا
سبيل الى الخلاص من العقاب فلا عذر لاحد فى ترك الاستعداد للقيمة وقيل معناه ان الله سبحانه
لم يضيق عليكم امر الدين فلم يكلفكم ما لا تطيقون بل كلف دون الوسع فلا عذر لكم فى تركه
وقيل انه يعنى الرخص عند الضرورات كالقصر والتيمم واكل الميتة عن الكلبى ومقاتل واختاره
الزجاج ملة ابيكم ابرهيم اى دينه لان ملة ابرهيم داخلة فى ملة محمد عليهما السلام وانما سماه
ابا الجميع لان حرمته على المسلمين كحرمة الوالد على الولد كما قال وازواجه امهاتكم عن الحسن
وقيل ان العرب من ولد اسمعيل واكثر العجم من ولد اسحاق وهما ابنا ابرهيم فالغالب عليهم انهم
اولاده هو سماكم المسلمين عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو كناية عن ابرهيم عن ابن زيد
قال ويدل عليه ومن ذريتنا امة مسلمة لك من قبل اى من قبل نزول القرآن وفى هذا اى فى
هذا القرآن ليكون الرسول شهيدا عليكم بالطاعة والقبول فاذا شهد لكم به صرتم عدولا
تشهدون على الامم الماضية بان الرسل قد بلغوهم رسالة ربهم وانهم لم يقبلوا فيوجب
للكافر النار وللمؤمن الجنة بشهادتهم من اشرف المراتب وهو مثل قوله وكذلك
جعلناكم امة وسطا الاية وقيل معناه ليكون الرسول شهيدا عليكم فى ابلاغ رسالة ربه

اليكم وتكونوا شهداء على الناس بعده بان تبلغوا اليهم ما بلغه الرسول اليكم فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة وقال قتاده فريضتان واجبتان افترضهما الله عليكم فادوهما
الى الله وروى عبد الله ابن عمر عن النبي واله عليهم السلم قال لا تقبلوا الصلوة الا بالزكوة
واعتصموا بالله اى تمسكوا بدين الله عن الحسن وقيل معناه امتنعوا بطاعته عن
معصيته وقيل امتنعوا بالله من اعدائكم اى اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون وقيل
ثقوا بالله وتوكلوا عليه عن مقاتل هو موليكم اى وليكم وناصركم والمولى لاموركم
وما لككم فنعم المولى اى فنعم المولى هو لمن تولاه ونعم النصير هو لمن استنصره وقيل فنعم
المولى اذ لم يمنعكم الرزق حين عصيتموه ونعم النصير اذ اعانكم لما اطعتموه سورة
المؤمنون مكية عدد آيها مائة وثمانية عشر آية كوفي تسع عشرة في الباقين اختلافها آية
واخاه هرون غير الكوفي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه واله قال من قراء سورة
المؤمنين بشرته الملائكة يوم القيمة بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول
ملك الموت وقال ابو عبد الله عليه السلم من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة
اذا كان يدمن قرأتها في كل جمعة وكان منزله في الفردوس الاعلى مع النبيين والمرسلين
تفسيرها ختم الله سبحانه سورة الحج بامر المكلفين بالعبادة وافعال الخير على طريق الاجمال
وافتتح هذه السورة بتفصيل تلك الجملة وبيان تلك الافعال فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَوتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ
لِلزَّكوةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ
هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ
هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ احدى عشر آية القراءة

قراء ابن كثير لامانتهم على الواحد هنا وفي المعارج والباقون لاماناتهم على الجمع وقراء
على صلوتهم اهل الكوفة غير عاصم والباقون على صلواتهم على الجمع الحجة قال ابو على وجه الافراد

في الامانة انه مصدر واسم جنس فيقع على الكثرة ووجه الجمع قوله ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها ومما افردت فيه الامانة والمراد بها الكثيرة ما روى عن النبي صلى الله
عليه واله انه قال من الامانة ان اوتمنت المرأة على فرجها يريد تفسير قوله ولا يحل
لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ووجه الافراد في الصلوة انها مصدر ووجه
الجمع انها صارت بمنزلة الاسم لاختلاف انواعها والجمع فيه اقوى لانها صارت اسما شرعيا
لانضمام ما لم يكن في اصل اللغة اليها المعنى قد افلح المؤمنون اى فاز بثواب الله الذين
صدقوا بالله وبوحدانيته وبرسله وقيل معنى افلح بقي اى بقيت اعمالهم الصالحة وقيل
معناه قد سعد قال لبيد شعر ولقد افلح من كان عقل قال الفراء يجوز ان يكون قد هيهنا
لتاكيد الفلاح للمؤمنين ويجوز ان يكون تقريبا للماضي من الحال الا تراهم يقولون
قد قامت الصلوة قبل حال قيامها فيكون المعنى في الاية ان الفلاح قد حصل لهم وانه
عليه في الحال ثم وصف هؤلاء المؤمنين باوصاف فقال الذين هم في صلوتهم خاشعون
اى خاضعون متواضعون وروى متذللون لا يرفعون ابصارهم عن مواضع سجودهم
ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا وروى ان النبي صلى الله عليه واله راى رجلا يعبث بلحيته في صلوته
فقال اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وفي هذا دلالة على ان الخشوع في الصلوة يكون
في القلب وبالجوارح فاما بالقلب فهو ان يفرغ قلبه بجميع الهمة لها والاعراض عما سواها
فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود واما بالجوارح فهو غض البصر والاقبال عليها
وترك الالتفات والعبث قال ابن عباس خشع فلا يعرف من على يمينه ولا من على يساره
وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله كان يرفع بصره الى السماء في صلوته فلما نزلت الاية
طاطا راسه ورمى ببصره الى الارض والذين هم عن اللغو معرضون اللغو في الحقيقة
هو كل قول وفعل لا فائدة يعتد بها فذلك قبيح محظور يجب الاعراض عنه وقال ابن عباس
اللغو الباطل وقال الحسن هو جميع المعاصي وقال السدي هو الكذب وقال مقاتل هو الشتم فان
كفار مكة كانوا يشتمون النبي واصحابه فنهوا عن اجابتهم وروى عن ابي عبد الله عليه السلم قال هو
ان يقول الرجل عليك بالباطل ويأتيك بما ليس فيك فيعرض عنه لله وفي رواية اخرى انه الغناء

والملاهي والذين هم للزكوة فاعلون اي مؤدون فعبر عن التادية بالفعل لانه فعل قال امية
ابن ابي الصلت شعر المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوة قال ابن عباس
للصدقة الواجبة مؤدون والذين هم لفروجهم حافظون قال الليث الفرج اسم يجمع سوات
الرجال والنساء والمراد بالفروج هنا فروج الرجال بدلالة قوله الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم قال الزجاج المعنى انهم يلامون في اطلاق ما حظر عليهم وامروا بحفظه الا على
ازواجهم ودل على المحذوف ذكر اللوم في قوله فانهم غير ملومين وملك اليمين في الاية
المراد به الاماء لان الذكور من المماليك لا خلاف في وجوب حفظ الفرج منهم وانما قيل
للجارية ملك يمين ولم يقل في الدار ونحوها ملك يمين لان ملك الجارية اخص منه
اذ يجوز له نقض بنية الدار وليس له نقض بنية الجارية وله عارية الدار وليس له عارية
الجارية حتى توطاء بالعارية وانما اطلق سبحانه اباحة وطي الازواج والاماء وان كانت
لهن احوال يحرم وطيهن فيها كحال الحيض والعدة للجارية من زوج لها وما اشبه ذلك
لان الغرض بالاية بيان جنس من يحل وطوها دون الاحوال التي لا يحل فيها الوطي فمن ابتغى
وراء ذلك اي طلب سوى الازواج والولايد المملوكة فاولئك هم العادون اي الظالمون
المتجاوزون الى ما لا يحل لهم والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اي حافظون وافون
والامانات ضربان امانات الله تعالى وامانات العباد فالامانات التي بين الله تعالى
وبين عباده هي العبادات كالصيام والصلوة والاغتسال وامانات العباد هي مثل
الودايع والعواري والبياعات والشهادات وغيرها واما العهد فعلى ثلثة اضرب
اوامر الله تعالى ونذور الانسان والعقود الجارية بين الناس فيجب على الانسان
الوفاء بجميع ضروب الامانات والعهود والقيام بما يتولاه منها والذين هم على صلوتهم يحافظون
اي يقيمونها في اوقاتها ولا يضيعونها وانما اعاد ذكر الصلوة تنبيها على عظم قدرها وعلو
رتبتها عنده تعالى اولئك هم الوارثون معناه اي من كانوا بهذه الصفات واجتمعت فيهم
هذه الخلال لهم الوارثون يوم القيمة منازل اهل النار من الجنة فقد روي عن النبي عليه السلم
انه قال ما منكم من احد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار

ورث

ورث اهل الجنة منزله وقيل ان معنى الميراث هنا انهم يصيرون الى الجنة بعد الاحوال المتقدمة
وينتهي امرهم اليها كالميراث الذي يصير الوارث اليه ثم وصف الوارثين فقال الذين يرثون
الفردوس هو اسم من اسماء الجنة عن الحسن ولذلك انث فقال هم فيها خالدون وقيل
هو اسم لرياض الجنة عن مجاهد وابي علي الجبائي وقيل هو جنة مخصوصة ثم اختلف
في اصله فقيل انه اسم رومي فعرب وقيل هو عربي ووزنه فعلول وهو البستان الذي فيه كرم
قال جرير ع يا بعد يبرين من باب الفراديس وقال الجبائي معنى الوارث هنا ان الجنة
ونعيمها تؤل اليهم من غير اكتساب كما يؤل المال الى الوارث من غير اكتساب قوله عز وجل
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا
النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا
ثُمَّ اَنْشَاْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّٰهُ اَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ اِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ
ثُمَّ اِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ
وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَاَسْكَنَّاهُ فِي الْاَرْضِ وَاِنَّا عَلٰى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ
فَاَنْشَاْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَاَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَاْكُلُونَ
ثماني آيات القراءة قرأ ابن عامر وابو بكر عظما فكسونا العظم على الافراد وقرأ زيد
عن يعقوب عظما فكسونا العظام والباقون على الجمع في الموضعين الحجة قال ابو علي الجمع
اشبه بما جاء في التنزيل ائذا كنا عظاما ورفاتا اذا كنا عظاما نخرة من يحيي العظام والافراد
لانه اسم جنس فافرد كما تفرد المصادر وغيرها من الاجناس وهو نحو الدرهم والانسان
وليس ذلك على حد قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص ولكنه
ما انشده ابو زيد لقد تعللت على ايانق صهب قليلات القراد اللازق فالقراد
يريد به الكثرة لا محالة اللغة السلالة اسم لما يسل من الشيء كالكساحة اسم لما يكسح
ويسمى النطفة سلالة والولد سلالة وسليلة والجمع سلالات وسلايل فالسلالة
صفوة الشيء التي تخرج منها كالسلافة قال الشاعر هل كنت الا مهرة عربية سليلة افراس
تجللها بغل والنطفة الماء القليل وقد يقال للماء الكثير ايضا ومنه قول امير المؤمنين ع

مصارعهم دون النطفة يريد النهروان يعني الخوارج وسنه حتى يسير الراكب بين النطفتين
لا يخشى جورا يعني بحر المشرق وبحر المغرب الاعراب في قرار في موضع الصفة لنطفة وعلقه
حال من النطفة بعد الفراغ من الفعل وكذلك القول في مضغة وعظام ولحما مفعول ثان
لكسونا وخلقا مصدر رايتان من لقطه من نخيل واعنا بصفة لجنات وكذلك
قوله لكم فيها فواكه كثيرة المعنى قال سبحانه على وجه القسم ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين المراد بالانسان ولد آدم ع وهو اسم الجنس فيقع على الجمع
عن ابن عباس ومجاهد واراد بالسلالة الماء يسل من الظهر سلا من طين اي من طين
آدم لانها تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبي يقول من نطفة سلت تلك النطفه
من طين وقيل اراد بالانسان آدم لانه استل من اديم الارض عن قتاده ثم جعلناه
يعني ابن ادم الذي هو الانسان نطفة في قرار مكين يعني الرحم مكن فيه الماء بان هيئ
لاستقراره فيه الى بلوغ امده الذي جعل له ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقه مضغه
مفسر في سورة الحج فخلقنا المضغه عظاما اي جعلنا تلك القطعة من اللحم عظاما فكسونا العظام
لحما اي فانبتنا اللحم على العظام كاللباس بين سبحانه تنقل احوال الانسان في الرحم حتى استكمل
خلقه لينبه على بدايع حكمته وعجايب صنعته وكمال نعمته ثم انشاناه خلقا آخر اي نفخنا فيه
الروح عن ابن عباس ومجاهد وعكرمه والشعبي والضحاك وقيل هو نبات الشعر
والاسنان واعطاء الفهم عن قتاده وقيل يعني ثم انشاناه ذكرا او انثى عن الحسن فتبارك
الخالقين اي تعالى الله ودام خيره وثبت وقيل معناه استحق التعظيم بانه قديم لم يزول
ولا يزال لانه ماخوذ من البروك الذي هو الثبوت قال احسن الخالقين لانه لا تفاوت في خلقه
واصل الخلق التقدير يقال خلقت الاديم اذا قسته ليقطع منه شيئا وقال حذيفة في هذه
الاية تصنعون ويصنع الله وهو خير الصانعين وفي هذا دليل على ان اسم الخلق قد يطلق
على فعل غير الله تعالى الا ان الحقيقه في الخلق لله سبحانه فقط فان المراد من الخلق ايجاد
الشيء مقدرا تقديرا لا تفاوت فيه وهذا انما يكون من الله تعالى ودليله قوله
الا له الخلق والامر وروي ان عبد الله ابن سعد ابن ابي سرح كان يكتب لرسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وآله وسلم فلما بلغ الى خلقا آخر خطر بباله فتبارك الله احسن الخالقين فلما
املاها رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك قال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه
فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة مرتدا ولو صح هذا القدر لا يكون معجزا ولا يمتنع ان يتفق ذلك
من الواحد منا لكن هذا الشقي انما اشتبه عليه وشبه على نفسه لما كان في صدره
من الكفر والحسد للنبي عليه السلم ثم انكم بعد ذلك اي بعد ما ذكرنا من تمام الخلق
لميتون عند انقضاء اجالكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون اي تحشرون الى الموقف و البعث
والاعادة وهذا لا يمنع من الاحياء في القبور لان اثبات البعث في القيامة لا يدل
على ما عداه الا في الاية دلالة على فساد قول النظام في ان الانسان هو الروح وقول معمر
ان الانسان شيء لا ينقسم وانه ليس بجسم ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق اي سبع سماوات
كل سماء طريقه وسميت بذلك لتطارقها وهو ان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرايق
الملائكة عن الجبائي وقيل الطريق الطباق وكل طبقه طريقه عن ابن زيد وقيل ان ما بين
كل سماء مسيرة خمسمائة عام وكذلك ما بين السماء والارض عن الحسن وما كنا عن الخلق غافلين
اذ بنينا فوقهم سماوات اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل معناه ما خلقناهم عبثا
بل خلقناهم عالمين باحوالهم واعمالهم عن الجبائي وفي هذا دلالة على انه عالم بجميع المعلومات
وفيه زجر عن السيات وترغيب في الطاعات وانزلنا من السماء ماء بقدر اي مطرا ق عبثا
بقدر الحاجة لا يزيد على ذلك فيفسد ولا يقصر عنه فيهلك بل على ما توجبه المصلحة فاسكناه
في الارض اي جعلنا الارض له مسكنا جمعناه فيه لينتفع به يريد ما يبقى في المستنقعات
والغدران فاقر الله الماء فيها لينتفع الناس بها في الصيف عند انقطاع المطر وقيل معناه
جعلناه عيونا في الارض وروى مقاتل عن عكرمه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله
قال ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر
بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله من عين واحدة
واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم فذلك قوله وانزلنا من السماء
ماء بقدر الاية وانا على ذهاب به لقادرون اي نحن على اذهابه قادرون ولو فعلناه لهلك جميع

الحيوان نبه سبحانه بذلك على نعمته على خلقه بانزال الماء من السماء فانشاء لكم اى
احدثنا وخلقنا لنفعكم به اى بسبب هذه الماء جنات من نخيل واعناب لكم
يا معاشر الخلق فيها فواكه كثيرة يتفكهون بها ومنها تاكلون وانما خص النخيل و
الاعناب لانها ثمار الحجاز من المدينة والطائف فذكرهم سبحانه بالنعم التي عرفوها
النظم وجه اتصال الآيات بما قبلها انه سبحانه لما ذكر نعمته على المومنين بما
اعد لهم في الاخرة ابتداء بذكر نعمه عليهم في مبداء خلقهم تنبيها لهم على النظر فيها
وترغيبا في التمسك بالخصال المذكورة ولما بين احوال الاخرة بين متى يكون البعث
ودل بذلك على ان من قدر على خلق في هذا الترتيب والتركيب قادر على الاعادة ثم ابان
عن قدرته على البعث بقدرته على خلق السموات ثم بين انه لا يغفل عن عبادة اذ لا يضيع
فعل من فعل ثم بين انه قادر على اذهابه دلالة على ان هذه النعمة وقعت باختياره
ثم ذكر تفصيل النعمة قوله تعالى وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ
لِلْآكِلِينَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ
حَتَّى حِينٍ ست آيات القراءة قرأ اهل الحجاز وابو عمرو طور سيناء بكسر السين والباقون
بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير روح تنبت بالدهن بضم التاء والباقون
بفتحها وضم الباء وفي الشواذ قراءة الحسن والزهري والاعرج تنبت بضم التاء وفتح الباء
وقد ذكرنا اختلافهم في نسقيكم في سورة النحل الحجة قال ابو علي من قرأ سيناء بالفتح
لم ينصرف الاسم عنده في معرفة ولا نكرة لان الهمزة في هذا البناء لا يكون الا للتانيث ولا
يكون للالحاق لان فعلاء لا يكون الا في المضاعف فلا يجوز ان يلحق به شيء فهذا اذا كجمع
او بقعة تسمى بطرفاء او صحراء ومن قرأ سينا بالكسر فالهمزة فيه منقلبة عن الياء كعلباء

وسيناء

الفاعل

وسيناء وهي الياء التي ظهرت في نحو درحاية وانما لم ينصرف على هذا القول وان كان غير مونث
لانه جعل اسم بقعة فصار بمنزلة امراة سميت بجعفر ومن قرأ تنبت بالدهن احتمل وجهين
احدهما ان يجعل الجار زائدا يريد تنبت الدهن كما في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقد
زيدت هذه الباء مع الباء مع الفاعل كما زيدت مع المفعول في نحو قوله الم ياتيك
والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد وقد زيدت مع هذه الكلمة بعينها في قوله بواد
يمان تنبت الشث حوله واسفله بالمرخ والشبهان حمله على تنبت اسفله المرخ ويجوز
ان يكون الباء متعلقا بغير هذا الفعل الظاهر ويقدر مفعولا محذوفا تقديره ينبت جناها
اي ثمرتها وفيها دهن وصبغ كما يقول خرج بثيابه وركب بسلاحه ومن قرأ تنبت بالدهن جاز
ان يكون الجار فيه للتعدي بانبته ونبت به ويجوز ان يكون الباء في موضع حال كما كان في موضع
حال الوجه الاول فلا يكون للتعدي ولكن تنبت وفيها دهن وقد قالوا انبت بمعنى نبت
فكان الهمزة في انبت مرة للتعدي ومرة لغيرها ويكون من باب صار ذا حال واجرب واقطف اي
ذا حال وجرب من قرأ ينبت فهو على معنى تنبت وفيها دهنها ويوكد ذلك قراءة عبد الله
بالدهن تخرج من الارض ودهنها معها قال ابن جني ذهبوا في بيت زهير حتى اذا انبت البقل
الى انه في معنى نبت وقد يجوز ان يكون محذوف المفعول بمعنى اذا انبت البقل ثمره قال ومن ذهب
الى زيادة الباء في قوله تنبت بالدهن فضعيف المذهب لانه يريد حرفا لا حاجة به الى
اعتقاد زيادته المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وشجرة تخرج من طور سينا اي
وانشانا لكم بذلك المطر شجرة يعني شجرة الزيتون وخصت بالذكر لما فيها من العبرة لانه
لا يتعاهدها انسان بالسقي وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي تعظم بها
المنفعة وسيناء اسم المكان الذي به هذا الجبل في اصح الاقوال وهي نبطية في قول الضحاك
وحبشية في قول عكرمة وهي اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها عن مجاهد وقيل سينا البركة
فكانه قيل جبل البركة عن ابن عباس وقتادة وقيل طور سيناء الجبل المشجر الكثير الشجر
عن الكلبي وقيل هو الجبل عن الحسن عن عطاء وهو الجبل الذي نودي منه موسى وهو ما بين
مصر وايلة عن ابن زيد تنبت بالدهن اي تنبت ثمرها بالدهن لانه يعصر من الزيتون الزيت

وصبغ للآكلين والصبغ ما يصبغ به من الادام وذلك ان الخبز يكون بالصبغ اذا غمس فيه و
الاصطباغ بالزيت الغمس فيه للايتدام والمراد بالصبغ الزيت عن ابن عباس فانه يدهن
به ويؤتدم جعل الله في هذه الشجرة اداما ودهنا فالادم الزيتون والدهن الزيت
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الزيت شجرة مباركة فائتدموا به وادهنوا
وان لكم في الانعام لعبرة اي دلالة تستدلون بها على قدرة الله تعالى نسقيكم مما في بطونها
اراد به اللبن من قرأ بضم النون اراد انا جعلنا ما في ضروعها من اللبن سقيا لكم ومن
فتح النون جعل ذلك مختصا بالسقاة وهو مفسر في سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة
في ظهورها والبانها واولادها واوبارها واصوافها واشعارها ومنها تأكلون
اي من لحومها واولادها والتكسب بها وعليها يعني على الابل خاصة وعلى الفلك تحملون
وهذا كقوله وحملناهم في البر والبحر اما في البر فالابل واما في البحر فالسفن ولما قدم سبحانه
ذكر الادلة الدالة على كمال قدرته واتبعها بذكر شمول نعمته كان لطيفته عقب ذلك بذكر انعامه
اليهم بارسال الرسل فقال ولقد ارسلنا نوحا الى قومه قيل انه سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه
عن ابن عباس وقيل في سبب نوحه انه كان يدعو على قومه بالهلاك وقيل هو مراجعته
ربه في شأن ابنه فقال يا قوم اعبدوا الله اي اطيعوه ووحدوه ما لكم من اله غيره بداء
بالتوحيد لانه اسم افلا تتقون عذاب الله في ترك الايمان به فقال الملأ اي الاشراف الذين
كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اي يشرف ويرأس عليكم بان يصير
متبوعا وانتم له تبع فيكون له الفضل عليكم ولو شاء الله ان لا يعبد شيء سواه لانزل
ملائكة ولم يرسل بشرا آدميا ما سمعنا بهذا الذي يدعونا اليه نوح من التوحيد
في آبائنا الاولين اي في الامم الماضية ان هو الا رجل به جنة اي حالة جنون فتربصوا
به حتى حين اي انتظروا موته فتستريحوا منه وقيل فانتظروا افاقته من جنونه فيرجع
عما هو عليه وقيل معناه اخروه مدة ليرجع عن قوله قوله تعالى قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ
فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ
فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي

في الذين

فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ خمس آيات القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم منزلا بفتح الميم
وكسر الزاء والباقون منزلا بضم الميم وفتح الزاء الحجة قال ابو علي من قرأ منزلا بالضم جاز
ان يكون مصدرا وان يكون موضعا للانزال فعلى الوجه الاول جاز ان يعدى الفعل الى
مفعول آخر وعلى الوجه الثاني لا يعدى الى المفعولين ومن قرأ منزلا امكن ان يكون مصدرا
وان يكون موضع نزول ودل انزلني على نزلت المعنى ثم ذكر سبحانه ان نوحا لما نسبه قومه
الى الجنون ولم يقبلوا منه قال رب انصرني بما كذبون اي بتكذيبهم اياي والمعنى انصرني
باهلاكهم فأوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي بحيث نراها كما يراها الرائي في عبادنا
بعينه وقيل معناه باعين اوليائنا من الملائكة والمؤمنين فانهم يحرسونك من كل
مكان من منعك منه ووحينا اي بامرنا واعلامنا اياك كيفية فعلها فاذا جاء امرنا وفار
التنور فاسلك فيها اي فادخل في السفينة من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول
منهم مفسر في سورة هود ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي تكلمني في شأنهم انهم مغرقون
اي هالكون فاذا استويت انت يا نوح ومن معك على الفلك اي السفينة فقل الحمد لله
الذي نجانا اي خلصنا من القوم الظالمين لنفوسهم بجحدهم توحيد الله وقل رب انزلني
منزلا مباركا اي انزالا مباركا ونزولا مباركا بعد الخروج من السفينة وذلك تمام النجاة
عن مجاهد وقيل المنزل المبارك هو السفينة عن الجبائي قيل لانه سبب النجاة وقيل معناه
انزلني مكانا مباركا بالماء والشجر عن الكلبي وقيل معنى انهم توالدوا وكثروا عن مقاتل
وانت خير المنزلين لانه لا يقدر احد على ان يصون غيره من الآفات اذا انزله منزلا
مباركا ويكفيه جميع ما يحتاج اليه الا انت قال الحسن كان في السفينة سبعة نفر من المؤمنين
ونوح معهم ثامنهم وقيل ثمانون ان في ذلك اي في امر نوح والسفينة وهلاك اعداء الله
لآيات اي دلالات للعقلاء يستدلون بها على التوحيد وان كنا لمبتلين معناه وان كنا
مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره ومتعبدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات

على قدرتنا ومعرفتنا قوله عزوجل ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا
مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ
أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ
لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِنْ هُوَ
إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ
قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ عشر آيات القراءة قرا ابو جعفر هيهات هيهات
بالكسر والباقون بالفتح وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمر هيهات هيهات بالتنوين
والكسر وقراءة ابي حيوة هيهاتٌ هيهاتٌ بالتنوين والرفع وقراءة عيسى الهمداني هيهاتْ
هيهاتْ مرسلة التاء الحجة قال ابن جني اما الفتح وهو قراءة العامة فعلى انه واحد وهو
اسم سمي به الفعل في الخبر وهو اسم بعد كما ان شتان اسم افترق وان اسم التضجر ومن كسر
فقال هيهات منونا او غير منون فهو جمع هيهات واصلها هيهيات فحذف الالف
لانه في اخر اسم متمكن كما حذفت ياء الذي والف ذا في التثنية اذا قلت اللذان وذان
ومن نون ذهب الى التنكير اي بعدا بعدا ومن لم ينون ذهب الى التعريف اراد
البعد ومن فتح وقف بالهاء لانها كهاء ارطاة ومن كسر كتبها بالتاء لانها جماعة
ومن قال هيهاتٌ بالتنوين والرفع فانه يكتبها بالهاء ويكون اسما معربا فيه معنى البعد
وقوله لما توعدون خبر عنه فكانه قال البعد لوعدكم واما هيهاتْ ساكنة
التاء فينبغي ان يكون جماعة ويكتب بالتاء واجريت في الوقف مجراها في الوصل يقول
العرب هيهات لما لا يبغي وهيهات منزلك قال جرير فهيهات هيهات العقيق ومن به
وهيهات وصل بالعقيق نواصله ويروى ايهات واختار الفراء الوقف على هيهات
بالتاء لان قبلها ساكنا فصارت كتاء بنت واخت وقال ابو علي انما كرر هيهات في
الاية وفي البيت للتاكيد واما الثاني في الاية ففي كل واحدة منهما ضمير مرتفع يعود الى الاخراج

اذلايجوز



اذ لا يجوز خلوه من الفاعل والتقدير هيهات اخراجكم لان قوله انكم مخرجون بمعنى الاخراج
اي بعد اخراجكم للوعد اذ كان الوعد اخراجكم بعد موتكم استبعد اعداء الله اخراجهم
لما كان لا علم لهم به بعد الموت ففاعل هيهات هو الضمير العائد الى انكم مخرجون الذي
هو بمعنى الاخراج واما في البيت ففي هيهات الاول ضمير العقيق وفسره الظهور مع
الثاني الاعراب اختلفوا في ان الثانية من قوله سبحانه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون وكذلك قوله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان
له نار جهنم وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب
من بعده واصلح فانه غفور رحيم فقال سيبويه ان الثانية في هذه المواضع الثلثة بدل
من الاولى وقال ابو عمر الجرمي وابو العباس المبرد انها مكررة للتاكيد وطول الكلام
وقال ابو الحسن انه مرتفع بالظرف واختاره ابو علي الفارسي وزيف القولين الاولين
واقول ان الاولى في قوله ايعدكم انكم مع اسمها وخبرها في موضع نصب على انه المفعول
الثاني من الوعد ويكون تقديره على مذهب سيبويه ايعدكم انكم مخرجون اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما اي ايعدكم كونكم مخرجين بعد موتكم وكونكم ترابا وعظاما
واما على مذهب من جعله للتكرير فتقديره ايعدكم انكم بعد موتكم مخرجون
واما على مذهب ابي الحسن وابي علي فتقديره ايعدكم انكم اذا متم اخراجكم كما يقول
انكم وقت موتكم او بعد موتكم اخراجكم فقوله انكم مخرجون في موضع رفع بالظرف الذي
هو قوله اذا متم وقوله اذا متم مع ما بعده رفع لكونه جملة واقعة موقع خبر ان الاولى
وموضع اذا نصب كما انتصب يوم في قولك يوم الجمعة القتال والعامل في الظرف في الاصل
الفعل المحذوف ومعنى الفعل مثل قولك يحدث وحادث ويكون او كائن ولا يجوز
ان يكون العامل فيه الاخراج نفسه اذ لو كان كذلك لكان الكلام غير تام ولا يكون
له خبر ثم يحذف هذا المضمر لدلالة الظرف عليه وقيامه مقامه ويصير الذكر الذي
كان في المضمر من المحدث عنه في الظرف وذلك الذكر مرتفع بالظرف كما كان مرتفع
بالفعل في نحو قولك زيد ذهب المحدث عنه وزيد ذاهب فلما قدم الظرف مقام الفعل

متاخرا عن الاسم قام مقامه ايضًا مبتداء فرفع الاسم الظاهر كما رفعه الفعل فكذلك
اذا في الاية تقديره في الاصل اذا متم اخراجكم كائن او حادث ويكون او يحدث ثم اختصر
الفعل ومعنى الفعل على ما قاله ابو علي فانتصب اذا بذلك كما ينتصب غدا في قولك غدا
الرجل وحذف الخبر كما حذف من غديم فاقام مقام الفعل فوقع قوله انكم مخرجون
كما رفع قوله غدا الرجل وعلى هذا فيجوز ان يقول هنا ان موضع اذا نصب بحادث او
يحدث المضمر في قولك اذا متم اخراجكم يحدث او حادث ويجوز ان يقول ان الاسم الذي
هو انكم مخرجون واقع موقع جواب شرط اذا او يرتفع بفعل مضمر تقديره ايعدكم اذا متم
يعاد اخراجكم او يحدث اخراجكم ويكون موضع اذا نصبًا بذلك الفعل فاما تقدير
ارتفاع ان الثانية بالظرف في الاثنين الاخرين فقد تقدم بيانه في موضعها من هذا
الكتاب فلا معنى لاعادته وقد جاز ابو عثمان وغيره اضمار الظرف واعماله كما قالوا في
انتصاب مثلهم في بيت الفرزدق شعر فاصبحوا قد اعاد الله نعمتهم اذهم قريش واذ ما مثلهم
بشر انه على ظرف مضمر المعنى ثم عطف سبحانه على قصة قوم نوح فقال ثم انشانا من بعدهم
قرنا اخرين اي احدثنا وخلقنا من بعدهم قوم نوح قرنا اخرين اي جماعة اخرى من
الناس والقرن اهل العصر مقارنة بعضهم بعض قيل يعني عادا قوم هود لانه المبعوث
بعد نوح وقيل يعني ثمود لانهم اهلكوا بالصيحة عن الجبائي فارسلنا اليهم رسولا منهم
ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون سبق تفسيره وقال الملا الذين
كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة اي بالبعث والجزاء ما لكم واترفناهم في الحيوة الدنيا اي نعمناهم
فيها بضروب الملاذ ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه من الاطعمة ويشرب مما تشربون
من الاشربة فليس هو اولى بالرسالة منا ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يدعوكم اليه
انكم اذا لخاسرون باتباعه ايعدكم هذا الرسول انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما
وصرتم بعد الموت رميما انكم مخرجون من قبوركم احياء هيهات فيه ضمير يرتفع
عايدا الى قوله انكم مخرجون والمعنى هيهات هو اي بعد اخراجكم جدا حتى امتنع هيهات
لما توعدون قال ابن عباس بعدًا بعدًا لما توعدون وقال الكلبي بعيد بعيد ما يعدكم

ليوم البعث ان هي الا حياتنا الدنيا اي ليس الحيوة الا الحيوة التي نحن فيها القريبة
منا نموت ونحيا اي يموت قوم منا ويحيى قوم ولا بعث وقيل يموت الاباء ويحيى الابناء
عن الكلبي وقيل يموت قوم ويولد قوم وما نحن بمبعوثين بعد ذلك ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا اي اختلق كذبا وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين فيما يقول
قال رب انصرني بما كذبون تقدم بيانه قال اي قال الله سبحانه عما قليل اي عن قليل
من الزمان والوقت يعني عند الموت او عند نزول العذاب وما ههنا ليصبحن نادمين
هذا وعيد لهم واللام للقسم قوله عز وجل فَاَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً
فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ثُمَّ اَنْشَاْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا اٰخَرِينَ مَا تَسْبِقُ مِنْ اُمَّةٍ
اَجَلَهَا وَمَا يَسْتَاْخِرُونَ ثُمَّ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّمَا جَاءَ اُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاَتْبَعْنَا
بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ اَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ثُمَّ اَرْسَلْنَا مُوسٰى وَاَخَاهُ
هَارُونَ بِاٰيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ اِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا
عَالِينَ فَقَالُوا اَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا
مِنَ الْمُهْلَكِينَ وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَاُمَّهُ
اٰيَةً وَاٰوَيْنَاهُمَا اِلٰى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ عشر آيات القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو
وابو جعفر تترى بالتنوين والباقون بغير تنوين ومن نون وقف بالالف وقد ذكرنا
اختلافهم في ربوة في سورة البقرة الحجة قال ابو علي تترى فعلى من المواترة والمواترة ان
تتبع الخبر الخبر والكتاب الكتاب فلا يكون بينهما فصل كثير والاقيس الا يصرف لان المصادر
قد يلحق اواخرها الف التانيث كالدعوى والعدوى والذكرى والشورى ولا يعلم
شيئا من المصادر الحق اخرها الياء للالحاق فمن قال تترى امكن ان يريد به فعلى من
المواترة فيكون الالف بدلا من التنوين وان كان في الخط بالياء كان للالحاق والالحاق
في غير المصادر ليس بالقليل نحو وطى ومعزى فلزم ان يحمل على فعلل دون فعلى ومن قال
تترى واراد به فعلى فحكمه ان يقف بالالف مفخمة ولا يميلها ومن جعل للالحاق او للتانيث
امالها اذا وقف عليها المعنى لما قال سبحانه ان هؤلاء الكفار يصبحون نادمين على ما قدموا

عقبه بالاخبار عن اهلاكهم فقال فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبرئيل صيحة واحدة
ماتوا عن آخرهم بالحق اى باستحقاقهم العقاب بكفرهم فجعلناهم غثاء وهو ما جاء به
السيل من نبات قد يبس كل ما يحمله السيل على راس الماء من قصب عيدان شجرة
فهو غثاء والمعنى فجعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس الغثاء فبعدا اى الزمهم الله بعدا
من الرحمة للقوم الظالمين المشركين المكذبين ثم انشانا من بعدهم اى من بعد
هولاء قرونا آخرين اى امما واهل اعصار آخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
هذا وعيد للمشركين معناه ما تموت امة قبل اجلها المضروب لها ولا تتاخر عنه وقيل عنى
به العذاب الموعود لهم على التكذيب انه لا يتقدم على الوقت المضروب لذلك ولا يتاخر
والاجل هو الوقت المضروب لحدوث وقت امر من الامور والاجل المحتوم لا يتاخر ولا
يتقدم والاجل المشروط بحسب الشرط والمراد بالاجل المذكور فى الآية الاجل المحتوم ثم
ارسلنا رسلنا تترى اى متواترة يتبع بعضهم بعضا عن ابن عباس ومجاهد وقيل
متقاربة الاوقات واصله الاتصال ومنه الوتر لاتصاله بمكانه من القوس ومنه
الوتر وهو الفرد عن الجمع المتصل قال الاصمعى يقال واترت الخبر اتبعت بعضه بعضا
وبين الخبرين هنيهة كلما جاء امة رسولها كذبوه ولم يقروا بنبوته فاتبعنا بعضهم بعضا
يعنى فى الاهلاك اى اهلكنا بعضهم فى اثر بعضهم وجعلناهم احاديث اى يتحدث على
طريق المثل فى الشر وهو جمع احدوثة ولا يقال هذا فى الخير والمعنى انا صيرناهم بحيث
لم يبق بين الناس منهم الا احاديثهم فبعدا لقوم لا يومنون ظاهر المعنى ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا اى بدلايلنا الواضحة وسلطان مبين اى وبرهان ظاهر
المعنى ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين اى بين الى فرعون وملائه
خص الملاء وهم الاشراف بالذكر لان آخرين كانوا اتباعا لهم فاستكبروا اى تجبروا
وتعظموا عن قبوله وكانوا قوما عالين اى متكبرين قاهرين قهروا اهل نواحيهم واتخذوهم
خولا فقالوا انومن لبشرين مثلنا اى انصدق لانسانين خلقهم مثل خلقنا ويسمى الانسان
بشرا لانكشاف بشرته وهى جلدته الظاهرة حتى احتاج الى لباس يكنه وغيره من الحيوان مغطى

البشرة

البشرة بصوف او ريش او غيره لطفا من الله سبحانه بخلقه اذا لم يكن عقل يدبر امره مع
حاجته الى ما يكنه والانسان يهتدى الى ما يستعين به فى هذا الباب وقومهما لنا عابدون
اى مطيعون طاعة العبد لمولاه قال الحسن كان بنو اسرائيل يعبدون فرعون وفرعون
يعبد الاوثان فكذبوهما فكانوا من المهلكين اى فكذبوا موسى وهرون فكان عاقبة
تكذيبهم ان اهلكهم الله وغرقهم ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية لعلهم يهتدون
اى لكى يهتدوا الى طريق الحق والصواب وجعلنا ابن مريم وامه آية وهذا مثل قوله
وجعلناها وابنها آية للعالمين اى حجة على قدرتنا الاختراع وآية عيسى انه خلق
من غير ذكر وآية مريم انها حملت من غير فحل واويناهما الى ربوة اى جعلنا ماواهما
مكانا مرتفعا مستويا واسعا يقال اوى اليه ياوى اويا واواه غيره يوويه ايواء اى جعله
ماوى له والربوة التى اوياهما هى الرملة من فلسطين عن ابى هريرة وقيل دمشق عن سعيد
ابن المسيب وقيل مصر عن ابن زيد وقيل بيت المقدس عن قتاده وكعب قال كعب وهى اقرب الارض
الى السماء وقيل هى حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات عن ابى جعفر
وابى عبد الله عليهما السلم وقيل ذات قرار ومعين معناه ذات موضع قرار وهى ارض مستوية
يستقر عليها ساكنوها عن الضحاك وسعيد وقيل ثمار عن قتاده وذهب الى انه لاجل
الثمار يستقر فيها ساكنوها ومعين ماء جارى وظاهر للعيون مفعول من عينته
اعينه ويجوز ان يكون فعيلا من معن بمعنى معانة والماعون الشى القليل فى قول
الزجاج قال الراعى قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويبدلوا التنزيلا قالوا
معناه رفدهم وقيل زكوتهم وقال عبيد ابن الابرص واهية او معين ممعن او هضبة
دونها لهوب او لهب شق فى الجبل ممعن ماد والمعن الشى السهل الذى ينقاد ولا يتقاعص
والمعن بحقه واذعن اى اقر قال ابن الاعرابى سالت معانة اى مسايله ومجاريه قوله
عزوجل يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ
هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ
بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ

وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ست آيات القراة قراء اهل الكوفة وان هذه
بالكسر وقرأ ابن عامر وان بالفتح والتخفيف والباقون وان هذه بالفتح الحجة قال ابو على
من قراء وان هذه بالفتح فالمعنى على قول الخليل وسيبويه ان محمول على الجار والتقدير
ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون اى فاتقون لهذا ومثل ذلك عندهم قوله
وان المساجد لله اى ولان المساجد لله فلا تدع مع الله احدا وكذلك عندهما
لايلاف قريش فكانه قال فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش اى ليقابلوا هذه النعمة
بالشكر والعبادة للمنعم بها وعلى هذا التقدير يحمل قراة ابن عامر الا ترى ان اذا خففت
ما يتعلق بها اقتضاها وهى غير مخففة وقال بعض النحويين موضع ان المفتوحة جر
عطفا على قوله بما تعملون وامة واحدة نصب على الحال والكوفيون يسمون قطعا
ومن كسر لم يحملها على الفعل كما يحملها من فتح ولكن يجعلها كلاما مستانفا المعنى
لما اخبر الله سبحانه عن ايتائه الكتاب للاهتداء تم عما اولاه من سابغ النعماء
خاطب الرسل بعد ذلك فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قيل هو خطاب للرسل
كلهم وامرلهم ان ياكلوا من الحلال عن السدى وروى عن النبى عليه السلم ان الله طيب لا يقبل
الا طيبا وانه امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقيل اراد به محمدا صلى الله
عليه وآله وحده على مذهب العرب فى مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع عن الحسن ومجاهد وقتادة
والكلبى ويتضمن هذا ان الرسل جميعا كذا امروا قال الحسن اما والله ما عنى به اصفركم
ولا احمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكنه قال انتهوا الى الحلال منه واعملوا صالحا
اى ما امركم الله به وقيل انه خطاب لعيسى عليه السلم خاصة انى بما تعملون عليم هذا بيان
السبب الداعى الى صلاح العمل فان العاقل اذا علم ان يعمل عمله ويجازيه على حسب ما يعمل من عمله
ويقدر استحقاقه اصلح للعمل وان هذه امتكم امة واحدة اى دينكم دين واحد عن الحسن
وابن جريج ويعضده قوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة وهو اى على دين قال النابغة
حلفت فلم اترك لنفسى ريبة وهل ياثمن ذو امة وهو طايع وقيل هذه جماعتكم وجماعة

من قبلكم واحدة كلكم عباد الله تعالى عن الجبائى وانا ربكم فاتقون اى لهذا فاتقوا
فتقطعوا امرهم بينهم تفسير الايتين قد تقدم فى سورة الانبياء زبرا اى كتبا وهو جمع
زبور عن الحسن وقتاده ومجاهد والمعنى تفرقوا فى دينهم وجعلوه كتبا وامنوا بها وكفروا
بما سواها كاليهود كفروا بالانجيل والقران والنصارى كفروا بالقران وقيل معناه
احدثوا كتبا يحتجون بها لمذاهبهم عن ابن زيد ومن قرأ زبرا وهو ابن عامر فمعناه
جماعات مختلفة وهى جمع زبرة اى تفرقوا احزابا وانتصب زبرا على الحال من امرهم والعامل
فيه تقطع وقال الزجاج معناه جعلوا دينهم كتبا مختلفة على قراة من قرا زبرا فعلى هذا يكون
زبرا مفعولا ثانيا كل حزب بما لديهم فرحون اى كل فريق بما عندهم من الدين راضون يرون
انهم على الحق ثم خاطب نبيه عليه السلم فقال فذرهم يا محمد فى غمرتهم اى جهلهم وضلالتهم وقيل
فى حيرتهم وقيل فى غفلتهم وهى متقاربة حتى حين اى وقت الموت وقيل وقت العذاب ثم قال
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات معناه ايظن هؤلاء
الكفار انما نعطيهم ونزيدهم من اموال وبنين واولاد انما نعطيهم ثوابا ومجازاة لهم على
اعمالهم او لرضانا عنهم لكرامتهم علينا ليس الامر كما يظنون بل ذلك املاء لهم واستدراج
علينا وللابتداء فى المعصية لهم نظيره قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
ونعمه فيقول ربى اكرمن وروى السكونى عن ابى عبد الله عليه السلم عن ابيه عن ابائه عليهم السلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى يقول يحزن عبدى المؤمن اذا اقترت
عليه شيئا من الدنيا وذلك اقرب له منى ويفرح اذا بسطت له الدنيا وذلك ابعد له منى
ثم تلا هذه الاية الى قوله بل لا يشعرون ثم قال ان ذلك فتنة لهم ومعنى نسارع نسرع
ونعجل وتقديره نسارع لهم به فى الخيرات فحذف به للعلم بذلك كما حذف الضمير من قولهم
السمن منوان بدرهم اى منوان منه بدرهم والخيرات المنافع التى يعظم شانها
ونقيضها الشرور وهى المضار التى يشتد ضررها والشعور العلم الذى يدق معلومه
وفهمه على صاحبه كدقة الشعر وقيل هو العلم من جهة المشاعر وهى الحواس ولهذا لا يوصف
القديم سبحانه قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ

ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
انهم الى ربهم راجعون يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون خمس آيات القراة
في الشواذ قراة النبي صلى الله عليه وآله وعايشه وابن عباس وقتاده والاعمش ياتون ما اتوا
مقصورا الحجة معنى قوله يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم يعطون الشيء ويشفقون
ان لا يقبل منهم ومعنى ياتون ما اتوا يعملون العمل وهم يخافونه ويخافون لقاء الله المعنى
ثم بين سبحانه حال الاخيار الابرار بعد بيانه احوال الكفار الفجار فقال ان الذين هم
من خشية ربهم مشفقون اي من خشية عذاب ربهم خائفون فيفعلون ما امرهم وينتهون
عما نهاهم عنه والخشية انزعاج النفس بتوهم المضرة والذين هم بايات ربهم يؤمنون
اي بايات الله وحججه من القرآن وغيرها يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون
اي لا يشركون بعبادة الله تعالى غيره من الاصنام والاوثان لان خصال الايمان لا تتم الا بترك
الاشراك والذين يؤتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا من الزكوة والصدقة وقيل
اعمال البر كلها وقلوبهم وجلة اي خائفه عن قتاده والحسن المومن جمع احسانا وشفقه
والمنافق جمع اساءه وامنا وقال ابو عبد الله عليه السلام خائفه اي لا يقبل منهم وفي رواية
اخرى يوتي ما اتى وهو خائف راج وقيل ان في الكلام حذفا واضمارا وتاويله قلوبهم
وجلة ان لا يقبل منهم لعلمهم انهم الى ربهم راجعون اي لانهم يوقنون بانهم يرجعون
الى الله تعالى يخافون ان لا يقبل منهم وانما يخافون ذلك لانهم لا يامنون التفريط
اولئك يسارعون في الخيرات معناه الذين جمعوا هذه الصفات وكملت فيهم
اولئك الذين يبادرون الى الطاعات ويسابقون اليها رغبة منهم فيها وعلما
منهم بما ينالون فيها من حسن الجزاء وهم لها سابقون اي وهم لاجل تلك الخيرات
سابقون الى الجنه وقيل معناه وهم اليها سابقون قال الكلبي سبقوا الامم الى
الخيرات قال ابن عباس يسابقون فيها امثالهم من اهل البر والتقوى قوله عز وجل
ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم
في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم

مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت
اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون
افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين ام لم يعرفوا
رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم
للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن
فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون عشر آيات القراة
قرا نافع يهجرون بضم الياء والباقون تهجرون بفتح التاء وضم الجيم وفي الشواذ
قراة ابن مسعود وابن عباس وعكرمه سمرا تهجرون وقراة ابن محيص سمارا تهجرون
وقراة يحيى لو اتبع بضم الواو الحجة قال ابو علي من قال تهجرون تاتون بالهجر و
الهذيان وقال الاخير من الكلام وقال ابن جني قوله تهجرون معناه تكثرون
من الهجر وهجر النبي عليه وآله السلام او كتابه او تكثرون من الاهجار وهو الافحاش في
القول لان فعل للتكثير والسمر جمع سامر السامر القوم يسمرون اي يتحدثون ليلا
قال ذو الرمة شعر وكم عرست بعد السرى من معرس به من عزيف الجن اصوات سامر
قال قطرب السامر قد يكون واحدا وجماعة وقيل انه اخذ من السمرة وهي اللون الذي بين
السواد والبياض فقيل لحديث الليل السمر لانهم كانوا يقعدون في ظل القمر يتحدثون
وقيل ان السمر ظل القمر اللغة الوسع الحال الذي يتسع بها السبيل الى الفعل والوسع
دون الطاقة والتكليف تحميل ما فيه المشقة بالامر والنهي والاعلام ماخوذ من الكلفة
في الفعل والله سبحانه يكلف عباده تعريضا اياهم للنفع الذي لا يحسن الابتداء بمثله
وهو الثواب واصل الغمرة الستر والتغطية يقال غمرة الشيء اذا سترته وغمرات الموت
شدايده وكل شدة غمرة قال شعر الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهبن فلا يجينا والجوار الاستغاثة
ورفع الصوت بها والنكوص رجوع القهقرى وهو المشي على الاعقاب الى خلف
وهو اقبح مشية مثل بها اقبح حال وهي الاعراض عن الداعي الى الحق الاعراب بيان سعها مفعول
لنكلف بالحق ان جعلت الحق مصدرا فالباء مزيدة والتقدير ينطق بالحق وان جعلته صفة

محذوف فالتقدير ينطق بالحكم الحق ومفعول ينطق محذوف وهم لها عاملون جملة في موضع
رفع لانها صفة لاعمال مستكبرين منصوب على الحال من قوله تنكصون وذو الحال الواو
وينكصون خبر كان وسامرا اسم للجمع منصوب لانه حال المعنى ثم بين سبحانه انه لا يكلف
احدا الا دون الطاقة بعد ان اخبر عن حال الكافرين والمؤمنين فقال ولا نكلف نفسا
اي لا نكلفها امرا ولا نامرها الا وسعها اي دون طاقتها ولدينا كتاب ينطق بالحق معناه
وعند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق اي يشهد لكم وعليكم بالحق كتبته الملائكة
بامرنا يريد صحائف الاعمال وهم لا يظلمون اي يوفون جزاء اعمالهم فلا ينقص من ثوابهم
ولا يزداد في عقابهم ولا يواخذون بذنب غيرهم بل قلوبهم في غمرة من هذا بل رد لما سبق
وابتداء الكلام والمعنى ان قلوب الكفار في غفلة شديدة من هذا الكتاب المشتمل على الوعد
والوعيد وهو القران وقيل في جهل وحيرة عن الحسن والجبائي ولهم اعمال من دون ذلك هم لها
عاملون اي لهم اعمال ردية سوى هذا الجهل يعملون تلك الاعمال فيستحقون بها وبالكفر
العقوبة من الله تعالى وقيل ولهم اعمال اي خطايا من دون الحق عن قتاده وابي العالية
ومجاهد وقيل ولهم اعمال من دون الاجل الذي اجلت لهم في موتهم لا بد ان يعملوها عن الحسن
ومجاهد في رواية اخرى وابن زيد وقيل اعمال اصغر من ذلك اي دون الكفر كما يقال هذا
دون هذا في القدر هم لها عاملون الى ان تنقضي اجالهم فهم مشتغلون بها حتى اذا اخذنا
مترفيهم بالعذاب اي يكون هذا دايم حتى اذا اخذنا متنعميهم ورؤساهم بعذاب الاخرة
ويقال عذاب الدنيا وهو عذاب السيف يوم بدر عن ابن عباس وقيل هو الجوع حين دعا
النبي صلى الله عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف فابتلاهم
الله سبحانه بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب عن الضحاك اذا هم يجارون اي يضجون لشدة
العذاب ويجزعون وقيل يستغيثون عن ابن عباس وقيل يصرخون الى الله التوبة فلا تقبل
منهم لا تجاروا اليوم اي يقال لهم لا تضرعوا اليوم انكم منا لا تنصرون هذا اياس من دفع
العذاب عنهم قد كانت اياتي تتلى عليكم اي تقرا فكنتم ايها الكافرون المعذبون على اعقابكم
تنكصون اي تدبرون وتستاخرون وترجعون القهقرى مكذبين مستكبرين اي متكبرين

على سائر الناس بالحرم او بالبلد يعني مكة ان لا يظهر عليكم فيه احد عن ابن عباس والحسن ومجاهد
وقيل مستكبرين بمحمد ان تطيعوه وبالقران ان تقبلوه فالهاء كناية عن غير مذكور في قوله
الجميع سامرا اي يسمرون بالليل اي يتحدثون في معايب النبي عليه السلم يهجرون الحق بالاعراض عنه
وتهجرون اي تفحشون في المنطق ثم قال سبحانه افلم يدبروا القول اي لم يتدبروا القران
فيعرفوا ما فيه من العبر والدلالات على صدق نبينا محمد صلى الله عليه واله ام جاءهم ما لم يات
اباهم الاولين قال ابن عباس يريد البشر قد ارسلنا نوحا وابرهيم والنبيين الى قومهم
وكذلك ارسلنا محمدا ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون قال اليس هو محمد الذي عرفوه
صغيرا وكبيرا صادق اللسان امينا وافيا بالعهد وفي هذا توبيخ لهم بالاعراض عنه بعد ما عرفوا
صدقه وامانته مع شرف نسبه قبل الدعوة ام يقولون به جنة قال ابن عباس يريد
واي جنون تجدون به وفي هذا دلالة على جهلهم حيث اقروا له بالعقل والصدق اولا
ثم نسبوه الى الجنون وانما نسبوه الى الجنون لينفروا الناس عنه او لانه يطمع في ايمانهم
فهو يطمع في غير مطمع بل جاءهم بالحق المعنى بل جاءهم بالقران والدين الحق وليس به جنة
واكثرهم للحق كارهون لانه لم يوافق مرادهم ولو اتبع الحق اهواءهم الحق هو الله تعالى
عن ابي صالح وابن جريج والسدي والمعنى ولو جعل الله لنفسه شريكا كما يهوون
لفسدت السموات والارض ومن فيهن ووجه الفساد ما تقدم ذكره عند قوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل الحق ما يدعوا الى المصالح والمحاسن والاصوب
يدعوا الى المفاسد والمقابح ولو اتبع الحق داعي الهوى لدعا الى المقابح ولفسدت
التدبير في السموات والارض لانها مدبرة بالحق لا بالهوى وقيل معناه لفسدت احوال
السموات والارض لانها جارية على الحكمة لا على الهوى ومن فيهن اي ولفسد من فيهن
وهو اشارة الى العقلاء من الملائكة والانس والجن وقال الكلبي وما بينهما من خلق فيكون
عاما ووجه فساد العالم بذلك انه يوجب بطلان الادلة وامتناع الثقة بالمدلول
عليه وان لا يوثق بوعد ولا وعيد ولا يومن انقلاب عدل الحكيم بل اتيناهم بذكرهم
اي بما فيه شرفهم وفخرهم لان الرسول منهم والقران نزل بلسانهم فهم عن ذكرهم اي شرفهم

معرضون وبالذل ناضون وقيل النكوا لبيان للحق عن ابن عباس قوله عز وجل
ام تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد
اذا هم فيه مبلسون وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً
ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت
وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون تسع آيات اللغة اصل الخرج والخراج واحد
وهو الغلة التي تخرج على سبيل الوظيفة ومنه خراج الارض هو مصدر ان لا يجعلان
وقد سبق اختلاف القراء فيه في سورة الكهف والاستكانة الخضوع وهو استفعل من
الكون والمعنى ما طلبوا الكون على صفة الخضوع قال الازهري اكانه الله يكينه اي اخضعه
حتى ذل وبات فلان بكينة سوء وقيل ان استكان من السكينة والسكون الا ان الفتحة
اشبعت فتنشأت منها الالف فصار استكانوا والاصل استكنوا على افتعلوا قال عنترة
فاشباع الفتحة ينباع من ذفرى غضوب جسرة زيافة مثل الفنيق المكدم ينبع فاشبع
الفتحة وقال الآخر ٭ وكنت من العوايل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح يقال استكن
واستكان وتسكن بمعنى واحد المعنى ثم قال سبحانه ام تسألهم يا محمد على ما جئتهم من القرآن
والايمان خرجاً اي اجراً ومالاً يعطونك فيورث ذلك تهمة في حالك او يثقل عليهم قبول
قولك لاجله فخراج ربك خير اي فرزق ربك في الدنيا خير منه عن الكلبي وقيل فاجر ربك
في الآخرة خير منه عن الحسن وهو خير الوارثين اي افضل من اعطى واجر وفي هذا دلالة
على ان في العباد من يرزق غيره باذن الله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
من التوحيد واخلاص العبادة والعمل بالشريعة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
لا يصدقون بالنشأة الآخرة عن الصراط لناكبون اي عن الدين الحق عادلون مائلون
وقيل معناه انهم في الآخرة ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر ورددناهم الى دار التكليف

للجوا في طغيانهم يعمهون مثل قوله ولو ردوا لعادوا عن الجبائي وابي مسلم وقيل انه في الدنيا
اي لو انا رحمناهم وكشفنا ما بهم من جوع ونحوه لتمادوا في ضلالتهم وغوايتهم يترددون
عن ابن جريج ولقد اخذناهم بالعذاب معناه انا قد اخذنا هؤلاء الكفار بالجدب وضيق
الرزق والقتل بالسيف فما استكانوا لربهم اي ما تواضعوا ولا انقادوا وما يتضرعون
اي وما يرغبون الى الله في الدعاء وقال ابو عبد الله عليه السلام الاستكانة الدعاء والتضرع
رفع اليد في الصلوة حتى اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد اي هذا دابهم حتى فتحنا
عليهم نوعاً آخر من العذاب وذلك حين دعا النبي صلى الله عليه وآله عليهم فقال اللهم سنين
كسنين يوسف فجاعوا حتى اكلوا العلهز وهو الوبر بالدم عن مجاهد وقيل هو القتل
يوم بدر عن ابن عباس وقيل فتحنا عليهم باباً من عذاب جهنم في الآخرة عن الجبائي وقيل
ذلك حين فتح مكة وقال ابو جعفر عليه السلام هو في الرجعة اذا هم فيه مبلسون اي ايسون
من كل خير متحيرون ثم بين سبحانه انه المنعم على خلقه بانواع النعم فقال هو الذي انشأ
لكم السمع والابصار والافئدة اي خلق هذه الحواس ابتداء لا من شيء وخص هذه الثلاثة
لان الدلايل مبنية عليها ينظر العاقل ويسمع ويتفكر فيعلم قليلاً ما تشكرون اي يقل
شكركم لها وقليلاً منصوب على المصدر وتقديره تشكرون قليلاً لهذه النعم التي انعم الله
بها عليكم وقيل معناه انكم لا تشكرون قليلاً لهذه النعم التي انعم الله بها رب هذه النعم
فتوحدونه عن مقاتل وهو الذي ذرأكم اي خلقكم واوجدكم في الارض واليه تحشرون
يوم القيمة فيجازيكم على اعمالكم وهو الذي يحيي ويميت اي يحييكم في ارحام امهاتكم
ويميتكم عند انقضاء آجالكم وله اختلاف الليل والنهار اي وله تدبيرهما بالزيادة و
النقصان وقيل وله ملك اختلافهما وهو ذهابهما بتعاقبهما ومجيئهما فلا تعقلون اي افلا
يعلمون بان يتفكروا فيعلموا ان لذلك صانعاً قادراً عالماً حياً حكيماً لا يستحق الالهية سواه
ولا يحسن العبادة الا له قوله عز وجل بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا
تراباً وعظاماً ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا
اساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون

قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده
ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون
بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون عشر آيات القراءة قرا اهل البصرة سيقولون الله
فى الآيتين والباقون لله لله ولم يختلفوا فى الاولى الحجة اما قراءة اهل البصرة فجواب
على ما يوجبه اللفظ ومن قرا لله فعلى المعنى وذلك انه اذا قيل من مالك هذه الدار فاجيب
لزيد فان الجواب على المعنى دون ما تقتضيه اللفظ فان الذى تقتضيه اللفظ ان يقال زيد
وانما استقام ذلك لان معنى من مالك هذه الدار واحد فلذلك اجيب تارة على اللفظ
وتارة على المعنى المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار المكذبين بالبعث فقال بل قالوا
مثل ما قال الاولون المنكرون للبعث بعد الموت ثم حكى مقالتهم فقال ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون وهذا جهل منهم لو انهم تفكروا فى ان النشاة الاولى
اعظم منه لما استعظموه وقد اقروا بان الله خالقهم لقد وعدنا نحن واباؤنا اى وعد
اباؤنا هذا الذى تعدنا من البعث من قبل اى من قبل مجيئك فما صدق وعدهم الى هذا
به ثم احتج على هؤلاء المنكرين للبعث والنشور فقال قل يا محمد لهم لمن الارض ومن فيها
اى لمن خلق الارض وملكها ومن فيها من العقلاء ان كنتم تعلمون سيقولون فى الجواب
لله وانما قال ذلك لانهم كانوا يقرون بان الله هو الخالق قل افلا تذكرون اى فقل لهم
عند ذلك افلا تتفكرون فتعلمون انه تعالى قادر على ذلك ومن قدر عليه قدر على احياء
الموتى لانه ليس ذلك باعظم منه ثم زاد فى الحجة فقال قل يا محمد لهم ايضا من رب السموات
السبع اى مالكها والمتصرف فيها ورب العرش العظيم اى ومن مالك العرش ومدبره
لانهم كانوا يقرون بان الله خالق السموات وان الملائكة سكان السموات والعرش عندهم
عبارة عن الملك الا ان يكون اتاهم خلق العرش من قبل النقل ثم اخبر سيقولون الله
فى الجواب عن ذلك اى ان رب السموات ورب العرش هو الله ومن قرا لله فالمعنى انها
لله قل افلا تتقون اى فعند ذلك تلزمهم الحجة فقل لهم افلا تتقون عذابه على جحد توحيده
والاشراك فى عبادته وفى انكار البعث ثم زاد فى الحجة فقال قل لهم يا محمد ايضا من بيده ملكوت

كل شئ والملكوت من صفات المبالغة فى الملك كالجبروت والرهبوت وقال مجاهد
ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه اى يمنع من السوء من يشاء ولا يمنع منه من اراد
بسوء يقال اجرت فلانا اذا استغاث بك فحميته واجرت عليه اذا حميت عنه ويحتمل ان يكون
اراد فى الدنيا اى من قصد عبدا من عباده بسوء قدر على منعه ومن اراده الله بسوء
لم يقدر على منعه احد ويحتمل ان يكون اراد فى الاخرة ان يجيروا من العذاب ولا يجار
عليه ان كنتم تعلمون اى ان كنتم تعلمون ذلك فاجيبوا سيقولون فى الجواب لله
قل فانى تسحرون اى فكيف يخيل اليكم الحق باطلا والصحيح فاسدا مع وضوح الحق وتميزه
من الباطل وقيل معناه فكيف تعمون عن هذا وتصدون عنه من قولهم سحرت اعيننا
فلم تبصره وقيل معناه فكيف تخدعون وتموه عليكم كقول امرئ القيس شعر ونسحر بالطعام
وبالشراب اى نخدع بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون معناه انا جئناهم بالحق وبينا لهم
الحق الذى فيه بيان كذبهم ولكنهم اصروا على باطلهم وكذبهم النظم وانما اتصلت الاية الاولى
بما قبلها بمعنى انهم لو تفكروا لعلموا ولكن عولوا على التقليد فقالوا مثل ما قال الاولون
فعلى هذا يكون متصلة بقوله افلا تعقلون وقيل انه جواب الاستفهام فى قوله ام جاءهم
ما لم يات اباءهم الاولين والاخيرة معطوفة على ما تقدم من ادلة التوحيد وهى رد على
المشركين وتكذيب لهم فى قولهم ان الاصنام آلهة وان الله سبحانه له ولد وان الملائكة
بنات الله قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما
خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون
قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين وانا على ان نريك
ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون حتى اذا جاء
احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون عشر آيات القراءة قرا اهل المدينة والكوفة غير
حفص عالم الغيب بالرفع والباقون بالجر الا ان رويسا اذا وصل جر واذا ابتدا رفع الحجة

وجه الرفع ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هو عالم الغيب وجه الجر ان يكون صفة
الله تعالى ويكون اضافة عالم حقيقة بمعنى اللام ويجوز ان يكون بدلا فيكون الاضافة غير حقيقة
والغيب في تقدير النصب في الاول يكون بمعنى الماضي والثاني بمعنى الحاضر ولا يكون بمعنى المستقبل
اللغة الهمز شدة الدفع ومنه الهمزة للحرف الذي يخرج من اقصى الحلق باعتماد شديد
ودفع وهمزة الشيطان دفعه بالاغواء الى المعاصي وقوس همزى شديدة الدفع
للسهم والبرزخ الحاجز بين الشيئين وكل فصل بين الشيئين برزخ ومعنى من ورائهم
هنا امامهم وقدامهم قال الشاعر شعر اترجوا بنو مروان سمعى وطاعتى وقومى تميم
والفلاة وراءنا الاعراب قوله اذا الذهب كل آله بما خلق جواب لو مقدر التقدير
ولو كان معه آله لذهب واذا هنا حشو بين لو وجوابه فهي لغو غير عاملة اما ترينى ان للشرط
ضمت اليها ما مسلطة والمعنى انها سلطت نون التاكيد على دخولها الفعل المضارع
ولو لم يكن هي لم يجز ان ترينى وجواب الشرط فلا تجعلنى ورب معترض بين الشرط والجزاء
بالتى هي الموصول والصلة في موضع جر بانها صفة محذوف مجرور التقدير ادفع بالخصلة
التى احسن رب ارجعون جاء الخطاب على لفظ الجمع لانه سبحانه يقول انا نحن نزلنا وانا نحن
نحيى وهذا الخطاب في ارجعون قال المازنى انه جمع الضمير ليدل على التكرار فكانه قال رب
ارجعن ارجعن ارجعن والى يوم يبعثون الى يتعلق بما يتعلق به في قوله من ورائهم برزخ
ويوم مضاف الى يبعثون لان اسماء الزمان يضاف الى الافعال المعنى ثم اكد سبحانه ما قدمه
من ادلة التوحيد بقوله ما اتخذ الله من ولد اى لم يجعل ولد غيره ولد نفسه لاستحالة
ذلك عليه فمن المحال ان يكون له ولد فلا يجوز للتشبيه كما هو مستحيل ممتنع الا على النفى والتبعيد
واتخاذ الولد هو ان يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولد لو كان له وكذلك التبنى
انما هو جعل الجاعل ابن غيره من يصح ان يكون ابنا له مقام ابنه ولذلك لا يقال تبنى
شاب شيخا ولا يتبنى الانسان بهيمة لما استحال ان يكون ذلك ولدا له ولما كان معه
من آله من ههنا وفي قوله من ولد مؤكدة فهو اكد من ان يقول ما اتخذ الله ولدا وما كان
معه آله نفى عن نفسه الولد والشريك على اكد الوجوه اذا لذهب كل آله بما خلق التقدير لو كان

معه آله

معه آله اخر لذهب كل اله بما خلق اى لميز كل اله خلقه عن خلق غيره ومنعه من الاستيلاء
على خلقه او نصب دليلا يميز به بين خلقه وخلق غيره فانه كان لا يرضى بان يضاف خلقه وانعامه
الى غيره ولعلا بعضهم على بعض اى ولطلب بعضهم قهر بعض وهذا معنى قول الحسن واكثر المفسرين وقاتل
بعضهم بعضا كما يفعل الملوك في الدنيا وقيل معناه ولمنع بعضهم بعضا عن مراده وهو قوله لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي هذا دلالة عجيبة في التوحيد وهو ان كل واحد من الالهة فيكون غالبا
ومغلوبا من حيث انه قادر لذاته وايضا ان من ضرورة كل قادرين صحة التمانع بينهما فلا صح
وجود الهين صح التمانع بينهما من حيث انهما قادران وامتنع التمانع بينهما من حيث قادران
للذات وهذا محال وفي هذا دلالة على اعجاز القرآن لانه لا يوجد في كلام العرب كلمة وجيزة
تضمنت ما تضمنه هذه فانها قد تضمنت دليلين باهرين على وحدانية الله تعالى
وكمال قدرته ثم نزه نفسه عما وصفوه به فقال سبحان الله عما يصفون اى عما يصفه
به المشركون من اتخاذ الولد والشريك عالم بالغيب والشهادة اى يعلم ما غاب وما حضر
فلا يخفى عليه شيء فتعالى الله عما يشركون والمعنى انه عالم بما كان وبما يكون وبما لم يكن
ان لو كان كيف كان يكون ومن كان بهذه الصفة لا يكون له شريك لانه الاعلى من كل شيء
في صفته ثم قال لنبيه عليه السلم قل يا محمد رب اما ترينى ما يوعدون اى ان اريتنى ما يوعدون
من العذاب والنقمة يعنى القتل يوم بدر رب فلا تجعلنى في القوم الظالمين اى مع القوم
الظالمين والمعنى فاخرجنى من بينهم عند ما تريد احلال العذاب بهم لئلا يصيبنى ما يصيبهم
وفي هذا دلالة على جواز ان يدعو الانسان بما يعلم ان الله يفعله لا محالة لان من المعلوم
ان الله تعالى لا يعذب انبياءه مع المعذبين ويكون الفائدة في ذلك اظهار الرغبة
الى الله تعالى وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه انا لا
نعاجلهم بالعقوبة مع قدرتنا على ذلك ولكن ننظرهم ونمهلهم لمصلحة توجب ذلك قال الكلبى
هذا امر شهده اصحاب رسول الله بعد موته وروى الحاكم ابو القسم الحسكانى باسناده عن ابن
عباس وجابر بن عبد الله انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في حجة الوداع وهو بمنى
لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وايم الله لان فعلتموها لتعرفنى في كتيبة يضاربونكم

قال نعم من خلفه منكبه الايسر فالتفت قال ابو علي فنزل قل رب اما تريني الايات ثم امره عليه السلام
بالصبر الى ان ينقضي الاجل المضروب للعذاب فقال ادفع بالتي هي احسن السيئة ادفع بالاغضاء
والصفح اساءة المسيء عن الحسن وهذا قبل الامر بالقتال وقيل معناه ادفع باطلهم ببيان الحجة
على الطف الوجوه واوضحها واقربها الى الاجابة والقبول نحن اعلم بما يصفون اي بما يكذبون
ويقولون من الشرك فالمعنى انا نجازيهم بما يستحقون ثم امره عليه السلام فقال وقل يا محمد
رب اعوذ بك اي اعتصم بك من همزات الشياطين اي نزغاتهم ووساوسهم عن ابن عباس
والحسن والمعنى من دعائهم الى الباطل والعصيان ومن شرورهم في كل شيء يخاف فيه من ذلك
واعوذ بك رب ان يحضرون في الصلوة عند تلاوة القرآن وقيل في الاحوال كلها ثم عاد سبحانه
الى قوله ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما فقال حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون
على لفظ الجمع وفي معناه قولان احدهما انهم استغاثوا اولا بالله ثم رجعوا الى مسالة الملائكة
فقالوا لهم ارجعون اي ردوني الى الدنيا عن ابن جريج والاخر انه على عادة العرب في تعظيم المخاطب كما قال
قرة عين لي ولك لا تقتلوه وروى النضر بن شميل قال سال الخليل عن هذا فعكم قال سالتني
عن شيء لا احسنه ولا اعرف معناه فاستحسن الناس منه لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في تركتي والمعنى
اودي عنها حق الله تعالى وقيل معناه في دنياي فانه ترك الدنيا وصار الى الاخرة وقيل معناه اعمل صالحا
فيما فرطت وضيعت اي في صلاتي وصيامي وطاعتي وقال الصادق عليه السلام انه مانع الزكوة يسال
الرجعة عند الموت ثم قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم كلا اي لا يرجع الى الدنيا انها اي ان مسئلة
الرجعة كلمة هو قائلها اي كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك وقيل معناه هي كلمة يقولها بلسانه
وليس لها حقيقة مثل قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وروى العياشي باسناده عن الفتح
ابن يزيد الجرجاني قال قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام جعلت فداك اتعرف القديم سبحانه الذي
لم يكن ان لو كان كيف كان يكون قال ويحك ان مسائلك لصعبة اما قرات قوله عز وجل
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولعلا بعضهم على بعض فقد عرف الشيء الذي لم يكن ولا يكون
ان لو كان كيف كان يكون وقال يحكي قول الاشقياء رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
كلا انها كلمة هو قائلها قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فقد علم الشيء الذي

لم يكن

لم يكن لو كان كيف كان يكون وهو السميع البصير الخبير العليم ومن ورائهم اي ومن بين ايديهم
برزخ الى يوم يبعثون اي حاجز بين الموت والبعث في القيمة من القبور عن ابن زيد وقيل حاجز
بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وهم فيه الى يوم يبعثون عن ابن عباس ومجاهد وقيل البرزخ الامهال
الى يوم القيمة وهو القبر وكل فصل بين شيئين فهو برزخ عن علي بن عيسى وفي الاية دلالة
على ان احدا لا يموت حتى يعرف منزلته عند الله اضطرارا وانه من اهل الثواب والعقاب
عن الجبائي قوله عز وجل فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الم تكن اياتي
تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق
من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون عشر ايات القراءة قرا اهل الكوفة
غير عاصم شقوتنا بالالف وفتح الشين والباقون شقوتنا بكسر الشين من غير الف
وقرا اهل المدينة واهل الكوفة غير عاصم سخريا بضم السين والباقون بكسرها
وكذلك في سورة ص اهل المدينة واهل الكوفة غير عاصم سخريا الحجة قال ابو علي
الشقوة مصدر كالردة والفطنة والشقاوة كالسعادة فالقراءة بهما جميعا سائغ
قال ابو زيد اتخذت فلانا سخريا وسخرة اذا هزئت منه اسخر سخريا وسخريا ابو عبيدة
اتخذتموهم سخريا تسخرون منهم وسخريا تسخرونهم ويقال ايضا ان من الهزء سخري
وسخري ومن السخرة مضمومة لا غير وحكي عن الحسن وقتادة ان ما كان من العبودية
فهو سخري بالضم وما كان من الهزء بالكسر قال ابو علي الاكثر في الهزء كسر السين فيما حكوه
ويروى انه انما كان لكثرة لان السخر مصدر سخرت وفعل وفعل قد يكونان بمعنى نحو المثل
والمثل والشبه والشبه في حروف اخر فكذلك السخر والسخر الا ان المكسورة الزمت ياء النسب
كما لم يعتد بها في نحو احمر واحمري ودوار ودواري والوجه في الضم على ما حكي

عن يونس ان النحوى قد يقال بالضم بمعنى الهزء واتفق القراء على الضم فى الزخرف لانه من السخرة
والانقياد بعضهم لبعض فى الامور وذلك لا يكون الا بالضم اللفح واللفح والنفح بمعنى الا ان اللفح
اشد تاثيرا واعظم من النفح وهو ضرب من السموم للوجه والنفح ضرب الريح الوجه والكلوح
تقلص الشفتين عن الاسنان حتى تبدوا الاسنان قال الاعشى شعر وله المقدم لا مثل له
ساعة الصدق عن الناب كلح وخساه فلانا اخساه خسا اذا زجرته ليتباعد فخسا وهو
خاسى ومعنى اخسئوا اى تباعدوا تباعد سخط الاعراب العامل فى اذا نفخ وبينهم ويومئذ
خبره لا المحذوف وتقديره فلا انساب تثبت بينهم تلفح وجوههم النار فى موضع النصب
على الحال والعامل فيه خالدون المعنى ثم بين سبحانه حال الفريقين يوم البعث فقال
فاذا نفخ فى الصور قيل ان المراد به نفخة الصعق عن ابن عباس وقيل نفخة البعث عن ابن مسعود
والصور جمع صورة اى اذا نفخ فيه الارواح واعيدت احياء عن الحسن وقيل ان الصور
قرن ينفخ فيه اسرافيل بالصوت لعظيم الهايل على ما وصفه الله تعالى علامة لوقت اعادة
الخلق عن اكثر المفسرين فلا انساب بينهم يومئذ اى لا يتواصلون بالانساب ولا يتعاطفون
بها مع معرفة بعضهم بعضا عن الحسن والمعنى انه لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه فان المقصود
بالانساب دفع ضر وجر نفع فاذا ذهب هذا المقصود فكان الانساب قد ذهبت ومثله
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقيل معناه لا تفاخرون بالانساب كما كانوا يفعلونه
فى الدنيا عن ابن عباس والجبائى ولا بد من تقدير محذوف فى الاية على تاويل فلا انساب بينهم
يومئذ يتفاخرون بها او يتعاطفون بها والمعنى انه لا يفضل بعضهم بعضا يومئذ
بنسب وانما يتفاضلون باعمالهم وقال عم كل حسب ونسب منقطع الا حسبى ونسبى ولا يتساءلون اى لا يسال
بعضهم بعضا عن حاله وخبره كما كانوا يسالون فى الدنيا لشغل كل واحد بنفسه عن
الجبائى وقيل لا يسال بعضهم بعضا ان يحمل عن ذنبه ولا تنافى بين هذه الاية وبين قوله
فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان للقيمة احوالا ومواطن فيها حال شغلهم عظم الامر
فيها المسئلة ومنها حال يلتقون فيها فيتساءلون وهذا معنى قول ابن عباس لما سئل
عن الايتين فقال هذه تارات يوم القيمة وقيل انما يتساءلون عند دخول الجنة وانما يسال

بعض اهل الجنة

بعض اهل الجنة بعضا فانهم لا يفزعون عن اهوال القيمة عن السدى فمن ثقلت موازينه بالطاعات
فاولئك هم المفلحون الناجون ومن خفت موازينه عن الطاعات فاولئك الذين
خسروا انفسهم فى جهنم خالدون قد تقدم تفسير الايتين واختلاف المفسرين فى كيفية
الميزان والوزن فى سورة الاعراف تلفح وجوههم النار اى يصيب وجوههم لفح النار وهم
وهم فيها كالحون اى عابسون عن ابن عباس وقيل هو ان يتقلص شفتاهم وتبدو اسنانهم
كالرؤس المشوية عن الحسن الم تكن اياتى تتلى عليكم اى ويقال لهم الم يكن القران يقرا
عليكم وقيل الم تكن حججى وبيناتى وادلتى تقرا عليكم فى دار الدنيا فكنتم بها تكذبون
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا او شقاوتنا ومعناهما واحد وهو المضرة اللاحقة فى العاقبة
والسعادة المنفعة اللاحقة فى العاقبة ويقال لمن حصل فى الدنيا على مضرة فادحة شقى
والمعنى استعلت علينا سيئاتنا التى اوجبت لنا الشقاوة وكنا قوما ضالين اى ذاهبين
عن الحق ولما كانت سيئاتهم التى شقوا بها سبب شقاوتهم سميت شقاوة توسعا ومن الكبر
الشقاء ان يترك عبادة الله الى عبادة غيره ويترك الادلة ويتبع الهوى ربنا
اخرجنا منها من النار فان عدنا لما يكره من الكفر والتكذيب والمعاصى فانا ظالمون لانفسنا
قال الحسن هذا اخر كلام يتكلم به اهل النار ثم بعد ذلك يكون لهم شهيق كشهيق الحمار قال
اخسئوا فيها اى ابعدوا فيها بعد الكلب فى النار وهذه اللفظة زجرة للكلاب واذا قيل
ذلك للانسان يكون للاهانة المستحقة للعقوبة ولا تكلمون وهذه مبالغة للاذلال
والاهانة واظهار الغضب عليهم لان من لا يكلم اهانة له فقد بلغ به الغاية فى الاذلال
وقيل معناه ولا تكلمون فى دفع العذاب فانى لا ادفعه عنكم وهى على صيغة النهى وليست
بنهى لان الامر والنهى مرتفعان فى الاخرة لارتفاع التكليف انه كان فريق من عبادى
اى طائفة من عبادى وهم الانبياء والمؤمنون يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الراحمين اى يدعون هذه الدعوات فى الدنيا طلبا لما عندى من الثواب
فاتخذتموهم انتم يا معشر الكفار سخريا اى كنتم تستهزؤن بهم وتسخرون منهم وقيل
معناه تستعبدونهم وتصرفونهم فى اعمالكم وحوائجكم كرها بغير اجر وقيل انهم كانوا

اذا اذوا المومنين قالوا انظروا الى هولاء رضوا من الدنيا بالعيش الدنى طمعًا فى ثواب الاخرة
وليس ورآءهم اخرة ولا ثواب فهو مثل قوله واذا مروا بهم يتغامزون حتى انسوكم ذكرى
اى نسيتم ذكرى لاشتغالكم بالسخرية منهم فنسب الانساء الى عباده المؤمنين وان لم
يفعلوه لما كانوا السبب فى ذلك وكنتم منهم تضحكون ظاهر المعنى قوله عز وجل انى جزيتهم
اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا
لبثنا يومًا او بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلًا لو انكم كنتم تعلمون
افحسبتم انما خلقناكم عبثًا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا
هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الهًا اخر لا برهان له به فانما حسابه
عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
ثمانى آيات القراءة قرا حمزة والكسائى انهم هم بكسر الالف وقل كم لبثتم وقل ان لبثتم
على الامر وقرا ابن كثير قل كم لبثتم فقط وقرا الباقون انهم بفتح الالف وقال فى الموضعين
وقرا اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء والباقون بضم التاء
وفتح الجيم الحجة قال ابو على من قرا ان فالمعنى لانهم هم الفائزون ويجوز ان يكون
انهم فى موضع المفعول الثانى لان حديث يتعدى الى مفعولين قال سبحانه وجزاهم
بما صبروا جنة وحريرا وتقديره جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز وفاز الرجل
اذا نال ما اراد وقالوا فوز الرجل اذا مات ويشبه ان يكون على التفاؤل اى صار
الى ما احب والمفازة المهلكة على وجه التفاؤل ايضا ومن كسر ان استأنف بها
عما قبله ومثل لبيك ان الحمد والنعمة لك وان الحمد بالكسر والفتح ومن قرا
قل لم لبثتم كان على قل ايها السائل عن لبثهم وقال على الاخبار عنه وزعموا ان فى
مصاحف اهل الكوفة قل فى الموضعين وحجة من قال ترجعون انا اليه راجعون
وكل الينا راجعون وقد تقدم ذكر هذا النحو الاعراب كم لبثتم كم فى محل النصب لانه
ظرف زمان والعامل فيه لبث وعدد منصوب على التمييز والعامل فيه كم ولا يمتنع
كم من العمل الفصل الكبير لان كم الخبرية المميز فاذا فصل بينهما وبين معمولها نصبت

كالاستفهامية فلان تنصب الاستفهامية مع الفصل الكبير لان كم الخبرية المميز فاذا فصل بينهما
وبين معمولها نصبت كالاستفهامية فلان تنصب الاستفهامية مع الفصل اولى وقليلا صفة
مصدر محذوف تقديره ان لبثتم الا لبثا قليلا عبثا يجوز ان يكون مصدرا وضع موضع
الحال وتقديره افحسبتم انما خلقناكم عابثين ويجوز ان يكون مفعولا له اى للعبث لا اله الا هو
فى موضع النصب على الحال على تقديره فتعالى الله عديم المثل والا ولى ان يكون جملة مستانفة
ورب العرش خبر مبتداء محذوف فهى جملة اخرى مستانفة ولا له حسن الوقف على المواضع الثلثة
على الحق وعلى هو وعلى الكريم لا برهان له به جملة منصوبة الموضع بانها صفة لقوله الها فهى صفة
بعد صفة المعنى ثم اخبر سبحانه عن المومنين الذين سخروا الكافرين منهم فى دار الدنيا
فقال انى جزيتهم اليوم بما صبروا اى بصبرهم على اذاكم وسخريتكم بهم انهم هم الفائزون
الظافرون بما ارادوا الناجون فى الاخرة والمراد بقوله اليوم ايام الجزاء لا يوم بعينه قال
اى قال الله تعالى للكفار يوم البعث وهو سوال توبيخ وتبكيت لمنكرى البعث كم لبثتم لبثنا يومًا
او بعض يوم لانهم لم يشعروا بطول لبثهم امواتا وقيل انهم نسوا لعظم ما هم فيه مدة لبثهم حياتهم فى
الدنيا قالوا لبثنا يومًا او بعض يوم استقلوا حياتهم فى الدنيا بطول لبثهم ومكثهم فى النار
عن الحسن قال ولم يكن ذلك كذبا منهم لانهم اخذوا بما عندهم وقيل ان المراد به يوما او بعض يوم
من ايام الاخرة وقال ابن عباس انساهم الله قدر لبثهم فيرون انهم لم يلبثوا الا يومًا
او بعض يوم لعظيم ما هم بصدده من العذاب فسئل العادين يعنى الملائكة لانهم يحصون
اعمال العباد عن مجاهد وقيل يعنى الحساب لانهم يعدون الشهور والسنين عن قتادة قال الله
تعالى ان لبثتم اى ما مكثتم الا قليلا لان مكثكم فى الدنيا او فى القبور وان طال فانه متناه قليل
بالاضافة الى طول مكثكم فى عذاب جهنم لو انكم كنتم تعلمون صحة ما اخبرناكم به وقيل معناه
لو كنتم تعلمون قصر اعماركم فى الدنيا وطول مكثكم فى الاخرة فى العذاب لما اشتغلتم بالكفر
والمعاصى واثرتم الفانى على الباقى ثم قال سبحانه لهم افحسبتم معاشر الجاحدين للبعث والنشور
الظانين دوام الدنيا انما خلقناكم عبثا اى لعبا وباطلا لا لغرض وحكمة ومثله ايحسب الانسان
ان يترك سدى والمعنى ان ظننتم انا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم انكم لا تحشرون ولا تسالون

عما كنتم تعملون هذا عيب فان من خلق الاشياء لا لينفع به نفسه او غيره كان عابثا والله سبحانه
غني لا يلحقه منفعة فلا بد من ان يكون خلق الخلق لينفعهم ويعرضهم للثواب بان يتعبدهم
واذا تعبدهم فلا بد من الفرق بين المطيع والعاصي وذلك انما يكون بعد البعث وانكم
الينا لا ترجعون اي وحسبتم انكم لا ترجعون الى حكمنا والموضع الذي لا يملك الحكم فيه
غيرنا فتعالى الله الملك الحق اي تعالى عما يصفه بها الجهال من الشريك والتشبيه والولد
وقيل معناه تعالى الله من ان يعمل شيئا عبثا والملك الحق الذي يحق له بانه ملك غير
مملك وكل ملك غيره فملكه مستعار ولانه يملك جميع الاشياء من جميع الوجوه وكل ملك سواه
يملك بعض الاشياء من بعض الوجوه والحق هو الشيء الذي من اعتقده كان على ما اعتقده
فالله الحق لان من اعتقد انه لا اله الا هو فقد اعتقد الشيء على ما هو به رب العرش الكريم
اي خالق السرير الحسن والكريم في صفة الجواد بمعنى الحسن وقيل الكريم الكثير الخير ووصف العرش
به لكثرة ما فيه من الخير لمن حوله والاتيان الخير من جهته وخص العرش بالذكر مع كونه
سبحانه رب كل شيء تشريفا وتعظيما له كقوله رب هذا البيت ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان
له به اي لا حجة له فيما يدعيه يعني ان صفته انه لا حجة له به فانما حسابه عند ربه معناه
فانما معرفة مقدار ما يستحقه من الجزاء عند ربه سبحانه على قدر ما يستحقه وقيل معناه
وانما مكافاته عند الله تعالى والمكافات والمحاسبة بمعنى انه لا يفلح الكافرون اي لا يظفر بالسعد
الجاحدون لنعم الله والمنكرون لتوحيده والدافعون للبعث والنشور ولما حكى سبحانه
اقوال الكفار امر نبيه عليه السلام بالتبري منهم والانقطاع الى الله سبحانه فقال وقل يا محمد رب
اغفر الذنوب وارحم وانعم على خلقك وانت ارحم الراحمين اي افضل المنعمين واكثرهم
نعمة واوسعهم فضلا سورة النور مدنية بلا خلاف عدد آيها اربع وستون آية عراقي شامي
اثنان حجازي اختلافها آيتان بالغدو والاصال ويذهب بالابصار كلاهما عراقي شامي
فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي روى الحاكم ابو عبد الله في الصحيح بالاسناد
عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة

وعلموهن



وعلموهن المغزل وسورة النور يعني النساء وروى عبد الله ابن مسكان عن ابي عبد الله
عليه السلام قال حصنوا اموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور وحصنوا بها نساءكم فان من ادمن
قراءتها في كل يوم او في كل ليلة لم يزن احد من اهل بيته حتى يموت فاذا مات شيعه الى قبره
سبعون الف ملك يدعون له ويستغفرون الله له حتى يدخل الى قبره تفسيرها ختم الله
سبحانه سورة المؤمنين بانه لم يخلق الخلق للعبث بل للامر والنهي وابتداء هذه السورة
بذكر الامر والنهي وبيان الشرايع فقال بسم الله الرحمن الرحيم
سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ الزَّانِيَةُ
وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي
لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو وفرضناها بالتشديد والباقون
بالتخفيف وقرا ابن كثير غير ابن فليح رافة بفتح الهمزة والباقون بسكون الهمزة وفي الشواذ
قراءة عيسى الثقفي سورة بالنصب والزانية والزاني بالنصب وروي عن عمر بن عبد العزيز
وعيسى الهمداني سورة ايضا بالنصب الحجة قال ابو علي الفارسي في فرضناها لكثرة ما فيها
من الفرض والتخفيف يصلح للقليل والكثير ومن حجة التخفيف ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد قال ولعل الرافة التي قراها ابن كثير لغة واما قراءة سورة بالرفع
على انها خبر مبتدا محذوف اي هذه سورة ولا يجوز ان يكون مبتدا لانها نكرة ولا يبتدا
بالنكرة حتى توصف وان جعلت انزلناها وفرضناها صفة لها بقي المبتدا بلا خبر فان جعلت
تقديره وفيما يتلى عليكم سورة انزلناها ومن قرا سورة بالنصب فعلى اضمار فعل يفسره
انزلناها والتقدير انزلنا سورة انزلناها الا ان هذا الفعل لا يظهر لان التفسير يغني عنه
ومثله قول الشاعر شعر اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والذئب
اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا اي واخشى الذئب فلما اضمره
وفسره بقوله اخشاه ويجوز ان يكون الفعل الناصب لسورة من غير لفظ الفعل بعدها

على معنى التخصيص اى اقرؤا سورة وتاملوا سورة انزلناها كقوله سبحانه ناقة الله وسقياها
اى احفظوا ناقة الله وكذلك قوله الزانية والزانى نصب بفعل مضمر اى اجلدوا
الزانية والزانى فلما اضمر الفعل الناصب فسره بقوله فاجلدوا كل واحد منهما وجاز دخول
الفاء فى هذا الوجه لان موضع امر لا يجوز زيدا فضربته لانه خبر وانما جاز فى الامر لمضارعة
الشرط الا تراه دالا على الشرط ولذلك انجزم جوابه فى قولك زرنى اكرمك لان معناه
فانك ان تزرنى اكرمك فلما آل معناه الى الشرط جاز دخول الفاء فى الفعل المفسر للمضمر ويقول
على هذا بزيد فامرر وعلى عمرو فاغضب اللغة السورة ماخوذة من سور البناء وهو ارتفاعه
وقيل هو ماخوذ من سؤر فعلى القول الاول يكون تسميتها بذلك لانها قطعة من القرآن
وقيل ان السورة المنزلة الشريفة والجلالة قال النابغة شعر الم تر ان الله اعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب لانك شمس والملوك كواكب قيل اصلها الهمز واشتقاقها من السؤر
اذا بقيت فى الاناء بقية ومنه الحديث فاذا شربتم فاسئروا الا انه اجمع على تخفيفها كما اجمع
على تخفيف بريه ورويه واصلها من براء الله الخلق وروأة فى الامر واصل الفرض من فرض
القوس وهو الحز الذى فيه الوتر ثم اتسع فيه فجعل فى موضع الايجاب وفصل بين الفرض
والواجب بان الفرض واجب يجعل جاعل لانه فرضه على صاحبه كما انه اوجبه عليه والواجب قد يكون
واجبا بجعل جاعل و الزناء هو وطوء المرأة فى الفرج من غير عقد شرعى ولا شبهة عقد
مع العلم بذلك او غلبة الظن وليس كل وطى حرام زنا لان الوطى فى الحيض والنفاس حرام ولا يكون
زنا والجلد ضرب الجلد يقال جلده كما يقال ظهره وراسه وقاده وهذا قياس والرافة
التحنن والتعطف وفيه ثلث لغات سكون الهمزة وفتحها ومدها وقال الاخفش الرافة
رحمة فى توجع المعنى سورة انزلناها اى هذه سورة قطعة من القرآن لها اول وآخر انزلها
جبرئيل عليه السلم بامرنا وفرضناها اى اوجبنا عليكم العمل بها وعلى من بعدكم الى يوم القيمة
وقيل معناه فصلناها وبيناها بفرائض مختلفة وانزلنا فيها آيات بينات اى دلالات
واضحات على وحدانيتنا وكمال قدرتنا وقيل اراد به الحدود والاحكام التى شرع فيها لعلكم
تذكرون اى لكى تتذكروا فتعملوا بما فيها ثم ذكر سبحانه تلك الآيات وابتداء بحكم الزنا

فقال

فقال الزانية والزانى معناه التى تزنى والذى يزنى اى من زنا من النساء ومن زنى من الرجال
فيفيد العموم فى الجنس فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يعنى اذا كانا حرين بالغين
بكرين غير محصنين فاما اذا كانا محصنين او كان احدهما محصنا كان الرجم بلا خلاف
والاحصان هو ان يكون له فرج يغدو اليه ويروح على وجه الدوام ويكون حرا
واما العبد فلا يكون محصنا وكذلك الامة لا تكون محصنة وانما عليهما نصف الحد
خمسون جلدة لقوله سبحانه فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
وقيل انما قدم ذكر الزانية على الزانى لان الزنا منهن اشنع واعز وهو لاجل الحبل اضر ولان
الشهوة اكثر وعليهن اغلب قوله فاجلدوا خطاب للائمة او من كان منصوبا للامر من جهتهم
لانه ليس لاحد ان يقيم الحدود الا الائمة وولاتهم بلا خلاف ولا تاخذكم بهما رافة فى دين
الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر معناه ان كنتم تصدقون بالله وتقرون
بالبعث والنشور فلا تاخذكم بهما رافة اى رحمة تمنعكم من اقامة الحدود عليهما فتعطلوا
الحدود عن عطاء ومجاهد وقيل معناه ولا تاخذكم بهما رافة تمنعكم من الجلد الشديد
بل اوجعوهما ضربا ولا تخففوا كما يخفف فى حد الشارب عن الحسن وقتاده وسعيد بن المسيب
والنخعى والزهرى وقوله فى دين الله اى فى طاعة الله وقيل فى حكم الله عن ابن عباس كقوله
ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك اى فى حكمه وليشهد عذابهما اى وليحضر حال اقامة الحد
عليهما طائفة اى جماعة من المؤمنين وهم ثلثة فصاعدا عن قتاده والزهرى وقيل الطائفة
رجلان فصاعدا عن عكرمة وقيل اقله رجل واحد عن ابن عباس والحسن ومجاهد وابرهيم
وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم ويدل على ذلك قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
وهذا الحكم يثبت للواحد كما يثبت للجمع وقيل اربعة لان اقل ما يثبت به الزنا شهادة اربعة
عن ابن زيد وقيل ليس لهم عدد محصور بل هو موكول الى راى الامام والمقصود ان يحضر
جماعة يقع بهم اذاعة الحد ليحصل الاعتبار وقوله الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اختلف فى تفسيره على وجوه احدها ان المراد بالنكاح
العقد ونزلت الآية على سبب هو ان رجلا من المسلمين استاذن النبى صلى الله عليه وآله فى ان يتزوج

ام مهزول وهي امراة كانت تسافح ولها راية على بابها تعرف بها فنزلت الاية عن عبد الله
ابن عباس وابن عمر ومجاهد وقتاده والزهري والمراد بالاية النهي وان كان ظاهره الخبر
ويويده ما روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا هم رجال ونساء كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله مشهورين بالزنا فنهى الله عن اولئك الرجال والنساء واليوم
الناس على تلك المنزلة فمن شهد بشي من ذلك واقيم عليه الحد فلا يزوجوه حتى يعرف
توبته وثانيها ان النكاح ههنا الجماع والمعنى انهما اشتركا في الزنا فهي مثله عن الضحاك وابن زيد
وسعيد بن جبير في احدى الروايتين عن ابن عباس فيكون نظير قوله الخبيثات للخبيثين
فانه خرج مخرج الاغلب الاعم وثالثها ان هذا الحكم كان في كل زان وزانية ثم نسخ بقوله وانكحوا
الايامى منكم الاية عن سعيد ابن المسيب وجماعة ورابعها ان المراد بها العقد وذلك الحكم
ثابت فيمن زنى بامراة فانه لا يجوز له ان يتزوج بها روي ذلك عن جماعة من الصحابة
وانما قرن الله سبحانه بين الزاني والمشرك تعظيما لامر الزنا وتفخيما لشانه ولا يجوز ان يكون
هذه الاية خبرا لانا نجد الزاني يتزوج غير زانية ولكن المراد هنا الحكم او النهي سواء كان
المراد بالنكاح العقد او الوطء وحقيقة النكاح في اللغة الوطء وحرم ذلك على المؤمنين
اي حرم نكاح الزانيات وحرم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن ولا يطاهن الا زان
او مشرك قوله عز وجل وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آيتان القراة في الشواذ
قرأ عبد الله ابن مسلم بن يسار وابي زرعه باربعة بالتنوين الحجة من قرا باربعة
شهداء بغير تنوين اضاف العدد الى شهداء وان كان الشهداء من الصفات وساغ
ذلك لانهم استعملوها استعمال الاسماء كقولهم اذا دفن الشهيد صلت عليه الملائكة ونحو
ذلك فحسن اضافة اسم العدد اليها كما يضاف الى الاسم الصحيح ومن هنا قرأ بالتنوين
جعل شهداء صفة لاربعة في موضع جر فيجوز ان يكون في موضع نصب من جهتين
احديهما على معنى ثم لم يحضروا اربعة شهداء وعلى الحال من النكرة اي لم ياتوا باربعة

في ابطال الشهادة قال الزجاج الاعراب وموضع الذين يرمون رفع بالابتداء ومن قرا
الزانية والزاني بالنصب فيكون على ذلك موضع والذين يرمون نصبا على معنى اجلد
والذين يرمون المحصنات هنا الاتي احصن فروجهن بالعفه والذين تابوا في محل نصب
على الاستثناء من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا عند من قال ان شهادتهم مقبوله ويكون
قوله واولئك هم الفاسقون صفة لهم ويجوز ان يكون في موضع جر على البدل من هم في لهم
ومن قال ان شهادة القاذف غير مقبوله فعنده يكون في موضع النصب على الاستثناء من قوله
واولئك هم الفاسقون المعنى لما تقدم ذكر حد الزنا عقبه سبحانه بذكر حد القاذف
بالزنا فقال سبحانه والذين يرمون اي يقذفون العفايف من النساء بالفجور والزنا
وحذف لدلالة الكلام عليه ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي ثم لم ياتوا على صحة ما رموهن
به من الزنا باربعة عدول يشهدون انهم راوهن يفعلن ذلك فاجلدوهم اي فاجلدوا
الذين يرمونهم بالزنا ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
نهى سبحانه عن قبول شهادة القاذف على التابيد وحكم عليهم بالفسق ثم استثنى من ذلك
فقال الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا اعمالهم فان الله غفور رحيم واختلف في هذا
الاستثناء الى ماذا يرجع الى قولين احدهما انه يرجع الى الفسق خاصة دون قوله ولا تقبلوا
لهم شهادة ابدا فيزول عنه اسم الفسق بالتوبة ولا تقبل شهادته اذا تاب بعد اقامة
الحد عليه عن الحسن وقتاده وشريح وابرهيم وهو قول ابي حنيفه واصحابه والاخر الى
الاستثناء يرجع الى الامرين فاذا تاب قبلت شهادته حد او لم يحد عن ابن عباس
في رواية الوالبي ومجاهد والزهري ومسروق وعطاء وطاووس وسعيد ابن جبير
والشعبي وهو اختيار الشافعي واصحابه وقول ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قال الشافعي
اخبرنا سفين ابن عيينه عن الزهري قال زعم اهل العراق ان شهادة القاذف لا تجوز فاشهد
لاخبرني سعيد بن المسيب ان عمر ابن الخطاب قال لابي بكرة لما شهد على المغيرة ابن شعبه
تب تقبل شهادتك وان تبت قبلت شهادتك فابى ابو بكرة ان يكذب نفسه وقال الزجاج
ليس القاذف باشد جرما من الكافر والكافر اذا اسلم قبلت شهادته فالقاذف ايضا حقه اذا تاب

ان تقبل شهادته ويعضد هذا القول ان المتكلم بالفاحشة لاينبغي ان يكون اعظم جرما من
ولاخلاف في الظاهر انه اذا تاب قبلت شهادته فالقاذف اذا تاب في نوع مع انه ايسر جرما يجب ان يقبل
شهادته وقال الحسن يجلد القاذف وعليه ثيابه ويجلد الرجل قايما والمراة قاعدة وهو
المروي عن ابي جعفر عليه السلام ومن شرط توبة القاذف ان يكذب نفسه فيما قاله فان لم يفعل
ذلك لم يجز قبول شهادته وبه قال الشافعي وقيل انه لا يحتاج الى ذلك وهو قول مالك
والاية وردت في النساء وحكم الرجال حكمهن في ذلك بالاجماع واذا كان القاذف عبدا
او امة فالحد اربعون جلدة عند اكثر الفقهاء وروى اصحابنا ان الحد ثمانون في الحر والعبد
سواء فظاهر الاية يقتضي ذلك وبه قال عمر بن عبد العزيز والقسم بن عبد الرحمن قوله عز وجل
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ
وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ
وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير ابي بكر
فشهادة احدهم اربع شهادات بالرفع والباقون اربع شهادات بالنصب وقرا حفص
الخامسة الثانية بالنصب والباقون بالرفع وقرا نافع ان بسكون النون لعنة الله بالرفع
وان غضب الله عليها بكسر الضاد ورفع الله وقرا يعقوب ان لعنة الله وان غضب الله
برفع لعنة وغضب جميعا والباقون ان لعنة الله وان غضب الله بالتشديد والنصب
في الموضعين الحجة قال ابو علي من نصب اربع شهادات نصبه بالشهادة وينبغي ان يكون
قوله شهادة احدهم مبنيا على ما يكون مبتدا تقديره فالحكم او فالفرض ان تشهد اربع
شهادات او فعليهم او فليشهدوا اربع شهادات وان شئت جعلته على المعنى لان المعنى
يشهد احدهم وقوله بالله يجوز ان يكون من صلة الشهادة ومن صلة شهادات اذا
الاربع وقياس من اعمل الثاني ان يكون قوله بالله من صلة شهادات وحذف من الاول
لدلالة الثاني عليه كما يقول ضربت وضربني زيد ومن رفع فقال فشهادة احدهم اربع شهادات

بالله فان الجار والمجرور من صلة شهادات ولا يجوز ان يكون من صلة شهادة لانك
ان وصلتها بالشهادة فقد فصلت بين الصلة والموصول الا ترى ان الخبر الذي هو
اربع شهادات يفصل وقوله انه لمن الصادقين في قول من نصب اربع شهادات يجوز
ان يكون من صلة شهادة احدهم فيكون للجملة التي هي انه لمن الصادقين في موضع
نصب لان الشهادة كالعلم فيتعلق بها ان كما يتعلق بالعلم والجملة في موضع نصب بانه مفعول
به واربع شهادات ينتصب انتصاب المصدر ومن رفع اربع شهادات لم يكن انه لمن الصادقين
الا من صلة شهادات دون صلة شهادة لانك ان جعلته من صلة شهادة فصلت بين الصلة
والموصول ومن قرا ان لعنة الله عليه وان غضب الله عليها فمعناه انه لعنة الله عليه وانه
غضب الله عليها خففت الثقيلة المفتوحة على اضمار القصة والحديث ولا يكون في ذلك
كالمكسورة لان الثقيلة المفتوحة موصولة والموصولة تثبت بصلة اكثر من تثبت غير الموصول
بما يتصل به واهل العربية يستقبحون ان تلي الفعل حتى يفصل بينها وبين الفعل بشيء ويقولون
استقبحوا ان يحذف ويحذف ما يعمل فيه وان تلي ما لم يكن يليه من الفعل بلا حاجز بينهما فيجتمع هذه
الاتساعات فيها فان فصل بينها وبين الفعل لم يستقبحوا ذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم
مرضى وقوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا وعلمت ان قد قام فان قلت فقد جاء وان ليس للانسان
الا ما سعى وجاء نودي ان بورك من في النار ومن حولها فالجواب انه ليس جرى مجريها ونحوها
مما ليس بفعل واما قوله نودي ان بورك فان قوله بورك على معنى الدعاء فلم يجز دخول لا ولا قد
ولا السين ولا شيء مما يصح دخوله الكلام فيصح به الفعل ووجه قراءة نافع ان ذلك
قد جاء في الدعاء ولفظه لفظ الخبر وقد يجيء في الشعر ان لم يكن شيء يفصل بين ان وبين
ما يدخل عليه من الفعل فان قلت فلم لا يكون ان في قوله ان غضب الله ان الناصبة للفعل وصل
بالماضي فيكون قراءة من قرا وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي قلت ذلك لا يسهل
الا ترى انها متعلقة بالشهادة والشهادة بمنزلة العلم لا يقع بعدها الناصبة النزول
عن ابن عباس قال لما نزلت الاية والذين يرمون المحصنات قال عاصم ابن عدي يا رسول الله
ان راى رجل منا مع امراة فاخبر بما راى جلد ثمانين وان التمس اربعة شهداء كان الرجل قضا حاجته

ثم مضى قال وكذلك انزلت يا عاصم قال فخرج سامعاً مطيعاً فلم يصل الى منزله حتى استقبله
هلال ابن امية يسترجع فقال ما وراءك قال شر وجدت شريك ابن سحماء على بطن امرأتي
خولة فرجع الى النبي صلى الله عليه وآله فاخبره هلال بالذي كان فبعث اليها فقال ما يقول
زوجك فقالت يا رسول الله ان ابن سحماء كان ياتينا فينزل بنا فيتعلم الشيء من القرآن
فربما تركه عندي وخرج زوجي فلا ادري ادركته الغيرة ام بخل علي بالطعام فانزل
الله آية اللعان والذين يرمون ازواجهم الآيات وعن الحسن قال لما نزلت والذين
يرمون المحصنات الآية قال سعد ابن عبادة يا رسول الله ارأيت ان رأى رجل مع امرأته
رجلا فقتله يقتلونه وان اخبر بما رأى جلد ثمانين افلا يضربه بالسيف فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله كفى بالسيف شا اراد ان يقول شاهدا ثم امسك وقال لولا ان يتتابع
فيه السكران والغيران وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعد ابن عبادة لو اتيت
لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى اتي باربعة شهداء فوالله ما كنت لاتي باربعة
شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة
فقال عليه السلام يا معشر الانصار الا تسمعون الى ما قال سيدكم فقالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج
امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا ان يتزوجها فقال سعد ابن عبادة
يا رسول الله بابي انت وامي اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبرتك
فقال عليه السلام فان الله يابى الا ذاك فقال صدق الله ورسوله فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له
يقال له هلال ابن امية من حديقة له قد رأى رجلا مع امرأته فلما اصبح غدا الى رسول الله
صلى الله عليه وآله فقال اني جئت اهلي عشاء فوجدت معها رجلا رأيته بعيني وسمعته باذني
فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى رأى الكراهة في وجهه فقال هلال لاني لارى
الكراهة في وجهك والله يعلم اني لصادق واني لارجو ان يجعل الله فرجا فهم [illegible]
صلى الله عليه وآله بضربه قال واجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد ايجلد هلال
وتبطل شهادته فنزل الوحي وامسكوا عن الكلام حين عرفوا ان الوحي قد نزل فانزل الله تعالى
والذين يرمون ازواجهم الآيات قال صلى الله عليه ابشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل فرجا فقال قد كنت

ابجوا

ارجوا ذلك من الله تعالى فقال صلى الله عليه وآله ارسلوا اليها فجاءت فلاعن بينهما فلما انقضى
اللعان فرق بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وآله ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه
المعنى لما تقدم حكم القذف للاجنبيات عقبه بحكم القذف للزوجات فقال والذين يرمون
ازواجهم بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم على صحة ما قالوا الا انفسهم فشهادة احدهم
اربع شهادات قال الزجاج معناه فشهادة احدهم التي تدرأ حد القاذف اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا والخامسة اي والشهادة الخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا والمعنى ان الرجل يقول
اربع مرات مرة بعد اخرى اشهد اني لمن الصادقين فيما ذكرت عن هذه المرأة من الفجور
فان هذا حكم خص الله به الازواج في قذف نسائهم فيقوم الشهادات الاربع مقام
الشهود الاربع في دفع حد القذف عنهم ثم يقول في المرة الخامسة لعنة الله علي ان كنت
من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا ويدرؤا عنها العذاب يدفع عن المرأة حد الزنا
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين معناه ان تقول المرأة اربع مرات
مرة بعد اخرى اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما قذفني به والخامسة ان غضب الله
عليها اي وتقول في الخامسة وان غضب الله علي ان كان من الصادقين فيما قذفني به
من الزنا ثم يفرق الحاكم بينهما ولا تحل له ابدا وكان عليها العدة من وقت لعانها
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم جواب لولا محذوف وتقديره لولا
فضل الله عليكم بالنهي عن الزنا والفواحش واقامة الحدود لتهالك الناس وفسد
النسل وانقطع الانساب عن ابي مسلم وقيل معناه ولولا فضل الله وانعامه عليكم
[illegible] الله عواد على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرضه من الحدود لنال الكاذب
منهما [illegible] عظيم اي لتبين الكاذب منهما فيقام عليه الحد وقيل لعاجلكم بالعقوبة ولفضحكم
بما ترتكبون من الفاحشة ومثله قوله لو رأيت فلانا وفي يده السيف والمعنى لو رأيت
شجاعا او لرأيت امرأ هائلا قال جرير شعر كذب العواذل لو رأين مناختا بحزيز رامة

والمطى سؤام وجاء فى المثل لوداب سوار لطمنى قوله عزوجل إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ
مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي
تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ
خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ
فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ
مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ خمس ايات القراة قرا
يعقوب كُبره بضم الكاف وهو قراة ابى رجاء وحميد الاعرج وقرة القراء كِبره بكسر الكاف
وفى الشواذ قراة عايشة وابن عباس وابن يعمر اذ تلقونه وقراءة ابن السميقع
تلقونه والقراة المشهورة قراءة عايشة وابن عباس وابن يعمر اذ تلقونه الحجة
من ضم كبره اراد عظمه ومن كسر اراد وزره واثمه قال قيس ابن الخطيم شعر
تنام عن كبر شانها فاذا قامت رويدا تكاد تنصرف اى معظم شانها
اما قوله تلقونه فمعناه تسرعون فيه وتخفون اليه قال الراجز جاءت به عيس
من الشام تلق اى تخف واصله تلقون فيه او اليه فحذف حرف الجر فوصل الفعل
الى المفعول وقيل ان الولق الكذب فكان الكاذب يستمر فى الكذب ويسرع فيه وجاء
فى حديث على عليه السلم كذبت وولقت واما تلقونه فمعناه تلقونه بافواهكم واما تلقونه
فهو من تلقيت الحديث من فلان اى اخذته منه وقبلته النزول روى الزهرى عن عروه
ابن الزبير وسعيد ابن المسيب غيرهما عن عايشة انها قالت كان رسول الله صلعم
اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها فاقرع بيننا فى غزاة
غزاها فخرج فيها سهمى وذلك بعدما انزل الحجاب فخرجت مع رسول الله صلى الله
عليه واله حتى فرغ من غزوه وقفل وروى انها كانت غزوه بنى المصطلق من خزاعة
قالت ودنونا من المدينة فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حين جاوزت الجيش
فلما قضيت شانى فرجعت اقبل الى الرحل فلمست صدرى فاذا عقد جزع ظفار قد انقطع

فرجعت

فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلوننى فحملوا هودجى
على بعيرى الذى كنت اركب وهم يحسبون انى فيه وكانت النساء اذ ذاك خفافا ولم يغشهن
اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى وجئت منازلهم
وليس بها داع ولا مجيب فسموت منزلى الذى كنت وظننت ان القوم سيفقدوننى
فيرجعون الى فبينا انا جالسة غلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان ابن المعطل السلمى قد عرس
من وراء الجيش فاصبح عند منزلى فراى انسان سواد نايم فعرفنى حين رانى فخمرت وجهى بجلبابى
ووالله ما كلمنى بكلمة حتى اناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما
نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة فهلك من هلك فى وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله ابن ابى
ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حتى قدمتها شهرا والناس يفيضون فى قول اهل
الافك ولا اشعر بشئ من ذلك وهو يريبنى فى وجعى غير انى لا اعرف من رسول الله اللطف الذى
كنت ارى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزننى ولا اشعر بالشر حتى خرجت
بعدما نقهت وخرجت معى ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل
وذلك قبل ان نتخذ الكنف وامرنا امر العرب الاول فى التنزه وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها
عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وامها بنت صخر بن عامر خالة ابى فعثرت ام مسطح فى مرطها
فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اى هنتاه الم تسمعى
ما قال قلت وماذا قال فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى
دخل على رسول الله صلى الله عليه واله ثم قال كيف تيكم قلت تاذن لى ان اتى ابوى قالت وانا اريد
ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لى رسول الله فجئت ابوى فقلت لامى يا اماه ماذا يتحدث الناس
فقالت اى بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها
ضراير الا اكثرن عليها قلت سبحان الله اوقد تحدث الناس بهذا قالت نعم فبكيت تلك الليلة
حتى اصبحت لا يرقا لى دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكى ودعا رسول الله صلى الله عليه واله اسامه
ابن زيد وعلى ابن ابى طالب حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق اهله فاما اسامه فاشار
على رسول الله بالذى علم به من براءة اهله بالذى يعلم فى نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم اهلك

ولا نعلم الا خيرا فاما علي بن ابي طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسال
الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بريرة فقال يا بريرة هل رايت شيئا
يريبك من عايشة قالت والذي بعثك بالحق ان رايت عليها امرا قط اغمضه عليها
اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها قالت وانا والله اعلم اني بريئة
وما كنت اظن ان ينزل في شاني وحي يتلى ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله
عليه وآله رويا يبرئني الله فانزل الله على نبيه واخذه ما كان ياخذه من برحاء الوحي
حتى انه ليتحدر عنه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل
عليه فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال البشرى يا عايشة اما والله فقد
براك فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله هو الذي انزل
براتي فانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك الايات العشر المعنى ان الذين جاؤا بالافك
اي بالكذب العظيم الذي قلب فيه الامر عن وجهه عصبة منكم ايها المسلمون قال ابن عباس
وعايشة منهم عبد الله بن ابي بن سلول وهو الذي تولى كبره ومسطح بن اثاثة و
حسان بن ثابت وحمنة بنت جحش لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم هذا خطاب لعايشة
وصفوان لانهما قصدا بالافك ولمن اغتم بسبب ذلك وخطاب لكل من رمي بسبب
عن ابن عباس اي لا تحسبوا اثم الافك شرا لكم بل هو خير لكم لان الله تعالى يبرئ عايشة
ويوجرها بصبرها واحتسابها ويلزم اصحاب الافك ما استحقوه بالاثم الذي ارتكبوه
في امرها وقال الحسن هذا خطاب القاذفين من المؤمنين والمعنى لا تحسبوا ايها القذفة
هذا التاديب شرا لكم بل هو خير لكم فانه يدعوكم الى التوبة ويمنعكم عن المعاودة الى مثله
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي لكل امرئ من القذفة جزاء ما اكتسبه من الاثم بقدر
ما خاض وافاض فيه وقيل معناه على كل امرئ منهم عقاب ما اكتسب كقوله وان اساتم
فلها اي فعليها والذي تولى كبره اي تحمل معظمه منهم له عذاب عظيم المراد به عبد الله
بن ابي فانه كان راس الافك كان الناس يجتمع عنده ويحدثهم بحديث الافك ويشيع
ذلك بين الناس وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم قال نعودها والله ما نجت

منه

منه ولا نجا منها والعذاب العظيم عذاب جهنم في الاخرة وقيل المراد به مسطح بن اثاثة وقيل حسان
بن ثابت فانه روي انه دخل على عايشة بعد ما كف بصره فقيل لها انه يدخل عليك وقد
قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت عايشة اليس قد كف بصره فانشد
حسان قوله فيها حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل فقالت
عايشة لكنك لست كذلك لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات بانفسهم
خيرا معناه هلا حين سمعتم هذا الافك من القائلين له ظن المؤمنون والمؤمنات
بالذين هم كانفسهم خيرا لان المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور
فاذا جرى على احدهم محنة فكانها جرت على جماعتهم وهو كقوله فسلموا على انفسكم عن مجاهد
وعلى هذا يكون خطابا لمن سمعه فسكت ولم يصدق ولم يكذب وقيل هو خطاب
لمن اشاعه والمعنى هلا اذ سمعتم هذا الحديث ظننتم بها ما تظنونه بانفسكم لو خلوتم
بها وذلك لانها كانت ام المؤمنين ومن خلا بامه فانه لا يطمع فيها وهي لا تطمع فيه
وقالوا هذا القول افك مبين اي هلا قالوا كذب ظاهر لولا جاؤا عليه باربعة شهداء
اي هلا جاؤا على ما قالوه ببينة وهي اربعة شهداء يشهدون بما قالوه فاذ لم ياتوا
بالشهداء اي فحين لم ياتوا بالشهداء فاولئك الذين قالوا هذا الافك عند الله
اي في حكمه هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة بان امهلكم
لتتوبوا ولم يعاجلكم بالعقوبة لمسكم اي لاصابكم فيما افضتم اي خضتم فيه من الافك عذاب
عظيم اي عذاب لا انقطاع له عن ابن عباس ثم ذكر الوقت الذي كان يصيبهم العذاب فيه لولا فضله
فقال اذ تلقونه بالسنتكم اي يرويه بعضكم عن بعض عن مجاهد ومقاتل وقيل معناه يقبله
من غير دليل ولذلك اضافه الى اللسان وقيل معناه يلقيه بعضكم الى بعض عن الزجاج وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا اي تظنون ان ذلك سهل لا اثم فيه وهو عند الله
عظيم في الوزر لانه كذب وافتراء قوله عز وجل وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ
بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ

امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله رؤف رحيم خمس آيات المعنى ثم زاد سبحانه في الانكار عليهم فقال ولولا اذ سمعتموه
قلتم اي هلا قلتم حين سمعتم ذلك الحديث ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي لا يحل لنا ان نخوض
في هذا الحديث وما ينبغي لنا ان نتكلم به سبحانك يا ربنا هذا الذي قالوه بهتان عظيم اي كذب
وذو عظيم عقابه اي يتحير من عظمه وقيل ان سبحانك هنا معناه التعجب كقول الاعشى
سبحان من علقمة الفاجر قيل معناه ننزهك ربنا من ان نعصيك بهذه المعصية ثم وعظ
سبحانه الذين خاضوا في الافك فقال يعظكم الله اي ينهاكم الله عن مجاهد وقيل يحرم الله
عليكم ان تعودوا لمثله عن ابن عباس وقيل معناه كراهة ان تعودوا او لئلا تعودوا الى
مثله من الافك ابدا اي طول اعماركم ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بالله ونبيه قابلين
موعظة الله ويبين الله لكم الايات في الامر والنهي والله عليم بما يكون منكم حكيم فيما يفعله
ولا يضع الشيء الا في موضعه ثم هدد القاذفين فقال ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
اي تفشوا وتظهر الزنا والقبائح في الذين امنوا بان ينسبوها اليهم ويقذفوهم بها لهم عذاب
اليم في الدنيا باقامة الحد عليهم والاخرة وهو عذاب النار والله يعلم ما فيه من سخط الله وما
يستحق عليه من المعاقبة وانتم لا تعلمون ذلك ثم ذكر فضله ومنته عليهم فقال ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم لعاجلكم بالعقوبة ولكن برحمته امهلكم لتتوبوا وتندموا
على ما قلتم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه النظم لما بين سبحانه احكام قذف المحصنات
وعظم امره عقب ذلك باحكام قذف الزوجات ثم عظم بعد ذلك قذف الامهات فان ازواج
النبي صلى الله عليه وآله امهات المؤمنين بدلالة قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين الاية قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان
فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة
ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات

لعنوا

لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله
هو الحق المبين خمس آيات القراءة قرأ روح عن يعقوب ما زكى منكم بالتشديد
والباقون بالتخفيف وقرأ ابو جعفر ولا يتأل وهو قراءة زيد بن اسلم وابي رجاء و
ابي مجلز والباقون ولا يأتل وروي عن علي عليه السلم خطوات بالهمز وقد تقدم القول في ذلك
في سورة البقرة وروي عن النبي عليه السلم ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء كما يروى بالياء ايضا
وقرأ اهل الكوفة غير عاصم يوم يشهد عليهم بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ
قراءة مجاهد وابي روق يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالرفع الحجة الوجه في قوله
ما زكى بالتشديد انه قال والله يزكي فاما قوله ولا يأتل فانه من تألى اذا حلف وفي
الحديث من يتأل على الله يكذبه وهو الذي يحلف فيقول والله لا يدخل فلان الجنة وفلان
النار وانشد الاصمعي مجاجة مجاجة تالي الاصحى الاحقر لا ذلا واما لا يأتل ففيه ثلاثة اقوال احدها
من الالية التي هي اليمين ايضا يقال ائتلي وتالى والى بمعنى والاخر انه من قولهم ما الوت كذا في
اي ما قصرت فالمعنى فلا يقصر وقال الاخفش انه يحتمل الامرين وقوله ولتعفوا ولتصفحوا
بالتاء مثل ما روي فلتفرحوا بالتاء على الاصل وقد تقدم القول فيه ومن قرأ يوم تشهد
بالياء فلان تانيث الالسنة ليس بحقيقي لانه حصل بين الفعل والفاعل فصل ومن قرأ بالتاء
فعلى ان الالسنة مؤنثة ومن قرأ الحق بالرفع جعله وصفا لله تعالى اي يوفيهم الله الحق دينهم
مثل قوله الى الله مولاهم الحق النزول قيل ان قوله ولا يأتل اولوا الفضل منكم الاية نزلت في
ابي بكر ومسطح بن اثاثة وكان ابن خالة ابي بكر وكان من المهاجرين ومن جملة البدريين
وكان فقيرا وكان ابو بكر يجري عليه ويقوم بنفقته فلما خاض في الافك قطعها وحلف
لا ينفعه بنفع ابدا فلما نزلت الاية عاد ابو بكر الى ما كان وقال والله اني لاحب ان يغفر الله
لي والله لا انزعها عنه ابدا عن ابن عباس وعائشة وابن زيد وقيل نزلت في يتيم كان
في حجر ابي بكر حلف لا ينفق عليه عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت في جماعة الصحابة اقسموا ان لا
يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك ولا يواسوهم عن ابن عباس وغيره المعنى ثم نهى سبحانه

عن اتباع الشياطين فقال يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اى اثاره وطرقه
التى يودى الى مرضاته وقيل وساوسه ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر
هذا بيان سبب المنع من اتباعه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بان يلطف لكم وامركم بما تصيرون
به ازكياء ونهاكم عما تصيرون بتركه ازكياء ما زكى منكم من احد ابدا اى ما صار منكم احد زكيا
ومن فى قوله من احد مزيدة وقيل معناه ما طهر منكم احد من وسوسة الشيطان وما صلح
ولكن الله يزكى من يشاء اى يطهر بلطفه من يشاء وهو من له لطف يفعله سبحانه به ليزكوا
عنده والله سميع عليم يفعل المصالح والالطاف بالمكلفين لانه يسمع اصواتهم واقوالهم
ويعلم احوالهم وافعالهم وفى الاية دلالة على ان الله سبحانه يريد خلقه خلاف ما يريده
الشيطان لانه اذا ذم سبحانه الامر بالفحشاء والمنكر فخالق الفحشاء والمنكر ومريدها
اولى بالذم تعالى وتقدس عن ذلك وفيها دلالة على ان احدا لا يصلح الا بلطفه ولا يأتل
اى ولا يحلف ولا يقصر ولا يترك اولوا الفضل منكم والسعة اى اولوا الغنى والسعة
من المال ان يوتوا اولى القربى قال الزجاج معناه ان لا يوتوا فحذف لا اى لا يحلفوا ان لا
يوتوا وقيل لا يقصروا ان يوتوا ولا يتركوا جهدا فى الانفاق على اقرباءهم والمساكين
والمهاجرين فى سبيل الله وقد اجتمع فى مسطح الصفات الثلث كان قريبا لابى بكر
مسكينا مهاجرا قال الجبائى فى قصة مسطح دلالة على انه قد يجوز ان يقع المعاصى
ممن شهد بدرا بخلاف قول النوابت وليعفوا وليصفحوا هذا امر من الله تعالى للمراد بن
بالاية بالعفو عمن اساء اليهم والصفح عنهم وقال لهم الا تحبون ان يغفر الله لكم
معاصيكم جزاء على عفوكم وصفحكم عمن اساء اليكم والله غفور رحيم ان الذين
يرمون المحصنات اى يقذفون العفايف من النساء الغافلات عن الفواحش
المؤمنات بالله ورسوله واليوم الاخر لعنوا فى الدنيا والاخرة اى بعدوا
من رحمة الله فى الدارين وقيل استحقوا اللعنة فيهما وقيل عذبوا فى الدنيا بالجلد
ورد الشهادة وفى الاخرة بعذاب النار ولهم مع ذلك عذاب عظيم وهذا الوعيد
عام لجميع المكلفين عن ابن عباس وابن زيد يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم

وارجلهم

وارجلهم بما كانوا يعملون بين الله سبحانه ان ذلك العذاب يكون فى يوم تشهد السنتهم
فيه عليهم بالقذف وسائر اعضائهم بمعاصيهم وفى كيفية شهادة الجوارح اقوال احدها
ان الله يبنيها بنية يمكنها النطق والكلام من جهتها فيكون ناطقة والثانى ان الله تعالى
يفعل فيها كلاما يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله تعالى دون الجوارح واضيف
اليها الكلام على التوسع لانها محل الكلام والثالث ان الله تعالى يجعل فيها علامة
تقوم مقام النطق بالشهادة واما شهادة الالسن فبان يشهدوا بالسنتهم اذا راوا انهم
لا ينفعهم الجحود واما قوله اليوم نختم على افواههم فانه يجوز ان تخرج الالسن ويختم
على الافواه ويجوز ان يكون الختم على الافواه فى حال شهادة الايدى والارجل يومئذ
يوفيهم الله دينهم الحق اى يتمم الله لهم جزاءهم الحق فالدين هنا بمعنى الجزاء ويجوز ان يكون
المراد جزاء دينهم الحق فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويعلمون ان الله
هو الحق اى يعلمون الله ضرورة فى ذلك اليوم ويقرون انه الحق لانه يقضى بالحق
ويعطى بالحق وياخذ بالحق المبين اى الذى يظهر لهم حقايق الامور وبين جلايل
الايات بدأ سبحانه فبين حكم القاذف اولا واوجب عليه الحد ورد شهادته
وسماه فاسقا فعلم ان المراد به اهل الملة ثم عقبه بحديث الافك لاتصاله به ثم ذكر
صنفا اخر من القذفة وهم المنافقون بقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
فى الذين امنوا وبين ما لهم من الغضب واللعنة ثم عمم الجميع بالوعيد فى قوله ان الذين
يرمون المحصنات الايات عن ابى مسلم قوله عز وجل الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ
لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ
بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ
تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا
هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ اربع آيات اللغة الاستيناس

طلب الانس بالعلم او غيره يقول العرب اذهب فاستانس هل ترى احدا ومنه قوله فان انستم
منهم رشدا اى علمتم وروى عن ابن عباس انه قال انما هى تستاذنوا يعنى قوله تستانسوا وكذلك
فى ابن عباس المعنى ثم قال سبحانه الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات قيل فى معناه
اقوال احدها ان الخبيثات من الكلم للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات
من الكلم والطيبات من الكلم للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات
من الكلم الا ترى انك تسمع الخبيث من الرجل الصالح فتقول غفر الله لفلان ما هذا من خلقه
ولا مما يقول عن ابن عباس والضحاك ومجاهد والحسن والثانى ان معناه الخبيثات من
السيئات للخبيثين من الرجال والخبيثات من السيئات والطيبات من الحسنات
للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات عن ابن زيد و
الثالث الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات
من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال
للطيبات من النساء عن ابى مسلم الجبائى وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام
قالا هى مثل قوله الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة الاية ان اناسا هموا ان يتزوجوا منهن
فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم اولئك مبرؤن مما يقولون اى الطيبون مبرؤن
اى منزهون من الكلام الخبيث عن مجاهد وقال الفراء يعنى به عايشة وصفوان المعطل
وهو بمنزلة قوله تعالى فان كان له اخوة والام يحجب بالاخوين فجاء على تغليب لفظ الجمع لهم
مغفرة اى لهؤلاء الطيبين من الرجال والنساء مغفرة من الله لذنوبهم ورزق كريم
اى عطية من الله كريمة فى الجنة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا اى حتى تستاذنوا عن ابن مسعود وابن عباس
قال اخطا الكاتب فيه وكان يقرا حتى تستاذنوا وقيل تستانسوا بالتنحنح والكلام
الذى يقوم مقام الاستيذان وقد بين الله ذلك فى قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
فليستاذنوا عن مجاهد والسدى وقيل معناه حتى تستعلموا وتتعرفوا عن ابى ايوب
الانصارى قال قلنا يا رسول الله ص ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة

والتكبيرة

والتكبيرة يتنحنح على اهل البيت وعن سهل ابن سعد قال اطلع رجل فى حجرة من حجر رسول
الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله ومعه مدرى يحك به راسه لو اعلم انك
تنظر لطعنت به فى عينيك انما الاستيذان من النظر وروى ان رجلا قال للنبى
صلى الله عليه وآله استاذن على امى فقال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى افاستاذن
عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن عليها وتسلموا
على اهلها قيل ان فيه تقديما وتاخيرا تقديره حتى تسلموا على اهلها وتستانسوا وتستاذنوا
فان اذن لكم فادخلوا وقيل معناه حتى تستانسوا بان تسلموا فقد روى ان رجلا
استاذن على رسول الله صلى الله عليه وآله فتنحنح فقال لامراة يقال لها روضة قومى الى هذا
فعلميه وقولى له قل السلام عليكم ادخل فسمعها فقالها فقال ادخل ذلكم خير لكم معناه
ذلك الدخول بالاستيذان خير لكم لعلكم تذكرون مواعظ الله واوامره ونواهيه
فتتبعونها فان لم تجدوا معناه فان لم تعلموا فيها احدا ياذن لكم فى الدخول فلا تدخلوها
لانه ربما كان فيها ما لا يجوز ان تطلعوا عليه حتى يوذن لكم اى حتى ياذن لكم ارباب
البيوت فى ذلك بين الله سبحانه بهذا انه لا يجوز دخول دار الغير بغير اذنه وان لم
يكن صاحبها فيها ولا يجوز ان يطلع الى المنزل ليرى من فيه فيستاذنه اذا كان الباب
متعلقا وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا اى فانصرفوا ولا تلحوا عليهم وذلك بان يامروا
بالانصراف صريحا او يوجد منهم ما يدل هو ازكى لكم معناه ان الانصراف انقع لكم
فى دينكم ودنياكم واطهر لقلوبكم واقرب الى ان تصيروا ازكيا والله بما تعملون عليم
اى باعمالكم لا يخفى عليه شىء منها ثم قال سبحانه ليس عليكم جناح اى حرج واثم ان تدخلوا
بيوتا غير مسكونة يعنى بغير استيذان فيها متاع لكم قيل فى معنى هذه البيوت اقوال
احدها انها الخانات والحمامات والارحية عن الصادق عليه السلام وعن محمد ابن الحنفية
وقتاده ويكون معنى متاع لكم اى استمتاع لكم والثانى انها الخربات المعطلة يدخلها
الانسان لقضاء الحاجة عن عطاء والثالث انها الحوانيت وبيوت التجار التى فيها امتعة
الناس عن ابن زيد قال الشعبى فاذنهم انهم جاؤا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس

علموا والرابع انها مناطات الناس في اسفارهم يتفقون بها عن مجاهد والاولى حمله
على الجميع والله يعلم ما تبدون وما تكتمون لا يخفى عليه شيء من ذلك النظم وجه اتصال الاية
بما قبلها انه سبحانه لما عظم شان الزنا والقذف فاكد ذلك بالنهي عن دخول بيوت الناس
الا بعد الاستيذان والاستيناس ليكونوا ابعد من التهمة واقرب الى العصمة من السيئة
قوله عز وجل قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ
التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ آيتان القراءة قرا ابو جعفر وابن عامر وابو بكر غير اولي الاربة بالنصب والباقون
بالجر وقرا ابن عامر ايه المؤمنون ويا ايه الساحر وايه الثقلان بضم الهاء والباقون بفتحها
الحجة قال ابو علي غير فيمن جره صفة التابعين والمعنى لا يبدين زينتهن الا للتابعين الذين
لا اربة لهم في النساء والاربة الحاجة لانهم في انهم لا اربة لهم كالاطفال الذين لم يظهروا
على عورات النساء اي لم يقووا عليها ومنه قوله فاصبحوا ظاهرين وجاز وصف التابعين
بغير لانهم غير مقصودين باعيانهم فاجرى لذلك مجرى النكرة وقد قيل ان التابعين
جاز ان يوصفوا بغير في هذا القصد الوصف على شيء بعينه فاذا قصر على شيء بعينه
زال الشياع عنه فاختص فالتابعون ضربان ذوو اربة وغير ذي اربة وليس ثالث
وان كان كذلك جاز لاختصاصه ان يجري وصفا على المعرفة وعلى هذا الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم كذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر
لان المسلمين وغيرهم لا يخلو من ان يكون اصحاء او زمنى فاذا وصفوا باحد الشيئين
زال الشياع فساغ الوصف به لذلك ومن نصب غيرا احتمل ضربين احدهما ان يكون
استثناء التقدير لا يبدين زينتهن الا للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهم لا يبدين زينتهن

لمن كان

لمن كان منهم ذا اربة والاخر ان يكون حالا المعنى او الذين يتبعونهن عاجزين عنهن وذو الحال
ما في التابعين من المذكورة والوقف على يا ايها وايها بالالف لانها انما سقطت لسكونها
وسكون لام المعرفة فاذا وقف عليها زال التقاء الساكنين فظهرت الالف فاما ضم
الهاء في قراءة ابن عامر فلا يتجه لان اخر الاسم هو الياء الثانية من اي فينبغي ان يكون
المضموم لانه اخر الكلمة ووجه الاشكال والشبهة في ذلك انه وجد هذا الحرف قد صار
في بعض المواضع التي يدخل فيها بمنزلة ما هو من نفس الكلمة نحو مررت بهذا الرجل
وغلام هذه المراة فلما وجدها في اوايل المبهمة كذلك جعله في الاخر ايضا بمنزلة
شيء من نفس الكلمة واستجاز حذف الالف اللاحق للحرف لما راه قد حذف في قولهم
هلم وجرى عليها الاعراب لما كان كالشيء الذي من نفس الكلمة فان قلت فانه حرك الهاء التي
قبلها بالضم في يا ايها الرجل فانه يجوز ان يقول حركة اي في هذه المواضع كحركات الاتباع
في نحو امرئ وامرء فهذا وجه شبهة اللغة اصل الغض النقصان يقال غض من صوته
ومن بصره اي نقص ومنه حديث عمرو بن العاص لما مات عبد الرحمن بن عوف هنيئا
لك خرجت من الدنيا ببطنتك لم تتغضغض منها يقال غضغضت الشيء فتغضغض
اذا نقص والاربة فعلة من الارب كالمشية والجلسة وفي الحديث ان رجلا اعترض النبي
صلى الله عليه وآله ليساله فصاحوا به فقال عليه السلام دعوا الرجل ارب ما له قال ابن الاعرابي
اي احتاج فسال ما له وقيل معناه حاجة جاءت به فدعوه وما مزيدة من الازهري
الاعراب يغضوا من ابصارهم مجزوم لانه جواب شرط مقدر والتقدير قل للمؤمنين
غضوا من ابصاركم فانك ان تقل لهم يغضوا ويجوز ان يكون مجزوما على تقدير ليغضوا
من ابصارهم فقيل ذلك قوله يغضضن وان لم يظهر فيه الاعراب لكونه مبنيا وما ظهر
في موضع نصب على الحال من زينتهن وقوله منها من هنا للتبيين والجار والمجرور
مع المحذوف في موضع نصب على الحال المعنى ثم بين سبحانه ما يحل من النظر وما لا يحل فقال
قل يا محمد للمؤمنين يغضوا من ابصارهم عما لا يحل لهم النظر اليه ويحفظوا فروجهم عمن لا يحل
لهم وعن الفواحش وقيل ان من مزيدة والتقدير يغضوا ابصارهم عن عورات النساء

وقيل انها للتبعيض لان غض البصر انما يجب في بعض المواضع عن ابي مسلم والمعنى
من نظيرهم فلا يبصروا ولا ينظروا الى ما حرم وقيل انها لابتداء الغاية وقال
ابن زيد كل موضع في القرآن ذكر فيه حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فان
المراد به الستر حتى لا ينظر اليها احد وهو المروي عن ابي عبد الله قال فلا يحل للرجل
ان ينظر الى فرج اخيه ولا يحل للمراة ان تنظر الى فرج اختها ذلك ازكى لهم اي انفع لدينهم
ودنياهم واطهر لهم وانفى للتهمة ان ينظروا واقرب الى التقوى ان الله خبير اي عليم بما تصنعون
اي بما تعملونه وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن امر النساء بمثل ما
امر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج ولا يبدين زينتهن اي لا يظهرن مواضع الزينة
لغير محرم ومن هو في حكمه ولم يرد نفس الزينة لان ذلك يحل النظر اليه بل المراد مواضع الزينة
وقيل الزينة زينتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر اليها
لقوله الا ما ظهر منها وفيها ثلاثة اقاويل احدها ان الظاهرة الثياب والباطنة الخلخا
لان والقرطان والسواران عن ابن مسعود وثانيها ان الظاهرة الكحل والخاتم والحدائ
والخضاب في الكف عن ابن عباس والكحل والسوار والخاتم عن قتادة والثالث انها الوجه
والكفان عن عطاء والوجه والبنان عن الحسن وفي تفسير علي بن ابراهيم الكفان والاصابع
وليضربن بخمرهن على جيوبهن الخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء راس المراة المسدل
على جبينها امرن بالقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن فقد قيل انهن كن
يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهن وكنى عن الصدور بالجيوب لانها
ملبوسة عليها وقيل انهن امرن بذلك ليسترن شعورهن وقرطهن واعناقهن
قال ابن عباس تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها ولا يبدين زينتهن يعني
الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في الصلوة وقيل معناه لا يضعن الجلباب والخمار
عن ابن عباس الا لبعولتهن اي ازواجهن يبدين مواضع زينتهن لهم استدعاء لميلهم
وتحريكا لشهوتهم فقد روي انه لعن السلتاء من النساء والمرهاء فالسلتاء التي
لا تختضب والمرهاء التي لا تكتحل ولعن المسوفة والمفسلة فالمسوفة التي اذا دعاها زوجها

الى المباشرة

الى المباشرة قالت سوف افعل والمفسلة هي التي اذا دعاها قالت انا حائض وهي غير حائض
او آبائهن او آباء بعولتهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن وهؤلاء
الذين يحرم عليهم نكاحهن فهم ذوو محارم لهن بالاسباب والانساب ويدخل الجد للبعولة
فيه وان علوا واحفادهم وان سفلوا يجوز ابداء الزينة لهم من غير استدعاء لشهوتهم
ويجوز لهم تعمد النظر من غير تلذذ او نسائهن يعني النساء المؤمنات ولا يحل لها ان تتجرد
ليهودية او نصرانية او مجوسية الا اذا كانت امة وهو معنى قوله او ما ملكت ايمانهن
اي من الاماء عن ابن جريج ومجاهد والحسن وسعيد ابن المسيب قالوا ولا يحل للعبد ان ينظر
الى شعر مولاته وقيل معناه العبد والاماء وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام قال الجبائي
اراد مملوكا لهم لم يبلغ مبلغ الرجال او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اختلف في معناه
فقيل التابع الذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الابله المولى
عليه عن ابن عباس وقتادة وسعيد ابن جبير وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل هو
العنين الذي لا ارب له في النساء لعجزه عن عكرمة والشعبي وقيل انه الخصي المجبوب الذي لا رغبة
له في النساء عن الشافعي ولم يسبقه الى هذا القول وقيل انه الشيخ الهم لذهاب اربته عن يزيد
ابن ابي حبيب وقيل هو العبد الصغير عن ابي حنيفة واصحابه او الطفل اي الجماعة من الاطفال
الذين لم يظهروا على عورات النساء يريد به الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء
ولم يقووا عليها لعدم شهوتهم وقيل لم يطيقوا مجامعة النساء فاذا بلغوا مبلغ الشهوة
فحكمهم حكم الرجال ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال قتادة كانت المراة
تضرب برجلها ليسمع قعقعة الخلخال فيها فنهاهن عن ذلك وقيل معناه ولا تضرب
المراة برجلها اذا مشت ليتبين خلخالها او يسمع صوته عن ابن عباس وتوبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون اي تفوزون بثواب الجنة وفي الحديث انه عم قال يا ايها
الناس توبوا الى ربكم فاني اتوب الى الله في كل يوم مائة مرة اورده مسلم في الصحيح المراد بالتوبة
الانقطاع الى الله تعالى قوله عز وجل فانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون

نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم
فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتيكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً
لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين
ثلث آيات القراءة في الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير من بعد اكراههن لهن غفور
ورُوي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم الحجة اللام في لهن متعلقة بغفور اي غفور لهن
اللغة الايامى جمع الايم وهي المراة التي لا زوج لها كانت بكراً او ثيباً ويقال للرجل الذي لا زوجة
له ايم ايضاً قال جميل شعر احب الايامى اذ بثينة ايم واحببت لما ان غنيت الغوانيا وقال
الشاعر شعر فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم والفعل منه آمت المراة تئيم
ايمة وايوماً والانكاح التزويج يقال نكح اذا تزوج وانكح غيره اذا زوجه والاستعفاف
والتعفف سواء وهو طلب العفة واستعمالها يقال رجل عف وامراة عفة والكتاب
والمكاتبة ان يكاتب الرجل مملوكه على مال يؤديه اليه فاذا اداه اعتق واصله من الجمع وكل شيء
جمعته الى شيء فقد كتبته ومنه الكتاب لتداني بعض حروفه الى بعض وههنا قد جمع العبد
نجوم المال وقيل مال الى مال السيد الاعراب اصله مفعولا انكحوا محذوف وتقديره وانكحوا
رجالكم الايامى من نسائكم او نساءكم الايامى من رجالكم وانكحوا الصالحين من عبادكم
اماءكم الصالحات او الصالحات من امائكم عبادكم الصالحين لان الايامى تشتمل
على الرجال والنساء والصالحين تشتمل عليهما ايضاً وقوله منكم ومن عبادكم وامائكم
الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ومن للتبيين وكل موضع يكون من مع معموله
والعامل فيه في محل النصب على الحال لا يكون الا كذلك المعنى ثم امر سبحانه بالنكاح واغناهم
عن السفاح فقال وانكحوا الايامى منكم ومعناه زوجوا ايها المؤمنون من لا زوج له من احرار
رجالكم ونسائكم وهذا امر ندب واستحباب وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من احب
فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح وقال ع يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء

وروى عطاء

وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال لقيني ابن عباس في حجة حجها قال اتزوجت
قلت لا قال فتزوج وقال ثم لقيني في العام المقبل فقال هل تزوجت قلت لا فقال اذهب فتزوج
فان خير هذه الامة كان اكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وآله وعن ابي هريرة قال لو لم يبق
من الدنيا الا يوم واحد للقيت الله بزوجة سمعت رسول الله ص يقول شراركم
عزابكم وقال ع من ادرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فاحدث فالاثم بينهما
وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله اربع لعنهم الله من فوق عرشه وامنت عليه ملائكته
الذي يحصر نفسه فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله
ذكراً والمراة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله انثى ومضلل الناس يريد الذي يهزأ بهم يقول
للمسكين هلم اعطيك فاذا جاء يقول ليس معي شيء ويقول للمكفوف اتق الدابة وليس بين
يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم فيضلله والصالحين من عبادكم وامائكم
اي وزوجوا المستورين من عبيدكم وولائدكم وقيل ان معنى الصلاح ههنا الايمان
عن مقاتل ثم رجع الى الاحرار فقال ان يكونوا فقراء لا سعة لهم للتزوج يغنيهم الله من فضله
وعدهم سبحانه ان يوسع عليهم عند التزويج والله واسع المقدور كثير الفضل
عليم باحوالهم وما يصلحهم فيعطيهم على قدر ذلك قال ابو عبد الله عليه السلم من ترك
التزوج مخافة العيلة فقد اساء الظن بربه لقوله سبحانه ان يكونوا فقراء يغنيهم الله
من فضله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله هذا امر
من الله سبحانه لمن لا يجد السبيل الى ان يتزوج بان لا يجد المهر والنفقة ان يتعفف
ولا يدخل في الفاحشة ويصبر حتى يوسع الله عليه من رزقه ثم بين سبحانه ما يجري
سبيل النكاح فقال والذين يبتغون الكتاب اي يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم
من العبيد والاماء فكاتبوهم والمكاتبة ان يكاتب الانسان عبده على مال ينجمه عليه
ليؤديه اليه في هذه النجوم المعلومة وهذا امر ندب واستحباب وترغيب عند جميع الفقهاء
وقيل امر حتم وايجاب اذا طلبه العبد وعلم فيه الخير عن عطاء وعمرو بن دينار والطبري
ان علمتم فيهم خيراً اي صلاحاً ورشداً عن ابن عباس وروي عنه ايضاً ان علمتم فيه قدرة

على الاكتساب لاداء مال الكتابة رغبة فيه وامانة وهو قول ابن عمر وابن زيد والثوري
والزجاج قال الحسن ان كان عنده مال فكاتبه والا فلا يعلق عليه صحيفة يغدو
بها الى الناس ويروح فليسألهم وروي عن عبد لسلمان قال له كاتبني قال الك مال قال لا
قال تطعمني اوساخ الناس فابى عليه وكان قتاده يكره ان يكاتب العبد لا يكاتبه الا يسال
الناس وآتوهم من مال الله الذي آتاكم اي حطوا عنهم من نجوم الكتابة شيئا
عن ابن عباس وقتاده وعطاء وقيل معناه ردوا عليهم يا معشر السادة من المال
الذي اخذتم منهم شيئا وهو استحباب وقيل هو ايجاب وقال قوم من المفسرين انه خطاب
يجب لمعونتهم على تخليص رقابهم من الرق ومن قال انه خطاب للسادة اختلفوا في قدر ما
فقيل تقدير ربع المال عن الثوري وروي ذلك عن علي عليه السلم وقيل ليس فيه تقدير
بل يحط عنه شيئا وهو الصحيح وقيل انه يعطي سهمه من الصدقات في قوله وفي الرقاب
قال الحسن لولا الكتابة لما جاز له اخذ الصدقة وقال اصحابنا ان المكاتبة ضربان مطلق
ومشروط فالمشروط ان يقول لعبده في حال الكتابة متى عجزت عن اداء ثمنك
كنت مردودا في الرق فان كان كذلك جاز له رده في الرق عند العجز والمطلق ينعتق منه
عند العجز بحساب ما ادى من المال ويبقى مملوكا بحساب ما بقي عليه ويرث ويورث بحساب
ما عتق ولا تكرهوا فتياتكم اي امائكم ولا يلكم على البغاء اي على الزنا ان اردن تحصنا
اي تعففا وتزوجا عن ابن عباس وانما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند
ارادة التحصن فان لم ترد المرأة التحصن بغت بالطبع فهذه فائدة الشرط لتبتغوا عرض
الحيوة اي من كسبهن وبيع اولادهن قيل ان عبد الله بن ابي كان له ست جواري
يكرههن على الكسب بالزنا فلما نزل تحريم الزنا اتين رسول الله صلى الله عليه وآله فشكون
اليه فنزلت الاية ومن يكرههن اي ومن يجبرهن على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور
للمكرهات لا للمكره لان الوزر عليه رحيم بهن ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات
اي واضحات ظاهرات ومن قرأ بفتح الياء فمعناه مفصلات بينهن الله وفصلهن
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم واخبارا من الذين مضوا من قبلكم وقصصا لهم وشبها

من حالهم

من حالهم بحالكم لتعتبروا بها وموعظة للمتقين اي وزجرا للمتقين عن المعاصي وخصهم
بالذكر لانهم المنتفعون بها قوله عز وجل اللهُ نورُ السمواتِ والارضِ مَثَلُ نورِهِ
كمشكوةٍ فيها مصباحٌ المصباحُ في زجاجةٍ الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرّيٌّ يُوقَدُ
من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكادُ زيتُها يضيءُ ولو لم تمسسه نارٌ
نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل
شيءٍ عليم في بيوتٍ اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو
والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم
من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب اربع آيات القراءة قرأ ابو جعفر وابن كثير
ويعقوب كوكب دري مضمومة الدال مشددة الياء توقد بفتح التاء والدال وتشديد
القاف وقرأ ابو عمرو دريء مكسورة الدال ممدودة مهموزة توقد كما مر وقرأ الكسائي
دريء مكسورة الدال ممدودة مهموزة توقد بضم التاء والتخفيف والرفع وقرأ نافع
وابن عامر وحفص دري مضمومة الدال غير مهموزة توقد بضم التاء والتخفيف وقرأ
ابن عامر وابو بكر يسبح له بفتح الباء والباقون بكسرها الحجة قال ابو علي من قرأ دري يحتمل
قوله امرين احدهما ان يكون نسبه الى الدر لفرط صفائه ونوره ويجوز ان يكون
فعيلا من الدرء مثل السكير والفسيق والمعنى ان الخفاء اندفع عنه لتلألؤه في ظهوره
فلم يخف كما يخفى السهى ونحوه ومن قرأ دريء كان فعيلا من الدرء الذي هو الدفع وقد حكى
سيبويه كوكب دريء من الصفات ومن الاسماء المريق العصفر ومما يمكن على هذا البناء
قولهم العلية الاترى انه من علا ومنه السرية الاولى ان تكون فعيله ومن قرأ توقد فكان
فاعله المصباح لان المصباح هو الذي توقد قال امرؤ القيس شعر سموت اليها والنجوم
كأنها مصابيح رهبان تشب لقفال ومن قرأ توقد ففاعله المصباح ايضا ومن قرأ
توقد كان فاعله الزجاجة والمعنى على مصباح الزجاجة فحذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه فقال توقد فحمل الكلام على لفظ الزجاجة او يريد بالزجاجة القنديل فقال يوقد

على لفظ الزجاجة وان كان يريد القنديل ومعنى يوقد من شجرة اى من زيت شجرة فحذف
المضاف يدل على ذلك قوله يكاد زيتها يضيء من قرأ يسبح له بفتح الباء واقام الجار والمجرور
مقام الفاعل ثم فسر من يسبح فقال رجال اى يسبح له رجال فرفع رجالا بهذا المضمر الذى دل
عليه قوله يسبح لانه اذا قال يسبح دل على فاعل التسبيح ومثله قول الشاعر شعر ليبك يزيد ضارع
لخصومة ومختبط مما تطيح الطوايح اللغة المشكاة قيل انها رومية معربة وقال الزجاج
يجوز ان يكون عربية لان في الكلام مثل لفظها شكوة وهى قربة صغيرة فعلى هذا يكون مفعلة
منها واصلها مشكوة فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها والمصباح السراج اصله
من البياض والاصبح ايضا الاعراب قيل في تقدير قوله نور السموات وجهان احدهما ان يكون
مصدرا وضع موضع اسم الفاعل كقوله ان اصبح ماؤكم غورا اى غائرا وكما قالت الخنساء
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار وعلى هذا يكون الاضافة غير حقيقية
والسموات في تقدير النصب فيها مصباح جملة في موضع الجر بانها صفة مشكاة المصباح في زجاجة
جملة في موضع رفع بانها صفة مصباح والعائد منها اليه لام العهد تقديره فيها مصباح
ذلك المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى الجملة في موضع جر بانها صفة زجاجة وقوله
زيتونة بدل من شجرة والباقى صفة نور على نور خبر مبتدأ محذوف اى هو نور وعلى نور متعلق
بمحذوف في موضع رفع بكونه صفة نور في بيوت يتعلق بمحذوف في موضع جر بكونه صفة لمشكاة
فانتقل الضمير من المحذوف اليه وسد مسده بغير حساب في موضع نصب بكونه صفة لمفعول
محذوف وتقديره يرزق من يشاء رزقا بغير حساب اى غير محسوب المعنى الله نور السموات
والارض اختلف في معناه على وجوه احدها الله هادى السموات والارض الى ما فيه مصالحهم
عن ابن عباس والثانى الله منور السموات والارض بالشمس والقمر والنجوم عن الحسن وابى العالية
والضحاك والثالث انه مزين السموات بالملائكة ومزين الارض بالانبياء والعلماء عن ابى بن كعب
وانما ورد النور في صفة الله تعالى لان كل نفع واحسان وانعام منه وهذا كما يقال فلان رحمة
وفلان عذاب اذا كثر فعل ذلك منه وعلى هذا قول الشاعر شعر المرء انا نور قوم وانما يبين في الظلماء
للناس نورها وانما المعنى انا نسعى فيما ينفعهم ومناخيرهم وكذا قول ابى طالب في مدح النبى

شعر وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل لم يعن بقوله ابيض بياض لونه وانما اراد كثرة افضاله واحسانه
ونفعه والاهتداء به ولهذا المعنى سماه الله تعالى سراجا منيرا مثل نوره فيه وجوه احدها
ان معناه مثل نور الله الذى هدى به المؤمنين وهو الايمان في قلوبهم عن ابى بن كعب والضحاك
وكان ابى يقرأ مثل نور من آمن به والثانى مثل نوره الذى هو القرآن في القلب عن ابن عباس
والحسن وزيد ابن اسلم والثالث انه عنى بالنور محمدا صلى الله عليه وآله واضافه الى نفسه تشريفا
له عن كعب وسعيد بن جبير فالمعنى مثل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والرابع ان نوره سبحانه
الادلة الدالة على توحيده وعدله التى هى في الظهور والوضوح مثل النور عن ابى مسلم والخامس
ان النور هنا الطاعة اى مثل طاعة الله في قلب المؤمن عن ابن عباس في رواية اخرى كمشكاة
فيها مصباح المشكاة هى الكوة في الحايط يوضع عليها زجاجة ثم يكون المصباح خلف تلك الزجاجة
ويكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه وقيل المشكاة عمود القنديل الذى فيه الفتيلة
وهو مثل الكوة والمصباح السراج وقيل المشكاة القنديل والمصباح الفتيلة عن مجاهد
المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى اى تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذى
يشبه الدر في صفائه ويكون ذلك اقوى لضوئه يوقد من شجرة مباركة اى يشتعل ذلك
السراج من دهن شجرة مباركة زيتونة اراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون لان فيها انواع
المنافع فان الزيت يسرج به وهو ادام ودهان ودباغ ويوقد بحطبه وثفله ويغسل
برماده الابريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه الى عصار وقيل انه خص الزيتونة لان دهنها
اصفى واضوأ وقيل لانها اول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان ومنبتها منزل الانبياء
وقيل لانه بارك فيها سبعون نبيا منهم ابرهيم فلذلك سميت مباركة لا شرقية
ولا غربية اى لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب وهى ضاحية للشمس لا يظلها جبل ولا شجر ولا كهف
فزيتها يكون اصفى عن ابن عباس والكلبى وعكرمة وقتادة فعلى هذا يكون المعنى انها ليست
شرقية لا تصيبها الشمس اذا طلعت بل هى شرقية غربية اخذت بحظها من الامرين وقيل معناه
انها ليست من شجر الدنيا فتكون شرقية او غربية عن الحسن وقيل معناه ليست مقنوة لا تصيبها

الشمس ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل بل تصيبها الشمس والظل عن السدي وقيل ليست من شجرة
الشرق ولا من شجرة الغرب لان ما اختص باحدى الجهتين كان اقل زيتا واضعف ضوء
لكنها من شجر الشام وهي ما بين الشرق والغرب عن ابن عباس يكاد زيتها يضيء من صفائه
وفرط ضيائه ولو لم تمسسه نار اي قبل ان تصيبه النار وتشتعل فيه واختلف في هذا
التشبيه على اقوال احدها انه مثل ضربه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله والمشكاة
صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة لا شرقية ولا غربية اي لا يهودية ولا نصرانية
توقد من شجرة مباركة يعني شجرة النبوة وهو ابراهيم ع يكاد نور محمد يتبين للناس
ولو لم يتكلم به كما ان ذلك الزيت يكاد يضيء ولو لم تمسسه اي تصيبه النار عن كعب وجماعة
من المفسرين وقد قيل ايضا ان المشكاة ابرهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلوات
الله عليهم كما سمي سراجا منيرا في موضع آخر من شجرة مباركة لان ابرهيم اكثر الانبياء بنين
لا شرقية ولا غربية لا نصرانية ولا يهودية لان النصارى يصلي الى المشرق واليهود يصلي الى
المغرب يكاد زيتها يضيء اي يكاد محاسن محمد تظهر قبل ان يوحى اليه نور على نور اي نبي
من نسل نبي عن محمد بن كعب وقيل ان المشكاة عبد المطلب والزجاجة عبد الله والمصباح هو
النبي لا شرقية ولا غربية بل مكية لان مكة وسط الدنيا عن الضحاك وروي عن الرضا
عليه السلم انه قال نحن المشكاة فيها المصباح محمد يهدي الله لولايتنا من احب وفي كتاب التوحيد
لابي جعفر ابن بابويه رحمه الله بالاسناد عن عيسى بن راشد عن ابي جعفر الباقر عليه السلم
في قوله كمشكاة فيها مصباح قال نور العلم في صدر النبي صلى الله عليه وآله المصباح في زجاجة
الزجاجة صدر علي صار علم النبي الى صدر علي علم النبي عليا توقد من شجرة مباركة نور
العلم لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
قال يكاد العالم من آل محمد يتكلم بالعلم قبل ان يسأل نور على نور اي امام مؤيد بنور العلم
والحكمة في اثر امام من آل محمد وذلك من لدن ادم الى ان يقوم الساعة فهولاء الاوصياء
الذين جعلهم خلفاء في ارضه وحججه على خلقه لا تخلو الارض في كل عصر من واحد منهم
ويدل عليه قول علي بن ابي طالب عليه السلم في رسول الله صلى الله عليه وآله شعرا انت الامير محمد قرم

اعز مسود

اعز مسود لمسودين اطاهر كرموا وطاب المولد انت السعيد من السعود تكنفتك الاسعد
من لدن ادم لم تزل فينا وصي مرشد ولقد عرفتك صادقا والقول لا يفند ما زلت
تنطق بالصواب وانت طفل امرد وتحقيق هذه الجملة يقتضي ان الشجرة المباركة المذكورة
في الاية هي دوحة التقى والرضوان وعترة الهدى والايمان شجرة اصلها النبوة
وفرعها الامامة واغصانها التنزيل واوراقها التاويل وخدمها جبرئيل وميكائيل
وثانيها انه مثل ضربه الله للمؤمن والمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح الايمان
والقران في قلبه يوقد من شجرة مباركة هي الاخلاص لله وحده لا شريك له فهي خضراء
ناعمة كشجرة التف بها الشجر فلا تصيبها الشمس على اي حال لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك
المؤمن قد احترز من ان يصيبه شيء من الفتن فهو بين اربع خلال ان اعطي شكر وان ابتلي
صبر وان حكم عدل وان قال صدق فهو في ساير الناس كالرجل الحي يمشي بين قبور الاموات
نور على نور كلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى نور يوم القيمة
عن ابي بن كعب وثالثها انه مثل القران في قلب المؤمن فكما ان هذا المصباح يستضاء به وهو كما هو
لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به ويعمل به فالمصباح هو القرآن والزجاجة قلب المؤمن
والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء تكاد حجج القرآن تتضح
وان لم تقرا وقيل تكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكر فيها وتدبرها ولو لم ينزل القرآن
نور على نور يعني ان القرآن نور مع ساير الادلة قبله فازدادوا به نورا على نور عن الحسن
وابن زيد وعلى هذا فيجوز ان يكون المراد نور الادلة فان الدلائل تترتب بعضها على بعض ولا يكاد
العاقل يستفيد منها الا بمراعات الترتيب فمن ذهب عن الترتيب فقد ذهب عن طريق الاهتداء
وقال مجاهد ضوء نور السراج على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة يهدي الله لنوره من يشاء
اي يهدي الله لدينه وايمانه من يشاء بان يفعل له لطفا يختار عنده الايمان اذا علم ان له
لطفا وقيل معناه يهدي الله لنبوته وولايته من يشاء ممن يعلم انه يصلح لذلك ويضرب الله
الامثال للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لدرك المرام والله بكل شيء عليم فيضع الاشياء
مواضعها في بيوت اذن الله ان ترفع معناه هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها وهي المساجد

في قول ابن عباس والحسن ومجاهد والجبائي ويعضده قول النبي صلى الله عليه وآله المساجد
بيوت الله في الارض وهي تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض ثم قيل انها اربع مساجد
لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابرهيم واسمعيل ومسجد بيت المقدس بناه داود وسليمان
ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل هي بيوت الانبياء
وروي ذلك مرفوعا انه سئل النبي صلى الله عليه وآله لما قرأ الاية اي بيوت هذه فقال بيوت
الانبياء فقام ابو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة وتطهيركم تطهيرا
وقوله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت والاذن برفع بيوت الانبياء والاوصياء مطلق
والمراد بالرفع التعظيم ورفع القدر من الارجاس والتطهير من المعاصي والادناس
وقيل المراد برفعها رفع الحوائج فيها الى الله تعالى فيذكر فيها اسمه اي يتلى فيها كتابه عن ابن عباس
وقيل يذكر فيها اسماؤه الحسنى يسبح له فيها بالغدو والاصال اي يصلى له فيها بالبكر
والعشايا عن ابن عباس والحسن والضحاك فقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن صلوة وقيل المراد
بالتسبيح تنزيه الله سبحانه عما لا يجوز عليه ووصفه بالصفات التي يستحقها لذاته وافعاله التي
كلها حكمة وصواب ثم بين سبحانه المسبح فقال رجال لا تلهيهم اي لا تشغلهم ولا تصرفهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة اي اقامة الصلوة حذف الهاء لانها عوض عن الواو
في اقوام فلما اضافه صار المضاف اليه عوضا عن الهاء وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام انهم قوم اذا حضرت الصلوة تركوا التجارة وانطلقوا الى الصلوة وهم اعظم
اجرا ممن يتجر وايتاء الزكوة اي اخلاص الطاعة لله تعالى عن ابن عباس وقيل يريد الزكوة
المفروضة عن الحسن يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار اراد يوم القيمة تتقلب فيه
احوال العباد القلوب والابصار وينتقل من حال الى حال فتلفحها النار ثم تنضجها ثم تحرق
عن الجبائي وقيل تتقلب فيه القلوب من الطمع في النجاة والخوف من الهلاك وتتقلب الابصار
يمنة ويسرة من اين تؤتى كتبهم واين يؤخذ بهم امن قبل اليمين ام من قبل الشمال وقيل
تتقلب القلوب ببلوغها الحناجر والابصار بالعمى بعد البصر وقيل معناه تتقلب القلوب من الشك
الى اليقين والايمان والابصار عما كانت تراه غيا وتراه رشدا فمن كان شاكا في دنياه ابصر في اخرته

ومن كان

ومن كان عالما ازداد بصيرة وعلما فهو مثل قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد عن البلخي ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله اي يفعلون
ذلك طلبا لمجازات الله اياهم باحسن ما عملوا وليفضلهم عليه بالزيادة على ما استحقوه
باعمالهم من فضله وكرمه والله يرزق اي يعطي من يشاء بغير حساب اي بغير مجازات على عمل
بل تفضلا منه سبحانه والثواب لا يكون الا بحساب والتفضل يكون بغير حساب اي بغير مجازات
على عمل بل الاولى بما قبلها اتصال المثل بالمثل لانه تعالى لما بين وجوه المنافع والمصالح
وعلم الشرايع فيما سبق بين بعده ان منافع اهل السموات والارض منه لان اسم النور
يطلق على ذلك كما تقدم بيانه وقيل انها اتصلت بما قبلها اتصال العلة بالمعلول
فكانه قال انزلنا ايات بينات ومواعظ بالغات فهديناكم بها لانا هادي اهل السموات
والارض واتصل قوله في بيوت بقوله كمشكاة فيها مصباح على ما تقدم بيانه وقيل
تتصل بيسبح ويكون فيها تكريرا على التوكيد والمعنى يسبح لله رجال في بيوت اذن الله
ان ترفع كقوله في الدار قام زيد فيها قوله عز وجل وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ
حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ
مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ
اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ آيتان القراءة قرأ ابن عباس في رواية البزي سحاب بغير تنوين
ظلمات بالجر وفي رواية القواس وابن فليح سحاب بالتنوين ظلمات بالجر والباقون كلاهما بالرفع
والتنوين الحجة قال ابو علي قوله او كظلمات معناه او كذي ظلمات ويدل على حذف المضاف
قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها والضمير الذي اضيف اليه يده يعود الى المضاف المحذوف
ومعنى ذي ظلمات انه في ظلمات ومعنى ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة البحر وظلمة الموج
الذي في الموج وقوله خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث فانه يجوز ان يكون ظلمة الرحم
وظلمة البطن وظلمة المشيمة وقوله فنادى في الظلمات ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت
وظلمة الليل ويجوز ان يكون الالتقام كان بالليل فهذه ظلمات ومن قرأ سحاب

ظلمات فرفع ظلمات كان خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذه ظلمات بعضها فوق بعض
ومن قرأ سحاب ظلمات جاز ان يجعله تكريرا او بدلا من ظلمات الاولى ومن قرأ سحاب
ظلمات جاز ان يكون تكريرا وبدلا من باضافة سحاب الى ظلمات فالظلمات هي الظلمات
التي تقدم ذكرها فاضاف السحاب الى الظلمات لاستقلال السحاب وارتفاعه في وقت كونه
هذه الظلمات كما يقول سحاب رحمة وسحاب مطر اذا ارتفع في الوقت الذي يكون فيه الرحمة
والمطر اللغة السراب شعاع يخيل كالماء يجري على الارض نصف النهار حين يشتد الحر
والآل شعاع يرتفع بين السماء والارض كالماء ضحوة النهار والآل يرفع الشخص الذي فيه
وانما قيل سراب لانه ينسرب اي يجري كالماء والقيعة جمع قاع وهو الواسع من الارض المنبسط
وفيه يكون السراب واللجة البحر معظمه الذي يتراكب امواجه فلا يرى ساحله والتج البحر التجاجا
المعنى ثم ذكر سبحانه مثل الكفار فقال والذين كفروا اعمالهم التي يعملونها ويعتقدون
انها طاعات كسراب بقيعة اي كشعاع بارض مستوية يحسبه الظمآن ماء اي يظنه العطشان
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حتى اذا انتهى اليه رأى ارضا لا ماء فيها وهو قوله لم يجده
شيئا اي شيئا مما حسب وقدر وكذلك الكافر يحسب ما قدم من عمله نافعا وان له عليه ثوابا وليس له
ثواب ووجد الله عنده فوفاه حسابه قيل معناه ووجد الله عند عمله فجازاه على كفره وهذا
في الظاهر خبر عن الظمآن والمراد به الخبر عن الكفار ولكن لما ضرب الظمآن مثلا للكفار جعل الخبر
عنه كالخبر عنهم والمعنى وجد امر الله او وجد جزاء الله وقيل معناه ووجد الله عنده
بالمرصاد فاتم له جزاءه والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على افعالهم
في حالة واحدة وسئل امير المؤمنين علي عليه السلام كيف لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع
على افعالهم يحاسبهم في حالة واحدة وقيل ان المراد به عتبة بن ربيعة كان يلتمس الدين في الجاهلية
ثم كفر في الاسلام عن مقاتل ثم ذكر مثلا آخر لاعمالهم فقال او كظلمات في بحر لجي اي عظيم
اللجة لا يرى ساحله وقيل هو العميق الذي يبعد عمقه عن ابن عباس يغشاه موج من فوقه
سحاب اي من فوق الموج سحاب ظلمات بعضها فوق بعض يعني ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة
السحاب والمعنى ان الكافر يعمل في حيرة ولا يهتدي لرشده فهو من جهله وحيرته كمن في هذه

الظلمات

الظلمات لانه من عمله وكلامه واعتقاده يتقلب في ظلمات وروي عن ابي انه قال الكافر يتقلب في خمس
ظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيمة الى ظلمة وهي النار
اذا اخرج يده لم يكد يراها اختلف في معناه فقيل لا يراها ولا يقارب رؤيتها فهو نفي الرؤية
وعن مقاربة الرؤية لان دون هذه الظلمة لا يرى فيها عن الحسن واكثر المفسرين ويدل عليه قول
ذي الرمة شعر اذا غير النأي المحبين لم يكد ... على كل حال حبيبة يبرح ويروى رسيس الهوى من حب
مية يبرح وقال آخر شعر ما كدت اعرفها الا بعد انكاري ... وقيل الفعل كاد صلة والمعنى انه لم يرها
وقيل لا يراها الا بعد جهد ومشقة ورؤيته تخيل لصورتها لان حكم الامر وقع بعد وطى عن المبرد
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اي لم يجعل له نجاة وفرجا فما له من نجاة وقيل
من لم يجعل الله له نورا في القيمة فما له من نور قوله عز وجل ألم تر أن الله يسبح له من في
السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون
ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه
ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها
من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب
الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار والله خلق كل دابة من ماء
فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله
ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم ست آيات القراءة قرأ ابو جعفر يذهب بالابصار بضم الياء وكسر الهاء والباقون
يذهب الحجة من قرأ يذهب فالباء زائدة وتقديره يذهب الابصار ومثله قوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وقال الهذلي شعر شربن بماء البحر ثم ترفعت ... متى لجج خضر لهن نئيج
اي شربن ماء البحر قال ابن جني انما زاد هذه الباء لتوكيد التعدي كما زاد اللام لتوكيد معنى
الاضافة في قوله يا بؤس للحرب ضرار الاقوام وان شئت حملته على المعنى فكأنه قال يكاد سنا برقه
يلوي بالابصار اي يستاثر بالابصار وقد ذكرنا اختلافهم في قوله خلق كل دابة والوجه فيه
في سورة ابرهيم اللغة الازجاء والتزجية الدفع والسوق وزجا الخراج يزجو زجاء

اذا اسلمه الى اهله وتيسر جنانه والركام المتراكم بعضه على بعض والركمة الطين المجموع والودق
المطر وودقت السماء تدق ودقا اذا امطرت قال الشاعر شعر فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض
ابقل ابقالها والخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين والبرد واصله من البرد خلاف
الحر وسحاب برد اى بالبرد ويقال سمى البرد لانه يبرد وجه الارض اى يقشره من برده الشىء
بالمبرد والسنا مقصور الضوء وهو بالمد الرفعة الاعراب صافات حال من الطير
وينزل من السماء من لابتداء الغاية لان السماء مبتدأ لانزال المطر من جبال من للتبعيض
لان البرد بعض الجبال التى فى السماء من برد من لتبيين الجنس لان جنس الجبال جنس البرد على
ابن عيسى فى التحقيق ان قوله من جبال بدل من قوله من السماء وقوله فيها فى متعلق بمحذوف
تقديره من جبال كائنة فى السماء والجار والمجرور فى موضع الصفة لجبال تقديره من جبال
سماوية وقوله من برد يتعلق بمحذوف آخر فى محل جر لانه صفة بعد صفة تقديره من جبال سماوية
بردية ومفعول ينزل محذوف اى ينزل من جبال فى السماء من برد بردا كما يقال اخذت من المال
شيئا وقوله على بطنه فى موضع نصب على الحال وكذلك قوله على رجلين وعلى اربع ومن الاولى
والثالثة بمعنى المعنى ثم ذكر سبحانه الايات التى جعلها نور العقلاء العارفين بالله
وصفاته فقال الم تر اى الم تعلم يا محمد ان ما ذكر فى الاية لا يرى بالابصار وانما يعلم بالادلة
والخطاب للنبى والمراد به جميع المكلفين ان الله يسبح له من فى السموات والارض والتسبيح
التنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه ولا يليق به اى ينزهه اهل السموات واهل الارض بالسنتهم
وقيل عنى به العقلاء وغيرهم وكنى عن الجميع بلفظ من تغليبا للعقلاء على غيرهم والطير
اى ويسبح له الطير صافات اى واقفات فى الجو مصطفات الاجنحة فى الهواء وتسبيحها
ما يرى عليها من اثار الحدوث كل قد علم صلاته وتسبيحه معناه ان جميع ذلك قد علم الله تعالى
دعاءه الى توحيده وتسبيحه وتنزيهه وقيل ان الصلوة للانسان والتسبيح لكل شىء عن مجاهد
وجماعة وقيل معناه كل واحد منهم قد علم صلاته وتسبيحه اى صلوة نفسه فيؤديه فى وقته
فيكون الضمير فى علم لكل وفى الاول يعود الضمير الى اسم الله وهو اجود لان الاشياء كلها لا تعلم
كيفية دلالتها على الله وانما يعلم الله تعالى ذلك والله عليم بما يفعلون اى عالم بافعالهم فيجازيهم

مجهها

بحسبها ولله ملك السموات والارض والملك المقدور الواسع لمن يملك السياسة والتدبير
فملك السموات والارض لا يصح الا لله وحده لانه القادر على الاجسام لا يقدر على خلقها
غيره فالملك التام لا يصح الا له سبحانه والى الله المصير اى المرجع يوم القيمة ثم قال الم تر
اى الم تعلم ان الله يزجى سحابا اى يسوقه سوقا رفيقا اى حيث يريد ثم يؤلف بينه
اى يضم بعضه الى بعض فيجعل القطع المتفرقة منه قطعة واحدة ثم يجعله ركاما اى متراكما
متراكبا بعضه فوق بعض فترى الودق يخرج من خلاله اى ترى المطر والقطر يخرج من خلال
السحاب اى مخارج القطر منه وينزل من السماء من جبال فيها من برد اى وينزل من جبال
فى السماء تلك الجبال من برد بردا والسماء السحاب لان كل ما علا مطبقا فهو سماء ويجوز
ان يكون البرد يجتمع فى السحاب كالجبال ثم ينزل منها عن البلخى وغيره وقيل معناه وينزل
من السماء مقدار جبال من برد كما يقول عندى بيتان من تبن اى قدر بيتين من
التبن وقيل ان السماء المعروفة فيها جبال من برد مخلوقة عن الحسن والجبائى فيصيب به
اى بالبرد اى يصيب ضرره من يشاء فيهلك زرعه وماله ويصرفه عن من يشاء اى ويصرف
ضرره عمن يشاء فيكون اصابته نقمة وصرفه نعمة يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
اى يقرب ضوء برق السحاب من ان يذهب بالبصر ويخطفه لشدة لمعانه كما قال يكاد البرق
يخطف ابصارهم يقلب الله الليل والنهار اى يصرفهما فى اختلافهما وتعاقبهما واذهاب
احدهما والاتيان بالاخر وفى ذلك لعبرة اى دلالة لاولى الابصار اى لذوى العقول و
البصائر والله خلق كل دابة اى حيوان يدب على وجه الارض ولا يدخل فيه الجن والملائكة
من ماء اى من نطفة وقيل عنى به الماء لان اصل الخلق من الماء لان الله خلق الماء وجعل
بعضه نارا فخلق الجن منها وبعضه ريحا فخلق منه الملائكة وبعضه طينا فخلق منه آدم
فاصل الحيوان كله الماء ويدل عليه قوله وجعلنا من الماء كل شىء حى فمنهم من يمشى
على بطنه كالحية والحوت والدود ومنهم من يمشى على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشى
على اربع كالانعام والوحوش والسباع ولم يذكر ما يمشى على اكثر من اربع لانه كالذى يمشى
على اربع فى مرأى العين فترك ذكره لان العبرة تكفى بذكر الاربع قال البلخى ان [illegible]

ما له قوائم كثيرة فان اعتماده اذا سعى على اربعة قوائم فقط وقال ابو جعفر عليه السلم ومنهم من يمشي
على اكثر من ذلك يخلق الله ما يشاء اي يخترع ما يشاء وينشئ من الحيوان وغيره قال المبرد
قوله كل دابة للناس وغيرهم واذا اختلط النوعان حمل الكلام على الاغلب فلذلك قال من لغير
ما يعقل ان الله على كل شيء قدير يخلق هذه الاشياء لقدرته عليها فاختلاف هذه الحيوانات
مع اتفاق اصلها يدل على ان لها خالقا قادرا عالما حكيما لقد انزلنا آيات مبينات اي دلالات
واضحات بينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي جملة تلك الدواب وعنى به المكلفين
دون من ليس بمكلف والصراط المستقيم الايمان لانه يؤدي الى الجنة وقيل ان المراد يهدي في الآخرة
الى طريق الجنة قوله عز وجل وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ
أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ
يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ست آيات القراءة قرأ
ابو جعفر وقالون عن نافع ويعقوب ويتقه بكسر القاف والهاء مكسورة مختلسة غير مشبعة
وقرأ ابو عمرو وحمزة في رواية العجلي وخلاد وابو بكر في رواية حماد ويحيى ويتقه بكسر القاف
وسكون الهاء وقرأ حفص ويتقه بسكون القاف وكسر الهاء غير مشبعة الباقون
ويتقه بكسر القاف والهاء مشبعة وروي عن علي عليه السلم قراءة قول المؤمنين بالرفع وهو قراءة
الحسن بخلاف وابن ابي اسحاق وهو مثل قراءة من قرأ فما كان جواب قومه بالرفع وقد ذكرنا
الوجه فيه وقرأ ابو جعفر وحده ليحكم بينهم بضم الياء وفتح الكاف في الموضعين وفي البقرة
وآل عمران مثل ذلك وقد ذكرناه هناك الحجة قال ابو علي الوجه ويتقه هي موصولة الا ترى
ان الفعل اذا رفع دخلت الياء ومن قرأ ويتقه بسكون الهاء فلان ما يتبع هذه الهاء
من الياء والواو زيادة فرد الى الاصل وحذف ما يلحقه من الزيادة ويقوى ذلك ما حكى
سيبويه انه سمع من يقول هذه امة الله في الوصل والوقف وزعم ابو الحسن ان قوله له ارقان

ونحو لغة

ونحو لغة يجرونها في الوصل مجراها في الوقف فيحذفون منها كما حذفوا في الوقف وحملها
سيبويه على الضرورة واما قراءة حفص ويتقه فوجهه ان تقه من يتقه مثل كتف فكما سكن
نحو كتف كذلك سكن القاف من تقه وعلى هذا قول الشاعر شعر عجبت لمولود وليس له اب
ومن ولد لم يلده ابوان ومثله فبات منتصبا وما تكردسا فلما اسكن ما قبل الهاء
بهذا التشبيه حرك الهاء بالكسر كما حرك الدال بالفتح ولم يلده اللغة قال الزجاج الاذعان
الاسراع مع الطاعة يقال اذعن لي بحقي اي طاوعني لما كنت التمسه منه وصار يسرع اليه وناقة
مذعان منقادة والحيف الجور بنقص الحق والفوز اخذ الحظ الجزيل من الخير النزول وقيل نزلت الآيات
في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة فدعاه اليهودي الى رسول الله
ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف وحكى البلخي انه كانت بين علي عليه السلم وعثمان منازعة في ارض
اشتراها من علي فخرجت فيها احجار واراد ردها بالعيب فلم يأخذها فقال بيني وبينك
رسول الله فقال الحكم بن ابي العاص ان حاكمته الى ابن عمه حكم له فلا تحاكمه اليه فنزلت الآيات
وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم او قريب منه المعنى ويقولون آمنا بالله اي صدقنا بتوحيد الله
وبالرسول ع واطعنا هما فيما حكما ثم يتولى فريق منهم اي يعرض عن طاعتهما وطائفة منهم
من بعد ذلك اي من بعد قولهم آمنا وما اولئك الذين يدعون الايمان ثم يعرضون
عن حكم الله ورسوله بالمؤمنين وفي هذه الآية دلالة على ان القول المجرد لا يكون ايمانا
اذ لو كان كذلك لما صح النفي بعد الاثبات واذا دعوا الى الله اي الى كتاب الله وحكمه
وشريعته ورسوله اي والى حكم رسوله ليحكم بينهم الرسول وانما افرد بعد قوله الى الله
ورسوله لان حكم الرسول يكون بامر الله تعالى فحكم الله ورسوله واحد اذا فريق منهم معرضون
عما يدعون اليه وان يكن لهم الحق اي وان علموا ان الحق يقع لهم يأتوا اليه اي الى النبي صلى الله
عليه وآله مذعنين مسرعين طائعين منقادين ثم قال سبحانه منكرا عليهم افي قلوبهم
مرض اي شك في نبوتك ونفاق وهو استفهام يراد به التقرير لانه اشد في الذم والتوبيخ
اي هذا امر قد ظهر حتى لا يحتاج فيه الى البينة كما جاء في نقيضه من المدح على طريق الاستفهام
نحو قول جرير شعر الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح ام ارتابوا ام

في عدلك اي رأوا منك ما لا ريهم لاجله امر ام يخافون ان يحيف الله عليهم اي يجور الله
عليهم ورسوله اي يميل برسوله في الحكم ويظلمهم لانه لا وجه في الامتناع عن المجي الا احد
هذه الاوجه الثلثة ثم اخبر سبحانه انه ليس شيء من ذلك فقال بل اولئك هم الظالمون
نفوسهم وغيرهم وفي هذه الاية دلالة على ان خوف الحيف من الله تعالى خلاف الدين و اذا كان
كذلك فالقطع عليه اولى ان يكون خلافا للدين ثم وصف سبحانه الصادقين في ايمانهم
فقال انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا
واطعنا اي سمعنا قول النبي واطعنا امره وان كان ذلك فيما يكرهونه ويضرهم عن ابن
عباس ومقاتل وقيل معناه قبلت هذا القول وانقدنا واجبنا الى حكم الله ورسوله
واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالثواب الظافرون بالمراد وروي عن ابي جعفر عليه السلم
ان المعني بالاية امير المؤمنين عليه السلم ومن يطع الله ورسوله فيما امراه به ونهياه عنه
ويخش الله اي ويخش عقاب الله في ترك اوامره وارتكاب نواهيه ويتقه اي ويتق عقابه
بامتثال اوامره واجتناب نواهيه فاولئك الفائزون وقيل معناه ويخش الله اي ويتق
عقابه في ذنوبه التي عملها ويتقه فيما بعد النظم قيل اتصلت الاية الاولى بقوله ويضرب الله
الامثال للناس ويعود الضمير في قوله ويقولون اليهم وكان يقع على بعضهم فكانه قال ويقول
جماعة من هولاء انشأ عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه سبحانه بذكر
المنافق قوله عز وجل وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ
مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ
مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَعَدَ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي
لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ثلث آيات القراءة قرأ
ابو بكر كما استخلف بضم التاء والباقون بفتح التاء وقرأ ابن كثير وابو بكر
ويعقوب وسهل وليبدلنهم من الابدال والباقون بالتشديد من التبديل الحجة قال ابو علي الوجه

كما استخلف

كما استخلف بفتح التاء واللام لان اسم الله تعالى قد تقدم ذكره والضمير في ليستخلفنهم يعود
اليه فكذلك في قوله كما استخلف والوجه في استخلف انه يراد به ما يراد باستخلف والتبديل
والابدال بمعنى وقيل ان التبديل تغيير حال الى حال اخرى يقال صورته والابدال رفع الشيء
بان يجعل غيره مكانه كما يقال لعزل الامير بالامير لبسك الاعراب واقسموا بالله جهد ايمانهم اصله
واقسموا بالله يجهدون الايمان جهدا فحذف الفعل واقيم مصدره مضافا الى المفعول
مقامه كقوله فضرب الرقاب في حكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم طاعة
مبتداء وخبره محذوف وتقديره طاعة معروفة اولى بكم وافضل لكم ليستخلفنهم جواب قسم يدل
عليه قوله وعد الله لان وعده سبحانه كالقسم بعيد وفي يجوز ان يكون جملة مستانفة
على طريق الثناء عليهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال المعنى ولما بين سبحانه كراهتهم
لحكمه قالوا للنبي صلى الله عليه وآله والله لو امرتنا بالخروج من ديارنا واموالنا لفعلنا
فقال الله سبحانه واقسموا بالله جهد ايمانهم لان امرتهم ليخرجن اي حلفوا بالله اغلظ ايمانهم
وقدر طاقتهم انك ان امرتنا بالخروج في غزواتك لخرجنا قل لهم يا محمد لا تقسموا اي لا تحلفوا
وتم الكلام طاعة معروفة اي طاعة حسنة للنبي خالصة صادقة افضل واحسن من قسمكم
بما لا تصدقون فيه فحذف خبر المبتداء للعلم به وقيل معناه ليكن منكم طاعة والقول الحق
هو المعروف صحيح ان الله خبير بما تعملون اي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ثم امرهم
سبحانه بالطاعة فقال قل اطيعوا الله فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما اتيكم به واحذروا
المخالفة فان تولوا اي فان تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله والاصل تتولوا
فحذفت احدى التائين فانما عليه اي على الرسول ما حمل اي كلف وامر من التبليغ واداء
الرسالة وعليكم ما حملتم ان كلفتم من الطاعة والمتابعة وان تطيعوه اي وان تطيعوا
الرسول تهتدوا الى الرشد والصلاح او الى طريق الجنة وما على الرسول الا البلاغ المبين
اي ليس عليه الا اداء الرسالة وبيان الشريعة وليس عليه الاهتداء وانما ذلك عليكم ونفعه
عائد عليكم والمبين البين الواضح وعد الله الذين امنوا منكم اي صدقوا بالله ورسوله
وبجميع ما يجب ... توبه وعملوا الصالحات اي الطاعات الخالصة لله ليستخلفنهم في الارض

اى وليجعلنهم يخلفون من قبلهم والمعنى ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم
سكانها وملوكها كما استخلف الذين من قبلهم قال مقاتل يعنى بنى اسرائيل اذ اهلك الله
الجبابرة بمصر واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وعن المقداد بن الاسود عن رسول الله
صلى الله عليه وآله قال لا يقع بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز او ذل
ذليل اما ان يعزهم الله فيجعلهم من اهلها واما ان يذلهم فيدينون لها وعن
ابى بن كعب قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه المدينة واواهم الانصار
ومنهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون الا مع السلاح ولا يصبحون الا فيه
فقالوا ترون انا نعيش حتى نبيت امنين مطمئنين لا نخاف الا الله فنزلت هذه الاية
وعن المقداد بن الاسود عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لا يبقى على الارض بيت
مدر ولا وبر الا ادخله الله تعالى كلمة الاسلام بعز عزيز وذل ذليل اما ان يعزهم
الله فيجعلهم من اهلها واما ان يذلهم فيدينون لها وقيل انه اراد بالارض ارض
مكة لان المهاجرين كانوا يسألون ذلك وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم يعنى
دين الاسلام الذى امرهم ان يدينوا به وتمكينه ان يظهره على الدين كله كما قال
صلى الله عليه وآله زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتى ما زوى لى منها وقيل تمكينه باعزاز اهله واذلال اهل الشرك وتمكين اهله
من اظهاره بعد ان كانوا خائفين يخفونه وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا اى
وليصيرنهم بعد ان كانوا خائفين بمكة امنين بقوة الاسلام وانبساطه قال
مقاتل وقد فعل الله ذلك بهم وبمن كان بعدهم من هذه الامة مكن لهم فى الارض
وابدلهم امنا من بعد خوف وبسط لهم فى الارض فقد انجز موعده لهم وقيل معناه
وليبدلنهم من بعد خوفهم فى الدنيا امنا فى الاخرة ويعضده ما روى عن النبى
صلى الله عليه وآله انه قال حاكيا عن الله سبحانه انى لا اجمع على عبد واحد بين خوفين
ولا بين امنين ان خافنى فى الدنيا امنته فى الاخرة وان امننى فى الدنيا اخفته فى الاخرة
يعبدوننى لا يشركون بى شيئا هذا استيناف كلام فى الثناء عليهم ومعناه لا يخافون

غيرى

غيرى عن ابن عباس وقيل معناه لا يراءون بعبادتى احدا وفى الاية دلالة على صحة نبوة نبينا
صلى الله عليه وآله من جهة الاخبار عن غيب لا يعلم الا بوحى من الله عز وجل ومن كفر بعد ذلك
اى بعد هذه النعم فاولئك هم الفاسقون ذكر الفسق بعد الكفر مع ان الكفر اعظم من الفسق
لان الفسق فى كل شىء هو الخروج الى اكثره فالمعنى اولئك هم الخارجون الى اقبح وجوه الكفر
واخبثه وقيل معناه من جحد تلك النعمة بعد انعام الله بها فاولئك هم العاصون لله
عن ابن عباس واختلف فى الاية فقيل انها واردة فى اصحاب النبى صلى الله عليه وآله وقيل هى عامة
فى امة محمد صلى الله عليه وآله عن ابن عباس ومجاهد والمروى عن اهل البيت عليهم السلام
انها فى المهدى من آل محمد روى العياشى باسناده عن على بن الحسين عليهما السلام انه قرأ
الاية وقال هم والله شيعتنا اهل البيت يفعل ذلك بهم على يدى رجل منا وهو مهدى
هذه الامة وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول
الله ذلك اليوم حتى يلى رجل من عترتى اسمه اسمى يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت
جورا وظلما وروى مثل ذلك عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام فعلى هذا يكون المراد
بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبى واهل بيته وتضمنت الاية البشارة لهم بالاستخلاف
والتمكن فى البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدى منهم ويكون المراد
بقوله كما استخلف الذين من قبلهم هو ان جعل الصالح للخلافة خليفة مثل آدم وداود
وسليمان عليهم السلام ويدل على ذلك قوله انى جاعل فى الارض خليفة ويا داود انا جعلناك
خليفة وقوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وعلى هذا اجماع
العترة الطاهرة واجماعهم حجة لقول النبى صلى الله عليه وآله انى تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتى اهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض وايضا فان التمكين فى الارض
على الاطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لان الله عز اسمه لا يخلف وعده قوله عز وجل
وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ آيتان القراءة قرأ ابن عامر
وحمزة لا يحسبن بالياء والباقون بالتاء الحجة قال ابو على من قرأ بالياء جاز ان يكون

فاعله احد سببين اما ان يكون تضمن ضمير للنبي صلى الله عليه وآله اي لا يحسبن النبي الذين
كفروا معجزين فالذين في موضع نصب بانه المفعول الاول ومعجزين المفعول الثاني ويجوز ان يكون
فاعل الحسبان الذين كفروا ويكون المفعول الثاني هو ابه الاول محذوفا وتقديره لا يحسبن
الذين كفروا انفسهم معجزين فالذين في موضع نصب بانه المفعول الاول ومن قرا بالتا
ففاعل تحسبن المخاطب المعنى ثم امر سبحانه باقامة امور الدين فقال واقيموا الصلوة
اي قوموا بادائها واتمامها في اوقاتها واتوا الزكوة المفروضة واطيعوا الرسول لعلكم
ترحمون لترحموا جزاء على ذلك وتثابوا بالنعم الجزيلة ثم قال لا تحسبن يا محمد او ايها
السامع الذين كفروا معجزين اي سابقين فائتين في الارض يقال طلبته فاعجزني اي فاتني
وسبقني اي لا يفوتونني ومن قرا بالياء فمعناه لا تظنن الكافرون انهم لا يفوتونني
ومأواهم النار اي مستقرهم ومصيرهم النار وبئس المصير اي بئس المستقر والمأوى
وانما وصفها بذلك وان كانت حكمة وصوابا من فعل الله لما ينال الصائر اليها من
الشدائد والالام قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ
ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ
الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ
النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ
بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ثلث آيات القراءة قرا اهل الكوفة
غير حفص ثلث عورات بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ عن الاعمش عورات بفتح الواو
وقرا ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلام يضعن من ثيابهن وروي ذلك عن ابن عباس
وسعيد بن جبير الحجة قال ابو علي من رفع كان خبر المبتدا محذوفا كانه قال هذه
ثلث عورات فاجمل بعد التفصيل ومن نصب جعله بدلا من قوله ثلث مرات فان قلت ان في قوله

ثلاث مرات

ثلاث مرات زمان بدلالة انه فسر بزمان وهو قوله من قبل صلوة الفجر وحين تضعون
ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء وليس العورات بزمان فكيف يصح وليس هي
قيل يكون ذلك على ان يضمر الاوقات كانه قال قتادة ثلث العورات فلما حذف المضاف
اعرب المضاف اليه باعراب المضاف والعورات جمع عورة حكم ما كان على فعله من الاسماء
تحريك العين في الجمع نحو خفنة وخفنات الا ان عامة العرب كرهوا تحريك العين فيما كان
عينه واوا او ياء لما كان يلزم من الانقلاب الى الالف فاسكنوا وقالوا عورات وبيضات
الا ان هذيلا حركوا العين منها فقالوا عورات وبوضات وانشد بعضهم شعر آخر
بيضات رايح متاوب رفيق بمسح المنكبين سبوح حرك الياء من بيضات والجمهور عند النحو
الاول ومن قرا من ثيابهن فلانه لا يوضع كل الثياب وانما يوضع بعضها وروي عن ابي عبد الله
عليه السلام انه قال هو الجلباب الا ان يكون امة فليس عليها جناح ان تضع خمارها اللغة
التبرج اظهار المراة من محاسنها ما يجب عليها ستره واصله الظهور ومنه البرج البناء
العالي لظهوره المعنى لما تقدم احكام النساء والرجال ومن ابيح له الدخول على النساء
استثنى سبحانه ههنا اوقاتا من ذلك فقال يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت
ايمانكم معناه مروا عبيدكم واماءكم ان يستاذنوا عليكم اذا ارادوا الدخول الى مواضع
خلواتكم عن ابن عباس وقيل اراد العبيد خاصة عن ابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام والذين لم يبلغوا الحلم منكم من احراركم اراد به الصبي الذي يميز بين العورة وغيرها
قال الجبائي الاستيذان واجب على كل بالغ في كل حال وعلى الاطفال في هذه الاوقات الثلثة بظاهر
الاية ثلث مرات اي في ثلث اوقات من ساعات الليل والنهار ثم فسرها فقال من قبل صلوة
الفجر وذلك ان الانسان ربما يبيت عريانا او على حال لا يحب ان يراه غيره في تلك الحال وحين
تضعون ثيابكم من الظهيرة يريد عند القايلة ومن بعد صلوة العشاء الاخرة حين ياوي
الرجل الى امراته ويخلو بها امر الله بالاستيذان في هذه الاوقات التي يخلو الناس فيها
وينكشفون وفصلها ثم اجملها بعد التفصيل فقال ثلث عورات لكم سمى سبحانه هذه الاوقات
عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته قال السدي كان اناس من الصحابة يعجبهم

ان يوافقوا نساءهم في هذه الساعات ليقيلوا ثم يخرجون الى الصلوة فامرهم الله سبحانه ان يامروا
الغلمان والمملوكين ان يستاذنوا في هذه الساعات الثلثة ليس عليكم يعني المؤمنين الاحرار ولا عليهم
يعني الخدم والغلمان جناح بعدهن اي حرج في ان لا تستاذنوا في غير هذه الاوقات الثلثة ثم
بين المعنى فقال طوافون عليكم اي هم خدمكم فلا تجدون بدا من دخولهم عليكم في غير هذه الاوقات
ويتعذر عليهم الاستيذان في كل وقت كما قال سبحانه ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي يخدمهم
وقال النبي صلى الله عليه وآله انها من الطوافين عليكم والطوافات جعل الهرة بمنزلة العبيد
والاماء وقال مقاتل يتقلبون فيكم ليلا ونهارا بعضكم على بعض اي يطوف بعضكم وهم المماليك
على بعض وهم الموالي كذلك اي كما بين لكم ما تعبدكم به في هذه الاية يبين الله لكم الايات اي
الدلالات على الاحكام والله عليم بما يصلحكم حكيم بما يفعله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم يعني
من الاحرار فليستاذنوا اي في جميع الاوقات كما استاذن الذين من قبلهم من الاحرار الكبار
الذين امروا بالاستيذان على كل حال في الدخول عليكم فالبالغ يستاذن في كل الاوقات والطفل
والمملوك يستاذن في العورات الثلث كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم ثم
قال سعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه فانما نزلت هذه الاية في ذلك والقواعد من النساء
اللاتي لا يرجون نكاحا وهن المسنات من النساء التي قعدن عن التزويج لانه لا يرغب في تزويجهن
وقيل هن اللاتي ارتفع حيضهن اي قعدن عن ذلك اللاتي لا يطمعن في النكاح اي لا يطمع في جماعهن
لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن يعني الجلباب فوق الخمار عن ابن مسعود وسعيد
بن جبير وقيل يعني الخمار والرداء عن جابر بن يزيد وقيل ما فوق الخمار من المقانع وغيرها
ابيح لهن القعود بين يدي الاجانب في ثياب ابدانهن مكشوفة الوجه واليد فالمراد
بالثياب ما ذكرناه لا كل الثياب غير متبرجات بزينة اي غير قاصدات بوضع ثيابهن
اظهار زينتهن بل يقصدون به التخفيف عن انفسهن فاظهار الزينة في القواعد وغيرهن
محظور واما الشابات فانهن يمنعن من وضع الجلباب او الخمار ويؤمرون بلبس اكثف الجلابيب
لئلا تصف ثيابهن وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال للزوج ما تحت الدرع ولذي غير
محرم اربعة اثواب درع وخمار وجلباب وازار وان يستعففن اي وان يستعففن القواعد وهو

ان يطلبن

ان يطلبن العفة بلبس الجلابيب خير لهن من وضعها وان سقط الحرج عنهن فيه والله سميع لاقوالكم
عليم بما في قلوبكم قوله عز وجل ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم
او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم
الايات لعلكم تعقلون آية اللغة الحرج الضيق مشتق من الحرجة وهي الشجر الملتف بعضه
ببعض لضيق المسالك فيه وجمعها حرجات وحراج قال الشاعر ايا حرجات الحي حين تحملوا بذي سلم
لا جادكن ربيع وحرج فلان اذا اثم ويخرج من كذا اذا اثم من فعله والاشتات المتفرقون
وهو جمع شت الاعراب جميعا نصب على الحال وكذلك اشتاتا وتحية منصوب لانها مصدر
سلموا لان التحية بمعنى التسليم من عند الله صفة تحية المعنى لما تقدم ذكر الاستيذان
عقبه سبحانه بذكر رفع الحرج عن المؤمنين في الانبساط بالاكل والشرب فقال ليس على الاعمى
الذي كف بصره حرج ولا على الاعرج الذي يعرج من رجليه او احدهما حرج ولا على المريض العليل
حرج اي اثم واختلف في تاويله على وجوه احدها ان المعنى ليس عليكم في مواكلتهم حرج لانهم
كانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ان الاعمى لا يبصر فياكل جيد الطعام دونه والاعرج لا يتمكن
من الجلوس والمريض يضعف على الاكل عن ابن عباس والفراء وثانيها ان المسلمين كانوا اذا غزوا
وخلفوا مرضاهم كانوا يدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون قد احللنا لكم ان تاكلوا
من بيوتنا وكان اولئك يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فنفى الله
سبحانه الحرج عن الزمنى في الاكل من بيت اقاربهم او بيت من يدفع اليهم المفتاح اذا خرج
للغزو عن سعيد بن المسيب والزهري وثالثها ان المعنى ليس على الاعمى حرج والاعرج والمريض
ضيق ولا اثم في ترك الجهاد والتخلف عنه ويكون قوله ولا على انفسكم كلاما مستانفا فاول
الكلام في الجهاد وآخره في الاكل عن ابن زيد والحسن والجبائي ورابعها ان العمي والعرج والمرضى
كانوا يتنزهون عن مواكلة الاصحاء لان الناس يتقذرون منهم ويكرهون مواكلتهم وكان

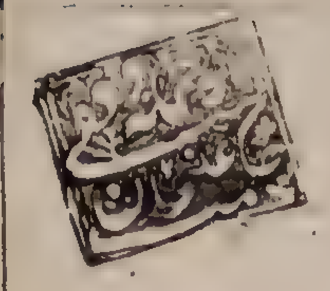
اهل المدينة لا يخالطهم في طعام اعمى ولا اعرج ولا مريض عن سعيد بن جبير والضحاك
وخامسها ان الزمنى والمرضى رخص الله سبحانه لهم في الاكل من بيوت من سماهم في الآية
وذلك ان قوما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا اذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم
ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم وقراباتهم فكان اهل الزمانة يتحرجون من ان يطعموا
ذلك الطعام لانه يطعمهم غير مالكيه عن مجاهد ولا على انفسكم اى وليس عليكم حرج
في انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت عيالكم وازواجكم وبيت المراة كبيت الزوج وقيل معناه
من بيوت اولادكم فنسب الاولاد الى الآباء لان الاولاد كسبهم واموالهم كاموالهم ويدل عليه قوله
عليه السلم انت ومالك لابيك وقوله عليه السلم ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ولذلك
لم يذكر الله بيوت الابناء حين ذكر بيوت الآباء والاقارب اكتفاء بهذا الذكر ثم ذكر بيوت
الاقارب بعد الاولاد فقال او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم الى قوله او بيوت خالاتكم وهذه
الرخصة في اكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك كالرخصة لمن دخل حائطا وهو جائع ان يصيب
من ثمره او مر في سفره بغنم وهو عطشان ان يشرب من رسله توسعة منه على عباده ولطفا بهم
ورغبة بهم عن دناءة الاخلاق وضيق العطن قال الجبائي ان الآية منسوخة بقوله لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وبقول النبي صلى الله عليه وآله لا يحل مال
امرء مسلم الا بطيبة نفسه والمروي عن ائمة الهدى عليهم السلم انهم قالوا لا باس بالاكل
لهولاء من بيوت من ذكره الله تعالى بغير اذنهم قدر حاجتهم من غير اسراف وقوله او ما
ملكتم مفاتحه معناه او بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده
والمفاتح هنا الخزائن كقوله وعنده مفاتح الغيب وقيل هي التي يفتح الغيب بها عن ابن عباس
قال يعني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته فلا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته
ويشرب من لبن ماشيته وقيل اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان يطعم الشيء
اليسير عن عكرمة وقيل هو الرجل يولي طعام غيره يقوم عليه فلا باس ان ياكل منه عن السدي
او صديقكم رفع الحرج عن الاكل من بيت صديقه بغير اذنه اذا كان عالما بانه تطيب نفسه
بذلك والصديق هو الذي صدقك عن مودته وقيل هو الذي يوافق باطنه باطنك كما وافق

ظاهره

ظاهره ظاهرك ولفظ الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع دخل الرجل بيت صديقه
والتحرم بطعامه من غير استيذانه في الاكل وقال ابو عبد الله عليه السلم هو والله
الرجل ياتي بيت صديقه فياكل طعامه بغير اذنه وروي ان صديقا للربيع ابن خثيم دخل
منزله واكل من طعامه فلما عاد الربيع الى المنزل اخبرته خادمه بذلك فقال ان كنت
صادقة فانت حرة ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا اى مجتمعين او متفرقين
وذكر في تاويله وجوه احدها ان حيا من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده فان لم يجد
من يواكله لم ياكل شيئا وربما كانت الابل الحفل لا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه
فاعلم الله سبحانه ان الرجل منهم ان اكل وحده فلا اثم عليه عن قتادة والضحاك وابن جريج وثانيها
ان معناه لا باس بان ياكل الغني مع الفقير في بيته فان الغني كان يدخل على الفقير من ذوي قرابته
او صداقته فيدعوه الى طعامه فيتحرج عن ابن عباس وثالثها انهم كانوا اذا نزل بهم ضيف
تحرجوا ان ياكلوا الا معه فاباح الله سبحانه الانفراد والاجتماع عن ابي صالح والاقوال
متقاربة والاولى الحمل على العموم فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض
عن الحسن فيكون كقوله ان اقتلوا انفسكم وقيل معناه فسلموا على اهليكم وعيالكم عن جابر
وقتادة والزهري والضحاك وقيل معناه فاذا دخلتم بيوتا يعني المساجد فسلموا على
من فيها عن ابن عباس والاولى حمله على العموم وقال ابراهيم اذا دخلت بيتا ليس فيه
احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابو عبد الله عليه السلم هو تسليم
الرجل على اهل البيت حين يدخل ثم يردون عليه فهو سلامكم على انفسكم تحية من عند الله
اى هذه تحية حياكم الله بها عن ابن عباس وقيل معناه علمها الله وشرعها لكم فانهم
كانوا يقولون عم صباحا ثم وصف التحية فقال مباركة طيبة اى ان لزمتموها كثر
خيركم وطاب اجركم وقيل موثرة حسنة جميلة عن ابن عباس وقيل انما قال مباركة لان معنى
السلام عليكم حفظكم الله وسلمكم الله من الآفات فهو دعاء بالسلامة من آفات الدنيا
والآخرة وقال طيبة لما فيها من طيبة العيش بالتواصل وقيل لما فيها من الاجر
الجزيل والثواب العظيم كذلك اى كما بين لكم هذه الاحكام والآداب يبين الله لكم الآيات

اى الادلة على جميع ما يتعبدكم به لعلكم تعقلون اى لتعقلوا معالم دينكم قوله عز وجل
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا
حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ
الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ
أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ثلث آيات اللغة التسلل
الخروج فى خفية يقال تسلل فلان بين اصحابه اذا خرج من جملتهم والسلة السرقة الخفية
وكذلك الاسلال ومنه الحديث لا اغلال ولا اسلال واللواذ ان يستتر بشى مخافة
من يراه وقيل اللواذ الاعتصام بالشى بان يدور معه حيث دار من قولهم لاذ به وقال
الزجاج اللواذ المخالفة هيهنا بدلالة قوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ويقال
خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه
عن الامر اذا صد عنه دونه الاعراب لواذا مصدر وضع موضع الحال والتقدير يتسللون
منكم ملاوذين يخالفون عن امره بمعنى يجاوزون امره ويوم يرجعون يوم منصوب
بالعطف على محذوف وهو ظرف زمان والتقدير ما انتم عليه الان ويوم يرجعون
اليه خرج من الخطاب الى الغيبة المعنى لما تقدم ذكر المعاشرة مع الاقرباء والمسلمين بين
سبحانه فى هذه الاية كيفية المعاشرة مع النبى صلى الله عليه وآله فقال انما المؤمنون الذين امنوا
بالله ورسوله اى ليس المؤمنون على الحقيقة الا الذين صدقوا بتوحيد الله وعدله واقروا
بصدق رسوله واذا كانوا معه اى مع رسوله على امر جامع وهو الذى يقتضى الاجتماع
عليه والتعاون فيه من حضور حرب او مشورة فى امر او صلوة جمعة او ما اشبه ذلك لم يذهبوا
حتى يستاذنوه اى لم ينصرفوا عن الرسول او عن ذلك الامر الا بعد ان يطلبوا الاذن فى الانصراف
ان الذين يستاذنونك يا محمد اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله اى فهم الذين يصدقون

بالله ورسوله



بالله ورسوله على الحقيقة دون الذين ينصرفون بلا استيذان فاذا استاذنوك لبعض
شانهم اى متى ما استاذنك هؤلاء الذين ان يذهبوا لبعض مهماتهم وحاجاتهم فاذن لمن شئت
منهم خير سبحانه نبيه عليه السلام بين ان ياذن وان لا ياذن وهذا حكم من قام مقامه من الائمة
واستغفر لهم الله اى واطلب المغفرة لهم من الله بخروجهم من جملة من معك واستغفار
النبى لهم هو دعاؤه لهم باللطف الذى يقع معه المغفرة ان الله غفور للمؤمنين اى ساتر لذنوبهم
رحيم بهم اى منعم عليهم ثم امر سبحانه جميع المكلفين فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا اختلف فى تاويله على وجوه احدها انه سبحانه علمهم تفخيم امر النبى عليه السلام فى المخاطبة
واعلمهم فضله فيه على سائر البرية والمعنى لا تقولوا عند دعائه يا محمد او يا ابن عبد الله
كما يدعو بعضكم بعضا ولكن قولوا يا رسول الله يا نبى الله فى لين وتواضع وخفض صوت
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وثانيها انه نهى عن التعرض لدعاء رسوله عليهم فالمعنى احذروا
دعاءه عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب مجاب بغير شك وليس كدعاء غيره عن ابن عباس
فى رواية اخرى وثالثها ان المعنى ليس الذى يامركم به الرسول ويدعوكم اليه كما يدعو بعضكم
بعضا لان فى القعود عن امره قعودا عن امر الله تعالى عن ابى مسلم قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا قال ابن عباس هو ان يلوذ بغيره فيهرب وذلك ان المنافقين كان
تثقل عليهم خطبة النبى صلى الله عليه وآله يوم الجمعة فيلوذون ببعض اصحابه فيخرجون
من المسجد فى استتار من غير استيذان وفى معنى التهديد بالمجازاة وقال مجاهد
كانوا يتسللون فى الجهاد رجوعا عنه وقيل معناه يستترون ويستخفون تقية والتجاء فليحذر
الذين يخالفون عن امره حذرهم سبحانه من مخالفة نبيه اى فليحذر الذين يعرضون عن امر
الله تعالى وانما دخلت عن لهذا المعنى وقيل عن امر النبى صلى الله عليه وآله ان يصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم فى الاخرة وفى هذا دلالة على ان اوامر النبى صلى الله عليه وآله على الايجاب لانها لو لم تكن
كذلك لما حذر سبحانه عن مخالفته ثم عظم سبحانه نفسه بان قال الا ان لله ما فى السموات والارض
ان له التصرف فى جميع ذلك ولا يجوز لاحد الاعتراض عليه ولا مخالفة امره فليس للعبد ان يخالف امر
مالكه قد يعلم ما انتم عليه من الخيرات والمعاصى ومن الايمان والنفاق لا يخفى عليه شى من احوالكم

ويوم يرجعون اليه يعني يوم البعث يعلمه الله سبحانه متى هو فينبئهم بما عملوا من الخير والشر
والطاعات والمعاصي والله بكل شيء من اعمالهم وغيرها عليم سورة الفرقان مكية كلها
عن مجاهد وقتاده وقال ابن عباس الا ثلث ايات منها نزلت بالمدينه من قوله والذين
لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله غفورا رحيما عدد آيها وهي سبعون وسبع آيات بلا خلاف
فضلها ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قراء سورة الفرقان بعثه الله
يوم القيمة وهو يومن ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ودخل
الجنة بغير حساب وروى اسحاق بن عمار عن ابي الحسن عليه السلم قال يا ابن عمار لا تدع قراة تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده فان من قراها في كل ليلة لم يعذبه الله ابدا ولم يحاسبه
وكان منزلته في الفردوس الاعلى تفسيرها اتصل هذه السورة بسورة النور اتصال النظير
بالنظير فان مختتم تلك السورة تضمن ان لله ما في السموات والارض وانه بكل شيء عليم ومفتتح
هذه السورة ان له ملك السموات والارض سبحانه من قدير حكيم بسم الله الرحمن الرحيم
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُورًا وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ
افْتَرَيهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ
يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ
فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا عشر آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم
ناكل منها بالنون والباقون بالياء وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر ويجعل لك بالرفع

والباقون بالجزم الحجة من قرا ياكل منها بالياء فانه يعني به النبي صلى الله عليه وآله ومن قرا
ناكل فكانه اراد ان يكون له المزية علينا في الفضل باكلنا من جنته ومن قرا ويجعل لك بالجزم
عطف على معنى عطف على موضع جعل لانه جزاء الشرط قال الشاعر ابي سلكت فانني لك كاشح وعلى
انتقاصك في الحيوة وازدد ومن رفع قطعه مما قبله واستانف الاعراب قال الزجاج التقدير
جاؤا بظلم وزور فلما سقطت الباء افضى الفعل فنصب وقال انه يجوز ان جاؤا ظلما بمعنى اتوا
ظلما قال طرفة شعر على غير ذنب جئته غير انني نشدت فلم اغفل حمولة معبد فمعنى جئته
فعلته اكتتبها جملة في موضع نصب على الحال من اساطير الاولين وقد مضمرة واساطير
خبر مبتداء محذوف وقد ياكل الطعام حال والعامل فيها ما تعلق به اللام في قوله ما لهذا الرسول
فيكون منصوبا باضمار ان كيف ضربوا كيف في محل النصب على المصدر التقدير انظر منكرين
ضربوا لك الامثال ام لا ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الشرط والجزاء صلة الذي
ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من الواو في ضربوا التقدير انظر كيف منكرين
ضربوا لك الامثال وجاءت بك عن قوله خيرا المعنى تبارك تفاعل من البركة معناه
عظمت بركاته وكثرت عن ابن عباس والبركه الكثره من الخير وقيل معناه تقدس وجل بما لم
يزل عليه من الصفات ولا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره واصله من بروك الطير
فكانه قال ثبت ودام فيما لم يزل ولا يزال عن جماعة من المفسرين وقيل معناه قام بكل بركة
وجاء بكل بركه الذي نزل الفرقان اي القران الذي يفرق بين الحق والباطل والصواب
والخطا في امور الدين بما فيه من الحث على افعال الخير والزجر عن القبايح والزجر عن الشر
على عبده محمد صلى الله عليه وآله ليكون محمد بالقران للعالمين اي لجميع المكلفين من الانس
والجن نذيرا اي مخوفا بالعقاب وداعيا لهم الى الرشاد ثم وصف سبحانه نفسه فقال الذي
له ملك السموات والارض لم يتخذ ولدا كما زعمت اليهود والنصارى والمشركون ولم يكن له
شريك في الملك شاركه فيما خلق ويمنعه عن مراده وخلق كل شيء مما يطلق عليه اسم
المخلوق فقدره تقديرا على ما اقتضته الحكمة والتقدير تبيين مقادير الاشياء للعباد
فيكون معناه قدر الاشياء بان كتبها في الكتاب الذي كتبته الملائكة لطفا لهم وقيل خلق

كل شيء فقدره بطوله وعرضه ولونه وسائر صفاته ومدة بقائه عن الحسن ثم اخبر سبحانه
عن الكفار فقال واتخذوا من دونه اى من دون الله الهة من الاصنام والاوثان
وجهوا عبادتهم اليها ثم وصفوا الهتهم بما ينبئ انها لا يستحق العبادة فقال لا يخلقون شيئا
ولا وهم يخلقون اى وهى مخلوقة مصنوعة ولا يملكون لانفسهم ضرا فيدفعونه
عن انفسهم ولا نفعا فيجرونه الى انفسهم اى لا يقدرون على دفع ضر ولا على جر نفع ولا يملكون
موتا ولا حيوة اى لا يستطيعون اماتة ولا احياء ولا نشورا ولا اعادة بعد الموت
يقال انشره الله فنشر فان جميع ذلك يختص الله تعالى بالقدرة عليه والمعنى فكيف يعبدون
من لا يقدر على شيء من ذلك ويتركون عبادة ربهم الذى يملك ذلك كله ثم اخبر
سبحانه عن تكذيبهم بالقرآن فقال وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اى ما هذا
القرآن الا كذب افتراه محمد واختلقه من تلقاء نفسه واعانه عليه قوم اخرون
قالوا اعان محمدا على هذا القرآن عبد الله من مولى حويطب بن عبد العزى ويسار غلام
العلاء ابن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا من اهل الكتاب وقيل انهم قالوا اعانه قوم
من اليهود عن مجاهد فقد جاؤا ظلما وزورا اى فقد قالوا شركا وكذبا حين زعموا
ان القرآن ليس من الله ومتى قيل كيف اكتفى بهذا القدر فى جوابهم قلنا انه لما تقدم
التحدى وعجزهم عن الاتيان بمثله اكتفى ههنا بالتنبيه على ذلك قالوا اساطير الاولين
اكتتبها معناه وقالوا ايضا احاديث المتقدمين وما سطروا فى كتبهم انتسخها
وقيل استكتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا اى تملى عليه طرفى نهاره حتى يحفظها وينسخها
والاصيل العشى لانه اصل الليل واوله وفى هذا بيان مناقضتهم وكذبهم لانهم
قالوا افتراه ثم قالوا تملى عليه فقد افتراه غيره وقالوا انه كتب وقد علموا انه كان لا يحسن
الكتابة فكيف كتب ولم يستكتب ثم قال سبحانه قل يا محمد لهم تكذيبا لقولهم انزله
اى انزل القرآن الذى يعلم السر اى الخفيات فى السموات والارض على ما اقتضاه
عليه بواطن الامور لا على ما يقتضيه اهواء النفوس وفى الصدور انه كان غفورا رحيما
حيث لم يعاجلهم بالعقاب بل انعم عليهم بارسال الرسول اليهم لتاكيد الحجة وقطع

المعذرة

المعذرة وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام كما ناكل ويمشى فى الاسواق فى طلب المعاش
كما نمشى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا اى هلا انزل اليه ملك فيكون معه
على الانذار والتخويف وهذا ايضا من مقالاتهم الفاسدة لان الملك لو كان
معينا له لادى ذلك الى استصغاره كل واحد منهما من حيث انه لم يقم بنفسه فى اداء
الرسالة ولان الجنس الى الجنس اميل او يلقى اليه كنز يستغنى به عن طلب المعاش
قال ابن عباس وينزل اليه مال من السماء او يكون له جنة ياكل منها اى بستان
ياكل هو من ثمارها ومن قرا بالنون فالمعنى ناكل نحن معه ونتبعه وقال الظالمون اى
المشركون للمؤمنين ان تتبعون الا رجلا مسحورا اى ما تتبعون الا رجلا مخدوعا مغلوبا
على عقله وقد سبق تفسير المسحور فى بنى اسرائيل انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال
اى الاشباه لانهم قالوا تارة هو مسحور وتارة هو محتاج متروك حتى تمنوا له الكنوز
وتارة انه ناقص عن القيام بالامور فضلوا بهذا عن الهدى وعن وجه الصواب طريق
الحق فلا يستطيعون سبيلا لالزامك الحجة من الوجوه المذكورة وقيل معناه
لا يستطيعون سبيلا الى ابطال امرك وقيل معناه لا يستطيعون سبيلا الى الخروج ردهم
الدلايل والحجج واتباعهم التقليد والالف والعادة تبارك تقدس الذى ان شاء جعل لك
خيرا من ذلك اى مما اقترحوه من الكنوز والبستان ثم فسر الذى هو خير مما اقترحوه
فقال جنات تجرى من تحتها الانهار ليكون ابلغ فى النزهة واسرع فى نضج الثمار ويجعل
لك قصورا فى كل بستان قصرا والقصور البيوت المبنية المشيدة المطولة عن مجاهد
واراد فى الاخرة اى سيعطيك الله فى الاخرة اكثر مما قالوا وقيل اراد فى الدنيا لان
جبرئيل عليه السلام عرض عليه ذلك كله فاختار الزهد فى الدنيا قوله عز وجل بل كذبوا بالساعة
وَاَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا اِذَا رَاَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا
وَزَفِيرًا وَاِذَا اُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا
وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا قُلْ اَذٰلِكَ خَيْرٌ اَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ

وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ
قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ
حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ
لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ
وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا عشر آيات القراءة قرا ابو جعفر وابن كثير وحفص ويعقوب ويوم يحشرهم
بالياء والباقون بالنون وقرا ابن عامر فنقول بالنون والباقون بالياء وقرا
ابو جعفر وزيد عن يعقوب ان نتخذ بضم النون وفتح الخاء وهو قراءة زيد بن ثابت
وابي الدرداء وروي عن جعفر بن محمد وزيد بن علي والباقون نتخذ بفتح النون وكسر الخاء
وروى بعضهم عن ابن كثير فقد كذبوكم بما يقولون بالياء والقراءة المشهورة بالتاء
وقراءة حفص فما تستطيعون بالتاء والباقون بالياء وروي عن علي عليه السلام ويمشون في الاسواق
بضم الياء وفتح الشين مشددة الحجة قال ابو علي حجة من قرا يحشرهم بالياء فقوله
كان على ربك وعدا مسؤولا ويوم يحشرهم ربك ومن قرا نحشرهم بالنون فيقول بالياء
فعلى انه افرد بعد الجمع في قوله واتينا موسى الكتاب الى قوله الا تتخذوا من دوني وكيلا
وقراءة ابن عامر ويوم نحشرهم فنقول حسن لاجرائه المعطوف مجرى المعطوف عليه في لفظ
الجمع قال ابن جني من قرا ان نتخذ بضم النون فان قوله من اولياء في موضع الحال اي ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اولياء ودخلت من زائدة لمكان النفي تقول اتخذت زيدا
وكيلا فان نفيت قلت ما اتخذت زيدا وكيلا وكذلك اعطيته درهما وما اعطيته من درهم
وهذا في المفعول به واما قراءة الجماعة ان نتخذ من دونك من اولياء فان قولك
من اولياء في موضع المفعول اي اولياء فهو كقولك ضربت رجلا فان نفيت قلت ما ضربت
من رجل فالمعنى في قوله ما كان ينبغي لنا ان نتخذ لنا ندعي استحقاق الولي وندا للعبادة
لنا والمعنى فقد كذبوكم بما تقولون بالتاء كذبوكم في قولكم انهم شركاء وانهم الهة
وذلك في قولهم تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ومن قرا بما يقولون بالياء فالمعنى

فقد كذبوكم

فقد كذبوكم اي ما كنتم تعبدون بقولهم وقولهم هو ما قالوه في قوله قال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون وقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وقوله فما يستطيعون انتم ايها
المتخذون للشركاء من دونه صرفا ولا نصرا ومن قرا يمشون فمعناه تدعون الى المشي ويحملهم
حاملا على المشي وجاء على فعل للتكثير فعلهم لانهم عليهم السلام جماعة اللغة السعير النار الملتهبة
ماخوذ من استعار النار وهو شدة ايقادها اسعرتها اسعارا وسعرها الله تسعيرا والتغيظ
الهيجان والغليان ومنه قيل لشدة الغضب الغيظ ومقرنين ماخوذ من القرن هو الحبل
تشد فيه بعيران او ابعرة ثم يستعمل في كل مجتمعين والثبور الهلاك وثبر الرجل فهو مثبور اذا
هلك قال ابن الزبعرى شعر اذ اجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور ويقال
ما ثبرك عن هذا الامر اي ما صرفك عنه فكان المثبور ممنوع من كل خير حتى هلك البور
الهلكى وهو جمع البائر وقيل هو مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث قال ابن الزبعرى شعر
يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور واصل البائر من بارت السلعة
تبور اذا كسدت فلا تشرى فكانها بقيت فسدت الاعراب مكانا ظرف لالقوا ومقرنين نصب
على الحال ثبورا مصدر لفعل محذوف وتقديره ثبرنا ثبورا ودعوا هنا بمعنى قالوا وهنالك
يحتمل ان يكون ظرف زمان وان يكون ظرف مكان اذ ادعوا في ذلك اليوم او في ذلك المكان
كانت لهم جزاء ومصيرا في موضع نصب على الحال من وعد وقد مضمرة وذو الحال
الضمير المحذوف العائد من الصلة الى الموصول لهم فيها ما يشاؤن جملة اخرى في موضع
الحال من قوله المتقون وما ارسلنا قبلك من المرسلين مفعول ارسلنا تقديره وما
ارسلنا قبلك رسلا ويدل عليه قوله من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ان مع اسمه
وخبره مستثنى عن الرسل المحذوف فتقديره وما ارسلنا رسلا الا هم ياكلون الطعام
وهذا كما يقال ما قدم علينا امير الا انه مكرم لي وكسرة ان لاجل اللام فان دخولها
وخروجها واحد في هذا الموضع وقيل مثاله قول الشاعر شعر ما اعطياني ولا سالتهما
الا واني لحاجز كرمي المعنى ثم بين سبحانه سوء اعتقادهم وما اعده على قبيح فعالهم ومقالهم
فقال بل كذبوا بالساعة اي ما كذبوك لانك تاكل الطعام وتمشي في الاسواق بل لانهم لم يعتقدوا

بالبعث والنشور والثواب والعقاب واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اى نارا تتلظى
ثم وصف ذلك السعير فقال اذا راتهم من مكان بعيد اى من مسيرة مائة عام عن السدى
والكلبي وقال ابو عبدالله عليه السلم من مسيرة سنه ونسب الروية الى النار وانما يرونها
لان ذلك ابلغ كانها تراهم روية الغضبان الذى تزفر غيظا وذلك قوله سمعوا لها تغيظا
وزفيرا تغيظها عند شدة اضطرابها وزفيرها صوتها عند شدة التهابها
كالتهاب الرجل المغتاظ والتغيظ لا يسمع وانما يعلم بدلالة الحال عليه وقيل معناه سمعوا لها
صوت تغيظ وغليان قال عبيد ابن عمير ان جهنم لتزفر لا يبقى نبى ولا ملك الا خر لوجهه
وقيل التغليظ للنار والزفير لاهلها كانه يقول راوا للنار تغيظا وسمعوا لاهلها زفيرا
واذا القوا منها مكانا ضيقا معناه واذا القوا من النار فى مكان ضيق يضيق عليهم كما يضيق
الزج فى الرمح عن اكثر المفسرين وفى الحديث قال عليه السلم فى هذه الاية والذى نفسى بيده انهم
فيستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحايط مقرنين اى مصفدين قرنت ايديهم
الى اعناقهم فى الاغلال وقيل قرنوا مع الشياطين فى السلاسل والاغلال عن الجبائى دعوا
هنالك ثبورا اى دعوا بالويل والهلاك على انفسهم كما يقول القايل واثبوراه اى واهلاكاه
وقيل وانصرفاه عن طاعة الله فتجيبهم الملائكة لا تدعوا اليوم ثبورا كثيرا اى لا تدعوا
ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا [illegible] لا ينفعكم هذا وان كثر منكم قال الزجاج معناه هلاككم
اكثر من ان تدعوا مرة واحدة قل [illegible] ذلك يعنى ما ذكره من السعير خير ام جنة الخلد
التى وعد المتقون كانت لهم جزاء على اعمالهم ومصيرا اى مرجعا ومستقرا لهم
فيها ما يشاؤن ويشتهون من المنافع واللذات خالدين مؤبدين لا يفنون
فيها كان على ربك وعدا مسئولا قال ابن عباس معناه ان الله سبحانه وعدهم الجزاء
فسالوه الوفاء فوفى وقيل معناه ان الملائكة سالوا الله تعالى ذلك لهم فاجيبوا الى مسئلتهم
وذلك قوله ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم عن محمد ابن كعب وقيل انهم سالوا
الله تعالى فى الدنيا الجنة بالدعاء فاجابهم فى الاخرة الى ما سالوا واتاهم ما طلبوا
ويوم يحشرهم اى يجمعهم وما يعبدون من دون الله يعنى عيسى وعزيرا والملائكة

عن مجاهد وقيل يعنى الاصنام عن عكرمة والضحاك فيقول الله تعالى لهؤلاء المعبودين
ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اى طريق الجنة والنجاة قالوا يعنى المعبودين
من الملائكة والانس ام الاصنام اذا احياهم الله وانطقهم سبحانك تنزيها لك
عن الشريك وعن ان يكون معبود سواك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من
اولياء اى ليس لنا ان نوالى اعداءك بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان
يجوز لنا وللعابدين وما كان يحق لنا ان نامر احدا بان يعبدنا ولا يعبدك فانا
لو امرناهم بذلك لكنا واليناهم ونحن لا نوالى من يكفر بك ومن قرا نتخذ فمعناه
ما كان يحق لنا ان نعبد ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر معناه ولكن طولت
اعمارهم واعمار اباءهم ومتعتهم بالاموال والاولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر
المنزل على الانبياء وتركوه وكانوا قوما بورا اى هلكى فاسدين هذا تمام الحكاية
عن قول المعبودين من دون الله فيقول الله سبحانه عند تبرء المعبودين ممن عبدتهم
فقد كذبوكم اى كذبوكم المعبودون ايها المشركون بما يقولون اى بقولكم انهم
الهة شركاء لله ومن قرا بالياء فالمعنى فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى
لنا الاية فما يستطيعون صرفا اى فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم ولا نصرا لكم
بدفع العذاب عنكم ومن قرا بالتاء فالمعنى فما تستطيعون ايها المتخذون الشركاء
صرف العذاب عن انفسكم ولا ان تنصروا انفسكم منعها من العذاب ومن يظلم منكم نفسه
بالشرك وارتكاب المعاصى نذقه فى الاخرة عذابا كبيرا اى شديدا عظيما ثم رجع
سبحانه الى مخاطبة النبى صلى الله عليه واله فقال وما ارسلنا قبلك يا محمد من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق قال الزجاج وهذا احتجاج عليهم
فى قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق فقيل لهم كذلك كان من خلا
من الرسل فكيف يكون محمد بدعا منهم وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اى امتحانا وابتلاء
وهو افتتان الفقير بالغنى يقول لو شاء الله لجعلنى مثله غنيا والاعمى بالبصير يقول
لو شاء الله لجعلنى مثله بصيرا وكذلك السقيم بالصحيح عن الحسن وقيل هو ابتلاء فقراء

المؤمنين بالمستهزئين من قريش ما كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين
اتبعوا محمدا من موالينا واراذلنا فقال الله لهؤلاء الفقراء اتصبرون
ايها الفقراء على الاذى والاستهزاء وكان ربك بصيرا اى بصبر من
صبر فانزل الله فيهم انى جزيتهم اليوم بما صبروا عن مقاتل
وقيل معناه اتصبرون ايها الفقراء على فقركم ولا تفعلون ما يؤدي
الى مخالفتنا اتصبرون ايها الاغنياء فتشكرون فلا تفعلون ما يؤدي
الى مخالفتنا وكان ربك بصيرا اى عليما فيغني من اوجبت الحكمة اغناءه
ويفقر من اوجبت الحكمة افقاره وقيل بصيرا بمن يصبر ومن يجزع عن ابن
جريج قوله عز وجل وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ
أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا يَوْمَ يَرَوْنَ
الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا وَقَدِمْنَا
إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ
مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ
تَنزِيلًا الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا
وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا
يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا
هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا عشر آيات القراءة قرأ اهل الكوفة وابو عمرو تشقق
خفيفة الشين ههنا وفي سورة ق والباقون تشقق مشددة الشين
وقرأ ابن كثير ننزل بنونين خفيفة الملائكة بالنصب والباقون ونزل بنون
واحدة وتشديد الزاء وفتح اللام والملائكة بالرفع الحجة تشقق اصله
تتشقق فادغم التاء بالشين والتخفيف اكثر في الكلام لان الحذف اخف
عليهم من الادغام ومن قرأ ونزل الملائكة تنزيلا فان انزل مثل نزل ومثله

في التنزيل

في التنزيل وتبتل اليه تبتيلا فجاء المصدر على فعل قال الشاعر ع وقد تطويت
انطواء الحضب اللغة الرجاء ترقب الخير الذي يقوى اليه نفس وقوعه ومثله الطمع
والامل واللقاء المصير الى شيء من غير حائل والعتو الخروج الى افحش الظلم واصل الحجر
الضيق وسمي الحرام حجرا لضيقه بالنهي عنه قال المتلمس شعر حنت الى النخلة القصوى
فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاليس ومنه حجر الكعبة لانه لا يدخل عليه في الطواف
وانما يطاف من ورائه لتضييقه بالنهي عنه والحجر العقل لما فيه من التضييق في القبيح
والهباء غبار كالشعاع لا يمكن القبض عليه وفلان كناية عن واحد بعينه من
الناس لانه معرفة وقال ابن دريد عن ابي حاتم عن العرب انهم كنوا عن كل مذكر
بفلان وعن كل مؤنثة بفلانة فاذا كنوا عن البهائم ادخلوا عليه الالف واللام
فقالوا الفلان والفلانة الاعراب يوم يرون الملائكة العامل في يوم معنى
قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه يدل على يحزنون ويومئذ توكيد ليوم
يرون ولا يجوز ان يكون يوم يرون منصوبا بلا بشرى لان ما يتصل بلا لم يعمل
فيما قبلها وحجرا منصوب لانه مفعول ثان لفعل مقدر وهو جعل الله عليكم الجنة
حجرا محجورا اصحاب الجنة يومئذ خير العامل في يومئذ خير ويوم تشقق العامل
فيه محذوف تقديره واذكروا يوم تشقق الملك يومئذ الحق للرحمن من صلة
الملك الذي هو المصدر والحق صفة له والجار والمجرور الذي هو للرحمن في موضع
خبر المبتدا الذي هو الملك ويجوز ان يكون يومئذ ظرفا هو بدل من يوم
تشقق ويكون العامل فيهما الظرف الذي هو قوله للرحمن وان تقدما عليه
ويوم يعض الظالم يجوز ان يكون العامل فيه اذكر ويجوز ان يكون معطوفا
على ما قبله ويقول جملة في موضع الحال يا ليتني المنادى محذوف وتقديره يا قوم يا
ليتني ويا ويلتا منادى مضاف واصله يا ويلتي تعالي فانه وقتك فابدل من الكسرة
فتحة ومن الياء الفا لثقل الكسرة والياء وخفة الفتحة والالف النزول
قال ابن عباس نزل قوله ويوم يعض الظالم في عقبة بن ابي معيط وابي بن خلف

وكانا متخالين وذلك ان عقبة كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما فدعا اليه
اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وآله فقدم من سفره ذات يوم
فصنع طعاما ودعا الناس فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الى طعامه فلما قربوا
الطعام قال رسول الله ص ما انا باكل من طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وبلغ
ذلك ابي بن خلف فقال صبات يا عقبة قال لا والله ما صبات ولكن دخل علي رجل
فابى ان يطعم من طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم
فشهدت له فطعم فقال ابي ما كنت براض عنك ابدا حتى تاتيه فتبزق في وجهه
ففعل ذلك عقبة وارتد واخذ رحم دابة فالقاها بين كتفيه فقال عليه السلم لا القاك
خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف
فقتله النبي عليه وآله السلم يوم احد بيده في المبارزة وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه
رسول الله صلى الله عليه وآله عاد بزاقه في وجهه فاحرق خديه وكان اثر ذلك
فيه حتى مات وقيل نزلت في كل كافر وظالم تبع غيره في الكفر والظلم وترك متابعة
امر الله تعالى وقال ابو عبد الله عليه السلم ليس رجل من قريش الا وقد نزلت فيه اية
او ايتان تقوده الى الجنة او تسوقه الى النار تجري فيمن بعده ان خيرا فخير وان شرا
فشر المعنى لما حكى سبحانه عن الكفار بقوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يأملون
لقاء جزائنا وهذا عبارة عن انكارهم البعث في المعاد وقيل معناه لا يخافون
وهي لغة تهامة وهذا لانهم يضعون الرجاء موضع الخوف اذا كان معه جحد لان
من رجا شيئا خاف فوته فانه اذا لم يخف كان يقينا ومن خاف شيئا رجا الخلاص
منه فوضع احدهما موضع الاخر لولا انزل علينا الملائكة اي هلا انزل الملائكة
ليخبرونا بان محمدا نبي او نرى ربنا فيخبرنا بذلك ويامرنا باتباعه وتصديقه
قال الجبائي وهذا يدل على انهم كانوا مجسمة فلذلك جوزوا الرؤية على الله ثم اقسم
عز اسمه فقال لقد استكبروا بهذا القول في انفسهم اي طلبوا الكبر والتجبر بغير حق

وعتوا

وعتوا بذلك اي طغوا وعاندوا وعتوا كبيرا اي طغيانا وعنادا عظيما وتمردوا في رد
امر الله غاية التمرد ثم اعلم سبحانه ان الوقت الذي يرون الملائكة هو يوم القيمة وان
الله قد حرمهم البشرى في ذلك اليوم فقال يوم يرون الملائكة يعني يوم القيمة لا بشرى
يومئذ للمجرمين اي لا بشارة لهم بالجنة والثواب قال الزجاج والمجرمون الذين اجرموا
الذنوب وهم في هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله عز وجل ويقولون حجرا محجورا
اي يقول الملائكة لهم حراما محرما عليكم سماع البشرى عن قتاده والضحاك وقيل معناه
ويقول المجرمون للملائكة كما كانوا يقولون في الدنيا اذا لقوا من يخافون منه
القتل حجرا محجورا دماؤنا عن مجاهد وابن جريج قال الخليل كان الرجل يرى الرجل يخاف
منه القتل في الجاهلية في الاشهر الحرم فيقول حجرا محجورا اي حرام عليكم حرمتي في هذا الشهر
فلا يبدؤه بشر فاذا كان يوم القيمة راوا الملائكة فقالوا ذلك ظنا منهم انه ينفعهم
وقيل معناه يقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله عن عطا
عن ابن عباس وقيل يقولون حجرا محجورا عليكم ان تعوذوا فلا معاذ لكم وقدمنا
الى ما عملوا من عمل اي قصدنا وعمدنا كما في قول الشاعر شعر وقدم الخوارج الضلال الى عباد
ربهم فقالوا ان دماءكم لنا حلال وفي هذا بلاغة عجيبة لان التقدير قصدنا اليه
قصد القادم على ما يكرهه مما لم يكن يراه قبل فتصيره واراد به العمل الذي عمله
الكفار في الدنيا مما رجوا به النفع والاجر وطلبوا به الثواب البر نحو انصافهم
ان يعاملهم ونصرهم للمظلوم واعتاقهم وصدقاتهم وما كانوا يتقربون به الى الاصنام
فجعلناه هباء منثورا وهو الغبار يدخل الكوة في شعاع الشمس عن الحسن ومجاهد وعكرمة
وقيل هو رهج الدواب عن ابن زيد وقيل ما يسفيه الرياح ويذريه من التراب عن قتاده
وسعيد بن جبير وقيل هو الماء المهراق عن ابن عباس والمنثور المتفرق وهذا
مثل والمعنى يذهب اعمالهم باطلا فلم ينتفعوا بها من حيث عملوها لغير الله ثم ذكر
سبحانه فضل اهل الجنة على اهل النار فقال اصحاب الجنة يومئذ يعني يوم القيمة
خير مستقرا اي افضل منزلا في الجنة واحسن مقيلا اي موضع قايلة قال الازهري القيلولة

عند العرب للاستراحة نصف النهار اذا اشتد الحر وان لم يكن مع ذلك نوم والدليل
على ذلك ان الجنة لا نوم فيها وقال ابن عباس وابن مسعود لا ينتصف يوم القيمة
حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار قال البلخي معنى خيرا واحسن هنا انه خير
في نفسه وحسن في نفسه لا بمعنى انه افضل من غيره كما في قوله وهو اهون عليه اي هو
هين عليه كما يقال الله اكبر لا بمعنى انه اكبر من شيء غيره ويوم تشقق السماء بالغمام
عطف على قوله يوم يرون المعنى تتشقق السماء وعليها غمام كما يقال ركب الامير بسلاحه وخرج
بثيابه اي وعليه سلاحه وثيابه عن ابي علي الفارسي وقيل تشقق السماء عن الغمام الابيض
عن الفراء وانما تشقق السماء لنزول الملائكة وهو قوله ونزل الملائكة تنزيلا وقال ابن عباس
تشقق سماء الدنيا فتنزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تشقق السماء
الثانية فتنزل اهلها وهم اكثر ممن في سماء الدنيا ومن الجن والانس وكذلك
حتى تشقق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على اهل السماء التي قبلها الملك
يومئذ الحق للرحمن اي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة ويزول
ملك سائر الملوك فيه وقيل ان الملك ثلثة اضرب ملك عظمة وهو لله تعالى وحده
وملك ديانة وهو بتمليك الله تعالى وملك جبرية وهو بالغلبة وكان يوما على
الكافرين عسيرا عسر عليهم ذلك اليوم لشدته ومشقته ويهون على المؤمنين
كادنى صلوة صلاها في دار الدنيا وفي هذا بشارة للمؤمنين حيث خص بشدة
ذلك اليوم الكافرين ويوم يعض الظالم على يديه ندما واسفا وقيل هو عقبة
ابن ابي معيط ابن امية ابن عبد شمس على ما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل هو عام
في كل ظالم نادم يوم القيمة وكل خليل يخال غيره في غير ذات الله قال عطا ياكل يديه
حتى يذهبا الى المرفقين ثم ينبتان ولا يزال هكذا كلما نبتت يده اكلها ندامة على ما
فعل يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي ليتني اتبعت محمدا واتخذت
معه سبيلا الى الهدى يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا يعني ابيا خليلا وقيل اراد به
الشيطان عن مجاهد وان قلنا ان المراد بالظالم هنا جنس الظلمة فالمراد به كل خليل

يضل عن الدين ولو قال لم اتخذ فرعون وهامان وابليس وجميع المضلين لطال فقال
فلانا حتى يتناول كل خليل مضل عن الدين لقد اضلني اي صرفني وردني عن الذكر اي عن
القران والايمان به بعد اذ جاءني مع الرسول وتم الكلام ههنا ثم قال وكان الشيطان
للانسان خذولا يتبرأ منه في الاخرة ويسلمه الى الهلاك ولا يغني عنه شيئا وقال الرسول
يعني محمدا صلى الله عليه وآله يشكو قومه يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا يعني
هجروا القرآن وهجروني وكذبوني عن ابن عباس والمعنى جعلوه متروكا لا يسمعونه ولا
يتفهمونه وقيل انه قوله وقال الرسول معناه ويقول كما في قول الشاعر شعر مثل العصافير
احلاما ومقدرة ويوزنون بزف الريش ما وزنوا اي ما يزنوا قوله عز وجل وكذلك
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا
وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ
إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ
تَدْمِيرًا وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا
لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَكُلًّا
ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ
أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا عشر آيات القراءة الشواذ قراءة مسلم بن محارب
فدمرانهم تدميرا على التاكيد بالنون الثقيلة وروي ذلك عن علي عليه السلام وعنه ع
فدمراهم وهذا كله امر لموسى وهرون ان يدمراهم اللغة العدو والمتباعد عن النصرة
للبغضة من عداه يعدوه واذا باعد خطوة وعدا عليه باعد خطوة للايقاع به وتعدى
في فعله اذا ابعد في الخروج عن الحق ومنه عدوتا الوادي لانهما بعداه ونهايتاه
والترتيل التبيين في تثبت وترسل وترتل ورتل بفتح التاء وسكونها اذا كان
مفلجا لا يصص فيه والتدمير الاهلاك بامر عجيب ومنه التنكيل يقال دمر على فلان اذا هجم

عليه بالمكروه والوسواس التي لم تطبق بجارة ولا بغيرها والتتبير الاهلاك والاسم
التبار ومنه قيل التبر القطع الذهب الاعراب قال الزجاج هاديا ونصيرا منصوب على وجهين
احدهما الحال اي كفى ربك في حال الهداية والنصر والاخر ان يكون منصوبا على التميز
اي كفى ربك من الهداة والنصار جملة نصب على الحال معناه مجموعا واحسن مجرور
بالعطف على الحق على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره يحشرون مكبوبين
وقوم نوح منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر تقديره اغرقنا قوم نوح
والعامل في لما اغرقناهم وعادا وثمودا وما بعد ذلك عطف على الهاء والميم
في قوله وجعلناهم ويجوز ان يكون عطفا على معنى واعتدنا للظالمين
عذابا ويكون تاويله وعدنا للظالمين بالعذاب ووعدنا عادا وكلا منصوب
بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره المعنى وانذرنا كلا ضربنا له الامثال وتبرنا كلا مطر
السوء منصوب لانه مصدر امطرت تقديره امطار السوء المعنى ثم عزى الله سبحانه
تعالى نبيه عليه السلام بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي وكما جعلنا لك
عدوا من مشركي قومك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين من كفار قومه وعن ابن
عباس المعنى في جعله اياهم عدو الانبياء انه تعالى امر الانبياء ان يدعوهم الى
الايمان بالله تعالى وترك ما القوه من دينهم ودين اباءهم والى ترك عبادة الاصنام
وذمها وكانت هذه اسبابا داعية الى العداوة فاذا امرهم بها فقد جعلهم
عدوا لهم وكفى بربك هاديا ونصيرا اي حسبك بالله هاديا الى الحق وناصرا لاوليائه
في الدنيا والاخرة على اعدائهم وقيل هاديا للانبياء الى التحرز عن عداوة المجرمين
بالاعتصام حبله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة معناه وقال
الكفار لرسول الله هلا اتينا بالقرآن جملة واحدة كما انزلت التورية والانجيل والزبور
جملة واحدة قال الله تعالى كذلك اي انزلناه كذلك متفرقا لنثبت به فوادك اي لنقوي
به قلبك فتزداد بصيرة وذلك انه اذا كان ياتيه الوحي متجددا في كل حادثة وكل امر كان
ذلك اقوى لقلبه ازيد في بصيرته وقيل انما انزلت الكتب جملة واحدة لانها انزلت

على انبياء يكتبون ويقرؤن فنزلت عليهم مكتوبة والقرآن انما انزل على نبي
امي لا يكتب ولا يقراء فلذلك نزل متفرقا وايضا فان في القران الناسخ والمنسوخ
ومنه ما هو جواب لمن ساله عن امور وفيه ما هو انكار لما كان وفيه ما هو حكاية
شيء جرى فاقتضت الحكمة انزاله متفرقا ورتلناه ترتيلا اي بيناه تبيينا ورسلناه
ترسيلا بعضه في اثر بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتاده وقيل فصلناه تفصيلا
عن السدي وقيل فرقناه تفريقا عن النخعي وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال يا ابن عباس اذا قرات القران فرتله ترتيلا قال وما الترتيل قال وبينه
بيانا ولا تنثره نثر الدقل ولا تهذه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب
ولا يكونن همّ احدكم اخر السورة ولا ياتونك بمثل اي ولا ياتيك المشركون بمثل
يضربونه لك في ابطال امرك ومخاصمتك الا جئناك بالحق الذي يبطله ويدحضه
واحسن تفسيرا اي وباحسن تفسيرا مما اتوا من المثل اي بيانا وكشفا الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم اي يسحبون على وجوههم الى النار وهم كفار مكة وذلك
انهم قالوا لمحمد واصحابه هم شر خلق الله فقال الله سبحانه اولئك شر مكانا
اي منزلا ومصيرا واضل سبيلا اي دينا وطريقا من المؤمنين وروى انس ان
ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة قال ان الذي امشاه
على رجليه قادر ان يمشيه على وجهه يوم القيمة ورواه البخاري في الصحيح ثم ذكر سبحانه
حديث الانبياء واممهم تسلية للنبي صلى الله عليه وآله فقال ولقد اتينا موسى الكتاب
يعني التورية وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا اي معينا يعينه على تبليغ الرسالة
ويحمل عنه بعض اثقاله فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني فرعون
وقومه في الكلام حذف اي فذهبا اليهم فلم يقبلوا منهما وجحدوا نبوتهما فدمرناهم
تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا نامرفيه اعجوبة وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم
اي واغرقنا قوم نوح بالطوفان وهو مجيء السماء بماء منهم وتفجير الارض عيونا حتى
التقى الماء على امر قد قدر قال الزجاج من كذب نبيا فقد كذب بجميع الانبياء وجعلناهم

للناس اية اى عبرة وعظة واعتدنا اى هيانا للظالمين عذابا اليما سوى ما حل بهم
فى الدنيا وعادا وثمودا اى واهلكنا عادا وثمودا واصحاب الرس وهو بئر رموا فيها
نبيهم اى القوة فيها عن عكرمة وقيل انهم كانوا اصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها
ويعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فانهار البئر وانخسفت بهم
الارض عن سعيد بن جبير والكلبى وقيل هو اصحاب يس والرس بئر بانطاكية قتلوا فيها
حبيبا النجار فنسبوا اليها عن كعب ومقاتل وقيل اصحاب الرس كان نساؤهم سحاقات
عن ابى عبد الله عليه السلام وقرونا بين ذلك كثيرا اى واهلكنا ايضا قرونا كثيرا بين عاد
واصحاب الرس على تكذيبهم وقيل بين نوح واصحاب الرس والقرن سبعون سنة عن ابرهيم
وكلا ضربنا له الامثال اى وكلا بينا لهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا عن مقاتل
وقيل معناه بينا لهم الاحكام فى الدين والدنيا وكلا تبرنا تتبيرا اى وكلا اهلكنا اهلاكا
على تكذيبهم وجحودهم قال الزجاج كل شئ كسرته وفتته فقد تبرته ولقد اتوا يعنى كفار مكة
على القرية التى امطرت مطر السوء يعنى قرية قوم لوط امطروا الحجارة افلم يكونوا
يرونها فى اسفارهم اذا مروا بها فيخافوا ويعتبروا بل كانوا لا يرجون نشورا يعنى
بل راوها وانما لم يعتبروا بها لانهم كانوا لا يخافون البعث وقيل لا ياملون ثوابا
ولا يومنون بالنشاة الثانية فركبوا المعاصى قوله عز وجل واذا راوك ان يتخذونك
الا هزوا اهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا
عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ
الهه هويه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذى
ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة
ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى

اكثر الناس

اكثر الناس الا كفورا عشر آيات القراءة قرأ البرجمى نسقيه بفتح النون والباقون نسقيه
بضم النون وفى الشواذ قراءة الاعرج من اتخذ الاهة هواه وقراءة ابن السميع الرياح
بشرى الحجة قد مضى الفرق بين نسقى وتسقى فيما تقدم والالاهة الشمس وقيل الالاهة
بالضم غير مصروفة وانشد شعر تروحنا من اللعباء قصرا واعجلنا الالاهة
ان تؤوبا ويروى واعجلنا الالاهة ومن قرأ والهتك فمعناه وعبادتك وقد يجوز
ان يكون اراد هذه المعرفة فاضافها اليه لعبادته لها فيكون كقولك وبدرك
وشمسك اى والشمس التى تعبدها ومن قرأ بشرى فهو مصدر وضع موضع الحال
اى مبشرة كقولهم هلم جرا اى جارا او مجرا ويأتينك سعيا وقد ذكرنا الاختلاف بين
القراء فيه وما لهم من الاحتجاج فى كل وجه فى سورة الاعراف وذكرنا اختلافهم فى ليذكروا
فى سورة بنى اسرائيل اللغة القبض جمع الاجزاء المنبسط واليسير السهل القريب واليسير
ايضا نقيض العسير واليسار ما يملك من المال لانما تيسر منه الامور عليه وقيل اليد اليسرى
لانه تيسر بها العمل مع اليمنى وياسر اخذ فى جهة اليد اليسرى والسبات قطع العمل
ومنه سبت راسه يسبته سبتا اذا حلقه ومنه يوم السبت وهو يوم قطع العمل
والنشر خلاف الطى واناسى جمع انسان جعلت الياء عوضا من النون وقد قالوا ايضا
اناسين وقد يجوز ايضا ان يكون جمع انسى فيكون مثل كرسى وكراسى الاعراب هذا
الذى بعث الله رسولا العائد من الصلة الى الموصول محذوف لطول الكلام اى بعثه
الله ورسولا منصوب على الحال من الهاء المحذوفة وان كاد ليضلنا ان مخففة واسمه
محذوف فتقديره انه كاد وهو ضمير المستكن فى بعد والتقدير ابعد غاية الظل
قال الزجاج الاجود ان يكون الم تر من رؤية القلب ويجوز ان يكون من رؤية العين
وبشرا نصب على الحال فى الوجوه كلها من الرياح والعامل فيه ارسل مما خلقنا الجار
والمجرور فى موضع نصب على الحال المعنى ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين وصفهم
فيما تقدم فقال واذا راوك واذا شاهدوك يا محمد ان يتخذونك الا هزوا اى ما
يتخذونك الا هزوا والمعنى انهم يستهزؤن بك ويستصغرونك ويقولون على وجه

السخرية اهذا الذى بعث الله رسولا اى بعث الله الينا رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا
قال ابن عباس معناه لقد كاد يصرفنا عن عبادة الهتنا وتاويله قد قارب ان ياخذ
بنا فى غير جهته عبادة الهتنا على وجه يودى الى هلاكنا فان الاضلال الاخذ بالشئ
الى طريق الهلاك لولا ان صبرنا عليها على عبادتها لازم لنا عن ذلك وحذف
الجواب لدلالة الكلام عليه فقال سبحانه متوعدا لهم وسوف يعلمون حين يرون العذاب
الذى ينزل بهم فى الاخرة عيانا من اضل سبيلا اى من اخطا طريقا عن الهدى
اهم ام المؤمنون ثم عجب سبحانه نبيه عن نهاية جهلهم فقال ارايت من اتخذ الهه
هواه اى من جعل الهه ما يهواه وهو غاية الجهل وكان الرجل من المشركين يعبد
الحجر والصنم فاذا راى احسن منه رمى به واخذ يعبد الاخر عن سعيد بن جبير وقيل
معناه ارايت من ترك عبادة خالقه والهه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندك
عن عطا عن ابن عباس وقيل من اطاع هواه واتبعه فهو كالاله له وترك الحق
عن الغنى افانت تكون عليه وكيلا اى افانت عليه كفيل حافظ تحفظه من اتباع
هواه وعبادة ما يهواه من دون الله اى لست كذلك وقيل معناه انقدر
انت يا محمد ان تهديه اذا اراد الله به لم يتفكر اى لا تقدر على ذلك لان الوكيل
وهو الكافى للشئ ولا يكون كذلك الا وهو قادر عليه ثم قال للنبى صلى الله عليه وآله
تحسب يا محمد ان اكثرهم يسمعون ما يقوله سماع طالب الافهام او يعقلون
ما تقوله لهم وتقرأ عليهم وما يعاينونه من المعجزات والحجج اى لا تظن ذلك ان هم
الا كالانعام اى ما هم الا كالبهايم التى تسمع النداء ولا تعقل بل هم اضل سبيلا
من الانعام لانهم مكنوا من المعرفة فلم يعرفوا والانعام لم يمكنوا منها ولان الانعام
الهمت منافعها ومضارها فهى لا يفعل ما يضرها وهولاء عرفوا طريق الهلاك
والنجاة وسعوا فى هلاك انفسهم وتجنبوا سبيل نجاتهم فهم اضل منها ثم نبه
سبحانه على النظر فيما يدل على وحدانيته وكمال قدرته فقال الم تر الخطاب للنبى
صلى الله عليه وآله والمراد ساير المكلفين الى ربك كيف مد الظل اى الم تر

الى فعل ربك ثم حذف المضاف عن مقاتل وقيل معناه الم تعلم فيكون من روية
القلب عن الزجاج وذكر ان هذا على القلب تقديره الم تر الى الظل كيف مده ربك
من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس عن ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير
وجعله ممدودا لانه لا شمس معه كما قيل فى ظل الجنة ممدود اذ لم يكن معه شمس قال ابو عبيدة
والظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفى ما نسخ الشمس وهو بعد زوال الشمس وسمى
فيا لانه فاء من جانب المشرق الى جانب المغرب وقيل مد الظل من وقت غروب الشمس
الى وقت طلوعها فيكون الظل بالليل لانه ظل الارض عن الجبائى والبلخى ولو شاء لجعله
ساكنا اى مقيما دايما لا يزول ولا تنسخه الشمس يقال فلان يسكن بلد كذا اذا قام به
فهو مثل قوله سبحانه قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة الاية
فى المعنى وفى هذا اشارة الى انه على تسكين الشمس حتى يبقى الظل ممدودا بخلاف ما تقوله
الفلاسفة ثم جعلنا الشمس عليه اى على الظل دليلا قال ابن عباس يدل الشمس على الظل
بمعنى انه لولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة وكل الاشياء تعرف
باضدادها وقيل معناه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا باذهابها اياه عند مجيها
عن ابن زيد وقيل ان الظل يتبع الشمس فى طوله وقصره كما يتبع السائر الدليل
فاذا ارتفعت الشمس قصر الظل واذا انحطت الشمس طال الظل وقيل ان على هنا بمعنى
مع فالمعنى ثم جعلنا الشمس مع الظل دليلا على وحدانيتنا ثم قبضناه الينا قبضا
يسيرا اى قبضنا الظل فى ارتفاع الشمس لان الشمس كلما تعلو ينقص الظل فجعل سبحانه
ذلك قبضا واخبر ان ذلك يسير بمعنى انه سهل عليه لا يعجزه قال الكلبى اذا طلعت الشمس
قبض الله الظل قبضا خفيا والمعنى ثم جمعنا اجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه
حتى ينسخها شيئا فشيئا وقيل معناه ثم قبضنا الظل بغروب الشمس الينا الى الموضع الذى
حكمنا يكون الظل فيه قبضا يسيرا اى خفيا وانما قيل ذلك لان الظل لا يذهب بغروب
الشمس دفعة بل يذهب جزا فجزاء بحدوث الظلام فكلما احدث جزء من الظلام
نقص جزء من الظل وهو الذى جعل لكم الليل لباسا اى غطاء ساترا للاشياء بالظلام

كاللباس الذي يشتمل على لابسه فالله سبحانه البسنا الليل وغشانا به لنكون فيه
ونستريح من كد الاعمال كما قال في موضع آخر لتسكنوا فيه والنوم سباتا اي راحة
لابدانكم وقطعا لاعمالكم قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح في بدنه
وجعل النهار نشورا لانتشار الروح باليقظة فيه مأخوذ من نشور البعث وقيل لان
الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم ومعايشهم فيكون النشور هنا بمعنى التفرق
لابتغاء الرزق عن ابن عباس وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته
مضى الكلام فيه في سورة الاعراف وانزلنا من السماء ماء طهورا اي طاهرا
في نفسه مطهرا لغيره مزيلا للاحداث والنجاسات لنحيي به بلدة ميتا قد مات
بالجدب واراد بالبلدة البلد والمكان فلذلك قال ميتا بالتذكير والمعنى
لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها نبت قال ابن عباس يخرج به النبات والثمار ونسقيه
مما خلقنا انعاما اي ولنسقي من ذلك الماء انعاما جمة او نجعله سقيا للانعام
واناسي كثيرة اي اناسا كثيرة ولقد صرفناه اي صرفنا المطر بينهم يدور في جهات
الارض وقيل قسمناه بينهم يعني المطر فلا يدوم على مكان فيهلك ولا ينقطع عن
مكان فيهلك ويزيد لقوم وينقص لاخرين على حسب المصلحة ليذكروا اي ليتفكروا
ويستدلوا به على سعة مقدورنا فلا نزلا يستحق العبادة غيرنا فابى اكثر الناس
الا كفورا اي جحودا لما عددناه من النعم وانكارا فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا
عن عكرمة وقيل فابوا الا كفورا بالبعث والنشور قوله عز وجل ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي
مرج البحرين هذا عذب وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا
وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه
ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب

عباده خبيرا

عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما
الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا عشر آيات القراءة قرأ حمزة والكسائي
لما يأمرنا بالياء والباقون بالتاء الحجة قال ابو علي من قرأ بالتاء قال انهم تلقوا
امر النبي صلى الله عليه وآله اياهم بالرد وزادهم امره اياهم بالسجود نفورا عما امروا
به ومن قرأ بالياء فالمعنى انسجد لما يأمرنا محمد بالسجود له على وجه الانكار
منهم لذلك ولا يكون انسجد لما يأمر بالرحمن بالسجود له ترتيب الحذف لانهم انكروا
الرحمن تعالى بقولهم وما الرحمن وقوله اذا جعلت ما بمعنى الذي على ما ذكره والتقدير
انسجد لما يأمرنا بالسجود له وترتيب الحذف فيه على الوجه الذي تقدم بيانه في قوله
سبحانه فاصدع بما تؤمر فلا وجه لاعادته وان جعلت ما مصدرية فانك
لا تحتاج الى حذف شيء ويكون تقديره انسجد لامرك او للامر اللغة اصل المرج
الخلط ومنه امر مريج اي مختلط وفي الحديث مرجت عهودهم اي اختلطت ومرجت
الدابة وامرجتها اذا خليتها ترعى وعذب الماء عذوبة فهو عذب والفرات اعذب
الماء ويقال فرت الماء يفرت فهو فرات اذا عذب والملح الاجاج الشديد الملوحة
والنسب ما يرجع الى ولادة قريبة والصهر خلطة تشبه القرابة والمصاهرة
في النكاح المقاربة وفي الحديث كان يوسف يسجد قبل فيصهره الحر الى بطنه اي يذيبه
يقال صهره واصهره الاعراب هذا عذب فرات مبتدأ وخبره في موضع نصب
على الحال وكذلك قوله وهذا ملح اجاج بالعطف عليه وذو الحال البحرين مبشرا ونذيرا
على الحال من يشاء في موضع على الاستثناء والمستثنى منه الكاف والميم في اسألكم وان يتخذ
في موضع نصب بانه مفعول شاء الذي خلق السموات والارض في موضع جر تقديره وتوكل
على الحي الذي لا يموت خالق السموات ويحتمل ان يكون في موضع نصب ورفع على المدح
والثناء على تقدير اعني الذي خلق او هو الذي خلق والرحمن بالرفع القراءة وورد
عن بعضهم في الشواذ بالجر ففي الرفع وجوه احدها الابتداء وخبره فسل به عن الزجاج

وفيه نظر لان الهاء انما يجوز في خبر ما فيه الالف واللام اذا جاز فيه معنى الشرط ولا يصح
ذلك هنا والثاني ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو الرحمن والثالث ان يكون بدلا
من الضمير المستكن في استوى والرابع ان يكون فاعل استوى واما الجر فعلى ان يكون صفة
وتقديره توكل على الحي الخالق الرحمن ونفورا مفعول ثان لزاد المعنى ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا ينذرهم ولكن بعثناك يا محمد الى القرى كلها رسولا لعظم المنزلتك لدينا
والنذير هو الداعي الى ما يؤمن معه الخوف من العقاب وقيل انه اخبار عن قدرته سبحانه
والمعنى لو شئنا لقسمنا النذر بينهم كما قسمنا الامطار بينهم ولكنا نفعل ما هو الاصلح لهم
والاعود عليهم في دينهم ودنياهم فبعثناك اليهم كافة فلا تطع الكافرين فيما يدعونك
اليه من المداهنة والاجابة الى ما يريدون وجاهدهم في الله به اي بالقرآن عن ابن عباس
جهادا كبيرا اي تاما شديدا وفي هذا دلالة على ان من اجل الجهاد واعظمه منزلة عند الله
سبحانه جهاد المتكلمين في حل شبه المبطلين واعداء الدين ويمكن ان يتاول عليه قوله ع
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وهو الذي مرج البحرين اي ارسلهما في مجاريهما
وخلاهما كما ترسل الخيل في المرج وهما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح
وهو قوله هذا يعني احد البحرين عذب فرات اي طيب شديد الطيب وهذا ملح اجاج شديد الملوحة
وقيل الفرات البارد والاجاج الحار وقيل حراما محرما ان يفسد الملح العذب وهو الذي خلق
من الماء بشرا اي خلق من النطفة انسانا وقيل اراد به آدم ع فانه خلقه من التراب الذي
خلق من الماء وقيل اراد به اولاد آدم فانهم المخلوقون من الماء فجعله نسبا وصهرا اي فجعله
ذا نسب وصهر والصهر حرمة الختونة وقيل النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر النسب الذي يحل
نكاحه كبنات العم والخال عن الفراء وقيل النسب سبعة اصناف والصهر خمسة ذكرهم الله
في قوله حرمت عليكم امهاتكم عن قتاده والضحاك وقد تقدم بيانه في سورة النساء
وقيل النسب البنون والصهر البنات اللاتي يستفيد الانسان بهن الاصهار فكانه قال فجعل منه
البنين والبنات وقال ابن سيرين نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي بن ابي طالب زوج فاطمة
عليا فهو ابن عمه وزوج ابنته فكان نسبا وصهرا وكان ربك قديرا اي قادرا على ما اراد

ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم من
الاصنام والاوثان وكان الكافر على ربه ظهيرا الظهير العون والمعين اي معينا
للشيطان على ربه بالمعاصي عن الحسن ومجاهد قال الزجاج انه تابع الشيطان وقيل
ظهيرا اي هينا كالمطرح من قولهم ظهر فلان بحاجتي اذا جعلها خلف ظهره فلم يلتفت اليها
واستهان بها فالظهير بمعنى المظهور وهو المتروك المستخف به ومنه قوله واتخذتموه
وراءكم ظهريا والاول اوجه وقالوا عنى بالكافر ابا جهل وما ارسلناك يا محمد الا مبشرا
بالجنة ونذيرا من النار وقد سبق معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار ما اسئلكم عليه
اي على القرآن وتبليغ الوحي من اجر تعطونيه الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
بانفاق ماله في طاعة الله واتباع مرضاته والمعنى اني لا اسئلكم لنفسي اجرا ولكني لا امنع
من انفاق المال في طلب مرضات الله سبحانه بل ارغب فيه واحث عليه وفي هذا تاكيد لصدقه
عليه السلام لانه لو طلب على تبليغ الرسالة اجرا لقالوا انما يطلب اموالنا وتوكل على الحي الذي لا يموت
اي فوض امورك اليه فانه ينتقم لك ولو بعد حين فانه الحي الذي لا يموت فلن يفوته الانتقام
وسبح بحمده اي احمده منزها له عما لا يجوز عليه في صفاته بان يقول الحمد لله رب العالمين
الحمد لله على نعمه واحسانه الذي لا يقدر عليها غيره والحمد لله حمدا كما في نعمه في عظم
المنزلة وعلو المرتبة وما اشبه ذلك وقيل معناه واعبده وصل له شكرا منك له
على نعمه وكفى به بذنوب عباده خبيرا اي عليما فيحاسبهم ويجازيهم بها بحقيق بهم ان يخافوه
ويراقبوه الذي خلق السموات والارض وما بينهما اي ما بين هذين الصنفين في ستة
ايام ثم استوى على العرش الرحمن قد سبق تفسيره في سورة الرعد فسئل به خبيرا
في تاويله فقيل ان المعنى فسئل به خبيرا والباء بمعنى عن والخبير ههنا هو الله تعالى
عن ابن جريج وانشد في قيام الباء مقام عن قول علقمة بن عبدة شعر فان تسألوني بالنساء
فانني * خبير بادواء النساء طبيب * يردن ثراء المال حيث وجدنه * وشرخ شباب عندهن
عجيب * اذا شاب راس المرء او قل ماله * فليس له في ودهن نصيب * وقول الاخطل * دع المعمر
لا تسأل بمصرعه * واسأل بمصقلة البكري ما فعلا * وقيل ان الخبير هنا محمد والمعنى ليسأل كل منكم

عن الله تعالى هذا فان الخبير العارف به وقيل ان الباء على اصلها والمعنى فاسئل بسواله السوال
ايها الانسان خبيرا يخبرك بالحق في صفته ودل قوله ما شاء فاسال على السوال كما قالت
العرب من كذب كان شرا له اى كان الكذب شرا له ودل عليه كذب قدم ذكرا شاله وقيل
ان الباء فيه مثل الباء في قولك لقيت بفلان ليثا اذا وصفت شجاعته ولقيت به غيثا
اذا وصفت سماحته والمعنى انك اذا رايته رايت الشيء المشبه به والمعنى فاسال عنه
فانه الخبير به وروى ان اليهود حكوا عن ابتداء خلق الاشياء بخلاف ما اخبر الله تعالى
عنه فقال سبحانه فاساله خبيرا قال لقطوبه اى سالني عنه فانك تسال بسوالك يا في خبيرا
واذا قيل لهم اى لهولاء المشركين اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن اى واى شيء الرحمن في المعنى
انا لا نعرف الرحمن قال الزجاج الرحمن اسم من اسماء الله عز اسمه مذكورا في الاسم الكتب
الاولى ولم يكونوا يعرفونه من اسماء الله فقيل لهم انه من اسماء الله ومعناه عند
اهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لان فلان بناء في ابنيه المبالغة
يقول ريان وعطشان اذا كان في النهاية من الفرح والجدل انسجد لما تامرنا مضى تفسيره
وزادهم نفورا اى زادهم ذكر الرحمن تباعدا من الايمان عن مقاتل والمعنى انهم ازدادوا
عند ذلك نفورا عن الحق وقول النبي عليه السلام وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها ان فيها
اخبارا انه سبحانه اذن بالارسال مراعاة الحسن التدبير في تمييزه بالاكرام والاجلال النظم لعلمه
بما فيه من الخلال الموجبة في الحكمة الرسالة الى الخلق على غاية الكمال فعلى هذا يتعلق بقوله
ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ثم ذكر من التصريف للايات بقوله وهو الذي مرج البحرين
ما يدل على وحدانيته وكمال قدرته ثم عجب سبحانه عن اعراضهم عن الايات مع وضوحها
وظهورها ومقابلتهم لنعمه بالكفران بقوله ويعبدون من دون الله الاية ثم بين سبحانه
اراد بتصريف الايات الخير والاحسان بقوله وما ارسلناك الاية ثم بين انه لا يسالهم
عليه اجرا لئلا ينفروا عنهم ثم بين سبحانه انه كما لا يسالهم اجرا انه يتوكل عليه في امره ويفوض
اليه علم المصالح فيما كلفه ثم هدد سبحانه عباده بقوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا
فانه اذا المريد هت عليه جزاوهم قوله عز وجل تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ

فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ
عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَالَّذِينَ
إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ
وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا عشر آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم سُرُجا بضمتين من غير الف والباقون
سراجا وقرا حمزة وخلف ان يذكر خفيفا والباقون ان يذكر بتشديدين وقرا اهل المدينة
وابن عامر وابو عمرو بضم الياء وقرا اهل الكوفة بفتح الياء وضم التاء وقرا اهل البصرة
وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء وقرا ابو جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل يضعف
له العذاب بالتشديد والجزم ويخلد بالجزم وقرا ابن عامر يضعف بالتشديد والرفع
ويخلد بالرفع وقرا ابو بكر يضاعف بالالف والرفع ويخلد بالرفع وقرا نافع وابو
عمرو واهل الكوفة الا ابا بكر يضاعف بالالف والرفع والجزم ويخلد بالجزم وقرا ابن كثير
وحفص فيه مهانا باشباع كسرة الهاء وذلك مذهب ابن كثير في جميع القرآن وافقه
حفص في هذا الموضع فقط وقرا يبدل الله بسكون الباء البرجمي عن ابي بكر مختلفا
عنه والباقون بالتشديد الحجة من قرا سراجا فحجته قوله وجعل فيها سراجا
ومن قرا سرجا فحجته قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فشبهت الكواكب
بالمصابيح كما شبهت بالكواكب في قوله الزجاجة كانها كوكب دري وانما المصباح الزجاجة
في المعنى وقد سبق القول في يذكر ويذكر فيما مضى في الاقتران خلاف الاية قال الشاعر
شعر لكم مسجد الله المزورات والحصى لكم قبصه من بين اثرى واقترى تقدير
من بين رجل اثرى ورجل اقترى فاقام الصفة مقام الموصوف ومثله في التنزيل ومن اهل المدينة

مردوا على النفاق قال ابو علي يجوز ان يكون على قبيل مردوا مثل قوله ومن يأتيكم
البرق واما قتريقتر فمثل عكف يعكف ويعكف وعرش يعرش ويعرش فمن ضم
الياء اراد لم يفتقروا في انفاقهم لان الشرف مشرف على الافتقار ومن فتح
الياء فالمعنى لم يضيقوا في الانفاق ومن قرأ يضاعف بالجزم جعله بدلا
من الفعل الذي هو جزاء الشرط وهو قوله يلق اثاما وذلك ان تضعيف
العذاب هو لقي جزاء الاثام في المعنى ومثله قول الشاعر شعر ان يحسوا او
تعذروا او يحلوا الا يحفلوا يغدوا عليك مرجلين كانهم لم يفعلوا فغدوهم
مرجلين في المعنى ترك الاحتفال وقد ابدل من الشرط كما ابدل من الجزاء وذلك
في قول الشاعر شعر متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا فابدل تلمم من تاتنا
لان الالمام اتيان في المعنى قال ابو علي ومثل حذف الجزاء الذي هو مضاف في المعنى في قوله
يلق اثاما اي جزاء اثام قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم المعنى من جزاء
ما كسبوا وقال ابو عبيدة يلق اثاما اي عقوبة وانشد لمانع الليثي شعر جزى الله ابن عروة
حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام قال وابن عروة رجل من بني ليث كان دل عليهم ملكا
من غسان فاغار عليهم قال ابو علي ويمكن ان يكن هذا من قول بشر شعر مكان مقاسا ندعوا
عليهم باسفل ذي المجاز له اثام ومن دفع يضاعف ويخلد قطعه عما قبله واستانف
واما يضعف ويضعف فيهما في المعنى سواء وكذلك يلق وما يلقى اللغة قال ابو عبيدة
الخلفة كل شيء بعد شيء والليل خلفة النهار والنهار خلفة الليل لان احدهما يخلف الاخر
قال زهير شعر بها العين والارام يمشين خلفة واطلاؤها ينهضن من كل مجثم والهون
مصدر الهين في السكينة والوقار والغرام اشد العذاب وهو اللازم الملح ومنه الغريم
لملازمته الحاجة وفلان مغرم بالنساء اي ملازم لهن لا يصبر عنهن قال بشر ابن ابي خازم
شعر ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال الاخر شعر ان يعاقب يكن
غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي الاعراب الذين يمشون خبر المبتدأ الذي هو عباد
الرحمن ويجوز ان يكون خبره اولئك يجزون الغرفة ويكون الذين يمشون صفة العباد

وهونا

وهونا في موضع الحال وسلاما نصب على المصدر بفعل محذوف وتقديره نتسلم منكم سلاما لا نجاهلكم
كانهم قالوا نسلم منكم ومستقرا ومقاما منصوبان على التمييز والمخصوص بالذم محذوف
تقديره ساءت مستقرا جهنم وكان بين ذلك قواما اي كان الانفاق ذا قوام بين الاسراف
والاقتار فقوله بين ذلك فيكون خبرا بعد خبر المعنى ثم مدح سبحانه نفسه بان قال
تبارك وقد مر معناه في اول السورة الذي جعل في السماء بروجا يريد منازل النجوم
السبعة السيارة التي هي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر
وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وقيل هي النجوم الكبار عن الحسن ومجاهد
وقتادة وسميت بروجا لظهورها وجعل فيها سراجا يعني الشمس ومن قرأ سرجا اراد
الشمس والكواكب معها وقمرا منيرا اي مضيئا بالليل اذا لم يكن شمس وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة اي يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فاته عمل الليل
استدركه بالنهار ومن فاته عمل النهار استدركه بالليل وهو قوله لمن اراد ان يذكر
عن عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم قال يقضي صلوة
النهار بالليل وصلوة الليل بالنهار وقيل معناه انه جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه
فجعل احدهما اسود والاخر ابيض عن مجاهد لمن اراد ان يذكر اي يتفكر ويستدل له
بذلك على ان لهما مدبرا ومصرفا لا يشبههما ولا يشبهانه فيوجه العبادة اليه
او اراد شكورا يقال شكر يشكر شكرا وشكورا اي اراد شكر نعمة ربه عليه فيهما
وعلى القول الاول فمعناه اي اراد النافلة بعد اداء الفريضة وعباد الرحمن
يريد افاضل عباده وهذه اضافة التخصيص والتشريف كما يقال ابني الذي يطيعني اي
ابني الذي انا عنه راض ويكون توبيخا لاولاده الذين لا يطيعونه الذين يمشون
على الارض هونا اي بالسكينة والوقار والطاعة غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين
ولا مفسدين عن ابن عباس ومجاهد وقال ابو عبد الله عليه السلم هو الرجل يمشي بسجيته
التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر وقيل معناه حلماء علماء لا يجهلون وان جهل عليهم عن الحسن وقيل

اعفاء واتقياء عن الصحابة واذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه او يثقل عليهم قالوا في جوابه
سلاما اي سدادا من القول لا يقابلونهم بمثل قولهم من التخشن عن مجاهد وقيل سلاما اي قولا
يسلمون فيه من الاثم او سلموا عليهم دليله قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم وقال قتاده كانوا لا يخاطبون اهل الجهل وقال
ابن عباس لا يجهلون مع من يجهل قال الحسن هذه صفة نهارهم اذا انتشروا في الناس
وليلهم خير ليل اذا خلوا فيه بينهم وبين ربهم يراوحون بين اطرافهم وهو قوله
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الزجاج كل من ادركه الليل فقد بات
نام او لم ينم والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلوة ساجدين وقايمين طالبين
لثواب ربهم فيكونون سجدا في مواضع السجود وقياما في مواضع القيام والذين
يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي يدعون
بهذا القول وغراما اي لازما ملحا دايما غير مفارق وانها سائت مستقرا ومقاما
اي ان جهنم بئس موضع قرار واقامة هي والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
اختلف في معنى الاسراف فقيل هو النفقة في المعاصي والاقتار الامساك عن حق الله
عن ابن عباس وقتاده وقيل السرف مجاوزة الحد في النفقة والاقتار التقصير
عما لا بد منه عن ابرهيم النخعي وروي عن معاذ انه قال سالت رسول الله صلى
الله عليه وآله عن ذلك فقال من اعطى في غير حق فقد اسرف ومن منع من حق
فقد قتر وروي عن امير المؤمنين علي عليه السلم انه قال ليس في الماكول والمشروب
سرف وان كثر وكان بين ذلك قواما اي وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار
لا اسرافا يدخلون في حد التبذير ولا تضيقا يصيرون في حد المانع لما يجب وهذا
هو المحمود والقوام من العيش ما اقامك واغناك وقيل القوام بالفتح العدل
والاستقامة وبالكسر ما يقوم به الامر ويستقر عن ثعلب قال ابو عبد الله عليه السلم
القوام هو الوسط وقال عليه السلم اربعة لا يستجاب لهم دعوة رجل فاتح فاه جالس
في بيته يقول يا رب ارزقني فيقول له الم امرك بالطلب ورجل كانت له امراة يدعو

عليها

عليها يقول يا رب ارحني منها فيقول الم اجعل امرها بيدك ورجل كان له مال فافسده
فيقول يا رب ارزقني فيقول الم امرك بالاقتصاد ورجل كان له مال فادانه
بغير بينة فيقول الم امرك بالشهادة والذين لا يدعون مع الله الها آخر اي لا
يجعلون لله سبحانه شريكا بل يوجهون عبادتهم اليه ولا يقتلون النفس التي حرم الله
اي حرم الله قتلها الا بالحق والنفس المحرم قتلها نفس المحرم والمعاهد والمستثنى
قتلها نفس الحربي ومن يجب قتلها على وجه القود او الارتداد وللزنا بعد الاحصان
او للسعي في الارض بالفساد ولا يزنون والزنا هو الفجور بالمراة في الفرج وفي هذا
دلالة على ان اعظم الذنوب بعد الشرك القتل والزنا وروى البخاري ومسلم
في صحيحيهما بالاسناد عن عبد الله بن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وآله
اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله اندادا وهو خلقك قال قلت ثم اي قال ان تزاني
حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية
ومن يفعل ذلك قال مقاتل هذه الخصال جميعا يلق اثاما اي عقوبة وجزاء لما فعل
قال الفراء اثمه الله ياثمه اثما واثاما اي جازاه جزاء الاثم وقال الشاعر
شعر وهل ياثمني الله ان ذكرتها وعللت اصحابي بها ليلة النفر وقيل ان اثاما اسم واد
في جهنم عن عبد الله بن عمرو وقتاده ومجاهد وعكرمه ثم فسر سبحانه لقي الاثام بقوله
يضاعف له العذاب يوم القيمة يريد سبحانه مضاعفة اجزاء العذاب لا مضاعفة
الاستحقاق لان ذلك ظلم وهو منفي عنه وقيل معناه انه يستحق على كل معصية
عقوبة يضاعف عليه العقاب وقيل المضاعفه عذاب الدنيا وعذاب الاخرة عن قتاده
ويخلد فيه مهانا اي ويدوم في العذاب مستحقا به وانما قال ذلك لانه عز اسمه
قد يوصل الالام الى بعض المكلفين لا على وجه الاستحقاق والاهانة فبين انه يوصل
العقاب اليهم على وجه الاهانة ثم استثنى من جملتهم التايب بقوله الا من تاب
وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال قتاده الا من تاب
من ذنبه وامن بربه وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه قال والتبديل في الدنيا

طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه والخير بعمله بعد الشر وقيل
يبدلهم الله بقبايح اعمالهم فى الشرك محاسن الاعمال فى الاسلام بالشرك ايمانا
وبقتل المومنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا عن ابن عباس ومجاهد و
السدى وقيل ان معناه ان يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة عن
سعيد ابن المسيب ومكحول وعمرو بن ميمون واحتجوا بالحديث الذى رواه مسلم
فى الصحيح مرفوعا الى ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوتى بالرجل يوم
القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ونحيا عنه كبارها فيقال عملت يوم
كذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال اعطوه مكان
كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لى ذنوبا ما اراها هاهنا قال ولقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وآله ضحك حتى بدت نواجذه وكان الله غفورا اى ساترا
المعاصى عباده رحيما اى منعما عليهم بالرحمة والفضل قوله عز وجل ومن تاب
وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا
باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا
للمتقين اماما اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية
وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم
فقد كذبتم فسوف يكون لزاما سبع آيات القراة قرا ابو عمرو واهل الكوفة
غير حفص وذريتنا والباقون وذرياتنا على الجمع وقرا يلقون بفتح الياء والتخفيف
اهل الكوفة غير حفص والباقون يلقون بضم الياء والتشديد وفى قراة
اهل البيت عليهم السلم واجعل لنا من المتقين اماما والقراة المشهورة واجعلنا
للمتقين اماما وفى قراة ابن عباس وابن الزبير فقد كذب الكافرون الحجة
قال ابو على الذرية يكون واحدة ويكون جمعا فمن قرا وذريتنا على الافراد فانه
اراد به الجمع فاستغنى عن جمعه لما كان جمعا ومن جمع فكما يجمع هذه الاسماء التى

فسوف

تدل على الجمع

تدل على الجمع نحو قوم واقوام وجاء فى الحديث صواحبات يوسف وحجة من قرا
ويلقونا قوله ولقاهم نضرة وسرورا وحجة من خفف قوله فسوف يلقون غيا
ومن قرا فقد كذب الكافرون ترك لفظ الحضور الى الغيبة الا ترى ان قبله قل ما يعبؤ بكم
ربى لولا دعاؤكم اللغة القرة مصدر يقال قرت عينه قرة ويكون من القر وهو
برد العين عند السرور ويكون فى استقرارها عند السرور وقوله اماما مصدر
من ام فلان فلانا اماما كما قيل قام قياما وصام صياما ولذلك وحده هاهنا ومن
جمع اماما فقال ايمة فلا فذكى فى معنى الصفة وقيل انه انما وحد لانه جاء على الجواب
كقول القائل من اميركم فيقول المجيب هولاء اميرنا قال الشاعر شعر يا عاذلاتى لا تردن
ملامتى ان العواذل لسن لى باميرى وقيل انما وحد لان المعنى واجعل كل واحد منا اماما
فاجمل والمعنى معنى التفصيل وقال الزجاج تاويله ما يعبؤ بكم اى وزن يكون لكم عنده
كما يقول يا عبات بفلان اى ما كان له عندى وزن ولا قدر واصل العبء فى اللغة
الثقل وقيل اصله من تهيئة الشى يقال عبات الطيب عباه عباء اذا هياته قال الشاعر
يصف اسد شعر كان بنحره وبمنكبه عبرات تعبأ ثم عروس اى تهيئ وعبات
الجيش بالتشديد والتخفيف اذا هياته وما اعبا به اى لا اهوبه امر المعنى ثم قال
سبحانه ومن تاب اى قلع عن معاصيه وندم عليها وعمل صالحا فانه يتوب الى الله
متابا اى يرجع اليه مرجعا عظيما جميلا وفرق على ابن عيسى بين التوبة الى الله والتوبة
من القبيح لقبحه بان التوبة الى الله يقتضى طلب ثوابه وليس كذلك التوبة من القبيح
لقبحه فعلى هذا يكون المعنى من عزم على التوبة من المعاصى فانه ينبغى ان يوجه توبته
الى الله بالقصد الى طلب جزائه ورضائه عنه فانه يرجع الى الله فيكافيه وقيل معناه
من تاب وعمل صالحا فقد انقطع الى الله فاعرفوا ذلك له فان من انقطع الى خدمة
بعض الملوك فقد احرز شرفا فكيف المنقطع الى الله سبحانه ثم عاد سبحانه الى وصف
عباده المخلصين فقال والذين لا يشهدون الزور الشرك عن الضحاك قال الزجاج
الزور فى اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله وقيل الزور اعياد اهل الذمة كالشعانين

وغيرها عن محمد بن سيرين وقيل هو الغناء عن مجاهد وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد
الله عليهما السلام وقيل يعنى شهادة الزور عن على بن ابى طالب عليه السلام فيكون المراد انهم لا يشهدون
شهادة الزور فحذف المضاف وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة
ويسخم وجهه ويطوف به فى السوق واصل الزور تحسين الباطل بما يوهم انه حق واذا مروا
باللغو مروا كراما واللغو المعاصى كلها اى مروا به مرور الكراما الذين لا يرضون باللغو
لانهم يجلون عن الدخول فيه والاختلاط باهله عن الحسن والكلبى والتقدير اذا مروا باهل
اللغو وذوى اللغو مروا مترهين انفسهم معرضين عنهم معرضين عنهم فلم يجاروهم
فيه ولم يخوضوا معهم فى ذلك هذه صفة الكرام يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه
واكرم نفسه عنه وقيل مروا وهم كرام هو ان يمروا بمن يسبهم فيصفحون عنه وبمن
يستعين بهم على حق فيعينونه وقيل هم الذين اذا دوا ذكر الفرج كنوا عنه عن ابى جعفر
ومجاهد واصل اللغو هو الفعل الذى لا فائدة فيه ولهذا يقال للكلمة التى لا تفيد لغو وليس
المراد به القبيح فان فعل الساهى والنائم لغو وليس بحسن ولا قبيح الا ما يتعدى الى
الغير على الخلاف فيه والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا اى اذا
وعظوا بالقران والادلة التى نصبها الله لهم نظروا فيها وتفكروا فى مقتضاها ولم يقعوا
عليها صما كانهم لم يسمعوها وعميانا كانهم لم يروها لكنهم سمعوها وابصروها وانتفعوا بها
وتدبروا لها قال الحسن كم من قارى تقراها فخر عليها اصم اعمى قال الاخفش لم يخروا يعنى لم
اى لم يقيموا وقال ابن قتيبه شعر لم يتغافلوا عنها كانهم صم لم يسمعوها وعمى لم يروها
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين اى اجعل ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين بان تراهم يطيعون الله تعالى عن الحسن وقيل معناه ارزقنا من ازواجنا اولادا
ومن ذرياتنا اعقابا قرة اعين اى اهل طاعة تقر بهم اعيننا فى الدنيا بالصلاح وفى
الارض بالجنة واجعلنا للمتقين اماما اى اجعلنا ممن تقتدى بنا المتقون طلبوا
الغرض بالتقوى لا بالدنيا وقيل اجعلنا نأتم بما قبلنا حتى يأتم اى تقتدى بنا من بعدنا
عن مجاهد وعلى هذا فيجوز ان يكون اللام فى اللفظ فى المتقين وفى المعنى فى نا والتقدير

واجعل

واجعل المتقين لنا اماما ومثله قول الشاعر ع كان نار عن ففر بوفع الادي والتقدير
برفع الاول ثم اخبر سبحانه عن جميع هذه الاوصاف فقال اولئك يجزون الغرفة
اى يثابون الدرجة الرفيعة فى الجنة بما صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وعلى
مشاق الدنيا وصعوبة التكليف وقيل هى غرف الزبرجد والدر والياقوت عن عطاء
والغرفة فى الاصل بناء فوق بناء وقيل الغرفة اسم لاعلى منازل الجنة وافضلها كما انها
فى الدنيا اعلى المساكن ويلقون فيها تحية وسلاما اى تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية
وهى كل ما يسر به الانسان وبالسلام بشارة لهم بعظيم الثواب وقيل التحية الملك العظيم
والسلام جمع انواع السلامة وقيل التحية النظام الدايم وقال الكلبى يحيى
بعضهم بعضا بالسلام ويرسل اليهم الرب بالسلام خالدين اى مقيمين فيها
من غير موت ولا زوال حسنت الغرفة مستقرا ومقاما اى موضع قرار وموضع اقامة
قل يا محمد ما يعبؤ بكم ربى اى ما يصنع بكم ربى عن مجاهد وابن زيد وقيل ما يبالى بكم
ربى عن ابى عمرو ابن العلاء وما يعبؤا به فوجوده وعدمه سواء لولا دعاؤكم اى لولا
دعاؤه اياكم الى الدين والاسلام عن ابن عباس فيكون المصدر مضافا الى المفعول
والمعنى قل للمشركين ما يفعل بكم ربى اى يقع بكم له فيكم واى ضرر يعود اليه من عدمكم
واى قدر لكم عند الله حتى يدعوكم الى الايمان لكن الواجب فى الحكمة دعاؤكم الى الدين
وارسال الرسول وقد فعل وقيل معناه لولا عبادتكم له وايمانكم وتوحيدكم
اياه عن الكلبى ومقاتل والزجاج فيكون الدعاء بمعنى العبادة وفى هذا دلالة على ان
من لا يعبد الله ولا يطيعه فلا وزن له عند الله وقيل معناه ما يصنع بعذابكم
لولا دعاؤكم بعضكم بعضا الى الشرك والشر عن البلخى ودليله ما يفعل الله
بعذابكم الاية وقيل معناه لولا دعاؤكم له اذا مسكم ضر واصابكم سوء رغبة اليه
وخضوعا له وروى العياشى باسناده عن يزيد ابن معاويه العجلى قال قلت لابى جعفر
كثرة القراءة افضل او كثرة الدعاء قال كثرة الدعاء افضل وقرأ هذه الاية فقد كذبتم الخطاب
لاهل مكه اى ان الله دعاكم بالرسول الى توحيده وعبادته فقد كذبتم يا معشر الكفار

للرسول فكيف يكون لزاما اى فسوف يكون عقابه لتكذيبكم اياه لازما لكم قال صحر الغى
شعر
فاما ينجوا من حتف ارضى فقد لقيا حتوفهما لزاما اى انه واقع لا محالة قال
الزجاج تاويله فسوف يكون تكذيبكم لزاما يلزمكم فلا يعطون التوبة وتلزمكم به العقوبة
وقال ابو عبيدة لزاما فيصلا وقيل فى تفسير اللزام انه القتل يوم بدر عن ابن مسعود
وابى بن كعب وقيل هو عذاب الاخرة وقال ابو ذويب فى اللزام
شعر
فاجاه بغادية لزام كما يتفجر
الحوض اللقيف فلزام معناه كبيرة تلزم بعضها بعضا ولقيف متساقط متهدم وبالله التوفيق
سورة الشعرا
مكية كلها غير قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الايات الى اخر السورة
فانها نزلت بالمدينه
عدد آيها
مايتان وسبع وعشرون آيه كوفى وشامى والمدنى الاول
وست فى الباقين اختلافها اربع آيات طسم كوفى فلسوف تعلمون غير الكوفى ما كنتم تعبدون
غير البصرى وما تنزلت به الشياطين عراقى شامى والمدنى الاول
فضلها
ابى بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق
بمحمد صلى الله عليه وآله وعليهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله ص اعطيت السورة
التى يذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى
واعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التى يذكر فيها البقرة من تحت العرش واعطيت
المفصل نافلة وروى ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلام قال من قرأ الطواسين الثلاث
فى ليلة الجمعة كان من اولياء الله فى جواره وكنفه ولم يصبه فى الدنيا بوس ابدا
واعطى فى الاخرة من الاجر حتى يرضى وفوق رضاه وزوجه الله ما يتجور من الحور
العين واسكنه الله فى جنه وسط الجنه مع النبيين والمرسلين والوصيين
الراشدين
تفسيرها
ذكر الله سبحانه فى مختتم سورة الفرقان تكذيبهم بالكتاب وذكر
فى مفتتح هذه السورة وصف الكتاب فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

محدث

مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ تسع آيات القراة قرأ اهل الكوفة غير الاعشى
والبرجمى وحفص طسم ويس وحم بالامالة والباقون بالفتح والتفخيم وابن كثير اشد فتحا
وتفخيما وكذلك عاصم ثم يعقوب والاخرون لا يفتحون فتحا شديدا وقرأ ابو جعفر وحمزة
باظهار النون من سين عند الميم والاخرون يدغمون الحجة قال ابو على تبيين النون
هو الوجه لان حروف الهجاء فى تقدير الانفصال والانقطاع مما بعدها فاذا كان كذلك
وجب تبيين النون لانها انما تخفى اذا اتصلت بحرف من حروف الفم فاذا لم يتصل بها لم يكن
شى يوجب اخفائها ووجه اخفائها مع هذه الحروف ان همزة الوصل قد وصلت ولم
يقطع وهمزة الوصل انما تذهب فى الدرج فلما سقطت همزة الوصل وهى لا تسقط الا فى
الدرج مع هذه الحروف فى الف لام ميم الله كذلك لا يبين النون ويقدر فيها الاتصال
بما قبلها ولا يقدر الانفصال الاعراب ان لا يكونوا فى محل نصب بانه مفعول له والتقدير
لان يكونوا بان لا يكونوا ظلت اعناقهم فى موضع جزم عطفا على تنزل من ذكر فى محل
رفع ومن مزيدة كم فى موضع نصب بانه مفعول انبتنا وانبتنا فى موضع نصب على الحال
وقد مضمرة والتقدير منبتنا المعنى طسم بينا معانى هذه الحروف المقطعة
فى اول سورة البقرة ولا معنى لاعادته وقال القتادة والضحاك ان طسم وطس
من اسماء القرآن وقال ابن عباس فى رواية الوالبى طسم قسم وهو من اسماء
الله عز وجل وقال القرظى اقسم الله بطوره وسينائه وملكه وروى عن ابن الحنفيه
عن على عن النبى عليهما السلام لما نزلت طسم قال الطاء طور سيناء والسين الاسكندرية
والميم مكة وقال الطاء الشجرة والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى صلى الله
عليه وآله تلك آيات الكتاب المبين اشارة بتلك الى ما ليس بحاضر لكنه متوقع فهو
كالحاضر لحضور المعنى للنفس والتقدير تلك الايات التى وعدتم بها هى آيات
الكتاب اى القرآن والمبين الذى يبين الحق من الباطل لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا

مؤمنين اى لعلك مهلك نفسك وقاتل نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وبان يقيموا
على الكفر انما قال ذلك سبحانه تسلية لنبيه وتخفيفا عنه بعض ما كان يصيبه من الاغتمام
لذلك ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية اى دلالة وعلامة تلجيهم وتضطرهم الى الايمان
فظلت اعناقهم لها لتلك الاية خاضعين منقادين وقيل في ذلك وجوه احدها ان المراد
فظل اصحاب الاعناق لها خاضعين فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لدلالة
الكلام عليه وثانيها انه جعل الفعل اولا للاعناق ثم جعل خاضعين للرجال لان الرجال
اذا خضعت فاعناقهم خاضعين وثالثها ان الخضوع مردود الى المضمر الذى اضيف
الاعناق اليه عن الاخفش والمبرد وابو عبيدة وانشدوا قول جرير شعر ارى مر السنين
اخذن منى كما اخذ السرار من الهلال ورابعها ان المراد بالاعناق الرؤساء
والجماعات يقال جاءنى عنق من الناس اى جماعة وخامسها انه لما وصف الاعناق
بصفة ما يعقل نسب اليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر شعر تمززتها والديك
يدعو صاحبه اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا وروى نادى صباحه وذكر ابو حمزة
الثمالى فى هذه الاية انها صوت يسمع من السماء فى النصف من شهر رمضان ويخرج العواتق
من البيوت وقال ابن عباس نزلت فينا وفى بنى امية قال ستكون لنا عليهم الدولة
فتخضع لنا اعناقهم بعد صعوبتها وبلين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انه لا يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
اى جديد يعنى القران كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون قال ان هؤلاء
لا ذكر الا اعرضوا عن الذكر ولم يتدبروا فيه فقد كذبوا فسيأتيهم فيما بعد يعنى يوم
القيمة انباء ما كانوا به يستهزؤن وهى مفسرة فى سورة الانعام اولم يروا الى الارض
كم انبتنا فيها من كل زوج معناه من كل نوع معه قرين كريم اى حسن وقيل نافع
محمود مما يحتاج اليه وقيل من كل صنف يكرم على اهله وقيل كريم مما يأكل الناس والانعام
عن مجاهد وقال الشعبى الناس من نبات الارض كما قال سبحانه والله انبتكم من الارض
نباتا فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ان فى ذلك لاية اى دلالة على

وصدا يتنا

وحدانيتنا وكمال قدرتنا وما كان اكثرهم مؤمنين لا يصدقون بذلك ولا يعترفون
به عنادا وتقليدا لاسلافهم وهربا من مشقة التكليف قال سيبويه كان هنا مزيدة و
مجازاة وان ربك يا محمد لهو العزيز اى القادر الذى لا يعجزه الغالب الذى لا يغلب الرحيم
اى المنعم على عباده بانواع النعم قوله عز وجل وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي
وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا
فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ
أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ
فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ
قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ احدى وعشرون آية القراءة قرا يعقوب ويضيق
ولا ينطلق بالنصب فيهما والباقون بالرفع وفى الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم
بن يسار وحماد بن سلمة الا تتقون بالتاء وقراءة الشعبى فعلت وفعلتك الجلسة
من قرأ ويضيق وينطلق بالرفع عطف على اخاف ومن قرأ بالنصب عطف على يكذبون
اى اخاف ان يكذبون وان يضيق صدرى وان لا ينطلق لسانى ومن قرأ الا تتقون
بالتاء فهو على اضمار القول اى فقل لهم الا تتقون ومن قرأ فعلتك بكسر الفاء فهو مثل
الركبة والجلسة تكون كناية عن الحال التى يكون عليها وقد يكون المصدر على هذه
الزنة تقول نشدته بالله نشدة الاعراب قال الزجاج موضع اذ نصب على معنى واتل
عليهم هذه القصة فيما تتلو والدليل عليه قوله عطفا على هذه القصة واتل عليهم نبأ

على ابرهيم ان ايت القوم الظالمين موضعه نصب على انه مفعول نادى اى ناداه بهذه
الكلمة رسول رب العالمين واحد فى معنى الجمع كقوله فانهم عدو لى ويجوز ان يكون
كل واحد منهما رسولا ان عبدت بنى اسرائيل فى موضع رفع لانه بدل من نعمة تقديره
وتلك نعمة تعبيدك بنى اسرائيل وتركك اياى غير عبيد ويجوز ان يكون فى موضع نصب بانه
مفعول له اى انما صارت نعمة لان عبدت بنى اسرائيل والمعنى لو لم تفعل ما فعلت لكفلنى
اهلى ولم يلقونى فى اليم فانما صارت نعمة لما فعلت من البلاء فماذا تامرون يجوز ان يكون
فى موضع رفع بالابتداء وذا بمعنى الذى على تقدير فاى شئ الذى تامرونه ويجوز
ان يكون فى موضع نصب بانه مفعول تامرون ويكون مع ذا بمنزلة اسم واحد وتقديره
اى شئ تامرون المعنى ثم ذكر سبحانه اقاصيص رسله تسلية للرسول صلى الله عليه وآله
وتحريضا له على الصبر بغية نزول النصر فابتدا بقصة موسى وفرعون فقال واذ نادى
ربك واذكر يا محمد واتل عليهم الوقت الذى نادى فيه ربك الذى خلقك موسى ان ايت
القوم الظالمين هذا امر بعد النداء وتقديره قال له يا موسى ايت القوم الذين ظلموا
انفسهم بارتكاب المعاصى وظلموا بنى اسرائيل بان ساموهم سوء العذاب ثم بين القوم
الموصوفين بهذه الصفة فقال قوم فرعون وهو عطف بيان الا يتقون انما قاله بالياء
لانه على الحكاية ومعناه اما ان لهم ان يتقوا ويصرفوا عن انفسهم عقوبة الله بطاعته
والتقوى مجانبة القبائح بفعل المحاسن واصله صرف الامر بحاجز بين الصارف وبينه
قال موسى رب انى اخاف ان يكذبون بالرسالة ولا يقبلوا منى والخوف انزعاج النفس
بتوقع الضرر ونقيضه الامن وهو سكون النفس لخلوص النفع ويضيق صدرى
بتكذيبهم اياى ولا ينطلق لسانى اى لا ينبعث بالكلام للعقدة التى كانت فيه وقد حسن
بيانها وقد يتعذر ذلك لآفة فى اللسان وقد يتعذر لضيق الصدر وعزوب المعانى
التى تطلب للكلام فارسل الى هرون اخى يعنى ليعاوننى كما يقال اذا نزلت بنا نازلة ارسلنا
اليك اى لتعيننا وانما طلب المعاونة حرصا على القيام بالطاعة قال الجبائى لم يسئل موسى
ذلك الا بعد ان اذن الله فى ذلك لان الانبياء لا يسالون الله الا ما يؤذن لهم فى مسئلته

ولهم على ذنب

ولهم على ذنب يعنى قتل القبطى الذى قتله موسى اى لهم على دعوى ذنب فاخاف ان يقتلون
خاف ان يقتلوه بتلك النفس لا لابلاغ الرسالة فانه علم ان الله تعالى اذا بعث رسولا تكفل بمعونته
على تبليغ رسالاته كلا وهو زجر اى لا يكون ذلك ولن يقتلوك به فانى لا اسلطهم عليك فاذهبا
انت واخوك وحذف ذكر هرون واجابه موسى الى ما اقترحه من ارساله معه الى فرعون
لدلالة قوله فاذهبا اليه باياتنا اى بدلالاتنا ومعجزاتنا التى خصصناكما بها انا معكم مستمعون
اى نحن نحفظكم نحن سامعون ما يجرى بينكم ومستمع هنا فى موضع سامع لان الاستماع
طلب السمع بالاصغاء اليه وذلك لا يجوز عليه سبحانه وانما اتى بهذه اللفظة لانه ابلغ فى ا
لصفة واوكد وهو كقوله اننى معكما اسمع وارى وانما قال انا معكم لانه اجراهما مجرى الجماعة
فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين لان الرسول قد يكون فى معنى الجمع قال الهذلى
شعر الكنى اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحى الخبر اى وخير الرسل وقيل انه بمعنى
الرسالة كما فى قوله شعر لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
اى برسالة وقال العباس بن مرداس شعر الا من مبلغ عنى خفافا رسولا بيت اهلك
منتهاها فانث الرسول تانيث الرسالة وقد يقع المصدر موضع الصفة موقع
المصدر فيكون مجازه اذا ادوا رسالة رب العالمين ان ارسل معنا بنى اسرائيل
امرك الله بان ترسلهم وتطلقهم من الاستعباد وخل عنهم وفى الكلام حذف وتقديره
ان ايتا فرعون وبلغا الرسالة على ما امرهما الله تعالى به قال فرعون لموسى الم نربك
فينا وليدا والتربية تنشئة الشئ حالا بعد حال معناه الم تكن فينا صبيا صغيرا
فربيناك ولبثت فينا من عمرك سنين اى اقمت سنين كثيرة عندنا وهى ثمانى عشرة
سنة عن ابن عباس وقيل ثلثين سنة عن مقاتل وقيل اربعين سنة عن الكلبى لما
قال ذلك امتنانا عليه باحسانه اليه وقيل انه اظهر لومه حيث ذكر صنايعه وفعلت
فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى وانت من الكافرين لنعمتنا وحق تربيتنا عن ابن عباس
وعطا ومقاتل وقيل معناه وانت من الكافرين بالهك اذ كنت معنا على ديننا الذى تعيبه
وتقول انه كفر عن الحسن والسدى قال موسى فعلتها اذا وانا من الضالين اى فعلت هذه

الفعلة وانا من الجاهلين لم اعلم بانها تبلغ القتل وقيل معناه من الناسين عن ابن زيد وقيل من الضالين عن العلم بان ذلك يودى الى قتله عن الجبائى وقيل من الضالين عن طريق الصواب لانى ما تعمدته وانما وقع منى خطاء كمن يرمى طايرا فيصيب انسانا وقيل من الضالين عن النبوة اى لم يوح الى تحريم قتله ففررت منكم لما خفتكم اى ذهبت من بينكم حذرا على نفسى الى مدين لما خفتكم ان تقتلونى بمن قتلته فوهب لى ربى حكما اى نبوة وقيل ان الحكم العلم بما تدعوا اليه الحكمة وهو الذى وهب الله تعالى لموسى من التورية والعلم بالحلال والحرام وساير الاحكام وجعلنى من المرسلين اى نبيا من جملة الانبياء وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل يقال عبده واعبده اذا اتخذه عبدا وقيل فى معناه اقوال احدها ان فيه اعترافا بان تربيته له كانت نعمة على موسى وانكار النعمة فى ترك استعباده ويكون الف التوبيخ فيه مضمرا فيه فكانه يقول او تلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل ولم تعبدنى وثانيها انه انكار للمنة اصلا ومعناه اتمن على بان ربيتنى مع استعبادك قومى هذه ليست بنعمة يريد ان اتخاذك بنى اسرائيل الذين هم قومى عبيدا احبط نعمتك التى تمن بها على وثالثها ان معناه انك لو كنت لا تستعبد بنى اسرائيل ولا تقتل ابناءهم لكانت امى مستغنية عن قذفى فى اليم فكانك تمن على بما كان بلاؤك سببا له عن الزجاج وزاد الازهرى لهذا بيانا فقال ان فرعون لما قال لموسى الم نربك فينا وليدا فاعتد عليه بانه رباه وليدا منذ ولد الى ان كبر فكان من جواب موسى له تلك نعمة لما قدمت عليه مما حظره الله عليك ورابعها ان فيه بيانا انه ليس لفرعون عليه نعمة لان الذى تولى تربيته امه وغيرها من بنى اسرائيل بامر فرعون لما استعبدهم فيكون معناه انك تمن على بانه استعبدت بنى اسرائيل حتى ربونى وحفظونى عن الجبائى قال فرعون وما رب العالمين اى جنس رب العالمين الذى تدعونى الى عبادته قال موسى فى جوابه رب السموات والارض اى مبدعهما ومنشيهما وخالقهما وما بينهما من الحيوان والجماد والنبات ان كنتم موقنين بان الرب من كان بهذه الصفة او موقنين بان هذه الاشيا

محدثة ثم وليت من فعلكم والمحدث لابد له من محدث ولم يشتغل موسى عم بجواب ما ساله فرعون لان الله تعالى ليس بذى جنس بل اشتغل ببيان ربوبيته وصفاته وبيان الحجة الدالة عليه من خلقه الذى يعجز المخلوقون عن مثله قال فرعون لمن حوله الا تستمعون يريد الا تستمعون مقالة موسى ع عن ابن عباس وقيل معناه الا تصغون وتفهمون ما يقوله متعجبا من قوله وانما عجب فرعون من حوله من جوابه لان طلبته اى اجناس الاجسام هو جهلا منه بالتوحيد لانه لو كان كاحد اجناس الاجسام لكان محدثا كساير الاجسام التى هى من جنسه لحلول الحوادث فيه ودله موسى على الله تعالى بدلالة افعاله التى بها يجب ان يستدل عليه فقال فرعون انظروا الى هذا اساله عن شىء فيجيب عن غيره فاتى موسى ع على عادته فى الرفق وتاكيد الحجة وتكريرها قال ربكم ورب ابائكم الاولين وانما ذكره تاييدا لما قبله وتوكيدا له فان فرعون كان يدعى الربوبية على اهل عصره دون من قبله فبين ان المستحق للربوبية هو رب اهل كل عصر ومالك تدبيرهم فعند ذلك قال فرعون اذ لم يقدر على جواب كلام موسى عليهم ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون لانى اساله عن ماهية رب العالمين فيجيبنى عن غير ذلك كما يفعل المجنون فعند ذلك لم يشتغل موسى بالجواب عما نسبه اليه من الجنون ولكن اشتغل بتاكيد الحجة والزيادة فى الابانة بان قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ذلك وتدبرون وقيل ان كنتم تعلمون انه انما يستحق العبادة من كان بهذه الصفة فلما طالب على فرعون الاحتجاج من موسى قال متهددا له لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين اى المحبوسين قالوا وكان اذا سجن احدا لم يخرجه حتى يموت فلما توعده بالسجن قال اولو جئتك بامر ظاهر تعرف به صدقى وكذلك وحجة ظاهرة تدل على نبوتى قوله عز وجل قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ

قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة
لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا
هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي
تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون
قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون
عشرون آية المعنى قال فرعون لموسى فأت به ان كنت من الصادقين اى هات ما ادعيته
من المعجزات ان كنت صادقا فالقى حينئذ موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اى حية عظيمة
وقيل الثعبان الذكر من الحيات مبين ثعبان ولا شبه فيه ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
اى اخرج يده من كمه او جيبه على ما روى فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا كالشمس في اشراقها
للناظرين اليها قال فرعون للملأ الاشراف من قومه حوله ان هذا يعني موسى لساحر
عليم بالسحر والحيل يريد ان يخرجكم من ارضكم وديارکم ويغلب عليها بسحره فماذا تأمرون
في بابه وانما شاور قومه في ذلك مع انه كان يقول لهم انه اله لانه يجوز ان يكون ذهب عليه
وعلى قومه ان الاله لا يجوز ان يشاور غيره كما ذهب عليهم ان الاله لا يجوز ان يكون جسما
محتاجا فاعتقد الهيته مع ظهور حاجته قالوا ارجه واخاه قد مر تفسيره واختلاف
القراء فيه في سورة الاعراف وابعث في المدائن حاشرين يحشرون الناس من جميع البلد
ان يأتوك بكل سحار عليم وفي الكلام حذف تقديره انه انفذ الحاشرين في البلدان
فحشروهم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اى لوقت يوم بعينه اختاروه وعينوه وهو
يوم عيدهم يوم الزينة وقيل للناس اى لاهل مصر هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة
ان كانوا هم الغالبين لموسى واخيه فلما جاء السحرة وحضروا بين يدى فرعون قالوا لفرعون
ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين اى هل لنا اجرة وجزاء على غلبنا اياه ان نحن غلبناه

قال فرعون نعم لكم على ذلك الاجر الجزيل وانكم مع ما تعطون من الجزاء والاجر اذا لمن المقربين
والمقرب المدني من مجلس الكرامة قال لهم اى للسحرة موسى القوا ما انتم ملقون هذا بصورة
الامر والمراد به التحدي فالقوا حبالهم وعصيهم اى ما رحوا ما كان معهم من الحبال والعصي
وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والعزة القوة التي يمتنع بها من يحاول ضيم لعلو
منزلتها وهذا القول قسم منهم وانما كان غير ذلك مبرور فالقى عند ذلك موسى عصاه
فاذا هي تلقف ما يأفكون اى ان العصا تتناول جميع ما موهوا به في اوجز مدة من الزمان
فالقي السحرة ساجدين لما بهرهم ما اظهر موسى من قلب العصا حية وتلقفها جميع ما اتعبوا
نفوسهم فيه وعلموا ان ذلك من عند الله اذ احد من البشر لا يقدر عليه قالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهرون فعند ذلك قال فرعون مهددا لهم امنتم اى اصدقتم له فيما
يدعو اليه قبل ان اذن لكم في تصديقه انه لكبيركم اى استاذكم وعالمكم الذي علمكم السحر
فلسوف تعلمون فيما بعد ما افعله بكم عقوبة على تصديقكم اياه ثم فسر ذلك بقوله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف يعني قطع اليد من جانب والرجل من الجانب الاخر كقطع اليد اليمنى
والرجل اليسرى ولاصلبنكم اجمعين مع ذلك على الجذوع ولا اترك احدا منكم لا تناله
عقوبتي قالوا في جوابه عن ذلك لا ضير اى لا ضرر علينا فيما تفعله يقال ضاره يضيره
ضيرا او ضره يضره ضررا انا الى ربنا منقلبون اى الى ثواب ربنا راجعون فيجازينا
على ايماننا وصبرنا بالنعيم الدائم الذي لا ينقص ولا يضرنا قطعك وصلبك فانه
الم ساعة عن قريب ينقضي وقال الحسن لم يصل فرعون الى قتل واحد منهم ولا قطعه وقيل
ان اول من قطع الايدي والارجل فرعون قوله عز وجل انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا ان كنا اول المؤمنين واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل
فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون
وانا لجميع حاذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك
واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين فلما تراءا الجمعان قال اصحاب موسى انا
لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر

فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى ومن معه
اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
هو العزيز الرحيم ثماني عشرة آية القراءة قرأ ابن عامر واهل الكوفة حاذرون بالف
والباقون بغير الالف وقرأ فاتبعوهم مشرقين موصولة الالف مشددة التاء زيد
عن يعقوب وقرأ الباقون فاتبعوهم بقطع الالف وسكون التاء وقرأ حمزة وبصير
عن الكسائي وخلف تراءى الجمعان بكسر الراء والباقون بفتحها وفي الشواذ قراءة ابان بن تغلب
ان كنا اول المؤمنين بكسر الهمزة من ان قراءة ابن عامر حادرون بالدال غير المعجمة وقراءة
الاعرج وعبيد بن عمير انا لمدركون بتشديد الدال وقراءة عبد الله بن الحارث وازلفنا
بالقاف الحجة قال ابو علي يقال حذف حذر وحذر وحاذر قال ابن احمر شعر هل تسأل يومي
الى غيره اني حوالي واني حذر حوالي اي ذو حيلة وقال العباس بن مرداس شعر واني حاذر انمي سلاحي
الى وصال ذيال منيع ووجه امالة الحركة التي على الراء من تراءى ان قياسه ان يكون لانه
اذا كان امالتها لامالة فتحة الهمزة وما يوجب امالة الفتحة فقد سقط وهو الالف المنقلبة
عن الياء التي سقطت لالتقاء الساكنين فاذا سقطت لالتقاء الساكنين لم يجز امالة
فتحة الهمزة واذا لم يجز امالة فتحة الراء في تراءى جائزة في الوصل مع سقوط الالف من تفاعل
لالتقاء الساكنين وما سقط لالتقاء الساكنين فهو عندهم في حكم الثابت يدل على ذلك قولهم
ع ولا ذاكر الله الا قليلا فنصب مع سقوط الالف قال ابن جني قوله ان كنا اول المؤمنين
من الكلام الذي يعتاده المستظهر المدل بما عنده يقول الرجل لصاحبه انا احفظه عليك
ان كنت وافيا ولن نصنع لك جميل عندي ان كنت شاكرا اي فكما تعلم ان هذا معروف من قال
فيف بوفائي وشكري ومثله بين الكتاب شعر اتغضب ان اذنا قتيبة حزتا جهارا ولم تغضب لقتل
ابن خازم فشرط بذلك وقد كان وقع قبل ذلك وقد جاء به ابو تمام شعر ومكارم عتق البجاد
بليدة ان كان هضب عماية بين تليدا اي كما كان هضب عماية بين تليدا فكذلك هذه المكارم واما
قوله حادرون فالحادر القوي الشديد ومنه الحادرة الشاعر وحدر الرجل اذا قوي جسمه وامتلا
لحما وشحما قال الاعشى شعر وعسيرا دما حادرة العين جنوف عيرانة شملال ويقال ادركت الشيء وادركته

بعني

بعني من قرأ وازلفنا بالفاء فالاخرون موسى واصحابه ومن قرأ بالقاف فالاخرون فرعون
واصحابه اي اهلكناهم اللغة سرى واسرى لغتان فرق وقد فرق بينهما والشرذمة القطعة
الباقية عطف كثيرة وشرذمة وكل شيء بقيته القليل قال الراجز شعر جاء الشتاء وقميصي اخلاق
شراذم يضحك منه التواق والفرق بين الحذر والحاذر ان الحاذر الفاعل للحذر والحذر
المطبوع على الحذر والكنوز والاموال المخباة في مواضع غامضة من الارض بعضها على بعض
ومنه كنار التمر وغيره مما يجعل بعضه على بعض والمقام الموضع الذي يقام والكريم الحقيق
باعطاء الخير الجزيل وهي صفة تعظيم في المدح واتبع فلان فلانا وتبعه اذا اقتفى اثره والاشراق
الدخول في وقت شروق الشمس يقال اشرقت الشمس اي طلعت واشرقت اذا اضاءت وصفت
واشرقنا دخلنا في الشروق وتراءى الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل منهما صاحبه ويقال
تراءى ناراهما اذا تقابلا بلا ما وانما جاز تثنية الجمع لانه يقع عليه صفة التوحيد فيقول هذا جمع
واحد كما يقال جملة واحدة والادراك اللحاق يقال ادرك قتادة الحسن اي لحقه وادرك
الزرع اي الحق بلوغه وادرك الغلام بلغ وادركت القدر نضجت والطود الجبل العظيم قال الاسود
ابن يعفر المرادي شعر حلوا بانقرة يجيش عليهم ماء الفرات يجيء من اطواد والازلاف
الادناء والتقريب منه المزدلفة ابو عبيدة ازلفنا جمعنا وليلة المزدلفة ليلة جمع قال
الشاعر شعر وكل يوم مضى او ليلة سلفت فيها النفوس الى الاجابة تزدلف والاخر
بفتح الخاء الثاني من قسمي احد يقال انجى الله احدهما واهلك الاخر وبكسر الخاء وهو الثاني
من قسمي الاول يقال نجا الاول وهلك الاخر المعنى ثم اخبر سبحانه عن السحرة انهم قالوا
لفرعون حين امنوا انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي ما فعلناه من السحر وغيره
ان كنا اول المؤمنين اي لان كنا اول من صدق بموسى في رسوله وبما دعا اليه من التوحيد
ونفي التشبيه وقيل انهم اول من آمن عند تلك الاية واول من امن من آل فرعون لان
بني اسرائيل كانوا امنوا به واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي سبق تفسيره في سورة طه
انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده ليحولوا بينكم وبين الخروج من ارض مصر فارسل
فرعون في المدائن حاشرين يحشرون اليه الناس ويجمعون له الجيش ليقبضوا على موسى وقومه

لما ساروا بامر الله عز وجل ثم حضروا عنده قال لهم ان هؤلاء يعنى اصحاب موسى لشرذمة
قليلون اى عصابة من الناس قليلة قال الفراء يقال عصبة قليلة وقليلون وكثيرة وكثيرون
قال المفسرون وكانت الشرذمة الذين قتلهم فرعون ستماية الف ولا يحصى عدد اصحاب فرعون
وانهم لنا لغائظون يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه اى انهم غافلون غائظونا
لمخالفتهم ايانا فى الدين ثم لخروجهم من ارضنا على كره منا وذهابهم بالحلى التى استعاروها
وخلاصهم من استعبادنا وانا لجميع حذرون اى خائفون شرهم وحاذرون اى مودون
مقوون اى ذوو اداة وقوة مستعدون شاكون فى السلاح وقال الزجاج الحاذر
المستعد والحذر المتيقظ ثم اخبر سبحانه عن كيفية هلاكهم بقوله فاخرجناهم يعنى
آل فرعون من جنات اى بساتين وعيون جارية فيها وكنوز اى اموال المخباة وخزاين
ودفاين ومقام كريم اى منابر يخطب عليها الخطباء عن ابن عباس وقيل هو مجالس
الامراء والرؤساء التى كان يحتوبها الاتباع فيأتمرون بامرهم وقيل المنازل الحسان
التى كانوا مقيمين فيها فى كرامة وقيل يريد مرابط الخيل لتفرد الرؤساء بارتباطها
عدة وزينة فصار مقامها اكرم مقام منزول كذلك اى كما وصفنا لك اخبارهم
واورثناها بنى اسرائيل وذلك ان الله سبحانه رد بنى اسرائيل الى مصر بعدما اغرق
فرعون وقومه واعطاهم جميع ما كان لقوم فرعون من الاموال والعقار والمساكن
والديار فاتبعوهم مشرقين يعنى قوم فرعون ادركوا موسى واصحابه حين شرقت
الشمس وظهر ضوؤها وذلك قوله فلما تراءى الجمعان اى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه
قال اصحاب موسى انا لمدركون اى سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم قال موسى
ثقة بنصر الله تعالى كلا لن يدركونا ولا يكون ما يظنون فانتهوا عن هذا القول ان معى
ربى بنصره سيهدين الى سيرشدنى الى طريق النجاة وقيل سيكفينى عن السدى فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر وهو نهر النيل ما بين ايله ومصر وقيل هو بحر قلزم
ما بين اليمن ومكة الى مصر فيحتمل فاى فاضرب فانفلق اى فانشق البحر وظهر منه اثنا عشر
طريقا وقام الماء عن يمين الطريق ويساره كالجبل العظيم وذلك فكان كل فرق كالطود

العظيم اى فكان كل قطعة من البحر كالجبل العظيم والفرق الاسم لما انفرق والفرق المصدر
وازلفنا ثم الآخرين اى قربنا الى البحر فرعون وقومه حتى اغرقناهم عن ابن عباس وقتاده
وقيل معناه جمعنا فى البحر فرعون وقومه عن ابى عبيده وقيل معناه قربناهم الى المنية
لمجى وقت هلاكهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين يعنى بنى اسرائيل انجينا جميعهم من
الغرق والهلاك ثم اغرقنا الآخرين فرعون وجنوده ان فى ذلك لآية معناه ان فى فرق
البحر وانجاء موسى وقومه واغراق فرعون وقومه لدلالة واضحة على توحيد الله وصفاته
التى لا يشاركه فيها غيره وما كان اكثرهم مؤمنين معناه انهم مع هذا السلطان الظاهر
والبرهان الباهر والمعجز القاهر ما آمن اكثرهم فلا تيأس يا محمد من قعود قومك عن الحق
الذى تأتيهم به وتدلهم عليه فقد جروا على عادة اسلافهم فى انكار الحق وقبول الباطل ان ربك
لهو العزيز فى سلطانه الرحيم لخلقه وقيل العزيز فى انتقامه من اعدائه الرحيم فى انجائه
ذلك من الهلاك لاوليائه وقيل انه لم يؤمن من اهل مصر غير آسية امرأة فرعون
ومؤمن آل فرعون ومريم التى دلت على عظام يوسف ع قوله عز وجل واتل عليهم
نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل
لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل
وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم
وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو
يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى
يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى
حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى
من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم
يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت
الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون
من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون

وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب
العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة
فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم ست وثلثون آية اللغة الاقدم الموجود قبل غيره ومثله الاقدم والاسبق والقدم
وجود الشئ الى اول والتبريز الاظهار يقال برزه وبرزه فبرز يبرز بروزا والغاوى
بالعامل بما يوجب الخيبة من الثواب كبكبوا اصله كبوا الا انه ضوعف بتكرير الفاء اى دهوا
وطرح فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة والحميم القريب الذي يوده ويود له الاعراب
هل يسمعونكم سمعت اصله وان يتعدى الى ما كان صوتا مسموعا يقول سمعت كلامك
فان وقع على جوهر تعدى الى مفعولين ولا يكون الثاني منهما الا صوتا كقولك سمعت زيدا يقرأ
ولا يجوز سمعت زيدا يقوم لان القيام لا يكون مسموعا وقوله هل يسمعونكم اذ تدعون على
حذف المضاف والتقدير هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف ودلت عليه قوله هل يسمعونكم
اذ يدعون الا رب العالمين استثناء منقطع ويجوز ان يكون غير منقطع على تقدير فان جميع
من عبدتم عدو لي الا رب العالمين وقد عبدوا مع الله تعالى الاصنام الا من اتى الله الموصول
والصلة في محل النصب على البدل من مفعول ينفع المحذوف وتقديره يوم لا ينفع احدا مال
ولا بنون الا من اتى الله ويجوز ايضا ان يكون منصوبا على الاستثناء هم فيها مبتدأ وخبر
ويختصمون في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون يختصمون خبر المبتدأ وفيها
يتعلق به فيكون منصوبا باضمار ان في جواب التمني المعنى ثم قال سبحانه واتل عليهم يا محمد نبأ
ابرهيم اى خبر ابرهيم فانه شجرة الانبياء وبه افتخار العرب وفيه تسلية لك وعظة لقومك
اذ قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اى فنظل لها مصلين عن ابن عباس وقيل معناه
فنقيم على عبادتها مداومين قال ابرهيم هل يسمعونكم اى هل يسمعون دعاءكم اذ يدعون
ومعناه هل يستجيبون دعاءكم اذا دعوتموهم او ينفعونكم اذا عبدتموهم او يضرون
اذا تركتم عبادتها وفي هذا بيان ان الدين انما يثبت بالحجة ولولا ذلك لم يحاجهم ابرهيم
هذا الحجاج قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وهذا اخبار عن تقليدهم اياهم في عبادة

الاصنام

الاصنام قال ابرهيم منكرا عليهم التقليد افرايتم ما كنتم تعبدون اى الذى كنتم تعبدون
من الاصنام انتم الان واباؤكم الاقدمون اى المتقدمون والذى كان اباؤكم يعبدونه
وانما دخل لفظه كان لانه جمع بين الحال والماضي فانهم عدو لي معناه ان عبادة الاصنام مع
الاصنام عدو لي الا انه غلب ما يعقل وقيل انه يعني الاصنام وانما قال فانهم فجمعها جمع العقلاء
لما وصفها بالعداوة التي لا يكون الا من العقلاء وجعل الاصنام كالعدو في الضرر من جهة
عبادتها ويجوز ان يكون قال فانهم لانه كان منهم من يعبد الله مع عبادته الاصنام
فغلب ما يعقل ولذلك استثنى فقال الا رب العالمين فقال الذى خلقني واخرجني من العدم
الى الوجود فهو يهدين اى يرشدني الى ما فيه نجاتي وقيل الذى خلقني لطاعته فهو يهديني
الى جنته والذى هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين معناه انه يرزقني ما اتغذى
به ويفعل ما يصح بدني والذى يميتني ثم يحيين اى يميتني بعد ان كنت حيا ويحييني يوم
القيمة بعد ان اكون ميتا والذى اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اى يوم الجزاء وانما
قال ذلك عليه السلم على سبيل الانقطاع منه الى الله تعالى الا على سبيل ان له خطيئة يحتاج
الى ان يغفر له يوم القيمة لان عندنا لا يجوز ان يقع من الانبياء شئ من القبائح وعند
جميع اهل العدل وان جوزوا عليهم الصغائر فانها يقع عندهم محبطة مكفرة فليس شئ
منها غير مغفور فيحتاج ان يغفر يوم القيمة وقيل معناه اطمع ان يغفر لمن يشفعني فيه
فاضافه الى نفسه كقوله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر وانما قال واذا مرضت فاضاف المرض الى نفسه وان كان من الله استعمالا
لحسن الادب فان المقصود شكر نعم الله تعالى ولو كان المقصود بيان القدرة لاضافه الى الله تعالى
ونظيره قول الخضر فاردت ان اعيبها ثم قال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما وانما حذف
الياآت لانها رؤس الآيات وهذا من ابرهيم عم انما صدر على وجه الاحتجاج على قومه
والاخبار بانه لا يصلح للالهية الا من فعل هذه الافعال ثم حكى الله سبحانه عنه انه سأله
وقال رب هب لي حكما والحكم بيان الشئ على ما تقتضيه الحكمة وقيل انه العلم عن ابن عباس
يعني علما الى العلم وفقها الى فقه وقيل ان النبوة عن الكلبي والحقني بالصالحين اى بمن قبلي

من النبيين في الدرجة والمنزلة وقيل معناه افعل بي من اللطف ما يؤديني الى الصلاح
والاجتماع مع النبيين في الثواب وفي هذا دلالة على عظم شان الصلاح وهو الاستقامة
على ما امر الله به ودعا اليه واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي ثناء حسنا في آخر الامم
وذكرا جميلا وقبولا عاما في الذين يأتون بعدي الى يوم القيمة فاجاب الله سبحانه دعاه
فكل اهل الاديان يتولون عليه ويقرون بنبوته والعرب يضع اللسان موضع القول
على الاستعارة لان القول يكون بها وكذلك يسمون اللغة لسانا قال الاعشى باهله شعر
اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر وقيل ان معناه واجعل لي
ولد صدق في آخر الامم يدعو الى الله ويقوم بالحق وهو محمد صلى الله عليه وآله
واجعلني من ورثة جنة النعيم اي من الذين يرثون الفردوس واغفر لابي انه كان من الضالين
اي من الذاهبين عن الصواب في اعتقاده ووصفه بانه ضال يدل على انه كان كافرا
كفر جهالة لا كفر عناد وقد ذكرنا الوجه في استغفار ابرهيم لابيه في سورة التوبة ولا
تخزني يوم يبعثون اي لا تفضحني ولا تعيرني بذنب يوم تحشر الخلائق وهذا الدعاء
كان منه على وجه الانقطاع الى الله تعالى لما بينا ان القبيح لا يجوز وقوعه من الانبياء
عليهم السلم ثم فسر ذلك اليوم بان قال يوم لا ينفع مال ولا بنون اي لا ينفع المال والبنون
احدا اذ لا يتهيا لذي مال ان يفتدي من شدائد ذلك اليوم به ولا يحمل من صاحب البنين
بنوه شيئا من معاصيه الا من اتى الله بقلب سليم من الشرك والشك عن الحسن ومجاهد وقيل
سليم من الفساد والمعاصي وانما خص القلب بالسلامة لانه اذا سلم القلب سلم سائر الجوارح
من الفساد من حيث ان الفساد بالجارحة لا يكون الا عن قصد بالقلب الفاسد وروي
عن الصادق عليه السلم انه قال هو القلب الذي سلم من حب الدنيا ويؤيده قول النبي صلى الله
عليه وآله حب الدنيا راس كل خطيئة وازلفت الجنة للمتقين اي قربت لهم ليدخلوها
وبرزت الجحيم للغاوين اي اظهرت وكشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق
والصواب قيل لهم في ذلك اليوم على وجه التوبيخ اينما كنتم تعبدون من دون الله
من الاصنام والاوثان وغيرهما وانما وبخوا بلفظ الاستفهام لانه لا جواب لهم عن ذلك

الاباء فيه فضحتهم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم في هذا اليوم او ينتصرون لكم اذا عوقبتم
وقيل ينتصرون اي يمتنعون من العذاب فكبكبوا فيها هم اي جمعوا وطرحوا بعضهم على بعض
عن ابن عباس وقيل نكسوا فيها على رؤسهم عن السدي يعني الآلهة التي يعبدونها والغاوون
اي والعابدون والمعنى اجتمع المعبودون من دون الله والعابدون لها في النار
وجنود ابليس اجمعون اي وكبكب معهم جنود ابليس يريد من اتبعه من ولده وولد
آدم قالوا وهم فيها يختصمون اي قال هؤلاء وهم في النار يخاصم بعضهم بعضا تالله
ان كنا لفي ضلال مبين ومعناه لقد كنا في ضلال عن الحق بين وذهاب عن الصواب
ظاهر اذ نسويكم برب العالمين اذ سويناكم بالله وعدلناكم به في توجيه العبادة
اليكم وما اضلنا الا المجرمون اي الاولون الذين اقتدينا بهم عن الكلبي وقيل الاشقياء
عن مقاتل وقيل الكافرون الذين دعونا الى الضلال ثم اظهروا الحسرة فقالوا فما لنا
من شافعين يشفعون لنا ويسألون في امرنا ولا صديق حميم اي ذي قرابة يهمه
امرنا والمعنى ما لنا شفيع من الاباعد ولا صديق من الاقارب وذلك حين تشفع
الملائكة والنبيون والمؤمنون وفي الخبر المروي عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه
في الجحيم فيقول الله تعالى اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي في النار فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم وروى العياشي بالاسناد عن حمران بن اعين عن
ابي عبد الله عليه السلم قال والله لنشفعن لشيعتنا ثلث مرات حتى يقول الناس فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم الى قوله فنكون من المؤمنين وفي رواية اخرى حتى يقول
عدونا وعن ابان بن تغلب قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول ان المؤمن ليشفع
يوم القيمة لاهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول ويرفع سبابتيه يا رب
خويدمي كان يقيني الحر والبرد فيشفع فيه وفي خبر آخر عن جعفر عليه السلم قال ان المؤمن
ليشفع جاره وما له حسنة فيقول يا رب جاري كان يكف عني الاذى فيشفع فيه وان ادنى
المؤمنين شفاعة ليشفع لثلثين انسانا ثم فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا

فتكون من المؤمنين المصدقين فيحل لنا الشفاعة ان في ذلك اي فيما قصصناه لاية
اي دلالة لمن نظر فيها واعتبر بها وما كان اكثرهم مؤمنين فيما تسلية للنبي صلى الله
عليه وآله واعلام له بان السر قديم وان ربك لهو العزيز الرحيم مضى معناه قوله عز وجل
كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عِلْمِي
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ثماني عشر آية
قرا يعقوب واتباعك وهو قراءة ابن مسعود والضحاك وابن السميقع والقراء
الباقون واتبعك الحجة يحتمل قوله اتباعك وجهين احدهما ان يكون مبتدأ
والارذلون خبره والمعنى لماذا نؤمن لك وانما اتباعك الارذلون والاخر ان يكون
معطوفا على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد لما وقع هناك من الفصل
وهو قوله لك فصار طول الكلام به من توكيد الضمير بقوله نحن والمعنى انؤمن لك
واتباعك الارذلون فنعد في عدادهم اللغة الارذلون والارذال السفلة
واوضاع الناس والرذل الوضيع والرذيلة نقيض الفضيلة والطرد ابعاد الشيء
على وجه التنفير طرده يطرده واطرده جعله طريدا واطرد في الباب استمر في الذهاب
كالطريد والرجم الرمي بالحجارة ولا يقال للرمي بالقوس رجم ويسمى المشتوم مرجوما
لانه رمي بما يذم والانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة الى ما وقع عنه النهي واصل
النهاية بلوغ الحد والنهي الغدير لانتهاء الماء اليه الفتح الحكم والفتاح الحاكم
لايفتح على وجه الامر بالحكم الفصل قال الشاعر شعر الا ابلغ بني اعاد رسولا فاني عن فتاحتكم غني

والفلك

والفلك السفن يقع على الواحد والجمع والمشحون من شحنه يشحنه شحنا اذا ملأه
بما يسد خلله وشحن الثغر بالرجال ومنه الشحنة الاعراب ما على ما حرف نفي وعلمي مبتداه
وتقديره ما علمي ثبت او حصل بما كانوا يعملون المعنى ثم ذكر سبحانه حديث نوح
فقال كذبت قوم نوح المرسلين دخلت التاء في كذبت والقوم مذكرون لان القوم
جماعة اي كذبت جماعة قوم نوح المرسلين لان من كذب رسولا واحدا من رسل الله
فقد كذب الجماعة لان كل رسول يامر بتصديق جميع الرسل وقال ابو جعفر عليه السلام
يعني المرسلين نوحا والانبياء الذين كانوا بينه وبين آدم اذ قال لهم اخوهم
نوح اي في النسب لا في الدين الا تتقون عذاب الله تعالى في تكذيبي ومخالفتي اني لكم رسول
امين على الرسالة فيما بيني وبين ربكم فاتقوا الله بطاعته وعبادته واطيعون
فيما امركم به في الايمان والتوحيد وما اسألكم عليه اي على الدعاء الى التوحيد
من اجر من مزيد ان اجري ما جزاي وثوابي الا على رب العالمين وخالق الخلايق
اجمعين ثم كرر عليهم قوله فاتقوا الله واطيعون لاختلاف المعنى لان التقدير
فاتقوا الله واطيعون لاني رسول امين واتقوا الله واطيعون لاني لا اسألكم
عليه اجرا فتخافوا تلف اموالكم به وكل واحد من هذين المعنيين يقوي الداعي
الى قبول قول الغير ويبعد عن التهمة قالوا انؤمن لك اي نصدقك فيما تقول
واتبعك الارذلون اي وقد اتبعك سفلة الناس وارذالهم وحساسهم عن قتادة
وقيل يعنون المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز عن عطاء وقيل يعنون الحاكة
من الاساكفة عن الضحاك وعلقمة والمعنى ان اتباعك اراذلنا وفقراؤنا واصحاب
الاعمال الد المهن الخسيسة فلو اتبعناك لصرنا مثلهم ومعدودين في جملتهم
وهذا جهل منهم لانه ليس في ايمان الارذلين به ما يوجب تكذيبه فان الرذل اذا
اطاع سلطانه استحق التقريب عنده دون الشريف العاصي قال وما علمي بما كانوا يعملون
اي ما اعلم اعمالهم وصنايعهم ولم اكلف ذلك وانما كلفت ان ادعوهم الى الله
وقد اجابوني اليه ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي ليس حسابهم الا على ربي الذي

خلقي وخلقهم لو يعلمون ذلك ما عبتموهم نصبا بعيهم وما انا بطارد المؤمنين
ان انا الا نذير مبين اي ما انا بالذي لا يقبل الايمان من الذين يزعمون انهم الارذلون
لا نني لست الا نذيرا مخوفا من معصية الله داعيا الى طاعته مبينا لها قالوا له عند ذلك
لئن لم تنته يا نوح اي ان لم ترجع عما تقوله وتدعوا اليه لتكونن من المرجومين
بالحجارة عن قتاده وقيل من المرجومين بالشتم عن الضحاك قال نوح رب ان قومي كذبون
فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاقض بيننا قضاء بالعذاب لانه قال ونجني ومن معي من المؤمنين
اي من ذلك العذاب فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون فخلصناه ومن معه من
المؤمنين في السفينة المملوة من الناس وغيرهم من الحيوانات ثم اغرقنا بعد اي بعد
نجاة نوح ومن معه الباقين اي الخارجين من السفينة الكافرين به ان في ذلك لاية
واضحة على توحيد الله وما كان اكثرهم مؤمنين وليس هذا بتكرار وانما كل واحد
في قصة على حده فهذا ذكر اية في قصة وما كان من شانه بعد ذكر اية مما كان من قصة
ابرهيم وقومه وذكر اية في قصة موسى وفرعون فبين ان ذكر كلا من ذلك لما فيه
من الاية الباهرة وان ربك لهو العزيز في اهلاك قوم نوح بالغرق الرحيم في انجائه
نوحا ومن معه في الفلك قوله عز وجل كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ
أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ
لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَٰذَا
إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ثماني عشرة آية القراءة قرأ ابن كثير
واهل البصرة وابو جعفر والكسائي خلق الاولين عادتهم وخلق الاولين اختلاقهم وكذبهم
مثل قوله وتخلقون افكا وان هذا الاختلاق في خلق الشيء اذا نقي واخلاته وخلقه تخلق

المكان اذا قام عليه ولزمه وقيل اخلد الرجل اذا ابطاء عنه الشيب اللغة الريع الارتفاع
من الارض وجمعه ارباع وريعة قال ذو الرمة شعر طراق الخوافي مشرف فوق ريعة
ندى ليله في ريشه يترقرق ومنه الريع في الطعام وهو ارتفاعه بالزيادة والنماء
وقال ابو عبيدة الريع الطريق بين الجبلين في الارتفاع وقيل هو الفج الواسع و
المصانع ماخذ الماء جمع مصنع قال ابو عبيدة كل بناء مصنعه وقال قتاده ومجاهد
والمصانع هي القصور والحصون والبطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط
والجبار العالي على غيره بعظيم سلطانه وهو في صفة الله سبحانه مدح وفي صفة غيره
ذم لان معناه في العبد انه يتكلف الجبرية المعنى ثم اخبر سبحانه عن عاد فقال كذبت
عاد المرسلين بالتانيث لمعنى القبيلة لانه اراد بعاد القبيلة اذ قال لهم اخوهم في النسب
هود الا تتقون الله باجتناب معاصيه اني لكم رسول امين الى قوله رب العالمين مر تفسيره
اتبنون بكل ريع اي بكل مكان مرتفع وقيل بكل شرف عن ابن عباس وقيل بكل طريق
عن الكلبي والضحاك اية تعبثون اي بناء لا تحتاجون اليه لسكناهم وانما تريدون
العبث بذلك اللعب واللهو كانه جعل بناء وهم يستغنون عنه عبثا منهم عن ابن عباس
في رواية عطاء ويؤيده الخبر الماثور عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه واله
خرج فراى قبة مشرفة فقال ما هذه فقال له اصحابه هذه لرجل من الانصار فمكث
بعني حاء صاحبها فسلم في الناس اعرض عنه وصنع ذلك به مرارا حتى عرف الرجل
الغضب به والاعراض عنه فشكا ذلك الى اصحابه وقال والله اني لانكر نظر رسول الله
صلى الله عليه واله ما ادري ما حدث في وما صنعت قالوا خرج رسول الله
صلى الله عليه واله فراى قبتك فقال لمن هذه فاخبرناه فرجع الى قبته فسواها
بالارض فخرج رسول الله ذات يوم فلم ير القبة فقال ما فعلت القبة التي كانت
ههنا قالوا شكا الينا صاحبها اعراضك عنه فاخبرناه فهدمها فقال ان لكل
بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما لا بد منه وقيل معناه انهم كانوا يبنون
بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم عن الكلبي و الضحاك

وقيل ان هذا في شان الحمام انكر هود عليهم اتخاذهم بروجا للحمام عبثا عن سعيد بن جبير
ومجاهد وتتخذون مصانع اى حصونا لعلكم تخلدون فيها فلا تموتون فان هذه الابنية
بناء من يطمع في الخلود قال الزجاج معناه تتخذون مبانى للخلود لا تتفكرون في الموت
واذا بطشتم بطشتم جبارين البطش الاخذ باليد اى اذا بطشتم باحد تريدون انزال
عقوبة به عاقبتموه عقوبة من يريد التجبر بارتكاب العظايم كما قال ان تريد الا ان تكون
جبارا في الارض وقيل معناه واذا عاقبتم قتلتم فمعنى الجبار القتال على الغضب بغير حق
فاتقوا الله واطيعون مر معناه واتقوا الذى امدكم بما تعلمون اى اعطاكم من
ما تعلمون من الخير والامداد اتباع الثانى ما قبله شيئا بعد شيء على انتظام وهولاء
امدوا بانواع النعم وهو قوله امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فاعطاهم
رزقهم على ادرار انى اخاف عليكم ان عصيتمونى عذاب يوم عظيم يريد يوم القيمة
وصفه بالعظم لما فيه من الاهوال العظيمة قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
اى نهيتنا ام تكن من الناهين لنا عن الكلبى والمعنى انا لا نقبل ما تدعونا اليه
على كل حال وعظت ام سكت اى حضور الوعظ منك وانقطاعه مستويان عندنا
قالوا ان هذا الا خلق الاولين اى ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين الذين
ادعوا النبوة ولم يكونوا انبياء وانت مثلهم ومن قرا خلق الاولين بضم الخاء
والمعنى ما هذا الذى نحن عليه من تشييد الابنية واتخاد المصانع والبطش الشديد
الا عادة الاولين من قبلنا وقيل معناه ما هذا الذى نحن فيه الا عادة الاولين وما نحن
بمعذبين على ما تدعيه لا في الدنيا ولا بعد الموت فكذبوه فاهلكناهم بعذاب الاستيصال
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قد مر تفسيره
قوله عز وجل كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا

امر المسرفين

أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ
مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ
وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا
فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ تسع عشرة آية القراة قرا اهل الكوفة والشام
فارهين بالالف والباقون فرهين بغير الالف الحجة قال الزجاج فرهين اشرين مرحين
وفارهين حاذقين ابو عبيدة قال قد جاء فارهين في معنى فرهين وانشد شعر
لا استكين اذا ما ازمة ازمت ولا ترانى بخير فاره اللبب اى مرح اللبب اللغة
الهضيم اللطيف في جسمه ومنه هضيمة الحشا اى لطيفة الحشا ومنه هضمه حقه
اى نقصه لانه لطف جسمه بنقصه ومنه هضيم الطعام اذا الطف واستحال الى مشاكله
اليدين والمسحر الذى قد سحر مرة بعد اخرى وهو ان يكون ممن له سحر اى رية
ومنه قولهم انتفخ سحره قال لبيد شعر فان تسالينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا
الانام المسحر اى المعلل بالطعام والشراب على امر يخفى كخفاء السحر والشرب الحظ
من الماء قال شعر لم تمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال
اى لم تمنع حظها من الماء والسوء الضر الذى يشعر به صاحبه لانه يسوءه وقوعه
والعقر قطع شيء من بدن الحى فاذا انتفى معه الحيوة واذا قيل لم تنتف المعنى ثم اخبر
سبحانه عن ثمود فقال كذبت ثمود المرسلين وهو مفسر في هذه السورة الى قوله
اتتركون فيما هاهنا امنين معناه اتظنون انكم تتركون فيما اعطاكم من الخير
في هذه الدنيا امنين من الموت والعذاب وهذا اخبار بان ما هم فيه من النعم
لا يبقى عليهم وانها ستزول عنهم ثم عدد نعمتهم التى كانوا فيها فقال في جنات
اى بساتين يسترها الشجر وعيون جارية وزروع ونخل طلعها هضيم الطلع
الكفرى مشتق من الطلوع لانه يطلع من النخيل والهضيم النافع النضيج عن ابن
عباس وقيل هو الرطب اللين عن عكرمة وقيل هو الذى ضامر بدخول بعضه

في بعض عن الضحاك وقيل هو الذي اذا مرتفت عن مجاهد وقيل هو ليس فيه نوى
عن الحسن تنحتون من الجبال بيوتا فارهين اي حاذقين بنحتها من فره الرجل فراهة
فهو فاره وفرهين اشرين بطريق عن ابن عباس فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون
فيما امركم ولا تطيعوا امر المسرفين يعني الرؤساء منهم وهم تسعة رهط من ثمود
الذين عقروا الناقة ثم وصفهم فقال الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا
في جوابه انما انت من المسحرين قد اصبت بسحر فقد عقلك فصرت لا تدري ما تقول
وهو بمعنى المسحورين والمراد سحرت مرة بعد اخرى وقيل معناه من المخدوعين وقيل
من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب عن ابن عباس وقيل معناه انت مخلوق
مثلنا لك سحر اي رئة تاكل وتشرب فلم صرت اولى منا بالنبوة ما انت الا بشر مثلنا اي
ادمي مثلنا فات باية اي بمعجزة تدل على صدقك ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة
وهي الناقة التي اخرجها الله من الصخرة عشراء ترعوه ما اقترحوه لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم اي لها حظ من الماء لا تزاحموها فيه ولكم حظ لا تزاحمكم فيه روي عن امير
المؤمنين علي عليه السلام انه قال انها اول عين نبعت في الارض هي التي فجرها الله لصالح فقال
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم هذا
مع ما بعده مفسر في سورة الاعراف والقصة مشروحة هناك قوله عز وجل كذبت
قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران
من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني
واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ست عشرة آيات اللغة العادي والظالم والجائر
نظائر وهو من العدوان واصله من العدو الذي هو الاسراع في السعي والقالي المبغض

يقال فلان

يقال فلان يقليه قلى بغضه وهو الغابر الباقي في قلة كالتراب الذي يذهب بالكنس ويبقى
غباره والغبر البقية من اللبن في الاخلاف قال الحارث بن حلزة شعر لا تكسع الشول باغبارها
انك لا تدري من الناتج والتدمير الاهلاك باهول الامور المعنى ثم اخبر سبحانه عن قوم
لوط فقال كذبت قوم لوط المرسلين وقد فسرناه الى قوله اتاتون الذكران من العالمين
اي تصيبون الذكور من جملة الخلايق وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم اي
وتتركون ما خلقه الله لكم من الازواج والنساء والزوجة هي التي وقع عليها
العقد بالنكاح الصحيح يقال لها زوج وزوجة قال سبحانه اسكن انت وزوجك الجنة
بل انتم قوم عادون اي ظالمون معتدون الحلال الى الحرام والطاعة الى المعصية قالوا
لئن لم تنته وترجع عما تقوله ولم تمتنع عن دعوتنا وتقبيح افعالنا لتكونن من
المخرجين عن بلدنا قال لوط لهم عند ذلك اني لعملكم من القالين اي من المبغضين
الكارهين ثم دعا به فقال رب نجني واهلي مما يعملون اي من عاقبة ما يعملونه
وهو العذاب النازل فاجاب الله سبحانه دعاءه قال فنجيناه واهله اجمعين يعني
من العذاب الذي وقع بهم ويجوز ان يكون اراد نجيناه واهله من نفر عليهم ويكون
النجاة من العذاب النازل بهم تبعا لذلك والاول اوضح ويدل عليه قوله الا عجوزا
في الغابرين واراد بالعجوز امراته لانها كانت تدل اهل الفساد على اضيافه فكانت
من الباقين في العذاب هلكت فيما بعد مع من خرج من القرية بما امطره الله
من الحجارة ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم بالخسف وقيل بالايتفاك وهو الانقلاب ثم امطر
على من كان غائبا منهم عن القرية الحجارة من السماء وهو قوله وامطرنا عليهم مطرا
فساء مطر المنذرين اي بئس واشتد مطر الكافرين مطرهم وما بعده مفسر قبل قوله
عز وجل كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم

وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ
لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ
رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرحيم ست عشرة آية القراءة قرأ اهل الحجاز والشام ليكة بالنصب غير مهموز
ههنا وفي ص والباقون الايكة بثبات الهمزة والجر في الموضعين الحجة قال ابو علي
الايكة تعريف ايكه فاذا خففت الهمزة حذفتها والقيت حركتها على اللام فقلت
الليكة كما قالوا الحمر ومن قال الحمر قال ليكه وهو قول من قال اصحاب ليكة بفتح التاء
مشكل لانه فتح مع لحاق لام المعرفة الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال بالحمر فيفتح
وانما يخرج هذا على ان المعنى قد سمي بكلمة يكون اللام فيها فاء ولم اسمع بها وقال
الزجاج جاء في التفسير ان اسم المدينة التي ارسل اليها شعيب كان ليكة اللغة الايكة
الغيضة ذات الشجر الملتف والجمع الايك قال شعر تجلو بقادمتي حمامة ايكة
بردا اسف لثاته بالاثمد المخسر المعرض للخسران في راس المال بالنقصان
اخسر يخسر اخسارا اذا جعله يخسر في ماله وينقصه اربحه والجبلة الخليقة
التي طبع عليها الشيء بكسر الجيم والباء وقيل ايضا بضمها ويسقطون الهاء ايضا
قال ابو ذويب شعر منايا يقربن الحتوف لاهلها جهارا ويستمتعن بالانس الجبل
وقال الاخر والموت اعظم حادث مما يمر على الجبلة المعنى ثم اخبر سبحانه عن قوم
شعيب فقال كذب اصحاب الايكة المرسلين وهم اهل مدين عن ابن عباس وقيل انهم
غيرهم عن قتاده وقال ان الله تعالى ارسل شعيبا الى امتين اذ قال لهم شعيب ولم يقل
اخوهم لانه لم يكن من نسبهم وكان من اهل مدين فلذلك قال في ذلك الموضع والى
مدين اخاهم شعيبا الا تتقون اني لكم رسول امين مفسر فيما قبل الى قوله رب العالمين
وانما حكى الله سبحانه دعوة كل نبي بصيغة واحدة ولفظ واحد اشعارا بان الحق
الذي تاتي به الرسل ويدعون اليه واحد من اتقاء الله تعالى واجتناب

معاصيه

معاصيه والاخلاص في عبادته وطاعة رسله وان انبياء الله تعالى لا يكونون
الا امناء الله في عباده وانه لا يجوز على واحد منهم ان ياخذ الاجرة على رسالته
لما في ذلك من التنفير عن قبول قولهم ثم قال اوفوا الكيل اي اعطوا الواجب وافيا غير
ناقص ويدخل الوفاء في الكيل والوزن والذرع والعدد ولا تكونوا من المخسرين اي من
الناقصين للكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم اي بالعدل الذي لا حيف فيه
يعني زنوا وزنا يجمع الايفاء والاستيفاء وذكرنا الاقوال في القسطاس في سورة بني اسرائيل
ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي ولا تنقصوا الناس حقوقهم ولا تمنعوها ولا تعثوا
في الارض مفسدين اي لا تسعوا في الارض بالفساد والعثي اشد الفساد بالخراب عن ابي
عبيدة واتقوا الله الذي خلقكم اي اوجدكم بعد العدم والجبلة اي الخليقة الاولين
يعني وخلق الامم المتقدمين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا مر معناه
وان نظنك لمن الكاذبين اي وما نظنك كاذبا من جملة الكاذبين وان هذه هي المخففة
من الثقيلة ولذلك لزمها اللام في الخبر فاسقط علينا كسفا من السماء اي قطعا
من السماء جمع كسفة عن ابن عباس ان كنت من الصادقين في دعواك قال شعيب ربي اعلم
بما تعملون ومعناه انه ان كان في معلومه انه ان ابقاكم تبتم او تاب بعضكم لم يقطعكم
بالعذاب وان كان في معلومه انه لا يفلح واحد منكم فسياتيكم عذاب الاستيصال ثم قال
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة اصابهم حر شديد سبعة ايام وحبس عنهم
الريح ثم غشيتهم سحابة فلما خرجوا اليها طلبا للبرد من شدة الحر الذي اصابهم
ثم غشيتهم مطرت عليهم نارا فاحرقتهم فكان من اعظم الايام في الدنيا عذابا فذلك
قوله انه كان عذاب يوم عظيم ومعنى الظلة ههنا السحابة التي قد اظلتهم ان في ذلك
لاية مفسر الى آخره قوله عز وجل وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ
عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُنْ
لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا
بِهِ مُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ
أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يُمَتَّعُونَ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ
وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ
احدى عشرون آية القراة قرا اهل الحجاز وابو عمرو وحفص وزيد نزل بالتخفيف
الروح الامين بالرفع وقرا الباقون نزل بالتشديد الروح الامين بالنصب وقرا
ابن عامر اولم تكن بالتاء آية بالرفع والباقون لم يكن بالياء اية بالنصب وفي الشواذ
قراة الحسن الاعجمين وقراته ايضا فتاتيهم بغتة بالتاء وما تنزلت به الشياطون الحجة
قال ابو علي حجة من قرا نزل به بالتشديد وقوله فانه نزله على قلبك وتنزل الملائكة
والروح فانه مطلوع نزل وقوله ونزله روح القدس من ربك بالحق ومن اسند
الفعل الى الروح فقال نزل به الروح الامين فانه ينزل بامر الله سبحانه فمعناه
معنى المثقلة والوجه في قراة ابن عامر اولم يكن لهم اية ان في تكن ضمير القصة
والحديث لان ما يقع تفسير للقصة او الحديث من الجمل اذا كان فيها اسم مونث جاز
تانيث المضمر على شريطه التفسير كقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله
فانها لا تعمى الابصار وكذلك ان يعلمه علماء بني اسرائيل لما كان فيه مونث جاز ان يونث
تكن فيه مرتفعة بانها خبر الابتداء الذي هو ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولا يمتنع
ان لا يضمر القصة والحديث ولكن يرفع ان يعلمه بقوله تكن وان كان في تكن علامة
تانيث لان ان يعلمه في المعنى هو الاية فيحمل الكلام على المعنى في قوله فله عشرة امثالها
فانث لما كان المراد بالامثال الحسنات وكذلك قرا من قرا لم تكن فتنتهم الا
ان قالوا وقال ابن جني في قراة الحسن الاعجمين انها تفسير الغرض في القراة لجمع عليها وهي قوله
بعض الاعجمين وذلك ان ما كان من الصفات على افعل ومونثه فعلى لا يجمع بالواو والنون
ولا بالالف والتاء فكان قياسه ان لا يجوز فيه الاعجمون لان مونثه عجمى لكن سببه انه اراد
به الاعجميون ثم حذفت ياء النسب وجعل جمعه بالواو والنون دليلا عليها وامارة

لارادتها

لارادتها كما جعلت صحة الواو في عفوا وداء امارة لارادة الياء في عفوا ويرو قوله فتاتيهم
بغتة بالتاء معناه فتاتيهم الساعة بغتة فاضمر الساعة لدلالة العذاب الواقع فيها
ولكثرة ما يرد في القران من ذكر اتيانها واما قوله الشياطون فقد قال الفراء فيه
غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للنضر ابن شميل فقال اذا جاز ان يحتج بقول العجاج
ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن مع انا نعلم انه لم يقرا به الا وقد سمعه قال
ابن جني هذا مما يعرض مثله للفصيح لتداخل الجمعين عليه وتشابههما عنده ونحو منه قولهم
مسيل فيمن اخذه من السيل ثم قالوا في جمعه مسلان وامسلة وفي معنى معان وامعنه
مع ان الاقوى ان يكون معناه من العين فالشياطون غلط لكن يشبه كما ان من همز
مصايب كذلك عندهم وقال الامام ان محتري الوجه انه راى اخره كاخر يبرين
وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون
كما تخيرت العرب بين ان تقولوا هذه يبرون وفلسطون وفلسطين وحقه ان يشتق من
الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له اباطيل اللغة الاعجم الذي يمتنع لسانه من العربية
والعجمي نقيض العربي والاعجمي نقيض الفصيح الاعراب لا يومنون به في موضع نصب
على الحال وبغتة مصدر وضع موضع الحال سنين ظرف زمان لمتعناهم ما الفي ما اتاهم فيه
ومفعول اغنى محذوف وتقديره ما اغنى عنهم تمتعهم شيا ذكرى في محل النصب لانه مفعول له
وما ينبغي فاعل ينبغي مستكن فيه عايد الى مصدر تنزل تقديره وما ينبغي لهم ان ينزلوا
المعنى ثم بين سبحانه امر القران بعد ان قص اخبار الانبياء عليهم السلام ليتصل بها
حديث نبينا عليه السلام فقال وانه لتنزيل رب العالمين نزل به اي نزل الله بالقران الروح
الامين يعني جبرئيل عليه السلام وهو امين على الا يغيره ولا يبدله وسماه روحا لانه يحيا به
الدين وقيل لانه يحيا به الارواح بما ينزل من البركات وقيل لان جسمه روحاني
على قلبك يا محمد وهذا على سبيل التوسع لان الله تعالى يسمعه جبرئيل فيحفظه
وينزل به على الرسول ويقرا عليه فيعيه ويحفظه بقلبه فكانه نزل على قلبه وقيل معناه
لقنك الله حتى يلقنته وثبته على قلبك وجعل قلبك وعاء له ليكون من المنذرين

اى لتخوف به الناس وتنذرهم بآيات الله بلسان عربى مبين الناس بما هم اليه الحاجة
فى دينهم وقيل اراد به لسان قريش ليفهموا ما فيه ولا يقولون ما نفقه ما يقول محمد
عن مجاهد وقيل لسان جرهم وانما جعله عربيا لان المنزل عليه عربى والمخاطبون به عرب
ولانه تحدى بفصاحته فصحاء العرب قد تضمنت هذه الاية تشريف هذه اللغة لانه
سماها مبينا وكذلك اختارها لاهل الجنة وانه اى وان ذكر القران وخبره لفى زبر
الاولين اى فى كتب الاولين على وجه البشارة به وبمحمد صلى الله عليه وآله لا بمعنى ان الله
انزله على محمد وواحد الزبر زبور وقيل معناه انه انزل على ساير الانبياء من الدعاء
الى التوحيد والعدل والاعتراف بالبعث واقاصيص الامم مثل الذى نزل فى القران
اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل معناه اولم يكن علم علماء بنى اسرائيل بمجيئه
على ما تقدمت البشارة دلالة على صحة نبوته لان العلماء الذين امنوا فى بنى اسرائيل
كانوا يخبرون بوجود ذكره فى كتبهم وكانت اليهود تبشر به ويستفتح على العرب به وكان
ذلك سبب اسلام الاوس والخزرج على ما مر بيانه وعلماء بنى اسرائيل عبد الله
بن سلام واصحابه عن ابن عباس وقيل هم خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبه
واسد واسيد عن عطيه ولو نزلناه على بعض الاعجمين اى ولو نزلنا القرآن على
رجل ليس من العرب وعلى من لا يفصح فقراه عليهم اى على العرب ما كانوا به مومنين
اى لم يومنوا به وانفوا من اتباعه لكنا انزلناه بلسان العرب على افصح رجل
منهم من اشرف بيت ليتدبروا فيه ولتكون ادعى الى اتباعه وتصديقه وقيل معناه
لو نزلناه على العجم من البهايم او غيرها لما امنوا به وان كان فيه زيادة اعجوبة
عن عبد الله بن مطيع وروى عن عبد الله بن مسعود انه سئل عن هذه الاية وهو
على بعير فاشار اليه وقال هذا من الاعجمين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين اى كما
نزلنا القرآن عربيا مبينا امررناه وادخلناه واوقعناه فى قلوب الكافرين بان
امرنا النبى صلى الله عليه وآله حتى قراه عليهم وبينه لهم ثم بين انهم مع ذلك لا يومنون
به حتى يروا العذاب الاليم فيلجئهم الى الايمان وهذا خبر عن الكفار الذين علم الله

انهم لا يؤمنون

انهم لا يؤمنون ابدا فياتيهم اى العذاب الذى يتوقعونه ويستعجلونه بغتة اى فجاة وهم لا يشعرون
بمجيه فيقولوا هل نحن منظرون اى موخرون لنومن ولنصدق قال مقاتل لما اوعدهم
النبى صلى الله عليه وآله بالعذاب استعجلوا العذاب تكذيبا به فقال افبعذابنا تستعجلون
توبيخا لهم ثم قال افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون اى ارايت اى انظرناهم واخرناهم سنين ومتعناهم بشىء من الدنيا
ثم اتاهم العذاب لم يغن عنهم ما متعوا فى تلك السنين من النعيم لازديادهم فى الاثام
واكتسابهم من الاجرام وهو استفهام فى معنى التقدير وما اهلكنا من قرية اى وما
اهلكنا قرية الا لها منذرون اى الا بعد اقامة الحجج عليهم بتقديم الانذار وارسال
الرسل ذكرى اى تذكرا وموعظة لهم ليتعظوا ويصلحوا فاذا لم يصلحوا مع التخويف
والتحذير واستحقوا عذاب الاستيصال باصرارهم على الكفر والعناد اهلكناهم وما
كنا ظالمين اى وما ظلمناهم بالاهلاك لانا لا نظلم احدا نفى سبحانه عن نفسه اصاله
وفى هذا تكذيب لمن زعم ان كل ظلم وكفر فى الدنيا فهو من خلقه وارادته وغاية الظلم
ان يعاقب عباده على ما خلقه فيهم واراده منهم تعالى عن ذلك وتقدس وما تنزلت
به اى بالقران الشياطين كما تزعمه بعض المشركين وما ينبغى لهم انزال ذلك اى الشياطين
وما يستطيعون ذلك ولا يقدرون عليه لان الله تعالى يحرس المعجزة عن ان يموه
بها المبطل فانه اذا اراد ان يدل بها على صدق الصادق اخلصها بمثل هذه
الحراسة حتى يصح الدلالة بها ومعنى قول العرب ينبغى لك ان تفعل كذا انه يطلب
منك فعله فى مقتضى العقل من البغية التى هى الطلب انهم عن السمع لمعزولون اى
مصروفون عن استماع القران اى عن المكان الذى يسمعون ذلك فيه ممنوعون
عنه بالشهب الثاقبة وقيل معناه ان الشياطين عن سمع القران معزولون عن قتاده
فان العزل تنحيه الشىء عن موضع الخلافة وازالته عن امر الى نقيضه قال مقاتل
قالت قريش انما يجى بالقران الشياطين فتلقيه على لسان محمد فاكذبهم الله تعالى
بان قال انهم لا يقدرون بان ياتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينهم وبين السمع بالملئكة

والشهب قوله عزّ وجلّ فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذّبين وانذر عشيرتك
الاقربين واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انّي برئ ممّا تعملون
وتوكّل على العزيز الرحيم الذي يريك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين
انّه هو السميع العليم ثماني آيات القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر فتوكّل
بالفاء والباقون بالواو والحجة هو في مصاحف اهل المدينة والشام بالفاء
وفي مصاحف مكة والعراق بالواو والوجهان حسنان اللغة عشيرة الرجل قرابته
سمّوا بذلك لانه يعاشرهم وهم يعاشرونه المعنى ثمّ خاطب سبحانه نبيّه صلّى الله
عليه وآله والمراد به سائر المكلّفين فقال فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذّبين
بسبب ذلك وانّما افرده بالخطاب ليعلم انّ العظيم الشأن اذا اوعد فمن دونه كيف يكون
حاله واذا حذر هو فغيره اولى بالتحذير وانذر عشيرتك الاقربين اي رهطك
الادنين اي انذرهم بالافصاح من غير تليين بالقول كما تدعوا اليه مقاربة العشيرة
وانّما خصّهم بالذكر تنبيهاً على انه ينذر غيرهم وانه لا يداهنهم لاجل القرابة لينقطع طمع
الاجانب عن مداهنته في الدين وقيل انه عليه السلم امر بان يبدأ بهم في الانذار والدعاء
الى الله ثمّ بالذين يلونهم كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار لانّ ذلك هو الذي تقتضيه
حسن الترتيب قيل انه لما خصّهم لانه يمكنه ان يجمعهم ثم ينذرهم وقد فعل ذلك عم واشتهرت
القصة بذلك عند الخاص والعام وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب انه قال لما نزلت
هذه الآية جمع رسول الله بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلاً الرجل منهم يأكل المسنّة
ويشرب العُس فامر عليّاً برجل شاة فادمها ثمّ قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرة عشرة فاكلوا
حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثمّ قال لهم اشربوا بسم الله فشربوا حتى رووا
فبدرهم ابو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت صلّى الله عليه وآله يومئذ ولم يتكلّم ثمّ دعاهم
من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثمّ انذرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال
يا بني عبد المطلب انّي انا النذير اليكم من الله عزّ وجلّ والبشير فاسلموا واطيعوني تهتدوا
ثمّ قال من يواخيني ويوازرني ويكون وليّي ووصيّي بعدي وخليفتي في اهلي ويقضي ديني فسكت القوم

فاعادها

فاعادها ثلثاً كلّ ذلك يسكت القوم ويقول عليّ انا فقال في المرّة الثالثة انت فقام القوم
وهم يقولون لابي طالب اطع ابنك فقد امّر عليك اورده الثعلبي في تفسيره وروي عن ابي رافع
هذه القصة وانه جمعهم في الشعب فصنع لهم رجل شاة فاكلوا حتى تضلّعوا وسقاهم عسّاً فشربوا
كلّهم حتى رووا ثمّ قال انّ الله امرني ان انذر عشيرتي ورهطي وانّ الله لم يبعث نبيّاً الّا جعل له
من اهله اخاً ووزيراً ووارثاً ووصيّاً وخليفة في اهله فايّكم يقوم فيبايعني على انه
اخي ووارثي ووزيري ووصيّي ويكون منّي بمنزلة هرون من موسى الّا انه لا نبيّ بعدي
فسكت القوم فقال ليقومنّ قائمكم او ليكوننّ في غيركم ثمّ لتندمنّ ثمّ اعاد الكلام ثلث
مرّات فقام عليّ فبايعه واجابه فقال ادن منّي فدنا منه ففتح فاه ومجّ في فيه من ريقه وتفل
بين كتفيه وثدييه فقال ابو لهب بئس ما حبوت به ابن عمّك ان اجابك فملأت فاه ووجهه
بزاقاً فقال صلّى الله عليه وآله ملأته حكماً وعلماً وعن ابن عباس قال لما نزلت الآية صعد رسول الله
صلّى الله عليه وآله على الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك فقال
ارايتكم ان اخبرتكم انّ العدوّ مصبحكم او ممسيكم ما كنتم تصدّقونني قالوا بلى قال فانّي نذير
لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبّاً لك لهذا دعوتنا جميعاً فانزل الله عزّ وجلّ
تبّت يدا ابي لهب وتبّ الى آخر السورة وفي قراءة عبد الله وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك
منهم المخلصين وروي عن ذلك ابي عبد الله عليه السلم واخفض جناحك لمن اتّبعك من
المؤمنين اي ليّن جانبك وتواضع لهم وحسّن اخلاقك معهم عن ابن عباس وغيره
فان عصوك يعني اقاربك بعد انذارك اياهم وخالفوك فيما تدعوهم اليه فقل انّي برئ
ممّا تعملون اي من اعمالكم القبيحة وعبادتكم الاصنام وتوكّل على العزيز الرحيم اي فوّض
امرك الى العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم اوليائه يكفيك كيد اعدائك الذين عصوك
فيما امرتهم به الذي يراك حين تقوم في صلوتك عن ابن عباس وقيل حين تقوم بالليل
لانه لا يطّلع عليه احد غيره وقيل حين تقوم للانذار واداء الرسالة وتقلّبك في الساجدين
اي ويرى تصرّفك في المصلّين بالركوع والسجود والقيام والقعود عن ابن عباس وقتاده
والمعنى يراك حين تقوم الى الصلوة مفرداً وتقلّبك في الساجدين اذا صلّيت في جماعة

وقيل معناه وتقلبك في اصلاب الموحدين من نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا عن ابن عباس
في رواية عطا وعكرمه وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قالا في اصلاب النبيين نبي بعد
نبي حتى اخرجه من صلب ابيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم وروى جابر عن ابي جعفر عليه السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فاني اراكم من خلفي كما اراكم
من امامي ثم تلا هذه الاية انه هو السميع العليم ما تتلو في صلاتك ويعلم ما تضمر فيها
قوله عز وجل هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ
وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ سبع آيات
القراءة قرا نافع يتبعهم ساكنة التاء والباقون يتبعهم الحجة الوجهان حسنان يقال تبعت
القوم اتبعهم وتبعتهم اتبعهم اللغة الافاك الكذاب واصل الافك القلب والافاك الكثير
القلب للخبر عن جهة الصدق الى جهة الكذب والاثيم الفاعل للقبيح اثم ياثم اثما اذا ارتكب
القبيح وناء ثم اذا ترك الاثم والهايم الذاهب على وجهه عن الكسائي وقيل هو المخالف
للقصد عن ابي عبيدة الاعراب انتصب قوله اي منقلب لانه صفة مصدر محذوف وتقديره سيعلم
الذين ظلموا انقلابا اي انقلاب ينقلبون ولا يجوز ان يكون معمولا سيعلم لان الاستفهام
لا يعمل فيه ما قبله والعلة في ذلك لان الاستخبار قبل الخبر ورتبة الاستخبار التقديم
فلا يجوز ان يعمل فيه الخبر لان الخبر بعده وذلك انه موضوع على انه جواب مستخبر المعنى
لما اخبر الله سبحانه ان القرآن ليس مما تتنزل به الشياطين وانه وحي من الله عقبه
بذكر من تنزل عليه الشياطين فقال هل انبئكم اي هل اخبركم على من تنزل الشيطين تنزل
على كل افاك اثيم اي انما تنزل الشياطين على كل كذاب فاجر عامل بالمعاصي وهم الكهنة وقيل طليحة
ومسيلمة عن مقاتل ولست بكذاب ولا اثيم فلا تتنزل عليك الشياطين وانما تتنزل عليك
الملائكة يلقون السمع معناه ان الشياطين يلقون ما يسمعونه الى الكهنة او الكذابين
ويخلطون به كثيرا من الاكاذيب يوحونه اليهم واكثرهم اي واكثر الشياطين كاذبون

وقيل اكثر

وقيل اكثر الكهنة كاذبون قال الحسن هم الذين يسترقون السمع من الملائكة فيلقون الى
الكهنة وهذا كان قبل ان اوحي الى النبي صلى الله عليه وآله وبعد ذلك فمن يستمع الان
يجد له شهابا رصدا والشعراء يتبعهم الغاوون قال ابن عباس يريد شعراء المشركين
وذكر مقاتل اسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعري السهمي وابو سفيان ابن الحرث
بن عبد المطلب وهبيرة ابن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف الجمحي وابو عزة
عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وامية ابن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل
وقالوا نحن نقول مثل ما قال محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون
اشعارهم ويروون عنهم حتى يهجون النبي صلى الله عليه وآله واصحابه فذلك قوله يتبعهم
الغاوون وقيل الغاوون الشياطين عن قتاده ومجاهد وقيل اراد بالشعراء الذين
غلبت عليهم الاشعار حتى اشتغلوا بها عن القرآن والسنة وقيل هم الشعراء الذين
اذا غضبوا سبوا واذا قالوا كذبوا وانما صار الاغلب عليهم الغي لان الغالب عليهم الفسق
فان الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب ثم يمدح للصلة ويهجو على حمية الجاهلية فيدعوه
ذلك الى الكذب ووصف الانسان بما ليس فيه من الفضايل والرذايل وقيل انهم القصاص
الذين يكذبون في قصصهم ويقولون ما يخطر ببالهم وفي تفسير علي بن ابرهيم انهم
يغيرون دين الله تعالى ويخالفون امره قال وهل رايتم شاعرا قط تبعه احد انما عنى
بذلك الذين وضعوا دينا بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك وروى العياشي بالاسناد
عن ابي عبد الله قال هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا واضلوا الم تر انهم
في كل واد يهيمون اي في كل فن من الكذب يتكلمون وفي كل لغو يخوضون يمدحون ويذمون
بالباطل عن ابن عباس وقتاده والمعنى انهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهايم
على وجهه في كل واد يعن له فيخوضون في كل فن من الكلام والمعاني التي تعن لهم
ويريدونها قالوا ذي مثل لصنوف الكلام وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون
من لغو وباطل وغلو في مدح وذم وانهم يقولون ما لا يفعلون اي يحثون على اشياء
لا يفعلونها وينهون عن اشياء يركبونها ثم استثنى من جملتهم فقال الا الذين امنوا

وعملوا الصالحات وهم شعراء المسلمين مثل عبد الله بن رواحه وكعب بن مالك وحسان
بن ثابت وسائر شعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وردوا هجاء
من هجاه وفي الحديث عن الزهري قال حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان كعب بن مالك
قال يا رسول الله ماذا يقول في الشعراء فقال ان المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذى
نفسي بيده لكانما ينضحونهم بالنبل وقال النبي صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت اهجهم او هاجهم
وروح القدس معك رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر
وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر من الثلاثة وذكروا الله كثيرا لم يشغلهم الشعر عن ذكر
الله ولم يجعلوا الشعر همهم فانتصروا من المشركين للرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنون
من بعد ما ظلموا قال الحسن انتصروا بما يجوز الانتصار به في الشريعة وهو نظير قوله لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم اي ردوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين ثم هدد
الضالين فقال وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون اي سوف يعلمون اي مرجع يرجعون
واي منصرف ينصرفون لان منصرفهم الى النار نعوذ بالله منها سورة النمل مكيه
عدد آيها خمس وتسعون آية حجازي اربع بصري شامي ثلث كوفي اختلافها آيتان واولوا
باس شديد حجازي من قوارير غير الكوفي فضلها ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله ومن قرا طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان
وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله
تفسيرها لما ختم سبحانه سورة الشعراء بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره ايضا
فقال بسم الله الرحمن الرحيم
طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب
وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم
اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس

لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان
الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك فلما رآها تهتز
كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون
عشر آيات القراءة قرا اهل الكوفة ورويس عن يعقوب بشهاب قبس منونا غير مضاف
وقرا الباقون بشهاب قبس مضاف الحجة ابو عبيدة الشهاب النار والقبس ما اقتبست
وانشد في كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس وقال غيره كل ذي نور
فهو شهاب قال ابو علي يجوز ان يكون قبس صفة ويجوز ان يكون اسما غير صفة فاما الصفة
فانهم يقولون قبسه قبسا والقبس الشيء المقبوس فاذا كان قبس صفة فالحسن ان يجري
على شهاب كما جرى على الموصوف في قوله شعر كانه ضرم بالكف مقبوس وان كان مصدرا
غير صفة حسنت فيه الاضافة ولا يحسن ذلك في الصفة لان الموصوف لا يضاف الى صفته
وقال ابو الحسن الاضافة اجود واكثر في القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب ودار آجر
كان عربيا قال ابو علي جعل ابو الحسن القبس فيه غير وصف الا ترى انه جعله بمنزلة الآجر
والذهب وليس واحد منهما صفة الاعراب هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على
الحال هادية ومبشرة والعامل فيهما معنى الاشارة والرفع على ثلثة اوجه على هدى وبشرى
وعلى البدل من آيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر ان بورك ان هي للعبارة لان النداء
فيه معنى القول يعني قيل له بورك ولا يجوز ان يكون مخففة من الثقيلة على تقدير انه
بورك لانه كان يكون لا بد من قد والهاء في انه ضمير الشان وانا الله مبتدا وخبر
والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك وان الق عصاك المعنى طس سبق تفسيره
في سورة تلك اشارة الى ما وعدوا بمجيئه من القرآن آيات القرآن وكتاب مبين اضاف الآيات
الى القرآن وآيات القرآن هي القرآن فهو كقوله انه لحق اليقين والقرآن والكتاب
معناهما واحد وصفه بصفتين ليفيد انه مما يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة وهو بمنزلة
الناطق بما فيه من الامرين جميعا ووصفه بانه مبين تشبيه له بالناطق بكذا ومعناه انه
يبين فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده واذا وصفه بانه بيان فانه يجري مجرى

وصفه له بالنطق بهذه الاشياء فظهور المعنى للنفس فى البيان هو الدلالة التى تتبين بها
الاشياء والمبين المظهر هدى وبشرى للمومنين اى هدى من الضلالة والى الحق
بالبيان الذى فيه والبرهان باللطف من جهة الاعجاز الدال على صحة امر النبى صلى الله
عليه وآله وبشرى للمومنين اى هدى بالجنة والثواب ويجوز ان يكون فى موضع نصب
على ان يكون تقديره هاديا ومبشرا ويجوز ان يكون فى موضع الرفع والتقدير هو
هدى وبشرى ثم وصف المومنين فقال الذين يقيمون الصلوة بحدودها وواجباتها
ويداومون عليها فى اوقاتها ويوتون الزكوة اى ويخرجون ما يجب عليهم من الزكوة
فى اموالهم الى من يستحقها وهم بالاخرة اى بالنشاة الاخرة والبعث والجزاء هم يوقنون
لا يشكون فيه ثم وصف من خالفهم فقال ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا اعمالهم
فهم يعمهون اختلف فى معناه فقيل ان المعنى زينا لهم اعمالهم التى امرناهم بها باحسن وجوه
التزيين والترغيب فهم يتحيرون بالذهاب عنها عن الحسن والجبائى وابى مسلم وقيل زينا لهم
اعمالهم بان خلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية الى فعل المعاصى ليجتنب المشتهى فهم يعمهون
عن هذا المعنى ويترددون فى الحيوة وقيل معناه حرمناهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم
فتزينت اعمالهم فى اعينهم وحليت فى صدورهم اولئك الذين زين لهم سوء العذاب
اى شدة العذاب وصعوبته وهم فى الاخرة هم الاخسرون اى لا احد اخسر صفقة منهم لانهم
يخسرون الثواب ويحصل لهم بدلا منه العقاب وانك يا محمد لتلقى القران اى لتعطى من لدن
حكيم فى امره عليم بخلقه اى من عند الله لان الملك يلقيه من قبل الله سبحانه وقيل معناه
لتلقن قال على بن عيسى عليم بمعنى عالم الا ان فى عليم مبالغة فهو مثل سامع وسميع لان قولنا
عالم يفيد ان له معلوما كما ان قولنا سامع يفيد ان له مسموعا واذا وصفناه بانه
عليم افاد انه متى يصح معلوم فهو عالم به كما ان سميعا يفيد انه متى وجد مسموع فلا بد
ان يكون سامعا اذ قال موسى لاهله قال الزجاج العامل فى اذ اذكر اى اذكر قصة موسى
اذ قال لاهله اى امراته وهى بنت شعيب انى انست اى ابصرت ورايت نارا ومنه اشتقاق
الانس لانهم مرئيون وقيل انست اى احسست بالشىء من جهة يونس بها وما انست به فقد

احسست به

احسست به مع سكون نفسك اليه سآتيكم منها بخبر معناه فالزموا مكانكم لعلى آتيكم
من هذه النار بخبر من الطريق واهتدى بها الى الطريق لانه كان اضل الطريق او آتيكم
بشهاب قبس اى بشعلة نار والشهاب نور كالعمود من النار وكل نور يمتد مثل العمود
يسمى شهابا وانما قال لامراته آتيكم على لفظه خطاب الجمع لانه اقامها مقام الجماعة فى الانس
بها والسكون اليها فى الامكنة الموحشة لعلكم تصطلون اى لكى تستدفئوا بها وذلك
لانهم كانوا قد اصابهم البرد وكانوا شاتين عن الحسن وقتاده فلما جاءها اى جاء موسى
الى النار يعنى التى ظن انها نار وهى نور نودى ان بورك من فى النار ومن حولها قال
وهب لما راى موسى النار وقف قريبا منها فراها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة
الخضرة لا تزداد النار الا اشتعالا ولا تزداد الشجرة الا خضرة وحسنا فلم تكن النار
بحرارتها تحرق الشجرة ولا الشجرة برطوبتها تطفى النار فعجب منها واهوى اليها بضغث
فى يده ليقتبس منها فمالت اليه فخافها فتاخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها
الى ان نودى والمراد به نداء الوحى ان بورك من فى النار ومن حولها اى بورك فيمن
فى النار وهم الملائكة وفيمن حولها يعنى موسى وذلك ان النور الذى راى موسى كان فيه
ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح ومن حولها هو موسى لانه بالقرب منها ولم يكن فيها
فكانه قال بارك الله على من فى النار وعليك يا موسى ومخرجه الدعاء والمراد الخبر
قال الكسائى يقول العرب باركه الله وبارك عليه وبارك فيه وقيل بورك من فى النار
ومعناه فى النار سلطانه وقدرته وبرهانه فالبركة ترجع الى اسم الله تعالى وتاويله
تبارك من نور هذا النور ومن حولها يعنى موسى عليه السلام والملائكة اذا دامت
البركة لموسى والملائكة وهذا تحية من الله سبحانه لموسى بالبركة كما حيى ابراهيم
بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالت رحمة الله وبركاته عليكم اهل
البيت ثم نزه سبحانه نفسه فقال وسبحان الله رب العالمين اى تنزيها له عما لا يليق
بصفاته من ان يكون جسما يحتاج الى جهة او عرضا يحتاج الى محل او يكون ممن يتكلم
باله ثم اخبر سبحانه موسى عن نفسه وتعرف اليه بصفاته فقال يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم

اى ان الذى يكلمك هو الله العزيز اى القادر الذى لا يغالب ولا يمتنع عليه شئ الحكيم فى افعاله
المحكم لتدابيره ثم اراه اية يعلم بها صحة النداء فقال والق عصاك وفى الكلام حذف
تقديره فالقاها فصارت حية فلما راها تهتز كانها جان اى تتحرك كما يتحرك
الجان وهو الحية التى ليست بعظيمة وانما شبهها بالجان فى خفة حركتها واهتزازها
مع انها ثعبان فى عظمها ولذلك هاله ذلك حتى ولى مدبرا وقيل ان الحالين مختلفان
لان الحال التى صارت ثعبان هى الحالة التى لقى فيها فرعون والحال التى صارت
جانا هى الحال التى خاطبها الله فى اول ما بعثه نبيا وولى مدبرا اى رجع الى ورائه ولم يعقب
اى لم يرجع وكل راجع معقب والمفسرون يقولون لم يلتفت ولم يقف فقال الله يا موسى
لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون وهذا تسكين من الله سبحانه لموسى ونهى له عن الخوف
يقول له انك مرسل والمرسل لا يخاف لانه لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب فيخاف عقابا على ذلك
قوله عز وجل إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ وَأَدْخِلْ يَدَكَ
فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا
وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ اربع آيات
القراة فى الشواذ قراة زيد بن اسلم وابى جعفر القارى الا من ظلم بفتح الهمزة خفيفة اللام
وقرأ على بن الحسين عليهما السلام وقتاده مبصرة بفتح الميم والصاد الحجة قال ابن جنى عدل
الى هذه القراة فكانه خفا عليه انقطاع الاستثناء فى القراة الفاشية فان من فى هذه
القراة فى موضع رفع بالابتداء او تكون للشرط كقولك من يقم اضرب ومن هناك
منصوبة على الاستثناء وهو استثناء منقطع بمعنى لكن وقوله مبصرة كقولك
هدى ونور وقد كثرت المفعلة بمعنى الشياع فالكثرة فى الجواهر والاحداث
جميعا كقولهم ارض مضبة كثيرة الضباب ومفعاة كثيرة الافاعى ومحياة ومحواة
كثيرة الحياة هذا فى الجواهر فاما الاحداث فكقولك البطنة موسنة واكل الرطب
موردة محمه ومنه المسعاة والمعلاة والحق مجدرة بك ومخلقة وفى كله معنى الكثرة

من موضعين

من موضعين احدهما المصدرية التى فيه والمصدر الى الشياع والعموم والاخر الثانى
وهى لمثل ذلك الاعراب بيضاء منصوبة على الحال ومن غير سوء يتعلق ببيضاء وفى
تسع ايات يتعلق بالق وادخل يدك ومعناه القاء العصاء وادخال اليد فى جيبك
من جملة الايات التسع التى يظهرها له الى فرعون يتعلق بمحذوف والتقدير مرسلا
الى فرعون فهو فى موضع الحال وظلما وعلوا مفعول له وكيف فى موضع نصب بانه خبر
كان المعنى ثم قال سبحانه الا من ظلم المعنى لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين
لان الانبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب والقبائح فيكون هذا
استثناء منقطع وانما حسن ذلك الاجتماع الانبياء وغيرهم فى معنى شملهم وهو التكليف
ثم بدل حسنا بعد سوء اى تاب توبة وندما على ما فعله من القبيح وعزما ان لا يعود اليه
فى المستقبل فانى غفور رحيم اى ساتر لذنبه قابل التوبته وادخل يدك فى جيبك تخرج
بيضاء من غير سوء اعطاه اية اخرى وقد سبق بيانها فى تسع ايات اى مع تسع ايات
اخر انه مرسل بها الى فرعون وقومه فحذف او يكون تقديره مرسلا بها الى فرعون ومبعوثا
اليه ومثله قول الشاعر شعر رايتنى بحبلها فصدت مخافة ؛ وفى الحبل روعاء
الفواد فروق ؛ والتقدير اى مثلا بحبلها وقال الزجاج فى تسع ايات معناه من تسع
ايات اى اظهرها تين الايتين من جملة تسع ايات كقولهم خذ لى عشرا من الابل فيها
فحلان والمعنى فيها فحلان والايات التسع مفسرة فى سورة بنى اسرائيل انهم كانوا
قوما فاسقين اى خارجين عن طاعة الله الى القبح وجوه الكفر فلما جاءتهم
اياتنا اى حججنا ومعجزاتنا مبصرة اى واضحة بينه على من ابصرانها خارجة
من قدرة البشر وهو مثل قوله واتينا ثمود الناقة مبصرة وقد مر بيانه قالوا
هذا سحر مبين اى ظاهر بين وجحدوا بها اى انكروها ولم يقروا بها من عند
الله تعالى وقال ابو عبيده الباء زائدة والمعنى جحدوها كما قال العجاج مصراع نضرب
بالسيف ونرجوا بالفرج ؛ واستيقنتها انفسهم اى عرفوها وعلموها يقينا بقلوبهم
وانما جحدوها بالسنتهم ظلما على بنى اسرائيل وقيل ظلما على انفسهم وعلوا اى طلبا للعلو

والرفعة وتكبرا عن ان يومنوا بما جاء به موسى فانظر يا محمد وايها السامع كيف
كان عاقبة المفسدين فى الارض بالمعاصى قوله عز وجل وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ
دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا
لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ
لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ
رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ خمس آيات اللغة الوزع اصله المنع والكف
يقال وزعه عن الظلم قال النابغة ـ على حين عاتبت المشيب على الصبا ؛ وقلت الما تصح
والشيب وازع ؛ وقال الاخر ـ الم تزع الهوى اذ لم يواتى ؛ بلى وسلوت عن طلب الوفاة ؛
والحطم الكسر ومنه الحطمة من اسماء جهنم والحطام ما تحطم والايزاع الالهام وفلان موزع بكذا
اى مولع به قال الزجاج تاويله فى اللغة كفنى عن الاشياء الا عن شكر نعمتك وكفنى عما يباعد منك
الاعراب لا يحطمنكم فى موضع نصب جزم لانه جواب الامر قال الزجاج ضاحكا حال موكدة لان تبسم فى معنى
ضحك وقال بعض المتاخرين يجوز ان يكون حالا بعد الفراغ من الفعل لان التبسم دون الضحك
فكانه تبسم اولا ثم آل امره الى الضحك المعنى ثم عطف على قصة موسى قصة داود وسليمان
عليهما السلام فقال سبحانه ولقد آتينا داود وسليمان علما اى علما بالقضاء بين الخلق وبكلام الطير
والدواب عن ابن عباس وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المومنين اى اختارنا
من الخلق بان جعلنا انبياء بالمعجز والملك والعلم الذى آتاناه وبالايات الهادية وتسخير
الشياطين والجن والانس وانما نكر قوله علما لكنه على انه اراد علما احتياجا اليه مما ينبئ عن صدقهما
فى دعوى الرسالة وورث سليمان داود فى هذا دلالة على ان الانبياء يورثون المال كتوريث
غيرهم وهو قول الحسن وقيل معناه انه ورثه علمه ونبوته وملكه دون سائر اولاده ومعنى الميراث
هنا انه قام مقامه فى ذلك فاطلق عليه اسم الارث كما اطلق على الجنة اسم الارث عن الجبائى وهذا خلاف

للظاهر والصحيح عند اهل البيت عليهم السلام هو الاول وقال سليمان يظهر النعم الله وشاكرا اياها
يا ايها الناس علمنا منطق الطير اهل العربية يقولون لا يطلق النطق على غير بنى آدم وانما قالت
الصوت لان المنطق عبارة عن الكلام ولا كلام للطير الا انه لما فهم سليمان معنى صوت الطير
سماه منطقا مجازا وقيل انه اراد حقيقة المنطق لان من الطير ما له كلام مهجى كالطوطى وقال
المبرد العرب يسمى كل مبين عن نفسه ناطقا ومتكلما قال روبة لو اننى اعطيت علم الحكل
علم سليمان كلام النمل والحكل ما لا يسمع له صوت وقال على بن عيسى ان الطير كانت تكلم الناس
معجزة له كما اخبر عنه الهدهد ومنطق الطير صوت سماهم به معانيها على صيغة واحدة
بخلاف منطق الناس الذى يتفاهمون به المعانى على صيغ مختلفة ولذلك لم تفهم عنها
مع طول مصاحبتها ولم تفهم هى عنا لان افهامها مقصورة على تلك الامور المخصوصة
ولما جعل تفهم عنها كان قد علم منطقها واوتينا من كل شئ اى من كل شئ يوتى الانبياء
بالملوك لنا او مسخر لنا غير انه مخرجه مخرج العموم ليكون ابلغ واحسن وروى الواحدى
بالاسناد عن محمد بن جعفر بن محمد عن ابيه عليهم السلام قال اعطى سليمان بن داود ملك مشارق
الارض ومغاربها فملك سبعماية سنة وستة اشهر ملك اهل الدنيا كلهم من الجن والانس
والشياطين والدواب والطير والسباع واعطى علم كل شئ وفى زمانه صنعت الصنايع
المعجبة التى سمع بها الناس وذلك قوله علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ ان هذا
لهو الفضل المبين اى هذا فضل الله الظاهر الذى لا يخفى على احد وهذا قول سليمان على وجه
الاعتراف بنعم الله عليه ويحتمل ان يكون من قول الله سبحانه على وجه الاخبار بان ما ذكره
هو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده اى جمع له جموعه وكل خلق من الخلق جند على حدة
بدلالة قوله من الجن والانس والطير قال المفسرون وكان سليمان اذا اراد سفرا امر فجمع له
طوائف من هولاء الجنود على بساط ثم يامر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى وحشر
لسليمان جنوده اى جمع له جموعه فى مسير له وقال محمد بن كعب بلغنا ان سليمان بن داود
كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون
للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثماية مهرية وسبعماية

مرية فيامر الريح العاصف فترفعه ويامر الرخاء فتسير به فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين
السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لا يتكلم احد من الخلايق بشىء الا جاءت الريح فاخبرتك
وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان عليه السلم بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان
يوضع فيه منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة الف كرسى من ذهب
وفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضه وحولهم الناس
وحول الناس الجن والشياطين وتظلها الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع
ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح
فهم يوزعون اى يمنع اولهم على اخرهم عن ابن عباس ومعنى ذلك ان على كل صنف من جنوده
وزعة تردّ اولهم على اخرهم لئلا يتقدموا ولا يتفرقوا كما يقوم الجيوش اذا كثرت بمثل ذلك
وهو ان يدفع اخراهم ويوقف اولاهم وقيل معناه يحبسون عن ابن زيد وهو مثل
الاول فى انه يحبس اولاهم على اخراهم حتى اذا اتوا على وادى النمل اى فار سليمان وجنوده حتى
اشرفوا على وادوهم بالطائف عن كعب وقيل هو بالشام عن قتاده ومقاتل قالت نملة اى صاحت
بصوت خلقه الله لها ولما كان الصوت مفهوما لسليمان عبر عنه بالقول وقيل كانت
رئيسة النمل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم اى لا يكسرنكم سليمان وجنوده وهم لا
يشعرون بحطمكم ووطيكم فانهم لو علموا بمكانكم لم يطاوكم وهذا يدل على ان سليمان
وجنوده كانوا ركبانا ومشاة على الارض ولم تحملهم الريح لان الريح لو حملتهم بين السماء و
الارض لما خافت النمل ان يطاوها بارجلهم ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح
لسليمان عليه السلم فان قيل كيف عرفت النملة سليمان وجنوده حتى قالت هذه المقالة قلنا
اذا كانت مامورة بطاعته فلا بد ان يخلق لها من الفهم ما يعرف به امور طاعته
ولا يمتنع ان يكون لها من الفهم ما تدرك به ذلك وقد علمنا انه تسوق ما يجمع من
الحبوب بنصفين مخافة ان يصيبها الذى تنبت الا الكزبرة فانه تكسرها باربع قطع
لانها تنبت اذا شقت بنصفين فمن هداها الى هذا فانه جل جلاله يهديها الى تميز
ما يحطمها مما لا يحطمها وقيل ان ذلك كان منها على سبيل المعجزة الخارق للعادة لسليمان ع

عليه السلام قال

قال ابن عباس فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه فتبسم سليمان ضاحكا من قولها
وسبب ضحك سليمان التعجب وذلك ان الانسان اذا راى ما لا عهد له به تعجب وضحك وقيل
انه تبسم بظهور عدله حيث بلغ عدله فى الظهور مبلغا عرفه النمل وقيل ان الريح اطارت
كلامها اليه من ثلثة اميال حتى سمع ذلك وانتهى اليها وهى تامر النمل بالمبادرة فتبسم من حذرها
قال رب اوزعنى اى الهمنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على بان علمتنى منطق النمل واسمعتنى قولها
من بعيد حتى امكننى الكف واكرمتنى بالنبوة والملك وعلى والدى اى وانعمت على والدى
بان اكرمه بالنبوة وفصل الخطاب والنت له الحديد وعلى والدتى بان زوجها منك
وجعل النعمة عليها نعمة لله سبحانه عليه لزمه شكرها وان اعمل صالحا ترضاه اى ووفقنى لان
اعمل صالحا فى المستقبل برضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين قال ابن عباس
يعنى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين اى ادخلنى فى جملتهم
واثبت اسمى مع اسمائهم واحشرنى فى زمرتهم وقال ابن زيد فى عبادك معناه مع
عبادك قال الزجاج لفظ ادخلوا كلفظ ما يعقل لان النمل هنا اجرى مجرى الادميين
حين نطق كما ينطق الادميون ويقال لما لا يعقل ادخلوا وفى الخبر دخلت ودخلن وروى
ان نمل سليمان هذا كامثال الذباب وفى الكلاب قوله عز وجل وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ وَقَالَ
مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْ
بَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ
بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا
لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ
اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سبع آيات القراة قرا ابن كثير اوليأتيننى
بالنونين اولاهما مشددة مفتوحة والباقون بنون واحدة مشددة وقرا عاصم
ويعقوب فمكث بفتح الكاف والباقون بضم الكاف وقرا ابو عمرو وابن كثير فى رواية البزى

من سباء بفتح الهمزة وقراء ابن كثير في رواية القواس وابن فليح من سباء بغير همز وقرأ
الباقون من سبأ مجرور منونه ومثله سواء في سورة سبأ ولقد كان لسباء وقراء
ابو جعفر والكسائي ورويس عن يعقوب الا يسجدوا خفيفه اللام وقراء الباقون الا
يسجدوا مثل قوله ان لا ومن خفف وقف على الا يا وابتداء اسجدوا وقراء الكسائي
وحفص عن عاصم ما تخفون وما تعلنون بالتاء والباقون بالياء الحجة من قراء
لياتيني حذف النون الثانية التي هي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات ومن قراء لياتينني
فهو على الاصل ومكث لغتان ومما يقوى الفتح قوله انكم ماكثون فيه ابدا وقال سيبويه
ثمود وسبا مرة للقبيلتين ومرة للحيين قال ابو علي يريد ان هذه الاسماء منها ما جاء
على انه اسم الحي نحو معد وقريش وثقيف ومنها ما يستوي فيه الامران كثمود وسبا وقال
ابو الحسن في سبا ان شئت صرفت فجعلته اسم ابيهم او اسم الحي وان شئت لم تصرف فجعلته
اسم القبيلة قال والصرف اعجب الي لانه قد عرف انه اسم ابيهم وان كان اسم الاب يصير
كالقبيلة الا اني اجمله على الاصل وقال غيره هو اسم رجل واليمانية كلها تنسب اليه يقولون سبا
بن يشجب بن يعقوب بن قحطان قال الزجاج من قال ان سبا اسم رجل فغلط لان سبا هي مدينة
تعرف بمارب من اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلثة ايام قال الشاعر شعر من سباء الحاضرين
مارب اذ يبنون من دون سيله العرما فمن لم يصرف فلانه اسم مدينة ومن صرفه
فلان يكون اسما للبلد قال جرير شعر الواردون وهم في ذرى سباء قد عض اعناقهم
جلد الجواميس ومن قراء ان لا يسجدوا فالتقدير فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا
على انه مفعول له قال ابو علي وهذا الوجه ليجري القصة على سننها ولا يفصل بين بعضها
وبعض ما ليس منها وان كان الفصل بهذا النحو غير ممتنع لانه يجري مجرى الاعتراض
فكانه لما قيل فزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون
فدل هذا الكلام على انهم لا يسجدون لله قال الا يا قوم اسجدوا لله خلافا عليهم
ووجه دخول حرف التنبيه على الامر انه موضع يحتاج فيه الى استعطاف المامور
لتاكيد ما يومر به عليه كما ان النداء موضع يحتاج فيه الى استعطاف المنادي

لما ينادي له من اخبار او امر او نهي ونحو ذلك مما يخاطب به واذا كان كذلك فيجوز ان لا يريد
منادى في نحو قولك الا يسجدوا كما يريد المنادى في نحو قوله شعر يا لعنة الله والاقوام كلهم
والصالحين على سمعان من جار وكذلك ما حكي عن ابن عمرو من قوله يا ويل له ويجوز
ان يراد بعد يا مامورون فحذفوا كما حذف في قوله يا لعنة الله فكما ان يا ههنا لا يجوز
ان يكون الا لغير اللعنة كذلك يجوز ان يكون المامورون مرادين وحذفوا من اللفظ
وقد جاء في مواضع من الشعر فمن ذلك ما انشده شعر الا يا اسلمي يا دارمي على البلى
ولا زال منهلا بجرعائك القطر وللاخطل شعر الا يا اسلمي يا هند هند بني بدر وان كان
حيانا عدى اخر الدهر ومما يؤكد قراءة الا يسجدوا بالتشديد انها لو كانت مخففة
لما كانت في يسجدوا ياء لانها اسجدوا ففي ثبات الياء في المصحف دلالة على التشديد
ومن قرا يخفون ويعلنون بالياء فلان الكلام على الغيبة وقراءة الكسائي فيهما بالتاء
لان الكلام قد دخله خطاب على قوله اسجدوا لله ومن قرا الا يسجدوا فيجوز ان يكون
الخطاب للمؤمنين والكافرين الذين جرى ذكرهم على لفظ الغيبة كان ابو عمرو يسكن الياء
في قوله ما لي لا ارى الهدهد ويفتح في قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني ليلا يقف الوقف
على ما لي ويبتدي بلا اعبد ولا ارى في موضع نصب على الحال كان من الغائبين
وكان بمعنى يكون واللام في لاعذبنه جواب قسم مقدر اي والله لاعذبنه غير
بعيد منصوب لانه صفة ظرف وصفة مصدر تقديره فمكث وقتا غير بعيد او مكثا
غير بعيد ويسجدون في موضع نصب على الحال من وجدت المعنى ثم اخبر سبحانه
عن سليمان فقال وتفقد الطير اي طلبه عند غيبته فقال ما لي لا ارى الهدهد
اي ما للهدهد لا اري تقول العرب ما لي اراك كئيبا ومعناه ما لك ولكنه من القلب
الذي يوضحه المعنى واختلف في سبب تفقد الهدهد فقيل انه احتاج اليه في سفره
ليدله على الماء لانه يقال انه يرى الماء في بطن الارض كما يراه في القارورة عن ابن
عباس وروى العياشي بالاسناد قال قال ابو حنيفة لابي عبد الله عليه السلم كيف تفقد
سليمان الهدهد من بين الطير قال لان الهدهد يرى الماء في بطن الارض كما يرى احدكم

الدهن في القارورة فنظر ابو حنيفة الى اصحابه وضحك قال ابو عبد الله ما يضحكك قال ظفرت
بك جعلت فداك وكيف ذلك قال الذي يرى الماء في بطن الارض لا يرى الفخ في التراب حتى ياخذ
بعنقه قال ابو عبد الله يا نعمن اما علمت انه اذا نزل القدر عشي البصر وقيل انما تفقده لاخلاله
نوبته عن وهب وقيل كانت الطيور تظله في الشمس فلما اخل الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه
ام كان من الغائبين معناه اتاخر عصيانا ام غاب لعذر وحاجة قال المبرد لما تفقد
سليمان الطير ولم ير الهدهد قال ما لي لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده
وهو يراه ثم ادركه الشك فشك في غيبته عن ذلك الجمع بحيث لم يره فقال ام كان
من الغائبين بل كان من الغائبين كانه ترك الكلام الاول واستفهم عن حاله وغيبته
فقال لاعذبنه عذابا شديدا معناه لاعذبنه بنتف ريشه والقائه في الشمس عن
ابن عباس وقتاده ومجاهد وقيل بان اجعله بين اضداده كما صح نطق الطير وتكليفه
في زمانه معجزة له جازت معاقبته على ما وقع في تقصير فانه كان مامورا بطاعته
فاستحق العقاب على غيبته او لاذبحنه او لاقطعن حلقه عقوبة له على عصيانه
او ليأتيني بسلطان اي بحجة واضحة يكون عذرا له في الغيبة فمكث غير بعيد اي فلم
يلبث سليمان الا زمانا يسيرا حتى جاء الهدهد وقيل معناه فلبث الهدهد في غيبته
قليلا ثم رجع وعلى هذا فيجوز ان يكون التقدير فمكث في مكان غير بعيد قال ابن عباس
فاتاه الهدهد بحجة فقال احطت بما لم تحط به اي اطلعت على ما لم تطلع عليه وجئتك
بامر لم يخبرك به احد ولم تعلم به الانس وبلغت ما لم تبلغه انت ولا جنودك وهو
قوله وجئتك من سبأ بنبأ يقين اي بخبر صادق وعلم الاحاطة هو ان يعلم
الشيء من جميع جهاته التي يمكن ان يعلم عليها تشبيها بالسور المحيط بما فيه وفي الكلام
حذف وتقديره ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن غيبته فقال احطت بما لم تحط
به وفي هذا دلالة على انه يجوز ان يكون في زمن الانبياء من يعرف ما لا يعرفونه وسبأ
مدينة بارض اليمن عن قتاده وقيل ان الله تعالى بعث الى سبأ اثني عشر نبيا عن
السدي وروى علقمة بن وعلة عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه واله

عن سبأ فقال هو رجل ولد له عشرة من العرب تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة فالذين تشاءموا
لخم وجذام وغسان وعاملة والذين تيامنوا كندة والاشعرون والازد ومذحج وحمير
وانمار ومن الانمار خثعم وبجيلة اني وجدت امرأة تملكهم اي تتصرف فيهم بحيث لا يعترض
عليها احد واوتيت من كل شيء وهذا اخبار عن سعة ملكها اي من كل شيء من الاموال
وما يحتاج اليه الملوك من زينة الدنيا قال الحسن وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ
وقيل شرحيل ولدها اربعون ملكا اخرهم ابوها قال قتاده وكان اولوا مشورتها
ثلثمائة واثني عشر قيلا كل قيل منهم تحت رايته الف مقاتل ولها عرش عظيم اي سرير اعظم
من سريرك وكان مقدمه من ذهب مرصع بالياقوت الاحمر والزمرد الاخضر ومؤخره
من فضة مكلل بالوان الجواهر وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق وعن ابن عباس
قال كان عرشها ثلثين ذراعا في ثلثين ذراعا وطوله في الهواء ثلثون ذراعا وقال ابو مسلم
المراد بالعرش الملك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
اعمالهم اي عبادتهم للشمس فصدهم عن السبيل اي صرفهم عن سبيل الحق فهم لا يهتدون
قال الجبائي لم يكن الهدهد عارفا بالله تعالى وانما اخبر بذلك كما يخبر مراهقوا
صبياننا لانه لا تكليف الا على الملائكة والانس والجن فيرانا الصبي على عبادة الله ويعلم ان
ما خالفها باطل فكذلك الهدهد تصور له ان ما خالف فعل سليمان باطل وهذا الذي
ذكره خلاف ظاهر القرآن لانه لا يجوز ان يفرق بين الحق الذي هو السجود لله وبين الباطل
الذي هو السجود للشمس وان احدهما حسن والاخر قبيح الا العارف بالله سبحانه وبما يجوز عليه
وما لا يجوز وهذا من نسبة تزيين اعمالهم وصدهم عن طريق الحق الى الشيطان وهذا
مقالة من يعرف العدل وان القبيح غير جائز على الله تعالى الا يسجدوا لله قد بينا
ان التخفيف انما هو على معنى الامر بالسجود ودخلت يا للتنبيه او على تقدير الا يا قوم اسجدوا
لله وقيل انه امر من الله تعالى لجميع خلقه بالسجود له اعتراض في الكلام وقيل انه من كلام
الهدهد قاله لقوم بلقيس حين وجدهم يسجدون لغير الله او قاله لسليمان عند
عوده اليه استنكارا لما وجدهم عليه وفي القراءة بالتشديد على معنى زين لهم الشيطان ضلالتهم

ليلا يسجد والله وذكر القرآن القراة بالتشديد لا توجب سجدة التلاوة وهذا غير صحيح
لان الكلام قد تضمن الذم على ترك السجود فيكون فيه دلالة على وجوب السجود وهو كقوله
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الاية الذي يخرج الخبء في السموات والارض
الخبء المخبوء وكل ما احاط به غيره حتى منع من ادراكه وهو مصدر وصف به يقال خبأته اخبأه
وما يوجده الله تعالى فيخرجه من العدم الى الوجود يكون بهذه المنزلة وقيل الخبء الغيب
وهو كل ما غاب عن الادراك فالمعنى يعلم غيب السموات والارض عن عكرمة ومجاهد وقيل
ان خبء السموات المطر وخبء الارض النبات والاشجار عن ابن زيد ويعلم ما تخفون وما
تعلنون اي يعلم السر والعلانية الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الى ههنا تمام الحكاية لما قاله
الهدهد ويحتمل ان يكون ابتداء اخبار من الله والعرش سرير الملك الذي عظمه الله
ورفعه فوق السموات السبع وجعل الملائكة تحف به وترفع اعمال العباد اليه وتنشأ
البركات من جهته فهو عظيم الشأن كما وصفه الله تعالى وهو اعظم خلق الله تعالى قوله عز وجل
قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ
عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ
وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ خمس آيات القراءة
في الشواذ ما رواه وهب عن ابن عباس قال الا تغلوا بالغين معجمة من الغلو المعنى ولما سمع
سليمان ما اعتذر به الهدهد في تأخره قال عند ذلك قال سننظر اصدقت في قولك
الذي اخبرتنا به ام كنت من الكاذبين وهذا الطف في الخطاب من ان يقول ام كذبت
لانه قد يكون من الكاذبين بالميل اليهم وقد يكون منهم بالقرابة منهم بان يكذب كما كذبوا
ثم كتب سليمان كتابا وختمه بخاتمه ودفعه اليه فذلك قوله اذهب بكتابي هذا
فالقه اليهم يعني الى اهل سبا ثم تول عنهم اي استتر قريبا منهم بعد القاء الكتاب
اليهم فانظر ماذا يرجعون عن وهب بن منبه وغيره وقيل انه على التقديم والتأخير
والتقدير فانظر ماذا يرجعون اي ماذا يردون من الجواب ثم تول عنهم لان التولي
عنهم بعد الجواب عن مقاتل وابن زيد والجبائي وابي مسلم والاول اوجه لان الكلام

اذا صح

اذا صح من غير تقديم وتأخير كان اولى وفي الكلام حذف وتقدير فمضى الهدهد بالكتاب
والقاه اليهم فلما رأته بلقيس قالت لقومها يا ايها الملأ اي الاشراف اني القي الي كتاب
كريم قال قتادة اتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فالقى الكتاب على نحرها
فقرأت الكتاب وقيل كانت لها كوة مستقبلة للشمس تقع الشمس عند ما تطلع فيها
فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد الى الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس
ولم تعلم فقامت تنظر فرمى بالكتاب اليها عن وهب وابن زيد فلما اخذت الكتاب جمعت
الاشراف وهم ثلثمائة واثنا عشر قيلا ثم قالت لهم اني القي الي كتاب كريم سمته كريما لانه
كان مختوما عن ابن عباس ويؤيده الحديث اكرام الكتاب ختمه وقيل وصفته بالكريم
لانه صدره ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل لحسن خطه وجودة لفظه وبيانه وقيل لانه
ممن يملك الانس والجن والطير وقد كانت سمعت بخبر سليمان فسمته كريما لانه من كريم
رفيع الملك عظيم الجاه انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم معناه ان الكتاب
من سليمان وان المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين فان هذا
القدر جملة ما في الكتاب وقيل انما استفتح ببسم الله الرحمن الرحيم سليمان عليه السلام
ولم تعرفه هي ولا قومها وقيل ان هذا حكاية ما قالته على المعنى باللغة العربية وان لم
تقل هي بهذا اللفظ والحكاية على ثلثة اوجه حكاية على المعنى فقط وحكاية على اللفظ فقط
ممن حكاه من غير ان يعلم معناه وحكاية على اللفظ والمعنى وهو الاصل في الحكاية التي
لا يجوز العدول عنها الا بقرينة وموضع ان لا تعلوا يجوز ان يكون رفعا بالبدل
من كتاب ويجوز ان يكون نصبا على المعنى بان لا تعلوا والصحيح ان ان في مثل هذا
الموضع بمعنى اي على ما قاله سيبويه في نحو قوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا اي امشوا
ومعناه لا تترفعوا ولا تتكبروا علي واتوني مسلمين اي منقادين طائعين لامري
فيما ادعوكم اليه وقيل مسلمين ومؤمنين بالله تعالى ورسوله مخلصين في التوحيد
قال قتادة وكذا كانت الانبياء تكتب كتبها موجزة مقصورة على الدعاء الى الطاعة
من غير بسط قوله عز وجل قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً

أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي
مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا
أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ
الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا
آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ
بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ست آيات القراة قراء حمزة ويعقوب
واتمدونى بنون واحدة مشددة على الادغام والباقون بنونين مظهرين
الاعراب حتى تشهدون انتصب تشهدوا باضمار ان والنون فيه نون عماد
فلما جاء سليمان فاعل جاء الضمير المستكن فى الراجع الى مفعول مرسلة المحذوف
لان تقديره انى مرسلة رسولا اذلة نصب على الحال وهم صاغرون جملة فى موضع
الحال معطوفة على اذلة المعنى والقصة ولما وقفت بلقيس على كتاب سليمان قالت
لاشراف قومها يا أَيُّهَا الْمَلَأُ افتونى فى امرى اى اشيروا بالصواب والفتيا والفتوى
الحكم بما فيه صواب بدلا من الخطاء وهو الحكم بما يعمل عليه فجعلت المشورة هنا فتيا
ماكنت قاطعة امرا اى ماكنت ممضية امرا حتى تشهدون اى تحضرون تريد
الا بحضرتكم ومشورتكم وهذا ملاطفة منها لقومها فى الاستشارة منهم لما تعمل
عليه قالوا لها فى الجواب عن ذلك نحن اولوا قوة اى اصحاب قوة وقدرة واهل عدد
واولوا باس شديد اى واصحاب شجاعة شديدة والامر اليك اى ان الامر مفوض
اليك فى القتال وتركه فانظرى ماذا تامرين اى ما الذى تامرينا به لنتمثله
فان امرت بالصلح صالحنا وان امرت بالقتال قاتلنا قالت مجيبة لهم عن التعريض
بالقتال ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اى اذا دخلوا عنوة عن قتال
وغلبة اهلكوها وخربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اى اهانوا اشرافها وكبراها
كى يستقيم لهم الامر والمعنى انها حذرتهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وانتهى
الخبر عنها وصدقها الله فيما قالت فقال وكذلك اى وكما قالت هى يفعلون وقيل

ان الكلام متصل بعضه ببعض وكذلك يفعلون من قوله وانى مرسلة اليهم بهدية
اى الى سليمان وقومه بهدية اصانعه بذلك عن ملكى فناظرة اى منتظرة بم يرجع
المرسلون بقبول ام رد وانما فعلت ذلك لانها عرفت عادة الملوك فى حسن موقع الهدايا
عندهم وكان غرضها ان تتبين لها بذلك انه ملك او نبى فان قبل الهدية تبين انه ملك عندها
ما ترضيه وان ردها تبين انه نبى واختلف فى الهدية وقيل اهدت اليه وصفا ووصايف
البستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من انثى عن ابن عباس وقيل اهدت مائتى غلام
ومائتى جارية البست الغلمان لباس الجوارى والبست الجوارى لبسة الغلمان عن مجاهد
وقيل اهدت اليه صفايح الذهب فى اوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان امر الجن فموهوا
له الاجر بالذهب ثم امر به فالقى فى الطريق فلما جاؤا راوه ملقى فى الطريق فى كل مكان فلما راوا
ذلك صغر فى اعينهم ما جاؤا به عن ثابت البنانى وقيل عمدت الى خمسماية غلام وخمسماية
جارية فالبست الجوارى الاقبية والمناطق والبست الغلمان فى سواعدهم اساور من ذهب
وفى اعناقهم اطواقا من ذهب وفى اذانهم اطراقا وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر
وحملت الجوارى على خمسماية رمكة والغلمان على خمسماية برذون على كل فرس لجام من ذهب
مرصع بالجواهر وبعثت اليه خمسماية لبنة من ذهب وخمسماية لبنة من فضة وتاجا مكللا
بالدر والياقوت المرتفع وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة يتيمة غير منقوبة وخرزة
جزعية منقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمت
اليه رجالا من قومها اصحاب راى وعقل وكتبت اليه كتابا بنسخة الهدية قالت فيها ان كنت
نبيا فميز بين الوصفا والوصايف واخبرنا بما فى الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا
وادخل الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وقالت للرسول انظر اليه ان دخلت عليه
فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك امره فانا اعز منه وان نظر اليك
نظر لطف فاعلم انه نبى مرسل فانطلق الرسل بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان
فاخبره الخبر فامر سليمان ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا فامرهم
ان يبسطوا من موضع هو فيه الى اربع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة

وان يجعلوا حول الميدان حايطا شرفها من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال للجن علي باولادكم
فاجتمع خلق كثير فاقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع
اربعة الاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين ان يصفوا صفوفا
فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وامر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا
فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان فنظروا الى ملك سليمان تقاصرت
اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر اليهم نظرا
بوجه طلق وقال ما وراكم فاخبره رييس القوم بما جاوا له واعطاه كتاب الملكة
فنظر فيه وقال اين الحقة فاتي بها فحركها وجاءه جبرئيل فاخبره بما في الحقة فقال ان فيها
درة يتيمة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فانقب الدرة
وادخل الخيط في الخرزة فارسل سليمان الى الارضة فجاءت فاخذت شعرة في فيها
فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة
بيضاء انا لها يا رسول الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت
من الجانب الاخر ثم ميز بين الجواري والغلمان بان امرهم بان يغسلوا وجوههم وايديهم
فكانت الجارية تاخذ الماء من الانية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب
به الوجه والغلام كان ياخذ من الانية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن
ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام
يحدر الماء على يده حدرا فميز بينهم بذلك هذا كله مروي عن وهب وغيره وقيل انها
انفذت مع هداياها عصا كان يتوارثها ملوك حمير وقالت اريد ان تعرفني
راسها من اسفلها وبقدح ماء وقالت يملاء ماء رواء ليس من الارض ولا من السماء
فارسل سليمان العصا الى الهواء وقال اي الراسين سبق الى الارض فهو اصلها
وامر بالخيل فاجريت حتى عرقت وملاء القدح من عرقها وقال ليس هذا من ماء الارض
ولا من ماء السماء فلما جاء سليمان اي فلما جاء الرسول سليمان قال اتمدونن بمال
اي تزيدونني مالا وهذا استفهام انكار يعني انه لا يحتاج الى مالهم فما اتاني الله خير

مما اتاكم

مما اتاكم اي ما اعطاني الله من الملك والنبوة والحكمة خير مما اعطاكم من الدنيا واموالها
بل انتم بهديتكم تفرحون اذا اهدى بعضكم الى بعض واما انا فلا افرح بها اشار الى قلة
اكتراثه باموال الدنيا ثم قال سليمان للرسول ارجع اليهم بما جئت به من الهدايا
فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعها ولنخرجنهم
منها اذلة اي من تلك القرية ومن تلك المملكة وقيل من ارضها وملكها وهم صاغرون
اي ذليلون صغير والقدر ان لم ياتوني مسلمين فلما رد سليمان عليه السلم الهدية
وميز بين الغلمان والجواري الى غير ذلك علموا انه نبي مرسل وانه ليس كالملوك الذين
يفتتنون بالمال قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ
قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا
رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي
أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ
وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا
كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ
عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ
مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سبع ايات القراة في الشواذ قراة ابي رجاء وعيسى
الثقفي عفرية لجة والمعنى معنى العفريت يقال رجل عفرية نفرية اي خبيث داه قال
ذو الرمة كانه كوكب في اثر عفرية مسود في سواد الليل منقضب واصل العفريت والعفرية
من العفر وهو التراب لانه يفرع قرنه في العفر ومنه قيل للاسد عفرني وللناقة الشديدة
عفرناة قال الاعشى شعر بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من ان
اقول لعا اللغة التنكير تغيير الشيء الى حال ينكرها صاحبها اذا راه والصرح القصر
وكل بناء مشرف مسند صرح وصرحة الدار ساحتها وقاعتها صحنها واصله من الفصوح

يقال صرح بالامر اي كشفه واوضحه وضوح بالتشديد لانهم قصدوا للجة معظم الماء والجمع
لجج ولج البحر خلاف الساحل ومنه لج في الامر اذا بالغ بالدخول والمرد والمملس ومنه الامرد وشجرة
مرداء اي لا ورق عليها والمارد المتلبس على الحق الخارج عنه المعنى والقصة فلما رجع اليها الرسول
وعرفت انه نبي وانها لا تقاومه فتجهزت للمسير اليه واخبر جبرئيل سليمان انها خرجت
من اليمن مقبلة اليه قال سليمان لاماثل جنده واشراف قومه وعسكره يا ايها الملأ
ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين واختلف في السبب الذي خص العرش بالطلب على اقوال
احدها انه اعجبته صفته فاراد ان يراه قبل وظهر له انها اذا سلمت فاحب ان يملك عرشها
قبل ان تسلم فيحرم عليه اخذ مالها عن قتاده وثانيها انه اراد ان يختبر بذلك عقلها
وفطنتها وهل تعرفه او تنكره عن زيد وقيل اراد ان يجعل ذلك دليلا ومعجزة على صدقه
ونبوته لانها خلفته في دارها واوثقته ووكلت به ثقاة قومها يحرسونه ويحفظونه
عن وهب وقال ابن عباس كان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بالكلام حتى يكون هو الذي
يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس
يا رسول الله وقد نزلت منا بهذا المكان وكان ما بين الكوفة والحيرة على قدر فرسخ
فقال ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين وقوله مسلمين فيه وجهان احدهما
انه اراد مؤمنين موحدين والاخر مستسلمين منقادين على ما مر بيانه قال عفريت
من الجن اي مارد قوي داهية عن ابن عباس انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
اي من مجلسك الذي تقضي فيه عن قتاده واني عليه لقوي امين اي اني على حمله القوي
وعلى الاتيان به في هذه المدة قادر وعلى ما فيه من الذهب والجواهر امين وفي هذا دلالة
على ان القدرة قبل الفعل لانه اخبر بانه قوي عليه قبل ان يجيء به وكان سليمان يجلس في
مجلسه للقضاء غدوة الى نصف النهار فقال سليمان اريد اسرع من ذلك فعند ذلك
قال الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وكان وزير سليمان وابن اخته
وكان صديقا يعرف اسم الله الاعظم الذي اذا دعا به اجاب عن ابن عباس وقيل ان ذلك
الاسم الله والذي يليه الرحمن وقيل هو يا حي يا قيوم وبالعبرانية اهيا شراهيا وقيل

هو يا ذو الجلال والاكرام عن مجاهد وقيل انه قال يا الهنا واله كل شيء الها واحدا
لا اله الا انت عن الزهري وقيل ان الذي عنده علم من الكتاب كان رجلا من الانس يعلم
اسم الله الاعظم وقيل اسمه بلخيا عن مجاهد وقيل اسمه اسطوم عن قتاده وقيل هو
الخضر ع عن ابن لهيعة وقيل ان الذي عنده علم الكتاب جبرئيل ع اذن الله له في طاعة
سليمان فان يأتيه بالعرش الذي طلبه قال الجبائي هو سليمان عليه السلام قال ذلك للعفريت
ليريه نعمة الله عليه وهذا قول بعيد لم يؤثر عن اهل التفسير واما الكتاب المعرف
في الاية بالالف واللام فقيل انه اللوح المحفوظ وقيل ان المراد به جنس كتب الله المنزلة
على انبيائه وليس المراد به كتابا بعينه والجنس قد يعرف بالالف واللام وقيل المراد به
كتاب سليمان الى بلقيس انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اختلف في معناه فقيل
يريد قبل ان يصل اليك من كان منك على قدر مد البصر عن قتاده وقيل معناه قبل
ان يبلغ طرفك مداه وغايته ويرجع اليك قال سعيد بن جبير قال لسليمان انظر
الى السماء فما رد طرفه حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يرتد اليك طرفك
بعد مده الى السماء وقيل ارتداد الطرف ادامة النظر حتى يرتد طرفه خاسئا عن مجاهد
فعلى هذا معناه ان سليمان مد بصره الى اقصاه وهو يديم النظر فقبل ان ينقلب بصره
اليه حسيرا يكون قد اتى بالعرش قال الكلبي خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم
فغار عرشها تحت الارض حتى نبع عند كرسي سليمان وذكروا في ذلك وجوها
احدها ان الملائكة حملته بامر الله تعالى والثاني ان الريح حملته والثالث ان الله تعالى
خلق فيه حركات متوالية والرابع انه انخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي
سليمان والخامس ان الارض طويت له وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام والسادس
انه اعدم في موضعه واعاده في مجلس سليمان وهذا لا يصح على مذهب ابي هاشم
ويصح على مذهب ابي علي الجبائي فانه يجوز فناء بعض الاجسام دون وفي الكلام حذف
كثير لان التقدير قال سليمان له افعل فسأل الله تعالى في ذلك فحضر العرش فرآه
سليمان مستقرا عنده فلما رأى سليمان العرش محمولا اليه موضوعا بين يديه في مقدار رجع

البصرة قال هذا من فضل ربي اي من نعمته علي واحسانه لدي لان تيسير ذلك وتسخير ذلك
وتسخيره مع صعوبته وتعذره معجزة له عم ودلالة على علو قدرته وجلالته وشرف
منزلته عند الله ليبلوني اشكر ام اكفر اي ليختبرني هل اقوم بشكر هذه النعمة ام اكفر
بها ومن شكر فانما يشكر لنفسه لان عائدة شكره ومنفعته يرجعان اليه ويختصان به
دون غيره وهذا مثل قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم ومن كفر فان ربي غني عن شكر
العباد غير محتاج اليه بل هم المحتاجون اليه لما لهم فيه من الثواب والاجر كريم اي متفضل
على عباده شاكرهم وكافرهم وعاصيهم ومطيعهم لا يمنعه كفرهم وعصيانهم الافضال
عليهم والاحسان اليهم قال سليمان نكروا لها عرشها اي غيروا سريرها الى حال
تنكرها اذا راته واراد بذلك اعتبار عقلها على ما قيل ننظر اتهتدي ام تكون من
الذين لا يهتدون اي تهتدي الى معرفة عرشها بفطنتها بعد التغيير ام لا تهتدي
الى ذلك عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل تهتدي اي تستدل بعرشها على قدرة الله
وصحة نبوته تهتدي بذلك الى طريق الايمان والتوحيد ام لا عن الجبائي قال ابن عباس
فنزع ما كان على العرش من الفصوص والجواهر وقال مجاهد غير ما كان احمر فجعل
اخضر وما كان اخضر فجعل احمر وقال عكرمة زيد فيه ونقص منه شيء فلما جاءت قيل
اهكذا عرشك قالت كانه هو فلم تثبته ولم تنكره ودل ذلك على كمال عقلها حيث لم تقل
لا اذ كان يشبه سريرها لانه وجدت فيه ما تعرفه ولم تقل نعم اذ وجدت فيه
ما غير وبدل لانها خلفته في بيتها وحمله في تلك المدة الى ذلك الموضع غير داخل
في قدرة البشر قال مقاتل عرفته ولكن شبهوا عليها حين قالوا لها اهكذا
عرشك لقالت نعم قال عكرمة كانت حكيمة قالت ان قلت هو هو خشيت ان
اكذب وان قلت لا خشيت ان اكذب فقالت كانه هو شبهته فقيل لها فانه عرشك
فما اغنى عنك اغلاق الابواب وكانت قد خلفته وراء سبعة ابواب لما خرجت فقال
واوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبلها اي من قبل الاية في العرش وكنا مسلمين
طائعين لامر سليمان وقيل انه من سليمان عن مجاهد ومعناه واوتينا

العلم بالله

العلم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرة وكنا مخلصين لله بالتوحيد وقيل
معناه واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة قبل مجيئها وقيل انه من كلام قوم سليمان
عن الجبائي وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي منعها عبادة الشمس عن الايمان
بالله تعالى بعد رؤية تلك المعجزات عن مجاهد فعلى هذا ما تكون موصوله مرفوعة
الموضع بانها فاعله صد وقيل معناه وصدها سليمان عما كان تعبده من دون الله
وحال بينها وبينه ونهاها عنه فعلى هذا يكون ما في موضع النصب وقيل معناه منعها
الايمان والتوحيد الذي كانت تعبده من دون الله وهو الشمس ثم استانف
فقال انها كانت من قوم كافرين اي من قوم يعبدون الشمس قد نشأت فيما بينهم
فلم تعرف الا عبادة الشمس قيل لها ادخلي الصرح والصرح هو الموضع المنبسط المنكشف
من غير سقف وذكر ان سليمان لما اقبلت صاحبة سبأ امر الشياطين ببناء الصرح
وهو كهيئة السطح من قوارير اجرى تحته الماء وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودواب
البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه وقيل انه قصر من زجاج كانه الماء بياضا
وقال ابو عبيدة كل بناء من زجاج او صخر وغير ذلك موثق فهو صرح وانما امر سليمان
عليه السلام بالصرح لانه اراد ان يختبر عقلها وينظر هل تستدل على معرفة الله تعالى بما ترا
من هذه الاية العظيمة وقيل ان الجن والشياطين خافت ان يتزوجها سليمان
فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده لو تزوجها وذلك ان امها كانت جنية
فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها قالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر
الحمار فلما امتحن ذلك وجدها على خلاف ما قيل وقيل انه ذكر له ان على رجليها
شعرا فلما كشفته بان الشعر فساءه ذلك فاستشار الجن فيه فعملوا الحمامات وطبخوا له
النورة والزرنيخ وكان اول ما صنعت النورة فلما رأته اي رأت بلقيس الصرح حسبته
لجة وهي معظم الماء وكشفت عن ساقيها لدخول الماء وقيل انها لما رأت الصرح قالت
ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به الا الغرق وانفت ان تجبن فلا تدخل ولم يكن من عادتهم
لبس الخفاف فلما كشفت عن ساقيها قال لها سليمان انه صرح ممرد من قوارير اي مملس من قوارير

وليس بها، ولما رات سرير سليمان والصرح قالت رب انى ظلمت نفسى بالكفر الذى كنت عليه
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فحسن اسلامها وقيل انها لما جلست دعاها سليمان الى
الاسلام وكانت قد رات الايات والمعجزات فاجابته واسلمت وقيل انها لما ظنت ان سليمان
يغرقها ثم عرفت حقيقة الامر قالت ظلمت نفسى اذ توهمت على سليمان ما توهمت واختلف
فى امرها بعد ذلك فقيل انه تزوجها سليمان واقرها على ملكها وقيل انه زوجها من ملك
يقال له تبع ورودها الى ارضها وامر زوبعة امير الجن باليمن ان يعمل له ويطيع فصنع له
المصانع باليمن قال عون بن عبد الله جاء رجل الى عبد الله بن عيينه فساله هل تزوجها
سليمان قال عهدى بها ان قالت واسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعنى انه لا يعلم ذلك
فان اخر ما سمع من حديثها هذا المنزل وروى العياشى فى تفسيره بالاسناد قال النقى موسى
بن محمد بن على بن موسى ان يحيى بن اكثم ساله عن مسايل قال فدخلت على اخى على بن محمد عليهم السلام
بعد ان دار بينى وبينه من المواعظ حتى انتهيت الى طاعته فقلت له جعلت فداك ان ابن
اكثم سالنى عن مسايل افتيه فيها فضحك ثم قال هل افتيته فيها قلت لا قال ولم قلت
لم اعرفها قال وما هى قلت قال اخبرنى سليمان اكان محتاجا الى علم اصف بن برخيا
ثم ذكر المسايل الاخر قال اكتب يا اخى بسم الله الرحمن الرحيم سالت عن قول الله تعالى فى كتابه
قال الذى عنده علم من الكتاب فهو اصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف
لكنه صلوات الله عليه احب ان يعرف امته من الجن والانس انه الحجة من بعده وذلك علم سليمان
اودعه اصف بامر الله ففهمه الله لئلا يختلف فى امامته ودلالته كما فهم سليمان فى حيوة
داود ليعرف امامته ونبوته من بعده لتاكيد الحجة على الخلق قوله عز وجل ولقد ارسلنا
الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن
معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون
فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا
مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان

عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك
لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون تسع آيات القراة قرا اهل الكوفة
غير عاصم لتبيتنه واهله بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء ايضا وضم اللام
والباقون لنبيتنه بالنون وفتح التاء ثم لنقولن ايض بالنون وفتح اللام وقرا اهل
الحجاز وابو عمرو وسهل وابن عامر انا دمرناهم بكسر الالف والباقون بفتح الالف وروى روح
وزيد عن يعقوب بكسر الالف ايضا الحجة قال ابو على تقاسموا لا يخلو من ان يراد به مثال الماضى
او مثال الاتى الذى يراد به الامر وجعل لنبيتنه جوابا لتقاسموا فكانه قال احلفوا لنبيتنه
لان هذه الالفاظ التى تكون من الفاظ القسم تتلقى بما يتلقى به الايمان كقوله واقسموا بالله
امر لنبيتنه اراد ليقسم بعضكم بعضا لنبيتنه فتقاسموا على هذا جهد ايمانهم لان جاءت
اية ليومنن بها واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وكذلك تقاسموا
بالله لنبيتنه تلقاه والنون الثقيلة وادخل المتكلمون انفسهم مع المقسمين كما دخلوا
فى قوله تعالى قل تعالوا ندع ابناءنا ومن قال تقاسموا كان فيمن قال لنبيتنه امرا ومن قال
تقاسموا لتبيتنه بالتاء فتقاسموا على هذا مثال ماض ولا يجوز مع هذا الا بالتاء لان مثال
الماضى للغيبة ولتبيتنه للخطاب ومن كسر ان دمرناهم جاز ان يكون كان فى قوله كيف كان
عاقبة مكرهم تامة وان يكون ناقصة فان جعلتها تامة بمعنى وقع كان قوله كيف كان
عاقبة مكرهم عاقبة فى موضع حال تقديره على اى حال وقع عاقبة مكرهم اى احسنا
وقع عاقبة مكرهم او شيئا ويكون فى كيف ضمير من ذى الحال كما انك اذا قلت فى الدار
حدث الامر فجعلته فى موضع الحال كان كذلك وحكم كيف على ذا ان يكون متعلقا بمحذوف
كما انك اذا قلت فى الدار وقع زيد فتقديره وقع زيد مستقرا فى هذه الحال فان جعلته
ظرفا للفعل تعلق بكان الذى بمعنى الحديث وقوله انا دمرناهم فيمن كسر استيناف وهو تفسير
للعاقبة كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير للوعد ومن قرا انا دمرناهم جاز ان يكون
كان على ضربيها فاذا حملته على وقع كيف كان فى موضع حال وجاز فى قوله انا دمرناهم امران احدهما
ان يكون بدلا من قوله عاقبة مكرهم وجاز ان يكون محمولا على مبتدا مضمر كانه قال هو انا دمرنا

اوذاك انا دمرناهم فاذا حصلتها على المقتضيه للخبر جاز في قوله انا دمرناهم قولان احدهما
ان يكون امام اسم كان الذي هو العاقبة فاذا حملته على ذلك كان عاقبة امرهم
تدميرهم ويكون كيف في موضع حال ويجوز ان يكون العامل في كيف احد شيئين اما ان يكون
كان لانه فعل كما كان العامل في الظرف في قوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الا ترى انه لا يجوز
ان يتصل قوله للناس بواحد من المصدرين الاان يجعله صفة لعجب فيتقدم فيصير
في موضع حال والعامل فيه على هذا ايضا كان ويجوز ان يكون العامل فيه ما في الكلام
من الدلالة على الفعل لان قوله انا دمرناهم بمنزلة تدميرهم وتدميرنا ايل على دمرنا
فيصير العامل في هذا المعنى الذي دل عليه ما في الكلام من معنى الفعل وزعموا ان في حرف
ابي ان دمرناهم فهذا يقوى على الفتح في انا المعنى ثم عطف سبحانه على قصة سليمان قصة
صالح فقال ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا اي في النسب ان اعبدوا الله اي ارسلنا
بان اعبدوا الله وحده لا شريك له فاذا هم فريقان يختصمون اي مؤمنون وكافرون
يقول كل فريق الحق معي قال صالح للفريق المكذب لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اي
بالعذاب قبل الرحمة اي لم قلتم ان كان ما اتيتنا به حقا فائتنا بالعذاب وسمي العذاب
سيئة لما فيه من الالام ولانه جزاء على السيئة لان السيئة هي الخصلة التي تسوء صاحبها
لولا اي هلا تستغفرون الله اي تطلبون مغفرته من الشرك بان تؤمنوا لعلكم ترحمون
فلا تعذبون في الدنيا قالوا اطيرنا بك وبمن معك اي تشاءمنا بك وبمن على دينك
وذلك انهم قحطوا لعدم نزول المطر عنهم وجاعوا فقالوا اصابنا هذا الشر من شومك
وشوم اصحابك قال لهم صالح وهي الحجر تسعة رهط يفسدون في الارض كانت هذه التسعة
نفرا من اشرافهم وهم غزاة قوم صالح وهم الذين سعوا في عقر الناقة ولا يصلحون
اي لا يطيعون الله تعالى وذكر ابن عباس اسماءهم قال هم قدار بن سالف ومصدع
ودهمي ودهيم ودعمي ودعيم واسلم وقتال وصداف قالوا تقاسموا اي قالوا فيما بينهم
احلفوا بالله لنبيتنه لنقتلن صالحا واهله بياتا ومن قرا بالنون فكانهم قالوا
اقسموا لتفعلن والامر بالقسم في القراتين داخل في الفعل منهم ثم لنقولن لوليه اي لذي رحم

صالح

صالح ان سالنا عنه ما شهدنا مهلك اهله اي ما قتلناه ولا ندري من قتله واهله
وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه في سورة الكهف وانا لصادقون في هذا القول قال الزجاج
كان هؤلاء النفر تحالفوا ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عند اوليائه ان يكونوا
فعلوا ذلك لو راوه وكان هذا مكرا عزموا عليه قال الله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا
مكرا اي جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون بمكر الله بهم فانهم دخلوا
على صالح ليقتلوه فانزل الله سبحانه الملائكة فرموا كل واحد منهم بحجر حتى قتلوهم وسلم
صالح من مكرهم عن ابن عباس وقيل ان الله سبحانه امر صالحا بالخروج من بينهم ثم استاصلهم
بالعذاب وقيل نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضا لياتوا صالحا فهجم عليهم الجبل عن مقاتل
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم اي اهلكناهم بما ذكرناه من العذاب وقومهم اجمعين
بصيحة جبرئيل فتلك بيوتهم خاوية اشار الى بيوتهم فالمعنى انظر اليها خاوية نصب على
الحال اي فارغة خالية بما ظلموا اي بظلمهم وشركهم بالله سبحانه ان في ذلك ان في هلاكهم
لاية لقوم يعلمون اي لعبرة لمن نظر اليها واعتبر بها وفي هذه الاية على ان الظالم
يعقب خراب الدور وروي عن ابن عباس انه قال اية في كتاب الله ان الظلم يخرب البيوت وتلا هذه
الاية وقيل ان هذه البيوت بوادي القرى بين المدينة والشام وانجينا الذين امنوا به
وكانوا يتقون قالوا انهم اربعة الاف خرج بهم صالح الى حضرموت فسمي حضرموت لان صالحا
لما دخلها مات قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون
ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله
الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير اما تشركون ست ايات القراة
قرا اهل البصرة وعاصم يشركون بالياء والباقون بالتاء على الخطاب وفي الشواذ
قراة الحسن فما كان جواب قومه بالرفع الحجة الاولى ان يكون جواب قومه خبر كان والاسم
قوله ان قالوا الشبه ان بالضمير من حيث كانت لا توصف والمضمر اعرف من المظهر وقد تقدم

القول في هذا المعنى ثم ذكر سبحانه قصة لوط عاطفا بها على ما تقدم فقال ولوطا
اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه منكرا عليهم افعالهم اتاتون الفاحشة يعني الخصلة القبيحة
الشنعة الظاهرة القبح وهي اتيان الذكران في ادبارهم وانتم تبصرون اي تعلمون انها
فاحشة وقيل معناه وانتم يرى بعضكم ذلك من بعض ثم بين الفاحشة التي ياتونها
فقال ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء اللاتي خلقهن الله لكم بل انتم قوم تجهلون
اي تفعلون افعال الجهالة قال ابن عباس تجهلون القيامة وعاقبة العصيان فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون عن اتيان الرجال
في ادبارهم فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين اي جعلناها من الباقين
في العذاب وامطرنا عليهم مطرا هو الحجارة فساء مطر المنذرين الذين ابلغهم لوطا بالنذارة
واعلمهم بموضع المخافة لتيقوها فخالفوا ذلك ثم قال سبحانه لنبيه قل يا محمد الحمد لله شكرا
على نعمه بان وفقنا للايمان وقيل الحمد لله على هلاك الامم الكافرة عن مقاتل وسلام
على عباده الذين اصطفى اي اصطفاهم الله واجتباهم واختارهم على بريته وهم الانبياء
عن مقاتل وقيل هم اصحاب محمد عن ابن عباس والحسن وقيل هم امة محمد ومعنى السلام عليهم
انهم سلموا من عذاب الكفار عن الكلبي وقيل هم آل محمد عليهم السلام عن علي بن ابرهيم ثم قال
سبحانه مخاطبا للمشركين آلله خير اما يشركون يا اهل مكة اي الله خير لمن عبده ام الاصنام
لعابديها وهذا الزام الحجة على المشركين بعد ذكر هلاك الكفار والمعنى ان الله تعالى
ينجي من عبده من الهلاك والاصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب وانما
قال ذلك لانهم توهموا في عبادة الاصنام خيرا قوله عز وجل أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا
شَجَرَهَا أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا
أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ

أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ تَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ست آيات القراءة قرا ابو عمرو
وهشام ما يذكرون بالياء والباقون بالتاء والوجه فيهما ظاهر اللغة الحديقة
البستان الذي عليه حائط وكل ما احاط به البناء فهو حديقة وقيل الحديقة البستان
الذي فيه النخل والقرار المكان المطمئن الذي يستقر فيه الماء ويقال للروضة المنخفضة
قرارة ومنه حديث ابن عباس فعلمي في علم علي كالقرارة في المثعنجر اي كالغدير في البحر
والبرهان البيان الحجة الاعراب ام من استفهام في محل الرفع على الابتداء وخبره
خلق وقرارا نصب على الحال لان جعل بمعنى خلق وان كان بمعنى صير وهو مفعول ثان له
االه مع الله مبتدا وخبره تقديره االه ثبت مع الله وانما جاز ان يكون النكرة
مبتدا لانه استفهام ويجوز ان يكون خبر المبتدا محذوفا ويكون تقديره االه
مع الله قليلا ما تذكرون صفة مصدر محذوف تقديره تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة
وبشرا نصب على الحال وبين يدي رحمته ظرف منه ايان في محل نصب لانه ظرف زمان والعامل
فيه يبعثون المعنى ثم عدد سبحانه الدلايل على توحيده ونعمه الشاملة لعبده فقال
ام خلق السموات والارض تقديره اما تشركون خير ام من خلق السموات والارض
اي انشاها واخترعهما وانزل لكم من السماء ماء اي غيثا ومطرا لكم اي لمنافعكم ولاجل
معاشكم عرفهم سبحانه ان غيره لا يقدر على ذلك فانبتنا به حدائق اي رياضا وبساتين
وما لم يكن عليه حائط لا يقال له حديقة ذات بهجة اي ذات منظر حسن يبتهج به
من راه ولم يقل ذوات بهجة لانه اراد تانيث الجماعة ولو اراد تانيث الاعيان لقال
ذوات قال الشاعر شعر وسوف تعقبنيه ان ظفرت به رب كريم وبيض ذات اطهار ما كان
لكم ان تنبتوا شجرها ما هنا للنفي اي لم يكونوا يقدرون على انبات شجرها االه مع الله
وهذا استفهام انكار معناه هل معه معبود سواه اعانه على صنعه بل ليس معه
اله هم قوم يعدلون يشركون بالله غيره يعني كفار مكة ام من جعل الارض قرارا اي مستقرا

لا يميل ولا يميد باهلها وجعل خلالها انهارا اى جعل وسط الارض وفى مسالكها ونواحيها
انهارا جارية ينبت بها الزرع ويحيى بها الخلق وجعل لها رواسى اى جبالا ثوابت اثبت
بها الارض وجعل بين البحرين حاجزا اى مانعا من قدرته بين العذب والملح فلا يختلط
احدهما بالآخر أاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم وكمال قدرته وسلطانه
ام من يجيب المضطر اذا دعاه اى يجيب المكروب المجهود فيكشف ضره وكربه واجابة دعاء المضطر
هى فعل ما يدعوا به وهذا لا يكون الا من قادر على الاجابة مختار لها والناس المضطرين
المذنب الذى يدعوه ويساله المغفرة منهم والخائف الذى يساله الامن والمريض الذى
يطلب العافية والمحبوس الذى يطلب الخلاص فان الكل اذا ضاق بهم الامر فزعوا الى رب العالمين
واكرم الاكرمين وانما خص المضطر وان كان قد يجيب غير المضطر لان رغبته اقوى وسواله
اخضع ويكشف السوء اى يدفع الشدة عن كل ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض يخلق كل قرن
منكم القرن الذى قبله فيهلك قرنا وينشئ قرنا ويجعلكم خلفاء من الكفار ينزلون
بلادهم وطاعة الله تعالى بعد شركهم وعنادهم أاله مع الله قليلا ما تذكرون اى قليلا
ما تتعظون عن ابن عباس ومن قرأ بالياء فالمعنى قليلا ما يذكر هؤلاء المشركين
ام من يهديكم فى ظلمات البر والبحر اى اما تشركون خير ام من يرشدكم الى القصد
والسمت فى البر والبحر بما نصب لكم من ايات الدلالات من الكواكب والقمر اذا اظللتم وهو
كقوله وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح
بشرا بين يدى رحمته قد مضى تفسيره ووجوه القرات فيه أاله مع الله تعالى الله عما يشركون
اى جل وتنزه عن الشريك كما توهمه المشركون ام من يبدؤا الخلق بان يخترعه ويبدعه
وينشئه على مثال واحتذاء ثم يميته ويفنيه ثم يعيده بعد الافناء وانما قال ذلكم لانهم
اقروا بانه الخالق فيلزمهم الاقرار بالبعث من حيث ان من قدر على الانشاء قدر على
الاعادة ومن يرزقكم من السماء والارض بانزال المطر وباخراج الثمار والنبات
أاله مع الله يقدر على ذلك قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم اى حجتكم ان كنتم صادقين
ان لى شريكا صنع شيئا من هذه الاشياء فاذا لم يقدروا على اقامة البرهان على ذلك

فاعلموا

فاعلموا انه لا اله معى ولا يستحق العبادة سواى قل يا محمد لا يعلم من فى السموات والارض
من الملائكة والانس والجن الغيب وهو من غاب علمه عن الخلق مما يكون فى المستقبل الا
الله وحده او من اعلمه الله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اى متى يحشرون يوم
القيمة دل سبحانه بهذه الآية كما دل بما تقدمها على قدرته قوله عز وجل بل ادارك
عِلْمُهُمْ فِى الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ءَاِذَا كُنَّا
تُرَابًا وَآبَاؤُنَا اَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ اِنْ هٰذَا
اِلَّا اَسَاطِيرُ الْاَوَّلِينَ قُلْ سِيرُوا فِى الْاَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ اِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ قُلْ عَسَى اَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ وَاِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ وَاِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا
يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ اِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ عشر آيات القراءة
قرأ اهل البصرة وابو جعفر وابن كثير بل ادرك بقطع الالف بعدها والباقون
بل ادارك فى الشواذ قراءة سليمان بن يسار وعطا بن يسار بل ادرك بفتح اللام وهمز
ولا الف وقرأ الحسن وابو رجاء وابن محيصن وقتادة بل ادرك وقراءة ابن عباس بلى
بل اادرك وقراءة ابى بل تدارك وقرأ اهل المدينة اذا كنا ترابا بكسر الالف اينا
لمخرجون بالاستفهام بهمزة واحدة ممدودة غير ابى جعفر وقالون غير ممدودة عن ورش
واسمعيل وقرأ ابن عامر والكسائى اذا بهمزتين اننا بنونين وقرأ ابن كثير ويعقوب
ائذا اينا بالاستفهام فيهما جميعا بهمزة واحدة ممدودة وقرأ عاصم وحمزة
وخلف ائذا ائنا بالاستفهام فيهما جميعا بهمزتين وابن كثير فى ضيق بكسر الضاد
والباقون بفتحها الحجة قال ابو على ان علم قد حصل بالجار كقوله تعالى الم تعلم
بان الله يرى وقولهم علمى بزيد يوم الجمعة ومعنى ادرك بلغ ولحق يقال فلان
ادرك الخير اى لحق اياه وهذا ما ادركه علمى بلغة فالمعنى انهم لم يدركوا علم الآخرة
اى لم يعلموا حدوثها وكونها ودل على ذلك قوله بل هم فى شك منها بل هم عنها عمون

اى بل هم من علمها واذا كان كذلك فكان معنى قوله فى الاخرة معنى الباء اى لم يدركوا
علمها ولم ينظروا فى حقيقتها فيدركوا ولهذا قراء من قرا بل ادرك كانه اراد لم يدركوه
كما تقول اجتنى اسراى لم تجئ والمعنى لم يدرك علمهم بحدوث الاخرة بل هم فى شك
منها بل هم من علمها عمون والعمى عن علم الشئ ابعد منه من الشاك فيه لان الشاك
قد يعرض عن ضرب من النظر والعمى عن الشئ الذى لم يدرك منه شيئا واما من قال
ادارك فانه اراد تدارك فادغم التاء فى الدال لمقاربتها لها وكونها من حيزها
فلما اسكنت التاء للادغام اجتلبت لها همزة الوصل كما اجتلبتها فى نحو اداراتم وفى
التنزيل حتى اذا اداركوا فيها كان معناها الاحقوا قال تداركتم الاحلاف وقد ثل عرشها
وما روى عن ابى بكر بل ادارك افتعل من ادركت وافتعل وتفاعل يجيان بمعنى ومن ثم
صح قولهم ازدوجوا وان كان الحرف على صورة يجب فيها الانقلاب ولكنه صح لما كان بمعنى تفاعلوا
وتفاعلوا يلزم فيه تصحيح حروف العلة لسكون الحرف الذى قبل العلة فصار تصحيح
هذا كتصحيح عور وحول لما كان بمعنى اعور واحول ومن قرا بل ادرك فان بل استيناف
وما بعدها استفهام كما يقول ازيد عندك بل عمرو عندك تركا للاول الى غيره واما
بلى فكانه جواب وذلك لانه لما قال قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله فكان قائلا
قال ما الامر كذلك فقيل له بلى ثم استونف فقيل ادرك علمهم فى الاخرة وقد سبق ذكر
الاستفهامين فيما تقدم وكذلك ذكر الضيق والضيق والاولى ان يحمل على انهما
لغتان اللغة قال ابن الاعرابى ردفت واردفت ولحقت والحقت بمعنى وترادفوا
تلاحقوا قال المبرد اللام فى ردف لكم زائدة وقيل انه انما اتى باللام لانه معنى دنا
فكانه قال دنا لكم كما قال الشاعر شعر فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى وهم تعنانى بمعنى ركابه
قال يطرحن الفتى لما كان معنى يطرحن يرمين وكنت الشئ فى نفسى واكننته اذا سترته
فى نفسك فهو مكن ومكنون قال الرمانى الاكنان جعل الشئ بحيث لا يلحقه اذى بمانع
يصده عنه الاعراب العامل فى اذا معنى قوله مخرجون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبل
ان فالتقدير ائذا كنا ترابا اخرجنا وهذا فى محل النصب لانه مفعول ثان لوعد عسى ان يكون

ردف لكم

ردف لكم يكون اسمه ضمير الامر والشان وما بعده خبره وان يكون وما يتعلق به فى محل رفع
بانه فاعل عسى المعنى لما اخبر سبحانه عن الكفار انهم لا يشعرون متى يبعثون وانهم شاكون
عقبه بانهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيمة فقال بل ادارك علمهم فى الاخرة اى تتابع
منهم العلم وتلاحق حتى كمل علمهم فى الاخرة بما اخبروا به فى الدنيا فهو على لفظ الماضى و
المراد به الاستقبال اى يتدارك ومن قرا ادرك فمعناه سيدرك علمهم هذه الاشيا
فى الاخرة حين لا ينفعهم اليقين بل هم فى شك منها فى الدنيا عن ابن عباس والمعنى
ان ما جهلوه فى الدنيا وسقط علمه عنهم وعلموه فى الاخرة وقيل معناه اجتمع علمهم
يوم القيمة فلم يشكوا ولم يختلفوا عن السدى وقال مقاتل يقول بل علموا فى الاخرة
حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه فى الدنيا وقيل ان هذا على وجه الاستفهام
حذف الالف والمراد به النفى بمعنى انه لم يدرك علمهم بالاخرة ولم يبلغها علمهم وقيل
ان هذا على وجه الاستفهام بالاخرة ولم يبلغها معناه ادرك هذا العلم جميع العقلاء
لو تفكروا ونظروا لان العقل يقتضى ان الاهمال قبيح فلا بد من تكليف والتكليف
يقتضى الجزاء واذا لم يكن ذلك فى الدنيا فلا بد من دار للجزاء وقيل ان الاية
اخبار عن ثلاث طوائف طايفة اقرت بالبعث وطائفة شكت فيه وطائفة نفته
كما قال بل هم فى امر مريج وقوله بل هم منها عمون اى عن معرفتها وهو جمع عم وهولاء عمى
القلب لتركهم التدبر والنظر وقال الذين كفروا بانكارهم البعث ائذا كنا ترابا واباؤنا
ائنا لمخرجون من القبور مبعوثون يقولون ذلك على طريق الاستبعاد والاستنكار
لقد وعدنا هذا البعث نحن فيما مضى وآباؤنا من قبل اى ووعد اباؤنا ذلك
من قبلنا فلم يكن مما قالوه شئ ان هذا الا اساطير الاولين اى احاديثهم واكاذيبهم
التى كتبوها قل يا محمد وسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين الذين
كفروا بالله وعصوا اى كيف اهلكهم الله وخرب ديارهم ولا تحزن عليهم اى على تكذيبهم
وتركهم الايمان ولا تكن فى ضيق وهو ما يضيق به الصدر مما يمكرون اى يدبرون
فى امرك فان الله سبحانه يحفظك وينصرك عليهم ويقولون متى هذا الوعد الذى

تعدنا يا محمد من العذاب ان كنتم صادقين بانه يكون قل يا محمد عسى ان يكون ردف لكم
اى اقترب لكم عن ابن عباس وقيل ان اقترب لكم عن السدى وقيل ازف لكم عن قتادة بعض
الذى تستعجلون من العذاب وعسى من الله واجب ومعناه انه قرب منكم وسياتيكم وهذا
البعض الذى نالهم القتل والاسر يوم بدر وما يرد العذاب لهم فيما بعد الموت وقيل هو
الانذار عند الموت وشدته وعذاب القبر عن الجبائى وان ربك لذو فضل على الناس
بضروب النعم الدينية والدنيوية وقيل بامهالهم ليتوبوا والفضل هو الزيادة من الله
تعالى للعبد على ما يستحقه بشكره والعدل حق للعبد والفضل واقع من الله تعالى
الا انه على ما يصح وتقتضيه الحكمة ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمه وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم اى تخفيه وتستره وما يعلنون اى يعلم ما يظهرونه ايضا وما من غائبة
اى خصلة غائبة فى السماء والارض يعنى جميع ما اخفاه عن خلقه وغيبه عنهم الا فى
كتاب مبين الا وهو مبين فى اللوح المحفوظ وقيل اراد ان جميع افعالهم محفوظة عنده
غير منسية كما يقول القائل افعالك عندى مكتوبة اى محفوظة عن ابى مسلم والجبائى
قوله عز وجل إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَإِنَّهُ
لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ فَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ
وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ
وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا
لَا يُوقِنُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى
إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَوَقَعَ الْقَوْلُ
عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ عشر آيات القراءة قرأ لا يسمع بالياء الصم بالرفع
ههنا وفى الروم ابن كثير وعباس والباقون لا تسمع بضم التاء الصم بالنصب وقرأ
وما انت تهدى العمى حمزة ههنا وفى الروم وقرأ الباقون وما انت بهادى العمى وفى
الشواذ قرأ ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدرى وابن زرعة تكلمهم

بفتح الياء

بفتح الياء والتخفيف وقرأ اهل العراق غير ابى عمرو وسهل ان الناس بكسر الهمزة
والباقون بفتحها الحجة حجة من قال لا يسمع انه اشبه بما قبله من قوله انك لا تسمع
الموتى ويؤكد ذلك قوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ومن قرأ ولا يسمع الصم
الدعاء فالمعنى لا ينقادون للحق لعنادهم كما لا يسمع الاصم ما يقال له ومن قرأ
تهدى العمى فالتقدير انك لا تهديهم لشدة عنادهم واعراضهم وانت مرفوع بما على قول
اهل الحجاز وتهدى فى موضع نصب بانه خبره وعلى قول تميم يرتفع بمضمر يفسره الظاهر
الذى هو تهدى تقديره اذا اظهرت ذلك المضمر ما تهدى تهدى لانك اذا
اظهرت الفعل المضمر اتصل به الضمير ولم ينفصل كما ينفصل اذا لم يظهر ومن قرأ
بهادى العمى مضافا فى السورتين فاسم الفاعل للحال او للاتى فاذا كان كذلك
كانت الاضافة فى نية الانفصال وقوله ان الناس بالفتح فالوجه فيه تكلمهم بان
الناس وزعموا انه فى قراءة ابى تنبئهم عن قتادة انه فى بعض الحروف تحدثهم وهذا يدل
على ان تكلمهم الكلام الذى هو النطق وليس من الكلم الذى هو الجراحة ومن كسر فقال
فالمعنى تكلمهم فتقول لهم ان الناس واضمار القول فى الكلام كثير وحسن ذلك
لان الكلام قول فكان القول قد ظهر ومن قرأ تكلمهم فمعناه تجرحهم باكلها اياهم
المعنى ثم ذكر سبحانه من الحجج ما يقوى قلب نبيه صلى الله عليه وآله فقال ان هذا
القرآن يقص على بنى اسرائيل اى يخبرهم بالصدق اكثر الذى هم فيه يختلفون
من حديث مريم وعيسى والنبى المبشر به فى التورية حيث قال بعضهم هو يوشع وقال
بعضهم لا بل هو منتظر لم يات بعد وغيرك من الاحكام وكان ذلك معجزة لنبينا صلى الله
عليه وآله اذ كان لا يدرس كتبهم ولا يقرؤها ثم اخبرهم بما فيها وانه يعنى القرآن
لهدى اى دلالة على الحق ورحمة للمؤمنين اى نعمة لهم ان ربك يقضى بينهم بحكمه يريد
بين المختلفين فى الدين يوم القيمة واشار بذلك الى شيئين احدهما ان الحكم
له فلا ينفذ حكم غيره فيوصل الى كل ذى حق حقه والاخر انه وعد المظلوم بالانتصاف
من الظالم وهو العزيز القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شىء العليم بالمحق والمبطل فيجازى

كلا بحسب عمله وفي هذه الاية تسلية للمحقين الذين خولفوا في امور الدين وان امرهم
يؤول الى ان يحكم بينهم رب العالمين ثم خاطب نبيه صلى الله عليه واله فقال فتوكل
على الله يا محمد انك على الحق المبين اى الواضح البين الظاهر والمحق اولى بالتوكل من المبطل
المدعى والمراد بهذا الخطاب سائر المومنين وان كان في الظاهر لسيد المرسلين ثم شبه
الكفار بالموتى فقال انك لا تسمع الموتى بقولك كالا يسمع الميت الذي ليس له الة السمع النداء
كذلك لا تسمع الكافر النداء لانه لا يستمع ولا يقبل الوعظ ولا يتدبر فيه ولا يسمع
الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين انما قال ذلك لان الاصم اذا كان قريبا فالانسان
يطمع في اسماعه فاذا اعرض وادبر وتباعد انقطع الطمع في اسماعه فجعل سبحانه
المصمم على الجهل كالميت في انه لا يقبل الهدى وكالاصم في انه لا يسمع الدعاء وما انت
بهادى العمى عن ضلالتهم في الدين بالايات الدالة على الهدى اذا اعرضوا عنها كما لا
يمكنك ان تهدى الاعمى الى قصد الطريق جعل سبحانه الجهل بمنزلة العمى لانه يمنع عن ادراك
الحق كما يمنع العمى من ادراك المبصرات ان تسمع الا من يومن باياتنا اى ما
الا من يطلب الحق بالنظر في اياتنا فهم مسلمون اى مستسلمون منقادون جعل سبحانه
استماعهم وقبولهم للحق سماعا وتركهم للقبول تركا للسماع وقيل مسلمون اى موحدون
مخلصون واذا وقع القول عليهم اى وجب العذاب والوعيد عليهم وقيل معناه
بحيث لا يفلح احد منهم ولا احد بسببهم عن مجاهد وقيل معناه اذا غضب الله عليهم
عن قتاده وقيل معناه واذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة [illegible]
كما يقال جاء الخبر الذي قلت ويراد به المخبر قال ابو سعيد الخدرى وابو عمر واذا لم
يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم واخذوا بمبادى العقاب منها
قوله اخرجنا لهم دابة من الارض تخرج بين الصفا والمروه فتخبر بان المومن مومن
والكافر بانه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة وهو علم من اعلام
الساعة وقيل لا يبقى مومن الا مسحته ولا يبقى منافق الا حطمته تخرج ليلة جمع والناس يسيرون
الى منى عن ابن عمر وروى محمد بن كعب القرظى قال سالنا عليا عن الدابة فقال والله ما لها ذنب

وان لها

وان لها اللحية وفي هذا اشارة الى انها من الانس وروى عن ابن عباس انها دابة ذات
زغب وريش ولها اربع قوائم عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه واله
قال دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب فتسم المومن
بين عينيه وتكتب بين عينيه مومن وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه
كافر ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلوا وجه المومن بالعصا وتخطم انف الكافر
بالخاتم حتى يقال يا مومن ويا كافر وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه يكون للدابة
ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى المدينة فيفشوا ذكرها في البادية
ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكه ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا
من مكة فيفشوا ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم بينا الناس
يوما في اعظم المساجد على الله عز وجل حرمة واكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم
الا وهى في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم
عن يمين الخارج في وسط المسجد من ذلك فيقصوا الناس عنها ويثبت لها
عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم
فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها
طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها في الصلوة فتاتيه من خلفه
فتقول يا فلان الان تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس
في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المومن
فيقال للمومن يا مومن وللكافر يا كافر وروى عن وهب انه قال وجهها وجه رجل
وسائر خلقها خلق الطير ومثل هذا لا يعرف الا من النبوات الالهية وقد روى
عن على عليه السلام انه قال انا صاحب العصا والميسم وروى على بن ابرهيم بن هاشم في تفسيره
عن ابى عبد الله عليه السلام قال قال رجل لعمار بن ياسر يا ابا اليقظان اية في كتاب الله
افسدت قلبى وشككتنى فقال عمار واى اية هى فقال هذه الاية فاية دابة هذه قال عمار والله
ما اجلس ولا اكل ولا اشرب حتى اريكها فجاء عمار مع الرجل الى امير المؤمنين عليه السلام

وهو يأكل تمراً وزبداً فقال يا ابا اليقظان هلم فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام
عمار قال الرجل سبحان الله حلفت انك لا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها قال عمار قد اريتكها
ان كنت تعقل وروى العياشي هذه القصة بعينها عن ابي ذر ايضاً وقوله تكلمهم
اي تكلمهم بما يسوءهم وهو انهم يصيرون الى النار بلسان يفهمونه وقيل تحدثهم
بان هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تكلمهم بان تقول لهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
وهو الظاهر وقيل بآياتنا معناه بكلامها وخروجها ويوم نحشر من كل امة فوجاً
ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون اي يدفعون عن ابن عباس وقيل يحبس اولهم على آخرهم
واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب الى ذلك من الامامية بان قال ان دخول
من في الكلام يوجب التبعيض فدل على ان اليوم المشار اليه في الآية يحشر فيه قوم
دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه وحشرناهم فلم نغادر
منهم احداً وقد تظاهرت الاخبار عن ائمة الهدى من آل محمد عليهم السلام في ان الله تعالى سيعيد
عند قيام المهدي قوماً ممن تقدم موتهم من اوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته
ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته ويعيد ايضاً قوماً من اعدائه لينتقم منهم وينالوا
بعض ما يستحقونه من العقاب في القتل على ايدي شيعته او الذل والخزي بما يشاهدون
من علو كلمته ولا يشك عاقل ان هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله
ذلك في الامم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزير وغيره على ما
فسرناه في موضعه وصح ان النبي عليه السلام قال سيكون في امتي كل ما كان في بني اسرائيل حذو
النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو ان احدهم دخل جحر ضب لدخلتموه على ان جماعة
من الامامية تأولوا ما ورد من الاخبار في الرجعة على رجوع الدولة والامر والنهي
دون رجوع الاشخاص واحياء الاموات واولوا الاخبار الواردة في ذلك لما ظنوا ان
الرجعة تنافي التكليف وليس كذلك لانه ليس فيها ما يلجئ الى فعل الواجب والامتناع من القبيح
والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب
العصا ثعباناً وما اشبه ذلك ولان الرجعة لم تثبت بظواهر الاخبار المنقولة فيتطرق

التأويل

التأويل عليها وانما المعول في ذلك على اجماع الشيعة الامامية وان كانت الاخبار تعضده
وتقويه ومن قال ان قوله ويوم نحشر من كل امة المراد به يوم القيامة قال المراد بالفوج
الجماعة من الرؤساء والمتبوعين في الكفر حشروا وجمعوا لاقامة الحجة عليهم حتى اذا جاؤوا
الى موقف الحساب قال الله تعالى لهم اكذبتم بآياتي اي كذبتم بانبيائي ودلالاتي الدالة على ديني
ولم تحيطوا بها علماً اي لم تطلبوا معرفتها ولم تتبينوا ما اوجب الله عليكم فيها ام ماذا
كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا في صحتها يقول ذلك تبكيتاً لهم وتهديداً
اي هذا كان الواجب عليكم فتركتموها ولم تعرفوا حق معرفتها فماذا استعملتم ومن قال
بالاول قال المراد بالآيات الائمة الطاهرون عليهم السلام ووقع القول عليهم اي وجب العذاب
عليهم بما ظلموا اي بظلمهم اذا صاروا بحيث لا يفلح احد منهم ولا احد بسببهم فهم لا
ينطقون اذ ذاك بكلام ينتفعون به ويجوز ان يكون المراد انهم لا ينطقون اصلاً
لعظم ما يشاهدونه وهول ما يرونه قوله عز وجل أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ
مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ
تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ
فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ثمان آيات القراءة قرأ حمزة
وحفص وخلف أتوه مقصورة الالف غير ممدودة بفتح التاء وقرأ الباقون آتوه بمد
الالف وضم التاء وقرأ اهل البصرة غير سهل وابن كثير وحماد والاعشى والبرجمي
عن ابي بكر بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وقرأ اهل الكوفة من فزع منوناً
يومئذ بفتح الميم وقرأ اهل المدينة غير اسمعيل من فزع بغير تنوين يومئذ بكسر الميم

وقرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص ويعقوب بما تعملون بالتاء والباقون بالياء الحجة
قال ابو علي من قرأ اتوه كان فعلوا من الاتيان ومن قرأ اتوه فاعلوه وكلاهما محمول على معنى
كل ولو حمله على اللفظ جاز كما في قوله وكلهم اتيه وان كل من في السموات والارض الا اتي
الرحمن عبدا وحجة من قال يفعلون بالياء ان ذكر الغيبة قد تقدم في قوله وكل اتوه
وحجة التاء انه خطاب للكافر وقد تدخل الغيبة في الخطاب ولا يدخل الخطاب في الغيبة
وقوله من فزع يومئذ من نون كان في انتصاب يوم ثلثة اوجه احدها ان يكون
منتصبا بالمصدر كانه وهم من ان يفزعوا يومئذ منون والاخر ان يكون اليوم
صفة لفزع لان اسماء الاحداث توصف باسماء الزمان كما يخبر عنها بها وفيه
ذكر الموصوف تقديره في هذا الوجه ان يتعلق بمحذوف كانه من فزع يحدث
يومئذ والثالث ان يتعلق باسم الفاعل كانه امنون من فزع يومئذ ويجوز اذا نون
الفزع ان يعني به فزعا واحدا فيجوز ان يعني به كثرة لانه مصدر والمصادر تدل على الكثرة
وان كانت مفردة الالفاظ كقوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير وكذلك اذا
اضاف فقال من فزع يومئذ ويومئذ يجوز ان يعني به مفرد ويجوز ان يعني به كثرة
فاما القول في اعراب يوم وبنائه اذا اضيف الى اذ فقد ذكر فيما تقدم وحجة من قرأ
يعلمون بالياء انه وعيد للمشركين وحجة التاء انه على معنى قل لهم ذلك الاعراب
وصف النهار بانه مبصر فيه وجهان احدهما انه معناه ذو ابصار كقوله عيشة
راضية اي ذات رضى كقول النابغة شعر كليني لهم يا امية ناصب ؛ اي ذي نصب والثاني
ان يريك الاشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذي يجلي عندها وفيه قول ثالث
انه مثل قول جرير لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ؛ ونمت وما ليل المطي بنائم اي بالذي
ينام فيه ويكون مبصرا بمعنى ما يبصر فيه المعنى ثم بين سبحانه قدرته على الاعادة
والبعث بما احتج به على الكفار فقال الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه عن البعث
والنهار مبصرا اي يبصر فيه ويمكن التصرف فيه لضيائه ويدرك بنوره جميع الاشخاص
كما يدرك بنور البصر ان في ذلك لايات اي دلالات لقوم يؤمنون لان جعل الشيء

لما يصلح

لما يصلح له من الانتفاع انما يكون بالاختيار ولا يكون بالطباع ويوم ينفخ في
الصور منصوب بتقدير واذكر يوم ينفخ اسرافيل بامر الله في الصور وذلك اليوم
الذي يقع عليهم القول بما ظلموا ويجوز ان يكون على حذف في الكلام والتقدير ويوم
ينفخ في الصور يكون الساء الثانيه واختلف في معنى الصور فقيل هو صور الخلق
جمع صورة عن الحسن وقتاده ويكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور فيبعثون وقيل
هو قرن ينفخ فيه شبه البوق عن مجاهد وقد ورد ذلك في الحديث ففزع
من في السموات ومن في الارض اي ماتوا لشدة الخوف والفزع يدل عليه قوله في موضع
اخر فصعق من في السموات الاية وقيل هي ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية
نفخة الصعق والثالث نفخة القيامة لرب العالمين الا من شاء الله من الملائكة
الذين يثبت الله قلوبهم وهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلم
ويعني قبل الشهداء فانهم لا يفزعون ذلك اليوم روي ذلك في خبر مرفوع
وكل من الاحياء الذين ماتوا ثم احيوا اتوه يأتونه في المحشر داخرين اي اذلا
صاغرين عن ابن عباس وقتاده وترى الجبال تحسبها جامدة اي واقفة مكانها
لا تسير ولا تتحرك في مرأى العين وهي تمر مر السحاب اي تسير سيرا حثيثا مثل سير
السحاب عن ابن عباس وفي مثل هذا المعنى قول النابغة الجعدي يصف جيشا
شعر بارعن مثل الطود تحسب انهم ؛ وقوف لحاج والركاب تهملج ؛ اي تحسب انهم وقوف
من اجل كثرتهم واكتفافهم فكذلك المعنى في الجبال انك لا ترى سيرها لبعد
اطرافها كما ترى سير السحاب اذا انبسط لبعد اطرافه وذلك اذا ازيلت الجبال
عن اماكنها للتلاشي كما في قوله ويكون الجبال كالعهن المنفوش صنع الله اي
صنع الله ذلك صنعا وانتصب لما دل عليه ما تقدم من قوله وهي تمر مر السحاب
وذكر اسم الله لانه لم يات ذكره من قبل وانما دل عليه الذي اتقن كل شيء اي خلق
كل شيء على وجه الاتقان والاحكام والاتساق قال قتاده اي احسن كل شيء خلقه
وقيل الاتقان حسن الاتساق في اتقان انه خبير بما تفعلون اي عليم بما يفعل اعداؤه من المعصية

وبما يفعل اولياؤه من الطاعة ثم بين سبحانه كيف الجزاء على افعال الفريقين فقال
من جاء بالحسنة اي بكلمة التوحيد والاخلاص عن قتادة وقيل بالايمان عن النخعي
وكان يحلف ولا يستثني ان الحسنة لا اله الا الله والمعنى من وافى يوم القيمة بالايمان
فله خير منها قال ابن عباس اي منها يصل الخير اليه والمعنى فله من تلك الحسنة
خير يوم القيمة وهو الثواب والامان من العقاب فخير ههنا اسم وليس هو الذي
بمعنى الافضل وهو المروي عن الحسن وعكرمة وابن جريج قال عكرمة فاما ان يكون
خيرا من الايمان فلا فليس شيء خيرا من لا اله الا الله وقيل معناه فله افضل منها
في عظم النفع لانه يعطي بالحسنة عشرا عن زيد بن اسلم ومحمد بن كعب وابن زيد
وقيل لان الثواب فعل الله تعالى والطاعة فعل العبد وقيل هو رضوان الله تعالى ورضوان
من الله اكبر وهم من فزع يومئذ آمنون قال الكلبي اذا اطبقت النار على اهلها
فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها واهل الجنة آمنون من ذلك الفزع ومن جاء بالسيئة
اي بالمعصية الكبيرة التي هي الكفر والشرك عن ابن عباس واكثر المفسرين فكبت وجوههم
في النار اي القوا في النار منكوسين هل تجزون الا ما كنتم تعملون يعني ان هذا جزاء
فعلكم وليس بظلم حدثنا السيد محمد بن مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا الحاكم
ابو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال اخبرنا محمد بن عبد الله بن احمد قال
اخبرنا محمد بن احمد بن محمد قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن احمد قال حدثني عبد
الرحمن ابن الفضل قال حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني محمد بن يزيد بن علي عن ابيه
قال سمعت ابا جعفر يقول دخل ابو عبد الله الجدلي على امير المؤمنين عليه السلام فقال
له يا ابا عبد الله الا اخبرك بقول الله تعالى من جاء بالحسنة الى قوله يعملون
قال بلى جعلت فداك قال الحسنة حبنا اهل البيت والسيئة بغضنا وحدثنا ابو
السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القسم قال اخبرنا ابو عثمان سعيد بن محمد الحيري
قال حدثنا جدي احمد بن اسحق الحيري قال حدثنا ابو زرعة عثمان بن عبد الله
القرشي قال حدثنا ابن لهيعة عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

يا علي لو ان امتي صاموا حتى صاروا كالاوتاد وصلوا حتى صاروا كالحنايا ثم ابغضوك
لاكبهم الله على مناخرهم في النار ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله قل لهم انما امرت
ان اعبد رب هذه البلدة يعني مكة عن ابن عباس وقال ابو العالية هي منى الذي حرمها
اي جعلها حرما آمنا يحرم فيها ما يحل في غيرها لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقتص
فيها وله كل شيء اي وهو مالك كل شيء مما احله وحرمه فيحرم ما شاء ويحل ما شاء
وامرت ان اكون من المسلمين اي من المخلصين لله بالتوحيد وان اتلوا القرآن
عليكم يا اهل مكة وادعوكم الى ما فيه فمن اهتدى الى الحق والعمل بما فيه فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل ولم يهتد الى الحق فقل له يا محمد انما انا من المنذرين الذين
يخوفون بعقاب الله من معاصيه ويدعون الى طاعته ولا اقدر على اكراههم على الايمان
والدين وقل الحمد لله اعترافا بنعمته اذ اختارني لرسالته سيريكم آياته يوم القيمة
فتعرفونها فتعرفون انها على ما اخبرتم بها في الدنيا عن الحسن وقيل معناه آياته هي
العذاب في الدنيا والقتل ببدر فتعرفونها اي تشاهدونها وترونها وذلك ثم عجلهم
الله الى النار عن مقاتل وما ربك بغافل عما تعملون بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم
عليها وانما يؤخر عقابكم الى وقت تقتضيه الحكمة النظم وجه اتصال قوله انما امرت
ان اعبد رب هذه البلدة بما قبله سبحانه لما بين ان الامن من اهوال القيامة
للمؤمن فكان قائلا قال وما الحسنة وكيف العبادة فقال انما امرت سورة القصص
مكية عدد آيها وهي ثمان وثمانون آية اختلافها آيتان طسم كوفي يسقون غير الكوفي
فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ طسم القصص اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض
الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه تفسيرها لما امر
سبحانه في خاتمة تلك السورة بتلاوة القرآن بين في هذه السورة ان القرآن من طسم
وانه يتلوا عليهم من نبأ موسى وفرعون فقال بسم الله الرحمن الرحيم
طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ست آيات كوفي خمس في غيرهم القراءة قرأ اهل الكوفة
غير عاصم ويرى فرعون وهامان وجنودهما بالياء مفتوحة وفتح الراء وامالة
فتحها ورفع الاسماء الثلثة بعدها والباقون ونري بالنون وضمة وكسر الراء ونصب
الياء وما بعده بالنصب الحجة قال ابو علي حجة من قرأ بالنون ان ما قبله للمتكلم فينبغي
ان يكون ما بعده ايضا كذلك ليكون الكلام من وجه واحد وحجة من قرأ بالياء
ان فرعون وجنوده يرون ذلك وفي المعلوم انهم يرونه اذا اروه وهو قراءة الاعمش
اللغة النبأ الخبر عما هو عظيم الشأن والشيع الفرق وكل فرقة شيعة وسموا
بذلك لان بعضهم يتابع بعضا والعرب تقول شاعكم السلام اي تبعكم وشيعه اتبعه
والتمكين فعل ما به يتم الفعل الاعراب قوله بالحق في موضع على الحال ويجوز ان يكون
صفة مصدر محذوف تقديره تلاوة كائنة بالحق ويجوز ان يكون الحق صفة محذوف
تقديره بالامر الحق والجار والمجرور يتعلق بنتلو ويستضعف في موضع نصب على الحال
ويذبح حال بعد حال ويجوز ان يكون حالا عن حال المعنى طسم تلك آيات الكتاب
المبين اي المبين الرشد عن الغي عن قتادة وقيل هو المبين الظاهر والآية مفسرة
فيما مضى نتلوا عليك يا محمد من نبأ موسى وفرعون اي طرفا من اخبارهما بالحق اي
بالصدق والحقيقة لا ريب فيه لقوم يؤمنون اي يصدقون بالله وبما انزلنا اليك ان فرعون
علا في الارض اي بغى وتجبر وتعظم واستكبر في الارض مصر يقال علا علوا اذا تجبر ومنه
قوله لا يريدون علوا في الارض وجعل اهلها شيعا اي فرقا قال قتاده فرق بين بني اسرائيل
والقبط والمعنى يكرم اقواما ويذل آخرين بالاستعباد والاستعمال في الاعمال الشاقة
وقيل معناه جعل بني اسرائيل اصنافا في الخدمة والتسخير يستضعف طائفة منهم
يعني بني اسرائيل ثم فسر ذلك فقال يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم يقتل الابناء ويستبقي

البنات فلا يقتلهن وذلك ان بعض الكهنة قال له ان مولودا يولد في بني اسرائيل
يكون سبب ذهاب ملكك وقال السدي رأى فرعون في منامه ان نارا اقبلت من بيت
المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فسأل علماء
قومه فقالوا يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده انه كان من المفسدين
بالقتل والعمل بالمعاصي ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض المعنى ان فرعون
كان يريد اهلاك بني اسرائيل وافناءهم ونحن نريد ان نمن عليهم ونجعلهم ائمة اي قادة
ورؤساء في الخير نقتدي بهم عن ابن عباس وقيل نجعلهم ولاة وملوكا عن قتادة وهذا
القول مثل الاول لان الذين جعلهم الله ملوكا ائمة ولا يضاف الى الله سبحانه ملك
من يملك الناس عدوانا وظلما وقد قال سبحانه فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب و
الحكمة وآتيناهم ملكا عظيما والملك من الله تعالى يجب ان يطاع فالائمة على هذا ملوك
يقدمون في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم ونجعلهم الوارثين لديار
فرعون وقومه واموالهم وقد صحت الرواية عن امير المؤمنين عليه السلم انه قال
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس
على ولدها وتلا عقيب ذلك ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الآية
وروى العياشي بالاسناد عن ابي الصباح الكناني قال نظر ابو جعفر الى ابي عبد الله
عليه السلم فقال هذا والله من الذين قال الله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
وقال سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلم والذي بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا
ان الابرار منا اهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته وان عدونا واشياعهم
بمنزلة فرعون واشياعه ونمكن لهم في الارض ونريد ان نمكن لبني اسرائيل في ارض
مصر والتمكين هو فعل جميع ما لا يصح الفعل الا معه من القدرة والآلة واللطف
وغير ذلك وقال علي بن عيسى اللطف لا يدخل في التمكين لانه لو دخل فيه لكان من لا لطف له
لم يمكن ممكنا ولكنه من باب ازاحة العلة ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم
اي من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب الملك على يد رجل منهم قال الضحاك عاش

فرعون باربع ماية سنة وكان قصيرا ذميمًا وهو اول من خضب بالسواد وعاش
موسى عليه السلام ماية وعشرين سنة قوله عز وجل وَاَوْحَيْنَا اِلَى اُمِّ مُوسَى اَنْ اَرْضِعِيهِ فَاِذَا
خِفْتِ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي اِنَّا رَادُّوهُ اِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا اِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا
خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَاَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى اَنْ يَنْفَعَنَا اَوْ نَتَّخِذَهُ
وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَاَصْبَحَ فُؤَادُ اُمِّ مُوسَى فَارِغًا اِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا اَنْ رَبَطْنَا
عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اربع آيات القراة قرا اهل الكوفة غير عاصم وحزنا بضم
الحاء وسكون الزاء والباقون حزنا بفتحها وفي الشواذ قرا الحسن وفضاله ابن عبد الله
فواد ام موسى قرعا وقرأت ابن عباس قرعًا بالقاف والزاء وحكى قطرب عن بعضهم
فرعًا الحجة الحرق والحزن لغتان مثل البخل والبخل والعرب والعرب والعجم والعجم واما قوله
فرعا بالفاء والزاء فمعناه قلبنا يكاد يخرج من غلافه واما فزعًا فمعناه يرجع الى معنى
فانزع لان راس الافزع يكون خاليًا من الشعر واما فرعًا فمعناه هدرًا وباطلا قال
فان بك ذووا داصين ونسوة فلن يذهبوا فرعًا بقتل حبال وقوله فارغًا معناه
خاليًا من الحزن لعلمها انه لا يغرق الاعراب مفعولا جعلت محذوف تقديره خفت عليه
احدا قرة عين لي ولك خبر مبتدا محذوف اي هو قرة عين قال الزجاج ويجوز على بعد ان يكون
قرة عين مبتدا ويكون خبره لا تقتلوه وهم لا يشعرون في موضع نصب على الحال
والعامل فيه ما يدل على هذه القصة وتقديره قالوا ما قالوا غير شاعرين المعنى بين
سبحانه كيف يبقى اهلاك فرعون وقومه منها يدل ذلك على كمال قدرته وحكمته
فقال واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه اي الهمناها وقذفنا
في قلبها وليس بوحي نبوة عن قتاده وغيره وقيل اتاها جبرئيل بذلك عن
مقاتل وقيل كان هذا الوحي رويا منام عبرعنها من تثق به من علماء بني
اسرائيل فالقيه في اليم اي في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه الضيعة ولا تحزني من
فراقه انا رادوه اليك سالما عن قريب وجاعلوه من المرسلين والانبياء

وفي هذه

وفي هذه الاية امران ونهيان وخبران وبشارتان وحكى بعضهم سمع بدويه
تنشد ابياتا فقال لها ما افصحك فقالت الفصاحة قول الله تبارك وتعالى
وذكرت هذه الاية وما فيها قال وهب بن منبه لما حملت ام موسى بموسى كتمت
امرها جميع الناس فلم تطلع على حملها احد من خلق الله وذلك شيء ستره
الله تعالى لما اراد ان يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي يولد فيها موسى
بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن ان يفتشن النساء تفتيشا لم تفتشنه قبل ذلك
وحملت ام موسى بموسى فلم تنب بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها فكانت
القوابل لا يعرضن لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته امه ولا رقيب
عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه
الاية قال فكتمته امه ثلثة اشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه
عملت له تابوتا مطبقا ومهدت له فيه ثم القته في البحر ليلا كما امرها الله تعالى
قال ابن عباس لما قربت ولادة ام موسى كانت قابلة من النساء اللاتي وكلهن
فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فعالجتها
فلما ولد موسى رات نورا بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخلت حب موسى في قلبها
ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك الا ومن وراي قتل مولدك ولكني وجدت
لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فاني اراه هو عدونا
فلما خرجت من عندها القابلة ابصرتها العيون فجاؤا ليدخلوا على ام موسى
فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فلفته في خرقة فوضعته في تنور مسجور
فدخلوا فاذا التنور مسجور وراوا ام موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها
لبن فخرجوا من عندها وانطلقت الى الصبي وقد جعل الله النار عليه بردا
وسلاما قال فلما رات الحاح فرعون في الطلب خافت على ابنها فانطلقت الى نجار
من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا فقال ما تصنعين بهذا التابوت قالت
ان لي ابنا اخباه في التابوت وكرهت الكذب فلما اشترت التابوت وحملته انطلق

البحار الى الذباحين ليخبرهم بامر ام موسى فلم يطق الكلام فرجع واحد في البحر فانطلق
لسانه فرجع ثانيا فلما انتهى اليهم اعتقل لسانه هكذا ثلاث مرات فعلم ان ذلك امر
الهي فالتقطه آل فرعون اي اصابوه واخذوه من غير طلب ليكون لهم عدوا وحزنا
اي ليكون لهم في عاقبة امره كذلك لا انهم اخذوه لهذا كما يقال لمن كسب مالا فاداه ذلك
الى الحتف والهلاك انما كسب مالا لحتفه ولم يطلب المال للحتف ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين اي عاصين ربهم في افعالهم وكانت القصة في ذلك ان النيل جاء بالتابوت
الى موضع فيه فرعون وامراته على شط النيل فامر فرعون فاتي به وفتحت آسية بنت
مزاحم بابه فلما نظرت اليه القى الله في قلبها محبة موسى وكانت آسية بنت مزاحم
امراة من بني اسرائيل استنكحها فرعون وهي من خيار النساء ومن بنات الانبياء
وكانت اما للمومنين ترحمهم وتتصدق عليهم ويدخلون عليها فلما نظر فرعون الى موسى
غاظه ذلك وقال كيف اخطاء هذا الغلام الذبح قالت آسية وهي قاعدة الى جنبه
هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانك امرت ان تذبح الولدان هذه السنة فدعه يكون
قرة عين لي ولك وذلك قوله وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا
او نتخذه ولدا قال فرعون قرة عين لك فاما لي فلا قال رسول الله صلى الله عليه وآله و
الذي يحلف به لو اقر فرعون بان يكون له قرة عين كما اقرت امراته لهداه الله به
كما هداها ولكنه ابى للشقاء الذي كتبه الله عليه وهم لا يشعرون اي لا يشعرون ان هلاكهم
على يديه وقيل لا يشعرون ان هذا هو المطلوب الذي يطلبونه واصبح فؤاد ام موسى
فارغا اي خاليا من كل شيء الا من ذكر موسى اي صار فارغا له عن ابن عباس وقتاده
والضحاك وقيل فارغا من الحزن لعلمها بان ابنها ناج سكونا الى ما وعدها الله تعالى
به وقيل فارغا من الوحي الذي اوحي اليها بنسيانها فانها نسيت ما وعدها الله تعالى
به عن الحسن وابن زيد وان كادت لتبدي به معناه كادت تصيح على ابنها شفقة عليه
من الغرق عن مقاتل وقيل معناه لولا ان قوينا قلبها بالعصمة والوحي وجواب
لولا محذوف والتقدير لولا ان ربطنا على قلبها لاظهرته لتكون من المومنين اي

ذلك لتكون

ذلك لتكون من جملة المصدقين بوعدنا الواثقين بوحينا وقولنا انا رادوه
اليك قوله عز وجل وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون
وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد
الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما و
علما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه
الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل
الشيطان انه عدو مضل مبين خمس آيات اللغة القص اتباع الاثر ومنه
القصص في الحديث لانه يتبع فيه الثاني الاول والقصاص لاتباع الجاني في الاخذ
بمثل جنايته في النفس فبصر به راه فبصر لا يتعدى الا بحرف الجر وراى يتعدى
بنفسه ومعنى بصرت به عن جنب اي ابصرته عن جنابة اي عن بعد قال الاعشى
شعر اتيت حريثا زائرا عن جنابة وكان حريث عن عطائي جامدا وقيل جنب صفة
وقعت موقع الموصوف اي من مكان جنب والمراضع جمع مرضعة والنصح اخلاص
العمل من شائبة الفساد وهو نقيض الغش والوكز الدفع وقيل هو جمع الكف
ومثله اللكز واللهز الاعراب عن جنب الجار والمجرور في موضع نصب على الحال التقدير
فبصرت به بعيدة وان جعلت جنبا صفة على تقدير عن مكان جنب فهو في موضع
نصب بانه ظرف مكان هذا من شيعته وهذا من عدوه جملتان في محل النصب لانه صفة
رجلين صفة بعد صفة المعنى ثم ذكر سبحانه لطف صنعه في تسخيره لفرعون
حتى تولى تربية موسى عليه السلام فقال وقالت يعني ام موسى لاخته يعني اخت موسى
واسمها كلثمة عن الضحاك قصيه اي اتبعي اثره وتعرفي خبره فبصرت به عن جنب
في الكلام اختصار وتقديره فذهبت اخت موسى فوجدت آل فرعون اخرجوا
التابوت واخرجوا موسى فبصرت به وهذا من الايجاز الدال على الاعجاز باللفظ

القليل المعنى عن المعنى الكثير اى فرات اخاها موسى عن جنب اى عن بعد عن مجاهد
وقيل عن جانب تنظر اليه كانها لا تريده عن قتاده وتقديره عن مكان جنب وهم لا يشعرون
اى وآل فرعون لا يشعرون انها اخته عن قتاده وقيل معناه وهم لا يشعرون
انها جاءت متعرفة عن خبره ويمكن ان يكون سبحانه انما ذكر هذا القول تنبيها
على ان فرعون لو كان الها كان يشعر بهذه الامور وحرمنا عليه المراضع المعنى انه لا يؤتى
بمرضع فيقبلها وتاويله منعناه منهن وبغضناهن اليه عن ابن عباس وقيل هو جمع
مرضع بمعنى الرضاع اى منعناه من الرضاع فهذا تحريم منع لان هناك نهيا عن الفعل
ومثله قول امرؤ القيس جالت لتصرعني فقلت لها اقصري انى امرؤ صرعى عليك
حرام اى صرعى ممتنع عليك فانى فارس امنعك من ذلك ويقال فلان حرم على نفسه
كذا اى امتنع منه كما يمتنع بالنهى من قبل مجى اخته وقيل من قبل رده على امه فقالت هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم وهذا يدل على ان الله تعالى القى محبته فى قلب فرعون فلشدة محبته
وغاية شفقته عليه طلب له المراضع وكان موسى لا يقبل ثدى واحدة منهن بعد ان اتاه
مرضع بعد مرضع فلما رات اخته وجدهم به وحبهم له ورافتهم قالت هل ادلكم
على اهل بيت يقبلون هذا الولد ويبذلون النصح فى امره ويحسنون تربيته
ويضمنون لكم القيام بامره وهم له ناصحون يشفقون عليه وينصحونه وقيل انه
لما قالت اخته ذلك قال هامان ان هذه المراة تعرف ان هذا الولد من اى اهل بيت
هو فقالت هى انما عنيت انهم ناصحون للملك فامسكوا عنها فرددناه الى امه كى تقر
عينها ولا تحزن يعنى عين امه وانطلقت اخت موسى الى امها فجاءت بها اليهم فلما وجد
موسى ريح امه قبل ثديها وسكن بكاؤه وقيل ان فرعون قال لامه كيف ارتضع منك
ولم يرتضع من غيرك فقالت لانى امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اكاد اوتى بصبى
الا ارتضع فسر فرعون بذلك ولتعلم ان وعد الله حق بان رده ما وعدها فى الاية
المتقدمة بقوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ولكن اكثرهم لا يعلمون
تحقيق ذلك الوعد كما علمت ولما بلغ اشده اى ثلثا وثلثين سنة واستوى اى بلغ

اربعين

اربعين سنة عن مجاهد وقتاده وابن عباس اتيناه حكما وعلما اى فقها وعقلا وعلما
بدينه ودين ابائه فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا وقيل نبوة وعلما عن السدى
وكذلك نجزى المحسنين وهذه الاية مفسرة فى سورة يوسف ودخل المدينة يريد مصر
وقيل مدينة منف من ارض مصر وقيل على فرسخين من مصر على حين غفلة من اهلها
اراد به نصف النهار والناس قائلون عن سعيد بن جبير وقيل ما بين المغرب والعشاء
الاخرة عن ابن عباس وقيل كان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلعبهم عن الحسن واختلفوا
فى سبب دخوله المدينة فى هذا الوقت على اقوال احدها انه كان موسى حين كبر يركب
فى مواكب فرعون فلما جاء ذات يوم قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى اثره فلما كان
وقت القايلة دخل المدينة ليقيل عن السدى والثانى ان بنى اسرائيل كانوا يجتمعون
الى موسى ويسمعون كلامه ولما بلغ اشده خالف قوم فرعون فاشتهر ذلك منه
فاخافوه فكان لا يدخل مصر الا خائفا فدخلها على حين غفلة عن ابن اسحق
والثالث ان فرعون امر باخراجه من البلد فلم يدخل الا الان عن ابن زيد فوجد
فيها رجلين يقتتلان اى يختصمان فى الدين عن الجبائى وقيل فى امر الدنيا هذا
من شيعته وهذا من عدوه اى احدهما اسرائيلى والاخر قبطى يسخر الاسرائيلى
ليحمل حطبا الى مطبخ فرعون وقيل كان احدهما مسلما والاخر كافرا عن محمد بن اسحق
فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه اى استنصره لينصره عليه وروى
ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال ليهنئكم الاسم قال قلت وما الاسم قال الشيعة
اما سمعت الله سبحانه يقول فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه
موسى اى دفع فى صدره بجمع كفه عن مجاهد وقيل ضربه بعصاه عن قتاده فقضى
عليه اى فقتله وفرغ من امره قال هذا من عمل الشيطان اى تسميته حتى هيج غضبى فضربته
فهو من اغوائه قال الحسن لم يحل قتل الكافر يومئذ لان الحال كانت حال الكف عن القتال
وقيل معناه ان الامر الذى وقع القتل بسببه من عمل الشيطان اى حصل بوسوسة
الشيطان وذكر المرتضى قدس الله روحه فيه وجهين آخرين احدهما انه اراد ان تزيين

فتلى له وتركه لما ندب اليه من تأخره وتفويته ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان
والآخر انه يريد ان عمل المقتول من عمل الشيطان بين بذلك انه مخالف لله تعالى مستحق
للقتال ثم وصف الشيطان فقال انه عدو لبني آدم مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال
سؤال قالوا ان هذا القتل لا يخلو من ان يكون مستحقا او غير مستحق فالانبياء لا يجوز
عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوة ولا بعدها وان كان مستحقا فلا معنى لندمه واستغفاره
منه والجواب ان القتل انما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من اراد ظلمه والبغي عليه
ودفع مكروهه عنه ولم يكن مقصودا في نفسه وكل الموقع على هذا الوجه فهو حسن
غير قبيح سواء كان القاتل مدافعا عن نفسه او عن غيره وسنذكر الوجه في استغفاره
منه وندمه عليه بقوله عز وجل قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا
يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ
مُبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ
أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا
فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ
يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ
النَّاصِحِينَ خمس آيات اللغة الترقب الانتظار والاستصراخ طلب الصراخ على
العدو بما يردعه عن الايقاع به والايتمار المشاورة والارتياء يقال ايتمر
القوم وارتأوا بمعنى قال امرؤ القيس شعر احار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء
ما يأتمر وقال النمر بن تولب شعر ارى الناس قد احدثوا شيمة وفي كل حادثة يؤتمر
الاعراب بما انعمت على الباء للقسم ويجوز ان يكون ما حرفا موصولا والمعنى
بانعامك علي ويجوز ان يكون اسما موصولا والضمير العائد محذوفا والتقدير
بالذي انعمته وجواب القسم لن اكون والفاء لجواب القسم المقدر في الموضع بالجملة
الفعلية اي اراد ان يبطش ان الاولى زائدة وان الثانية مع صلتها منصوبة

الموضع

الموضع بانها مفعوله اراد اني لك من الناصحين لا يجوز ان يتعلق اللام في لك الناصحين
لان الصلة لا تعمل فيما يتعلق على قبل الموصول وانما يتعلق بمحذوف تفسيره هذا الظاهر
تقديره اني من الناصحين لك المعنى ثم حكى سبحانه ان موسى حين قتل القبطي ندم على ذلك
قال رب اني ظلمت نفسي في هذا القتل فانهم لو علموا بذلك لقتلوني قال المرتضى قدس الله
روحه العزيز انما قاله على سبيل الانقطاع والرجوع الى الله تعالى والاعتراف بالتقصير
عن حقوق نعمه او من حيث حرم نفسه الثواب المستحق بفعل الندب فاغفر لي معناه معنى
قول آدم ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقبول
الاستغفار والتوبة قد يسمى غفرانا فغفر له انه هو الغفور لعباده الرحيم بهم المنعم
عليهم قال موسى رب بما انعمت علي اي بنعمتك علي من المغفرة وصرف بلاء الاعداء
عني فلن اكون ظهيرا للمجرمين المعنى فلك علي ان لا اكون مظاهرا ومعينا للمشركين
عن ابن عباس وفي هذا دلالة على ان مظاهرة المجرمين جرم ومعصية ومظاهرة
المؤمنين طاعة وانما ظاهر موسى عليه السلام من كان ظاهر الايمان وخالف من كان
ظاهره الكفر وجاء في الآثار رجل قال لعطاء بن ابي رباح ان فلانا يكتب لفلان
ولا يزيد على كتبه دخله وخرجه وان اخذ منه اجرا كان له غنى وان لم يأخذ
اشتد فقره وكثر عياله فقال عطاء اما سمعت قول الرجل الصالح رب بما انعمت
علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فاصبح موسى في اليوم الثاني في المدينة خائفا يترقب
من قتل القبطي يترقب اي ينتظر الاخبار من قتل القبطي عن ابن عباس يعني انه خاف من فرعون
وقومه ان يكونوا عرفوا انه هو الذي قتل القبطي فكان يتجسس وينتظر الاخبار في شأنه
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه معناه ان الاسرائيلي الذي قد كان خلصه
بالامس ووكز القبطي من اجله يستصرخ موسى ويستعين به على رجل آخر من القبط
خاصمه قال ابن عباس لما فشا قتل القبطي قيل لفرعون ان بني اسرائيل قتلت منا رجلا
قال تعرفون قاتله ومن يشهد عليه قالوا لا فامرهم بطلبه فبيناهم يطوفون اذ مر موسى
من الغد رأى ذلك الاسرائيلي يطلب نصرته ويستغيث به قال له موسى انك لغوي مبين

اي ظاهر الغواية حيث قاتلت بالامس رجلا وتقاتل اليوم الاخر لمريد الغواية في الدين
والمراد ان من خاصم آل فرعون مع كثرتهم فانه غوي اي خايب فيما يطلب عادل عن الصواب
فيما يقصده فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس معناه فلما اخذته الرافة على الاسرائيلي واراد ان يدفع القبطي الذي هو
عدو لموسى وللاسرائيلي ويبطش به اي ياخذه بشدة ظن الاسرائيلي ان موسى قصده
لما قال له انك لغوي مبين فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس عن ابن عباس
واكثر المفسرين وقال الحسن هو من قول القبطي لانه قد شرط واشتهر امر القتل بالامس فانه قتله
بعض بني اسرائيل ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي ما تريد الا ان تكون عاليا
في الارض بالقتل والظلم قال عكرمة والشعبي لا يكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين
بغير حق وما تريد ان تكون من المصلحين ولما قال الاسرائيلي ذلك علم القبطي ان القاتل
موسى فانطلق الى فرعون واخبره فامر فرعون بقتل موسى وبعث في طلبه وجاء رجل
من اقصى المدينة اي اخرها فاختصر طريقا حتى سبقهم الى موسى يسعى ان يسرع في المشي
فاخبره بذلك وانذره وكان الرجل حزبيل مومن آل فرعون وهو ابن عم فرعون وقيل
رجل اسمه شمعون وقيل شمعون قال يا موسى ان الملأ اي الاشراف من آل فرعون
ياتمرون بك اي يتشاورون فيك عن ابي عبيدة وقيل يامر بعضهم بعضا ليقتلوك
فاخرج من ارض مصر انى لك من الناصحين في هذا يقال نصحته ونصحت له قوله
عز وجل فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ
تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ
وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا
ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ
إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا
سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ

الظالمين خمس آيات كوفي ست في غيرهم القراءة قرأ ابو جعفر وابو عمرو وابن عامر
حتى يصدر بفتح الياء وضم الدال وقرأ الباقون يُصدر بضم الياء وكسر
الدال الحجة من قرأ حتى يصدر الرعاء فمعناه حتى يرجعوا من سقيهم وفي التنزيل
يصدر الناس اشتاتا ومن قرأ حتى يصدر اراد حتى يصدروا مواشيهم من وردهم
فحذف المفعول كما قال الشاعر شعر لا تقذفن ابا ويس بغضهم بكنانه ضربا اصحاب
المحلات اي احد اللغة تلقاء الشيء حذاؤه ويقال فعل ذلك من تلقاء نفسه
اي من حذاء داعي نفسه وسواء السبيل وسط الطريق قال الشاعر شعر حتى اغيب في سواء
الملحد وذاد شاءه او ابله عن الشيء يذودها ذودا اي حبسها عنه ومنعها
منه قال سويد بن كراع شعر ابيت على باب القوافي كانما اذود بها سربا من الوحش نزعا
قال الفراء ولا يقال ذدت في الناس وانما قال في الابل والغنم وهذا البيت يرد
عليه قول الكميت يصف بني هاشم شعر سادة ذادة عن الخرد البيض اذا اليوم كان
كالايام والخطب الامر الذي فيه تفخيم ومنه الخطبة والخطبة والخطاب كل ذلك فيه
معنى العظم وما خطبكما اي ما شأنكما قال الراجز شعر يا عجبا ما خطبه وخطبي والرعاء
جمع راع ويجمع على الرعيان والرعاة الاعراب تلقاء ظرف مكان لا نسقي اي لا نسقي
الغنم الماء فحذف مفعولاه لدلالة الكلام عليه وكذلك قوله فسقى لهما واللام في قوله
لما انزلت يتعلق بفقير تمشي في موضع نصب على الحال من جاءت وقوله على استحياء
في موضع الحال ايضا من تمشي اي تمشي مستحية ويجوز ان يكون حالا بعد حال قالت ان
ابي يدعوك الجملة يجوز ان يكون بدلا من قوله جاءته احداهما ويجوز ان يكون في موضع
الحال باضمار قد والعامل فيه جاءت وتمشي المعنى ثم بين سبحانه خروج موسى من مصر
الى مدين فقال فخرج منها اي من مدينة فرعون خائفا من ان يطلب فيقتل يترقب الطلب
قال رب نجني من القوم الظالمين قال ابن عباس خرج موسى متوجها نحو مدين وليس له
علم بالطريق الا حسن ظنه بربه قال رب نجني من فرعون وقومه وقيل انه خرج بغير
زاد ولا حذاء ولا ظهر وكان لا ياكل الا من حشيش الصحراء حتى بلغ ماء مدين ولما توجه

تلقاء مدين التوجه صرف الوجه الى جهة من الجهات وقولهم هذا المعنى يتوجه الى كذا اى هو كالطالب له يصرف وجهه اليه قال الزجاج معناه لما سلك في الطريق الذي تلقى مدين فيها وهي على مسيرة ثمانية ايام من مصر نحو ما بين الكوفة الى البصرة ولم يكن له علم بالطريق ولذلك قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل يرشدني قصد السبيل الى مدين وقيل وسطه المودي الى النجاة لان الاخذ يمينا وشمالا يباعد عن طريق الصواب وقيل انه لم يقصد موضعا بعينه ولكنه اخذ في طريق مدين وقال عكرمة عرضت على موسى اربعة طرق فلم يدر ايتها يسلك ولذلك قال عند استواء الطرق له عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلما دعا ربه استجاب له ودله على الطريق المستقيم الى مدين وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين وقيل انه خرج خائفا ولم يصل الى مدين حتى وقع خف قدميه عن سعيد بن جبير ولما ورد ماء مدين وهو بير كانت لهم وجد عليه امة من الناس اى جماعة من الرعاة يسقون مواشيهم الماء من البير ووجد من دونهم امراتين تذودان اى تحبسان وتمنعان غنمهما من الورود الى الماء عن السدي وقيل تذودان الناس عن مواشيهما عن قتاده وقيل يكفان الغنم عن ان يختلط باغنام الناس عن الحسن فترك ذكر الغنم اختصارا قال موسى لهما ما خطبكما اى ما شانكما وما لكما لا تسقيان مع الناس وعن ابن اسحق قالتا لا نسقي عند المزاحمة مع الناس حتى يصدر الرعاء معناه اى حتى ينصرف الناس فانا لا نطيق السقي فننتظر فضول الماء فاذا انصرف الناس سقينا مواشينا من فضول الحوض عن ابن عباس وقتاده وابونا شيخ كبير لا يقدر ان يتولى السقي بنفسه من الكبر ولذلك احتجنا الى موسى في الخروج بغير محرم فسقى لهما معناه فسقى موسى غنمهما الماء لاجلهما وهو انه زاحم القوم عن الماء حتى اخرجهم عنه ثم سقى لهما عن ابن اسحق وقيل دفع لاجلهما حجرا عن بير كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها الا عشرة رجال وسالهم ان يعطوه دلوا فناولوه دلوا وقالوا له انزح ان امكنك وكان لا يرجها الا عشرة فنزحها وحده وسقى اغنامهما ولم يسق الا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم ثم تولى الى الظل اى انصرف الى ظل سمرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جايع فقال رب اني لما انزلت

الي من خير

الي من خير فقير قال ابن عباس سال نبي الله فلق خبز يقيم به صلبه قال امير المؤمنين عليه السلم والله ما ساله الا خبزا ياكله لانه كان ياكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه قال الاخفش يقال فقير اليه وفقير له قال ابن اسحاق فرجعتا الى ابيهما في ساعة كانتا لا يرجعان فيها فانكر شانهما وسالهما فاخبرتاه الخبر فقال لاحديهما علي به فرجعت الكبرى الى موسى لتدعوه فلذلك قوله فجاءته احداهما تمشي على استحياء اى مستحية معرضة على عادة النساء الخفرات وقيل اراد باستحيائها انها غطت وجهها بكم درعها عن عمر بن الخطاب وقيل هو بعدها من النداء عن الحسن قال فوالله ما كانت ولاجة ولا خراجة ولكنها كانت من الخفرات اللاتي لا يحسن المشي بين ايدي الرجال والكلام معهم وقيل اراد انها كانت تمشي عادلة عن الطريق قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اى ليكافيك على سقيك لغنمنا واكثر المفسرين على ان اباها شعيب عليه السلم وقال وهب وسعيد بن جبير هو هرون ابن اخي شعيب وكان شعيب مات قبل ذلك بعدما كف بصره ودفن بين المقام وزمزم وقيل يثروب قيل هو اسم شعيب لان شعيبا اسم عربي قال ابو حازم لما قالت ليجزيك اجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى واراد ان لا يتبعها ولم يجد بدا من ان يتبعها لانه كان في ارض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزها فجعل موسى يعرض عنها مرة ويغض مرة فناداها يا امة كوني خلفي واريني السمت بقولك فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيا فقال شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله ولم ذاك الست بجايع قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيئا من عمل الاخرة بملأ الارض ذهبا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف ونطعم الطعام قال فجعل موسى ياكل وذلك قوله فلما جاءه وقص عليه القصص اى فلما جاءه موسى شعيبا وقص عليه القصص وقص عليه امره اجمع من قتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه وقال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين يعني فرعون وقومه فلا سلطان له بارضنا ولسنا في مملكته قوله عز وجل قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت

اتممت
القوى الامين انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج فان
عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين
قال ذلك بينى وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل
فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى
انست نارا لعلى اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتيها نودى
من شاطى الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب العالمين
خمس آيات القراة قرا عاصم او جذوة بفتح الجيم وقرا حمزه وخلف جذوة بضم الجيم والباقون
جذوة بالكسر وفى الشواذ قراة الحسن ايما الاجلين بتخفيف الياء وسكونها الحجة فى الجذوة
ثلاث لغات على حسب القراة الثلاث و اما ايما فهى لغة قال الفرزدق شعر انتظرت نصرا و
السماكين ايهما على مع الغيث استهلت مواطره اللغة والجذوة القطعة الغليظة من الحطب
فيها النار وجمعها جذى قال شعر با تتحاطب ليلى يلتمس بها جزل الجذى غير خوار ولا دعر
وشاطى الوادى جانبه وهو الشط والجمع الشواطى الاعراب هاتين صفة لا بنتى ثمانى حجج
ظرف ثم ان ذلك بينى وبينك مبتدا وخبر ومعناه ما شرطت على فلك وما شرطت لى
فلى كذلك الامر بشا عن الزجاج واى فى معنى الجزاء وهى منصوبة بقضيت وما زائدة موكدة
وجوابه فلا عدوان على ان يا موسى ان فى موضع نصب وهى مخففه من الثقيلة تقديره
نودى بانه يا موسى وبانه الق عصاك المعنى ثم ذكر سبحانه امر موسى فى مدين وانصرافه
عنه فقال قالت احداها اى احدى ابنته واسمها صفوره وهى التى تزوج بها واسم الاخرى
لبا وقيل ان الكبرى صغرا واسم الصغرى صغيرا يا ابت استاجره اى اتخذه اجيرا ان خير
من استاجرت القوى الامين اى خير من استعملت من قوى على العمل وادى الامانة قال
على بن ابى طالب عليه السلم هذا لما قالت المراة قال شعيب ما علمك بامانته وقوته قالت اما قوته
فانه دفع الحجر الذى لا يرفعه كذا وكذا واما امانته فانه قال لى امشى خلفى فانا اكره ان تصيب
الريح ثيابك فيصف لى جسدك وقيل القوى فى نزعه الحجر من البير وكان لا يستطيعه
الا النفر والامين فى غض بصره وطرفه عنهما حين يسقى لهما فصدرتا وقد عرفنا قوته وامانته

فلما ذكرت المراة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه قال انى اريد ان انكحك اى ازوجك
احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج اى على ان تكون اجيرا لى ثمانى سنين فان اتممت
عشرا فمن عندك اى ذلك تفضل منك وليس بواجب عليك وقيل معناه على ان تجعل
جزاى وثوابى اياك على ان انكحتك احدى بنتى ان تعمل ثمانى سنين فزوجه ابنته بمهر
واستاجره للرعى ولم يجعل ذلك مهرا وانما شرط عليه ذلك وهذا وفق مذهب
ابى حنيفه والاول اصح واوثق لظاهر الاية وما اريد ان اشق عليك فى هذا الثمانى
حجج وان اكلفك خدمة سوى رعى الغنم وقيل ما اشق عليك بان اخذك باتمام
عشر سنين ستجدنى ان شاء الله من الصالحين فى حسن الصحبة والوفاء بالعهد وانما
علق الصلاح بمشية الله لان مراده ان يشاء الله تبقيتى فمن الجائز ان يخترمه الله
ولا يفعل الصلاح الدينى الذى يريده وحكى يحيى بن سلام انه جعل لموسى كل سخلة
توضع على خلاف شبه امها فاوحى الله الى موسى فى المنام ان القى عصاك فى الماء
ففعل ذلك فولدن كلهن على خلاف شبههن وقيل انه وعده ان يعطيه تلك السنة
من نتايج غنمه كل ادرع وانها نتجت كلها درعا وروى الحسين بن سعيد عن صفوان
عن ابى عبد الله عليه السلم قال سال ابيها التى قالت ان ابى يدعوك قالت التى تزوج
بها قبل فاى الاجلين قضى قال اوفاها وابعدها عشر سنين قيل فدخل بها قبل
ان يمضى الشرط او بعد انقضائه قال قبل ان ينقضى قيل له فالرجل يتزوج المراة
ويشترط لابيها اجارة شهرين ايجوز ذلك قال ان موسى علم انه سيتم له شرطه
فكيف قال علم انه سيبقى حتى يفى قال موسى ذلك بينى وبينك اى ذلك الذى وصفت
وشرطت على فلك وما شرطت لى من تزويج احديهما على وتم الكلام ثم قال
ايما الاجلين من الثمانى والعشر قضيت اى اتممت وفرغت منه فلا عدوان على اى لا
ظلم على بان اكلف اكثر منهما واطالب بالزيادة عليهما والله على ما نقول وكيل اى شهيد
فيما بينى وبينك عن ابن عباس فلما قضى موسى الاجل روى الواحدى عن ابن عباس
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله اى الاجلين قضى موسى قال اوفاهما وابطاهما

وبالاسناد عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا سئلت اي الاجلين قضى
موسى فقل خيرهما وابرهما وان سئلت اي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي
التي جاءت فقالت يا ابت استاجره وقال وهب تزوج الكبرى منهما وفي الكلام
حذف وايجاز وهو فلما قضى الاجل وتسلم زوجته ثم توجه نحو الشام وسار
باهله آنس من جانب الطور نارا وقيل انه لما زوجها منه امر الشيخ ان يعطي
موسى عصا يدفع السباع عن غنمه فاعطاه العصى وقد ذكرنا حديث العصا
في سورة الاعراف وقيل خرج آدم بالعصا من الجنة فاخذها جبرئيل بعد موت
آدم وكانت معه حتى لقي به موسى ليلا فدفعها اليه عن عكرمة وقيل لم تزل
الانبياء يتوارثونها حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى وكانت عصا الانبياء
عنده وروى عبد الله بن سنان قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول كانت عصا
موسى قضيب آس من الجنة اتاه به جبرئيل لما توجه تلقاء مدين وقال السدي
كانت تلك العصا استودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر ابنته ان تاتي بعصا
فدخلت واخذت العصا فاتته بها فلما راها الشيخ قال لا ائتيه بغيرها فالقتها
وارادت ان تاخذ غيرها فكان لا يقع في يدها الا هي فعلت ذلك مرارا
فاعطاها موسى وقوله سار باهله قيل انه مكث بعد انقضاء الاجل عنده
عشرا اخر فاقام عنده عشرين سنة ثم استاذن في العود الى مصر
ليزور والديه واخاه فاذن له فسار باهله عن مجاهد وقيل انه لما قضى العشر
سار باهله اي بامراته وباولاده الغنم التي كانت له وكانت قطيعا فاخذ على
غير الطريق مخافة ملوك الشام وامراته في شهرها فسار في البرية غير عارف
بالطريق فالجاه المسير الى جانب الطور الايمن في ليلة مظلمة شديدة البرد
واخذ امراته الطلق وضل الطريق وتفرقت ماشيته واصابه المطر فبقي لا يدري
اين يتوجه فبينا كذلك آنس من جانب الطور نارا وروى ابو بصير عن ابي جعفر
عليه السلام قال لما قضى موسى الاجل وسار باهله نحو بيت المقدس اخطا الطريق

ليلا فرأى نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا وقد مر تفسيره لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر
من الطريق الذي اريد قصده وهل انا على صوبه او منحرف عنه وقيل بخبر من النار
هل هي لخير نانسن اليه او لشر نحذره او جذوة من النار او قطعة من النار وقيل
باصل شجرة فيها نار لعلكم تصطلون اي تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ
الوادي الايمن اي نودي موسى من الجانب الايمن للوادي من البقعة المباركة وهي
البقعة التي قال الله فيها لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانما كانت
مباركة لانها معدن الوحي والرسالة وكلام الله تعالى وقيل مباركة لكثرة
الاشجار والثمار والخير والنعم بها والاول اصح من الشجرة انما سمع موسى عليه السلام
النداء والكلام من الشجرة لان الله تعالى فعل الكلام فيها وجعل الشجرة محل الكلام
لان الكلام عرض يحتاج الى محل وعلم موسى عليه السلام بالمعجزات ان ذلك كلامه تعالى وهذه
على منازل الانبياء اعني ان يسمعوا كلام الله تعالى من غير واسطة ومبلغ وكان
كلامه سبحانه يا موسى اني انا الله رب العالمين اي ان المكلم لك هو الله مالك
العالمين وخالق الخلائق اجمعين تعالى وتقدس عن ان يحل في محل او يكون في مكان
لانه ليس بعرض ولا جسم قوله عز وجل وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ
وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ اسْلُكْ يَدَكَ
فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ
مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ
عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا
الْغَالِبُونَ خمس آيات القراءة قرا اهل الحجاز والبصرة من الرهب بفتح الراء والهاء
وقرا حفص من الرهب بفتح الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء
وقرا اهل البصرة وابن كثير فذانك بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرا ابو جعفر

ونافع ردا بغير همز والباقون بالهمز وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع والباقون
يصدقني بالجزم وفي الشواذ قرأ الحسن عضدك الحجة الرهب والرهب لغتان مثل الرشد
والرشد والرهب والرهب مثل الشمع والسمع والنهر والنهر وقوله فذانك قد مضى القول
فيه فيما تقدم وقال الزجاج التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك
وجعل بدل اللام في ذلك تشديد النون ومن قال ردا فانه خفف الهمزة
وكذلك حكم الهمزة اذا خففتها وكان قبلها ساكن ان تحذف ويلقى حركتها على
الساكن قبلها ومن قرا يصدقني بالرفع جعله صفة للنكرة وتقديره ردا يصدقني
مصدقا ومن قرا بالجزم كان على معنى الجزاء اي ان ارسلته يصدقني وفي عضد خمس
لغات عضد وعضد وعضد وعضد وعضد وافصحها عضد مثل
رجل الاعراب قوله الى فرعون يتعلق بما يتعلق به من قوله برهانان من ربك
ويجوز ان يتعلق بمحذوف كما تقدم ذكره في قوله في تسع آيات الى فرعون وهارون
عطف بيان او بدل ردا نصب على الحال والباء في قوله باياتنا يحتمل ثلثة اوجه احدها
ان يتعلق بيصلون والثاني ان يتعلق بنجعل والثالث ان يتعلق بقوله الغالبون
المعنى ثم بين سبحانه تمام قصة موسى ع فقال وان الق عصاك كما اعاد
سبحانه هذه القصة وكررها في السورة تقريرا للحجة على اهل الكتاب واستمالة
لهم الى الحق ومن احب شيئا احب ذكره والقوم يدعون محبة موسى عليه السلام وكل
من ادعى اتباع سيده مال الى من يذكره بالفضل على ان كل موضع التكرار لا يخلو
من زيادة فائدة وههنا حذف وتقديره فالقاها مرية فانقلبت باذن الله تع
ثعبانا عظيما تهتز كانها جان في سرعة حركتها وشدة اهتزازها فلما رآها
تهتز اي تتحرك كانها جان ولى مدبرا موسى ولم يعقب اي لم يرجع الى ذلك الموضع
فنودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من ضررها وفي انقلاب العصا
حية دلالة على ان الجواهر متماثلة وانها من جنس واحد لانه احال العصا الى حال
الحيوان من حال الخشب وما جرى مجرى ذلك من الجماد فاذا صح قلب الخشب الى حال

الحيوان



الحيوان صح ايضا قلب الابيض الى حال الاسود اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج
بيضاء من غير سوء اي من غير برص واضمم اليك جناحك من الرهب اي ضم يدك
الى صدرك من الخوف فلا خوف عليك عن ابن عباس ومجاهد والمعنى ان الله سبحانه
امره ان يضم يده الى صدره فيذهب ما اصابه من الخوف عند معاينة الحية وقيل امره
سبحانه بالعزم على ما اراده منه وحضه على الجد فيه لئلا يمنعه الخوف الذي يغشاه
في بعض الاحوال مما امره بالمضي فيه وليس يريد بقوله اضمم يدك الضم المزيل للفرجة
بين شيئين عن ابي علي الفارسي قال وهذا كما ان اشدد في قوله شعر اشدد حيازيمك
للموت فان الموت لاقيك ليس يراد به الشد الذي هو الربط والمراد به تأهب للموت
واستعد للقائه حتى لا تهاب لقاءه ولا تجزع من وقوعه وقد جاء ذكر اليد
في موضع يراد بها جملة ذي اليد فمن ذلك قولهم لبيك والخير بين يديك ومنه
قوله تعالى بما قدمت يداك وفي المثل يداك اوكتا وفوك نفخ وانما يقال هذا لتقريع
الجملة وقال ابو عبيدة جناحا الرجل يداه وقال غيره الجناح هنا العضد ويدل
على قوله ان العضد قد يقام مقام الجملة في مثل قوله سنشد عضدك باخيك
وقد جاء المفرد ويراد به التثنية قال شعر يداك يد احداهما الجود كله وراحتك
الاخرى طعان يغادره المعنى يداك يدان بدلالة قوله احداهما فعلى هذا يجوز
ان يراد بالافراد في قوله واضمم اليك جناحك التثنية وقيل انه لما القى العصا وصارت
حية بسط يديه كالمتقي وهما جناحاه فقيل له اضمم اليك جناحك اي ما بسطته
عن يديك المعنى لا تبسط يديك خوف الحية فانك امن من ضررها ويجوز ان يكون
معناه اسكن ولا تخف فان من هاله امر انزعج حتى كانه يطير وآلة الطيران الجناح
فكانه ع قد بلغ نهاية الخوف فكان له ضم منشور جناحك من الخوف اي اسكن وقيل
معناه اذا هالك امر يدك لما تبصر من شعاعها فاضممها اليك لتسكن فذانك
برهانان من ربك معناه فاليد والعصا حجتان من ربك على نبوتك الى فرعون
وملائه اي ارسلناك الى فرعون وملائه بهاتين الآيتين الباهرة من انهم كانوا

قوما فاسقين اي خارجين من طاعة الله الى اعظم المعاصي وهو الكفر قال موسى
رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بتلك النفس واخي هرون هو افصح
مني لسانا وانما قال ذلك لعقدة كانت في لسانه قد مر فيما مضى ذكر سببها
وقد كان الله تعالى ازال اكثرها او جميعها بدعائه فارسله معي ردا اي معينا
على تبليغ رسالتك يقال فلان ردا لفلان اذا كان ينصره ويشد ظهره يصدقني
اني اخاف ان يكذبون اي يصدقني على ما اؤديه من الرسالة وان جزمته فالمعنى فانك
ان ترسله معي يصدقني وانما كان سؤاله ذلك بعد ان اذن له فيه لان الانسان
لا يعلم ان المصلحة في ارسال نبي واحد او اثنين الا بالوحي وقال مقاتل معناه
لكن يصدقني فرعون قال سنشد عضدك باخيك هذه استعارة والمعنى
سنجعله رسولا معك وبعدك بان نقرنه اليك في النبوة وننصرك به ونجعل
لكما سلطانا اي حجة وقوة وبرهانا فلا يصلون اليكما باياتنا اي لا يصل فرعون
وقومه الاضرار بكما بسبب ما نعطيكما من الايات وما نجري على ايديكما من المعجزات
فيخافكما فرعون وقومه لاجلها وقيل ان قوله باياتنا موضعه التقديم اي ونجعل
لكما سلطانا باياتنا فلا يصلون اليكما ثم اخبر ان الغلبة لهما عليهم فقال انتما
ومن اتبعكما الغالبون على فرعون وقومه قاهرون لهم وهذه الغلبة غير السلطان
فان السلطان بالحجة والغلبة بالقهر حين هلك فرعون وقومه وملك موسى
ديارهم وروي عن الجعوني في حديث طويل قال فلما رجع موسى الى امراته قالت من اين جئت
قال من عند ربك النازة لغد الى فرعون فوالله لكاني انظر اليه طويل الباع ذو شعر
آدم عليه جبة من صوف عصاه في كفه مربوط حقوه بشريط نعله من جلد حمار شراكها
من ليف فقيل لفرعون ان على الباب فتى يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون لصاحب
الاسد حل سلاسلها وكان اذا غضب على رجل خلاها فقطعته فخلاها فقرع موسى
الباب الاول وكانت تسعة ابواب فلما قرع الباب الاول انفتحت له الابواب التسعة
فلما دخل جعلن يتبصبصن تحت رجليه كانهن جراء فقال فرعون لجلسائه رايتم

مثل هذا قط فلما اقبل اليه فقال الم نربك فينا وليدا الى قوله وانا من الضالين فقال فرعون
لرجل من اصحابه قم فخذ بيده وقال للاخر اضرب عنقه فضرب جبرئيل السيف حتى قتل
ستة من اصحابه فقال خلوا عنه قال فاخرج يده فاذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه
وبين وجهه والقى العصا فاذا هي حية فالتقمت الايوان بلحييها فدعاه ان يا موسى
اقلني الى غد ثم كان من امره ما كان قوله عز وجل فلما جاءهم موسى باياتنا بينات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وقال موسى ربي
اعلم بمن جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال
فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين
فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين واستكبر
هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون
الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيمة هم من المقبوحين سبع آيات القراءة قرا ابن كثير قال موسى بغير واو
وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون وقال بالواو وقرا اهل الكوفة غير عاصم
من يكون بالياء والباقون بالتاء وقرا نافع واهل الكوفة غير عاصم ويعقوب
لا يرجعون بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الجيم الحجة قال ابو علي قد مضى
القول في نحو هذا فيما قبل وكذلك في نحو الياء والتاء من يكون وكلاهما حسن وكذلك
قد مضى فيما تقدم القول في يرجعون وترجعون اللغة الصرح البناء العالي كالقصر
واصله من الظهور فالتصريح شدة ظهور المعنى قال بهن نعام بناه الرجال
تحسب اعلامهن الصروحا والنبذ الالقاء والطرح والشيء منبوذ قال ابو الاسود
شعر نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا والقبح الابعاد
قبحه الله اي ابعده يقبحه قبحا ويقال قبحه اذا جعله قبيحا وقيل قبحه فهو مقبوح
اهلكه الاعراب بينات نصب على الحال ما سمعنا بهذا يحتمل ان يكون الباء زائدة

ويحتمل ان يكون على اصلها وقوله بغير الحق الجار والمجرور في موضع نصب على الحال
والتقدير واستكبر هو وجنوده مبطلين ويدعون صفة لائمة ويوم القيمة
ظرف لفعل يفسره قوله من المقبوحين على تقدير وقبحوا يوم القيمة لان الصلة
لا تعمل فيما قبل الموصول والالف واللام في المقبوحين موصولة تقديره الذين قبحوا
المعنى ثم قال سبحانه فلما جاءهم موسى باياتنا التقدير فمضى موسى الى فرعون وقومه
فلما جاءهم باياتنا بينات اي بحججنا البينات ومعجزاتنا الظاهرات قالوا ما هذا
الا سحر مفترى اي مختلق مفتعل لم يبن على اصل صحيح لانه حيلة يوهم خلاف الحقيقة فوصفوا
الايات بالسحر والاختلاق على هذا المعنى جهلا منهم وذهابا عن الصواب وما سمعنا
بهذا في اباءنا الاولين اي لم نسمع ما يدعيه ويدعوا اليه في اباءنا الذين كانوا
قبلنا وانما قالوا ذلك مع اشتهار قصة نوح وهود وصالح وغيرهم من النبيين
الذين دعوا الى توحيد الله واخلاص عبادته لاحد امرين اما للفترة التي دخلت
بين الوقتين والزمان الطويل واما لان اباءهم ما صدقوا بشيء من ذلك ولا دانوا به
فيكون المعنى ما سمعنا باباءنا انهم صدقوا الرسل فيما جاؤوا به ووجه شبهتهم
في ذلك انهم قالوا انهم الكبراء فلو كان حقا لادركوه فانه لا يجوز ان يدرك الحق
الانقص في الراي والعقل ولا يدركه الا الافضل منهما وهذا غلط لان ما طريقه
الاستدلال لا يمتنع ان يصيبه الادون في الراي اذا سلك طريقه ولا يصيبه الاكمل
في الراي اذا لم يسلك طريقه وقال موسى ع مجيبا لهم ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
ومن تكون له عاقبة الدار ومعناه ربي يعلم اني جئت بهذه الايات الدالة على
الهدى من عنده فهو شاهد لي على ذلك ان كذبتموني ويعلم ان العاقبة الحميدة
لنا ولاهل الحق والانصاف وهذا كما يقال على سبيل المظاهرة الله اعلم بالمحق منا و
المبطل وحجتي ظاهرة فاكسرها ان قدرت على ذلك انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون
بالخير من ظلم نفسه وعصى ربه وكفر نعمه وقال فرعون منكرا لما اتى به موسى
من ايات الله لما اعياه الجواب وعجز عن محاجته يا ايها الملأ يريد اشراف قومه

ما علمت لكم

ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين اي فاجج النار على الطين واتخذ
الاجر وقيل انه اول من اتخذ الاجر وبنى به عن قتادة فاجعل لي صرحا اي قصرا وبناء
عاليا لعلي اطلع الى اله موسى اي اصعد اليه واشرف عليه واقف على حاله وهذا تلبيس
من فرعون وايهام على العوام ان الذي يدعوا اليه موسى يجري مجراه في
الحاجة الى المكان والجهة واني لاظنه من الكاذبين في ادعائه الها غيري وانه رسوله
واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق اي رفع فرعون وجنوده انفسهم في الارض
فوق قدرها بالباطل والظلم وانفوا وتعظموا عن قبول الحق في اتباع موسى
وظنوا انهم الينا لا يرجعون اي انكروا البعث وشكوا فيه فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم اي فعاقبناهم وطرحناهم في البحر واهلكناهم بالغرق وعنى باليم نيل مصر
وقيل بحر من وراء مصر يقال له اساف اغرقهم الله فيه فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين اي تفكر وتدبر وانظر بعين قلبك كيف اخرجناهم من ديارهم
واغرقناهم وجعلناهم ائمة يدعون الى النار وهذا يحتاج الى تاويل لان ظاهره
يوجب انه تعالى جعلهم ائمة يدعون الى النار كما جعل الانبياء يدعون الى الجنة
وهذا ما يقول به احد فالمعنى انه اخبر عن حالهم بذلك وحكم بانهم كذلك
وقد تجعل الاضافة على هذا الوجه بالتعارف فيجوز ان يكون اراد بذلك انه
لما اظهر حالهم على لسان انبيائه حتى عرفوا فكانه جعلهم كذلك ومعنى دعائهم
الى النار انهم يدعون الى الافعال التي يستحق بها دخول النار من الكفر والمعاصي
ويوم القيمة لا ينصرون اي لا ينصر بعضهم بعضا ولا ينصرهم غيرهم يوم
القيمة كما كانوا يتناصرون في الدنيا واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
بعد لعنة وهي البعد عن الرحمة والخيرات وقيل معناه الزمناهم اللعنة
في هذه الدنيا بان امرنا المؤمنين بلعنهم يلعنونهم عن ابي عبيدة ويوم القيمة
هم من المقبوحين اي من المهلكين عن الاخفش وقيل من المشوهين في الخلقة
بسواد الوجوه وزرقة الاعين عن الكلبي عن ابن عباس وقيل من المقبوحين

المفضوحين قوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا
القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون
وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين
ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين
تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا
ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم
يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا
لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم
الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي
موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب
من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا
لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ثماني آيات القراءة قرأ أهل الكوفة
سحران بغير الألف والباقون ساحران بالألف الحجة قال أبو علي حجة من قال
ساحران أنه قال تظاهرا والمظاهرة المعاونة وفي التنزيل وإن تظاهرا عليه
والمعاونة في الحقيقة إنما تكون للساحرين لا للسحرين والوجه في قوله سحران
أنه نسب المعاونة إلى السحرين على الاتساع كأن كل سحر منهما يقوي الآخر الإعراب
قال الزجاج قوله بصائر حال أي آتيناه الكتاب مبينا وأقول فيه إنه بدل من الكتاب
فإن المعرفة يجوز أن يبدل منها النكرة والبصائر في معنى الحجج فلا يصح معنى الحال
فيهما إذا كان اسما مختصا لا شائبة فيه للفعل وقوله إذ قضينا ظرف لمحذوف والذي
تتعلق به الباء في قوله بجانب الغربي وتتلوا جملة منصوبة الموضع على الحال ولكن
رحمة منصوبة مفعول لها تقديره ولكنا أوحينا إليك رحمة أي للرحمة كما تقول
فعلت ذلك ابتغاء الخير لولا أن تصيبهم مصيبة لولا هذه هي التي معناها امتناع

الشيء لوجود غيره وأن تصيبهم مبتدأ وجواب لولا محذوف وتقديره لم يحتج
إلى إرسال الرسل ولولا الثانية في قوله فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا
هي التي معناها التحضيض بمعنى هلا بغير هدى الجار والمجرور في موضع نصب
على الحال المعنى ثم ذكر سبحانه من أخبار موسى ع ما فيه الدلالة على معجز نبينا ع
فقال ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة من بعد ما أهلكنا القرون
الأولى أي الجموع التي كانت قبله من الكفار مثل قوم نوح وعاد وثمود ويجوز
أن يريد بالقرون قوم فرعون لأنه سبحانه أعطاه التوراة بعد إهلاكهم بمدة بصائر
للناس أي حججا وبراهين للناس وعبرا يبصرون بها أمر دينهم وأدلة يستدلون
بها في أحكام شريعتهم وهدى أي دلالة لمن اتبعه يهتدي بها ورحمة لمن آمن به
لعلهم يتذكرون أي يتعظون ويعتبرون وجاءت الرواية بالإسناد عن أبي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة ولا أهل
قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية التي
مسخوا قردة ألم تر أن الله تعالى قال ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا
القرون الأولى الآية وما كنت بجانب الغربي أي وما كنت يا محمد حاضرا بجانب الغربي
أي في الجانب الغربي من الجبل الذي كلم الله فيه موسى عن قتادة والسدي وقيل بجانب
الوادي الغربي عن ابن عباس والكلبي إذ قضينا إلى موسى الأمر أي عهدنا إليه وأحكمنا
الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه وقيل معناه أخبرناه أمرنا ونهينا وقيل أدى
كلامه معه في وصف نبينا صلى الله عليه وآله ونبوته وما كنت من الشاهدين أي الحاضرين
لذلك الأمر وبذلك المكان فتخبر قومك به عن مشاهدة وعيان ولكنا أخبرناك
به ليكون معجزة لك ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر أي خلقنا قرنا بعد قرن
فطال عهدهم بالمهلكين قبلهم وفترة النبوة فحملهم ذلك على الاغترار وأنكروا
بعثة الله رسله لجهلهم بأمر الرسل فأرسلناك رسولا وجعلناك رحمة للناس
كما جعلنا موسى رحمة لا يتم الكلام إلا بهذا التقدير وقيل إن المعنى خلقنا خلقا كثيرا

عهدنا اليهم في نعتك وصفتك وامرنا الاول بابلاغ الناس الى الثاني فامتد بهم الزمان
فنسوا عهدنا اليهم فيك وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا معناه
وما كنت مقيما في قوم شعيب تتلوا عليهم اياتنا قال مقاتل معناه ولم تشهد اهل مدين
تقرا على اهل مكه خبرهم ولكنا كنا مرسلين ارسلناك الى اهل مكة وانزلنا عليك
هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى انك لم تشاهد قصص الانبياء
ولا تليت عليك ولكنا اوحيناها اليك وقصصناها عليك حتى تخبر قومك
بها فيدل ذلك على صحة نبوتك وقيل معناه انك لم تشهد ارسالنا الى عبادنا في سالف
الرسل ونصب الايات وانزال الكتب بالبيان والهدى وهذا كما يقال لم تر اي شيء كان
هناك تفخيما للامر ولولا الوحي لما علمت من ذلك ما علمت ولم تهتد له وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا اي ولم تكن حاضرا بناحية الجبل الذي كلمنا عليه موسى
وناديناه يا موسى خذ الكتاب بقوة وقيل اراد بذلك المرة الثانية التي كلم الله
فيها موسى حين اختار من قومه سبعين رجلا ليسمعوا كلام الله تعالى ولكن رحمة
من ربك اي ولكن الله تعالى اعلمك ذلك وعرفك اياه نعمة من ربك انعم بها عليك
وهو ان بعثك نبيا واختارك لايتاء العلم بذلك معجزة لك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك اي لتنذر العرب الذين لم ياتهم رسول قبلك لعلهم يتذكرون
اي لكي يتفكروا ويعتبروا وينزعوا عن المعاصي وفي هذا دلالة على وجوب فعل اللطف
فان الانذار والدعوة لطف من الله تعالى موثر في القبول ومقرب منه ولولا ان تصيبهم
مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
ونكون من المؤمنين معناه لولا ان لهم ان يحتجوا لو اصابتهم عقوبة بان يقولوا
هلا ارسلت الينا رسولا يدعونا الى ما يجب الايمان به فنتبع الرسول وناخذ بشريعته
ونصدق به لما ارسلنا الرسل ولكن ارسلنا رسلا لقطع حجتهم وهو في معنى قوله
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقيل ان جواب لولا ههنا لعجلنا العقوبة
وقيل المراد بالمصيبة ههنا عذاب الاستيصال وقيل عذاب الدنيا والاخرة عن ابي مسلم

فلما جاءهم الحق

فلما جاءهم الحق من عندنا اي محمد والقران والاسلام قالوا لولا اوتي اي هلا اعطي محمد
مثل ما اوتي موسى من فلق البحر واليد البيضاء والعصا وقيل معناه هلا اوتي كتابا
جملة واحدة وانما قال اليهود او قريش بتعليم اليهود فاحتج الله عليهم بقوله اولم يكفروا
بما اوتي موسى من قبل اي وقد كفروا بايات موسى كما كفروا بايات محمد قالوا سحران
تظاهرا يعنون التورية والقران عن عكرمه والكلبي ومقاتل ومن قرا ساحران
تظاهرا فمعناه انهم قالوا تظاهر موسى ومحمد عن ابن عباس وقالوا انا بكل كافرون
من التورية والقران قال الكلبي وكانت مقالتهم هذه حين بعثوا الرهط منهم الى رؤس
اليهود بالمدينة في عيد لهم فسالوهم عن محمد فاخبروهم بنعته وصفته في كتابهم
التورية فرجع الرهط الى قريش واخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحران
تظاهرا قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين
معناه قل يا محمد لكفار قومك فاتوا بكتاب هو اهدى من التورية والقران
حتى اتبعه ان صدقتم ان التورية والقران سحران وقيل معناه فاتوا بكتابكم من
عند الله يومن معه التكذيب اي لم يكذب به طايفة من الناس ثم قال لنبيه فان لم
يستجيبوا لك اي فان لم ياتوا بمثل التورية والقران وقيل فان لم يستجيبوا لك الى
الايمان مع ظهور الحق فاعلم انما يتبعون اهواءهم اي ما يميل اليه طباعهم لان الهوى
ميل الطباع الى المشتهى قال الزجاج اي فاعلم انما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما اثروا
فيه الهوى ثم ذمهم فقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي لا احد
اضل ممن يتبع هواه بغير رشاد ولا بيان جاءه من الله ان الله لا يهدي القوم
الظالمين اي طريق الجنة وقيل معناه لا يحكم بهدايتهم وقيل انهم اذا لم يهتدوا
بهدى الله فكانه لم يهدهم قوله عز وجل ولقد وصلنا لهم القول لعلهم
يتذكرون الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم
قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم

ينفقون وَاِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ اَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا اَعْمَالُنَا وَلَكُمْ اَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ خمس آيات اللغة اصل التوصيل من وصل الحبال بعضها
ببعض قال امرؤ القيس دبر كخذروف الوليد امره تتابع كفيه بخيط موصل
اى موصول بعضه ببعض وهو فى الكلام ان يصير بعضه على بعض فى الدرء الدفع
النزول نزل قوله الذين اتيناهم الكتاب وما بعده فى عبد الله بن سلام وتميم
الدارى والجارود العبدى وسلمان الفارسى فانهم لما اسلموا نزلت فيهم الآيات
عن قتاده وقيل نزلت فى اربعين رجلا من اهل الانجيل كانوا مسلمين بالنبى
قبل مبعثه اثنان وثلثون من الحبشة اقبلوا مع جعفر بن ابى طالب وقت قدومه
وثمانية قدموا من الشام منهم بحيرا وابرهة والاشرف وعامر وابى وادريس
ونافع وتميم المعنى ثم بين سبحانه صفة القرآن فقال ولقد وصلنا لهم القول
اى فصلنا لهم القول وبينا عن ابن عباس ومعناه اتينا باية بعد اية وبيان بعد بيان
واخبرناهم باخبار الانبياء والمهلكين من امتهم لعلهم تتذكرون اى ليتذكروا
ويتفكروا فيعلموا الحق ويتعظوا الذين اتيناهم الكتاب من قبله اى من قبل محمد
هم به اى بمحمد يومنون لانهم وجدوا صفته فى التورية وقيل معناه من قبل القرآن
هم بالقرآن يصدقون والمراد بالكتاب التورية والانجيل يعنى الذين اوتوا الكتاب
واذا تلى القرآن عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله اى من قبل
نزوله مسلمين بروذلك ان ذكر النبى والقرآن كان مكتوبا عندهم فى التورية
والانجيل فهولاء لم يعاندوا ثم اثنى الله سبحانه عليهم فقال اولئك يوتون
اجرهم مرتين بما صبروا مرة بتمسكهم بدينهم حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وآله
فامنوا به ومرة بايمانهم به وقيل بما على الكتاب الاول وعلى الكتاب الثانى وايمانهم
بما فيهما عن قتاده وقيل بما صبروا على دينهم وعلى اذى الكفار وتحمل المشاق ويدرون
بالحسنة السيئة اى يدفعون بالحسن الكلام الكلام القبيح الذى يسمعونه
من الكفار وقيل يدفعون بالمعروف المنكر عن سعيد بن جبير وقيل يدفعون بالحلم

جهل الجاهل

جهل الجاهل عن يحيى بن سلام وقيل يدفعون بالمداراة مع الناس اذاهم عن انفسهم وروى
مثل ذلك عن ابى عبد الله عليه السلام ومما رزقناهم ينفقون مر معناه واذا سمعوا اللغو اى
السفه من الناس والقبيح من القول والهذى الذى لا فائدة فيه اعرضوا عنه ولم يقابلوه
بمثله وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى لا تسالون عن اعمالكم ولا تسالون عن اعمالنا
بل كل منا يجازى على عمله وقيل معناه لنا ديننا ولكم دينكم وقيل لنا حلمنا ولكم سفهكم سلام
عليكم اى امان منا لكم ان نقابل لغوكم بمثله وقيل هى كلام حلم واحتمال بين المومنين
والكافرين وهى كلمة تحية بين المومنين عن الحسن لا نبتغى الجاهلين اى لا نطلب مجالستهم و
معاونتهم وانما نبتغى الحكماء والعلماء وقيل معناه لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه
عن مقاتل وقيل لا نبتغ دين الجاهلين ولا نحبه عن الكلبى قوله عز وجل اِنَّكَ لَا تَهْدِى
مَنْ اَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاۤءُ وَهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَقَالُوا اِنْ نَتَّبِعِ الْهُدٰى
مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ اَرْضِنَا اَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا اٰمِنًا يُجْبٰى اِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ
رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا
فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ اِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
مُهْلِكَ الْقُرٰى حَتّٰى يَبْعَثَ فِى اُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرٰى اِلَّا
وَاَهْلُهَا ظَالِمُونَ وَمَا اُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ
خَيْرٌ وَاَبْقٰى اَفَلَا تَعْقِلُونَ خمس آيات القراءة قرا اهل المدينة ويعقوب وسهل
تجبى بالتاء والباقون بالياء وقرا ابو عمرو افلا تعقلون بالياء والتاء كيف شئت
والباقون بالتاء الحجة قال ابو على تانيث ثمرات تانيث جمع وليس بتانيث حقيقى
فيكون بمنزلة الوعظ والموعظة والصوت والصيحة اذا ذكرت جاز واذا
انثت جاز وجه من قرا افلا تعقلون بالتاء قوله فما اوتيتم والياء افلا يعقلون
يا محمد اللغة التخطف اخذ الشى على وجه الاستلاب من كل وجه يقال تخطفه
واختطفه اختطافا وخطفه يخطفه خطفا قال امرؤ القيس شعر تخطف خزان الانيعم
بالضحى وقد جحرت منها ثعالب دال تجبى من جبيت الماء فى الحوض اى جمعته والجابية

الخوض والبطر الطغيان عند النعمة قال ابن الاعرابي البطر سوء احتمال الغنى وقيل ان اصله
من قولهم ذهب دمه بطرا اى باطلا عن الكسائي وقيل هو ان يتكبر عند الحق فلا يقبله
الاعراب رزقا مصدر وضع موضع الحال تقديره يجبى اليه ثمرات كل شيء مرزوقة ويجوز
ان يكون مصدر فعل محذوف تقديره نرزق رزقا ويجوز ان يكون فعله مصدرا
من معنى قوله يجبى اليه الثمرات لانه في معنى رزق فيكون مثل قولهم حمدته شكرا ويجوز
ان يكون مفعولا له وقوله من لدنا في موضع نصب على الصفة لقوله رزقا وكم اهلكنا
اى كثيرا من القرى اهلكنا وكم في موضع نصب باهلكنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز
لان كم الخبرية اذا فصل بينها وبين مميزها بكلام نصب كلا بحكم الاستفهامية معيشتها
انتصب بقوله بطرت وتقديره في معيشتها فحذف الجار فافضى الفعل فتلك مساكنهم
مبتدأ وخبر لم تسكن في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة في تلك قليلا صفة
مصدر محذوف وتقديره الا سكونا قليلا او صفة ظرف تقديره وقتا او زمانا قليلا
النزول قيل نزل قوله انك لا تهدى من احببت في ابي طالب فان النبي صلى الله عليه وآله
كان يحب اسلامه فنزلت هذه الآية وكان يكره اسلام وحشي قاتل حمزة فنزل عليه يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فلم يسلم ابو طالب واسلم وحشي
ورووا ذلك عن ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما ترى فان النبي صلى الله عليه وآله
في ارادته كلا يجوز ان يخالفه في اوامره ونواهيه واذا كان الله تعالى على ما زعم القوم
يريد ايمان ابي طالب واراد كفره واراد النبي عليه السلام ايمانه فقد حصل غاية الخلاف بين ارادتي
الرسول والمرسل فكان سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم انك يا محمد تريد ايمانه ولا اريد
ايمانه ولا اخلق فيه الايمان مع تكفله بنصرتك وبذل مجهوده في اعانتك والذب عنك
ومحبته لك ونعمته عليك وتكره انت ايمانه ولا اخلق فيه الايمان مع تكلفه ايمان وحشي
لقتله حمزة عمك وانا اريد ايمانه واخلق في قلبه الايمان وفي هذا ما فيه وقد ذكرنا
في سورة الانعام ان اهل البيت عليهم السلام قد اجمعوا ان ابا طالب مات مسلما وتظاهرت
الروايات بذلك عنهم واوردنا هناك طرفا من اشعاره الدالة على تصديقه للنبي

صلى الله عليه وآله

صلى الله عليه وآله وتوحيده فان استيفاء جميعه لا يتسع له الطوامير وما روي
من ذلك في كتب المغازي وغيرها اكثر من ان يحصى يكاشف فيها من كاشف النبي ع
ويناضل عنه ويصحح نبوته وفي بعض الثقات ان قصائده في هذا المعنى التي تنفث
في عقد السحر وتغبر في وجه شعراء الدهر تبلغ قدر مجلد واكثر من هذا ولا شك
فيه انه لم يختر تمام مجاهرة الاعداء استصلاحا لهم وحسن تدبير في دفع كيادهم
لئلا يلجئوا الرسول الى ما الجأوه اليه بعد موته المعنى لما تقدم ذكر الرسول
والقرآن وانه انزل هدى للخلق بين سبحانه انه ليس عليه الاهتداء وانما عليه
البلاغ والاداء فقال انك يا محمد لا تهدى من احببت هدايته وقيل من احببته
لقرابته والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الايمان فانه لا يقدر
عليه الا الله تعالى لانه اما ان يكون من فعله خاصة او باعلامه ولا يعلم ما
يصلح المرء في دينه الا الله تعالى فان الهداية التي هي الدعوة والبيان قد اضافها
سبحانه اليه في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقيل ان المراد بالهداية
في الآية الاجبار على الاهتداء اى انت لا تقدر على ذلك وقيل معناه ليس عليك
اهتداؤهم وقبولهم الحق ولكن الله يهدى من يشاء بلطفه وقيل على وجه الاجبار
وهو اعلم بالمهتدين اى القابلين للهدى فيدبر الامور على ما يعلمه من صلاح
العباد ثم قال سبحانه حاكيا عن الكفار وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا اى نستلب من ارضنا يعني ارض مكة والحرم وقيل انما قاله الحرث
ابن نوفل بن عبد مناف فانه قال للنبي صلى الله عليه وآله انا لنعلم ان قولك حق ولكن
يمنعنا ان نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة ان يتخطفنا العرب من ارضنا ولا طاقة
لنا بالعرب فقال الله سبحانه ردا عليهم هذا القول اولم نمكن لهم حرما امنا اى او لم نجعلهم
مكة في امن وامان قبل هذا ودفعنا ضرر الناس عنهم حتى كانوا يامنون فيه فكيف
يخافون زواله الآن افلا تقدر على دفع ضرر الناس عنهم لو آمنوا بك حالة الايمان
والطاعة اولى بالامن والسلامة من حالة الكفر يجبى اليه ثمرات كل شيء اى يجمع اليه

ثمرات كل ارض وبلد رزقا من لدنا اى عطاء من عندنا جاريا عليهم ولكن اكثرهم لا يعلمون
ما انعمنا به عليهم وقيل لا يعلمون الله فلا يعبدونه فيعلموا ما يفوتهم من الثواب وكم
اهلكنا من قرية اى من قرية بطرت معيشتها اى فى معيشتها بان اعرضت عن الشكر وتكبرت
والمعنى اعطيناهم المعيشة الواسعة فلم يعرفوا حق النعمة وكفروا فاهلكناهم فتلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا تلك اشارة الى ما يعرفونه من ديار عاد وثمود
وقوم لوط اى صارت مساكنهم خاوية خالية عن اهلها وهى قريبة منكم وان ديار عاد
انما كانت بالاحقاف وهى موضع بين اليمن والشام وديار ثمود بوادى القرى وديار
قوم لوط بسدوم وكانوا هم يمرون بهذه المواضع فى تجاراتهم وكنا نحن الوارثين
اى المالكين لديارهم لم يخلفهم احد فيها ثم خاطب سبحانه نبيه فقال وما كان
ربك يا محمد مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا قيل ان معنى امها ام القرى وهى مكه
وقيل يريد معظم القرى فى سائر الدنيا يتلوا عليهم اياتنا اى يقرأ عليهم حججنا وبيناتنا
وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون لنفوسهم بالكفر والطغيان والعتو
والعصيان ثم خاطب سبحانه خلقه وما اوتيتم من شىء اى وما اعطيتموه من شىء فمتاع
الحيوة الدنيا وزينتها اى هو شىء تتمتعون به فى الحيوة الدنيا وتتزينون به وما
عند الله من الثواب ونعيم الاخرة خير من هذه النعم وابقى لانها فانية ونعم الاخرة
باقية افلا تعقلون ذلك وتتفكرون فيه حتى تميزوا بين الفانى والباقى قوله عز وجل
اَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
الْقِيٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ اَيْنَ شُرَكَائِىَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ
قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ اَغْوَيْنَا اَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا اِلَيْكَ
مَا كَانُوا اِيَّانَا يَعْبُدُونَ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَاَوُا
الْعَذَابَ لَوْ اَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا اَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ
فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْاَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ست آيات اللغة المتعة
المنفعة وقد فرق بينهما بان المتعة منفعة توجب الالتذاذ فى الحال والمنفعة

قد يكون

١١٤

قد يكون بالم تؤدى عاقبته الى نفع وكل متعة منفعة وليس كل منفعة متعة والاحضار
ايجاد ما به يكون الشىء بحيث يشاهده والزعم القول فى الامر على ظن او علم ولذلك دخل
فى باب علمت واخواتها قال شعر فان تزعمينى كنت اجهل فيكم فانى شريت الحلم عندك بالجهل
النزول نزل قوله افمن وعدناه الاية فى رسول الله صلى الله عليه وآله وفى ابى جهل وقيل
نزل فى حمزة بن عبد المطلب وعلى بن ابى طالب عليه السلام وفى ابى جهل عن محمد بن كعب والسدى وقيل
نزل فى عمار وفى الوليد بن المغيرة والاولى ان يكون عاما فيمن يكون بهذه الصفة
المعنى لما تقدم ذكر من اوتوا من زينة الحيوة الدنيا عقبه سبحانه بالفرق بين من اوتى
نعيم الدنيا وبين من اوتى نعيم الاخرة فقال افمن وعدناه وعدا حسنا من ثواب الجنه
ونعيمها جزاء على طاعته فهو لاقيه اى فهو واصل اليه ومدركه لا محالة كمن متعناه
متاع الحيوة الدنيا من الاموال وغيرها ثم هو يوم القيمة من المحضرين للجزاء والعقاب
وقيل من المحضرين فى النار والمعنى ان يكون حال هذا كحال ذلك اى لا يكون حالهما
سواء لان نعم الدنيا مشوبة بالغموم ويعرض للزوال والفناء ونعم الاخرة خالصة
صافية دائمة لانها تتكدر بالشوب ولا ستعرض للانقضاء ويوم يناديهم اى واذكر
يوم ينادى الله الكفار وهو يوم القيمة وهذا نداء تقريع وتبكيت فيقول اين شركاى
الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم شركاى فى الالهية وتعتقدونهم وتدعون انهم
ينفعونكم قال الذين حق عليهم القول اى حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين
والذين اغووا الخلق من الانس ربنا هؤلاء الذين اغوينا يعنون اتباعهم اغويناهم
كما غوينا اى اضللناهم عن الدين بدعائنا اياهم الى الضلال كما ضللنا عن انفسنا
تبرأنا اليك منهم ومن افعالهم قال الزجاج برئ بعضهم من بعض وصاروا اعداء
كما قال سبحانه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ما كانوا ايانا يعبدون اى لم
يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادتنا وقيل معناه
لم يعبدوننا باستحقاق وحجة وقيل ادعوا شركاءكم ويقال للاتباع ادعوا الذين
عبدتموهم من دون الله وزعمتم انهم شركاى لينصروكم ويدفعوا عنكم عذاب الله

وانما اضاف الشركاء اليهم لانه لايجوز ان يكون لله شريك ولكنهم كانوا يزعمون انها
شركاء لله بعبادتهم اياهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي فيدعونهم فلم يجيبوهم ملتمسهم
وراوا العذاب اي لا عتقدوا ان العذاب حق وهذا القول او في لدلالة الكلام
على المحذوف ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين اي ماكان جوابكم
لمن ارسل اليكم من النبيين وهذا سوال التقرير بالذنب هذا نداء يجمع العلم والعمل
معا فان الرسل يدعون الى العلم والعمل جميعا فكانه قيل لهم ماذا علمتم وماذا عملتم
فعميت عليهم الانباء يومئذ فصاروا كالعمى لانسداد طرق الاخبار عليهم كما تنسد طرق الارض
على العمى وقيل معناه فالتبست عليهم الحجج عن مجاهد وسميت حججهم انباء اخبارا تخبر بها
فهم لايحتجون ولا ينطقون بحجة لان الله تعالى ادحض حججهم واكل السنتهم فسكتوا
فذلك قوله فهم لايتساءلون اي لايسال بعضهم بعضا عن الحجج وقيل لايسال بعضهم
بعضا عن العذر الذي يعتذر به في الجواب فلا يجيبون وقيل معناه لايتساءلون
بالانساب والقرابة كما في الدنيا وقيل لايسال بعضهم بعضا عن حاله لشغله بنفسه
عن الجبائي وقيل لايسال بعضهم بعضا ان يحمل ذنوبه عنه عن الحسن قوله عز وجل
فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَرَبُّكَ
يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ اربع آيات المعنى ثم ذكر سبحانه التائبين
ورغب في التوبة بعد التخويف فقال فاما من تاب اي رجع عن المعاصي والكفر وآمن
وعمل صالحا اي واضاف الى ايمانه الاعمال الصالحة فعسى ان يكون من المفلحين
وانما اتى بلفظه عسى مع انه مقطوع بفلاحه لانه على رجاء ان يدوم على ذلك
فيفلح فقد يجوز ان يزل فيما بعد فيهلك على انه قد قيل ان عسى من الله سبحانه
لفظ وجوب في جميع القرآن ولما كان المفلح مختار الله تعالى ذكر عقيبه ان الاختيار
الى الله سبحانه والخلق والحكم له لكونه قادرا عالما على الكمال فقال وربك يخلق

مايشاء

مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة والخيرة اسم من الاختيار واقيم مقام المصدر والخيرة
اسم للمختار ايضا يقال محمد خيرة الله من خلقه ويجوز التخفيف فيهما واختلف في
الاية وتقديرها على قولين احدهما ان معناه وربك يخلق مايشاء من الخلق ويختار
تدبير عباده على ماهو الاصلح لهم ويختار للرسالة من هو الاصلح لعبادتهم
ثم قال ماكان لهم الخيرة اي وليس لهم الاختيار على الله بل لله الخيرة عليهم وعلى هذا تكون
ما نفيا ويكون الوقف على قوله ويختار وفيه رد على المشركين الذين قالوا لولا نزل
هذا القول على رجل من القريتين عظيم فاختاروا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة
ابن مسعود الثقفي من الطائف والاخر ان يكون ما في الاية بمعنى الذي اي ويختار
ماكان لهم الخيرة فيه فيكون الوقف عند قوله ماكان لهم الخيرة وهذا ايضا في معنى
الاول لان حقيقة المعنى فيهما انه سبحانه يختار واليه الاختيار ليس لمن دونه الاختيار
لان الاختيار يجب ان يكون على العلم باحوال المختار ولايعلم غيره سبحانه جميع
احوال المختار ولان الاختيار هو اخذ الخير وكيف ياخذ الخير من الاشياء
من لايعلم الخير منها سبحان الله وتعالى عما يشركون اي تقدس وتنزه عن ان يكون
له شريك في خلقه واختياره ثم اقام سبحانه البرهان على صحة اختياره
بقوله وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون اي وربك يعلم ما يخفونه
وما يظهرونه واليه الاختيار وفي هذا دلالة على ان من لايعلم السر والجهر لا
اختيار اليه ثم اكد سبحانه ذلك بقوله وهو الله الذي لا اله الا هو لايستحق
العبادة سواه له الحمد في الاولى والاخرة اي له الثناء والمدح والتعظيم على ما
انعم به على خلقه في الدنيا والعقبى وله الحكم بينهم بما يميز به الحق من الباطل قال
ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة والفضل ولاهل معصيته بالشقاء والويل
واليه اي الى جزائه وحكمه ترجعون قوله عز وجل قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ
اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ

يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول
اين شركاءى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا
برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون خمس آيات المعنى
ثم بين سبحانه ما يدل على توحيده فقال لنبيه صلى الله عليه وآله قل يا محمد لاهل مكه
الذين عبدوا معه الهة تنبيها لهم على خطائهم ارايتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا اى دائما الى يوم القيمة لا يكون معه نهار من اله غير الله يأتيكم بضياء
كضياء النهار تتصرفون فيه فانهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك الا بانه
لا يقدر على ذلك سوى الله فحينئذ تلزمهم الحجة بانه لا يستحق العبادة غيره
افلا تسمعون اى افلا يقبلون ما وعظهم به وقيل افلا تسمعون ما بينه الله
لكم من ادلته وتتفكرون فيه قل يا محمد لهم ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
اى دائما الى يوم القيمة لا يكون معه ليل من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه
اى تستريحون فيه من الحركة والنصب افلا تبصرون اى افلا تعلمون من البصيرة وقيل
افلا تشاهدون الليل والنهار وتقديره فيهما فتعلموا انهما من صنع مدبر حكيم
ثم قال ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اى ومن نعمته عليكم واحسانه اليكم ان جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه اى في الليل ولتبتغوا من فضله اى في النهار ولعلكم
تشكرون نعم الله تعالى في تصريف الليل والنهار وفي ساير انواع النعم ويوم يناديهم
فيقول اين شركاءى الذين كنتم تزعمون مضى تفسيره وانما كرر ذكر النداء
للمشركين باين شركاءى تقريعا لهم بعد تقريع وقيل لان النداء الاول لتقريرا قرارهم
على انفسهم بالغى الذى كانوا عليه ودعوا اليه والثانى للتعجيز عن اقامة البرهان
على ما طولبوا بحضرة الاشهاد ونزعنا من كل امة شهيدا اى واخرجنا من كل امة
من الامم رسولها الذى يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم عن مجاهد وقتاده وقيلهم
عدول الاخرة ولا يخلو كل زمان منهم يشهدون على الناس بما عملوا فقلنا هاتوا برهانكم

اى محجكم

اى محجكم على ما ذهبتم اليه فعلموا ان الحق لله فبهتوا وتحيروا لما لم يكن لهم حجة يقيموها
وعلموا يقينا ان الحق ما انزل الله وان الحجة لله ولرسوله فلزمهم الحجة لان الشهود
عليهم اذ المرئيات بمخلص من بينه الخصم وجهة القضية عليه ولزمه الحكم وضل عنهم
اى ذهب عنهم ما كانوا يفترون من الكذب وبطل ما عبدوه من دون الله تعالى النظم
انما اتصلت هذه الايات بما قبلها بانه جرى ذكر معبودى الكفار وانهم لم يغنوا عن
دون الله شيئا فعقبه سبحانه بان وصف نفسه بانه المنعم المالك للنفع والضر وقيل
لما تقدم ان الحمد لله سبحانه في الدارين ذكر عقيبه ما يوجب الحمد من النعم السابغة
وقيل يتصل بقوله يخلق ما يشاء ويختار اى يختار لعباده ما هو الاصلح لهم والانفع
قوله عز وجل ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز
ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين
قال انما اوتيته على علم عندى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج
على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما
اوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون فخسفنا به
وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من
المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا
ويكانه لا يفلح الكافرون سبع آيات القراءة قرا حفص عن عاصم ويعقوب
وسهل لخسف بفتح الخاء والسين وهو قراءة الحسن والاعرج وشيبة ومجاهد وقرا الباقون
لخسف بضم الخاء وكسر السين وقرا يعقوب ويكان يقف عليها ثم يبتديان فيقول

ان الجنة قال ابو علي من قرأ خسف بنا بفتح الخاء فلتقدم ذكر الله ومن قرأ بضم الخاء
فبنى الفعل للمفعول به فانه يؤول الى الاول في المعنى وقال ابن جني وي كانه ثلثة اقوال
منهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على وي ومنهم من قال ويك وهو مذهب ابي الحسن
والوجه فيه عندنا هو قول الخليل وسيبويه وهو ان وي اسم سمي به الفعل في الخبر
فكانه اسم اعجب ثم ابتدأ فقال كانه لا يفلح الكافرون وكان الله يبسط الرزق قوي
منفصلة من كان وعليه بيت الكتاب شعر سالتاني الطلاق ان راتاني قل مالي قد جئتماني
بنكر وي كان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر وثم جاءت فيه كان
عارية من معنى التشبيه مما انشدناه ابو علي شعر كانني حين امسي لا يكلمني متيم يشتهي
ما ليس موجودا اي انا حين امسي متيم من حالي كذا ومن قال انها ويك فكانه قال اعجب
لانه لا يفلح الكافرون واعجب لان الله يبسط الرزق وهو يقول ابي الحسن وينبغي ان يكون
الكاف هنا حرف خطاب بمنزلة الكاف في ذلك واولئك ويشهد لهذا قول عنترة شعر
ولقد شفى نفسي واذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر اقدم وقول من قال ويكانه
كلمة واحدة انما يريد به انه لا يفصل بعضه من بعض واللغة البغي طلب العتو بغير حق
ومنه قيل للولاة الجور بغاة والكنز جمع المال بعضه على بعض وصار بالعرف عبارة عما يخبأ
تحت الارض ولا يطلق في الشرع اسم الكنز الا على ما لا تخرج زكوته للوعيد الذي جاء فيه
والمفاتح جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح ومعناهما واحد وهو عبارة عما يفتح
به الاغلاق وناء بحمله ينوء نوءا اذا نهض به مع ثقله عليه ومنه اخذت الانواء لانها
تنهض من المشرق وعلى ثقل نهوضها قال ابو زيد ناء في الحمل اذا انقلب والعصبة الجماعة
الملتف بعضها ببعض يقال تنوء المفاتح بالعصبة وتنوء العصبة بمعنى كما يقال
ذهبت به واذهبته فالباء والهمزة تتعاقبان في تعدي الفعل قال سبحانه فاجاءها
المخاض اي جاء بها وقال ابو عبيدة هذا من المقلوب معنى قوله لتنوء بالعصبة
تنوء العصبة بها كما قال شعر ان سراج الكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره
ومعناه يحلى بالعين فقلب قال اخر شعر كانت عقوبة ما جنيت كما كان الزناء عقوبة الرجم

وقال امرؤ القيس

وقال امرؤ القيس شعر يضيء الظلام وجهها لضجيعها كمصباح زيت في قناديل
ذبال اي في ذبال قناديل وهذا غير صحيح ولا يجوز ان يحمل القران عليه لانه يجري مجرى
الغلط من العرب ومثل ذلك في شعرهم كثير قال شعر غداة احلت لابن اصرم طعنة
حصين عبيطات السدائف والخمر والعبيطات مفعوله والطعنة فاعله فقلبت
ومن اغلاطهم قال الزاجر شعر برية لم تعرف المرقا ولم تذق من البقول فستقا
فظن الفستق من البقول فاما من قول خداش بن زهير شعر وتركب خيلا لا
هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر فذهب كثير من العلماء الى ان المعنى
وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح فقلب ليس الامر كذلك وانما اراد ان رماحهم
تشرف عن هولاء الضياطرة فاذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح لان منزلتها
ارفع من ان يطعنوا بها وقالوا ايضا في قول زهير شعر فتنتج لكم غلمان اشأم
كلهم كاحمر عاد ثم تنتج فتتئم انه غلط بنسبة الى عاد وانما هو احمر ثمود
وهذا ايضا ليس بغلط فان ثمود تسمى عادا الاخرة لقوله تعالى وانه اهلك
عادا الاولى وقيل انما سموا ثمود لان الله تعالى لما اهلك عادا بقيت منهم
بقية تناسلوا منهم ثمود واستولهم هذا الاسم من الثمد وهو الماء القليل
لانهم قلوا عن عددها الاولى واذا جاء في الشعر ما يجري مجرى الغلط فلا يجوز
ان يحمل كلام الله تعالى عليه المعنى ان قارون كان من قوم موسى اي كان من بني
اسرائيل ثم من سبط موسى وهو ابن خالته عن عطاء عن ابن عباس وروي
ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل في التبيان كان ابن عم موسى لابيه وامه وقارون
عمه عن محمد بن اسحق فبغى عليهم اي استطال عليهم بكثرة كنوزه عن قتادة قال
وكان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ منه للتورية ولكن
عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى وقيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل
فكان يبغي عليهم ويظلمهم لما كانوا بمصر عن سعيد بن المسيب وابن عباس وقيل
انه زاد عليهم الثياب شبرا عن عطاء الخراساني وشهر بن حوشب واتيناه من الكنوز قال عطاء

اصاب كنزا من كنوز يوسف ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة ما هذه
موصولة بمعنى الذى وصلتها ان مع اسمها وخبرها اى اعطيناه من الاموال
المدخرة القدر الذى تنوء مفاتحه العصبة والمفاتح هنا الخزائن فى قول اكثر
المفسرين وهو اختيار الزجاج كما فى قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب فيكون
المراد بمفاتحه خزاين ماله وهو قول ابن عباس والحسن وقيل هى المفاتح التى
يفتح بها الابواب عن قتاده ومجاهد وروى الاعمش عن خيثمة قال كانت مفاتح
قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع واختلف فى معنى العصبة فقيل ما بين
عشرة الى خمسة عشر وقيل ما بين عشرة الى اربعين عن قتاده وقيل اربعون رجلا
عن ابى صالح وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة عن ابن عباس وقيل انهم الجماعة
يتعصب بعضهم لبعض اذ قال له قومه من بنى اسرائيل لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
اى لا تاشر ولا تمرح ولا تتكبر بسبب كنوزك ان الله لا يحب من كان بهذه الصفة
ويدل على ان الفرح بمعنى البطر قول الشاعر ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع
من صرفه المتقلب وقول آخر ولا ابخى من الفرح الا ذا را وابتغ فيما اتاك الله
الدار الاخرة وهذا ايضا من مقالة المؤمنين من قوم قارون له وقيل ان
المخاطب له بذلك موسى ع وان ذكر بلفظ الجمع ومعناه اطلب فيما اعطاك الله
من الاموال الدار الاخرة بان تنفقها فى سبيل الخير ووجوه البر ولا تنس نصيبك
من الدنيا وهو ان يعمل فى الدنيا للاخرة عن اكثر المفسرين ومعناه لا تنس
ان تعمل لاخرتك لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذى يعمل به لاخرته
وروى فى معناه عن على عليه السلام لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك
ونشاطك وغناك ان تطلب بها الاخرة وقيل امر ان يقدم الفضل وان يمسك
ما يغنيه عن الحسن وقيل معناه انه كان قتورا شحيحا فقيل له كل واشرب واستمتع
بما اتاك الله من الوجه الذى اباحه الله لك فان ذلك غير محظور عليك
واحسن كما احسن الله اى افضل على الناس كما فضل الله عليك وقيل احسن فيما اقترض الله

عليك

١٩١

عليك كما احسن فى انعامه عليك عن يحيى بن سلام وقيل معناه واحسن الشكر لله تعالى
على قدر انعامه عليك وواس عباد الله بمالك ولا تبغ الفساد فى الارض اى لا تطلب
العمل فى الارض بالمعاصى ان الله لا يحب المفسدين ظاهر المعنى قال قارون انما اوتيته
على علم عندى اختلف فى معناه فقيل اراد انما اعطيت هذا المال بفضل علم
عندى ليس ذلك عندكم عن قتاده يعنى انه قدر ان هذا ثواب من الله تعالى
له لفضيلته كما اخبر سبحانه عن ذلك الكافر بقوله ولئن رددت الى ربى لاجدن
خيرا منها منقلبا وقيل معناه لرضى الله عنى ومعرفته باستحقاقى عن ابن زيد
وهذا قريب من الاول وقيل معناه ان المال حصل لى على علم عندى بوجوه
المكاسب بما لا يتهيا لاحد ان يكتسبه من التجارات والزراعات وغيرها
وقيل على علم عندى بصنعة الذهب وهو علم الكيمياء عن الكلبى وحكى ان موسى ع
علم قارون الثلث من صنعة الكيمياء وعلم يوشع الثلث منها وعلم ابن هارون
الثلث منها فخدعهما قارون حتى علم ما عندهما وعمل بالكيمياء فكثرت امواله
او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون الكافرة بنعمته من هو اشد منه
قوة واكثر جمعا كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم بين سبحانه ان اغتراره
بماله وعدده وعدده من الخطاء العظيم لانه لا ينتفع بذلك عند نزول العذاب
به كما ان من كانوا اقوى واغنى منه لم تغن اموالهم وجموعهم عنهم شيئا عند ذلك
ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون قال قتاده يعنى انهم يدخلون النار بغير حساب
وقال قتاده ان الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا يسالون عنهم لعلاماتهم ويأخذونهم
بالنواصى والاقدام فيصيرونهم الى النار وهذا كقوله فيومئذ لا يسال
عن ذنبه انس ولا جان واما قوله فوربك لنسالنهم اجمعين فانما ذلك
سؤال تقريع وتوبيخ لا ليعلم ذلك من قبلهم عن الحسن فخرج على قومه فى زينته
اى خرج قارون على بنى اسرائيل فى زينته التى كان يتزين بها وحشمه وتبعه
وقيل انه خرج فى اربعة الاف دابة عليها اربعة الاف فارس عليهم وعلى دوابهم

الارجوان عن قتاده والارجوان في اللغة صبغ احمر وقيل خرج في جوار بيض على سرج
من ذهب على قطف ارجوان وقيل على بغال بيض عليهن ثياب حمر وعلى سرج ذهب عن
السدي وقيل خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا من الكفار والمنافقين وضعيفي الايمان للمومنين عند الله من حظ
ثواب الجنه لما راوه في تلك الزينة والجمال يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو
عظيم اي ذو نصيب وافر من الدنيا والمعنى انهم تمنوا مثل منزلته ومثل ماله
وقال الذين اوتوا العلم وهم المومنين المصدقون بوعد الله لهم ويلكم ثواب
الله خير لمن امن وعمل صالحا مما اوتي قارون وحذف لدلالة الكلام عليه ولا يلقاها
الا الصابرون اي ولا يلقا مثل هذه الكلمة ولا يوفق لها الا الصابرون على
امر الله وقيل معناه ولا يعطاها يعني الجنه في الاخرة ودل اي ولا يلقاها عليها الا
ثواب الله الا الصابر على طاعة الله وعن زينة الدنيا عن الكلبي فخسفنا به وبداره
الارض قال السدي دعا قارون امراة من بني اسرائيل بغيا فقال لها اني اعطيك
الفين على ان تجيئي غدا اذا اجتمعت بنوا اسرائيل عندي فتقولي يا معشر بني اسرائيل
ما لي ولموسى قد اذاني قالت نعم فاعطاها خريطتين عليهما خاتمه فلما جاءت بيتها
ندمت وقالت يا ويلتي قد عملت كل فاحشة فما بقي الا ان افتري على نبي الله فلما اصبحت
اقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بني اسرائيل فقالت ان قارون اعطاني
هاتين الخريطتين على ان اتي جماعتكم فازعم ان موسى يراودني عن نفسي ومعاذ
الله ان افتري على نبي الله وهذه دراهمه عليهما خاتمه فعرف بنوا اسرائيل خاتم
قارون فغضب موسى فدعا الله عليه فاوحى الله اليه اني امرت الارض ان تطيعك
وسلطتها عليه فمرها فقال موسى يا ارض خذيه وهو على سريره وفرشه فاخذته
حتى غيبت سريره فلما راى ذلك قارون ناشده الرحم فقال خذيه فاخذته
حتى غيبت قدميه ثم اخذته حتى غيبت ركبتيه ثم اخذته حتى غيبت حقويه وهو
يناشده الرحم فاخذته حتى غيبته فاوحى الله اليه يا موسى ناشدك الرحم فاستغاثك

فابت

١٩١

فابت ان تغيثه لو اياي دعا واستغاثني لاغثته قال مقاتل واما امر موسى الارض فابتلعته
قال بنوا اسرائيل انما فعل ذلك موسى ليرث ماله لانه كان ابن عمه فخسف بداره
وبجميع امواله بعده بثلثة ايام فلم يقدر على ماله بعده ابدا فما كان له من فئة
ينصرونه من دون الله اي فما كان له من جماعة منقطعة اليه يدفعون عنه
عذاب الله تعالى الذي نزل به ثم قال سبحانه ذلك لانه كان يقدر مع نفسه الامتناع
بحاشيته وجنوده وما كان من المنتصرين بنفسه لنفسه واصبح الذين تمنوا مكانه
بالامس حين خرج في زينته يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر هذه كلمة تندم واعتراف قد بينا ان عند الخليل وسيبويه لفظه وي
مفصولة من كان وان وقعت في المصحف موصولة يقول القايل اذا تبين له
الخطاء وي كنت على خطاء وقال الفراء اصله ويلك فحذفت اللام وجعلت
ان مفتوحة في موضع نصب بفعل مضمر كانه قال اعلم ان الله قال وحدثني شيخ
من اهل البصرة قال سمعت اعرابية تقول لزوجها اين ابنك ويلك فقال
ويك انه وراء البيت قال معناه اما ترينه وراء البيت وقيل معناه الا كان و
وقال الكسائي ويكان في التاويل ويك ذلك ان الله وهو قول ابن عباس اي قالوا
ذلك ان الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامة كما بسط لقارون ويقدر ان يضيق
على من يشاء لا لهوان لكن بحسب المصلحة وقال مجاهد وقتاده ويكان معناه
الم يعلم لولا ان من الله علينا لخسف بنا اي لولا انه انعم علينا بنعمه ولم يعطنا
ما اعطى قارون لخسف بنا كما خسف به وقيل معناه لولا ان الله تعالى من علينا
بالتجاوز عما تمنينا لخسف بنا لما تمنينا منزلة قارون ويكانه لا يفلح الكافرون
اي لا يفوز بثواب الله وينجو من عقابه الجاحدون لنعمه الغافلون معرضوا
النظم انما اتصلت قصة قارون بما قبلها من قوله نتلوا عليك من نبا موسى الذي
وعد بتلاوته ثم في اول السورة قصة قارون معه وقيل اتصل بقوله فما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى فاكد سبحانه ذلك بحديث قارون وحاله

جملتهم
وقيل انما تقدم خزي الكفار وافتضاحهم يوم القيمة ذكر عقيبه ان قارون من
نفتضح يوم القيمة كما افتضح في الدنيا قوله عز وجل تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله
خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون
ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو
في ضلال مبين وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن
ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك
ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا
وجهه له الحكم واليه ترجعون ست آيات النزول قيل لما نزل النبي صلى الله عليه وآله
بالجحفة في مسيره الى المدينة لما هاجر اليها اشتاق الى مكة فاتاه جبرئيل فقال
اتشتاق الى بلدك وولدك فقال نعم قال جبرئيل فان الله يقول ان الذي فرض عليك
القران لرادك الى معاد يعني مكة ظاهرا عليها فنزلت الاية بالجحفة وليست بمكية ولا مدنية
وسميت مكة معادا لعوده اليها عن ابن عباس المعنى تلك الدار الاخرة يعني الجنة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا اي تجبرا وتكبرا على عباد الله
واستكبارا عن عبادة الله ولا فسادا اي عملا بالمعاصي عن ابن جريج ومقاتل
وروى زاذان عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه كان يمشي في الاسواق وحده وهو
وال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القران ويقرأ
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ويقول نزلت
هذه الاية في اهل العدل والتواضع من الولاة واهل القدرة من ساير الناس
وروى ابو سلام الاعرج عن امير المؤمنين علي عليه السلام ايضا قال ان الرجل ليعجبه
شراك نعله فيدخل في هذه الاية تلك الدار الاخرة يعني ان من تكبر على غيره
بلباس يعجبه فهو ممن يريد علوا في الارض وقال الكلبي يعني بقوله فسادا الدعاء
الى عبادة غير الله وقال عكرمة هو اخذ المال بغير حق والعاقبة للمتقين اي العاقبة

الجملة

١٣ -

الجميلة المحمودة من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك والمعاصي وقيل معناه الجنة لمن اتقى
عقاب الله باداء فرايضه واجتناب معاصيه من جاء بالحسنة فله خير منها مضى تفسيره
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون اي لا يزاد
في عقابهم على قدر استحقاقهم بخلاف الزيادة في الفضل على الثواب المستحق فانه يكون
تفضلا فهو مثل قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ان الذي فرض عليك
القران خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى ان الذي اوجب عليك الامتثال بما تضمنه
القران وانزله عليك لرادك الى معاد اي يردك الى مكة عن ابن عباس ومجاهد
والجبائي وعلى هذا فيجوز في الاية دلالة على صحة النبوة لانه اخبر به من غير شرط
ولا استثناء وجاء المخبر مطابقا للخبر وقال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف
في البلد ثم يعود اليه وقيل الى معاد الى الموت عن ابن عباس في رواية اخرى وابي سعيد
الخدري وقيل الى المرجع يوم القيمة اي يعيدك بعد الموت كما بداك عن الحسن
والزهري وعكرمة وابي مسلم وقيل الى الجنة عن مجاهد وابي صالح فالمعنى انه يميتك
ويبعثك ويدخلك الجنة والظاهر يقتضي انه العود الى مكة لان ظاهر العود يقتضي
ابتداء ثم عود اليه على انه يجوز ان يقال الجنة معاد وان لم يتقدم له فيها كون
كما قال سبحانه في الكفار ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ثم ابتداء سبحانه كلاما اخر فقال
قل يا محمد ربي اعلم من جاء بالهدى الذي يستحق به الثواب ومن هو في ضلال مبين اي
يجيء بالهدى ومن لم يجئ وضل عنه اي لا يخفى عليه المؤمن والكافر ومن هو على الهدى ومن هو ضال
عنه وتاويله قل ربي يعلم اني جئت بالهدى من عنده وانكم في ضلال ظاهر سينصرني
عليكم ثم ذكر نعمه فقال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي وما كنت يا محمد
ترجوا فيما مضى ان يوحي الله اليك ويشرفك بانزال القران عليك الا رحمة
من ربك قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه الا ان ربك رحمك
وانعم به عليك واراد بك الخير كذلك ينعم عليك بردك الى مكة فاعرف هذه
النعمة وقيل معناه وما كنت ترجوا ان تعلم كتب الاولين وقصصهم تتلوها على اهل مكة

ولم تشهدها ولم تحضرها بدلالة قوله وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم ايا
اى انك تتلوا على اهل مكه قصص مدين وموسى ولم تكن هناك ثاويا مقيما وكذلك
قوله بجانب الغربي وانت تتلوا قصصهم وامرهم فهذه رحمة ربك فلا تكونن ظهيرا
للكافرين اى معينا لهم وفي هذا دلالة على وجوب معاداة اهل الباطل وفي هذه الاية
وما بعدها وان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد غيره وقد روى عن ابن
عباس انه كان يقول القران كله اياك اعنى واسمعى يا جارة ولا يصدنك عن ايات الله
بعد اذ نزلت اليك تعظيما لذكرك وتفخيما لشانك وادع الى ربك اى الى طاعة
ربك الذى خلقك وانعم عليك والى توحيده ولا تكونن من المشركين اى لا تمل اليهم
ولا ترض بطريقتهم ولا توال احدا منهم ولا تدع مع الله الها اخر اى لا تعبد معه غيره
ولا تستدع حوائجك من جهة ما سواه لا اله الا هو اى لا معبود الا هو وحده لا شريك
له كل شىء هالك الا وجهه اى كل شىء فان اى يهلك بايد الا ذاته وهذا كما يقال هذا
وجه الراى ووجه الطريق وهذا معنى قول مجاهد الا هو وفي هذا دلالة على ان الاجسام
تفنى ثم تعاد على ما قاله الشيوخ في الفناء والاعادة وقيل معناه كل شىء هالك الا ما
اريد به وجهه فان ذلك يبقا ثوابه عن عطاء عن ابن عباس وعن ابى العالية والكلبى
وهو اختيار الفراء وانشد شعر استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه
الوجه والعمل اى اليه وجه العمل وعلى هذا يكون وجه الله ما وجه اليه من الاعمال
له الحكم اى له القضاء النافذ في خلقه وقيل له الفصل بين الخلائق في الاخرة
دون غيره واليه ترجعون اى تردون في الاخرة فيجازيكم باعمالكم النظم اتصل
قوله تلك الدار الاخرة الاية بما قبله على معنى انه سبحانه كما حرم نعم الدنيا عليهم بالهلاك
كذلك تحرم عليهم نعم الاخرة واما وجه اتصال قوله ان الذين فرض عليك
والقران الاية بما قبله فقد ذكرنا فيه من حمل المعاد على البعث انه اتصل بقوله
تلك الدار الاخرة ومن حمله على العود الى مكه قال انه لما بين سبحانه وعده لام
موسى برده موسى عليها مع شرف النبوة كذلك وعده برده العود الى مكه مع الشرف العظيم

وقد انجز

وقد انجز وعده كما انجز وعده هناك ويكون معنى الكلام ان الذى انزل عليك
القران بذلك الوعد واتصل قوله قل ربى اعلم من جاء بالهدى على معنى انه امره
بان يقول لهم ربى اعلم بالصادق والكاذب لا يلتبس عليه تم الجزء السابع ويتلوه في الثامن
تفسير سورة العنكبوت والحمد لله
رب العالمين

سورة العنكبوت مكية كلها في قول عكرمة وعطا والكلبى ومدنية كلها في احد
القولين عن ابن عباس وقتاده ومكية الا عشر آيات من اولها وانها مدنية
عن الحسن وفي احد القولين عن ابن عباس وعن يحيى ابن سلام عدد آيها تسع وستون
آية بالاجماع اختلافها ثلاث آيات الم كوفي وتقطعون السبيل حجازى مخلصين له
الدين بصرى شامى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة
العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين وروى
ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان
ليلة ثلاث وعشرين فهو والله يا با محمد من اهل الجنة لا يستثنى فيه ابدا ولا اخاف
ان يكتب الله على في يمينى اثما وان لهاتين السورتين من الله مكانا تفسيرها ختم الله
سبحانه وتعالى سورة القصص بذكر الوعد والوعيد وافتتح بهذه السورة بذكر
تكليف العبد فقال بسم الله الرحمن الرحيم
الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أَمْ
حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَنْ كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ خمس آيات القراءة قرأ على
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين بضم الياء وكسر اللام فيهما وهو

المروی عن جعفر بن محمد ومحمد بن عبد الله بن الحسن ووافقهم الزهری فی ولیعلمن الکاذبین
وقرا ایضا ولیعلمن المنافقین الجة معناه لیعرفن الناس من هم فحذف المفعول الاول
کما قال سبحانه یوم ندعوا کل اناس بامامهم وقال یعرف المجرمون بسیماهم وقال ونحشر
المجرمین زرقا یتخافتون فقیل ویجوز ان یکون من قولهم ثوب معلم بالکسر اذا اعلم نفسه
فی الحرب فیکون معناه ولیشهرن فیرجع الی المعنی الاول لانه علی تقدیر حذف المفعول
ویجوز ان یکون علی حذف المفعول ای ولیعلمن الصادقین ثواب صدقهم والکاذبین
عقاب کذبهم الاعراب قال الزجاج موضع ان الاولی نصب باسم حسب خبره وموضع ان
الثانیة نصب من جهتین اجودها ان تکون منصوبة بیترکوا لان یقولوا وبان یقولوا
فلما حذف حرف الخفض وصل یترکوا الی ان فنصب ویجوز ان یکون مفعولا اولا وثانیا
او صفة او بدلا فلا یکون مفعولا اول التعدیة الی المفعول الذی قبله وهو الترک ولا یجوز
ان یکون مفعولا ثانیا من وجهین احدهما ان باب ظننت واخواته اذا تعدی الی هذا
الضرب من المفعول لم یتعدی الی مفعول ثان ظاهر فی اللفظ والاخر ان المفعول الثانی
هو الاول فی المعنی ولیس القول الترک ولا یکون ایضا بدلا لانه لیس الاول ولا بعضه
ولا مشتملا علیه ولا یکون ایضا صفة لان ان الثانیة حسب وقع عمله فیها لا یخلو مما ذکرنا
من موضع اعماله فی المد واقول وبالله التوفیق ان البدل ههنا صحیح فانه
اذا قال احسبوا ان یدعوا الی الایمان غیر مختبرین ممتحنین بمشاق التکلیف فیکون
التقدیر فی معنی الایة احسبوا ان یترکوا احسبوا ان یهملوا ولا شک قال احسبوا
ان یدعوا الی الایمان ان الاهمال فی معنی الترک فیکون الثانی فی معنی الاول بعینه
واما الوجه الاول فانک لو قدرت اللام فقلت لان یقولوا والباء فقلت بان یقولوا
فلا شک ان الحرف تعلق بیترکوا فان الجار والمجرور فی موضع نصب به فتساهل الزجاج
فی العبارة عن المجرور بانه منصوب به وقوله ساء ما یحکمون ما هذه تحتمل وجهین
احدهما ان یکون اسما مفردا نکرة فی موضع النصب علی التمییز التقدیر ساء حکما
یحکمون والثانی ان یکون حرفا موصولا ویحکمون صلته والتقدیر ساء الحکم حکمهم

النزول

النزول قیل نزلت الایة فی عمار بن یاسر وکان یعذب فی الله عن ابن جریج وقیل نزلت فی اناس
مسلمین کانوا بمکة فارسل الیهم من فی المدینة انه لا یقبل منهم الاقرار بالاسلام
حتی یهاجروا فخرجوا الی المدینة فاتبعهم المشرکون فاذوهم وقاتلوهم فمنهم من قتل
ومنهم من نجا عن الشعبی وقیل انه اراد بالناس الذین امنوا بمکة سلمة بن هشام
وعیاش بن ابی ربیعة والولید بن الولید وعمار بن یاسر وغیرهم عن ابن عباس
المعنی الم احسب الناس ان یترکوا ان یقولوا امنا وهم لا یفتنون ای اظن الناس
ان یقنع منهم بان یقولوا انا مؤمنون فقط ویقتصر منهم علی هذا القدر ولا یمتحنون
بما یبین به حقیقة ایمانهم هذا لا یکون وهذا استفهام انکار وتوبیخ وقیل ان معنی
یفتنون ای یبتلون فی انفسهم واموالهم عن مجاهد وهو المروی عن ابی عبد الله
علیه السلام ویکون المعنی ولا یشدد علیهم التکلیف والتعبد ولا یومرون ولا ینهون
وقیل معناه ولا یصابون بشدائد الدنیا ومصائبها ای انها لا تندفع بقولهم
امنا وقال الحسن معناه احسب الناس ان یترکوا ان یقولوا لا اله الا الله ولا یختبروا
اصدقوا ام کذبوا یعنی ان مجرد الاقرار لا یکفی والاولی حمله علی الجمیع اذ لا تنافی
فان المومن یکلف بعد الایمان الشرایع ویمتحن فی النفس والمال والتمنی بالشداید
والهموم والمکاره فینبغی ان یوطن نفسه علی هذه الفتنة لیکون الامر اسهل علیه
اذا نزل به ثم اقسم سبحانه وقال ولقد فتنا الذین من قبلهم ای ولقد ابتلینا
الذین من قبل امة محمد من سالف الامم بالفرایض التی افترضناها علیهم او بالشداید
والمصایب علی اختلافهم وذکر ذلک تسلیة للمؤمنین قال ابن عباس منهم ابرهیم خلیل
الرحمن وقوم کانوا معه ومن بعده نشروا بالمناشیر علی دین الله فلم یرجعوا عنه
وقال غیره یعنی بنی اسرائیل ابتلوا بفرعون یسومونهم سوء العذاب فلیعلمن الله
الذین صدقوا فی ایمانهم ولیعلمن الکاذبین واما قوله فلیعلمن مع انه سبحانه کان عالما
فیما لم یزل بان المعلوم سیحدث لانه لا یصح وصفه سبحانه فیما لم یزل بانه عالم
بانه حادث وانما یعلم حادثا اذا حدث وقیل معناه فلیمیزن الله الذین صدقوا

من الذين كذبوا بالجزاء والمكافات وعبر عن الجزاء والتميز بالعلم لان كل ذلك
انما يحصل بالعلم فاقام السبب مقام المسبب مثله في اقامة السبب مقام المسبب قوله تعالى
كانا ياكلان الطعام فهذا سبب قضاء الحاجة فكنى بذكره عنها ومعنى صدقوا اي ثبتوا
على الشدايد وكذبوا اي ثبتوا ومنه قول زهير شعر اذا ما الليث كذب عن اقرانه
صدقا ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا ام هذه استفهام منقطع
عما قبله وليست التي هي معادلة الهمزة والمعنى بل احسب الذين يعملون الكفر والقبايح
ان يفوتونا فوت السابق لغيره ويعجزونا فلا نقدر على اخذهم والانتقام منهم ساء
ما يحكمون اي بئس الشيء الذي يحكمون ظنهم انهم يفوتونا وروى العياشي بالاسناد
عن ابي الحسن عم قال جاء العباس الى امير المؤمنين علي عليه السلام فقال له امش حتى نبايع
لك الناس فقال اتراهم فاعلين قال نعم قال فاين قول الله الم احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا الايات من كان يرجوا لقاء الله اي من كان يامل لقاء ثواب الله وقيل
معناه من كان يخاف عقاب الله عن سعيد بن جبير والسدي والرجا قد يكون بمعنى
الخوف كما في قول الشاعر شعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل
والمعنى من كان يخشى البعث ويخاف الجزاء والحساب او يامل الثواب فليبادر بالطاعة
قبل ان يلحقه الاجل فان اجل الله لات اي الوقت الذي وقته الله للثواب والعقاب
جاء لا محالة وهو السميع لاقوالكم العليم بما في ضمايركم قوله عز وجل ومن جاهد
فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون
ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس
لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون والذين امنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول امنا
بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك
ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين خمس آيات الاعراب

حسنا

حسنا مفعول لفعل محذوف وتقديره ووصينا الانسان بان يفعل بوالديه حسنا اي ما يحسن ما ليس لك
به علم موصول وصله في موضع نصب بانه مفعول تشرك النزول قال الكلبي نزلت الاية الاخيرة
في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اسلم فخاف اهل بيته فهاجر الى المدينة قبل ان
يهاجر النبي صلى الله عليه وآله فحلفت امه اسماء بنت مخرمة بن ابي جندل التميمي ان لا تاكل
ولا تشرب ولا تغسل راسها ولا تدخل كنا حتى يرجع اليها فلما رات ابناها ابو جهل والحرث
ابنا هشام وهما اخوا عياش لامه جزعها ركبا في طلبه حتى اتيا المدينة فلقياه وذكرا
له القصة فلم يزالا به حتى اخذ عليهما المواثيق ان لا يصرفاه عن دينه فتبعهما وقد كانت
امه صبرت ثلثة ايام ثم اكلت وشربت فلما خرجوا من المدينة اخذاه واوثقاه
كتافا وجلده كل واحد منهم مائة جلدة حتى يبرئ من دين محمد صلى الله عليه وآله جزعا
من الضرب وقال ما لا ينبغي فنزلت هذه الاية وكان الحرث اشدهما عليه فحلف عياش لان قدر له
خارجا من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا الى مكة مكثوا حينا ثم هاجر النبي صلى الله
عليه وآله والمؤمنون الى المدينة وهاجر عياش وحسن اسلامه واسلم الحرث بن هشام
وهاجر الى المدينة وبايع النبي عليه السلام ولم يحضر عياش فلقيه عياش يوما بظهر
قبا ولم يشعر باسلامه فضرب عنقه فقيل له ان الرجل قد اسلم فاسترجع عياش
وبكى ثم اتى النبي صلى الله عليه وآله فاخبره بذلك فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل
مؤمنا الا خطأ الاية وقيل نزلت الاية في ناس من المنافقين يقولون امنا فاذا
اوذوا رجعوا الى الشرك عن الضحاك وقيل نزلت في قوم ردهم المشركون الى مكة
عن قتادة المعنى لما رغب في تحقيق الرجاء والخوف بفعل الطاعة بالترغيب في المجاهدة
فقال ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي ومن جاهد الشيطان بدفع وسوسته
واغوايه وجاهد اعداء الدين لاجابة وجاهد نفسه الذي هي اعدا اعدائه
فانما يجاهد لنفسه لان ثواب ذلك عايد عليه وواصل اليه دون الله تعالى ان الله لغني عن
العالمين غير محتاج الى طاعتهم فلا يامرهم ولا ينهاهم لمنفعة ترجع اليه بل لنفعهم والذين
امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم التي اقترفوها قبل ذلك اي لنبطلنها

حتى يصير كأن لم يفعلوها ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون أي ما يجزيهم
بأحسن أعمالهم وهو ما أمروا به من العبادات والطاعات والمعنى لنكفرن سيئاتهم
أن يقال منهم في حال الكفر ولنجزينهم بحسناتهم التي عملوها في الإسلام ولما أمر
سبحانه بمجاهدة الكفار ومباينتهم بين حال الأبوين في ذلك فقال ووصينا
الإنسان بوالديه أي أمرناه أن يفعل بوالديه حسنا أي والزمناه ذلك ثم خاطب
سبحانه كل واحد من الناس فقال وإن جاهداك أبواك أيها الإنسان واستفرغا
مجهودهما في دعائك لتشرك بي بالعبادة ما ليس لك به علم وليس لأحد به علم فلا تطعهما
في ذلك فأمر سبحانه بطاعة الوالدين في الإجابة حتما وفي المباحات ندبا ونهى عن
طاعتهما في المحظورات ونفى العلم به فلا يحسن اعتقاده إلي مرجعكم أي مصيركم فأنبئكم
بما كنتم تعملون أي أخبركم بأعمالكم فأجازيكم عليها روي عن سعيد بن أبي وقاص قال كنت
برا بأمي فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الدين الذي أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا
آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلي يا أمه فإني لا أدع ديني هذا
الشيء قال فمكثت يوما لا تأكل وليلة ثم مكثت يوما آخر وليلة فلما رأيت ذلك قلت والله
يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا فكلي واشربي وإن شئت
فلا تأكلي ولا تشربي فلما رأت ذلك أكلت فأنزلت هذه الآية وإن جاهداك على وأمه
الجهينة بنت أبي سفيان ابن أمية بن عبد شمس وروي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده
قال قلت للنبي صلى الله عليه وآله يا رسول الله من أبر قال أمك قلت ثم من قال ثم أمك
قلت ثم من قال أمك قلت ثم من قال أباك ثم الأقرب فالأقرب
وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال الجنة تحت أقدام الأمهات ثم قال
سبحانه وتعالى والذين آمنوا أي صدقوا بوحدانية الله تعالى وإخلاص العبادة له
وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين أي في زمرتهم وجملتهم في الجنة ولما ذكر
سبحانه خيار المؤمنين عقبه بذكر ضعفائهم وقيل عقبه بذكر المنافقين وقال ومن الناس
من يقول آمنا بالله بلسانه فإذا أوذي في الله أي عن دين الله أو في ذات الله جعل فتنة

الناس

الناس كعذاب الله والمعنى فإذا أوذي بسبب دين الله رجع عن الدين مخافة عذاب الناس
كما ينبغي للكافر أن يترك دينه مخافة عذاب الله فيسوي بين عذاب منقطع وبين عذاب دائم
لا ينقطع أبدا لقلة تمييزه وسمى أذية الناس فتنة لما في احتمالها من المشقة ولئن جاء
نصر من ربك للمؤمنين ليقولن إنا كنا معكم على عدوكم طمعا في الغنيمة ثم كذبهم الله
فقال أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين من الإيمان والنفاق فلا يخفى عليه
كذبهم فيما قالوا قوله عز وجل وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ
مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ
وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ
فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ
السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ خمس آيات اللغة الثقل متاع البيت وجمعه
أثقال وهو من الثقل يقال ارتحل القوم بثقلهم وثقلتهم أي بأمتعتهم ومنه الحديث إني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض قال ثعلب
سميا بذلك لأن الأخذ بموجبهما ثقيل وقال غيره إن العرب تقول لكل شيء خطير نفيس ثقيل
فسماهما ثقلين تفخيما لشأنهما وكل شيء يتنافس فيه ثقل ومنه سمي الجن والإنس ثقلين لأنهما
فضلا على غيرهما من الخلق والطوفان الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرته في نواحي
الأرض قال الراجز أفناهم طوفان موت جارف الموت في كثرته بالطوفان الإعراب
قوله بحاملين من خطاياهم من شيء تقديره وما هم بحاملين من شيء من خطاياهم
في الأصل صفة لشيء مقدم عليه فصار في موضع نصب على الحال ألف سنة نصب على الظرف
خمسين نصب على الاستثناء وعاما منصوب على التمييز المعنى ثم أقسم سبحانه فقال وليعلمن الله
الذين آمنوا بالله على الحقيقة ظاهرا وباطنا وليعلمن المنافقين فيجازيهم بحسب أعمالهم
قال الجبائي معناه وليميزن الله المؤمن من المنافق فوضع العلم موضع التمييز
توسعا وقد مر بيانه وفي هذه الآية تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم

التي استهزؤا بها وتوهموا انهم قد نجوا من ضررها باحقابها فبين انها ظاهرة
عند من يملك الجزاء عليها وانه يحتمل الفضيحة العظمى بها وقال الذين كفروا نعم الله
وجحدوها للذين امنوا اي صدقوا بتوحيده وصدقوا رسوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم اي ونحن نحمل اثامكم ان قلتم ان لكم في اتباع ديننا اثما وتعنون بذلك انه
لا اثم عليكم باتباع ديننا ولا يكون بعث ولا نشور فلا يلزمنا شيء مما ضمنا والمامور
في قوله ولنحمل هو المتكلم به نفسه في مخرج اللفظ والمراد به الزام النفس هذا المعنى كما يلزم
الشيء بالامر وفيه معنى الجزاء وتقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم عنكم قال سبحانه
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء اي لا يمكنهم حمل ذنوبهم عنهم يوم القيمة فان الله
سبحانه وتعالى عدل لا يعذب احدا بذنب غيره وهذا مثل قوله ولا تزروا زرة وزر
اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يجري هذا مجرى تحمل الدية عن الغير لان الغرض
في الدية اداء المال عن نفس المقتول فلا فرق بين ان يوديه زيد عنه وبين ان يوديه
عمرو فانه بمنزلة قضاء الدين انهم لكاذبون فيما ضمنوا من حمل خطاياهم وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يعني انهم يحملون اوزارهم وخطاياهم في انفسهم التي لم يعملوها
بغيرهم ويحملون الخطايا التي ظلموا بها غيرهم وقيل معناه يحملون عذاب ضلالتهم
وعذاب اضلالهم غيرهم ودعائهم اياهم الى الكفر وهذا كقوله من سن سنة الخبر
وهذا كقوله وليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم يعني
بغير علم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون ومعناه انهم يسألون سوال
تعنيف وتوبيخ وتبكيت وتقريع لا سوال استعلام واستخبار ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه يدعوهم الى توحيد الله عز وجل فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فلم يجيبوه
وكفروا به فاخذهم الطوفان جزاء على كفرهم فهلكوا وهم ظالمون لانهم بما فعلوه من الشرك
والعصيان فانجيناه واصحاب السفينة فانجينا نوحا من ذلك الطوفان والذين ركبوا
معه في السفينة من المؤمنين وجعلناها اي وجعلنا السفينة اية للعالمين اي علامة
للخلايق اجمعين يعتبرون بها الى يوم القيمة لانها فرقت بين المؤمنين والكافرين

والابرار

والابرار والفجار وهي دلالة للخلق على صدق نوح وكفر قومه النظم انما اتصل قوله
واما الذين كفروا بما تقدم من ذكر المنافقين فانه سبحانه لما بين حالهم عند ايراد
الشبهة عليهم بين في هذه الاية ان الواجب ان يعتبر المومن بما يورده عليهم اهل الكفر
من الشبهة الفاسدة وقد ذكر في اتصال قصة نوح بما قبلها وجوه احدها انه
لما قال فتنا الذين من قبلهم فصل ذلك فبدا بقصة نوح ثم بما يليها وثانيها انه لما
ذكر حال المجاهدين الصابرين ذكر حال من كان مجاهدا فذكر قصة نوح وصبره على اذى
قومه وتمكنه بهم تلك المدة الطويلة ثم عقب ذلك بذكر غيره من الانبياء وثالثها
انه لما امر ونهى ووعد واوعد على امتثال اوامره وارتكاب نواهيه اكد ذلك
بقصص الانبياء قوله عز وجل وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله
الرزق فاعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب
امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اولم يروا كيف يبدئ الله
الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا
الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شيء قدير خمس ايات
القراءة قرا حمزة والكسائي وخلف اولم تروا والباقون بالياء وروي عن ابي بكر
بالتاء والياء جميعا وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بفتح الشين ممدودة
وقرا الباقون بسكون الشين غير ممدودة وفي الشواذ قراءة السلمي وزيد
بن علي عليه السلم ويخلقون افكا الحجة قال ابو علي حجة الياء في اولم يروا ان قبلها
وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وحجة التاء ان المعنى قل لهم اولم يروا
النشاءة واما يخلقون فانه على وزن يكذبون الاعراب كيف يبدا الله الخلق
في موضع نصب على الحال من الله والتقدير مبدعا يبدا الله الخلق ام لا يجوز
ان يكون حالا من الخلق فيكون تقديره ابدعا يبدا الله الخلق ام لا ويجوز ان يكون

المصدر

في موضع مصدر والتقدير اي بدأ ومثله كيف بدأ الخلق والنشاة منصوبة على
ومفعول ينشئ محذوف تقديره ينشئ الخلق المعنى ثم عطف سبحانه وتعالى على ما تقدم
فقال وابرهيم اي وارسلنا ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي اطيعوا الله
وخافوه بفعل طاعاته واجتناب معاصيه ذلكم خير لكم اي ذلك التقوى خير لكم ان كنتم
تعلمون بما هو خير لكم مما هو شر لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا ما في هذه
المعنى كافة والمعنى انكم تعبدون اصنامكم من حجارة لا تضر ولا تنفع وتخلقون
افكا لادعائهم انها الهة عن مجاهد وقتاده وابي علي الجبائي ثم ذكر عجز الهتهم
من رزق عابديها فقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا
اي لا يقدرون على ان يرزقوكم والملك قدرة القادر على ما له ان يتصرف في
ماله اتم التصرف وليس ذلك الا الله على الحقيقة فان الانسان انما يملك ما يملكه
الله تعالى ويأذن له في التصرف فيه فاصل الملك لجميع الاشياء فمن لا يملك ان يرزق
غيره لا يستحق العبادة تجب على مراتب النعمة ولا يقدر على ذلك غير الله تعالى فلا يستحق
للعبادة سواه فابتغوا عند الله الرزق اي اطلبوا الرزق من عنده دون من سواه
واعبدوه واشكروا له على ما انعم به عليكم من اصول النعم من الحيوة والرزق وغيرهما
اليه ترجعون اي الى حكمه تصيرون يوم القيمة فيجازيكم على قدر اعمالكم ثم خاطب الله
فقال وان تكذبوا محمدا فقد كذب امم من قبلكم انبياءهم الذين بعثوا اليهم وما
على الرسول الا البلاغ المبين اي ليس عليه الا التبليغ الظاهر البين وليس عليه حملكم
اليه على الايمان اولم يروا كيف يبدأ الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانيا اذا اعدمهم
بعد وجودهم قال ابن عباس يريد الخلق الاول والخلق الاخر ان ذلك على الله
يسير غير متعذر لان من قدر على الانشاء والابتداء فهو على الاعادة اقدر
ثم خاطب محمدا صلى الله عليه وآله فقال قل لهؤلاء الكفار سيروا في هذه الارض
فانظروا كيف بدأ الخلق وتفكروا في اثار من كان فيها قبلكم والى اي شئ
صار امرهم ليعتبروا ذلك فيؤديكم ذلك الى العلم بربكم وقيل معناه فانظروا

هل تجدون

١٤٨

هل تجدون خالقا غير الله اعلموا انه لا خالق ابتداء الا الله لزمتهم الحجة
في الاعادة وهو قوله ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شئ قدير اي على الانشاء
والافناء والاعادة وعلى كل شئ قدير قوله عز وجل يعذب من يشاء ويرحم
من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك
يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه فانجيه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماويكم النار
وما لكم من ناصرين خمس ايات القراءة قرأ ابن كثير واهل البصرة والكسائي
مودة بينكم بالرفع والاضافة وقرأ حمزه وحفص بنصب مودة واضافتها الى بينكم
في الحيوة وقرأ الباقون مودة منصوبة منونة بينكم بالنصب الا التموني والبرجمي
فانه قرأ مودة مرفوعة منونة الى بينكم بالنصب الحجة قال ابو علي يجوز في قول
من قال مودة بينكم ان يجعل ما اسم ان ويضمر ذكرا يعود الى ما كما جاء في قوله
واتخذتموه وراءكم ظهريا فيكون التقدير ان الذين اتخذتموهم
اوثانا ما ذووا مودة بينكم ويكون دخوله على ما الانه بمنزلة الذي كقوله
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين يعود الذكر اليه ويجوز ان يضمر
هو ويجعل مودة بينكم خبرا عنه والجملة في موضع خبر ان ومن قرأ مودة بينكم
بالنصب جعل ما مع ان كلمة ولم يعد اليها ذكرا كما عاد في الوجه الاول وجعل
الاوثان منصوبا باتخذتم وعداه ابو عمرو الى مفعول واحد كقوله قل اتخذتم
عند الله عهدا والمعنى انما اتخذتم من دون الله اوثانا الهة كما ان قوله
ان الذين اتخذوا العجل الها اتخذوا وانتصب مودة على انه مفعول له وفي بينكم
نصب على الظرف والعامل فيه المودة ومن قال مودة بينكم اضاف المودة الى البين واتسع

بان جعل الظرف سماً لما اضاف اليه ومثل ذلك قراءة من قرأ لقد تقطع بينكم ومن قال مودة
بينكم في الحيوة الدنيا جاز في قوله بينكم اذا نون مودة لا ضربان احدهما ان يجعله ظرفا
متعلقاً بالمصدر لان الظرفين احدهما من المكان والاخر من الزمان وانما الذي يمتنع
ان يتعلق به اذا كان ظرفين من الزمان او ظرفين من المكان فاما اذا اختلفا فسايغ فقوله
في الحيوة الدنيا ظرف زمان لان المعنى في وقت الحيوة الدنيا وذكر في واحد من الظرفين
كما انك اذا قلت لقيت زيدا اليوم في السوق كان كذلك فان جعلت الظرف الاول صفة للنكرة
كان متعلقا بمحذوف وصار فيه ذكر يعود الى الموصوف فاذا جعله صفة للمصدر جاز ان يكون
قوله في الحيوة الدنيا في موضع حال فالعامل فيه الظرف الذي هو صفة للنكرة وفيه ذكرا
يعود الى ذي الحال وذو الحال الضمير الذي في الظرف العايد الى الموصوف الذي هو مودة وهل
هي في المعنى فان قلت هل يجوز ان يتعلق الظرف الذي قد جاز ان يكون حالا بالمودة مع انه
وصف بقوله بينكم قيل لا يمتنع ذلك لانك اذا وصفته بمعنى الفعل قايم فيه والظرف يتعلق
بمعنى الفعل وانما الذي يمتنع ان يعمل فيه اذا وصف المفعول به فاما الحال والظرف فلا يمتنع
ان يتعلق كل واحد منهما به وان كان وصف به وقد جاء بالشعر ما يعمل عمل الفعل اذا وصف
عاملا في المفعول به واذا جاز عمله في المفعول به فلا نظر به في جواز عمله فيما ذكرناه من
الظرف والحال ممن ذلك قوله شعر اذا فاقد خطباء فرخين رجعت ذكرت سليمى في الخليط
المباين والتحقير في ذلك بمنزلة الوصف لو قال هذا ضويرب زيدا لقبح كما يقبح ذلك
في الصفة ولم يجز ذلك في السعة والاختيار المعنى ثم ذكر سبحانه وتعالى الوعد والوعيد
فقال يعذب من يشاء معناه انه المالك للثواب والعقاب وان كان لا يشاء الا الحكمة
والعدل وما هو الحسن من الافعال فيعذب من يشاء ممن يستحق الثواب ويرحم من يشاء
ممن هو اهل الرحمة بان يغفر لهم بالتوبة وغير التوبة واليه تقلبون وكانهم قالوا اذا عصينا
في حكم الله فررنا فقال وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء اي ولستم بغاسين على الله
في الدنيا ولا في الاخرة فاحذروا مخالفته ومتى قيل كيف وصفهم بذلك وليسوا من اهل
الاسلام فالجواب عنه من وجهين احدهما ان المعنى لستم بمعجزين فرارا في الارض ولا في السماء

لوكنتم

لوكنتم في السماء كقولك ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة لوصار اليها عن قطرب
وهو معنى قول مقاتل والاخر ان المعنى ولا من في السماء بمعجزين فحذف من لدلالة الكلام
عليه كما قال حسان شعر امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء فكانه قال
ومن يمدحه وينصره سواء ام لا يستويان عن الفراء وهذا ضعيف عند البصريين
وما لكم من دون من ولي ولا نصير ينصركم ويدفع النصرة تارة بنفسه وتارة بان يامر
غيره والذين كفروا بايات الله اي جحدوا بالقرآن وبادلة الله ولقائه اي وجحدوا
بالبعث بعد الموت اولئك يئسوا من رحمتي اخبار انه تعالى ايسهم من رحمته وجنته
او يكون معناه يجب ان ييأسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم اي مولم وفي هذا دلالة
على ان المؤمن بالله واليوم الاخر لا ييأس من رحمة الله ثم عاد تعالى الى قصة ابرهيم فقال
فما كان جواب قومه يعني حين دعاهم الى الله تعالى ونهاهم عن عبادة الاصنام الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه وفي هذا تسفيه لهم اذ قالوا حين انقطعت حجتهم لا تحاجوه ولكن اقتلوه
او حرقوه لتتخلصوا منه فانجاه الله منها من النار وههنا حذف وتقديره ثم انفقوا
على احراقه فاججوا نارا فالقوه فيها ان في ذلك لايات اي علامات واضحات وحجج بينات
لقوم يؤمنون بصحة ما اخبرناه وبتوحيد الله وكمال قدرته وقال ابرهيم لقومه
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم اي لتتوادوا بها في الحيوة الدنيا وقد تقدم
بيانه في الحجة يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض اي يتبرء القادة من الاتباع ويلعن بعضكم
بعضا اي ويلعن الاتباع القادة لانهم زينوا لهم الكفر وقال قتادة كل خلة تنقلب عداوة
يوم القيمة الا خلة المؤمنين ثم تلا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وماويكم النار اي مستقركم النار وما لكم من ناصرين يدفعون عنكم عذاب الله قوله
عز وجل فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَوَهَبْنَا لَهُ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ

في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
قال رب انصرني على القوم المفسدين خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير حفص ائنكم
لتأتون الرجال بهمزتين فيهما وقرأ ابو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة ائنكم وقرأ
الباقون انكم لتأتون الفاحشة بكسرة الهمزة من غير استفهام ائنكم لتأتون الرجال
بالاستفهام الا ان ابن كثير وورشا ويعقوب قرؤا بهمزة واحدة غير ممدودة وابن عامر
وحفص بهمزتين واهل المدينة غير ورش بهمزة واحدة ممدودة اللغة هاجر القوم
من دار الى دار معناه تركوا الاولى للثانية قال الازهري اصل المهاجرة خروج البدوية
من البادية الى المدن وتهجر اي تشبه بالمهاجرين ومنه حديث عمر هاجروا ولا تهجروا اي
اخلصوا الهجرة لله والمنادي والندي المجلس الذي اجتمعوا فيه وتنادى القوم اجتمعوا
في النادي ودار الندوة دار قصي بن كلاب كانوا يجتمعون فيه للمشاورة تبركا به والاصل
من الندا لان القوم ينادي بعضهم بعضا المعنى ثم عطف سبحانه وتعالى على ما تقدم بان قال
فامن له لوط اي فصدق بابرهيم لوط وهو ابن اخته وكان ابرهيم خاله عن ابن عباس وابن زيد
وجمهور المفسرين وهو اول من صدق ابرهيم وقال ابرهيم اني مهاجر الى ربي اي خارج عن الجبائي
وخرج ابرهيم ومعه لوط وامراته سارة وكانت ابنة عمه من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة
الى ارض الشام عن قتادة وعلى هذا هجرة المسلمين من مكة الى ارض الحبشة اولا ثم الى المدينة
ثانيا لانهم هجروا ديارهم واوطانهم بسبب اذى المشركين اياهم انه هو العزيز الذي لا يذل من نصره
الحكيم الذي لا يضيع من حفظه ووهبنا له اي لابرهيم من بعد اسمعيل اسحاق ويعقوب
من اسحاق وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وذلك ان الله تعالى لم يبعث نبيا من بعد
ابرهيم الا من صلبه فالتورية والانجيل والزبور والفرقان كلها انزلت على اولاده واتيناه
اجره في الدنيا وهو الذكر الحسن والولد الصالح عن ابن عباس وقيل هو رضا اهل الاديان فكلهم
يحبونه وعن قتاده وقيل انه رأى مكانه في الجنة عن السدي قال بعض المتاخرين هو بقاء
ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره من الانبياء وقال البلخي وفي هذا دلالة على انه يجوز
ان يثيب الله في دار التكليف ببعض الثواب وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني ان ابرهيم مع ما

اعطى

اعطى من الاجر والثواب في الدنيا يحشره الله في جملة الصالحين العظمى الاقدار مثل آدم ونوح
ولوطا اذ قال لقومه اي وارسلنا لوطا ويجوز ان يريد واذكر لوط اذ قال لقومه انكم
لتأتون الفاحشة من قرأ بلفظ الاستفهام اراد به الانكار دون الاستعلام ومن قرأ
انكم على الخبر اراد ان لوطا قال لقومه ذلك منكرا لفعلهم لا مبتدئا معلما لهم لانهم قد علموا
ما فعلوه والفاحشة هاهنا ما كانوا يفعلونه من اتيان الذكور ما سبقكم بها
اي بهذه الفاحشة من احد من العالمين اي احد من الخلائق ثم فسر الفاحشة بقوله
انكم لتأتون الرجال اي تنكحونهم وتقطعون السبيل فيه وجوه احدها تقطعون سبيل الولد
باختياركم الرجال على النساء وثانيها انكم تقطعون الناس عن الاسفار باتيان هذه
الفاحشة فانهم كانوا يفعلون هذا الفعل بالمجتازين في ديارهم وكانوا يرمون ابن
السبيل بالحجارة بالحذف فايهم اصابه كان اولى به وياخذون ماله وينكحونه ويغرمونه
ثلثة دراهم وكان لهم قاض يقضي بذلك وثالثها انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس
كما يفعل قطاع الطريق في زماننا وتأتون في ناديكم المنكر قيل فيه ايضا وجوه احدها انهم
كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء عن ابن عباس وروي ذلك عن الرضا
عليه السلام وثانيها انهم كانوا ياتون الرجال في مجالسهم يرى بعضهم بعضا وثالثها كانت مجالسهم
تشتمل على انواع من المناكر والقبائح مثل الشتم والسخف والصفع والقمار وضرب المخراق
وحذف الاحجار على من مر بهم وضرب المعازف والمزامير وكشف العورات واللواط
قال الزجاج وفي هذا اعلام انه لا ينبغي ان يتعاشر الناس على المناكير ولا ان يجتمعوا
على المناهي فلما انكر لوط على قومه ما كانوا ياتونه من الفضائح قالوا له استهزاء
ائتنا بعذاب الله وذلك قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين وعند ذلك قال لوط رب انصرني على القوم المفسدين الذين
فعلوا المعاصي وارتكبوا القبائح وافسدوا في الارض قوله عز وجل ولما جاءت
رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين
قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من

الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا
تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اية
بينة لقوم يعقلون خمس آيات القراة قراء اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب
لننجينه بتخفيف الجيم ساكنة النون والباقون لننجينه بالتشديد وقراء
ابن كثير واهل الكوفة غير حفص ويعقوب بالتخفيف والباقون بالتشديد وقراء
ابن عامر منزلون بالتشديد والباقون منزلون بالتخفيف الحجة قال ابو على
من قرا لننجينه وانا منجوك قوله فانجاه الله منها وحجة من ثقل قوله ونجينا
الذين امنوا يقال نجا زيد ونجيته وانجيته مثل فرحته وافرحته وكذلك قوله
نزل اذا عديته قلت نزلته وانزلته المعنى ثم بين تعالى انه استجاب دعاء لوط وبعث
جبرئيل ع ومعه الملائكة لتعذيب قومه بقوله ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى
اى يبشرونه باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
يعنون قرية قوم لوط وانما قالوا هذه لان قريتهم كانت قريبة من قرية قوم ابرهيم
ان اهلها كانوا ظالمين اى مشركين مرتكبين للفواحش قال ابرهيم ان فيها لوطا
فكيف تهلكونها قالوا فى جوابه نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله اى لنخلص
لوطا من العذاب باخراجه منها ولنخلصن ايضا اهله من المومنين منهم
الا امراته فانها تبقى فى العذاب لا تنجوا منه وذلك قوله كانت من الغابرين
اى من الباقين فى العذاب ولما ان جاءت رسلنا لوطا ان هذه مزيدة
سيء بهم معناه سيء لوط بالملائكة اى ساءه مجيهم لما راهم فى احسن صورة
لما كان يعلمه من خبث فعل قومه عن قتاده وقيل معناه شيء بقومه لما علم
من عظيم البلاء النازل بهم وضاق بهم ذرعا اى ضاق قلبه وقيل ضاقت
حيلته فيما اراد من حفظهم وصيانتهم عن الجناى فلما راى الملائكة حزنه
وضيق صدره وقالوا لا تخف علينا وعليك ولا تحزن بما تفعله بقومك

وقيل لاتخف

وقيل لا تخف ولا تحزن علينا فانا رسل الله لا يقدرون علينا انا منجوك واهلك من العذاب
الا امراتك الكافرة كانت من الغابرين اى الباقين فى العذاب انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا اى عذابا من السماء بما كانوا يفسقون اى يخرجون من طاعة الله الى معصيته اى جزاء
فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة اى على وجه الارض لقوم يعقلون ذلك ويبصرون ويتفكرون
فيه ويتعظون فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله واتخاذ شريك معه فى العبادة قوله عز وجل
والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا فى الارض
مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين وعادا وثمودا وقد تبين
لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين
وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض
وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من
اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون خمس آيات اللغة الرجفة زعزعة الارض تحت القدم
يقال رجف السطح من تحت اهله يرجف رجفا ورجفة شديدة والبحر رجاف لاضطرابه وارجف
الناس بالشيء اى اخبروا بما يضطرب لاجله من غير تحقق به والحاصب الريح العاصف التى
فيها الحصباء وهى الحصى الصغار يشبه بها البرد والجليد قال الفرزدق شعر مستقبلين رياح
الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور وقال الاخطل شعر ولقد علمت اذا العشار
تروحت هدج الرئال يكبهن شمالا ترمى العضاه بحاصب من ثلجها حتى يبيت على العضاه جفالا
والخسف سوخ الارض بما عليها يقال خسف الله به الارض وخسف القمر ذهاب نوره
والخسوف للقمر والكسوف للشمس الاعراب اخاهم منصوب بفعل مضمر التقدير وارسلنا الى مدين
اخاهم وعادا منصوب بفعل مضمر تقديره واهلكنا عادا وثمود وقد تبين فاعله مضمر تقديره
وقد تبين اهلاكهم لكم وكانوا مستبصرين فى موضع نصب على الحال ليظلمهم اللام لتاكيد
النفى ولا يجوز اظهار ان بعده المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال والى مدين اى وارسلنا
الى مدين اخاهم شعيبا وهذا مفسر فيما مضى فقال يا قوم اعبدوا الله بدا بالدعاء الى التوحيد

والعبادة وارجوا اليوم الاخر اى واملوا ثواب اليوم الاخر واخشوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب السيئات ولا تعثوا فى الارض مفسدين اى لا تسعوا فى الارض بالفساد ثم اخبر ان قومه كذبوه ولم يقبلوا منه فعاقبهم الله وذلك قوله فكذبوه فاخذتهم الرجفة وقد بيانه فاصبحوا فى دارهم جاثمين اى باركين على ركبهم ميتين وعادا وثمودا اى واهلكنا ايضا عادا وثمودا جزاء لهم على كفرهم وقد تبين لكم معاشر الناس كثيرا من مساكنهم وقيل معناه وقد ظهر لكم يا اهل مكة من منازلهم بالحجر واليمن اية فى هلاكهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اى فمنعهم عن طريق الحق وكانوا مستبصرين اى وكانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحق والباطل بالاستدلال والنظر ولكنهم اغفلوا ولم يتدبروا وقيل معناه انهم كانوا مستبصرين عند انفسهم فيما كانوا عليه من الضلالة يحسبون انهم على هدى عن قتادة والكلبى وقارون اى واهلكنا قارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات اى بالحجج والمعجزات من قلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها فاستكبروا اى طلبوا التجبر فى الارض ولم ينقادوا للحق وما كانوا سابقين اى فائتين الله كما يفوت السابق فكلا اخذنا بذنبه اى فاخذنا كلا من هؤلاء بذنبه وعاقبناهم بتكذيبهم الرسل فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اى حجارة وقيل ريحا فيها حصباء وهم قوم لوط عن ابن عباس وقتادة ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم عاد وثمود والصيحة العذاب وقيل صاح بهم جبرئيل فهلكوا ومنهم من خسفنا به الارض وهم قارون ومنهم من اغرقنا يعنى قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم فيعذبهم على غير ذنب وقبل ازاحة العلة ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم وتكذيبهم الرسل وفى هذا دلالة واضحة على فساد مذهب اهل الجبر فان الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمونه لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظلم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك قوله عز وجل مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ اَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَاِنَّ اَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ اِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

وتلك

وَتِلْكَ الْاَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا اِلَّا الْعَالِمُونَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ اُتْلُ مَا اُوحِيَ اِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ اِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ اَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ خمس آيات القراءة قرا اهل البصرة وعاصم الا البرجمى والاعشى ما يدعون بالياء والباقون بالتاء الحجة قال ابو على التاء على قوله قل لهم ان الله يعلم ما تدعون لا يكون الا على هذا لان المسلمين لا يخاطبون بذلك وما استفهام وموضعه نصب بيدعون ولا يجوز ان يكون نصبا بيعلم ولكن صار الجملة التى منها هى منها فى موضع نصب بيعلم او لا يكون يعلم بمعنى يعرف كقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت لان ذلك لا يلغى وما يلغى لا يعلق وبعد ذلك دخول من فى الكلام وهى انما تدخل فى نحو قولك هل من طعام وهل من رجل ولا تدخل فى الايجاب هذا قول الخليل وكذلك قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار المعنى فستعلمون المسلم تكون له عاقبة الدار ام الكافر وكل ما كان من هذا فهكذا القول فيه وهو قول الخليل اللغة جمع العنكبوت عناكب وتصغيره عنيكب ووزنه فعللوت وهو يذكر ويؤنث قال الشاعر على هطالهم منهم بيوت كان العنكبوت هو ابتناها ويقال فيه العنكبا المعنى ثم شبه سبحانه حال الكفار الذين اتخذوا من دونه آلهة بحال العنكبوت فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء اى شبه من اتخذوا الاصنام آلهة يريدون نصرها ونفعها وضرها والرجوع اليها عند الحاجة كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها لتاوى اليه فكما ان العنكبوت لا يغنى عنها شيئا لكونه فى غاية الضعف والوهن ولا يجدى نفعا كذلك الاصنام لا تملك لهم خيرا وشرا ونفعا وضرا والولى هو المتولى للنصرة وهو ابلغ من الناصر لان الناصر قد يكون ناصرا غيره بالنصرة والولى هو الذى يتولى النصرة بنفسه وان اوهن البيوت اى اضعفها لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون صحة ما اخبرناهم به ويتحققون

ولو متعلقة بقوله اتخذوا اي لو علموا ان اتخاذهم الاولياء كاتخاذ العنكبوت بيتا
سخيفا لم يتخذوهم اولياء ولا يجوز ان يكون متعلقة بقوله وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لانهم كانوا يعلمون ان بيت العنكبوت واه ضعيف ان الله يعلم
ما يدعون من دونه من شيء هذا وعيد منه تعالى ومعناه انه يعلم ما يعبدون
هؤلاء وما يتخذونه من دونه اربابا وهو العزيز الذي لا يغالب فيما يريد الحكيم في جميع
افعاله وتلك الامثال وهي الاشياء والنظاير يعني امثال القران نضربها للناس
اي نذكرها لهم لندعوهم بها الى المعرفة والتوحيد ونعرفهم قبح ما هم فيه من عبادة
الاصنام وما يعقلها الا العالمون اي ما يفهمها الا من يعلم وجه النسبة بين
المثل والممثل به وقيل معناه وما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله
وروى الواحدي بالاسناد عن جابر قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية
وقال العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب عن سخطه ثم بين سبحانه ما يدل
على الهيته واستحقاقه العبادة فقال خلق الله السموات والارض اي اخرجهما من العدم
الى الوجود ولم يخلقهما ليسكنهما خلقه وليستدلوا بهما على اثباته ووحدانيته بالحق
اي على وجه الحكمة وقيل معناه للحق واظهار الحق ان في ذلك لآية للمؤمنين لانهم المنتفعون
بذلك ثم خاطب نبيه عليه السلام فقال اتل يا محمد ما اوحي اليك من الكتاب يعني القران اي
اقرأه على المكلفين واعمل بما تضمنه واقم الصلوة اي ادمها بحدودها في مواقيتها ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهذا دلالة على ان الصلوة لطف للمكلف في ترك
القبيح والمعاصي التي ينكرها العقل والشرع فان انتهى عن القبيح يكون توفيقا والا فقد
اتى المكلف من قبل نفسه وقيل ان الصلوة بمنزلة الناهي بالقول اذا قال لا تفعل الفحشاء
والمنكر وذلك لان فيها التسبيح والتكبير والتهليل والقراءة والوقوف بين يدي الله
عز وجل وغير ذلك من صنوف العبادة وكل ذلك يدعو الى شكله ويصرف عن ضده فيكون
مثل الامر والنهي بالقول وكل دليل مؤد الى المعرفة بالحق فهو داع اليه وصارف عن الباطل الذي
هو ضده وقيل معناه ان الصلوة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل معناه

انه ينبغي

انه ينبغي ان تنهاه كقوله ومن دخله كان امنا وكان ابن عباس في الصلوة منهى وزجر
عن معاصي الله لم يزدد من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء
والمنكر فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وروى انس بن مالك الجهني عن النبي صلى الله
عليه وآله قال من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا وروى ابن مسعود
عن النبي عليه السلام قال لا صلوة لمن لم يطع الصلوة وطاعة الصلوة ان ينتهي عن الفحشاء والمنكر ومعنى
ذلك ان الصلوة اذا كانت ناهية عن المعاصي فمن اقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن
صلوته بالصفة التي وصفها الله بها فان تاب من بعد ذلك وترك المعاصي تبين ان صلوته
كانت نافعة له ناهية وان لم ينته الا بعد زمان وروى ان فتى من الانصار كان يصلي الصلوة
مع رسول الله ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله فقال ان صلوته تنهاه يوما ما
وعن جابر قال قيل لرسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه
وروى اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال من احب ان يعلم قبلت صلوته ام لم تقبل فلينظر
هل منعته صلوته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعته قبلت منه ولذكر الله اكبر
اي ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته عن ابن عباس وسلمان وابن مسعود
ومجاهد وقيل معناه ذكر العبد لربه اكبر مما سواه وافضل من جميع اعماله عن
سلمان في رواية اخرى وقتادة وابن زيد وروى ذلك عن ابي الدرداء وعلى هذا فيكون
تاويله اكبر شيء في النهي عن الفواحش ذكر العبد ربه واوامره ونواهيه وما اعده
الله من الثواب والعقاب فانه اقوى لطف يدعوا الى الطاعة وترك المعصية وهو اكبر
من كل لطف وقيل معناه ذكر الله العبد في الصلوة اكبر من الصلوة عن ابي مالك وقيل
ان ذكر الله هو التسبيح والتقديس هو اكبر واحرى بان ينهى عن الفحشاء والمنكر
عن الفراء اي من كان ذاكرا لله فيجب ان ينهاه ذكره عن الفحشاء والمنكر وروى عن ثابت
البناني قال ان رجلا اعتق اربع رقاب فقال رجل اخر سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ثم دخل المسجد فاتى حبيب بن اوفى السلمي واصحابه فقال ما تقولون في رجل
اعتق اربع رقاب وانا اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فايهما افضل

نظروا هيهنا فقالوا ما نعلم شيئا افضل من ذكر الله وعن معاذ بن جبل قال ما عمل آدمي
عملا انجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى وقيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد
فان الله تعالى يقول ولذكر الله اكبر وعنه قال سألت النبي صلى الله عليه وآله اى الاعمال
احب الى الله قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وقال عليه السلام يا معاذ ان السابقين
الذين يستهترون بذكر الله تعالى ومن احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى
وروى عن عطا بن السايب عن عبد الله بن ربيعة قال قال ابن عباس ارايت قول الله تعالى
ولذكر الله اكبر قال قلت ذكر الله بالقرآن حسن وذكره بالصلوة حسن وذكره بالتسبيح
حسن وبالتكبير وافضل من ذلك ان يذكر العبد ربه عند المعصية فيحجز عنها فقال
ابن عباس لقد قلت قولا عجيبا وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم افضل من ذكركم
اياه والله يعلم ما تصنعون من خير وشر فيجازيكم بحسبه قوله عز وجل ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا
اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء
من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون
وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما
انا نذير مبين خمس آيات القراءة قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير حفص
وقيته آية من ربه على التوحيد والباقون آيات على الجمع الحجة
قال ابو علي حجة الافراد قوله تعالى فليأتنا بآية من وقوله وقالوا لولا انزل
عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية وحجة الجمع ان في حرف ابي
زعموا لولا يأتينا بآيات من ربه قل انما الآيات وقد يقع آية على اللفظ
الواحد يراد به كثرة كما جاء وجعلنا ابن مريم وامه آية وليس في قوله قل انما الآيات

عندالله

عند الله دلالة على توجيه من قرأ آيات لانه لما اقترحوا آية قيل الآيات عند الله والمعنى
الآية التي اقترحوها اللغة اصل الجدال شدة الفتل يقال جدلته اجدله جدلا
اذا فتلته فتلا شديدا فالجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه وقيل ان اصله
من الجدالة وهي الارض فان كل واحد من الخصمين يروم ان يلقي صاحبه بالجدالة
الخط معروف والارتياب الريبة شك مع تهمة الاعراب الذين ظلموا منهم في محل
نصب على الاستثناء من اهل الكتاب كذلك انزلنا اليك الكتاب تقديره وكما
انزلنا الى اهل الكتاب انزلنا اليك اذا لارتاب المبطلون اللام للقسم وفي الكلام
حذف وتقديره ولو خططته بيمينك وتلوت قبله كتابا اذا والله لارتابوا بل هو
في رفع بانه اضمار آية المعنى لما تقدم الامر بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى بين عقيبه
وكيف يدعونهم وكيف يجادلونهم فقال ولا تجادلوا اهل الكتاب وهم
نصارى نجران وقيل اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن الا بالطريقة
التي هي احسن وانما يكون احسن اذا كانت المناظرة برفق ولين لارادة الخير
والنفع بها ومثله قوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والاعلى احسن
في الحسن من جهة قبول العقل وقد يكون ايضا اعلى في الحسن من جهة
قبول الطبع وقد يكون في الامرين جميعا وفي هذا دلالة على وجوب الدعاء
الى الله تعالى على احسن الوجوه والطفها واستعمال القول الجميل في التنبيه
على آيات الله وحججه الا الذين ظلموا منهم الا من ابى ان يقر بالجزية منهم ونصب
الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية عن مجاهد وسعيد بن جبير
وقيل الا الذين ظلموا منهم بالاقامة على الكفر بعد قيام الحجة عن ابن زيد والاولى
ان يكون معناه الا الذين ظلموك في جدالهم او في غيرها مما يقتضي الاغلاظ
لهم فيجوز ان يسلكوا معهم طريقة الغلظة وقيل ان الآية منسوخة بآية
السيف عن قتادة والصحيح انها غير منسوخة لان الجدال على الوجه الاحسن هو
الواجب الذي لا يجوز غيره وقولوا لهم في المجادلة وفي الدعوة الى الدين آمنا

بالذي انزل الينا وانزل اليكم والكتاب الذي انزل الينا والهنا والهكم واحد لا شريك
له ونحن له مسلمون اي مخلصون طايعون وكذلك اي ومثل ما انزلنا الكتاب
على موسى وعيسى انزلنا اليك الكتاب وهو القران فالذين اتيناهم الكتاب اي علم
الكتاب فحذف المضاف يومنون به يعني مومني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام
ونظرايه ومن هولاء يعني كفار مكه من يومن به يعني من اسلم منهم ويجوز
ان يكون الهاء في به راجعة الى النبي صلى الله عليه واله ويجوز ان يكون راجعة
الى القران ويحتمل ايضا ان يريد بقوله الذين اتيناهم الكتاب المسلمين
والكتاب القران ومن هولاء يعني من اليهود والنصارى من يومن بنبيه م
فقال وما يجحد باياتنا الا الكافرون الذين كفروا بايات الله وبنبيه صلى الله
عليه واله فقال وما كنت تتلوا من قبله من كتاب اي وما كنت يا محمد تقرا قبل القران
كتابا والمعنى انك لم تحسن القران قبل ان يوحى اليك القران ولا تخطه بيمينك
معناه وما كنت ايضا تكتبه بيدك اذا لارتاب المبطلون اي ولو كنت تقرا كتابا
او تكتبه لوجد المبطلون طريقا الى اكتساب الشك في امرك والقا الريبة لضعفة
الناس في نبوتك ولقالوا انما يقرا علينا ما جمعه من كتب الاولين فلما ساويتهم
في المولد والمنشا ثم اتيت بما عجزوا عنه وجب ان يعلموا انه من عند الله تعالى
وليس من عندك اذ المعجز للعادة ان ينشا الانسان بين قوم يشاهدون
احواله من عند صغره الى كبره ويرونه في حضره وفي سفره لا يتعلم شيئا من غيره
ثم ياتي من عنده بشيء يعجز الكل عنه وعن بعضه ويقرا عليهم اقاصيص الاولين
قال الشريف الاجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه هذه الاية تدل على ان النبي
صلى الله عليه واله ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة واما بعد النبوة فالذي نعتقده
في ذلك التجويز لكونه عالما بالقراة والكتابة من التجويز لكونه عالما بهما من غير
قطع على احد الامرين وظاهر الاية يقتضي ان النفي قد تعلق بما قبل النبوة دون
ما بعدها ولان التعليل في الاية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة ولان المبطلين

انما يرتابون

انما يرتابون في نبوته عليه السلم لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة فاما بعد النبوة فلا تعلق
له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون قد تعلمها من جبرئيل ع بعد النبوة ثم قال
تعالى بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يعني ان القران دلالات واضحات
في صدور العلماء وهم النبي صلى الله عليه واله والمومنون به لانهم حفظوه ووعوه
ورسخ معناه في قلوبهم عن الحسن وقيل هم الايمة من ال محمد عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلم وقيل ان هو كناية عن النبي عليه الصلوة والسلم اي انه في كونه اميا لا يقرا
ولا يكتب ايات بينات في صدور العلماء من اهل الكتاب لانه منعوت في كتبهم
بهذه الصفة عن الضحاك وقال قتاده والمراد به القران واعطي هذه الامة
الحفظ ومن كان قبلها لا يقرؤن الكتاب الا نظرا فاذا اطبقوه لم يحفظوا
ما فيه الا النبيين وما يجحد باياتنا الا الظالمون الذين ظلموا انفسهم
بترك النظر فيها والعناد لها بعد حصول العلم لهم بها وقيل يريد بالظالمين
كفار قريش واليهود وقالوا يعني كفار مكه لولا انزل عليه ايات من ربه اراد
بالايات الذي اقترحوها في قوله وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الايات وان يجعل الصفا ذهبا وقيل انهم سالوا اية كايات موسى من فلق
البحر وقلب العصا حية وجعلوا ما اتى به من المعجزات غير اية وجهة القاء للشبهة
بين العوام فقال الله تعالى قل يا محمد لهم انما الايات عند الله ينزلها ويظهرها
بحسب ما يعلم من مصالح عباده وينزل على كل نبي منها ما هو اصلح له ولامته
ولذلك لم يتفق ايات الانبياء كلها وانما جاء كل نبي بفن منها وانما انا نذير
مبين اي منذر مخوف من معصية الله مظهر طريق الحق والباطل وقد فعل الله
تعالى ما يشهد بصدقي من المعجزات قوله عز وجل اولم يكفهم انا انزلنا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُومِنُونَ
قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَالَّذِينَ
اٰمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ اُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ

بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون
ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشيهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون خمس آيات القراءة
قرا نافع واهل الكوفة ويقول بالياء والاخرون بالنون الحجة قال ابو علي ويقول
اي يقول الموكل بعذابهم ذوقوا كقوله والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
اي يقولون لهم ومن قرا بالنون فان ذلك لما كان بامره تعالى جاز ان ينسب اليه
والمعنى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون وانما قيل ذوقوا لوصول ذلك الى المعذبين
وايصاله كوصول المذوق وقال دونك ما جنيته فاحس وذق الاعراب تتلى
في موضع نصب على الحال من الكتاب اي تتلوا عليهم يعلم ما في السموات يجوز ان يكون
صفة لقوله شهيدا ويجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون جملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب ليأتينهم اللام جواب قسم مقدر بغتة منصوبة
على الحال يوم يغشيهم ظرف لقوله محيط المعنى لما تقدم طلبهم للآيات اجابهم
تعالى فقال او لم يكفهم انا انزلنا عليك يا محمد الكتاب اي القران يتلى عليهم بين
ان في انزال القران دلالة واضحة ومعجزة لائحة وحجة بالغة تنزاح معه
العلة ويقوم به الحجة فلا يحتاج في الوصول الى العلم بصحة نبوته الى غيره
على ان اظهار المعجزات مع كونها ازاحة العلة يراعى فيه المصلحة فاذا كانت
المصلحة في اظهار نوع منها لم يجز اظهار غيرها ولو اظهر الله تعالى الآيات
التي اقترحوها ولم يؤمنوا الا اقتضت المصلحة اهلاكهم بعذاب الاستيصال
كما اقتضت ذلك في الامم السالفة وقد وعد الله سبحانه وتعالى ان لا يعذب
هذه الامة بالاستيصال وفي هذا دلالة على ان القران كان في المعجزات
وفي انه اعلى درجات الاعجاز لانه جعله كافيا عن جميع المعجزات والكناية
بلوغ حد بينا في الحاجة ان في ذلك معناه فان في القران لرحمة اي نعمة عظيمة
للرفع من تبعه وعمل به نال الثواب وفاز بالجنة وذكرى اي وتذكيرا وموعظة

لقوم

لقوم يؤمنون اي يصدقون به وقيل ان قوما من المسلمين كتبوا شيئا من كتب
اهل الكتاب فهددهم الله تعالى في هذه الاية ونهاهم عنه وقال النبي عليه السلام
جئتكم بها بيضاء نقية قل يا محمد كفى بالله شهيدا بيني وبينكم شهيدا لي
بالصدق والابلاغ وعليكم بالتكذيب والعناد وشهادة الله له قوله محمد رسول
الله وهو في كلام معجز قد ثبت انه من الله تعالى وقيل ان شهادة الله له اثبات
المعجزة له بانزال الكتاب عليه يعلم ما في السموات والارض فيعلم اني على الهدى وانكم
على الضلالة والذين امنوا بالباطل اي صدقوا بغير الله عن ابن عباس وقيل بعبادة
الشيطان عن مقاتل وكفروا بالله اي جحدوا وحدانية الله اولئك هم الخاسرون
خسروا ثواب الله بارتكاب المعاصي والجحود بالله ويستعجلونك بالعذاب يا محمد اي يسالونك
نزول العذاب عاجلا لجحودهم صحة ما توعدهم به كما قال النضر بن الحرث امطر علينا حجارة
من السماء ولولا اجل مسمى اي وقت قدره الله ان يعاقبهم فيه وهو يوم القيمة او اجل
قدره الله تعالى ان يبقيهم اليه لضرب من المصلحة لجاءهم العذاب الذي استحقوه
وليأتينهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون باتيانه ووقت مجيئه ثم ذكر ان موعدهم
النار فقال يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني ان العذاب
وان لم يأتهم في الدنيا فان جهنم محيطة بهم اي جامعة لهم وهم معذبون فيها
لا محالة يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم يعني ان العذاب يحيط
بهم لا ان يصل الى موضع منهم دون موضع فلا يبقى منهم جزء الا وهو معذب
في النار عن الحسن وهذا كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ونقول ذوقوا
ما كنتم تعملون اي جزاء اعمالكم وافعالكم القبيحة قوله عز وجل يا عبادي الذين
امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا
ترجعون والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون وكاين من دابة لا تحمل رزقها واياكم وهو السميع العليم خمس آيات

القراة قرأ يرجعون بالياء يحيى عن ابي بكر وهشام والباقون بالتاء وقرأ اهل الكوفة
غير عاصم لنثوينهم بالثاء والباقون لنبوئنهم بالباء الحجة قال ابو علي اما يرجعون
فلان الذي قبله على لفظ الغيبة وترجعون بالتاء على انه انتقل من الغيبة
الى الخطاب مثل اياك نعبد بعد قوله الحمد لله وحجة من قرأ لنبوئنهم
بالنون قوله ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق واذ بوأنا لابراهيم
مكان البيت ويكون اللام هنا زائدة كزيادتها في قوله ردف لكم ويجوز
ان يكون بوأنا للدعاء ابراهيم ويكون المفعول محذوفا اي بوأنا للدعاء له
ناسا مكان البيت ومن قرأ لنثوينهم فحجته قوله وما كنت ثاويا في اهل مدين
اي مقيما ثاويا فيهم قال الاعشى شعر اسرى وقصر ليلة ليزودا ومضى واخلف
من قتيلة موعدا وقال حسان شعر ثوى في قريش بضع عشرة حجة اي اقام فيهم
فاذا تعدى بحرف جر فزيدت عليه الهمزة وجب ان يتعدى الى المفعول الثاني
بحرف جر وليس في الاية حرف جر قال ابو الحسن قرأ الاعمش لنثوينهم من الجنة غرفا
ولا يعجبني لانك لا تقول اثوته الدار قال ابو علي من جهة انه كان في الاصل
لنثوينهم من الجنة غرفا كما تقول لننزلنهم من الجنة في غرف وحذف الجار
كما حذف من قولك امرتك الخير فافعل ما امرت به ويقوى ذلك ان الغرف
وان كانت اماكن مختصة فقد اجريت المختصة من هذه الحروف مجرى غير
المختص نحو قوله كما عسل الطريق الثعلب ونحو ذهبت الشام عند سيبويه
الاعراب خالدين نصب على الحال من الهاء والميم في موضع جر صفة للعاملين
ويكون المدح محذوفا اي نعم اجر العاملين اجر الذين صبروا فحذف المخصوص
بالمدح واقام المضاف اليه مقامه وكاين من دابة لا تحمل موضع كاين
مرفوع ومن دابة في موضع التبيين له وقوله لا تحمل رزقها صفة للمجرور ويكون
قوله الله مبتدأ ويرزقها خبره والجملة خبر كاين النزول قيل نزلت هذه
الاية الاولى في المستضعفين من المؤمنين بمكة امروا بالهجرة عنها عن مقاتل

والكلبي

والكلبي ونزل قوله وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها في جماعة كانوا
بمكة يؤذيهم المشركين فامروا بالهجرة الى المدينة فقالوا كيف نخرج اليها وليس لنا
بها دار ولا عقار من يطعمنا ويسقينا المعنى ثم بين تعالى انه لا عذر لعباده
في ترك طاعته فقال يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة بعيدة اقطارها
فاهربوا من ارض يمنعكم اهلها من الايمان والاخلاص في عبادتي وقال ابو عبد
الله عليه السلام معناه اذا عصي الله في ارض انت فيها فاخرج منها الى غيرها
وقيل معناه ان ارض الجنة واسعة عن الجبائي واكثر المفسرون على القول
الاول فاياي فاعبدون اي اعبدوني خالصا ولا تطيعوا احدا من خلقي
في معصيتي واياي منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده وقد مر بيانه وقيل انه
دخول الفاء للجزاء والتقدير ان ضاق بكم موضع فاعبدوني ولا تعبدوا غيري
لان ارضي واسعة امر تعالى المؤمنين اذا كانوا في بلد لا يتأتى لهم فيه امر دينهم
ان ينتقلوا عنه الى غيره ثم خوفهم تعالى بالموت ليهون عليهم الهجرة فقال
كل نفس ذائقة الموت اي كل نفس احياها الله بحياة خلقها فيها ذائقة
الموت باي ارض كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت ثم الينا ترجعون
بعد الموت فيجزيكم باعمالكم ثم ذكر تعالى ثواب من هاجر فقال والذين امنوا
وعملوا الصالحات يعني المهاجرين لنبوئنهم من الجنة اي لننزلنهم من الجنة
غرفا اي علالي عاليات تجري من تحتها الانهار قال ابن عباس لنسكننهم
غرف الدر والزبرجد والياقوت ولننزلنهم قصور الجنة خالدين فيها يبقون
فيها ببقاء الله نعم اجر العاملين لله الغرف ثم وصفهم فقال الذين
صبروا على دينهم فلم يتركوه لشدة نالتهم واذى لحقهم وصبروا على مشاق
الطاعات وعلى ربهم يتوكلون في مهمات امورهم ومهاجرة دورهم ثم قال
وكاين من دابة لا تحمل رزقها اي وكم من دابة لا يكون رزقها مدخرا معدا
عن الحسن وقيل معناه لا تطيق حمل رزقها لضعفها وتأكل بافواهها عن مجاهد

وقيل ان الحيوان اجمع من البهائم والطيور وغيرها مما يدب على وجه الارض
لا يدخر القوت لغدها الا ابن آدم والنملة والفارة بل ياكل قدر كفايتها
فقط عن ابن عباس الله يرزقها واياكم اى يرزق تلك الدابة الضعيفة التى
لا تقدر على حمل رزقها ويرزقكم ايضا فلا تتركوا الهجرة بهذا السبب وعن عطا
عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخل بعض حيطان الانصار
فجعل يلتقط من التمر وياكل فقال يا ابن عمر مالك لا تاكل فقلت لا اشتهيه يا رسول الله
قال لكنى اشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولو شئت لدعوت ربى
فاعطانى مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن العم اذا بقيت مع قوم يخباون
رزق سنتهم لضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل
رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم اى السميع لاقوالكم عند مفارقة
اوطانكم العليم باحوالكم لا يخفى عليه شىء من سركم واعلانكم قوله عز وجل وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُوفَكُونَ
اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ
وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ
وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ
أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ تسع آيات القراءة قرا ابن كثير
وقالون واهل الكوفة غير عاصم الا الاعشى والبرجمى وليتمتعوا ساكن اللام والباقون
وليتمتعوا بكسر اللام الحجة قال ابو على من كسر اللام وجعلها الجارة كانت متعلقة

بالاشراك

بالاشراك المعنى يشركون ليكفروا اى لا فائدة لهم فى الاشراك الا الكفر وليس يرد عليهم
الشرك نفعا الا الكفر والتمتع بما يتمتعون به فى العاجلة من غير نصيب فى الآخرة
ومن قرا ليكفروا واراد الاسكان على معنى التهديد والوعيد كقوله واستفزز
من استطعت واعملوا ما شئتم ويدل على ذلك قوله فى موضع آخر فتمتعوا فسوف تعلمون
والاسكان فى لام الامر سائغ اللغة قال ابو عبيدة الحيوان من الحيوة واحد وهما
ان حى حيوة وحيوان والحيوة عرض يصير الاجزاء بمنزلة الشىء الواحد حتى يصح
ان يكون قادرا وعالما وخاصية الحيوة الادراك والتخطف تناول الشىء بسرعة ومنه
اختطاف الطير لصيده الاعراب انى فى قوله فانى يوفكون منصوب الموضع فيجوز ان يكون
حالا من يوفكون والتقدير منكرين يوفكون ويجوز ان يكون مصدرا تقديره
اى افك يوفكون ويتخطف الناس من حولهم جملة فى موضع الحال المعنى ثم عجب تعالى
رسوله والمومنين من ايمان المشركين بالباطل مع اعترافهم بان الله هو الخالق الفاعل
فقال ولئن سالتهم اى ان سالت يا محمد هولاء المشركين من خلق السموات والارض
اى من انشاها واخرجها من العدم الى الوجود وسخر الشمس والقمر اى من ذللهما
وسيرهما فى دورانهما على طريقة واحدة لا تختلف ليقولن فى جواب ذلك الفاعل
لذلك الله لانهم كانوا يقولون بحدث العالم والنشاة الاولى فانى يوفكون اى فكيف
يصرفون عن عبادة حجر لا يضر ولا ينفع الله يبسط الرزق اى يوسعه لمن يشاء
من عباده ويقدر له اى ويضيق ذلك على قدر ما تقتضيه المصلحة وانما خص
اكثر الرزق على الهجرة لئلا يخلفهم عنها خوف العيلة ان الله بكل شىء عليم يعلم مصالح
عباده فيرزقهم بحسبها ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها ليقولن فى الجواب عن ذلك الله قل يا محمد عند ذلك الحمد لله على كمال قدرته
وتمام نعمته وعلى ما وفقنا للاعتراف بتوحيده والاخلاص فى عبادته ثم قال بل اكثرهم
لا يعقلون وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب لانها تزول كما يزول اللهو واللعب
ويتمتع الناس بها مدة ثم تنصرم وتنقطع وان الدار الآخرة يعنى الجنة لهى الحيوان

اي الحيوة على الحقيقه لانها الدايمة الباقية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والمعنى
ان حيوة الدار الاخرة هي الحيوان التي لا تنغيص فيها ولا تكدير لو كانوا يعلمون الفرق بين الحيوة
الفانية والحيوة الدايمة الباقية اي لو علموا لرغبوا في الباقي وزهدوا في الفاني
ولكنهم لا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اخبر تعالى عن حال هؤلاء
الكفار فقال انهم اذا ركبوا في السفن في البحر وهاجت به الرياح وتلاطمت به الامواج وخافوا
الهلاك اخلصوا الدعاء لله تعالى مستيقنين انه لا يكشف السوء وتركوا شركاءهم فلم يطلبوا
منهم انجاهم فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون اي فلما خلصهم الى البر وامنوا الهلاك عادوا
الى ما كانوا عليه من الاشراك معه في العبادة ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اي جعلت
اللام لام الامر فمعناه التهديد اي ليجحدوا نعم الله في انجائه اياهم وليتمتعوا بباقي عمرهم
فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وان جعلتها لام كي فالمعنى انهم يشركون ليكفروا وقد مر
معناه اولم يروا اي الم يعلموا هؤلاء الكفار انا جعلنا حرما امنا يامن اهله فيه من القتل
والغارة ويتخطف الناس من حوله وهم امنون في الحرم ذكرهم تعالى النعمة بذلك ليذعنوا
له بالطاعة ويترجروا عن عبادة غيره قال مهددا لهم افبالباطل يومنون اي ايصدقون
بعبادة الاصنام وهي باطلة مضمحلة وبنعمة الله التي انعم بها عليهم يكفرون ثم قال
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا اظلم ممن اضاف الى الله ما لم يقله من عبادة
الاصنام وغيرها او كذب بالحق اي بالقران وقيل بمحمد لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين
هذا استفهام تقرير اي ما لهؤلاء الكفار المكذبين ماوى في جهنم وهذا مبالغة
في ايجاب الوعيد لهم والذين جاهدوا فينا اي جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا وطاعة
لنا وجاهدوا انفسهم في هواها خوفا وقيل معناه اجتهدوا في عبادتنا رغبة
في ثوابنا ورهبة في عقابنا لنهدينهم سبلنا اي لنهدينهم السبل الموصلة الى ثوابنا
عن ابن عباس وقيل لنوفقنهم لازدياد الطاعات وليزداد ثوابهم وقيل معناه والذين
جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقيل معناه والذين يعملون بما يعلمون
لنهدينهم الى ما لا يعلمون وان الله لمع المحسنين بالنصر والعونة في دنياهم والثواب والمغفرة

في عقباهم

في عقباهم وبالله التوفيق سورة الروم مكية قال الحسن الا قوله فسبحان الله
حين تمسون الاية عدد آيها تسع وخمسون اية مكي والمدني الاخير في بضع سنين
غير الكوفي والمدني الاول يقسم المجرمون المدني الاول فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى
الله عليه وآله قال ومن قراها كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله
ما بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته تفسيرها اخبر في اخر العنكبوت
ذكر المجاهدين ثم فصل في هذه السورة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين
لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون سبع آيات اللغة قال الزجاج الغلب
والغلبة مصدر غلبت مثل الجلب والجلبة والغلبة الاستيلاء على القرن
بالقهر والبضع القطعة من العدد ما بين الثلث الى العشرة وهو
من بضعته اذا قطعته تبضيعا ومنه البضاعة القطعة من المال تدور
في التجارة قال المبرد البضع ما بين العقدين في جميع الاعداد والفرح
والسرور نظيران ونقيضهما الغم فالمصدر مضاف الى المفعول
وليس شي من ذلك جنسا في الصحيح انها من جنس الاعتقاد الاعراب من بعد
غلبهم تقديره من بعد ان غلبوا فالمصدر مضاف الى المفعول وعد الله مصدر
مؤكد لان قوله سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فالمعنى وعد الله ذلك
وعدا المعنى الم مر تفسيره غلبت الروم قال المفسرون غلبت فارس الروم
وظهروا عليهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ففرح بذلك كفار قريش
من حيث ان اهل فارس لم يكونوا اهل كتاب وساء ذلك المسلمين وكان بيت
المقدس لاهل الروم كالكعبة للمسلمين فدفعهم فارس عنه وقوله في ادنى الارض

اي في ادنى الارض من ارض العرب عن الزجاج وقيل في ادنى الارض من ارض الشام
الى ارض فارس يريد الجزيرة وهي اقرب ارض الروم الى فارس عن مجاهد وقيل
يريد اذرعات وكسكر عن عكرمه وهم يعني الروم من بعد غلبهم سيغلبون
اي من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس في بضع سنين وهذه من
الايات الدالة على ان القران من عند الله عزوجل لان فيه انباء ما سيكون
ولا يعلم ذلك الا الله عزوجل لله الامر من قبل ومن بعد ما غلبت فان شاء جعل
الغلبة لاحد الفريقين على الاخر وان شاء اهلكهما جميعا ويومئذ يفرح المومنون
بنصر الله اي ويوم يغلب الروم فارسا يفرح المومنون بدفع الروم فارس
عن بيت المقدس لا لغلبة الروم على بيت المقدس فانهم كفار ويفرحون ايضا
لوجه اخر وهو اغتمام المشركين بذلك ولتصديق خبر الله تعا وخبر رسوله
ولانه مقدمة لنصرهم على المشركين ينصر من يشاء من عباده وهو العزيز في الانتقام
من اعدائه الرحيم بمن اناب اليه من خلقه وعد الله اي وعد الله ذلك لا يخلف الله
وعده بظهور الروم على فارس ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني كفار مكة لا يعلمون
صحة ما اخبر به لجهلهم بالله تعا يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن
الاخرة هم غافلون اي يعلمون منافع الدنيا ومضارها ومتى يزرعون ومتى
يحصدون وكيف يجمعون وكيف يبنون وهم جهال بالاخرة فعمروا دنياهم وخربوا
اخرتهم عن ابن عباس وقال الحسن بلغ والله من علم احدهم بدنياه ان يقلب
الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن ان يصلي وسئل ابو عبد الله عن قوله
تعا يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فقال منه الزخرف والنجوم القصة عن الزهري
قال كان المشركون يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون ان اهل الروم اهل
كتاب وقد غلبهم الفرس وانتم تزعمون انكم ستغلبون بالكتاب الذي انزل اليكم
على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم فانزل الله تعا الم غلبت الروم الى قوله
في بضع سنين قال فاخبرني عبيد الله بن عتبة بن مسعود ان ابا بكر ناحب بعض

المشركين قبل ان يحرم القمار على شيء ان لم يغلب فارس في سبع سنين فقال رسول الله صلى الله
عليه واله لم فعلت فكل ما دون العشر بضع فكان ظهور فارس على الروم في سبع سنين
ثم اظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية ففرح المسلمين بظهور اهل الكتاب
وروى ابو عبد الله الحافظ بالاسناد عن ابن عباس في قوله الم غلبت الروم قال قد مضى
كان ذلك في اهل فارس والروم وكانت فارس قد غلبت عليهم ثم غلبت الروم
بعد ذلك ولقي نبي الله مشركي العرب والتقت الروم وفارس فنصر الله تعا
النبي ومن معه على مشركي العرب ونصر اهل الكتاب على مشركي العجم ففرح المسلمون
بنصر الله اياهم ونصر اهل الكتاب على العجم قال عطية وسالت ابا سعيد الخدري
عن ذلك فقال التقينا مع رسول الله صلى الله عليه واله ومشركي العرب والتقت
الروم وفارس فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر الله اهل الكتاب على المجوس ففرحنا
بنصر الله ايانا على مشركي العرب ونصر اهل الكتاب على المجوس فذلك قوله ويومئذ
يفرح المومنون بنصر الله وقال سفين الثوري سمعنا انهم ظهروا يوم بدر وقال
مقاتل فلما كان يوم بدر غلبت المسلمون كفار مكة واخبر الله رسوله ان الروم
غلبت فارسا ففرح المومنون بذلك وروى انهم امروا بيت المقدس وان ملك
الروم مشى اليه شكرا بسطت له الرياحين فمشى عليها وقال الشعبي لم تمض تلك
المدة التي عقدها ابو بكر مع ابي بن خلف حتى غلبت الروم فارسا وربطوا خيولهم
بالمداين وبنوا الرومية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثته وجاء به الى رسول
الله صلى الله عليه واله فتصدق به وروى ان ابا بكر لما اراد الهجرة تعلق به ابي
فاخذ ابنه عبد الله بن ابي بكر كفيلا فلما اراد ابي ان يخرج الى حرب احد تعلق به
عبد الله بن ابي بكر واخذ منه ابنه كفيلا وخرج ابي الى احد وعاد الى مكة فمات من تلك
الجراحة جراحة رسول الله عليه السلم وجاءت الرواية عن النبي عليه الصلوة والسلام
انه قال لفارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعدها ابدا والروم ذات القرون
كلما ذهب قرن خلف قرن هبهب الى اخر الابد والمعنى ان فارس تنطح نطحة او نطحتان

فيبطل ملكها ويزول ابدها قوله عز وجل اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس
بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها
اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى
ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن ثلث آيات القراءة قرا اهل
الكوفة غير البرجمي والشموني عن ابي بكر عاقبة بالنصب والباقون بالرفع الحجة
قال ابو علي من نصب عاقبة جعلها خبر كان ونصبها متقدمة كما قال وكان حقا علينا
نصر المؤمنين فاما اسمها على هذه القراءة فيجوز ان يكون احد شيئين السوءى والتقدير ثم كان
السوءى عاقبة الذين اساؤا السوءى ويكون كذبوا مفعولا له اي كان كذبوا ولا يجوز ان يكون كذبوا
متعلقا بقوله اساؤا على هذا لانك تفصل بين الصلة والموصول باسم كان او يكون ان كذبوا اسم كان
والتقدير ثم كان التكذيب عاقبة الذين اساؤا ويكون السوءى على هذا مصدرا لاساؤا لان فعلى من ابنية
المصادر كالرجعى والشورى والبشرى ويدل على ان السوء والسوءى بمنزلة المصدر ما انشده ابو عمرو انجزوا ما
سوء ابعلهم ام يغروا بني السوءى من الحسن ومن رفع عاقبة جاز ان يكون الخبر احد شيئين السوءى وان كذبوا
كما جاز في النصب ان يكون كل واحد منهما الاسم ومعنى الذين اساؤا السوءى الذين اشركوا والتقدير ثم كان عاقبة المسيء
التكذيب بايات الله اي لم يظفروا في كفرهم وشركهم بشيء الا بالتكذيب واذا جعلت ان كذبوا نفس الخبر جعلت السوءى
في موضع نصب بانه مصدر وقد يجوز ان يكون السوءى صفة لموصوف محذوف كانه
قال الخلة السوءى المعنى ثم حث تعالى عن التفكر والتدبر فيما يدله على توحيده من خلق
السموات والارض ثم في احوال القرون الخالية والامم الماضية فقال اولم يتفكروا
في خلق انفسهم والمعنى اولم يتفكروا فيعلموا وحذف لان في الكلام دليلا عليه
ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق قال الزجاج معناه الا للحق اي لاقامة
الحق ومعناه للدلالة على الصانع والتعريض للثواب واجل مسمى اي لوقت معلوم

توفى كل نفس ما كسبت وقيل معناه خلقها في اوقات قدرها اقتضت المصلحة خلقها
فيها ولم يخلقها بحيث عن الجبائي سوال قالوا كيف المتفكر في نفسه انه تعالى لم يخلق
شيئا الا بالحق وكيف يعلم الاخرة جوابه قلنا اذا علم بالنظر في نفسه انه محدث
مخلوق وان له محدثا قديما قادرا عالما حيا وانه لا يفعل القبيح وانه حكيم علم انه
لم يخلقه عبثا وانما خلقه لغرض وهو التعريض للثواب وذلك لا يتم الا بالتكليف
فلا بد اذا من الجزاء فاذا لم يوجد في الدنيا فلا بد من دار اخرى يجازى
فيها ويعلم اذا خلق ما لا ينتفع بعه فلا بد ان يكون الغرض ان ينتفع الحي
به وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اي بلقاء جزاء ربهم وبالبعث
ويوم القيمة لجاحدون غير معترفين ثم نبههم تعالى دفعة اخرى فقال
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم
كانوا اشد منهم قوة فهلكوا وبادوا فيعتبروا بهم لعلمهم انهم اهلكوا
بتكذيبهم واثاروا الارض قلبوها وحرثوها للعمارة عن مجاهد وعمروها
اكثر مما عمروها هؤلاء الكفار لانهم كانوا اكثر اموالا واطول اعمارا فحفروا
الانهار وغرسوا الاشجار وبنوا الدور وشيدوا القصور ثم تركوها وصاروا
الى القبور والى الهلاك والثبور وجاءتهم رسلهم بالبينات اتتهم رسلهم
بالدلالات من عند الله وفي الكلام حذف وتقديره فجحدوا الرسل وكذبوا
تلك الايات فاهلكهم الله بالعذاب فما كان الله ليظلمهم بان يهلكهم من غير
استحقاق ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان جحدوا رسل الله واشركوا معه
في العبادة سواه حتى استحقوا العذاب عاجلا واجلا ثم كان عاقبة الذين
اساؤا الى انفسهم بالكفر وتكذيب رسله وارتكاب معاصيه السوءى اي الخلة
تسوء صاحبها اذا ادركها وهي عذاب النار عن ابن عباس وقتادة ان كذبوا
بايات الله وكانوا بها يستهزؤن اي لتكذيبهم بايات الله واستهزائهم بها قوله
عز وجل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة

يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم
كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا
وكذبوا باياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض
وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم
من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون عشر آيات القراءة قرأ يرجعون
بالياء ابو عمرو غير عباس واوقيه وسهل وحماد ويحيى مختلف عنهما والباقون
بالتاء وقرأ حمزة والكسائي وكذلك يخرجون بفتح التاء والباقون بضمها وفتح
الراء وفي الشواذ قراءة عكرمة حينا تمسون وما بعده الحجة قال ابو علي حجة الياء
ان المتقدم ذكره غيبة يبدؤا الخلق ثم يعيده والخلق هو المخلوقون في المعنى
وجاء قوله ثم يعيده على لفظ الخلق وقوله واليه ترجعون على المعنى ولم يرجع
على لفظ الواحد ووجه التاء انه صار الكلام من الغيبة الى الخطاب وحجة
من قرأ يخرجون قوله يخرجون من الاجداث وقوله الى ربهم ينسلون وحجة
تخرجون من بعثنا من مرقدنا هذا وقوله كذلك نخرج الموتى واليه تقلبون
واما قوله حينا تمسون فالمراد تمسون فيه فحذف فيه تخفيفا على مذهب
صاحب الكتاب في نحوه ومثله قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا اي لا تجزي فيه قال ابن جني قال سيبويه حذف مقتبطا حرف الجر والضمير
لدلالة الفعل عليهما وقال ابو الحسن حذف في فبقي تجزيه لانه اوصل الفعل
اليه ثم حذف الضمير من بعد فهما حذفان متتاليان شيئا على شيء اللغة
الابلاس الياس من الخير وقيل هو التحير عند لزوم الحجة قال العجاج يا
يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا الحبوة المسرة ومنه الحبر

العالم

العالم والحبر الكامل وفي الحديث يخرج رجل من اهل النار ذهب حبره وسبره اي جماله
وبهاؤه والتحبير التحسين الذي يسر به وخص ذكر الروضة هاهنا لانه ليس عند
العرب شيء احسن منها قال الاعشى شعر ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء
جاد عليها مسبل هطل يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها نشر رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الاصل الاعراب ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ويومئذ بدل منه وموضع الكافرين كذلك
نصب يخرجون المعنى ثم ذكر تعالى قدرته على الاعادة فقال الله يبدؤ الخلق ثم يعيده
اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء كما كانوا ثم اليه ترجعون فيجازيهم
باعمالهم ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اي يوم القيمة ييأس الكافرون
من رحمة الله تعالى ونعمه التي يفيضها على المؤمنين وقيل يتحيرون وتنقطع حجتهم
بظهور جلايل آيات الآخرة التي تقع عندها علم الضرورة ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء اي لم يكن لهم من اوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء تشفع لهم او تدفع
عنهم كما زعموا انا نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكانوا بشركائهم كافرين يعني ان المشركين
يتبرؤن وينكرون كونها آلهة ويقرون بان الله لا شريك له عن الجبائي وابي مسلم
يوم تقوم الساعة او تظهر القيامة يومئذ يتفرقون فيصير المؤمنون اصحاب اليمين
والمشركون اصحاب الشمال فيفرقون تفرقا لا يجتمعون بعده وقال الحسن لئن كانوا اجتمعوا
ليتفرقن يوم القيمة هؤلاء في اعلى عليين وهؤلاء في اسفل السافلين وهو قوله فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون اي في الجنة ينعمون ويسرون
سرورا تتبين اثرها عليهم عن قتادة ومجاهد ومنه قيل كل حبرة تتبعها عبرة
والروضة البستان المتناهي منظرا وطيبا وقال ابن عباس يحبرون اي يكرمون
وقيل يلذذون بالسماع عن يحيى بن ابي كثير والاوزاعي اخبرنا ابو الحسن عبيد الله
بن محمد بن احمد البيهقي قال اخبرنا جدي الامام احمد بن ابو بكر بن حسين
البيهقي قال حدثنا ابو سعيد عبد الملك بن ابي عثمان الزاهد قال اخبرنا ابو الحسن

علي بن بندارق لحد ثنا جعفر بن محمد بن الحسن الفراني قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن
الدمشقي قال حدثنا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن خالد بن معدان عن ابي امامة
الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه
وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس
بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه وعن ابي الدرداء قال كان رسول الله
صلى الله عليه وآله يذكرنا فذكر الجنه وما فيها من الازواج والنعيم وفي القوم
اعرابي فجثا لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنه من سماع قال نعم يا اعرابي ان في
الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء يتغنين باصوات لم يسمع الخلايق بمثلها
قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي سالت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح
وعن ابراهيم ان في الجنة اشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع
بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات
لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
الجنه مائة درجة ما بين كل درجة منها كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها
سموا واوسطها محلة ومنها يتفجر انهار الجنه فقام اليه رجل فقال يا رسول الله
اني رجل حبب الي الصوت فهل في الجنة صوت حسن فقال اي والذي نفسي بيده ان الله
تعالى يوحي الى شجرة في الجنة ان اسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف
البرابط والمزامير فيرفع صوتا لم يسمع الخلايق بمثله قط من تسبيح الرب ثم اخبر
عن حال الكافرين فقال واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي بدلايلنا
وبالبعث ويوم القيمة فاولئك في العذاب محضرون اي فيه محصلون ولفظة
الاحضار لا تستعمل الا فيما يكرهه الانسان يقال احضر فلان مجلس القضاء اذا جيء به
لما يوثر ومنه حضور الوفاة ثم ذكر تعالى ما يدرك به الجنة فقال فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون هذا خبر
والمراد به الامر اي سبحوه ونزهوه عما لا يليق به او ينافي تعظيمه من صفات النقص بان تصفوه

بما يليق به

بما يليق به من الصفات والاسماء والامساء الدخول في المساء وهو مجيء ظلام الليل والاصباح
نقيضه وهو الدخول في الصباح وهو مجيء ضياء النهار وله الثناء والمدح في السموات
والارض اي هو المستحق لمدح اهلها لانعامه عليهم وعشيا اي وفي العشي وحين تظهرون
في الظهيرة وهي نصف النهار وانما خص تعالى هذه الاوقات في الذكر بالحمد وان كان
حمده واجبا في جميع الاوقات لانها اوقات تذكر باحسان الله وذلك ان انقضاء احسان
اول الى احسان ثان يقتضي الحمد عند تمام الاحسان الاول والاخذ في الاخر كما اخبر
الله تعالى عن جملة اهل الجنه بقوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين لان ذلك
حال الانتقال من نعيم الدنيا الى الجنة وقيل ان الاية تدل على الصلوة الخمس في اليوم والليلة
لان قوله حين تمسون يقتضي المغرب والعشاء الاخيرة وحين تصبحون يقتضي صلوة الصبح وعشيا
يقتضي صلوة العصر وحين تظهرون يقتضي صلوة الظهر عن ابن عباس ومجاهد
وهو الاحسن لانه خص هذه الاوقات بالذكر وانما خص صلوة الليل باسم التسبيح وصلوة
النهار باسم الحمد لان الانسان في النهار متقلب في احوال توجب الحمد لله عليها وفي الليل
على احوال توجب تنزيه الله تعالى من الاسواء فيها فلذلك صار الحمد في النهار اخص
فسميت به صلوة النهار والتسبيح بالليل اخص فسميت به صلوة الليل يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي اي يخرج الانسان من النطفة ويخرج النطفة من الانسان عن ابن
عباس وابن مسعود وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن عن مجاهد
وقد ذكرناه فيما تقدم ويحيي الارض بعد موتها بالنبات بعد جدبها و
كذلك تخرجون اي كما احيا الارض بالنبات كذلك يحييكم بالبعث وتخرجون من قبوركم
احياء ومن اياته اي ومن دلالاته على وحدانيته وكمال قدرته ان خلقكم اي خلق آدم الذي
هو ابوكم واصلكم من تراب ثم خلقكم منه وذلك قوله ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي ثم
اذا انتم ذريته بشر من لحم ودم تنبسطون في الارض وتتصرفون على ظهرها وتتفرقون
في اطرافها فهل ادلكم ذلك على انه لا يقدر على ذلك غيره تعالى وانه لا يستحق العبادة
سواه قوله عز وجل ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ اٰيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ
وَاخْتِلَافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَاَلْوَانِكُمْ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ اٰيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ اٰيَاتِهِ
اَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْاَرْضُ بِاَمْرِهِ ثُمَّ اِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْاَرْضِ اِذَا اَنْتُمْ تَخْرُجُونَ
خمس آيات القراة قراء حفص للعالمين بكسر اللام الاخيرة والباقون بفتحها الحجة
قال ابو على خص العالمين فى رواية حفص وان كانت الاية لكافة الناس عالمهم وجاهلهم
لان العالم لما تدبر فاستدل بما يشاهده على ما لم يستدل عليه غيره صار كانه
ليس باية لغير العالم لذهابه عنها وتركها الاعتبار بها من قال للعالمين
فلان ذلك فى الحقيقة دلالة وموضع اعتبار وان ترك بالركون لغفلتهم
او جهلهم التدبر بها والاستدلال بها الاعراب فى قوله ومن اياته يريكم البرق
اقوال احدها ان التقدير ومن اياته ان يريكم فلما حذف ان ارتفع الفعل كقوله
طرفة الا ايها الزاجرى احضر الوغا ان اشهد اللذات هل انت مخلدى وفى
المثل تسمع بالمعيدى خير من ان تراه وثانيها ان التقدير ومن اياته اية
يريكم البرق بها ثم حذف الدلالة من عليها ومثله من الشعر شعر وما الدهر
الا تارتان فمنها اموت واخرى ابتغى العيش اكدح اى فمنها تارة اموت فيها اى اموت
فيها وثالثها ان يكون التقدير ليخافوا خوفا وليطمعوا طمعا ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض الجار يتعلق بمحذوف فى موضع الحال من الكاف والميم اى دعاكم خارجين
من الارض وان شئت كان وصفا للنكرة اى دعوة ثابتة من هذه الجهة ولا يجوز
ان يتعلق بيخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله المعنى ثم عطف سبحانه وتعالى
على ما قدمه من تنبيه العبيد على دلالة التوحيد فقال ومن اياته ان خلق لكم
من انفسكم اى جعل لكم من شكل انفسكم ومن جنسكم ازواجا وانما من تعالى
علينا بذلك لان الشكل الى الشكل اميل عن ابى مسلم وقيل معناه ان حوى خلقت
من ضلع ادم عن قتاده وقيل ان المراد بقوله من انفسكم ان النساء خلقن من نطف

الرجال

الرجال لتسكنوا اليها اى لتطمئنوا اليها وتالفوا بها ويستانس بعضكم ببعض وجعل
بينكم مودة ورحمة يريد بين المراد وزوجها جعل تعالى بينهما المودة المحبة والرحمة
فيهما سوادان ويتراحمان وما شىء احب الى احدهما من الاخر من غير رحم بينهما قال
السدى المودة المحبة والرحمة والشفقة ان فى ذلك اى من خلق الازواج مشاكلة
للرجال لايات اى لدلالات واضحات لقوم يتفكرون فى ذلك ويعتبرون به ثم نبه تعالى
على اية اخرى فقال ومن اياته الدالة على توحيده خلق السموات والارض وما فيهما
من عجايب خلقه وبدايع صنعه مثل ما فى السموات من النجوم والشمس والقمر وجريها
فى مجاريها على غاية الاتساق والنظام وما فى الارض من انواع الجماد والنبات والحيوان
المخلوقة على وجه الاحكام واختلاف السنتكم والوانكم فالالسنة جمع لسان واختلافها
هو ان بناها الله تعالى مختلفة فى الشكل والهيئة والتركيب فتختلف نغماتها واصواتها
حتى انه لا يشتبه صوتان من نفسين هما اخوان وقيل ان اختلاف الالسنة هو اختلاف
اللغات من العربية والعجمية وغيرها ولا شىء من الحيوانات تتفاوت لغاتها
كتفاوت لغات الانسان فان كانت اللغات توفيقا من قبل الله تعالى فهو الذى
فعلها وابتداها وان كانت مواضعه من قبل العباد فهو الذى يسرها والوانكم
اى واختلاف الوانكم من البياض والحمرة والصفرة والسمرة وغيرها فلا يشبه
احد احدا مع التشاكل فى الخلقة وما ذلك الا للتراكيب البديعة واللطايف العجيبة
الدالة على كمال قدرته وحكمته حتى لا يشتبه اثنان من الناس ولا يلتبسا مع كثرتهم
ان فى ذلك لايات اى دلالات واضحات للعالمين اى للمكلفين ومن اياته الدالة على حكمه
واخلاص العبادة له منامكم بالليل والنهار وابتغاوكم من فضله بالنهار
هذا تقديره اى تصرفكم فى طلب المعيشة والمنام والنوم بمعنى واحد وقيل ان الليل
والنهار معا وقت النوم ووقت لابتغاء الفضل لان من الناس من يتصرف فى كسبه
ليلا وينام نهارا فيكون معناه ومن دلايله النوم لايات لقوم يسمعون ذلك
ويقبلونه ويتفكرون فيه لان من لا يتفكر فيه لا ينتفع به فكانه لم يسمعه ومن اياته يريكم

البرق خوفا وطمعًا معناه ومن دلالته ان يريكم النار تنقدح من السحاب يخافه المسافر
ويطمع فيه المقيم عن قتاده وقيل خوفا من الصواعق وطمعا من الغيث عن الضحاك
وقيل خوفا من ان يخلف فلا يمطر وطمعًا فى المطر عن ابى مسلم وينزل من السمآء مآء
اى غيثا ومطرا فيحيى به اى بذلك الماء الارض بعد موتها اى بعد انقطاع المآء
عنها ووجدونها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون اى للعقلاء المكلفين
ومن اياته ان تقوم السمآء والارض بامره بلا دعامة تدعمها ولا علاقة تتعلق
بهما بامره لهما بالقيام كقوله تعا انما امرنا لشيء اذا اردناه ان يقول له كن فيكون
وقيل بامره اى بفعله وامساكه الا ان افعال الله عز اسمه تضاف اليه بلفظ الامر
لانه ابلغ فى الاقتدار فان قوله القايل اراد فكان او امر فكان ابلغ فى الدلالة على
الاقتدار من ان يقول فعل فكان ومعنى القيام الثبات والدوام يقال السوق قايمة
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اى من القبر عن ابن عباس بامر الله عز اسمه اسرافيل
فينفخ فى الصور بعد ما يصور الصور فى القبور فيخرج الخلايق كلهم من قبورهم اذا انتم
تخرجون من الارض احياء وقيل انه تعا جعل النفخة دعاء لان اسرافيل يقول اجيبوا
داعى الله فيدعوا بامر الله وقيل ان معناه اخرجكم من قبوركم بعد ان كنتم امواتا
فيها فعبر عن ذلك بالدعاء لانه بمنزلة الدعاء وبمنزلة كن فيكون فى سرعة
تاتى ذلك وامتناع التعذر وانما ذكر تعا هذه المقدورات على اختلافها ليستدل بها
على انه القادر الذى لا يعجزه شيء العالم الذى لا يعزب عنه شيء وتدل هذه الايات
على فساد قول من قال ان المعارف ضرورة لا يمكن الاستدلال عليها قوله عز وجل
وَلَهُ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
وَهُوَ اَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْاَعْلٰى فِى السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ضَرَبَ لَكُمْ
مَثَلًا مِنْ اَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَآءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَاَنْتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ
تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ اَنْفُسَكُمْ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا اَهْوَآءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِى مَنْ اَضَلَّ اللّٰهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فَاَقِمْ وَجْهَكَ

لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذٰلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ خمس آيات الاعراب هل لكم مما ملكت ايمانكم
من شركائكم الجار والمجرور فى موضع رفع بانه خبر المبتداء والمبتداء من شركاء
ومن مزيدة ومن فى قوله مما ملكت ايمانكم يتعلق به اللام ويجوز ان يتعلق بمحذوف
فيكون فى موضع نصب على الحال والعامل فى الحال ما يتعلق به اللام فانتم فيه سواء جملة
فى موضع النصب لانه جواب قوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء وتقديره فتستووا
وقوله تخافونهم اى تخافون ان يساووكم كخيفتكم مساواة بعضكم بعضا حنيفًا
نصب على الحال فطرة الله منصوب بمعنى اتبع فطرة الله لان معنى فاقم وجهك للدين
اتبع الدين القيم فيكون بدلا من وجهك فى المعنى ثم قال تعا بعد ان ذكر الدلالات
الدالة على توحيده وله من فى السموات والارض من العقلاء يملكهم ويملك التصرف
فيهم وانما خص العقلاء لان ما عداهم فى حكم التبع لهم ثم اخبر عن جميعهم فقال كل له
قانتون اى كل له مطيعون فى الحيوة والبقاء والموت والبعث وان عصوا
فى العبادة عن ابن عباس وهذا مفسر فى سورة البقرة وهو الذى يبدوا
الخلق ثم يعيدهم اى يخلقهم انشاء ويخترعهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الفناء
فجعل تعا ما ظهر من ابتداء خلقه دليلا على ما خفى من اعادته استدلالا بالشاهد
على الغايب ثم اكد ذلك بقوله وهو اهون عليه هو يعود الى المصدر يعيده فالمعنى
من الاعادة اهون عليه وقيل فيه اقوال احدها ان معناه وهو هين عليه كقوله الله اكبر
اى كبير لا يدانيه فى كبريائه احد وكقول الشاعر شعر لعمرك ما ادرى وانى لاوجل
على اينا يغدو المنية اول فمعنى لاوجل لوجل وقال الفرزدق ان الذى سمك السماء
بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول اى عزيزة طويلة وقد قيل فيه انه اراد اعز واطول
من دعائم بيوت العرب وقال الآخر تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست
فيها باوحد اى بواحد هذا قول اهل اللغة والثانى انما قال اهون لما تقرر فى
العقول ان اعادة الشيء اهون من ابتدائه ومعنى اهون ايسر واسهل وهم كانوا مقرين

بالابتداء فكانه قال كيف تقرون بما هو اصعب عندكم وتتركون ما هو اهون عندكم
والثالث ان الهاء في عليه يعود الى الخلق وهو المخلوق اى والاعادة على المخلوق اهون من النشاة
الاولى لانه انما يقال له فى الاعادة كن فيكون وفى النشاة الاولى كان نطفة ثم علقة
ثم مضغة ثم عظاما ثم كسيت العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فهذا على المخلوق صعب والانشاء
يكون اهون عليه وهذا قول النحويين ومثله يروى عن ابن عباس قال وهو اهون
على المخلوق ولانه يقول له يوم القيمة كن فيكون واما ما يروى عن مجاهد انه قال
الانشاء اهون عليه من الابتداء فقول مرغوب عنه لانه تعالى لا يكون عليه شيئا اهون
من شئ وله المثل الاعلى اى وله الصفة العليا فى السموات والارض وهى انه لا اله
الا هو وحده لا شريك له لانها دايمة يصفه بها الثانى كما يصفه بها الاول عن قتاده
وقيل هى انه ليس كمثله شئ عن ابن عباس وقيل هى جميع ما يختص به عز اسمه من الصفات
العلى التى لا يشاركه فيها سواه والاسماء الحسنى التى تفيد التعظيم كالقاهر والاله
وهو العزيز فى ملكه الحكيم فى خلقه ثم احتج تعالى على عبدة الاوثان فقال ضرب لكم ايها
المشركون مثلا من انفسكم اى بين لكم شبها لحالكم ذلك المثل من انفسكم ثم بينه
فقال هل لكم مما ملكت ايمانكم اى من عبيدكم وامائكم من شركاء فيما رزقناكم من المال
والاملاك والنعم هل يشاركونكم فى اموالكم وهو قوله فانتم فيه سواء اى فانتم وشركاؤكم
من عبيدكم وامائكم فيما رزقناكم شرع سواء تخافونهم ان يشاركوكم فيما
ترثونه من ابائكم كخيفتكم انفسكم اى كما يخاف الرجل الحر شريكه الحر فى المال يكون بينهما
ان ينفرد دونه بامر وكما يخاف الرجل شريكه فى الميراث ان يشاركه لانه يحب ان ينفرد
به فهو يخاف شريكه يعنى ان هذه الصفة لا يكون بين الناس المملوكين والمالكين
كما يكون بين الاحرار ومعنى انفسكم ههنا امثالكم من الاحرار كقوله ولا تلمزوا
انفسكم وكقوله ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا اى بامثالهم من المؤمنين
والمعنى انكم اذا لم ترضوا فى عبيدكم ان يكونوا شركاءكم فى اموالكم واملاككم
فكيف ترضون لربكم ان يكون له شركاء فى العبادة قال سعيد بن جبير لانه كانت تلبية

قريش

قريش لبيك لبيك لا شريك لك تملكه وما ملك فانزل الله تعالى الاية ردا عليهم
وانكارا لقولهم كذلك اى كما ميزنا لكم هذه الادلة نفصل الايات اى الادلة
لقوم يعقلون فيتدبرون ذلك ثم قال تعالى مبينا انهم انما اتبعوا اهواءهم
فيما اشركوا به بل اتبع الذين ظلموا اى اشركوا بالله اهواءهم فى الشرك بغير
علم يعلمونه جاءهم من الله فمن يهدى من اضل الله اى فمن يهدى الى الثواب
والجنة من اضله الله عن ذلك عن الجبائى وقيل معناه من اضل عن الله الذى
هو خالقه ورازقه والمنعم عليه مع ما نصبه له من الادلة فمن يهديه
بعد ذلك عن ابى مسلم قال وهو من قولهم اضل فلان بعيره بمعنى ضل بعيره عنه
قال الشاعر شعر هبونى امرا منكم اضل بعيره : له ذمة ان الذمام كثير وانما
المعنى ضل بعيره عنه وما لهم من ناصرين ينصرونهم ويدفعون عنهم عذاب
الله تعالى اذا احل بهم ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلم والمراد جميع المكلفين وقال فاقم
وجهك للدين حنيفا اى اقم قصدك للدين والمعنى كن معتقدا للدين
وقيل معناه اثبت ودم على الاستقامة وقيل معناه اخلص دينك عن سعيد بن جبير
وقيل معناه سدد عملك فان الوجه ما يتوجه اليه وعمل الانسان ودينه مما يتوجه
الانسان اليه لتسديده واقامته حنيفا اى مايلا اليه ثابتا عليه مستقيما فيه لا يرجع
عنه الى غيره فطرة الله التى فطر الناس عليها الملة وهى الدين والاسلام والتوحيد
التى خلق الناس عليها ولها وبها اى لاجلها والتمسك بها فيكون كقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وهو كما يقول القائل لرسوله بعثتك على هذا ولهذا
وبهذا والمعنى واحد ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة
حتى يكون ابواهما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل معناه اتبع من الدين
ما دلك عليه فطرة الله وهو ابتداء خلقه للاشياء لانه خلقهم وركبهم وصورهم
على وجه يدل على ان لهم صانعا قادرا عالما حيا قديما واحدا لا يشبه شيئا ولا يشبهه
شئ عن ابى مسلم لا تبديل لخلق الله اى لا تغيير لدين الله الذى امر الناس بالثبات

عليه من التوحيد والعدل واخلاص العبادة لله عن الضحاك ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير
وابراهيم وابن زيد وقالوا ان لا هنا بمعنى النهي اي لا تبدلوا دين الله التي امرتم بالثبات
عليها وقيل المراد به النهي عن الخصا عن ابن عباس وعكرمة وقيل معناه لا تبديل لخلق الله
فيما ركب عليه بمعنى انه فطره على وجه يدل على صانع حكيم فلا يجعله خلقاً لغير الله
حتى يبطل وجه الاستدلال عن ابي مسلم والمعنى ان ما دلت عليه الفطرة لا يمكن فيه التبديل
ذلك الدين القيم اي ذلك الدين المستقيم الذي يجب اتباعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
صحة ذلك لعدولهم عن النظر فيه قوله عز وجل مُنيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة
ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم
فرحون واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة
اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا
عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون خمس آيات القراءة قرأ حمزة والكسائي
فارقوا بالالف والباقون فرقوا وقد مضى بيانه في سورة الانعام وفي الشواذ قراءة
ابي العالية فيمتعوا فسوف يعلمون ومعناه بطول اعمارهم على كفرهم فسوف يعلمون تهدداً
على ذلك اللغة الانابة الانقطاع الى الله بالطاعة فاصله على هذا القطع ومنه الناب
لانه قاطع وينتج الامر اذا نشب فيه كما ينشب ناب القاطع ويجوز ان يكون من ناب ينوب
اذا رجع مرة بعد مرة فيكون الانابة التوبة التي تجدد مرة بعد مرة والشيع الفرق
وكل فرقة شيعة على حدة سموا بذلك لان بعضهم يتبع بعضاً على مذهبه فشيعة الحق
هم الذين اجتمعوا على الحق وكذلك شيعة امير المؤمنين عليه السلام هم الذين اجتمعوا معه
على الحق المعنى ثم قال تعالى منيبين اليه قال الزجاج وعم جميع النحويين ان معناه فاقيموا
وجوهكم منيبين اليه لان مخاطبة النبي عليه السلام يدخل معه فيها الامة والدليل على ذلك قوله
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فقوله فاقم وجهك معناه فاقيموا وجوهكم منيبين اليه
اي راجعين الى كل ما امر به مع التقوى واداء الفرض وهو قوله واتقوه واقيموا الصلوة
ثم اخبر تعالى انه لا ينفع ذلك الا بالاخلاص بالتوحيد فقال ولا تكونوا من المشركين من الذين

فرقوا دينهم

فرقوا دينهم شيعاً ابتداء اي لا تكونوا من اهل الشرك من جملة الذين فرقوا دينهم عن الفراء
ويجوز ان يكون قوله من الذين فرقوا دينهم شيعاً ابتداء كلام ومعناه الذين
اوقعوا في دينهم الاختلاف وصاروا ذوي اديان مختلفة فصار بعضهم يعبد وثناً وبعضهم
يعبد ناراً وبعضهم شمساً الى غير ذلك وقد مر تفسيره في سورة الانعام كل حزب
بما لديهم فرحون اي كل اهل ملة بما عندهم من الدين راضون عن مقاتل وقيل كل
فريق بدينهم معجبون مسرورون يظنون انهم على حق واذا مس الناس ضر دعوا
ربهم اي اذا اصابهم مرض وفقر وشدة دعوا الله تعالى منيبين اليه منقطعين اليه
مخلصين في الدعاء له ثم اذا اذاقهم منه رحمة بان يعافيهم من المرض ويغنيهم
من الفقر او ينجيهم من الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون اي يعودون الى عبادة
غير الله على خلاف ما يقتضيه العقل من مقابلة النعمة بالشكر ثم بين تعالى انهم
يفعلون ذلك ليكفروا بما آتيناهم من النعم اذ لا غرض في الشرك الا كفران
نعم الله تعالى وقيل ان هذه اللام للامر على معنى التهديد مثل قوله فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم قال تعالى يخاطبهم مهدداً لهم فتمتعوا بهذه الدنيا
وانتفعوا بنعيمها الفاني كيف شئتم فسوف تعلمون عاقبة كفركم ام انزلنا عليهم
سلطاناً هذا استفهام مستانف معناه بل انزلنا عليهم برهاناً وحجة يتسلطون
بذلك على ما ذهبوا اليه فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اي فذلك البرهان كانه
يتكلم بصحة شركهم ويحتج لهم به والمعنى انهم لا يقدرون على تصحيح ذلك ولا يمكنهم
ادعاء برهان وحجة عليه قوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم
سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون
وما آتيتم من رباً ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم

ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون
خمس آيات القراءة قرأ ابن كثير وما آتيتم من ربا مقصورة الالف غير ممدودة
وقرأ الباقون آتيتم بالمد وقرأ اهل المدينة ويعقوب وسهل لتربوا بالتاء
وضمها وسكون الواو والباقون ليربوا بالياء وفتحها ونصب الواو الحجة قال
ابو علي معنى ما آتيتم من ربا ما آتيتم من هدية اهديتموها لتعوضوا ما هو
اكثر منه وتكافئوا ازيد منه فلا يربوا عند الله لانكم انما قصدتم الى زيادة
العوض فلم تبتغوا في ذلك وجه الله ومثل هذا في المعنى قوله ولا تمنن تستكثر
فمن مد آتيتم فلان المعنى اعطيتم ومن قصر فانه يؤول في المعنى الى قول من مد الا ان
اتيتم على لفظ جئتم كما تقول جئت زيدا وكانه قال ما جئتم من ربا ومجيئهم لذلك
انما هو على لفظ الاعطاء له كما تقول اتيت الخطاء واتيت الصواب قال الشاعر
اتيت الذي ياتي السفيه لغرتي الى ان علا وخط من الشيب مفرقي فاتيانه الذي
ياتيه السفيه انما هو فعل منه له فلو لم تختلفوا في مده وما آتيتم من زكوة فهو
كقوله وايتاء الزكوة وان كان قال آتيت الزكوة لجاز ان يعنى به فعلها ولكن
الذي جاء منه في التنزيل في سائر الكلام الايتاء ومن قرأ ليربوا فان فاعله
الربوا المذكور في قوله وما آتيتم من ربا وقدر المضاف فحذف فكانه
في اختلاب اموال الناس واجتذابه ونحو ذلك وكانه سمى هذا المدفوع على وجه اجتلاب
الزيادة ولو قصد به وجه الله لكان ربوا لما كان العوض فيه الاستزادة على ما
اعطى فسمى باسم الزيادة بذلك سمى المحرم المتوعد فاعله ربوا الزيادة ما ياخذ على ما
اعطى والمدفوع ليس في الحقيقة ربوا انما المحرم الزيادة التي ياخذها زايدا على اعطى
فسمى الجميع ربوا فكذلك ما اعطاه الواهب والمهدي لاستجلاب الزيادة سمى ربوا
لمكان الزيادة المقصودة في المكافات فوجه ليربوا في اموال الناس ليربوا ما
اوتيتم فلا يربوا عند الله لانه لم يقصد به وجه البر والقربة انما قصد به اجتلاب
الزيادة ولو قصد به وجه الله لكان كقوله وما آتيتم من زكوة تريدون

وجه الله

وجه الله فاولئك هم المضعفون اي صاروا ذوي زيادة فيما آتيتم من اموال الناس
اي تستدعونها وتجتلبونها وكانه من ادنى اذا صار ذا زيادة مثل اقطف واجرب
المعنى لما تقدم ذكر المشركين عقبه تعالى بذكر احوالهم في البطر عند النعمة والياس
عند الشدة فقال واذا اذقنا الناس رحمة اي اذا آتيناهم نعمة من عافية وصحة
جسم او سعة رزق او امن ودعة فرحوا بها اي سروا بتلك الرحمة وان تصبهم
سيئة بما قدمت ايديهم اي وان اصابهم بلاء وعقوبة بذنوبهم التي قدموها
وسمى ذلك سيئة توسعا لكونه جزاء على السيئة عن الجبائي وقيل وان يصبهم
قحط وانقطاع مطر وشدة وسميت سيئة لانها تسوء صاحبها اذا هم يقنطون
اي ييأسون من رحمة الله تعالى وانما قال بما قدمت ايديهم ولم يقل بما قدموا
على التغليب لان الاكثر الاظهر فان اكثر العمل لليدين والعمل للقلب وان كان كثيرا فانه
اخفى ثم نبههم تعالى على توحيده فقال اولم يروا ان الله يبسط الرزق اي يوسعه
لمن يشاء ويقدر اي ويضيق لمن يشاء على حسب ما يقتضيه مصالح العباد
ان في ذلك اي في بسط الرزق لقوم وتضيقه لقوم اخرين لآيات اي دلالات
لقوم يؤمنون بالله ثم خاطب نبيه عليه السلام فقال وات ذا القربى حقه اي واعط
ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم من الاخماس عن مجاهد والسدي
وروى ابو سعيد الخدري وغيره انه لما نزلت هذه الآية على النبي عليه السلام
اعطى فاطمة عليها السلام فدكا وسلمه اليها وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام وقيل انه خطاب له عليه السلام ولغيره والمراد بالقربى قرابة الرجل وهو امر
بصلة الرحم بالمال والنفس والمسكين وابن السبيل معناه وآت المسكين والمسافر
المحتاج ما فرض الله لهم من مالك ذلك خير اي واعطاء الحقوق مستحقها خير
للذين يريدون وجه الله بالاعطاء دون الرياء والسمعة واولئك هم المفلحون
اي الفائزون بثواب الله وما آتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا
عند الله وقيل في الربوا المذكور في الآية قولان احدهما انه ربوا حلال وهو ان يعطى

الرجل العطية او يهدى الهدية ليثاب اكثر منها فليس اجر ولا وزر عن ابن عباس وطاوس
وهو المروى عن ابي جعفر ع والقول الآخر انه الربوا المحرم عن الحسن والجبائي فعلى
هذا يكون كقوله يمحوا الله الربوا ويربي الصدقات وما اوتيتم من زكوة
اي فما اعطيتموه اهله على وجه الزكوة تريدون بذلك وجه الله اي ثواب
الله ورضاه ولا يطلبون بها المكافاة فاولئك هم المضعفون اي فاهلها
هم المضعفون يضاعف لهم الثواب وقيل المضعفون ذووا الاضعاف في الحسنات
كما يقال رجل مقوى ذو قوة شديدة وموسر ذو يسار وقيل هم المضعفون
للمال في العاجل وللثواب في الآجل لان الله تعا جعل الزكوة سببا لزيادة المال
ومنه الحديث ما نقص مال من صدقة وقال امير المومنين عليه السلم فرض الله تعا
الصلوة تنزيها عن الكبر والزكوة تسبيبا للرزق والصيام ابتلاء
لاخلاص الخلق وصلة الارحام منماة للعدد في كلام طويل وبدا تعالى في الاية
بالخطاب ثم ثنى بالخبر وذلك معدود في الفصاحة ثم عاد الى دليل التوحيد
فقال الله الذي خلقكم اي اوجدكم وانشا خلقكم ثم رزقكم اي اعطاكم انواع
النعم ثم يميتكم بعد ذلك ليصح ايصالكم الى ما عرضكم له من الثواب الدايم
ثم يحييكم ليجازيكم على افعالكم هل من شركائكم عبدتموها من دونه من يفعل
من ذلكم من شيء او يقدر عليه فيجوز لذلك توجيه العبادة اليه ثم نزه
نفسه عن ان يشترك معه في العبادة فقال سبحانه وتعالى عما يشركون قوله عز وجل
ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي
عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ خمس آيات
اللغة الصدع الشق وتصدع القوم تفرقوا قال الشاعر وكنا كندماني جذيمة

حقيقه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا المعنى ثم ذكر تعالى ما اصاب الخلق بسبب ترك
التوحيد فقال ظهر الفساد في البر والبحر معناه ظهر قحط المطر وقلة النبات
في البر حيث لا يجري نهر وهو البوادي والبحر وهو كل قرية على شاطئ نهر عظيم بما كسبت
ايدي الناس يعني كفار مكة عن ابن عباس وقيل ليس المراد في البر والبحر في الاية كل بر
وبحر في الدنيا بل المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النبي عليه السلم فعلى هذا يكون
التقدير ظهر عقوبة الفساد في البر والبحر وقال الفراء اجدب البر وانقطعت
مادة البحر بذنوبهم وكان ذلك ليذوقوا الشدة في العاجل ويجوز ايضا ان يسمى
الهلاك والخراب فسادا كما يسمى العذاب سوء وكان ذلك حكمة وعدلا وقيل البر
ظهر الارض والبحر المعروف والفساد ارتكاب المعاصي عن ابي العالية وقيل فساد
البر قتل قابيل بن آدم اخاه وفساد البحر اخذ السفينة غصبا عن مجاهد وقيل
الفساد ولاة السوء في البر والبحر وقيل فساد البحر ما يحصل فيه من المخاوف
المانعة من سلوكه وذلك يكون بخذلان الله لاهله والعقاب به وفساد البحر
اضطراب امره حتى لا يكون للعباد متصرف فيه وكل ذلك ليرتدع الخلق عن معاصيه
وقيل البر البرية والبحر الريف المواضع الخصبة واصل البر من البر لانه يبر
بصلاح المقام فيه وكذلك البر لانه يبر بصلاحه في الغذاء اتم صلاح واصل
البحر الشق لانه شق في الارض ثم كثر فسمي الماء الملح بحرا انشد ثعلب شعر وقد عاد
عذب الماء بحرا فزادني على مرضي ان اجاء المشرب العذب بما كسبت ايدي الناس
اي جزاء بما عمله الناس من الكفر والفسوق وقيل معناه بسوء افعالهم وشؤم
معاصيهم ليذيقهم بعض الذي عملوا اي ليصيبهم الله بعقوبة بعض اعمالهم التي
عملوها من المعاصي لعلهم يرجعون اي ليرجعوا عنها في المستقبل وقيل معناه ليرجع
من ياتي من بعدهم عن المعاصي قل يا محمد سيروا في الارض ليس بامر ولكنه مبالغة
في العظة وروي عن ابن عباس انه قال من قرا القرآن وعلم سار في الارض لان فيه
اخبار الامم فانظر كيف كان عاقبة الذين من قبل من الملوك العاتية والقرون الخالية

كيف اهلكهم الله وكيف صارت قصورهم قبورهم ومحاضرهم مقابرهم فلم يبق لهم عين ولا اثر تخبرين انه فعل ذلك بهم لسوء صنيعهم فقال كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم اي استقم للدين المستقيم بصاحبه الى الجنة اي لا يعدل عنه يمينا ولا شمالا فانك متى فعلت ذلك اداك الى الجنة وهو مثل قوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله تتقلب فيه القلوب من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لذلك اليوم وهو يوم القيمة من الله اي لا يرده احد يومئذ يصدعون اي يتفرقون فيه فريق في الجنة وفريق في السعير عن قتاده وغيره من كفر فعليه كفره اي عقوبة كفره لا يعاقب احد بذنبه ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يوطئون لانفسهم منازلهم يقال مهدت لنفسي خيرا اي هيأته ووطأته والمعنى ان ثواب ذلك يصل اليهم وتمهد احوالهم الحسنة عند الله وهذا توسع بقول من احسن عمله فكانه فرش لنفسه في القبر والقيمة وسوى مضجعه ومثواه وروى منصور بن حازم عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان العمل الصالح ليسبق صاحبه الى الجنة فيمهد له كما يمهد لاحدكم خادمه فراشه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله اي يجزيهم على قدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله وقيل معناه بفضله اي بسبب فضله لانه خلقه وهداه ومكنه وازاح علته حتى استحق الثواب وقيل من فضله يعني فضلا من فضله وثوابا لا ينقطع انه لا يحب الكافرين اي لا يريد كرامتهم ومنفعتهم وانما يريد عقابهم جزاء على كفرهم قوله عز وجل وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ

لمحيي الموتى

لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ خمس آيات القراءة قرا ابو جعفر وابن ذكوان كسفا بسكون السين والباقون بتحريكها وقد مضى القول فيه وقرا ابن عامر واهل الكوفة غير ابي بكر الى آثار على الجمع والباقون اثر بغير الف على الواحد وروي عن ابي علي وابن عباس والضحاك من خلله وعن الجحدري وابن السميقع وابي حيوة كيف تحيي بالتاء الحجة قال ابو علي الافراد في اثر لانه مضاف الى مفرد وجاز الجمع لان رحمة الله يجوز ان يراد به الكثرة كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقوله كيف يحيي الارض يجوز ان يكون فاعل يحيي الارض الضمير العايد الى اثر ويجوز ان يكون الضمير العايد الى اسم الله وهو الاولى من رد الضمير الى اثر لانه يكون خلال واحد جمع خلل كالجبال والجبل ومن قرا الى اثر رحمة الله كيف تحيي بالتاء فانما جاز ذلك وان كان لا يجوز اما ترى الى غلام هند كيف تضرب زيدا بالتاء لان الرحمة قد تقوم مقامها اثرها ولا يقوم مقام هند غلامها تقول ترابت عليك النعمة ورايت عليك اثر النعمة ولا تعبر عن هند بغلامها الاعراب وليذيقكم عطف على المعنى تقديره يرسل الرياح ليبشركم بها وليذيقكم قوله كيف يشاء تقديره اي مشية يشاء فيكون مفعولا مطلقا ليشاء وقوله كيف يحيي الارض يجوز ان يكون كيف في موضع نصب على الحال من يحيي وذو الحال الضمير المستكن في يحيي والارض والتقدير امبدعا يحيي الارض ام لا او مبدعة يحيي الارض ام لا ويجوز ان يكون على تقدير المصدر اي اي احياء يحيي الارض قال ابن جني والجملة منصوبة الموضع على الحال حملا على المعنى لا على اللفظ وذلك ان اللفظ استفهام والحال ضرب من الخبر والاستفهام والخبر معنيان متدافعان وتلخيص كونها حالا انه كان قال فانظر الى اثار رحمة الله محيية للارض كما ان قوله ما زلت اسعى منهم واختبط حتى اذا جاء الظلام المختلط جاؤا بضيح هل رايت الذيب قط جملة استفهامية في موضع وصف لضيح حملا على المعنى دون اللفظ فكانه قال جاؤا بضيح يشبه لونه لون الذيب والضيح اللبن المخلوط بالماء وهو يضرب الى الخضرة والطلب المعنى ولما وعد الله تعالى

واو عدكم كان قايلا قال لما اصل ما يجرى الله عليه الخير فقيل العبادة واصل عبادة الله
معرفته ومعرفته انما يكون بافعاله فقال ومن اياته اى ومن افعاله الدالة على معرفته
ان يرسل الرياح مبشرات بالمطر فكانها ناطقات بالبشارة لما فيها من الدلالة
عليه وبارسال الرياح تحريكها واجراها فى الجهات المختلفة تارة شمالا وتارة جنوبا
ومرة صبا واخرى دبورا على حسب ما يعلم الله فى ذلك من المصلحة وليذيقكم من رحمته
اى وليصيبكم من نعمته وهى الغيث وتقديره انه يرسل الرياح للبشارة والاذاقة
من الرحمة ولتجرى الفلك بها بامره ولتبتغوا من فضله اى ولتطلبوا بركوب
السفن الارباح وقيل لتطلبوا بالامطار فيما تزرعونه من فضل الله ولعلكم تشكرون
نعمة الله بلطف تعالى بلفظ لعلكم فى الدعاء الى الشكر كما يلطف فى الدعاء الى البر بقوله
من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلام تسلية له فى تكذيب
قومه اياه فقال ولقد ارسلنا من قبلك يا محمد رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات
اى بالمعجزات والايات الباهرات وههنا حذف وتقديره فكذبوهم وجحدوا
باياتهم فاستحقوا العذاب فانتقمنا من الذين اجرموا اى عاقبناهم بتكذيبهم
وكان حقا علينا نصر المومنين معناه ودفعنا السوء والعذاب عن المومنين
وكان واجبا علينا نصرهم باعلاء الحجة ودفع الاعداء عنهم الا انه دل على المحذوف
قوله وكان حقا علينا نصر المومنين وجاءت الرواية عن ام الدرداء انها قالت
سمعت رسول الله عليه السلام يقول ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم قرأ وكان حقا علينا نصر المومنين
ثم قال تعالى مفسرا لما اجمله فى الاية المتقدمة الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا
اى تهيج سحابا وتزعجه فيبسطه فى السماء كيف يشاء اى يشاء بسطه مسيرة
يوم وان شاء بسطه مسيرة يومين ويجريها الى اى جهة شاء والى اى بلد شاء ويجعله
كسفا اى قطعا متفرقة عن قتاده وقيل متراكبا بعضه على بعض حتى يغلظ عن الجبائى
وقيل قطعا تغطى ضوء الشمس عن ابى مسلم فترى الودق اى القطر يخرج من خلاله اى من خلال

السحاب

السحاب فاذا اصاب به اى بذلك الودق من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون اى يفرحون
ويبشر بعضهم بعضا به وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين معناه
وانهم كانوا من قبل انزال المطر عليهم قانطين آيسين من نزول المطر عن قتاده
وكرر كلمة من قبل للتوكيد عن الاخفش وغيره وقيل ان الاول من قبل الانزال
للمطر والثانى من قبل الارسال للرياح فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيى الارض
بعد موتها حتى انبتت شجرا ومرعى بعد موتها اى يبسها وان كانت مواتا
يابسة جعل تعالى اليبس والجدوبة بمنزلة الموت وظهور النبات فيها بمنزلة
الحيوة توسعا ان ذلك لمحيى الموتى اى ان الله تعالى يفعل ما يرون وهو الله تعالى
ليحيى الموتى فى الاخرة بعد كونهم رفاتا وهو على كل شيء قدير معناه قوله عز وجل
ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن
ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون الله الذى خلقكم
من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون خمس آيات القراءة قرأ ابن كثير
وعباس عن ابى عمرو ولا يسمع الصم الدعاء والباقون لا تسمع الصم وقد ذكرنا فى سورة
النمل وقرأ عاصم وحمزة من ضعف بالضم والباقون بفتح الضاد وقد ذكرناه
فى سورة الانفال الاعراب جواب الشرط من قوله لئن ارسلنا قد حذف لانه قد اغنى
عنه جواب القسم لان المعنى فى قوله لظلوا ليظلن كما ان قوله ان ارسلنا بمعنى
ان نرسل والجواب القسم قد ناب عن الامرين وكان احق بالحكم لتقدمه على الشرط
ولو تقدم الشرط لكان الجواب له كقولك ان ارسلنا ريحا فظلوا والله يكفرون
واللام فى قوله ولئن يسميها البصريون لام توطية القسم ويسميها الكوفيون
لام انذار القسم ومعنى ظل يفعل جعل يفعل فى صدر النهار وهو الوقت الذى فيه الظل

الشمس المعنى ثم عاب تعالى الكافر النعمة فقال ولئن ارسلنا ريحا موذنة بالهلاك باردة
فراوه مصفرا اى فراوا والنبت والزرع الذى كان من اثر رحمة الله مصفرا من البرد
بعد الخضرة والنضارة وقيل ان الهاء يعود الى السحاب ومعناه فراوا السحاب مصفرا
لانه اذا كان كذلك لم يكن فيه مطر الظلوا من بعده يكفرون اى يضاروا من بعده
ان كانوا راجين مستبشرين يكفرون بالله وبنعمته ولم يرضوا بقضاء الله تعالى فيه
نعل من حمد صانعه ومدبره ولا يعلم انه حكيم لا يفعل الا الاصلاح فيسكن عند النعمة
ويصبر عند الشدة ثم قال لنبيه عليه السلام انك لا تسمع يا محمد الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
شبه الكفار فى ترك تدبرهم فيما يدعوهم اليه النبى عليه السلام تارة بالاموات وتارة
بالصم لانهم لا ينتفعون بدعاء الداعى فكانهم لا يسمعونه اذا ولوا مدبرين اذا اعرضوا
عن ادلتنا ذاهبين الى الضلال والفساد غير سالكين سبيل الرشاد وما انت بهادى
العمى عن ضلالتهم يعنى انهم كالعمى لا يهتدون بالادلة ولا تقدر على ردهم عن العمى اذا لم
يطلبوا الاستبصار ان تسمع الا من يومن باياتنا اى ليس الا من يصدق باياتنا
وادلتنا فانهم المنتفعون بدعائك واسماعك فهم مسلمون منقادون لاوامر الله
ثم عاد تعالى الى ذكر الادلة فقال الله الذى خلقكم من ضعف اى نطف وقيل معناه
خلقكم اطفالا لا تقدرون على البطش والمشى والتصرفات ثم جعل من بعد ضعف
قوة ضعفا وشيبة يعنى حال الشيخوخة والكبر يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وهو العليم
بما فيه من المصالح القدير على فعله بفعل بحسب ما يعلمه من المصلحة ثم بين تعالى
حال البعث فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا فى القبور غير ساعة
واحدة عن الكلبى ومقاتل وقيل يحلفون ما مكثوا فى الدنيا غير ساعة لاستقلالهم
مدة الدنيا وقيل يحلفون ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر غير ساعة عن الجبائى
ومتى قيل كيف يحلفون كاذبين مع ان معارفهم فى الاخرة ضرورة قيل فيه اقوال
احدها انهم حلفوا على الظن ولم يعلموا لبثهم فى القبور فكانهم قالوا ما لبثنا غير
ساعة فى ظنوننا عن ابى على وابى هاشم وثانيها انهم استقلوا الدنيا لما عاينوا من امر

الاخرة فكانهم قالوا ما الدنيا فى الاخرة الا ساعة فاستقلوا حيث استقلوا فى المدة
اليسيرة بما اوردهم تلك الاهوال الكثيرة وثالثها ان ذلك يجوز ان يقع منهم قبل
اكمال عقولهم عن ابى بكر بن الاخشيد كذلك كانوا يوفكون فى دار الدنيا اى يكذبون
وقيل يصرفون صرفهم جهلهم عن الحق فى الدارين ومن استدل بهذه الاية على نفى عذاب
القبر فقد ابعد لما بينا انه يجوز ان يريدوا انهم لم يلبثوا بعد عذاب القبر الا ساعة
قوله عز وجل وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم
البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين
ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل
مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع
الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين
لا يوقنون خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة لا ينفع بالياء والباقون بالتاء وكذلك
فى حم المومن ووافق نافع اهل الكوفة فى حم المومن الحجة قال ابو على التانيث حسن
لان المعذرة اسم مونث واما التذكير فلان التانيث ليس بحقيقى وقد وقع الفصل
بين الفعل وفاعله والفصل يحسن التذكير المعنى ثم اخبر الله تعالى عن علماء المومنين
فى ذلك اليوم فقال وقال الذين اوتوا العلم والايمان اى اتاهم الله العلم بان نصب لهم
من الادلة الموجبة له فنظروا فيها فحصل لهم العلم فلذلك اضافه الى نفسه لما كان
هو الناصب للادلة الدالة على العلوم والتصديق بالله ورسوله لقد لبثتم
اى مكثتم فى كتاب الله ومعناه ان لبثكم ثابت فى كتاب الله اثبته الله تعالى فيه
وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وهذا كما يقال ان كل ما يكون
فهو فى اللوح المحفوظ اى هو مثبت فيه والمراد لقد لبثتم فى قبوركم الى يوم البعث
وقيل ان الذين اوتوا العلم والايمان هم الملائكة وقيل هم الانبياء وقيل المومنون
وقيل ان هذا على التقديم والتقدير وقال الذين اوتوا العلم فى كتاب الله
وهم الذين يعلمون كتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث وقال الزجاج فى كتاب الله

اي في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه في الدنيا
ولكنكم كنتم لا تعلمون وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الان ويدل على هذا المعنى
قوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا انفسهم بالكفر معذرتهم فلا يمكنون من
الاعتذار ولو اعتذروا لم يقبل عذرهم ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم الاعتاب
والرجوع الى الحق ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل بالعتاب اي البيان
للمكلفين في القران الذي انزلناه على نبينا من كل مثل يدعوهم الى التوحيد
والايمان ولئن جئتهم باية اي معجزة باهرة مما اقترحوها منك ليقولن الذين
كفروا ان انتم الا مبطلون اي اصحاب اباطيل وهذا اخبار عن عناد القوم و
تكذيبهم بالايات كذلك اي مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون توحيد الله والطبع والختم مفسران في سورة البقرة فاصبر
يا محمد على اذى هؤلاء الكفار واصرارهم على كفرهم ان وعد الله حق بالعذاب والتنكيل
لاعدائك والنصرة والتاييد لك ولدينك ولا يستخفنك الذين لا يوقنون
بالبعث والحساب فهم ضلال شاكون وقيل لا يستخفنك الذين اي لا يحملنك كفر
هؤلاء على الخفة والعجلة لشدة الغضب عليهم لكفرهم باياتك فتفعل خلاف ما امرت
به من الصبر والرفق عن الجبائي **سورة لقمان** مكية قال ابن عباس سوى ثلث
ايات نزلن بالمدينة ولو ان ما في الارض من شجرة الى اخرهن **عدد اياتها** ثلث وثلثون اية
حجازي اربع في الباقين اختلافها ايتان الم كوفي مخلصين له الدين بصري شامي
فضلها ابي بن كعب عن النبي عليه السلام قال ومن قرأ سورة لقمان كان لقمان له رفيقا
يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد ما اعطى من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر وروى
محمد بن جبير العرزمي عن ابيه عن ابي جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة لقمان في كل ليلة وكل
الله به في ليلته ثلثين ملكا يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يصبح فان قرأها بالنهار
لم يزالوا يحفظونه من ابليس وجنوده الى ان يمسي **تفسيرها** لما ختم الله تعالى سورة الروم
بذكر الايات الدالة على صحة نبوته افتتح هذه السورة بذكر ايات القرآن فقال

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة
للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى
عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله
حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها
من كل زوج كريم عشر ايات القراءة قرا حمزة هدى ورحمة بالرفع والباقون ورحمة
بالنصب وقرا اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب ويتخذها بالنصب والباقون بالرفع وقد ذكرنا
فيما تقدم ان ابن كثير وابا عمرو ويعقوب قرؤا ليضل بفتح الياء وان نافعا يقرأ اذنيه
بسكون الذال لكل القران الحجة قال ابو علي الزجاج وجه النصب في رحمة انه انتصب
عن الاسم المبهم على الحال اي تلك ايات الكتاب في حال الهداية والرحمة والرفع على اضمار
المبتدأ اي هو هدى ورحمة ومن رفع ويتخذها جعله عطفا على الفعل الاول
من يشتري ويتخذ ومن نصب عطف على ليضل ويتخذها واما الضمير في يتخذها فيجوز ان يكون
للحديث لانه يعني الاحاديث ويجوز ان يكون للسبيل لان السبيل مؤنث قال قل هذه سبيلي
ويجوز ان يكون لايات الله وقد جرى ذكرها في قوله تلك ايات الكتاب الاعراب مفعول
يضل محذوف اي ليضل الناس بغير علم في موضع النصب على الحال تقديره ليضل الناس
جاهلا او غير عالم كان لم يسمعها والكاف في موضع الحال وكذلك قوله كان في اذنيه
وقرا في موضع الحال اي ولى مستكبرا مشبها للاصم لهم جنات النعيم جنات ترتفع بالظرف
على المذهبين لانه جرى خبرا على المبتدا وعد الله مصدر فعل محذوف وحقا صفة
للمصدر وتقديره وعد الله وعدا حقا بغير عمد يجوز ان يكون غير صفة لمحذوف
مجرور بالباء اي بعماد غير عمد ترونها وترونها جملة في موضع جر لكونها صفة لعمد اي بغير عمد

مرية ويجوز ان يكون غير بمعنى لا وعلى الوجهين يتعلق الباء بخلق ويجوز ان الباء للحال فيكون
حالا من السموات مرية بغير عمد ان يمتد في موضع نصب بانه مفعول له وتقديره حذار
ان يمتد اوكراهة ان يمتد النزول نزل قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث في
النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار بن قصي كان يتجر فيخرج فارس فيشتري
اخبار الاعاجم ويحدث بها قريشا ويقول لهم ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا
احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون
استماع القران عن الكلبي وقيل نزلت في رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا
عن ابن عباس ويؤيده ما رواه ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وآله لا يحل تعليم المغنيات
ولا بيعهن واثمانهن حرام وقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله ومن الناس من يشتري
الاية والذي نفسي بيده ما رفع رجل عقيرته يتغنى الا ارتدفه شيطانان يضربان بارجلهما
على صدره وظهره حتى يسكت المعنى الم تلك ايات الكتاب الحكيم تقدم تفسيره
هدى ورحمة للمحسنين اي بيان ودلالة ونعمة للمطيعين وقيل للمواخذين وقيل
للذين يحسنون العمل ثم وصفهم فقال الذين يقيمون الصلوة الى قوله هم المفلحون
وقد مر تفسيره في سورة البقرة ثم وصف الذين حالهم بخلاف حال هؤلاء فقال ومن الناس
من يشتري لهو الحديث اي باطل الحديث واكثر المفسرين على ان المراد بلهو الحديث الغنا
وهو قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
وابي الحسن الرضا عليهم السلام قالوا منه الغنا وروى ايضا عن ابي عبد الله ع انه قال هو الطعن
في الحق والاستهزاء به وما كان ابو جهل واصحابه يجيئون به اذ قال يا معشر قريش الا اطعمكم
من الزقوم الذي يخوفكم به صاحبكم ثم ارسل الى زبد وتمر فقال هذا هو الزقوم الذي
يخوفكم به قال ومنه الغنا فعلى هذا فانه يدخل فيه كل شيء يلهي عن سبيل الله وطاعته
من الاباطيل والمزامير والملاهي والمعازف ويدخل فيه السخرية بالقران واللغو فيه
كما قاله ابو مسلم والترهات والبسابس كما قاله عطا وكل لهو ولعب على ما قاله قتادة
والاحاديث الكاذبة والاساطير الملهية عن القران على ما قاله الكلبي وروى الواحدي

بالاسناد

بالاسناد عن نافع عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وآله في هذه الاية ومن الناس
من يشتري لهو الحديث قال باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه ولا تطيب نفسه بدرهم
يتصدق فيه وروى ايضا بالاسناد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من ملا مسامعه من غناء لم يؤذن له ان يسمع صوت الروحانيين يوم القيمة
قيل وما الروحانيون يوم القيمة يا رسول الله قال قراء اهل الجنة ليضل عن سبيل الله
اي ليضل غيره ومن اضل غيره فقد ضل هو ومن قرأ بفتح الياء فالمعنى ليصير امره
الى الضلال وهو وان لم يكن يشتري للضلال فانه يصير امره الى ذلك قال قتاده
يحسب المرء من الضلال ان يختار حديث الباطل على حديث الحق وسبيل الله قراءة القران
وذكر الله عن ابن عباس بغير علم معناه انه جاهل فيما يفعله لا يفعل عن علم ويتخذها
هزوا اي ويتخذ ايات القران هزوا او يتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها اولئك
لهم عذاب مهين اي مذل يهينهم الله به واذا يتلى عليه اياتنا اي واذا قرئ عليه
القران ولى مستكبرا اي اعرض عن سماعه اعراض من لا يسمعه رافعا نفسه فوق
مقدارها كان في اذنيه وقرا اي كان في مسامعه ثقلا يمنعه عن سماع تلك
الايات فبشره يا محمد بعذاب اليم اي مولم موجع في القيمة ثم اخبر تعالى عن صفة
المؤمنين المصدقين فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم
يوم القيمة ينتعمون فيها خالدين فيها اي مؤبدين في تلك الجنات وعد الله
حقا اي وعدا وعده الله سبحانه حقا لا خلف له وهو العزيز في انتقامه الحكيم في جميع
افعاله واحكامه لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة ثم اخبر تعالى عن افعاله الدالة
على توحيده فقال خلق السموات اي انشاءها واخترعها بغير عمد ترونها
اذ لو كان لها عمد لرايتموها لانها كانت تكون اجساما عظاما حتى يصح منها
ان تقل السموات ولو كانت كذلك لاحتاجت الى عمد اخر فكان يتسلسل فاذا لا عمد لها
وقيل ان المراد بغير عمد مرئية والمعنى ان لها عمدا لا ترونها عن مجاهد والصحيح الاول
والقى في الارض رواسي اي جبالا ثابتة ان تميد بكم اي كراهة ان تميد بكم وقيل لئلا

تميد بكم وبث فيها اى فرق فيها اى فى الارض من كل زوج اى صنف كريم اى حسن النبتة
طيب الثمرة قوله عز وجل هٰذَا خَلْقُ اللّٰهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ
لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ
وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
القراة قراء ابن كثير فى رواية البزى يا بنى لا تشرك بالله ساكنة الياء يا بنى انها مكسورة
الياء يا بنى اقم الصلوة مفتوحة الياء وقراء فى رواية القواس يا بنى لا تشرك يا بنى
اقم الصلوة ساكنة الياء فيهما يا بنى انها مكسورة الياء وقرأ فى رواية ابن فليح
يا بنى لا تشرك يا بنى انها مكسورة الياء يا بنى اقم الصلوة مفتوحة الياء وقرأ حفص
يا بنى بفتح الياء فى كل القران والباقون بكسر الياء فى كل القران وفى الشواذ قراة
عيسى الثقفى ورواية بعضهم عن ابى عمرو وهنا على وهن بفتح الهاء وقراءة
الجحدرى وابى رجاء والجحدرى وقتاده ويعقوب فصله فى عامين الحجة قال ابو على
من سكن الياء فى الوصل فانه يجوز ان يكون على قول من قال يا غلام اقبل فلما وقف
قال يا غلام فاسكن للوقف ويكون اجرى الوصل مجرى الوقف وهذا يجى فى الشعر
كقول عمران شعر قد كنت عندك حولا لا يروعنى فيه الروايع من انسى ومن جان
فانما خفف جاز للقافية ثم وصل بحرف الاطلاق واجرى الوصل مجرى الوقف وهذا
لا يعلم جاء فى الكلام ومن قال يا بنى انها فهو على قولك يا غلام اقبل وما قال
يا بنى بفتح الياء لانه على قولك يا بنيا فابدل من ياء الاضافة الف من الكسرة فتحة
وعلى هذا حمل ابو عثمان قوله يا ابت وقد تقدم ذكر ذلك فيما سلف ومن قراء
وهنا على وهن بفتح الهاء فيمكن ان يكون حرك الهاء لاجل حرف الحلق كقراة الحسن

يوم البعث

الى يوم البعث فهذا يوم البعث بفتح العين واما الفصل فانه اعم من الفصال لانه يستعمل
فى الرضاع وغيره والفصال ههنا اوجه لان الموضع يختص بالرضاع الاعراب فاروني ماذا
خلق الذين من دونه تقديره اى شى خلق الذين من دونه فماذا بمنزلة اسم واحد
فى موضع نصب بانه مفعول خلق والجملة معلقة باروني ان اشكر لله قال الزجاج معناه
لان يشكر لله ويجوز ان يكون مفسرة فيكون المعنى اى اشكر لله قلنا له اشكر لله
على ما اتاك جملته انه جملة فى موضع النصب على الحال باضمار قد والعامل فى الحال معنى
الفعل الذى يدل عليه قوله ووصينا الانسان بوالديه فان معناه امرناه بالاحسان
الى والديه وحاله انه كان محمولا لامه ومثله قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا اى
وحالكم انكم كنتم امواتا وهنا مصدر فعل محذوف فى موضع الحال اى تهن وهنا وقوله
على وهن فى موضع الصفة لقوله وهنا ويجوز ايضا ان يتعلق بالعامل فى وهنا وقوله
معروفا صفة لمصدر محذوف تقديره مصاحبا معروفا بمعنى مصاحبة معروفة
المعنى ثم اشار تعالى الى ما تقدم ذكره فقال هذا خلق الله اى هذا الذى ذكرت من السموات
على عظمها وكبر حجمها والارض وما فيها خلق الله الذى وحده واحد تم فاروني
ماذا خلق الذين من دونه يعنى الهتهم الذى يعبدونها بل الظالمون فى ضلال
مبين المعنى انهم لا يجدون لهذا الكلام جوابا ولا يمكنهم ان يشيروا الى شى هو خلق
الهتهم الذى فلم يحملها على عبادتها خلقها الشى ولكنهم فى عدول ظاهر عن الحق ولما
ذكر تعالى الادلة الدالة على توحيده وقدرته وحكمته بين عقيب ذلك قصة لقمان وانه
اعطاه الحكمة فقال ولقد اتينا لقمان الحكمة اى اعطيناه العقل والعلم به والاصابة
والامور واختلف فيه فقيل انه كان حكيما ولم يكن نبيا عن ابن عباس ومجاهد وقتاده
واكثر المفسرين وقيل انه كان نبيا عن عكرمة والسدى والشعبى وفسروا الحكمة هنا بالنبوة
وقيل انه كان عبدا اسود حبشيا غليظ المشافر مشقوق الرجلين فى زمن داود وقال
له بعض الناس الست كنت ترعى معنا فقال نعم قال من اين اوتيت ما ارى قال قدر الله
واداء الامانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنينى وقيل انه كان ابن اخت ايوب عن وهب

وقيل كان ابن خالة ايوب عن مقاتل وروى عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول حقا اقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين
احب الله فاحبه ومن عليه بالحكمة فاجاب كان نائما نصف النهار اذا جاءه نداء يا لقمن
هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت ان خيرني
ربي قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم انه ان فعل بي
ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحكم اشد
المنازل واكدها يغشاه الظلم من كل مكان ان وفى فبالحري ان ينجو وان اخطاء اخطاء
طريق الجنة ولم يكن في الدنيا ذليلا وفي الاخرة شريفا خير من ان يكن في الدنيا شريفا
وفي الاخرة ذليلا ومن تخير الدنيا على الاخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الاخرة فتعجبت الملائكة
من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يوازن داود بحكمته
فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى ان اشكر لله معناه
وقلنا له اشكر لله تعالى على ما اعطاك من الحكمة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اي من شكر
نعمة الله ونعمة من انعم عليه فانه انما يشكر لنفسه لان ثواب شكره عائد اليه ويستحق مزيد النعمة
والزيادة الحاصلة تكون له ومن كفر فان الله غني عن شكر الشاكرين حميد اي محمود على
افعاله وقيل يحمده الخلقه بالانعام عليهم والشكر لا يكون الا على نعمة سبقت فهو يقتضي
منعما فعلى هذا لا يصح ان يشكر الانسان نفسه كما لا يصح ان يكون منعما على نفسه ويجري مجرى
الدين في انه حق لغيره عليه يلزمه اداءه فكما لا يصح ان يقرض نفسه فكذلك لا يصح ان ينعم على نفسه
واذ قال لقمان لابنه معناه واذكر يا محمد اذ قال لقمان لابنه ويجوز ايضا ان يتعلق اذ بقوله
ولقد اتينا لقمان الحكمة اذ قال لابنه وهو يعظه اي يؤدبه ويذكره اي في حال ما يعظه
يا بني لا تشرك بالله اي لا تعدل بالله شيئا في العبادة ان الشرك لظلم عظيم اصل الظالم
النقصان ومنع الواجب فمن اشرك بالله فقد منع ما وجب لله عليه معرفة التوحيد
فكان ظالما وقيل انه ظلم نفسه ظلما عظيما بان اوبقها ووصينا الانسان بوالديه لما قدم
الامر بشكر النعمة اعقبه بالتنبيه على وجوب الشكر لكل منعم فبدأ بالوالدين اي امرناه

بطاعة الوالدين وشكرهما والاحسان اليهما وانما قرن شكرهما بشكره لانه الخالق
المنشئ والسبب هما في الانشاء والتربية ثم بين تعالى زيادة نعمة الام فقال حملته
امه وهنا على وهن معناه ضعفا على ضعف نطفة الوالد على ضعف نطفة الام عن ابي مسلم
وقيل لان الحمل يوثر فيها فكلما ازداد الحمل ازدادت ضعفا على ضعف وقيل لانها ضعيفة
الخلقة فازدادت ضعفا بالحمل وقيل وهنا على وهن اي شدة على شدة وجهدا على جهد
عن ابن عباس وقتادة وفصاله في عامين اي وفطامه من الرضاع في عامين لان
العامين كله مدة الرضاع فهو كقوله يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد
ان يتم الرضاعة والمراد انها بعد ما تلده ترضعه عامين وتربية فيلحقها المشقة
بذلك ايضا ان اشكر لي ولوالديك هذا تفسير قوله ووصينا اي ووصيناه بشكرنا
وشكر والديه فشكر الله تعالى بالحمد والطاعة وشكر الوالدين بالبر والصلة الي المصير
وفيه تهديد اي الى مرجعكم فاجازيكم على حسب اعمالكم وان جاهداك ايها الانسان اي جاهداك
والداك على ان تشرك بي معبودا آخر فلا تطعهما وهو قوله ما ليس لك به علم لان ما يكون
حقا يعلم صحته فما لا يعلم صحته فهو باطل فكانه قال فان دعواك الى باطل فلا تطعهما
في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا اي واحسن اليهما وارفق بهما في الامور الدنياوية
وان وجبت مخالفتهما في ابواب الدين لمكان كفرهما واتبع سبيل من اناب الي اي واسلك
طريقة من رجع الى طاعتي واقبل الي بقلبه وهو النبي عليه السلام والمؤمنون ثم الي مرجعكم
ومنقلبكم فانبئكم اي اخبركم بما كنتم تعملون في دار الدنيا من الاعمال واجازيكم عليها بحسبها
فصل بين ذكر شيء من حكم لقمان ذكر في التفسير ان مولاه دعاه فقال اذبح شاة فاتني
باطيب مضغتين منها فذبح شاة فاتاه بالقلب واللسان ودعاه مرة اخرى فقال اذبح شاة واتني
باخبث مضغتين منها فذبح شاة فاتاه بالقلب واللسان فسأله عن ذلك فقال انهما
اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا وقيل ان مولاه دخل المخرج فاطال فيه الجلوس
فناداه لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث الباسور ويصعد
الحرارة الى الراس فاجلس هونا وقم هونا قال فكتب حكمته على باب الحاجة قال عبد الله بن دينار

قدم لقمان من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال ما فعل ابي قال مات قال ملكت امري قال ما فعلت
امراتي قال ماتت قال جدد فراشي قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل
اخي قال مات قال انقطع ظهري وقال للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس
سيئا وقيل له ما اقبح وجهك قال تعتب على النقش او على فاعل النقش وقيل انه دخل على داود
وهو يرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة
فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود
بحق ما سميت حكيما وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا
بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الايمان بالله واجعل
شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها تقوى الله فان نجوت فبرحمة الله وان هلكت
فبذنوبك وروى سليمان بن داود المنقري عن حماد بن عيسى عن ابي عبد الله عليه السلم
قال في وصية لقمان لابنه يا بني سافر بسيفك وخفك وعمامتك وخبائك وسقائك
وخيوطك ومخرزك وتزود معك من الادوية ما تنتفع به انت ومن معك وكن
لاصحابك موافقا الا في معصية الله تعالى يا بني اذا سافرت مع قوم فاكثر استشارتك
في امرك وامورهم واكثر التبسم في وجوههم وكن كريما على زادك بينهم واذا دعوك
فاجبهم واذا استعانوا بك فاعنهم واستعمل طول الصمت وكثرة الصلوة وسخاء النفس
بما معك من دابة او ماء او زاد واذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم واجهد
رايك لهم اذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تتثبت وتنظر ولا تجب في مشورة حتى تقوم
وتقعد وتنام وتاكل وتصلي وانت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته فان من لم
يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله رايه واذا رايت اصحابك يمشون فامش
معهم واذا رايتهم يعملون فاعمل معهم واسمع لمن هو اكبر منك سنا واذا امروك
بامر وسالوك شيئا فقل نعم ولا تقل لا فان لا عي ولوم واذا تحيرتم في الطريق فانزلوا
واذا شككتم في القصد فقفوا وتوامروا واذا رايتم شخصا واحدا فلا تسالوه عن طريقكم
ولا تسترشدوه فان الشخص الواحد في الفلاة مريب لعله يكون عينا للصوص

او يكون

او يكون هو الشيطان الذي حيركم واحذروا الشخصين ايضا الا ان تروا ما لا ارى
فان العاقل اذا ابصر بعينه شيئا عرف الحق منه والشاهد يرى ما لا يرى الغائب يا بني
اذا جاء وقت الصلوة فلا تؤخرها لشيء صلها واسترح منها فانها دين وصل
في جماعة ولو على راس زج ولا تنامن على دابتك فان ذلك سريع في دبرها وليس
ذلك من فعل الحكماء الا ان يكون في محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل
واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعلفها قبل نفسك فانها
واذا اردتم النزول فعليكم من بقاع الارض باحسنها لونا والينها تربة واكثرها
عشبا واذا نزلت فصل ركعتين قبل ان تجلس واذا اردت قضاء حاجتك
فابعد المذهب في الارض فاذا ارتحلت فصل ركعتين ثم ودع الارض التي حللت
بها وسلم على اهلها فان لكل بقعة اهلا من الملائكة وان استطعت ان لا تاكل
طعاما حتى تبدأ فتتصدق منه فافعل وعليك بقراءة كتاب الله ما دمت راكبا
وعليك بالتسبيح ما دمت عاملا عملا وعليك بالدعاء ما دمت خاليا واياك
والسير في اول الليل الى اخره واياك ورفع الصوت في مسيرك وقال ابو عبد
الله عليه السلم والله ما اوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا بسط في جسم ولا جمال
ولكنه كان رجلا قويا في امر الله ساكتا سكينا عميق النظر طويل التفكر
حديد البصر لم ينم نهارا قط ولم يتك في مجلس قوم قط ولم يعبث بشيء قط
ولم يره احد من الناس على بول ولا على غائط قط ولا على اغتسال لشدة
تستره وتحفظه في امره ولم يضحك من شيء قط ولم يغضب قط مخافة
الاثم في دينه ولم يمازح انسانا قط ولم يفرح بشيء من اوتيه الدنيا
ولم يحزن منها على شيء قط وقد نكح من النساء وولد له الاولاد الكثيرة
وقدم اكثرهم افراطا فما بكى على موت احد منهم ولم يمر بين رجلين يقتتلان
او يختصمان الا اصلح بينهما ولم يمض عنهما حتى تحاجزا ولم يسمع قولا
استحسنه من احد قط الا ساله عن تفسيره وعمن اخذه وكان يكثر

مجالسة الفقهاء والعلماء وكان يغشى القضاة والملوك والسلطان ويوتى
القضاة بما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمانيتهم
في ذلك ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز من السلطان
وكان يداوي نفسه بالتفكر والعبر وكان لا يظعن الا فيما ينفعه ولا ينظر
الا فيما يعنيه فبذلك اوتي الحكمة ومنح القضية قوله عز وجل يا بني إنها
إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض
يات بها الله ان الله لطيف خبير يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر
خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور
واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت
الحمير الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب مبين خمس آيات القراة قد ذكرنا في سورة الانبياء قراة اهل المدينة
مثقال حبة بالرفع وقراة الباقين بالنصب قرا اهل الكوفة غير عاصم وابو عمرو
ونافع ولا تصاعر بالالف الباقون ولا تصعر بالتشديد وقرا اهل المدينة
والبصرة غير يعقوب وحفص نعمه على الجمع والباقون نعمة على الواحد وفي الشواذ
قراة عبد الكريم الجزري فتكن في صخرة بكسر الكاف وقراة يحيى بن عمارة واصبغ
بالصاد عليكم نعمة ظاهرة وباطنة الحجة قال ابو علي من قرا ان تك مثقال
بالرفع فالحق علامة التانيث الفعل فلان المثقال هو السيئة او الحسنة فانث
على المعنى كما قال فله عشر امثالها فانث ومن قرا مثقال بالنصب فالمعنى ان تك المظلمة والسيئة
او الحسنة مثقال حبة اتى بها الله واثاب عليها او عاقب اما قوله لا تصعر فانه يشبه
ان يكون لا تصعر ولا تصاعر بمعنى كما قال سيبويه في ضعف وضاعف قال ابو الحسن لا تصاعر
لغة اهل الحجاز ولا تصعر لغة بني تميم قال ابو عبيدة اصله من الصعر الذي ياخذ الابل

في رؤوسها

في رؤوسها واعناقها قال ابو علي فكانه يقول لا تعرض عنهم ولا تزور كما زور الذي به
هذا الداء الذي يلوي منه عنقه ويعرض بوجهه والنعم جمع نعمة فالنعم الكثير
ونعم الله تعالى كثيرة والمفرد ايضا يدل على الكثرة قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
واما قوله ظاهرة وباطنة فلا ترجيح فيه لاحدى القراتين على الاخرى الا ترى ان النعم
توصف بالباطنة والظاهرة كما يوصف النعمة بذلك ومن قرا فتكن فهو من وكن
الطاير يكن اذا استقر في وكنه ومنه قول امرئ القيس شعر وقد اغتدي والطير في
وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل وقوله واصبغ ابدل فيه السين صادا لاجل الغين
كما قالوا سابغ سالغ وصالغ وصابغ المعنى ثم عاد تعالى الى الاخبار عن لقمان ووصيته
لابنه وانه قال يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل معناه ان فعلة الانسان
من خير او شر ان كانت مقدار حبة خردل في الوزن ويجوز ان يكون الهاء في انها
ضمير القصة كما في قوله فانها لا تعمى الابصار قال الزجاج يروى ان ابن لقمان سال
لقمن فقال ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاص البحر يقال مقل يمقل اذا غاص
ايعلمها الله تعالى فقال انها اي ان التي سالتني عنها ان تك الا مثقال حبة من خردل
فتكون في صخرة اي فتكن تلك الحبة في جبل عن قتادة والمعنى في حجرة عظيمة لان الحبة
فيها اخفى وابعد من الاستخراج او في السموات او في الارض ذكر السموات والارض
بعد ذكر الصخرة وان كان لا بد من ان يكون الصخرة في الارض على وجه التاكيد
كما قال اقرا باسم ربك الذي خلق ثم قال خلق الانسان وقال السدي هذه الصخرة
ليست في السموات ولا في الارض هي تحت سبع ارضين وهذا قول مرغوب عنه يات
بها الله اي يحضرها يوم القيمة ويجازي عليها اي يات بجزاء ما وازنها من خير او شر
وقيل معناه يعلمها الله فياتي بها اذا شاء كذلك قليل العمل من خير او شر يعلمه الله
فيجازي عليه فهو مثل قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وروى العياشي بالاسناد عن ابن مسكان عن ابي عبد الله عم قال اتقوا المحقرات
من الذنوب فان لها طالبا لا يقولن احدكم اذنب واستغفر الله ان الله تعالى يقول

ان تك مثقال حبة من خردل الاية ان الله لطيف باستخراجها خبير بمستقرها عن قتاده
وقيل اللطيف العالم بالامور الخفية والخبير العالم بالاشياء كلها يا بنى انما صغر اسمه في هذه
المواضع للرقة والشفقة لا للتحقير اقم الصلوة اى اذا الصلوة المفروضة فى ميقاتها
بشروطها وامر بالمعروف وهو الطاعة وانه عن المنكر وهو كل معصية وقبيح سواء
كان من القبايح العقلية او الشرعية فان المعروف لا يدعوا اليه الشرع او العقل والمنكر
ما يزجر عنه الشرع او العقل واصبر على ما اصابك من المشقة والاذى فى الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر عن على عليه السلم وقيل على ما اصابك من شدايد الدنيا ومكارهها من
الامراض وغيرها عن الجبائى ان ذلك من عزم الامور اى من العقل الصحيح على فعل الحسن
بدلا من القبيح والعزم الارادة المتقدمة للفعل باكثر من وقت وهو العقد على الامر
لتوطين النفس على فعله والتلون فى الراى يناقض العزم وقيل معناه ان ذلك من عزم
الامور الذى يجب الثبات فى الدوام عليها وقيل العزم القوة والحزم الحذر ومنه المثل
لا خير فى عزم بغير حزم وقيل الحزم التاهب للامر والعزم النفاذ فيه ومنه قيل فى المثل
روه بحزم فاذا استوضحت فاعزم ولا تصعر خدك للناس اى ولا تمل وجهك من الناس
تكبرا ولا تعرض عمن يكلمك استخفافا به وهذا معنى قول ابن عباس وابى عبد الله عليه السلم
يقال اصاب البعير صعر اى داء يلوى منه عنقه وكان المعنى لا تلزم خدك الصعر لانه
لاداء للانسان ادوى من الكبر قال وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فتقوما
وقيل هو ان يكون بينك وبين شىء فاذا لقيته اعرضت عنه عن مجاهد وقيل هو ان يسلم
عليك فتلوى عنقك تكبرا عن عكرمه ولا تمش فى الارض مرحا اى بطرا وخيلاء ان الله
لا يحب كل مختال فخور اى كل متكبر فخور على الناس واقصد فى مشيك اى اجعل مشيك قصدا
مستويا على وجه السكون والوقار كقوله والذين يمشون على الارض هونا قال قتاده ومعناه
تواضع فى مشيك وقال سعيد بن جبير ولا تختل فى مشيتك واغضض من صوتك اذا دعوت
وناجيت ربك عن عطا وقيل لا تجهر كل الجهر واخفض من صوتك ولا ترفعه متطاولا
به ان انكر الاصوات لصوت الحمير اى اقبح الاصوات صوت الحمير اوله زفير واخره شهيق

عن قتاده

عن قتاده يقال اى وجه منكر اى قبيح امر لقمان ابنه بالاقتصاد فى المشى والنطق وروى
عن زيد بن على انه قال اراد صوت الحمير من الناس وهم الجهال شبههم بالانعام فى قوله اولئك
كالانعام وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال هى العطسة المرتفعة القبيحة والرجل يرفع صوته
بالحديث رفعا قبيحا الا ان يكون داعيا او يقرا القران ثم ذكر تعالى نعمه على خلقه ونبههم
على معرفتها فقال الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات من الشمس والقمر والنجوم وما فى
الارض من الحيوان والنبات وغير ذلك مما ينتفعون به ويتصرفون فيه بحسب ما يريدون
واسبغ عليكم اى اوسع واتم عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالظاهرة لا يمكنكم جحده من خلقكم
واحيائكم واقداركم وخلق الشهوة فيكم وغيرها من ضروب النعم والباطنة ما لا يعرفها
الا من امعن النظر فيها وقيل الباطنة مصالح الدين والدنيا مما يعلمه الله وغاب عن العباد
علمه عن ابن عباس وفى رواية الضحاك عنه قال سالت النبى عليه الصلوة والسلم قال يا ابن عباس
اما ما ظهر فالاسلام وما سوى الله من خلقك وما افضل عليك من الرزق واما ما
بطن فستر مساوى عملك ولم يفضحك به يا ابن عباس ان الله تعالى يقول ثلثة جعلتهن للمومن
ولم تكن له صلوة المومنين عليه بعد انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر به خطاياه و
الثالثة سترت مساوى عمله فلم افضحه بشىء منه ولو ابديتها عليه لنبذه اهله فمن
سواهم وقيل الظاهرة نعم الجوارح والباطنة نعم القلب عن الربيع وقيل الظاهرة ظهور
الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة عن مجاهد وقيل الظاهرة
حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة عن الضحاك
وقيل الظاهرة القران والباطنة تاويله ومعانيه وقال الباقر عليه السلم النعمة الظاهرة
النبى صلى الله عليه وآله وما جاء به من معرفة الله ولا ينافى بين هذه الاقوال وكلها نعم الله
تعالى ويجوز حمل الاية على الجميع ومن الناس من يجادل اى يخاصم فى الله بغير علم بما يقوله
ولا هدى اى ولا دلالة ولا حجة ولا كتاب منير اى ولا كتاب من عند الله ظاهر واضح وقد مضى
هذا مفسرا فى سورة الحج قوله عز وجل وَاِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ
مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا اَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ اِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ

الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر
فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور
نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون خمس آيات المعنى لما اخبر الله عمن جادل
فى الله بغير علم ولم يذكر النعمة زاد عقيبه فى ذمهم فقال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
على محمد عليه السلام من القران وشرايع الاسلام قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا ذمهم
على التقليد ثم قال منكرا عليهم اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ادخل
على واو العطف همزة الاستفهام على وجه الانكار وجواب لو محذوف وتقديره اولو كان
الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير لاتبعوهم والمعنى ان الشيطان يدعوهم الى التقليد
اباءهم وترك اتباع ما جاءت به الرسل وذلك يوجب لهم عذاب النار فهو فى الحقيقه
يدعوهم الى النار ثم قال ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن اى ومن يخلص دينه لله
ويقصد فى افعاله التقرب اليه فهو محسن فيها فيفعلها على موجب العلم ومقتضى الشرع
وقيل ان اسلام الوجه الى الله هو الانقياد فى اوامره ونواهيه وذلك يتضمن العلم
والعمل فقد استمسك بالعروة الوثقى اى فقد تعلق بالعروة الوثيقة التى لا يخشى
انفصامها والوثقى تانيث الاوثق وعلى الله عاقبة الامور اى وعند الله ثواب ما صنع
عن مجاهد والمعنى والى الله ترجع اواخر الامور على وجه لا يكون لاحد التصرف فيها
بالامر والنهى ومن كفر من هولاء الناس فلا يحزنك يا محمد كفره ولا يغمك ذلك الينا
مرجعهم فننبئهم بما عملوا اى نخبرهم باعمالهم ونجازيهم بسوء فعالهم ان الله عليم
بذات الصدور اى بما يضمره الصدور لا يخفى عليه شئ منه نمتعهم قليلا اى نعطيهم
من متاع الدنيا ونعيمها ما يتمتعون به مدة قليلة ثم نضطرهم فى الاخرة الى عذاب
غليظ اى ثم نصيرهم مكرهين الى العذاب الغليظ عليهم ويصعب ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله فى جواب ذلك الله خلقهما قل يا محمد وايها السامع
الحمد لله على هدايتنا وتوفيقه ايانا لمعرفته وقيل معناه اشكر الله على دين تقر لك

خصمك

خصمك بصحته لوضوح دلالته عن اجابى بل اكثرهم لا يعلمون ما عليهم من الحجة
قوله عز وجل لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ولو ان
ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله
سميع بصير الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله تعالى بما تعملون خبير ذلك
بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير
خمس آيات القراءة قرا ابو عمرو ويعقوب والبحر بالنصب والباقون بالرفع وقرا جعفر بن محمد
عليهما السلام والبحر مداده وفى قراءة ابن مسعود وبحر يمده وهى قراءة طلحة بن مصرف وقراءة
الحسن والاعرج والبحر يمده الحجة قال ابو زيد ماددت القوم بمال ورجال وقال
ما ركيتنا فمددتها بركية اخرى تمدها قال ابو عبيدة وهاهنا اختصار سبيله لو كتب
كتاب الله بهذه الاقلام والبحر ما نفدت قال ابو على والمراد بذلك والله اعلم ما فى
المقدور دون ما خرج منه الى الوجود قال قتادة يقول لو كان شجر الارض اقلاما مع
البحر سبعة ابحر اذا لانكسرت الاقلام ونفد ماء البحر قبل ان تنفد عجايب الله وحكمته
وخلقه وعلمه فاما انتصاب البحر من قوله والبحر يمده فلانه معطوف على اسم ان وهو
ما فى الارض فما اسم ان واقلام خبرها التقدير ولو ان شجرة الارض اقلام والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر فاذا عطفت البحر على اسم ان فنصبته كان خبره يمده
والراجع الى البحر الضمير المنصوب المتصل بيمده ومن رفع استانف كانه قال والبحر
هذه حاله فيما قال سيبويه واقول اذا عطفت البحر فنصبته على الضمير المنصوب على اسم ان
فالاولى ان يكون خبره محذوفا ويكون التقدير ولو ان البحر مداد ويمده سبعة
ابحر يكون جملة منصوبة الموضع على الحال وحذف الخبر الذى هو مداد لدلالة
الكلام عليه واذا نصبت البحر او رفعته فالمعنى لو كتب ما فى مقدور الله تعالى
لنفد ذلك قبل ان ينفد المقدور ونحو هذا من الجمل قد تحذف لدلالة الكلام

عليه كقوله اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت
يا ايها الملأ والمعنى فذهب فالقى الكتاب فقرأته المرأة او فقرئ عليها فقالت يا ايها
الملأ ومن قرأ وبحر يمده من بعده سبعة ابحر قال ابن جني ولا يجوز ان يكون وبحر
معطوفا على اقلام لان البحر وما فيه من الماء ليس من حديث الشجر والاقلام وانما هو من حديث
المداد كما قرأ جعفر الصادق ع مداده فاما رفع البحر فان شئت كان معطوفا على موضع
ان واسمها كما عطف عليه في قوله ان الله بريء من المشركين ورسوله وقد مضى ذكر ذلك
في موضعه ومن قرأ يمده بضم الياء فانه تشبيه بامداد الجيش وليس يقوى ان يكون
قراءة جعفر بن محمد عليه السلم والبحر مداده اي زايد فيه من ماء البحر لا يعتد في الشجر والاقلام
لانه ليس من جنسه والمداد هنا هو هذا الذي يكتب به المعنى ثم اكد تعالى ما تقدم من خلقه
السموات والارض بقوله لله ما في السموات والارض له جميع ذلك خلقا وملكا يتصرف
فيه كما يريده ليس لاحد الاعتراض عليه في ذلك ان الله هو الغني عن حمد الحامدين وعن
كل شيء الحميد اي المستحق للحمد والتعظيم ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله اي لو كان شجر الارض اقلاما وكان البحر
مدادا ويمده سبعة ابحر مثله اي تزيده بمائها فكتب بتلك الاقلام والبحور لتكسرت
تلك الاقلام ونفد ماء البحر وما نفدت كلمات الله وقد ذكرنا تفسير كلمات الله
في سورة الكهف والاولى ان يكون عبارة عن مقدوراته ومعلوماته لانها اذا كانت
لا تتناهى فكذلك الكلمات التي تقع عبارة عنها لا تتناهى ان الله عزيز في اقتداره
على جميع ذلك حكيم يفعل من ذلك ما يليق بحكمته ثم قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
اي كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة في قدرته فانه لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق ولا
اعادتهم بعد افنائهم قال مقاتل نزلت الاية في كفار قريش قالوا ان الله خلقنا اطوارا
نطفة علقة مضغة فكيف يبعثنا خلقا جديدا في ساعة واحدة فنزلت الاية ان الله
سميع يسمع ما يقوله القائلون في ذلك بصير بما يضمرونه الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل اي ينقص من النهار في الليل وينقص من الليل في النهار

عن قتاده

عن قتاده وقيل معناه ان كل واحد منهما يتعقب الاخر وسخر الشمس والقمر لانهما يجريان على وتيرة
واحدة لا يختلفان كل يجري الى اجل مسمى قدره الله وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله
هو الحق الذي يجب توجيه العبادة اليه وان ما تدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي
الكبير اي القاهر القادر والايتان المفسرتان في سورة الحج قوله عز وجل الم تر ان الفلك
تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذا
غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر فمنهم
مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
باي ارض تموت ان الله عليم خبير اربع آيات القراءة في الشواذ قراءة الاعرج بنعمات
الله ساكنة العين الحجة في فعلة ثلث لغات فعلات بسكون العين وفعلات بفتحها
وفعلات بكسر الفاء والعين اللغة الظلل جمع ظلة وما اظلك والختر اقبح الغدر والختار
صاحب الختل والختر قال عمرو بن معدي كرب ٭ فانك لو رأيت ابا عمير ملأت يديك من غدر
وختر ويقال جزيت عنك اجزي وفي لغة اخرى اجزأت عنك بالهمز اجزئ الاعراب فلما نجيهم
العامل في لما معنى مقتصد وتقديره اقتصد واخشوا يوما انتصب يوما بانه مفعول
به لا يجزي في موضع نصب بانه صفة يوم والتقدير لا يجزي فيه والد عن ولده ولا يكون
مولود هو جاز عن والده شيئا انتصب شيئا بانه مفعول جاز ومفعول يجزي محذوف
ويجوز ان يكون سد مسد مفعوليهما جميعا المعنى ثم اكد تعالى ما تقدم من الادلة
على وحدانيته ونعمته على بريته فقال الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله اي الم تعلم
ايها الانسان ان السفن تجري في البحر بنعمة الله عليكم ليريكم من اياته اي بعض
ادلته الدالة من ذلك ان الله تعالى يجري السفن بالرياح التي يرسلها في الوجوه
التي يريدون المسير فيها ولو اجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك في بعض الجهات المخالفة لجهة

الرياح لما قدروا عليه ففي ذلك اعظم دلالة على ان المجرى لها بالرياح هو القادر الذي
لم يعجزه شيء ففي ذلك بعض الادلة الدالة عليه فلذلك ق لمن اياته ان في ذلك
اي في تسخير الفلك واجرائها على البحر واجراء الريح على وفقها الايات اي دلالات
لكل صبار على مشاق التكليف شكور لنعم الله تعا عليه وانما قال ذلك ليدل على ان الصبر
على بلائه والشكر لنعمائه افضل الطاعات قال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر
نصف الايمان واليقين الايمان كله وفي الحديث الايمان نصفان نصف شكر ونصف
صبر وعلى هذا فكانه تعا قال ان في ذلك لايات لكل مومن واذا غشيهم اي واذا غشي
اصحاب السفن الراكبي البحر موج وهو هيجان البحر كالظلل في ارتفاعه وتغطيته
ما تحته شبه الموج بالسحاب التي يركب بعضه على بعض عن قتاده وقيل يريد كالجبال
عن مقاتل دعوا الله مخلصين له الدين اي خافوا الغرق والهلاك فاخلصوا في
الدعاء لله تعا في هذه الحال فلما نجيهم اي خلصهم الى البر وسلمهم من هول البحر
فمنهم مقتصد اي عدل في الوفاء في البحر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له
وقيل ان هذا كان سبب اسلام عكرمة بن ابي جهل وهو اخلاصهم الدعاء في البحر وروى
السدي عن مصعب بن سعد عن ابيه قال لما كان يوم فتح مكة امن رسول الله
صلى الله عليه وآله الناس الا اربعة نفر قال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين
باستار الكعبة عكرمة بن ابي جهل وعبد الله بن خطل وقيس بن صبابة وعبد الله
بن سعد بن ابي سرح فاما عكرمة فركب البحر فاصابتهم الريح العاصف فقال اهل السفينة
اخلصوا فان الهتكم لا تغني عنكم شيئا هاهنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص
لم ينجني في البر غيره اللهم ان لك علي عهدا ان عافيتني مما انا فيه ان اتي محمدا حتى اضع يدي
في يده فلاجدنه عفوا كريما فجاء فاسلم وقيل فمنهم مقتصد معناه على طريقة مستقيم
وصلاح من الامر عن ابن زيد وقيل ثابت على ايمانه عن الحسن وقيل موف بعهده في البر عن
ابن عباس وقيل مقتصد في قوله مضمر لكفره عن مجاهد ثم ذكر الذين تركوا التوحيد في البر
فقال وما يجحد باياتنا الا كل ختار بعهده اي غادر اسوء الغدر واقبحه كفور لله في نعمه

ثم خاطب تعا جميع المكلفين فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده يعني يوم القيمة لا يغني فيه احد عن احد لا والد عن ولد ولا
مولود هو جاز عن والده شيئا كل امرء تهمه نفسه ان وعد الله بالبعث
والجزاء والثواب والعقاب حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا اي لا يغرنكم
الامهال عن الانتقام والامال والاموال عن الاسلام ومعناه لا تغتروا
بطول السلامة وكثرة النعمة فانهما عن قريب الى الزوال والانتقال ولا يغرنكم
بالله الغرور وهو الشيطان عن مجاهد وقتاده والضحاك وقيل هو
تمنيك المغفرة في عمل المعصية عن سعيد بن جبير وقيل كل شيء غرك حتى تعصي
الله وتترك ما امرك به فهو غرور شيطان كان او غيره عن ابي عبيده
وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله وفي الشواذ قراة سماك بن حرب والغرور بضم الغين
وعلى هذا فيكون المعنى لا يغرنكم غرور الدنيا بخدعها الباطلة او غرور النفس
بشهواتها الموبقة ان الله عنده علم الساعة اي استاثر تعا به ولم يطلع
عليه احدا من خلقه ولا يعلم وقت قيام الساعة سواه وينزل الغيث فيما شاء
من زمان او مكان والصحيح معناه ويعلم نزول الغيث في زمانه ومكانه لما جاء
في الحديث ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله وقرا هذه الاية ويعلم ما في الارحام
اي ويعلم ما في ارحام الحوامل اذكر ام انثى صحيح ام سقيم واحد ام اكثر وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا اي ماذا تعمل في المستقبل وقيل ما يعلم بقاءه غدا فكيف يعلم تصرفه
وما تدري نفس باي ارض تموت اي في اي ارض يكون موته وقيل انه اذا رفع خطوة
لم يدر انه يموت قبل ان يضع الخطوة ام لا وانما قال باي ارض لانه اراد بالارض المكان
ولو قال باية ارض لجاز وروي ان ذلك قراة ابي وقد روي عن ايمة الهدى عليهم السلام
ان هذه الاشياء الخمس لا يعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعا ان الله عليم بهذه
الاشياء خبير بها سورة السجدة وسميت ايضا سجدة لقمان لئلا يلتبس بحم السجدة

وهي مكية خلا ثلث ايات منها فانها نزلت بالمدينة افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون الى تمام الايات عدد آيها تسع وعشرون اية بصري وثلثون في الباقين اختلافها
ايتان الم كوفي جديد حجازي شامي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله ومن قرا
سورة الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك فكانما احيى ليلة القدر وروى ليث عن ابي
الزبير عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرا سورة تنزيل وتبارك
الذي بيده الملك قال ليث فذكرت ذلك لطاوس فقال فضلتا في كل سورة ومن قراها كتبت
له ستون حسنة ومحي عنه ستون سيئة ورفع له ستون درجة وروى الحسين بن ابي العلا
عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة السجدة في كل ليلة جمعة اعطاه الله كتابه
بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه وكان من رفقاء محمد واهل بيته تفسيرها ختم السورة
التي قبلها بدلايل الربوبية وافتتح هذه السورة ايضا بها قوله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه بل هو الحق من ربك
لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج
اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون خمس آيات الاعراب تنزيل
الكتاب خبر مبتداء محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب ويجوز ان يكون تنزيل الكتاب
مبتداء ولا ريب فيه خبره وعلى القول الاول يكون لا ريب فيه في موضع نصب على الحال
او في موضع رفع على انه خبر بعد خبر وقوله من رب العالمين يحتمل الوجهين ايضا وقوله
افتريه ام ههنا استفهام مستانف والتقدير بل يقولون وقوله من ربك يجوز ان يتعلق
بالحق على تقدير هو الذي حق من ربك ويجوز ان يكون في موضع النصب على الحال اي كاينا
من ربك والعامل فيه الحق وذو الحال الضمير المستكن فيه لتنذر واللام يتعلق بما تعلق
به من في قوله ما لكم من دونه من ولي من الثانية زايدة والتقدير ما ولي ثبت لكم

ومن دونه

ومن دونه في موضع نصب على الحال مما يتعلق به اللام في لكم المعنى الم مفسر في اول البقرة تنزيل
الكتاب اي هذه الايات تنزيل الكتاب الذي وعدتم به لا ريب فيه اي لا شك فيه انه
وحي من رب العالمين والمعنى انه لا ريب فيه للمهتدين وان كان قد ارتاب فيه
خلق من المبطلين لا يعتد بهم لانه ليس بموضع الشك وقيل معناه انه لا شك
في انه كلام رب العالمين المعجزة لعجزهم عن الاتيان بمثله وقيل ان لفظه لفظ الخبر ومعناه
النهي اي لا ترتابوا فيه والريب قبح الشك ام يقولون اي يقولون افتراه وليس
الامر على ما يقولونه بل هو الحق نزل عليك من ربك والحق هو كل شيء من اعتقده
كان معتقده على ما هو به والباطل نقيض الحق لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك يعني قريشا اذ لم ياتهم نبي قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وان اتى غيرهم
من قبايل العرب مثل سنان بن خالد العيسي وقيل يعني اهل الفترة بين عيسى ومحمد
لم ياتهم نبي قبل محمد وكانوا كانهم في غفلة عما لزمهم من حق نعم الله تعالى وما خلقهم
من العبادة عن ابن عباس لعلهم يهتدون اي ليهتدوا ثم ذكر تعالى الدلالة على وحدانيته
فقال الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اي في مقدار ستة
ايام لان قبل الشمس لم يكن ليل ولا نهار ثم استوى على العرش بالقهر والاستعلاء وهو مفسر في سورة
الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع يشفع لكم وقيل من ولي اي ناصر ينصركم
دون الله افلا يتذكرون اي افلا يتذكرون فيما قلنا ويعتبرون به فيعلموا
صحة ما بيناه لكم يدبر الامر من السماء الى الارض اي خلقهما وما بينهما في هذه ع
يدبر الامور كلها ويقدرها على حسب الارادة فيما بين السماء والارض وينزله مع
الملك الى الارض ثم يعرج اليه الملك اي يصعد الى المكان الذي امره الله تعالى
ان يصعد اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اي يكون مقداره
لو ساره غير الملك الف سنة مما يعده البشر خمسماية عام نزول وخمسماية عام
صعود وقوله يعرج اليه يعني الموضع الذي امره بالعروج اليه كقول ابراهيم
اني ذاهب الى ربي اي الى الارض الشام التي امرني ربي بالذهاب اليه وقوله ومن يخرج

من بيته مهاجرا الى الله ورسوله يعني الى المدينة ولم يكن لله تعالى الا بالشام ولا بالمدينة
ومعناه انه ينزل الملك بالتدبير والوحي ويصعد الى السماء فيقطع في يوم
واحد من ايام الدنيا مسافة الف سنة مما تعدونه انتم لان ما بين السماء والارض
خمسماية عام لابن آدم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن والضحاك وقتاده وهو اختيار
الجبائي وقيل معناه انه يدبر الله تعالى ويقضي امر كل شيء لالف سنة في يوم واحد
فاذا يلقيه الى ملائكته فاذا امضت الالف سنة قضى لالف سنة اخرى ثم كذلك ابدا
عن مجاهد وقيل معناه يدبر امر الدنيا فينزل القضاء والتدبير من السماء الى الارض
مدة ايام الدنيا ثم يرجع الامر ويعود التدبير اليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها
حتى ينقطع امر الامراء وحكم الحكام وينفرد الله بالتدبير في يوم كان مقداره
الف سنة وهو يوم القيمة فالمدة المذكورة مدة يوم القيمة الى ان يستقر الخلق في
الدارين عن ابن عباس ايضاً فاما قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فانه اراد تعالى
على الكافر جعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين الف سنة فان المقامات في القيمة
مختلفة وقيل المراد بالاول ان مسافة الصعود والنزول الى السماء الدنيا في يوم واحد
للملك مقدار مسير الف سنة لغير الملك من بني آدم والى السماء السابعة مقدار
مسير خمسين الف سنة وقيل ان الالف سنة للنزول والعروج والخمسين الف سنة
لمدة القيام قوله عز وجل ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ
ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
مَا تَشْكُرُونَ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
كَافِرُونَ خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة ونافع وسهل خلقه بفتح اللام والباقون خلقه
بسكون اللام وفي الشواذ قراءة الزهري وبدا خلق الانسان بغير همز وقرأ علي عليه السلام
وابن عباس وابان بن سعيد بن العاص والحسن بخلاف ائذا صللنا بالصاد مكسورة
اللام وقرأ الحسن ضللنا ايضاً مفتوحة اللام الحجة قال ابو علي خلقه منتصب على انه مصدر

دل عليه

دل عليه ما تقدم من قوله احسن كل شيء فاما الضمير الذي اضيف خلق اليه فلا يخلو
من ان يكون ضمير اسم الله تعالى ويكون كناية عن المفعول فالذي يدل عليه نظائر ان الضمير
لاسم الله تعالى لانه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه الى فاعل ظاهر وما كان من هذا
النحو اضيف المصدر فيه الى الفاعل نحو صنع الله ووعد الله كتاب الله عليكم فكما اضيف
هذه المصادر الى الفاعل فكذلك يكون خلقه مضافا الى ضمير الفاعل لان قوله احسن
كل شيء يدل على خلق كل شيء فان قلت كيف يدل قوله احسن كل شيء على خلق كل شيء
وقد يجد اشياء حسنة مما لم يخلقها قيل هذا كما قال خالق كل شيء اطلق اللفظ
عاما وروي عن عكرمة سئل عن قوله تعالى احسن كل شيء خلقه فقال ان است القرد
ليس بحسنة ولكنه ابرم خلقها اي اتقنه وما قلناه من انتصاب خلقه من المصدر
الذي دل على فعل متقدم مذهب سيبويه ويجوز ان يكون خلقه بدلا من قوله كل شيء
فيصير التقدير الذي احسن خلقه كل شيء ومن قال احسن كل شيء خلقه كان خلقه
وصفاً للنكرة المتقدمة وموضع الجملة يحتمل وجهين النصب على انه صفة لكل والجر
على ان يكون صفة لشيء فترك الهمزة في بدا محمول على البدل لا على التخفيف القياسي في مثله
بيت الكتاب راحت بمسلمة البغال عشية فارعي فزارة لا هناك المرتع ويقول
على البدل لا بديت اذا اضمرت عن نفسك ويقول على التخفيف بداءت بالالف بالهمز
وقد مر القول في اختلافهم في قوله ائذا ضللنا في الارض وقال غيره صرنا ترابا
فلم يتبين شيء من خلقنا وقوله صللنا بالصاد من قولهم صل اللحم اذا انتن يصل
ويصل والمعنى اذا دفنا في الارض وصلت اجسامنا وقيل معناه اذا صرنا من الصلة
وهي الارض اليابسة ومنه الصلصال المعنى ثم اكد تعالى ما تقدم من دلايل وحدانيته
واعلام ربوبيته فقال ذلك عالم الغيب اي الذي يفعل ذلك ويقدر عليه هو
العالم بما يشاهد وما لا يشاهد فيما غاب عن الخلق وما حضر العزيز المنيع في ملكه
الرحيم باهل طاعته الذي احسن كل شيء اي احكم كل شيء خلقه واتقنه عن ابن عباس
ومجاهد وقيل معناه كيف يخلق علم كل شيء وقيل ان يخلقه من غير ان يعلم احد عن مقاتل

والسدى من قولهم فلان يحسن كذا اى يعلمه وقيل الذى جعل كل شئ فى خلقه حسنا عن ابن عباس
والمعنى انه احسن خلقه من جهة الحكمة فكل شئ خلقه واوجد فيه وجوه من وجوه الحكمة
بحسنه وفى هذا دلالة على ان الكفر والقبائح لا يجوز ان يكون من خلقه وبدأ خلق
الانسان من طين ابتداء خلق آدم الذى هو اول البشر من طين كان ترابا ثم صار
طينا ثم صلصالا ثم حيوانا ثم جعل نسله اى نسل الانسان الذى هو آدم يعنى ولده
من سلالة وهى الصفرة التى تنسل من غيرها وتسمى ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه
من ماء مهين اى ضعيف عن قتاده وقيل حقير مهان اشارة الى انه من شئ حقير
لا قيمة له وانما يصير ذا قيمة بالعلم والعمل ثم سواه اى جعله بشرا سويا وعدله
ورتب جوارحه ونفخ فيه اى فى المخلوق من روحه اضاف الروح الى نفسه اضافة
اختصاص وملك على وجه التشريف ثم قال تعالى مخاطبا لذريته وجعل لكم ايها
الخلق السمع والابصار لتسمعوا المسموعات وتبصروا المبصرات والافئدة
اى وجعل لكم القلوب لتعقلوا بها قليلا ما تشكرون اى تشكرون نعم الله قليلا
من كثير ما تريده ويجوز ان يكون ما مصدرية فيكون تقديره قليلا شكركم
لهذه النعم وقالوا يعنى منكرى البعث ائذا ضللنا فى الارض اى غبنا فى الارض
وصرنا ترابا وكل شئ غلب عليه غيره حتى تغيب فيه وقد ضل قال الاخطل شعر فكنت
الندى فى موج اكدر مزبد قذف الاتى به فضل ضلالا وقيل ان معنى ضللنا اهلكنا
عن مجاهد وقتاده ائنا لفى خلق جديد اى نبعث ونحيا فهو استفهام معناه
الانكار والمعنى كيف نخلق جديدا ونعاد بعد ان اهلكنا وتفرقت اجسامنا ثم قال
تعالى بل هم اى هؤلاء الكفار بلقاء ربهم اى ما وعد ربهم به من الثواب والعقاب
كافرون اى جاحدون فلذلك قالوا هذا القول قوله عز وجل قل يتوفيكم
ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول منى لاملئن جهنم من الجنة والناس

اجمعين

اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد
بما كنتم تعملون انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا
بحمد ربهم وهم لا يستكبرون خمس آيات اللغة التوفى اخذ الشئ على تمام
قال الراجز شعر ان بنى ادرم ليسوا من احد ولا توفاهم قريش فى العدد يقال استوفى
الدين اذا قبضه على كماله والتوكيل تفويض الامر الى غيره للقيام به والنكس قلب الشئ
على راسه ويقال فى المرض النكس بضم النون واما النكس بكسر النون فهو السهم
ينكس فيجعل اعلاه اسفله الاعراب ولو ترى اذ المجرمون يجوز ان يكون
مفعول ترى محذوفا فيكون تقديره ولو ترى المجرمين اذ هم ناكسوا
رؤسهم ويجوز ان يكون المعنى لو رأيت يبصرك مثل قولك واذا رأيت
ثم رأيت ما تعتبر به غاية الاعتبار فذوقوا اى يقال لهم ذوقوا العذاب
بنسيانكم وهذا فى موضع جر بانه صفة ليومكم المعنى ثم امر الله تعالى
نبيه عليه السلام فقال قل يا محمد لهؤلاء المكلفين يتوفيكم اى يقبض ارواحكم
اجمعين وقيل يقبضكم واحدا واحدا حتى لا يبقى منكم احد ملك الموت الذى
وكل بكم اى وكل بقبض ارواحكم عن ابن عباس جعلت له الدنيا بين يدى
ملك الموت مثل جام ياخذ منها ما شاء اذا قضى عليه الموت من غير عناء
وخطوته ما بين المشرق والمغرب وقيل ان له اعوانا كثيرة من ملائكة الرحمن
وملائكة العذاب عن قتاده والكلبى فعلى هذا فالمراد بملك الموت الجنس ويدل
عليه قوله توفته رسلنا وقوله يتوفيهم الملائكة واما الاضافة التوفى الى نفسه
فى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها فلانه تعالى خلق الموت ولا يقدر عليه
احد سواه ثم الى ربكم ترجعون اى الى جزاء ربكم من الثواب والعقاب تردون
وجعل ذلك رجوعا اليه تفخيما للحال وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله الامراض والاوجاع كلها بريد الموت فاذا حان الاجل اتى
ملك الموت بنفسه فقال يا ايها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول

وكم يريد بعد بريد انا الخبر ليس بعدى خبر وانا الرسول اجبت طائعا او مكرها فاذا
قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له
اجلا ولا اكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكى على نفسه فان لى فيكم عودات
وعودات حتى لا ابقى منكم احدا ثم اخبر الله تعالى عن حالهم فى القيمة وعند الحساب
فقال ولو ترى يا محمد او ايها الانسان اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم اى يوم القيمة
حين يكون المجرمون مطاطئون رؤسهم ومطرقيها حياء وندما وذلا عند ربهم
اى عند ما يتولى الله حساب خلقه يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اى ابصرنا
الرشد وسمعنا الحق وقيل معناه ابصرنا صدق وعدك وسمعنا منك تصديق
رسلك وقيل معناه انا كنا بمنزلة العمى فابصرنا وبمنزلة الصم فسمعنا فارددنا
الى دار التكليف نعمل صالحا من الطاعات فيها انا موقنون اليوم لا نرتاب بشئ
من الحق والرسالة ثم قال تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها بان نفعل امرا من الامور
يلجيهم الى الاقرار بالتوحيد لكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف لان المقصود به استحقاق
الثواب والالجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب قال الجبائى ويجوز ان يكون المراد
ولو شئنا لاجبناهم الى ما سالوا من الرد الى دار التكليف ليعملوا بالطاعات ولكن
حق القول منى لاجازيهم العقاب ولا اردهم وقيل معناه ولو شئنا لهديناهم الى الجنة
ولكن حق القول منى اى الخبر والوعيد لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
اى من كلا الصنفين بكفرهم بالله وجحدهم وحدانيته وكفرانهم نعمه والقول
من الله تعالى بمنزلة القسم فلذلك اتى بجواب القسم وهو قوله لاملأن جهنم
ثم حكى تعالى ما يقال لهؤلاء الذين طلبوا الرجعة الى دار التكليف اذا جعلوا فى
العذاب بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا اى بما فعلتم فعل من نسى لقاء
جزاء هم هذا اليوم فتركتم ما امركم به الله وعصيتموه والنسيان الترك
ومنه قول النابغة سفود شرب نسوه عند مفتاد اى تركوه فلم يستعملوه قال المبرد
لانه لو كان المراد النسيان الذى هو ضد الذكر لجاز ان يكونوا استعملوه انا نسيناكم

اى فعلنا معكم

اى فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه اى تركناكم من نعيمه جزاء على ترككم طاعتنا وذوقوا
عذاب الخلد الذى لا فناء له بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصى ثم اخبر تعالى عن حال
المؤمنين فقال انما يؤمن باياتنا اى يصدق بالقرآن وسائر حججنا الذين اذا ذكروا
بها وعظوا بها تذكروا واتعظوا بمواعظها بان خروا سجدا اى ساجدين شكرا لله
تعالى على ان هداهم لمعرفته وانعم عليهم بفنون نعمته وسبحوا بحمد ربهم اى نزهوه
عما لا يليق به من الصفات وعظموه وحمدوه وهم لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستنكفون من طاعته ولا يانفون ان يعفروا وجوههم صاغرين له قوله
عز وجل تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ
كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي
كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ خمس آيات القراءة قرا حمزة ويعقوب ما اخفى لهم ساكنة الياء
والباقون بفتحها وروى فى الشواذ عن النبى صلى الله عليه وآله وابى هريرة وابى
الدرداء وابن مسعود قراءة اعين الحجة قال ابو على الذى يقوى بناء الفعل الى
المفعول به قوله فلهم جنات الماوى ويقوى قراءة حمزة ان اخفى مثل قولهم اتينا
كل نفس هداها وقوله حق القول منى وقوله ومما رزقناهم واما ما فى قوله ما اخفى
فالابين فيه ان يكون استفهاما وهو عندى قياس قول الخليل فمن قال اخفى كان
ما عنده مرتفعا بالابتداء والذكر الذى فى اخفى يعود اليه والجملة هى التى ما اخفى
والجملة فى موضع نصب بتعلم كما كان فى الاول كذلك ومثله قوله فسوف تعلمون من تكون
له عاقبة الدار وسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وما اشبه ذلك يحمل فيه
العلم على التعدى الى مفعولين ومن بعده للاستفهام واما قوله قراءة اعين فان
القراءة مصدر وكان القياس ان لا يجمع لان المصدر اسم الجنس والاجناس اول بعد شئ

من الجمعية لكن جعلت القرة نوعًا ههنا فجمع كما يقال نحن في اشغال ولنا علوم
اللغة التجافي يعاطي الارتفاع عن الشيء ومثله النبو يقال جفا عنه يجفو جفا
وتجافى عنه تجافيا اذا نبا عنه قال الشاعر شعر وصاحبي ذات هبات دمشق
وابن ملاط متجاف ارفق والمضجع موضع الاضطجاع وقال عبد الله بن رواحه
يصف النبي عليه الصلوة والسلام الاعراب خوفا وطمعا مفعول له كما يقال
فعلت ذلك مخافة الشر قال الزجاج وحقيقته انه في موضع المصدر لان يدعون
ربهم ههنا يدل على انهم يخافون عذابه ويرجون رحمته فهو في تاويل يخافون خوفا
ويطمعون طمعًا وقوله اجلا منصوب ايضًا بانه مفعول له لا يستوون جواب
الاستفهام اي لا يكون كذلك والواو الثانية في يستوون فاعل من وجه
مفعول من وجه لان المعنى لا يساوي هؤلاء اولئك ولا اولئك هؤلاء ولو قال
لا يستويان لكان جائزا ولكنه جاء على معنى لا يستوون المومنون والكافرون
ويجوز ان يكون لا يستوون للاثنين لان معنى الاثنين جماعة نزلا نصب
على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم كلما ظرف زمان لا عيدوا
المعنى ثم وصف الله تعالى المومنين المذكورين في الاية المتقدمة فقال
تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي ترتفع جنوبهم عن موضع اضطجاعهم لصلوة
الليل وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون على فراشهم للصلوة عن الحسن
ومجاهد وعطا وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وروى الواحدي
بالاسناد عن معاذ بن جبل قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة
تبوك وقد اصابنا الحر فتفرق القوم فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله اقربهم
مني فدنوت منه فقلت يا رسول الله انبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار
قال قد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك
به شيئا وتقيم الصلوة المكتوبة وتودي الزكوة المفروضة وتصوم رمضان
قال وان شئت انباتك بابواب الخير قال قلت اجل يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة

تفكر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله ثم قرأ هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع
وبالاسناد عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليكم بقيام الليل فانه داب
الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيئات ومطردة
الداء عن الجسد وقيل هم الذين لا ينامون حتى يصلون العشاء الاخرة قال انس نزلت
فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء الاخرة مع النبي
صلى الله عليه وآله وقيل هم الذين يصلون العشاء والفجر في جماعة يدعون ربهم خوفا
من عذاب الله وطمعًا في رحمة الله ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وسبيل ثوابه
ووجه المدح في هذه الاية ان هولاء المؤمنين يقطعهم اشتغالهم بالصلوة والدعاء
عن طيب المضجع لانقطاعهم الى الله تعالى فامالهم مصروفة اليه واتكالهم في كل الامور ثم ذكر
تعالى جزاءهم فقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي لا يعلم احد ما خفي لهؤلاء
الذين ذكروا مما تقر به اعينهم قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له فالامر اعظم واجل مما يعرف
تفسيره وقد ورد في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتكم عليه اقروا
ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين رواه البخاري ومسلم جميعا وقد قيل في فائدة
الاخفاء وجوه احدها ان الشيء اذا عظم خطره وجل قدره لا يستدرك صفاته على كنهه
الا بشرح طويل ومع ذلك فيكون الابهام ابلغ وثانيها ان قرة العيون غير متناهية
فلا يمكن احاطة العلم بتفاصيلها وثالثها انه جعل ذلك في مقابلة صلوة الليل وهي خفية
فكذلك ما بازائها من جزائها ويؤيد ذلك ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال
ما من حسنة الا ولها ثواب مبين في القرآن الا صلوة الليل فان الله عز اسمه لم يبين
ثوابها لعظم خطرها فقال فلا تعلم نفس الاية وقرة العين رؤية ما تقر به العين يقال
اقر الله عينك اي صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك حتى لا تطمح بالنظر الى ما فوقه
وقيل هي من القر اي البرد لان المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد
والمحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار ومنه قولهم سخن عينه وهو قر العين

وسخين العين وانما اضاف القرة الى الاعين على الاطلاق لا الى اعينهم تنبيهاً على انها
غاية في الحسن والكمال فيقربها كل عين جزاء بما كانوا يعملون من الطاعات في دار
الدنيا افمن فاسقاً هذا استفهام يراد به التقرير اى ايكون من هو مصدق بالله
على الحقيقة عارف به وبانبيائه عامل بما اوجبه الله عليه وندب اليه مثل من هو فاسق
خارج عن طاعة الله مرتكب لمعاصيه ثم قال لا يستوون لان منزلة المومن درجات
الجنان ومنزلة الفاسق دركات النيران ثم فسر ذلك بقوله اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى يأوون اليها نزلاً بما كانوا يعملون اى عطاء
بما كانوا يعملون عن الحسن وقيل ينزلهم الله فيها نزلاً كما ينزل الضيف يعنى انهم في حكم
الاضياف واما الذين فسقوا فمأويهم الذى يأوون اليه النار نعوذ بالله منها
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اى كلما هموا بالخروج منها لما يلحقهم من الم العذاب اعيدوا
اى ردوا فيها وقد مر بيانه في سورة الحج وقيل لهم مع ذلك ذوقوا عذاب النار الذى
كنتم به تكذبون اى لا تصدقون به وتجحدونه وفى هذا دلالة على ان المراد بالفاسق
هنا الكافر المكذب قال ابن ابى ليلى نزل قوله افمن كان مومنا الاية في على بن ابى طالب
ورجل من قريش وقال غيره نزلت في على بن ابى طالب والوليد بن عقبة فالمومن على والفاسق
الوليد وذلك انه قال انا ابسط منك لساناً واحد منك سناناً فقال على ليس كما قلت
يا فاسق قال قتاده لا والله لا استووا لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الاخرة قوله
عز وجل وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا
مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ خمس آيات القراءة قرأ حمزة
والكسائى ورويس عن يعقوب لما صبروا والباقون لمّا بالتشديد وفتح اللام الحجة
قال ابو على من قرا لما فانه جعله للمجازاة الا ان الفعل المتقدم اغنى عن الجواب كما انك اذا قلت

اجيك

اجيك اذا جئت تقديره ان جئت اجيك فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط
فكذلك المعنى هنا لما صبروا جعلناهم ايمة ومن قال لما صبروا على الحال لجعلناهم والتقدير
جعلنا منهم ايمة لصبرهم المعنى ثم اقسم تعالى في هذه الاية فقال ولنذيقنهم من العذاب
الادنى دون العذاب الاكبر اما العذاب الاكبر فهو عذاب جهنم في الاخرة واما العذاب الادنى
ففى الدنيا واختلف فيه فقيل انه المصائب والمحن في الانفس والاموال عن ابى بن كعب وابن العالية
والحسن وقيل هو القتل يوم بدر بالسيف عن ابن مسعود وقتاده والسدى وقيل هو ما
ابتلوا فيه من الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف والكلاب عن مقاتل وقيل هو
الحدود عن عكرمه وعن ابن عباس وقيل هو عذاب القبر عن مجاهد وروى ايضاً عن ابى
عبد الله عليه السلام والاكبر في الرواية عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام ان العذاب الادنى
الدابة والدجال لعلهم يرجعون اى ليرجعوا الى الحق ويتوبوا من الكفر وقيل ليرجع
الاخرون عن ان يذنبوا مثل ذنوبهم ومن اظلم ممن ذكر بايات الله اى لا احد
اظلم لنفسه ممن نبه على حجج الله التى توصله الى معرفته ومعرفة ثوابه ثم اعرض
عنها جانباً ولم ينظر فيها انا من المجرمين الذين يعصون الله تعالى بقطع طاعاته
وتركها منتقمون بان نحل العقاب بهم ولقد اتينا موسى الكتاب يعنى التورية
فلا تكن في مرية اى في شك من لقائه اى من لقائك موسى ليلة الاسراء
الى السماء عن ابن عباس وقد ورد في الحديث انه قال رايت ليلة اسرى بى
موسى عمران رجلاً ادم طويلاً جعداً كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى
بن مريم رجلاً مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الراس فعلى هذا قد
وعد صلى الله عليه وآله انه سيلقى موسى قبل ان يموت وبه قال مجاهد
والسدى وقيل فلا تكن في مرية من لقاء موسى الكتاب عن الزجاج وقيل
معناه فلا تكن في شك من لقاء الاذى كما لقى موسى الاذى عن الحسن فكانه
قال فلا تك في مرية ان تلقى مثل ما لقى موسى وجعلناه هدى لبنى
اسرائيل اى وجعلنا موسى هادياً لهم عن قتاده وقيل وجعلنا الكتاب هادياً

لهم عن الحسن وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا اى وجعلنا منهم رؤساء فى الخير
تقتدى بهم يهدون الى افعال الخير باذن الله عن قتاده وقيل هم الانبياء
الذين كانوا فيهم يدلون الناس على الطريق المستقيم بامر الله لما صبروا
جعلوا ايمة وكانوا باياتنا يوقنون لا يشكون فيها ان ربك يفصل بينهم
يوم القيمة اى يحكم بين المومن والكافر والفاسق فيما كانوا فيه يختلفون
من التصديق برسل الله والايمان بالبعث والنشور وغير ذلك من اعمالهم
وامور دينهم   ووجه اتصال ذكر موسى عليه السلم بما قبله ان المراد بالاية كما
اتيناك القران يا محمد فكذبوك كذلك اتينا موسى التورية فكذبوه فهو
تسلية للنبى صلى الله عليه واله ووعيد للمكذبين به قوله عز وجل
اَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ
اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ اَفَلَا يَسْمَعُونَ اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّا نَسُوقُ الْمَاۤءَ اِلَى الْاَرْضِ
الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهٖ زَرْعًا تَاْكُلُ مِنْهُ اَنْعَامُهُمْ وَاَنْفُسُهُمْ اَفَلَا يُبْصِرُونَ وَيَقُولُونَ
مَتٰى هٰذَا الْفَتْحُ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا اِيمَانُهُمْ
وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ اِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ خمس آيات القراة
قراء زيد ا ولم نهد بالنون والفراء كلهم عن الياء وقد ذكرنا فى سورة الاعراف
وفى الشواذ قراءة ابن السميقع يمشون بضم الياء وتشديد الشين وانهم منتظرون
بفتح الظاء الحجة قال ابن جنى رفع ابو حاتم فتح الظاء واستدل على ذلك بقوله
فارتقب انهم مرتقبون وقوله يمشون للكثرة قال شعر يمشى بيننا حانوت كرم
من الجرو العصاصرة الفطاط اللغة يقال هداه فى الدين يهديه هدى وفى الى الطريق
هداية واهتدى اذا قبل الهداية والواجب الهدى هو ما يودى الى ما ليس للعبد عنه
غنى فى دينه فاللطف على هذا هدى والنظر المودى الى معرفة الله هدى والسوق الحث
على السير ساقه يسوقه والجرز الارض اليابسة التى ليس فيها نبات لانقطاع
الامطار عنها واسقافه من قولهم سيف جراز اى قطاع لا يبقى شيئا الا قطعه وناقة

جرازا

جراز اذا كانت تاكل كل شئ فلا يبقى شيئا الا قطعته بفيها ورجل جروز اكول قال الراجز
شعر خب جروز واذا جاع بكا وفى الجرز اربع لغات بضم الجيم والراء وبفتحهما وبضم
الجيم واسكان الراء وبفتح الجيم واسكان الراء الاعراب فاعل يهد مضمر يدل عليه قوله
كم اهلكنا وتقديره اولم يهد لهم اهلاكنا من اهلكنا من القرون الخالية ولا يجوز
ان يكون فاعله كم اهلكنا لان ما قبل كم لا يجوز ان يعمل فيه الا حروف الاضافة لان كم
على تقدير الاستفهام الذى له صدر الكلام فهو فى محل النصب لانه مفعول اهلكنا ويمشون
فى محل النصب على الحال المعنى ثم نبه الله تع خلقه على الاعتبار بمن تقدمهم من القرون
فقال اولم يهد لهم اى ولم يبصرهم ويبين لهم كما اهلكنا من قبلهم من القرون الماضية
جزاء على كفرهم بالله وارتكابهم لمعاصيه يمشون فى مساكنهم ويرون اثارهم وقيل معناه
اهلكناهم بغتة وهم مشاغيل بنفوسهم ويمشون فى منازلهم ان فى ذلك لايات اى فى
اهلاكنا لهم دلالات واضحات على الحق افلا يسمعون اى فلا يسمع هؤلاء الكفار ما يوعظون
به من المواعظ به ثم نبههم تعا على وجه آخر فقال اولم يروا اى ولم يعلموا انا نسوق
الماء بالمطر والثلج وقيل بالانهار والعيون الى الارض الجرز اى اليابسة التى لا نبات
فيها وقيل نسوق الماء بالسيول اليها لانها مواضع عالية وهى قرى بين اليمن والشام عن ابن عباس
فنخرج به زرعا تاكل منه اى من ذلك الزرع انعامهم وانفسهم والمعنى ان هذه الارض
تنبت ما ياكله الناس والانعام افلا يبصرون نعم الله تعا عليهم ويقولون متى هذا
الفتح اى متى هذا الحكم بيننا قل يا محمد يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم بين تعا
ان يوم الفتح يكون يوم القيمة وذلك اليوم لا ينفع الكافرين ايمانهم ولا هم ينظرون
اى لا يوخر عنهم العذاب وقيل يعنى الذين قتلوا يوم بدر لم ينفعهم ايمانهم بعد
القتل فاعرض عنهم يا محمد فانه لا ينجع فيهم الدعاء والوعظ وقيل اعرض عن اذاهم وانتظر
حكم الله فيهم قال ابن عباس نسخته اية السيف وانتظر موعدى لك بالنصر على اعدائك
انهم منتظرون بك حوادث الزمان من موت او قتل فيستريحوا منك وقيل معناه انه
ياتيهم ما وعد الله فيهم فكانهم ينتظرونه سورة الاحزاب مدنية وهى خمس وسبعون آية

بالاجماع **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر روى عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام قال من كان كثير القراءة لسورة الاحزاب كان يوم القيمة في جوار محمد وآله وازواجه عليهم السلام **تفسيرها** امر الله في مختتم تلك السورة بالانتظار ثم امره هنالك ان يكون كثير القراءة للسورة في انتظاره متقيا ونهاه عن طاعة الكفار فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللّٰهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلًا مَا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ اَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ اُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ اَدْعِيَاءَكُمْ اَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِاَفْوَاهِكُمْ وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ اُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ اَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ فَاِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا اَخْطَاْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا

خمس آيات **القراءة** قرا ابو عمرو بما يعملون خبيرا والباقون بالتاء وقرا ابن عامر واهل الكوفة اللائي مهموزة ممدودة مشبعة بعدها ياء وفي سورة المجادلة والطلاق مثله وقرا نافع ويعقوب اللاء ممدودة مهموزة مختلسة لا ياء بعدها والباقون اللاي بغير همزة ولا مد حيث كانت وقرا عاصم تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وقرا بفتح التاء وتخفيف الظاء اهل الكوفة غير عاصم وقرا ابن عامر تظاهرون بفتح التاء وتشديد الظاء وقرا الباقون تظهرون بغير الف وتشديد الظاء والهاء **الحجة** قال ابو علي من قرا بما يعملون بالياء فعلى ولا تطع الكافرين انه بما يعملون والتاء على المخاطبة ويدخل فيه الغيب اللائي اصله فاعل مثل شائي فالقياس ان يثبت الياء فيه كما ثبت في الشائي والتاء وقد حذفوا الياء من فاعل في حروف من ذلك قولهم ياليت به بالت وسرطانه وكذلك اذا حذفت من اللاء يصير اللاء فان خفف الهمزة

فالقياس

فالقياس ان يجعل بين بين وقد حكى سيبويه حذف الياء من اللاء وقد قرا تظهرون فانه تتظهرون فانه فادغم التاء في الظاء ومن قرا تظاهرون مضمومة التاء فهو من ظاهر من امراته ويقوى ذلك قولهم في مصدره الظاهر ومن قرا تظاهرون خفيفة الظاء فعنا تتظاهرون فحذف تاء تتفاعلون التي ادغمها غيره وهو من قرا تظاهرون بتشديد الظاء مع الالف **النزول** نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي بعد غزوة احد بامان من رسول الله صلى الله عليه وآله ليكلموه فقالوا وقام معهم عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعيد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا محمد ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وآله فقال عمر بن الخطاب ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال اني اعطيتهم الامان فامر صلى الله عليه وآله فاخرجوا من المدينة فنزلت الاية ولا تطع الكافرين من اهل مكة ابا سفين وابا الاعور وعكرمة والمنافقين ابن ابي وابن سعد وطعمة وقيل نزلت في ناس من ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله فطلبوا منه ان يمتعهم باللات والعزى سنة قالوا ليعلم قريش منزلتنا منك وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهري وكان لبيبا حافظا لما يسمع وكان يقول ان في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهم افضل من عقل محمد فكانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر تلقاه ابو سفين بن حرب وهو اخذ بيده احدى نعليه والاخرى برجله قال له يا ابا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ابو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له الا قلب واحد لما نسي نعله في يده **المعنى** خاطب الله نبيه عليه السلام فقال يا ايها النبي اتق الله اي اثبت على تقوى الله ودم عليه وقيل معناه اتق الله في اجابة المشركين الى ما التمسوه وقيل ان بعض المسلمين هموا بقتل اولئك الذين قدموا

المدينة بامان فقال اتق الله في اجابة المشركين في نقض العهد ولا تطع الكافرين والمنافقين
من بانه وقيل انه عام وهو الوجه والكافر هو الذي يظهر الكفر ويبطنه والمنافق الذي
يظهر الايمان ويبطن الكفر ان الله كان عليما بما يكون قبل كونه حكيما فيما يخلقه ولما نهاه
عن متابعة الكفار واهل النفاق امره باتباع اوامره ونواهيه على الاطلاق فقال
واتبع ما يوحى اليك من ربك من القران والشرايع فبلغه واعمل به ان الله كان بما تعملون
خبيرا اي لا يخفى عليه من اعمالكم فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان كان شرا فشر وتوكل على الله
اي فوض امورك الى الله حتى لا تخاف غيره ولا ترجوا الا خيره وكفى بالله وكيلا اي قايما
بتدبيرك حافظا لك ودافعا عنك ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فان الراس
الرجل الواحد لا ينتظم ومعه قلبان فكيف تنتظم امور العالم وله الهان معبودان وقيل
انه نزل في ابي معمر على ما مر بيانه عن مجاهد وقتاده واحدى الروايتين عن ابن عباس
وقيل ان المنافقين كانوا يقولون ان لمحمد قلبين ينسبونه الى الدهاء فاكذبهم
الله تعالى بذلك عن ابن عباس وقيل ان رجلا كان يقول ان لي نفسين نفسا تامرني
ونفسا تنهاني فنزل ذلك فيه عن الحسن وقيل هو رد على المنافقين والمعنى ليس لاحد قلبان
يومن باحدهما ويكفر بالاخر وانما هو قلب واحد فاما ان يومن واما ان يكفر عن ابي مسلم وقيل انه
يتصل بقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم والتقدير انه كما لم يجعل لرجلين من قلبين
في جوفه لم يجعل ابن الانسان ابن لغيره وقيل بل يتصل بما قبله والمعنى انه لا يمكن الجمع بين
اتباعين متضادين اتباع الوحي والقران واتباع اهل الكفر والطغيان فكنى عن ذلك بذكر
القلبين لان الاتباع يصدر عن الاعتقاد والاعتقاد من افعال القلوب فكما لا يجتمع قلبان
في جوف واحد لا يجتمع اعتقادان متضادان في قلب واحد وقال ابو عبد الله عليه السلم ما جعل
الله لرجل قلبين يحب بهذا ويحب بهذا اعداءهم واختلف العلماء في انه هل يجوز ان يكون للانسان
واحد قلبان فمنع بعضهم من ذلك وقال ان ذلك يودي الى ان لا ينفصل انسان
من انسانين لانه يصح ان يريد باحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الاخر فيصير كشخصين وجوز
بعضهم ذلك وقال كما ان الانسان الواحد يجوز ان يكون له قلب كثير الاجزاء ويمتنع ان يريد

بعض الاجزاء

ببعض الاجزاء ما يكرهه البعض لان الارادة والكراهة وان وجدنا في جزئين من القلب
فالحالتان الصادرتان عنهما يرجعان الى الجملة وهي جملة واحدة فاستحال اجتماع معنيين
ضدين في حي واحد ويجوز ان يكون معنيان مختلفان او مثلان في جزئين من القلب
ويوجبان الصفتين للحي الواحد فكذلك القياس اذا كان المعنيان في قلبين اذا كان
حكم ما يوجد فيهما يرجع الى حي واحد الا ان السمع ورد بالمنع من ذلك وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن امهاتكم فقال الظاهر من امراته وتظاهر وتظهر وهو ان يقول
لها انت علي كظهر امي وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء
الاسلام نهوا عنه واوجبت الكفارة على من ظاهر من امراته وسنذكره في سورة
المجادلة والمعنى ان الله تعالى اعلمنا ان الزوجة لا تصير اما فقال وما جعل نساءكم
اللاتي تقولون هن علينا كظهور امهاتنا امهاتكم على الحقيقة هي اللاتي ولدنكم
او ارضعنكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم الادعياء جمع الدعي وهو الذي يسماه الانسان
ابنا عن تبنى انه ليس بابن على الحقيقة ونزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبد ود
تبناه رسول الله صلى الله عليه واله قبل الوحي وكان قد وقع عليه السبي فاشتراه رسول
الله صلى الله عليه واله بسوق عكاظ ولما نبي صلوات الله عليه دعاه الى الاسلام فاسلم
فقدم ابوه حارثة مكة واتى ابا طالب فقال سل ابن اخيك فاما ان يبيعه واما
ان يعتقه فلما قال ذلك ابو طالب لرسول الله قال هو حر فليذهب حيث شاء فابى زيد
ان يفارق رسول الله صلى الله عليه واله فقال حارثة يا معشر قريش اشهدوا انه
ليس ابني فقال رسول الله صلى الله عليه واله اشهدوا ان زيدا ابني فكان يدعى زيد
بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه واله زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قالت
اليهود والمنافقين تزوج محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس عنها فقال الله تعالى ما جعل
الله من تدعونه ولدا وهو ثابت النسب من غيركم ولدا لكم ذلكم قولكم بافواهكم اي
قولكم الدعي ابن الرجل شيء تقولونه بافواهكم لا حقيقة له عند الله تعالى والله يقول الحق الذي
يلزم اعتقاده وله حقيقة وهو ان الزوجة لا تصير بالظهار اما والدعي لا يصير بالتبني ابنا

وهو يهدي السبيل اي يرشد الى طريق الحق ويدل عليه ادعوهم لآبائهم الذين
ولدوهم وانسبوهم اليهم او الى من ولدوا على فراشهم هو اقسط عند
الله اي اعدل عند الله قولا وحكما وروى سالم عن ابن عمر انه قال ما كنا
ندعوا زيد بن حارثة الا زيدا بن محمد حتى نزل في القرآن ادعوهم لآبائهم
هو اقسط عند الله اورده البخاري في الصحيح فان لم تعلموا آباءهم
اي لم تعرفوهم باعيانهم فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم في الدين فقولوا يا اخي
ومواليكم اي بنوا اعمامكم قال الزجاج ويجوز ان يكون المراد واولياءكم
في الدين في وجوب النصرة وقيل معناه ومعتقوكم ومحرروكم اذا اعتقتموهم
من رق فلكم ولاؤهم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به اي ليس عليكم حرج
في نسبته الى المتبنى اذا ظننتم انه ابوه ولم تعلموا انه ليس بابن له فلا يؤاخذكم
الله به ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الاثم والجناح فيما تعمدت قلوبكم
يعني في الذي تعمدته قلوبكم وقصدتموه من دعائهم الى غير آبائهم فانكم
تؤاخذون به وقيل ما اخطأتم قبل النهي وما تعمدتموه بعد النهي عن مجاهد
وكان الله غفورا لما سلف رحيما بكم وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز
الانتساب الى غير الاب وقد وردت السنة بتغليظ الامر فيه قال صلى الله
عليه وآله من انتسب الى غير ابيه او انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله قوله عز وجل
اَلنَّبِيُّ اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ وَاَزْوَاجُهُ اُمَّهَاتُهُمْ وَاُولُوا
الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّٰهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
اِلَّا اَنْ تَفْعَلُوا اِلٰى اَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا
وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَاِبْرَاهِيمَ
وَمُوسٰى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْاَلَ
الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَاَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا اَلِيمًا يَا اَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَاَرْسَلْنَا

عليهم

عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا اِذْ جَاؤُكُمْ
مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ اَسْفَلَ مِنْكُمْ وَاِذْ زَاغَتِ الْاَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا خمس آيات القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر
وابو بكر وقتيبة الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف في الوصل والوقف
وقرأ اهل البصرة وحمزة بغير الف بالوصل والوقف بالالف في الوقف وبغير
الالف في الوصل الحجة قال ابو علي وجه قول من اثبت في الوصل انها في المصحف كذلك
وهو رأس الآي ورؤس الآي تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع فكما شبه
الكريم واهان بالقوافي في حذف الياء منهن كما حذف في نحو قوله من حذر
الموت ان ياتين واذا ما انبت له انكرن كذلك يشبه هذا في اثبات الالف
بالقوافي فاما من طرح الالف في الوصل فانه ذهب الى ان ذلك في القوافي وليس رؤس
الآي بقوافي فيحذف في الوصلة كما يحذف غيرها مما يثبت في الوقف نحو التشديد
الذي يلحق الحرف الموقوف عليه هذا اذا ثبت في الخط فينبغي ان لا يحذف وكما لا يحذف
هاء الوقف من حسابيه وكتابيه وان يجري مجرى الموقوف عليه ولا يوصل الاعراب
ان يفعلوا موصول صلة في موضع رفع بالابتداء لانه استثناء منقطع وخبره
محذوف تقديره لكن فعلكم الى اوليائكم معروفا جائز واذ اخذنا العامل في
الظرف اذكر قوله اذ جاءتكم جنود العامل في الظرف هنا محذوف وتقديره اذكر نعمة
الله عليكم كائنة وقت مجيء جنود اذ جاءكم بدل من اذ الاولى واذ زاغت كذلك النزول
قال الكلبي آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين الناس فكان يواخي بين الرجلين
فاذا مات احدهما ورثه الثاني منهما دون اهله فمكثوا كذلك ما شاء الله حتى
نزلت واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين فنسخت
هذه الآية الموارثة بالمواخاة والهجرة وورث الادنى فالادنى من القرابات وقال
قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان لا يرث الاعرابي المسلم من المهاجر شيئا
فنزلت الآية فصارت المواريث بالقرابات المعنى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم

اى هو اولى بهم منهم بانفسهم وقيل فى معناه اقوال احدها انه احق بتدبيرهم وحكمه
انفذ عليهم من حكمهم على انفسهم خلاف ما يحكم به لوجوب طاعته التى هى مقرونة بطاعة
الله تعالى عن ابن زيد وثانيها انه اولى بهم فى الدعوة فاذا دعاهم النبى الى شئ
ودعتهم انفسهم الى شئ كانت طاعته اولى من طاعة انفسهم عن ابن عباس وعطا
وهذا قريب من الاول وثالثها ان حكمه انفذ عليهم من حكم بعضهم على بعض كقوله
تعالى فسلموا على انفسكم فاذا كان هو احق بهم وهو لا يرث منه بماله من الحق فكيف
يرث من توجبون حقه بالتبنى وروى ان النبى عليه السلم لما اراد غزوة تبوك وامر
الناس بالخروج قال قوم نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت هذه الاية وروى
عن ابى وابن مسعود وابن عباس انهم كانوا يقرؤن النبى اولى بالمومنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وكذلك هو فى مصحف ابى وروى ذلك عن ابى جعفر
وابى عبد الله عليهما السلم قال مجاهد وكل نبى اب لامته وكذلك صار المومنون اخوة
لان النبى ابوهم فى الدين وواحد الانفس نفس وهى خاصة الحيوان الحساسة الدراكة
التى هى نفس ما فيه ويحتمل ان يكون اشتقاقه من النفس الذى هو التروح ويحتمل ان يكون
من النفاسة لانها اجل ما فيه واكرمه وازواجه امهاتهم والمعنى انهن للمومنين
كالامهات فى الحرمة وتحريم النكاح وليس امهاتهم على الحقيقة اذ لو كن كذلك لكانت
بناتهن اخوات المومنين على الحقيقة فكان لا يحل للمومن التزوج بهن فثبت ان المراد به
يعود الى حرمة العقد عليهن لا غير لانه لم يثبت شئ من احكام الامومة بين المومنين
وبينهن سوى هذه الواحدة الا ترى انه لا يحل للمومنين رؤيتهن ولا ترثن المومنين
ولا يرثونهن ولهذا قال الشافعى وازواجه امهاتهم فى معنى دون معنى وهو انهن
محرمات على التابيد وما كن محارم فى الخلوة والمسافرة وهذا معنى ما رواه مسروق
عن عايشه ان امراة قالت لها يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فعلى هذا
لا يجوز ان يقال لاخوانهن واخواتهن اخوال المومنين وخالات المومنين قال
الشافعى تزوج الزبير اسما بنت ابى بكر ولم يقل هى خالة المومنين واولوا الارحام

بعضهم

بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المومنين والمهاجرين وهو مفسر فى اخر انفال واولوا
الارحام هم ذوى الانساب لما ذكر الله تعالى ان ازواج النبى امهات المومنين عقبه بهذا
وبين انه لا توارث الا بالولادة والرحم والمعنى ان ذوى القرابات بعضهم اولى بميراث
بعض من المومنين والانصار والمهاجرين اى الذين هاجروا من مكه الى المدينة
وقيل معناه من المؤمنين المواخين المهاجرين فصارت هذه الاية ناسخة
للتوارث بالهجرة والمواخاة بالدين دالة على ان الميراث بالقرابة فمن كان اقرب
فى قرابة فهو احق بالميراث من الابعد الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا هذا
استثناء منقطع ومعناه لكن ان فعلتم الى اوليائكم المومنين وحلفائكم ما يعرف
حسنه وثوابه فهو حسن قال السدى عنى بذلك وصية الرجل لاخوانه فى الدين وقال
غيره لما نسخ التوارث بالمواخاة والهجرة اباح الوصية فيوصى لمن يتولاه بما احب من
الثلث فمعنى المعروف هنا الوصية وحكى عن محمد بن الحنفية وعكرمة وقتادة ان معناه
الوصية لذوى القرابة من المشركين وقيل ان هذا لا يصح لانه تعالى نهى ذلك بقوله
لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقد اجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابة
الكافرة وقال اصحابنا انها جايزة للوالدين والولد كان ذلك اى نسخ الميراث
بالهجرة ورده الى اولو الارحام من القرابات فى الكتاب اى فى اللوح المحفوظ
وقيل فى القران وقيل فى التورية مسطورا اى مكتوبا ومن فى قوله من المومنين
والمهاجرين يحتمل امرين احدهما ما ذكرناه والاخر ان يكون التقدير واولوا الارحام
من المومنين والمهاجرين اولى بالميراث واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اى واذكر
يا محمد اذ اخذ الله الميثاق على النبيين خصوصا بان يصدق بعضهم بعضا ويتبع
بعضهم بعضا عن قتاده وقيل اخذ ميثاقهم على ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته
وان يصدق بعضهم بعضا وان ينصحوا لقومهم عن مقاتل ومنك يا محمد وانما قدمه
لفضله وشرفه ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خص هؤلاء بالذكر
لانهم اصحاب الشرايع واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا

من اعباء الرسالة وتبليغ الشرايع وقيل على ان يعلنوا ان محمدا رسول الله ويعلن
محمد ان لا نبي بعده وانما اعاد ذكر الميثاق على وجه التغليظ وذكره في اول الاية
وفي آخر الاية مقيدا بزيادة صفة ثم بين تعالى الفائدة في اخذ الميثاق فقال ليسال
الصادقين عن صدقهم وقيل معناه انما فعل ذلك ليسال الانبياء المرسلين
ما الذي اجابهم اممهم عن مجاهد وقيل ليسال الصادقين في توحيد الله وعدله
والشرايع عن صدقهم اي عما كانوا يقولونه فيه تعالى فيقال لهم هل ظلم الله احدا هل جازى
كل انسان بفعله هل عذب بغير ذنب ونحو ذلك فيقولون نعم عدل في حكمه وجازى
كلا بفعله وقيل معناه ليسال الصادقين في اقوالهم عن صدقهم في افعالهم وقيل
ليسال الصادقين ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله او غيره ويكون فيه تهديد
للكاذب قاله الصادق اذا سئل عن صدقه على اي وجه قاله فيجازي بحسبه فكيف يكون
حال الكاذب ثم قال تعالى واعد للكافرين عذابا اليما اي مؤلما ثم خاطب تعالى المؤمنين
فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم ذكرهم تعالى نعمته عليهم في رفع
الاحزاب عنهم اذ جاءتكم جنود وهم الذين تحزبوا على رسول الله عليه وآله السلام
ايام الخندق فارسلنا عليهم ريحا وهي الصبا ارسلت عليهم حتى اكفأت قدورهم
وفساطيطهم وجنودا لم تروها من الملائكة وقيل ان الملائكة لم تقاتل يومئذ
ولكن كانوا يسحقون ويجبنون الكافرين وكان الله بما تعملون بصيرا من قرأ
بالتاء وجه الخطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء اراد ان الله عالم بما يعمله
الكفار ثم قال اذ جاءكم اي واذكروا حين جاءكم جنود المشركين من فوقكم
اي من فوق الوادي قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان ومن اسفل منكم
اي من قبل المغرب من ناحية مكة ابو سفيان في قريش ومن تبعه واذ زاغت
الابصار اي مالت عن كل شيء فلم تنظر الا الى عدوها مقبلا من كل جانب وقيل معناه
عدلت الابصار عن مقرها من الدهش والحيرة كما يكون للجبان فلا يعلم ما
وبلغت القلوب الحناجر والحنجرة جوف الحلقوم اي شخصت القلوب من مكانها فلولا

انه ضاق الحلقوم عنها ان تخرج لخرجت عن قتادة وقال ابو سعيد الخدري قلنا
يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال
قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فقلناها فضرب وجوه اعداء الله
بالريح فهزموا قال الفراء المعنى في قوله بلغت القلوب الحناجر انهم جبنوا وجزع اكثرهم
وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان ينتفخ سحره والسحر الرئة فاذا انتفخت الرئة
رفعت القلب الى الحنجرة وتظنون بالله الظنونا اي اختلفت الظنون وظن بعضكم
بالله النصر وبعضكم اليأس والقنوط وقيل تظنون ظنونا مختلفة فظن المنافقون
انه يستاصل محمد وظن المؤمنون انه سينصر عن الحسن وقيل ان من كان ضعيف
القلب والايمان ظن ما ظنه المنافقون الا انه لم يرد ذلك وقيل اختلاف ظنونهم
ان بعضهم ظن ان الكفار تغلبهم وظن بعضهم ان يستولون على المدينة وظن
بعضهم ان الجاهلية تعود كما كانت وظن بعضهم ان ما وعد الله ورسوله من نصرة
الدين واهله غرور واقسام الظنون كثيرة خصوصا من الجبان اتصل قوله
النبي اولى بالمؤمنين بقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم فانه تعالى لما بين ان التبني
لا يجوز بين عقيبه انه مع ذلك اولى بالمؤمنين من انفسهم من حيث انه
ولي الله امرهم فتلزمهم طاعته والانقياد له واصل الولاية لله تعالى كما قال هنالك
الولاية لله فلا حظ فيها لاحد منها الا من ولاه تعالى والى هذا المعنى اشار
النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير في قوله الست اولى منكم بانفسكم فلما قالوا بلى
قال من كنت مولاه فعلي مولاه والمولى يعني الاولى بدلالة قوله مأويكم النار هي مولاكم
اي اولى بكم وقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
اي اولى بالمخافة ثم عاد تعالى الى الكلام في تاكيد نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله
بذكر ما اخذ على النبيين من الميثاق في هذا الباب وعقب ذلك ببيان اياته
يوم الاحزاب وذكر ما انعم الله عليه وعلى المومنين من النصر مع ما اعده لهم
من الثواب قصة غزوة الخندق ذكر محمد بن كعب القرظي وغيره من اصحاب السير

قالوا كان من حديث الخندق ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي حقيق وحيي بن
اخطب في جماعة من بني النضير الذين اجلاهم رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قدموا
على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله عليه السلم وقالوا انا سنكون معكم عليهم حتى
نستاصلهم فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول فديننا خير
ام دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منهم فهم الذين انزل
الله فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا الى قوله وكفى بجهنم
سعيرا فسر قريشا ما قالوا ونشطوا الى ما دعوهم اليه فاجمعوا لذلك واعتدوا
له ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان فدعوهم الى حرب رسول الله
صلى الله عليه وآله واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم
على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقايدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان
وقايدها عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في فزاره والحرث بن عوف
في بني مره ومسعر بن جبلة الاشجعي فيمن تابعه من اشجع وكتبوا الى حلفائهم
من بني اسد وهما حليفان اسد وغطفان وكتبت قريش الى رجال من بني سليم
فاقبل ابو الاعور فيمن اتبعه من بني سليم مددا لقريش فلما علم بذلك رسول الله
صلى الله عليه وآله ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار عليه بذلك سلمان
الفارسي وكان اول مشهد شهد سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يومئذ
حر قال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله
صلى الله عليه وآله والمسلمون حتى احكموه فمما ظهر من دلايل النبوة في حفر الخندق
ما رواه ابو عبد الله الحافظ باسناد عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف
المزني قال حدثني ابي عن ابيه قال خط رسول الله صلى الله عليه وآله الخندق عام
الاحزاب اربعين ذراعا بين عشرة فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان
الفارسي وكان رجلا قويا فقالت الانصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف
فكنت انا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الانصار
نقطع اربعين ذراعا فحفرنا حتى بلغنا الثرى اخرج الله من بطن الخندق صخرة
بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول
الله صلى الله عليه وآله فاخبره عن الصخرة فاما ان نعدل عنها فان المعدل
قريب واما ان يامرنا فيه بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه فرقى سلمان حتى اتى رسول
الله صلى الله عليه وآله وهو مضروب عليه قبة فقال يا رسول الله خرجت صخرة
بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحك فيها
قليل ولا كثير فمرنا فيه بامرك فهبط رسول الله صلى الله عليه وآله مع سلمان في
الخندق واخذ المعول فضرب ضربة فلمعت منها برقة اضاءت ما بين لابتيها
يعني لابتي المدينة حتى لكان مصباحا في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله عليه السلم
تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضرب ضربة اخرى فلمعت برقة اخرى ثم ضرب
به الثالثة فلمعت برقة اخرى فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول الله ما هذا
الذي رايت فقال اما الاولى فان الله فتح علي بها اليمن واما الثانية فان الله
فتح علي بها الشام والمغرب واما الثالثة فان الله تعالى فتح علي بها المشرق فاستبشر
المسلمون بذلك وقالوا الحمد لله موعود صادق قال وطلعت الاحزاب فقال
المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وقال المنافقون
الا تعجبون يحدثكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر في يثرب قصور الحيرة
ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق لا تستطيعون ان تبرزوا
ومما ظهر فيه ايضا من ايات النبوة ما رواه ابو عبد الله الحافظ بالاسناد
عن عبد الواحد بن ايمن المخزومي قال سمعت جابر بن عبد الله قال كنا يوم الخندق
نحفر الخندق فعرضت فيه كدانة وهي الجبل فقلنا يا رسول الله ان كدانة عرضت فيه
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله رشوا عليها ثم قام واتاها وبطنه معصوب بحجر

من الجوع فاخذ المعول والمسحاة فسمى ثلثا ثم ضرب فعاد كثيبا اهيل فقلت له ائذن لي
يا رسول الله الى المنزل ففعل فقلت للمراة هل عندك من شيء فقالت عندي
صاع من شعير وعناق فطحنت الشعير وعجنته وذبحت العناق وسلختها وخليت
بين المراة وبين ذلك واتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فجلست عنده ساعة
ثم قلت ائذن لي يا رسول الله ففعل فاتيت المراة فاذا العجين واللحم قد امكنا
فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت ان عندنا طعاما لنا فقم يا رسول
الله انت ورجلان من اصحابك فقال وكم هو قلت صاع من شعير وعناق فقال
للمسلمين جميعا قوموا الى جابر فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله عز وجل
فقلت جاء بالخلق على صاع شعير وعناق فدخلت الى المراة وقلت قد افتضحت جاءك
رسول الله بالخلق اجمعين فقالت هل كان سالك كم طعامك قلت نعم فقالت
الله ورسوله اعلم قد اخبرناه ما عندنا فكشفت عني غما شديدا فدخل رسول
الله صلى الله عليه وآله فقال خذي ودعيني من اللحم فجعل رسول الله صلى الله
عليه وآله يثرد ويغرف اللحم ويخمش هذا فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا اجمعين
ويعود التنور والقدر املاء ما كان ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله كلي
واهدي فلم نزل ناكل ونهدي قومنا اجمع اورده البخاري في الصحيح وعن البراء
ابن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينقل معنا التراب يوم الاحزاب
وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا
ولا صلينا فانزل السكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا ان الاولى قد بغوا علينا اذا ارادوا
فتنة ابينا يرفع بها صوته رواه البخاري ايضا في الصحيح عن ابي الوليد عن شعبة عن ابي
اسحاق عن البراء قال ولما فرغ رسول الله من الخندق واقبلت قريش حتى نزلت
بين الجرف والغابة في عشرة من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة
واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول
الله صلى الله عليه وآله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين

فضرب هناك

فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا
في الآطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضري الى كعب بن اسد القرظي صاحب بني
قريظة وكان قد وادع رسول الله عليه السلام على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب صوت
اخطب غلق دونه حصنه فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناداه يا كعب قال ويحك
يا حيي انك رجل مشوم اني قد عاهدت محمدا ولست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه
الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لي اكلمك قال ما انا بفاعل قال ان غلقته دوني
الا على جشيشة تكره ان اكل منها معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب
جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على سادتها
وقادتها قد عاهدوني ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا ومن معه فقال كعب جئتني
والله بذل الدهر بجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق ليس فيه عين ومحمدا وما
انا عليه فلم ار من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتل منه في الذروة
والغارب حتى سمح له ان اعطاه عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم
يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب عهده
وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله فلما انتهى الخبر الى رسول
الله بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ
سيد الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ
سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير فقال انطلقوا حتى تنظروا
احق هو ما بلغنا عن هؤلاء القوم ام لا فان كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه ولا تفتوا اعضاد
الناس وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم اخبث مما
بلغهم عنهم قالوا لا عقد بيننا وبين محمد عليه وآله السلام ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة
وشاتموه فقال سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اعظم من المشاتمة
ثم اقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا عضل والقارة تقدير عضل والقارة
باصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خبيب بن عدي واصحابه اصحاب الرجيع فقال رسول الله

الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم
من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المومنون كل ظن وظهر النفاق من بعض المنافقين
فاقام رسول الله عليه وآله السلام واقام المشركين عليه بضعًا وعشرين ليلة لم يكن
بينهم قتال الا الرمي بالنبل الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود اخو بني عامر
بن لوى وعكرمة بن ابي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله
قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني
كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق
فقالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق
فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب
في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي منها اقتحموا واقبلت الفرسان نحوهم
وكان عمرو بن عبد ود فارس قريش وكان قاتل يوم بدر حتى ارتث واثبته
الجراح فلم يشهد احدا فلما كان الخندق خرج معلما ليرى مشهده وكان يعد
بالف فارس وكان يسمى فارس يليل لانه اقبل في ركب من قريش حتى اذا كانوا بيليل
وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لاصحابه امضوا فمضوا وقام
في وجوه بكر حتى منعهم من ان يصلوا اليه فعرف بذلك وكان اسم الموضع الذي
حفر فيه الخندق المذاد وكان اول من طفره عمرو بن ود واصحابه فقيل في ذلك شعر
عمرو بن ود كان اول فارس جزع المذاد وكان فارس يليل وذكر ابن اسحاق
ان عمرو بن عبد ود كان ينادي من يبارز فقام علي وهو مقنع بالحديد وقال انا
لها يا نبي الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو الا رجل وهو يؤنبهم ويقول اين جنتكم
التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها فقام علي عليه السلام وقال انا يا رسول الله فقال
انه عمرو اجلس ثم نادى الثالثة فقال شعر ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من
مبارز ووقفت اذ جبن المشجع موقف البطل المناجز ان السماحة والشجاعة
في الفتى خير الغرائز فقام علي عليه السلام فقال يا رسول الله انا فقال انه عمرو فقال وان كان

عمرو

عمرو فاذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وفيما رواه لنا السيد ابو الحمد الحسيني
القايني عن الحاكم ابو القسم الحسكاني بالاسناد عن عمرو بن ثابت عن ابيه عن جده
عن حذيفة قال فالبسه رسول الله درعه ذات الفضول واعطاه سيفه ذا الفقار
وعممه عمامته السحاب على راسه تسعة اكوار ثم قال له امض تقدم فلما ولى قال اللهم
احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق راسه
ومن تحت قدميه قال ابن اسحق فمشى اليه وهو يقول لا تعجلن فقد اتاك
مجيب صوتك غير عاجز ذو نية وبصيرة والصدق منجاء كل فائز اني لارجو ان اقيم
عليك نائحة الجنائز من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز قال له عمرو من انت
قال انا علي قال ابن عبد مناف قال انا علي بن ابي طالب قال غيرك يا ابن اخي من اعمامك
من هو اسن منك فاني اكره ان اهريق دمك فقال علي عليه السلام لكني والله ما اكره
ان اهريق دمك فغضب ونزل وسل سيفه كانه شعلة نار ثم اقبل نحو علي مغضبا واستقبله
علي بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدها واثبت فيها السيف واصاب راسه فشجه
وضربه علي على حبل العاتق فسقط وفي رواية حذيفة وتسيف علي رجليه بالسيف من اسفل
فوقع على قفاه وثارت بينهما عجاجة فسمع علي يكبر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
قتله والذي نفسي بيده وكان اول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فاذا علي يمسح
سيفه بدرع عمرو فكبر عمر بن الخطاب وقال يا رسول الله قتله فجز علي راسه واقبل
نحو رسول الله عليه السلام ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلا استلبته درعه فانه
ليس للعرب خير منها فقال ضربته فاتقاني بسوءته فاستحييت من ابن عمي ان استلبه قال
حذيفة فقال النبي صلى الله عليه وآله ابشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد
لرجح عملك بعملهم وذلك انه لم يبق بيت من بيوت المشركين الا وقد دخله وهن بقتل عمرو
ولم يبق بيت من بيوت المسلمين الا وقد دخله عز بقتل عمرو وعن الحاكم ابو القسم
ايضا بالاسناد عن سفيان الثوري عن زبيد اليامي عن مرة عن عبد الله بن مسعود
قال كان يقرأ وكفى الله المومنين القتال بعلي وخرج اصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم

الخندق ويقادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق فجعلوا يرمونه
بالحجاره فقال لهم قتله احمل من هذه ينزل بعضكم اقاتله فقتله الزبير بن العوام و ذكر
ابن اسحاق ان عليا طعنه فى ترقوته حتى ظهر طلعها من مراقه فمات فى الخندق وبعث
المشركون الى رسول الله يشترون جيفته بعشرة الف فقال النبى صلى الله عليه وآله هو لكم
لا ناكل ثمن الموتى وذكر على ابيات منها نصر الحجارة من سفاهة رايه ونصرت رب محمد
بصواب فضربته وتركته متجدلا كالجذع بين دكادك وروابى وعففت عن اثوابه
ولو اننى كنت المقطر بزنى اثوابى وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى قال ان عليا لما قتل
عمرو بن عبد ود حمل راسه فالقاه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله مقام ابو بكر
وعمر فقبلا راس على وروى عن ابى بكر بن عياش انه قال لقد ضرب على ضربة ما كان فى
الاسلام ضربة اعز منها يعنى ضربة عمرو بن عبد ود وضرب على ضربة ما كان فى الاسلام
ضربة اشام منها يعنى ضربة ابن ملجم قال ابن اسحاق ورمى حبان بن قيس بن العرقة سعد بن
معاذ بسهم وقال خذها وانا ابن العرقة فقطع اكحله فقال سعد عرق الله وجهك فى النار
اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقنى لها فانه لا قوم احب الى ان اجاهد من قوم
اذوا رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة
ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريضه قال وجاء نعيم بن مسعود الاشجعى الى رسول الله
صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله انى قد اسلمت ولم يعلم بى احد من قومى فامرنى بامرك
فقال رسول الله عليه وآله السلام انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب
خدعه فانطلق نعيم بن مسعود حتى اتى بنو قريظه فقال لهم انى صديق لكم والله اما انتم
فى قريش وعطفان من محمد بمنزلة واحدة ان البلد بلدكم وبه اموالكم وابناءكم ونساءكم
واما قريش وعطفان بلادهم غيرها وانما جاؤا حتى ينزلوا معكم فان راوا فرصة انتهزوها
وان راو غير ذلك رجعوا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى
تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم تستوثقون به ان لا يرجعوا حتى يناجزوا محمد فقالوا والله
قد اشرت براى ثم ذهب فاتى ابا سفيان واشراف قريش فقال يا معشر قريش انكم قد عرفتم

ودى اياكم وفراقى محمدا ودينه وانى قد جئتكم بنصيحة فاكتموا على قالوا نفعل ما انت
عندنا بمتهم فقال تعلمون ان بنى قريضه قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد
فبعثوا اليه انه لا يرضيك عنا الا ان تاخذ من القوم رهنا من اشرافهم وندفعهم
اليك فتضرب اعناقهم ثم نكون معك عليهم حتى تخرجهم من بلادك فقالوا بلى
فان بعثوا اليكم يسالونكم احدا من رجالكم فلا تعطوهم رجلا واحدا واحذروا
ثم جاء عطفان فقال يا معشر عطفان انى رجل منكم ثم قال لهم ما قال لقريش فلما اصبح
ابو سفيان وذلك قال يوم من شوال سنة خمس من الهجرة بعث اليهم ابو سفيان عكرمه
بن ابى جهل فى نفر من قريش ان ابا سفيان يقول لكم يا معشر اليهود ان الكراع
والخف قد هلكا وانا لسنا بدار مقام فاخرجوا الى محمد حتى نناجزه فبعثوا
اليه ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذى
نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا ولا تدعونا
حتى نناجز محمد فقال ابو سفيان والله قد حذرنا هذا نعيم فبعث اليهم
ابو سفيان انا لا نعطيكم رجلا واحدا فان شئتم ان تخرجوا وتقاتلوا وان
شئتم فاقعدوا فقالت اليهود هذا والله الذى قال لنا نعيم فبعثوا اليهم
انا لا نقاتل حتى تعطونا رهنا وخذل الله بينهم وبعث الله تعالى عليهم الريح
فى ليال شاتية شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين قال محمد بن كعب
قال حذيفة بن اليمان والله لقد رايتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والخوف
والجوع ما لا يعلمه الا الله وقام رسول الله عليه وآله السلام فصلى ما شاء الله
من الله ثم قال الا رجل ياتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقى فى الجنة قال حذيفه
فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم احد دعانى
فلم اجد بدا من اجابته قلت لبيك فقال اذهب فجئ بخبر القوم ولا تحدث
شيئا حتى ترجع قال فاتيت القوم اذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل ما تستقر
لهم بناء ولا يثبت لهم نار ولا يطمئن لهم قدر فانى كذلك اذا خرج ابو سفيان من رحله

ثم قال يا معشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال حذيفة فبدأت بالذي عن يميني
فقلت من انت قال انا فلان قال ثم دعا ابو سفيان راحلته فقال يا معشر قريش
والله ما انتم بدار مقام هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظه وهذه الريح
لا يستمسك لنا معها شيء ثم عجل فركب راحلته وانها المعقولة ما حل عقالها
الا بعد ما ركبها قال فقلت في نفسي لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت
شيئا فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وانا اريد ان ارميه فاقتله فذكرت
قول رسول الله لا تحدثن شيئا حتى ترجع فحططت القوس ثم رجعت الى رسول
الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي فلما سمع حسي فرج بين رجليه فدخلت تحته وارسل
علي طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال ما الخبر فاخبرته وروى الحافظ بالاسناد
عن عبد الله بن اوفى قال دعا رسول الله عليه السلام على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب
سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب
وحده فلا شيء بعده وعن سليمان ابن صرد قال قال رسول الله عليه وآله السلام
حين اجلى عنه الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزونا فكان كما قال النبي صلى الله عليه وآله
فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكة قوله عز وجل
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ
إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ
أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا
اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ
مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ

المعوقين

الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ
فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ
فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ
الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا
فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا عشر آيات القراءة قرأ حفص لا مقام لكم بضم الميم والباقون
بفتحها وقرأ اهل الحجاز لاتوها بغير مد والباقون لآتوها بالمد وقرأ يعقوب
تساءلون بالتشديد والمد والباقون تسئلون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة ابن عباس
وابن يعمر وقتاده ان بيوتنا عورة وما هي بعورة بكسر الواو في الموضعين وقراءة
الحسن ثم سولوا الفتنة مرفوعة السين ولا يجعل فيها ياء ولا يمدها وقرأ ابن عباس
لو انهم بدى في الاعراب الحجة قال ابو علي المقام يحتمل امرين احدهما الموضع اقامة لكم وهذا
اشبه لانه في معنى لا مقام بفتح الميم اي ليس لكم موضع تقيمون فيه والاخر لا اقامة لكم ومن قصر
قوله لاتوها فلانك تقول اتيت الشيء اذا فعلته تقول اتيت الخير وتركت الشر ومعنى ثم سئلوا
الفتنة لاتوها سئلوا فعل الفتنة لفعلوها ومن قرأ لآتوها فالمعنى لاعطوها اي لم يمتنعوا
منها والمعنى لو قيل لهم كونوا على المسلمين مع المشركين لفعلوا ذلك ومن قرأ يساءلون فانه
يتساءلون اي يسأل بعضهم بعضا فادغم التاء في السين ومن قرأ عورة بكسر الواو
فانه شاذ من طريق الاستعمال وذلك لتحرك الواو وبعد الفتحة والقياس ان يقول
عارة كما قالوا رجل مال وامراة مالة وكبش صاف ونعجة صافة ومثل عورة في صحة
الواو قولهم رجل عور لا مال له وقول الاعشى وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاو
ومثل نشول شلشل شبول قوله قولهم مسئولا من قولهم سال يسال ان يقال سئلوا كقيل واو
واللغة الاخرى اشمام الضمة نحو سئلوا واللغة الثالثة سولوا على اخلاص ضمة فعل
الا انه ازداد اللغات قال الشاعر شعر وقولا اهل له ولا مال اي وقيل وقال الاخر
نوط الى صلب شديد الحل اي نيط وقوله بدى جمع باد فهو مثل غاز وغزى اللغة يقال هنا

للقريب من المكان وهناك للبعيد وهناك للوسط بين القريب والبعيد وسبيله سبيل ذا وذلك وذاك والزلزال الاضطراب العظيم والزلزلة اضطراب الارض وقيل انه مضاعف زل وزلزلة غيره والشدة قوة تدرك بالحاسة لان القوة التي هي القدرة لاتدرك بالحاسة وانما يعلم بالدلالة فلذلك يوصف تعالى بانه قوى ولا يوصف بانه شديد والغرور ايهام المحبوب بالمكروه والغرور الشيطان قال الحارث بن حلزه شعر لم يغروكم غرورا ولكن ٭ دفع الال جمعهم والضحاء ٭ ويثرب اسم ارض المدينه قال ابو عبيده ان مدينه الرسول صلى الله عليه وآله في ناحية من ارض يثرب وقيل يثرب هي المدينه بنفسها وذكر المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ان من اسماء المدينه يثرب وطيبه وطايب والطابة والدار والمسكينه وجابره والمجبوره والمحبة والمحبوبة والعذرا والمرجومة والقاصمة ويندد فلذلك ثلثة عشر اسما والعورة كل شيء يتخوف منه في ثغر وحرب ومكان معمور ودار معمورة اذا لم يكن حرزه القطر الناحية والجانب وجمعه الاقطار يقال طعنه فقطره اذا القاه على احد قطريه اي على احد شقيه والتعويق التثبيط والعوق الصرف ورجل عوق وعوقه يعوق الناس عن الخير والشر والحرب واصله الشدة والاشحه جمع شحيح والشح البخل مع حرص يقال شح يشح ويشح بضم الشين وفتحها والسلق اصله الصرت وسلق اي صاح ومنه خطيب مسلق ومسلق وفصيح وسلقته بالكلام اسمعته المكروه وفي الحديث ليس منا من سلق اي صاح او حلق او دفع صوته عند المصيبة وقيل هو ان يصك وجهها ومعنى حلق اي يحلق راسها وشعره عند المصيبة والحديد ضد الكليل والجمع حداد والاحزاب الجماعات واحدها حزب وتحزبوا اي تجمعوا من مواضع والبادي الذي ينزل البادية ومنه الحديث من بدا جفا اي نزل البادية كان فيه جفوة الاعراب والعداوة الخروج الى البادية بفتح الباء وكسرها قال القطامي شعر ومن تكن الحضارة اعجبته ٭ فاي اناس بادية ترانا ٭ الاعراب الضمير في دخلت عائد الى البيوت الايسير تقديره الاتلبثا يسيرا او زمانا يسيرا فهو صفة ظرف او زمان محذوف واذا لا يمتعون لم يعمل اذن

لوقوعه

لوقوعه بين الواو والفعل وقد اعملت بعد ان في قول الشاعر شعر لا تتركني فيهم شطيرا انى اذن اهلك او اطيرا ٭ ولا ياتون جملة معطوفة على صلة الموصول اي الذي يعوقون ولا ياتون وقوله الا قليلا تقديره الا زمانا قليلا وان شئت الا اتيانا قليلا اشحة منصوب على الحال في الموضعين وقيل هي نصب على الذم كالذي يغشى عليه من الموت اي تدور اعينهم دورانا مثل دوران عين الذي يغشى عليه من الموت فالكاف صفة مصدر محذوف قد حذف بعد الكاف المضاف والمضاف اليه هلم معناه اقبل وتعال واهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث هلم بلفظ واحد وانما هي لم ضمت اليها هاء التي للتنبية ثم حذفت الالف من هاء اذا صارا شيء واحد كقولهم ويلمه واصله ويل لامه فلما جعلوهما شيئا واحدا حذفوا وغيروا اما بنو تميم فصرفوا به تصريف الفعل يقولون هلم يا رجل وهلما وهلموا وهلمي يا امراة هلما وهلممن يا نساء الا انهم يفتحون اخر الواحد البنة المعنى لما وصف تعالى شدة الامر يوم الخندق قال هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا اي اختبروا وامتحنوا يظهر بذلك حسن ايمانهم وصبرهم على ما امرهم الله به من جهاد اعدايه فظهر من كان ثابتا قويا في الايمان ومن كان ضعيفا فيه وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا بالخوف تحريكا شديدا وانزعجوا ازعاجا عظيما وذلك ان الخائف يكون قلقا مضطربا لا يستقر على مكانه قال الجبائي منهم من اضطرب نفسه فا على نفسه من القتل ومنهم من اضطرب عليه دينه واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض اي شك عن الحسن وقيل ضعف في الايمان ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ابن عباس ان المنافقين قالوا يعدنا محمد ان يفتح مداين كسرى وقيصر ونحن لا نامن ان يذهب الى الخلاء هذا والله الغرور واذ قالت طائفة منهم يعني عبد الله بن ابي واصحابه عن السدي وقيل بنو سالم من المنافقين عن مقاتل وقيل ان القايل لذلك اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه عن زيد بن رومان يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا اي لا اقامة لكم ههنا ولا مكان لكم تقومون فيه للقتال

اذا فتح لهم فارجعوا الى منازلكم بالمدينه وارادوا الهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله
ويستاذن فريق منهم النبي في الرجوع الى المدينه وهم بنو حارثه وبنو سلمه يقولون ان بيوتنا
عورة ليست بحريزة مكشوفة ليست بحصينة عن ابن عباس و مجاهد وقيل قالوا بيوتنا
مما يلي العدو ولا نامن على اهلينا عن قتاده فكذبهم الله تعالى فقال وما هي بعورة بل رفيعة
السمك حصينة عن الصادق عليه السلام ان يريدون الا فرارا اى ما يريدون الا الفرار وهربا من
القتال و نصرة المومنين ولو دخلت عليهم من اقطارها اى لو دخل هولاء الذين
يريدون القتال وهم الاحزاب على الذين يقولون ان بيوتنا عورة وهم المنافقون
من اقطارها اى من نواحي المدينه او البيوت ثم سئلوا الفتنه لاتوها اى ثم دعوا
هولاء الى الشرك لاشركوا فالمراد بالفتنه الشرك عن ابن عباس وما تلبثوا بها الا يسيرا
اى وما احتبسوا عن الاجابة الى الشرك الا يسيرا قليلا عن قتاده وقيل معناه وما اقاموا
بالمدينه بعد اعطايهم الكفر الا قليلا حتى يعاجلهم الله بالعذاب عن الحسن والفراء ثم ذكرهم
الله تعالى عهدهم مع النبي عليه وآله السلام بالثبات في المواطن فقال ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل اى من قبل الخندق لا يولون الادبار اى بايعوا النبي وحلفوا
له انهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم ولا يرجعون عن مقاتلة
العدو ولا ينهزمون قال مقاتل يريد ليلة العقبه وكان عهد الله مسئولا
يسالون عنه في الاخرة وانما جاء بلفظ الماضي تاكيدا ثم قال تعالى يا محمد قل الذين
استاذنوك في الرجوع واعتلوا بان بيوتهم يخاف عليها لن ينفعكم الفرار
ان فررتم من الموت او القتل ان كان حضر اجالكم فانه لابد من واحد
منهما وان هربتم فالهرب لا يزيد في اجالكم واذا لا تمتعون الا قليلا معناه وان لم
تحضر اجالكم وسلمتم من الموت او القتل في هذه الموقعة لم تمتعوا في الدنيا
الا ايام قلايل وانما فرق بين الموت والقتل لان القتل غير الموت فان الموت
ضد الحيوة عند من اثبته معنى وانتفاء الحيوة عند من لم يثبته معنى و
القتل هو نقض البنية الحيوانية فالقتل يقدر عليه غير الله والموت لا يقدر

عليه غيره

عليه غيره قل يا محمد من ذا الذي يعصمكم من الله اى يدفع عنكم قضاء الله
ويمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا اى عذابا وعقوبة او اراد بكم رحمة اى نصرا وعزا
فان احدا لا يقدر على ذلك ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امورهم ولا ناصرا
ينصرهم ويدفع عنهم ثم قال تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم وهم الذين يعوقون
غيرهم عن الجهاد مع رسوله ويثبطونهم ويشغلونهم لينصرفوا عنه وذلك
انهم قالوا ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان
وهولاء الاحزاب والقائلين لاخوانهم يعني اليهود قالوا لاخوانهم من ضعفة المسلمين
لا تحاربوا وخلوا محمدا فانا نخاف عليكم الهلاك ولا ياتون البأس اى ولا يحضرون
القتال في سبيل الله الا قليلا يخرجون رياء وسمعة قدر ما يوهمون انهم معكم
يعلم الله تعالى احوالهم لا يخفى عليه شيء منها عن السدي وقيل معناه ولا يحضرون
القتال الا كارهون يكون قلوبهم مع المشركين عن قتاده اشحة عليكم اى ياتون
الناس شحة عليكم اى بخلاء بالقتال معكم وقيل بخلاء بنفقه في سبيل الله
والنصرة عن قتاده ومجاهد ومعناه لا ينصرونكم ثم اخبر عن جبنهم فقال
واذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت
وهو الذي قرب من حالة الموت وغشيته اسبابه فيذهل ويذهب عقله ويشخص
بصره فلا يطرف كذلك هولاء تشخص ابصارهم وتحار اعينهم من شدة الخوف
فاذا ذهب الخوف والفزع وجاء الامن والغنيمة سلقوكم بالسنة حداد اى اذوكم
بالكلام وخاصموكم بالسنة سليطة ذربة عن الفراء وقيل معناه بسطوا السنتهم
فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا اعطونا فلستم احق بها منا عن قتاده
قال فاما عند الباس فاجبن قوم واخذله للحق واما عند الغنيمة فاشح قوم وهو
قوله اشحة على الخير اى بخلاء بالغنيمة يشاحون المومنين عند القسمة وقيل معناه
بخلاء ان يتكلموا بكلام فيه خير عن الجبائي اولئك يعني من تقدم وصفهم لم يومنوا
كما امن غيرهم والا لما فعلوا ذلك فاحبط الله اعمالهم لانها لم تقع على الوجوه الذي

يستحق عليها الثواب اذ لم يقصدوا بها وجه الله تعا وفي هذا دلالة على صحة
مذهبنا في الاحباط لان المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط فليس الا ان جهادهم الذي
لم يقارنه ايمان لم يستحقوا عليه ثوابا وكان ذلك الاحباط او كان نفاقهم على الله
يسيرا هينا ثم وصف الله تعا هولاء المنافقين فقال يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
اي يظنون ان الجماعات من قريش وعطفان واسد واليهود الذي تحزبوا على رسول
الله م لم ينصرفوا وقد انصرفوا وانما ظنوا ذلك بجبنهم وفرط جبهم قهر المسلمين
وان يات الاحزاب اي وان يرجع الاحزاب اليهم مرة ثانية للقتال تودوا لو انهم
بادون في الاعراب يسالون عن انبائكم اي يودوا هولاء المنافقين ان يكونوا في البادية
مع الاعراب يسالون عن اخباركم ولا يكونوا معكم حذرا من القتل وتربصا للدوائر
ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا اي ولو كان هولاء المنافقون معكم وفيكم لم يقاتلوا
معكم الا قدرا يسيرا ليوهموا انهم في جملتكم لا لينصروكم ويجاهدوا معكم وقيل معناه
قتالا قليلا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان الله تعالى لم يكن قليلا عن الجبائي
ومقاتل قوله عز وجل لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى
اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا خمس آيات القراة قرا عاصم اسوة بضم
الالف حيث كان في جميع القران والباقون بكسر الالف وهما لغتان ومعناها قدوة اللغة
النذر قال بشر ابن حازم ٭ واني والهجاء لال لام ٭ كذات النحب توفي بالنذور ٭ والنحب الموت
كما قال ذو الرمة ٭ عشية مر الحارثون بعد ما قضى نحبه في ملتقا الخيل هوبر ٭ وهوبر اسم رجل
والنحب الخطر قال جرير ٭ بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرين على نحب اي على خطر

والنحب المد في السير يوما وليله المعنى ثم حث تعا على الجهاد والصبر عليه فقال لقد كان لكم
معاشر المكلفين في رسول الله اسوة حسنة اي قدوة صالحة يقال لي بفلان اسوة اي لي به
اقتداء فالاسوة من الائتساء كما ان القدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر والمعنى
كان لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في نصرته والصبر معه في مواطن القتال كما فعل
هو يوم احد اذ كسرت رباعيته وشج حاجبه وقتل عمه فواساكم مع ذلك بنفسه فهلا فعلتم
مثل ما فعله هو وقوله لمن كان يرجوا الله بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد العموم للمؤمنين
يعني ان الاسوة برسول الله انما كان لمن يرجوا الله اي يرجوا ما عند الله من الثواب والنعيم
عن ابن عباس وقيل معناه يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الاعمال وهو قوله واليوم
الاخر عن مقاتل وذكر الله كثيرا اي ذكرا كثيرا وذلك ان ذاكر الله متبع لاوامره بخلاف الغافل
عن ذكره ثم عاد تعا الى ذكر الاحزاب فقال ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله اي فلما عاين المصدقون بالله ورسوله الجماعة تحزبت على
قتال النبي عليه وآله السلام وكان قد اخبرهم انه يتظاهر عليه الاحزاب ويقاتلونهم ووعدهم
الظفر بهم فلما راوهم تبين لهم مصداق قوله وكان ذلك معجزا له وما زادهم مشاهدة عدوهم
الا ايمانا اي تصديقا بالله ورسوله وتسليما لامره عن الجبائي والاخران الله تعا وعدهم
في سورة البقرة بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله
ان نصر الله قريب ما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوهم فلما راوا الخندق
قالوا هذه المقالة منهم انه لا يصيبهم الا ما اصاب الانبياء والمومنين قبلهم وزادهم
كثرة المشركين تصديقا ويقينا وثباتا في الحرب عن قتاده وغيره من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي بايعوا ان لا يفروا فصدقوا في لقائهم العدو
فمنهم من قضى نحبه معناه فرغ من عمله ورجع الى ربه يعني من استشهد يوم احد
عن محمد بن اسحاق وقيل معناه قضى اجله على الوفاء والصدق عن الحسن وقال ابن قتيبه
اصل النحب النذر وكان قوما نذروا ان يلقوا العدو وان يقاتلوا حتى يقتلوا او يفتح الله
فقتلوا فقيل فلان قضى نحبه اذا قتل وروى عن انس بن مالك ان عمه غاب عن قتال بدر

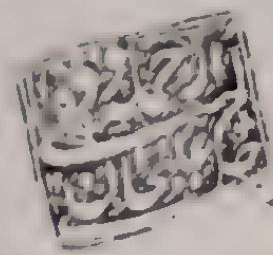
فقال غيبت عن اول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وآله مع المشركين لان اراني الله قتالا
للمشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال اللهم اني اعتذر
اليك مما صنع هولاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هولاء يعني المشركين ثم تقدم
فلقيه سعد دون احد فقال انا معك قال سعد فلم استطع ان اصنع ما صنع فوجد فيه
بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم فكنا نقول فيه وفي اصحابه
نزلت فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن سعيد
الخزاعي عن عبد الله الاعلى عن حميد عن انس وقال ابن اسحاق فمنهم من قضى نحبه ممن استشهد
يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصره او شهادة على ما مضى عليه اصحابه
وما بدلوا تبديلا اي ما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غير المنافقون وقال ابن عباس
ممن قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه وانس بن النضير واصحابه وقال الكلبي
ما بدلوا العهد بالصبر ولا نكثوه بالفرار وروى الحاكم ابو القسم الحسكاني بالاسناد
عن عمرو بن ثابت عن ابي اسحاق عن علي عليه السلم قال فينا نزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من ينتظر فانا والله المنتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم
اي صدق المومنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم ويعذب المنافقين بنقض العهد
ان شاء او يتوب عليهم ان تابوا ويكون معناه انه تعالى ان شاء قبل توبتهم فاسقط عقابهم
وان شاء لم يقبل توبتهم وعذبهم فان اسقاط العقاب على المذهب الصحيح بالتوبة تفضل من الله
تعالى لا يجب عقلا وانما علمنا ذلك بالسمع والاجماع على ان الله تعالى يفعل ذلك بالاية قاضية
بما يقتضيه العقل من الحكم ويوكد ذلك قوله ان الله كان غفورا رحيما لان المدح انما يحصل
اذا رحم تعالى من يستحق العقاب بغفر ما جاز له المواخذة به ولا مدح في مغفرة ورحمة
من يجب عليه غفرانه ورحمته وقيل ان معناه ويعذب المنافقين بعذاب عاجل في الدنيا
ان شاء او يتوبوا عن الجنايات ثم عاد تعالى الى تعداد نعمه فقال ورد الله الذين كفروا يعني
الاحزاب ابا سفيان وجنوده وغطفان ومن معهم من قبائل العرب بغيظهم اي بغمهم الذي
جاوا به على الاحزاب بحنقهم لم يشتفوا بنيلها ارادوا لم ينالوا خيرا املوه وارادوه من الظفر

بالنبي

بالنبي وبالمومنين وانما سماه خيرا لان ذلك كان خيرا عندهم وقيل اراد بالخير المال
كما في قوله وانه لحب الخير لشديد وكفى الله المومنين القتال اي مباشرة القتال
بما انزل الله على المشركين من الريح الشديدة الباردة التي ازعجتهم عن اماكنهم وبما
ارسل من الملائكة وبما قذف في قلوبهم من الرعب وقيل بعلي بن ابي طالب وقتله عمرو بن
عبد ود وكان ذلك سبب هزيمة القوم روى عبد الله بن مسعود وهو المروي
عن ابي عبد الله عليه السلم وكان الله قويا اي قادرا على ما يشاء عزيزا لا يمتنع عليه شيء من
الاشياء وقيل قويا في ملكه وسلطانه عزيزا في قهره وانتقامه قوله عز وجل وانزل الذين
ظَاهَرُوهُم مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ
اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا آيتان اللغة المظاهرة المعاونة وهي زيادة القوة بان يكون
المعاون ظهرا لصاحبه في الدفع عنه والظهير المعين والصياصي الحصون التي يمتنع
بها واحدتها صيصة فلان اي حصنه الذي يمتنع به وكل ما امتنع به فهو صيصة
ومنه يقال لقرون الظباء والبقر صياصي ويقال ايضا لشوكة الديك وشوكة الحائك
صيصة قال كوقع الصياصي في النسيج الممدد المعنى ثم ذكر تعالى ما فعل باليهود من بني
قريظة فقال وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا المشركين من الاحزاب نقضوا العهد
الذي بينهم وبين رسول الله ان لا ينصروا عليه عدوا من اهل الكتاب يعني من اليهود
واتفق المفسرون على انهم بنو قريظة الا الحسن فانه قال هم بنو النضير والاول اصح والحق
بسياق الايات لان بنو النضير لم يكن لهم في قتال اهل الاحزاب شيء وكانوا قد انجلوا
قبل ذلك من صياصيهم اي من حصونهم وقذف في قلوبهم الرعب اي القى في قلوبهم
الخوف من النبي واصحابه المومنين فريقا تقتلون منهم يعني الرجال وتاسرون فريقا
يعني الذراري والنساء واورثكم اي اعطاكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا
لم تطئوها اي واورثكم ارضا لم تطئوها باقدامكم بعد وسيفتحها الله عليكم وهي خيبر
فتحها الله عليهم بعد بني قريظة عن ابن زيد ويزيد بن رومان ومقاتل و

وقيل هي مكه عن قتاده وقيل هي الروم وفارس عن الحسن وقيل هي كل ارض
تفتح الى يوم القيمة عن عكرمه وقيل هي ما افاء الله على رسوله مما لم
يوجف عليه من خيل ولا ركاب عن ابن مسلم وكان الله على كل شيء قديرا
ظاهر المعنى غزوه بني قريظه روى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله
بن كعب بن مالك عن ابيه قال لما انصرف النبي عليه السلام مع المسلمين عن الخندق
وضع عنه اللامة واغتسل واستحم فبدا له جبرئيل فقال الله عذيرك
من محارب الا اراك قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد فوثب
رسول الله عليه وآله السلام فزعا فعزم على الناس ان لا تصلوا صلوة
العصر حتى تاتوا قريظه فلبس الناس السلاح فلم ياتوا بني قريظه حتى غربت
الشمس واختصم الناس فقال بعضهم ان رسول الله قد عزم علينا ان لا نصلي
حتى نات قريظه فانما نحن في عزمة رسول الله عليه السلام فليس علينا اثم
وصلى طايفه من الناس احتسابا وتركت طايفة منهم الصلوة حتى غربت
الشمس فصلوها حين جاؤا بني قريظه احتسابا فلم يعنف رسول الله واحدا
من الفريقين وذكر عروه انه بعث علي بن ابي طالب على المقدمة ودفع اليه
اللواء فامره ان ينطلق حتى يقف بهم على حصن بني قريظه ففعل وخرج رسول
الله على اثارهم فمر على مجلس من الانصار في بني غنم ينتظرون رسول الله
صلى الله عليه وآله وفيهم دحية الكلبي وليس ذلك دحية الكلبي ولكنه جبرئيل
ارسل الى بني قريظه ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب قال وسار علي عليه السلام
حتى اذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله فرجع حتى لقي
رسول الله صلى الله عليه وآله بالطريق وقال يا رسول الله لا عليك ان لا
تدنوا من هولاء الاخابث قال اظنك سمعت منهم اذى قال نعم يا رسول الله
فقال لو راوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله عليه وآله السلام
من حصونهم قال يا اخوة القردة والخنازير هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته

فقالوا



٢٥٤

فقالوا يا ابا القسم ما كنت جهولا وحاصرهم رسول الله عليه وآله السلام
خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب
وكان حيي بن اخطب دخل مع بني قريظه في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان
فلما ايقنوا ان رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد
يا معشر اليهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم احوالا ثلثة
فخذوا ايها شئتم قالوا وما هو قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين
لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على دمائكم واموالكم
ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التورية ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا
ابيتم عن هذا فهلموا فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد رجالا مصلتين
بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا بيننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك
نهلك وان نظهر لنجدن النساء والابناء فقالوا نقتل هولاء المساكين فما خير
العيش بعدهم قال فاذا ابيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وعسى ان يكون
محمد واصحابه قد امنوا فيها فلعلنا نصيب منهم غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث
فيها ما احدث من كان قبلنا فاصابهم ما قد علمت من المسخ فقال ما بات رجل
منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما قال الزهري قال رسول الله
صلى الله عليه وآله حين سالوه ان يحكم فيهم رجلا اختاروا من شئتم من اصحابي
فاختاروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلوا على حكم
سعد بن معاذ فامر رسول الله صلى الله عليه وآله بسلاحهم فجعل في قبته وامر بهم
فكتفوا واوثقوا وجعلوا في دار اسامه بن زيد وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله
الى سعد بن معاذ فجيء به فحكم فيهم بان يقتل مقاتليهم ويسبى ذراريهم ونساؤهم
وتغنم اموالهم وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال للانصار انكم ذوو
عقار وليس للمهاجرين عقار فكبر رسول الله عليه وآله السلام وقال لسعد لقد حكمت فيهم
بحكم الله عز وجل وفي بعض الروايات لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع ارقعة

وارتفعت جمع رقع اسم سماء الدنيا فقيل رسول الله صلى الله عليه وآله مقاتليهم وكانوا
ستماية وقيل قتل منهم اربعماية وخمسين رجلا وسبى سبعماية وخمسون وروى انهم
قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله عليه وآله السلام ارسالا
يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال كعب في كل موطن يقولون اما ترون الداعي لا ينزع
ومن يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل واتى بحيى عدو الله وعليه حلة فاختيه
قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه
بحبل فلما ابصر برسول الله عليه وآله السلام قال اما والله ما لمت نفسى
على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس انه لا باس
بامر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه
ثم قسم رسول الله عليه السلام نساءهم وابناءهم واموالهم على المسلمين وبعث
سبايا منهم الى نجد مع سعد بن زيد الانصارى فابتاع بهم خيلا وسلاحا
قال فلما انقضى شان بني قريظه انفجر جرح سعد بن معاذ الانصارى فرجعه
رسول الله صلى الله عليه وآله الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد وروى عن جابر
بن عبد الله قال جاء جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال من هذا العبد
الصالح الذى مات فتحت له ابواب السماء وتحرك له العرش فخرج رسول الله
صلى الله عليه وآله فاذا سعد بن معاذ قد قبض قوله عز وجل يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ
وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ
فَإِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ
بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا
وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا
لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا اربع آيات القراة قرا ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون والتشديد
العذاب بالنصب وقرا ابو جعفر واهل البصرة يضعف بالياء والتشديد العذاب بالرفع

والباقون

والباقون يضاعف بالياء والالف وفتح العين وقرا اهل الكوفة غير عاصم ومن يقنت
ومن يعمل صالحا يؤتها الجميع بالياء وقرا روح وزيد بن ثابت ومن تقنت وتعمل صالحا
كلها بالتاء ونؤتها بالنون والباقون من ذات ومن تقنت وتعمل صالحا بالتاء
نؤتها بالنون الحجة قال ابو علي ضاعف وضعف بمعنى فمن لم يسم الفاعل اسند الفعل
الى العذاب ومن قراء بكسر العين فالفعل مسند الى ضمير اسم الله تعالى ومعنى يضاعف
لها العذاب ضعفين انها لما تشاهد من الزواجر الرادعة عن مواقعة الذنوب
ينبغي ان تمتنع منها اكثر مما يمتنع من لا يشاهد ذلك قال يضاعف لها العذاب
فعاد الضمير على معنى من دون لفظه ولو عاد على لفظه لذكره ومن قرا يقنت
بالياء فلان الفعل مسند الى ضمير من ولم يتبين فاعل الفعل بعد فلما ذكر ما دل
على ان الفعل المؤنث حمل على المعنى فانث وكذلك قوله ومن آمن بالله ثم قال فلا خوف
عليهم ومن قرا كل ذلك بالياء فانه حمل على اللفظ دون المعنى ومن قرا من تات
بالتاء دون المعنى فكانه قال اية امراة منكن اتت بفاحشة او تات بفاحشة ومثله
في الكلام كثير للسان كقوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك وقول الفرزدق
نعش فان عاهدتني لا تخونني ۝ نكن مثل من ذيب يصطحبان ۝ اي مثل اللذين يصطحبان
قال ابن جني ان يكون من هنا على الصلة اولى من ان يكون على الصفة اللغة الضعف
مثل الشيء الذي يضم اليه يقال ضاعفته اي زدته عليه مثله ومنه الضعف وهو
نقصان القوة بان يذهب احد ضعفيها فهو ذهاب ضعف القوة النزول قال المفسرون
ان ازواج النبي عليه السلام سالنه شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة
وآذينه لغيرة بعضهن على بعض فالى رسول الله منهن شهرا فنزلت اية التخيير وهي قوله
قل لازواجك وكن يومئذ تسعا عايشه وحفصه وام حبيبه بنت ابي سفيان وسوده
بنت زمعه وام سلمه بنت اميه فهولاء من قريش وصفيه بنت حيى الخيبريه وميمونه بنت
الحرث الهلاليه وزينب بنت جحش الاسديه وجويريه بنت الحرث الهلاليه وروى
الواحدي بالاسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان النبي عليه السلام

جائت ام حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك ان اجعل بيني و بينك رجلا قالت نعم فارسل الى عمر فلما دخل عليهما قال لها تكلمي فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقول الا حقا فرفع عمر يده فوجا وجهها فقال له النبي عليه و آله السلام كف فقال عمر يا عدوة الله النبي لا يقول الا حقا والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموت فقام النبي عليه السلام فصعد غرفة ام ابراهيم فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغذى و يتعشى فيها فانزل الله تعالى هذه الاية المعنى ثم عاد تعالى ذكره الى نساء النبي عليه السلام فقال مخاطبا لنبيه عليه السلام امرا له ان يخبر ازواجه يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا و زينتها اي سعة العيش في الدنيا وكثرة المال فتعالين امتعكن اي اعطكن متعة الطلاق وقد مضى بيانها في سورة البقرة وقيل امتعكن بتوفير المهر و اسرحكن اي اطلقكن سراحا جميلا والسراح الجميل الطلاق من غير خصومة ولا مشاجرة بين الزوجين وان كنتن تردن الله و رسوله والدار الاخرة اي وان تردن طاعة الله و رسوله والدار الاخرة والصبر على ضيق العيش والمحسنة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما اي العارفات المريدات الاحسان الطايعات له منكن اجرا عظيما واختلف في هذا التخيير فقيل انه خيرهن بين الدنيا والاخرة فان هن اخترن الدنيا ومحبتها استانف حينئذ طلاقهن بقوله امتعكن و اسرحكن عن الحسن وقيل خيرهن بين الطلاق والمقام معه عن مجاهد والشعبي وجماعة من المفسرين واختلف العلماء في حكم التخيير على اقوال احدها ان الرجل اذا خير امراته فاختارت زوجها فلا شيء وان اختارت نفسها تقع تطليقة واحدة وهو قول عمر ابن الخطاب وابن مسعود واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه وثانيها انها اذا اختارت نفسها تقع ثلث طلقات وان اختارت زوجها تقع واحدة وهو قول زيد بن ثابت واليه ذهب مالك وثالثها انه ان نوى الطلاق كان طلاقا والا فلا وهو مذهب الشافعي ورابعها انه لا يقع بالتخيير طلاق وانما كان ذلك للنبي خاصة ولو انهن اخترن في انفسهن لما خيرهن لبنّ منه فاما غيره لا يجوز له ذلك وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام ثم خاطب تعالى نساء النبي فقال يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة اي بمعصية

ظاهرة يضاعف لها العذاب في الاخرة ضعفين اي مثلي ما يكون على غيرهن وذلك لان نعم الله تعالى عليهن اكثر لمكان النبي عليه السلام منهن ولنزول الوحي في بيوتهن فاذا كانت النعمة عليهن اعظم واوفر كانت المعصية منهن افحش والعقوبة بها اعظم واكثر وقال ابو عبيدة الضعفان ان يجعل الواحد ثلثة فيكون عليهن ثلثة حدود لان ضعف الواحد مثله وضعف الشيء مثلاه وقال غيره المراد بالضعف المثل في المعنى انها يزاد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله نؤتها اجرها مرتين وكان ذلك على الله يسيرا اي كان عذابها على الله هينا عن مقاتل ومن يقنت منكن لله و رسوله اي ومن يطع الله و رسوله والقنوت الطاعة وقيل معناه من يواظب منكن على الطاعة لله ولرسوله ومنه القنوت في الصلوة وهو المداومة على الدعاء المعروف وتعمل صالحا فيما بينها و بين ربها نؤتها اجرها مرتين اي نعطها ثوابها مثلي ثواب غيرها وروى ابو حمزة الثمالي عن زيد بن علي عليه السلام انه قال اني لارجوا للمحسن منا اجرين واخاف على المسيء منا ان يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد ازواج النبي عليه السلام وروى محمد بن ابي عمير عن ابراهيم بن عبد الحميد عن علي بن عبد الله بن الحسين عن ابيه عن علي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام انه قال له رجل انكم اهل بيت مغفور لكم قال فغضب وقال نحن احرى ان يجري فينا ما اجرى الله في ازواج النبي عليه السلام من ان يكون كما يقول انا نرى لمحسننا ضعفين من الاجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الايتين واعتدنا لها رزقا كريما اي عظيم القدر رفيع الخطر وقيل ان الرزق الكريم ما سلم من كل افة وقيل هو الثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله قوله عز وجل يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا اربع آيات القراة قرا
اهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف والباقون وهبيرة عن حفص
عن عاصم وقرن بكسر القاف وفي الشواذ قراة الاعوج وابان ابن عثمان فيطمع
الذى بكسر العين الحجة قال ابو على قوله وقرن لا يخلوا اما ان يكون من القرار
ومن الوقار فان كان من الوقار فهو مثل عدن وكان مما يحذف منه الفا
وهى وا ويبقى من الكلمة علن وان كان من القرار فيكون الامر اقررن فيبدل من العين
الياء كراهة التضعيف كما ابدل فى قيراط ودينار فيصير بها حركه الحرف المبدل
منه ثم يلقى الحركة على الفاء فيسقط همزة الوصل المتحرك ما بعدها فيقول قرن
لان حركة الراء كانت كسرة فى اقررن الا ترى ان القاف متحركه بها واما من فتح فقال قرن
فمن لم يجز قررت بالمكان اقر وانما تقول قررت اقر فان فتح الفاء عنده لا يجوز ومن
اجاز ذلك جاز على قوله قرن كما جاز قرن وهى لغة حكاها الكشاف وقال ابو عثمان
يقال قررت به عينا اقر ولا يقال قررت فى هذا المعنى وقررت فى المكان فانا اقر
فيه ولا يقال قررت فى هذا المعنى ومن قرأ فيطمع الذى بالكسر فهو معطوف
على فلا تخضعن بالقول اى فلا يطمع الذى فى قلبه مرض وكلاهما منهى عنه الا ان
النصب اقوى لا يكون بمعنى ان طمعه مسبب عن خضوعهن فى القول واذا كان عطفا
كان نهيا لهن وله وليس فيه دليل على ان الطمع واقع من اجلهن اللغة التبرج اظهار
المراة محاسنها ماخوذ من البرج وهو السعة فى العين وطعنة برجاء اى واسعة
وفى اسنانه برج اذا تفرق ما بينهما الاعراب قيل له ليذهب اللام يتعلق بمحذوف
تقديره اعنى اهل البيت ويجوز ان يكون منادى مضافا ويجوز فى العربية جر اللام ورفعها

فالجر على ان يكون

فالجر على ان يكون بدلا من كم والرفع على المدح المعنى ثم اظهر تعالى فضيلتهن على ساير النسوان بقوله
يا نساء النبى لستن كاحد من النساء قال الزجاج لم يقل كواحدة من النساء لان احدا
للنفى العام وقال ابن عباس معناه ليس قدركن عندى كقدر غيركن من النساء
الصالحات انتن اكرم على وانا بكم ارحم وثوابكن اعظم لمكانكن من رسول الله ان
اتقيتن الله شرط عليهن التقوى ليبين الله ان فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن
بالنبى عليه السلم فلا تخضعن بالقول اى لا ترققن القول ولا تلن الكلام للرجال ولا تخاطبن
الرجال مخاطبة تودى الى طمعهم فيكن كما تفعل المراة التى تظهر الرغبة فى الرجال فيطمع
الذى فى قلبه مرض اى نفاق وفجور عن قتاده وقيل فى قلبه شهوة الزنا عن عكرمه
وقيل ان المراة مندوبة اذا خاطبت الاجانب الى الغلظه فى المقالة لان ذلك ابعد
الى الطمع فى الريبة وقلن قولا معروفا اى مستقيما جميلا بريا من التهمة بعيدا من الريبة
موافقا للدين والاسلام وقرن فى بيوتكن امرهن تعالى بالاستقرار فى بيوتهن والمعنى
اثبتن فى منازلكن والزمنها وان كان من وقر يقر فمعناه كن اهل وقار وسكينة
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى اى لا تخرجن على عادة النساء اللاتى فى الجاهلية تظهرن
زينتكن كما يظهرن ذلك وقيل التبرج التبختر والتكبر عن قتاده ومجاهد وقيل هو
ان يلقى الخمار على راسها ولا تشده فتوارى قلائدها وقرطها فيبدو ذلك منها
عن مقاتل والمراد بالجاهلية الاولى ما كان قبل الاسلام عن قتاده وقيل ما كان بين ادم
ونوح وثمانماية سنة عن الحكم وقيل ما كان بين عيسى ومحمد عن الشعبى وهذا لا يقتضى
ان يكون بعدها فى الجاهلية فى الاسلام لان الاول اسم للسابق تاخر عنه غيره اولم
يتاخر وقيل ان معنى تبرج الجاهلية الاولى انهم كانوا يجوزون ان يجمع امراة واحدة
زوجا وخلا فيجعل لزوجها نصفها الاسفل ولخلها الاعلى يقبلها ويعانقها ثم قال
واقمن الصلوة اى واديتها فى اوقاتها بشرايطها واتين الزكوة المفروضة فى اموالكن
واطعن الله ورسوله فيما يامركن به وينهاكن عنه ثم قال تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قال ابن عباس الرجس عمل الشيطان وما ليس لله

فيه رضا، والبيت التعريف فيه للعهد والمراد به بيت النبوة والرسالة والعرب تسمى
ما يلتجي اليه بيتا ولهذا سموا الانساب بيوتا قالوا بيوتات العرب يريد بيت النسب
وبيت النبوة والرسالة كبيت النسب قال الفرزدق شعر الا ابيت بالعليا بيت ولولا
اهلك ما انت الا ابيت اهلا وعدوفي كانى كان بهم خبيت وقال الفرزدق
شعر بيت زيادة تحت يفنائه ومجاشع وابو الفوارس نهشل لا يحتبى بفناء بيتك
مثلهم ابدا اذا عدا الفعال الاكمل وقيل البيت الحرام واهله وهم المتقون على الاطلاق
لقوله ان اولياوه الا المتقون وقيل البيت مسجد الرسول عليه السلام واهله من مكنه
رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ولم يخرجه ولم يسد بابه عنه واتفقت الامة باجمعها
على ان المراد باهل البيت في الاية هم اهل بيت نبينا عليه السلام ثم اختلفوا فقال عكرمه
اراد ازواج النبي عليه السلام لان اول الاية متوجه اليهن وقال ابو سعيد الخدرى
وانس بن مالك وواثله بن الاسقع وعايشه وام سلمه ان الاية مختصه برسول
الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين ذكر ابو حمزه الثمالى في تفسيره
حدثني شمين بن جوشن عن ام سلمة قالت جاءت فاطمة الى النبي صلى الله عليه وآله
تحمل حريره لها فقال ادع زوجك وابنيك فجاءت بهم وطعموا ثم القا عليهم كساء
خيبريا وقال هولاء اهل بيتي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقلت
يا رسول الله وانا معهم قال انت الى خير وروى الثعلبي في تفسيره ايضا بالاسناد
عن ام سلمه ان النبي عليه السلام كان في بيتها فاتته فاطمه ببرمة فيها حريرة فقال لها
ادعي زوجك وابنيك فذكرت الحديث نحو ذلك ثم قالت فانزل الله تعالى انما
يريد الله الاية قالت فضل الكساء فغطاهم به ثم اخرج به فالوى بها الى السماء
ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت
راسي البيت وقلت انا معكم يا رسول الله قال انك الى خير وباسناده قال مجمع دخلت
مع امي على عايشه فسالتها امي ارايت خروجك يوم الجمل قالت انه كان قدرا
من الله فسالتها عن علي فقالت تسالني عن احب الناس كان الى رسول الله

صلى الله عليه وآله لقد رايت عليا وفاطمه وحسنا وحسينا وجمع رسول الله عليه السلام
بثوب عليهم ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
قالت فقلت يا رسول الله وانا من اهلك قال تنحي فانك الى خير وباسناده عن ابي
سعيد الخدرى عن النبي عليه السلام قال نزلت هذه الاية في خمسة فيّ وفي علي وحسن
وحسين وفاطمة واخبرنا السيد ابو الحمد قال حدثنا ابو القاسم الحسكاني
قال حدثنا عن ابي بكر السبيعي قال حدثنا ابو عروبة الحراني قال حدثنا ابن مصفى قال
حدثنا عبد الرحمن بن واقد عن ايوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر
قال نزلت هذه الاية على النبي عليه السلام وليس في البيت الا فاطمه والحسن والحسين
وعلي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال النبي عليه السلام اهل بيتي
هولاء اهلي وحدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القسم باسناده عن زاذان
عن الحسن بن علي قال لما نزلت اية التطهير جمعنا رسول الله واياه في كساء لام سلمه
خيبري ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي وعترتي والروايات في هذا كثيرة من طريق العامة
والخاصة لو قصدنا ايرادها لطال الكتاب وفيما اوردنا كفاية واستدلت الشيعة
على اختصاص الاية بهولاء الخمسة عليهم الصلوة والسلام فان قالوا ان لفظة انما
محققة لما اثبت بعدها نافية لما لم يثبت فان قول القايل انما لك عندي درهم
وانما في الدار زيد يقتضي انه ليس عنده سوى الدرهم وليس في الدار سوى زيد
فاذا تقرر ذلك فلا يخلو الارادة في الاية ان يكون هي الارادة التي يتبعها التطهير
واذهاب الرجس ولا يجوز الوجه الاول لان الله تعالى قد اراد من كل مكلف هذه
الارادة المطلقة فلا اختصاص لها باهل البيت دون ساير الخلق ولان هذا القول
يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا مدح في الارادة المجردة فثبت الوجه
الثاني وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالاية من جميع القبايح وقد علمنا ان من عدا
من ذكرناه من اهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت ان الاية مختصه بهم لبطلان
تعلقها بغيرهم ومتى قيل ان صدر الاية وما بعدها في الازواج فالقول فيه ان هذا

لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم وانهم يذهبون من خطاب الى الغيره ويعود
اليه القران من ذلك مملو وكذلك كلام العرب واشعارهم ثم عاد تعالى الى ذكر
الازواج فقال واذكرن ما يتلى عليكم في بيوتكن من ايات الله والحكمة معناه
واشكرن لله تعالى اذ صيركن في بيوت يتلى فيها القرآن والسنة عن قتاده
وقيل اذكرن اي احفظن ذلك وليكن منكن على بال ابدا لتعملن بموجبه وهذا حث
لهن على فعل القران والاخبار ومذاكرتهن بهما والخطاب وان اختص بهن بغيرهن
يشاركهن فيه لان بناء الشريعة على القرآن والسنة ان الله كان لطيفا باوليائه
خبيرا بجميع خلقه وقيل لطيفا في تدبير خلقه وايصال المنافع اليهم خبيرا بما يكون
منهم وبمصالحهم ومفاسدهم فيامرهم بفعل ما فيه صلاحهم واجتناب ما فيه فسادهم
قال مقاتل بن حيان لما رجعت اسما بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن
ابي طالب دخلت على نساء رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت هل نزل فينا شيء من
القرآن قلن لا فاتت رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت يا رسول الله ان النساء
لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فانزل الله تعالى
هذه الاية ان المسلمين والمسلمات اي المخلصين الطاعة لله والمخلصات من قوله
ورجلا سلما لرجل اي خالصا وقيل معناه ان الداخلين في الاسلام من الرجال والنساء
يعني المستسلمين لامر الله والمنقادين له من الرجال ويعني المستسلمين لامر الله
والمنقادين له من الرجال والنساء والمومنين والمومنات اي والمصدقين والمصدقات
والاسلام والايمان واحد عند اكثر المفسرين وانما كرر لاختلاف اللفظين وقيل
انهما مختلفان فالاسلام الاقرار باللسان والايمان والتصديق بالقلب يعضده قوله
قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا وقيل الاسلام وهو اسم الدين
والايمان التصديق به قال البلخي فسر رسول الله عليه السلام والمومن بقوله المسلم من سلم الناس
من يده ولسانه والمومن من امن جاره بوايقه وما امن بي من بات شبعان وجاره
طاو والقانتين والقانتات يعني الدائمين على الاعمال الصالحات والدايمات وقيل يعني الداعين

والداعيات

والداعيات والصادقين في ايمانهم وفيما ساءهم وسرهم والصادقات والصابرين
على طاعة الله وعلى ما يبتليهم الله به والصابرات والخاشعين اي المتواضعين الخاضعين
لله تعالى والخاشعات وقيل معناه والخائفين والخائفات والمتصدقين اي المخرجين
الصدقات والزكوات والمتصدقات والصائمين الله تعالى بنيه صادقة والصائمات
والحافظين فروجهم والحافظات يعني من الزنا وارتكاب الفجور وحذف لدلالة
الكلام عليه الذاكرين الله كثيرا والذاكرات الله كثيرا وحذف ايضا للدلالة عليه
اعد الله لهم اي لهولاء الموصوفين بهذه الخصال والصفات مغفرة لذنوبهم واجرا
عظيما في الاخرة وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال اذا يقظ
الرجل اهله من الليل فتوضيا وصلى كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال
مجاهد لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا
روي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال من بات على تسبيح فاطمة كان من الذاكرين
الله كثيرا والذاكرات قوله عز وجل وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا مُبِينًا وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى
النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا
يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا الَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ
حَسِيبًا مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة وهشام
ان يكون بالياء والباقون بالتاء وقرا عاصم وحده وخاتم النبيين

بفتح التاء والباقون بكسرها الحجة قال ابو علي التانيث والتذكير حسنان
وهذه الاية تدل على ان ما في قوله يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم
الخيرة نفي وليس بموصولة ومن كسر التاء من خاتم فانه ختمهم فهو خاتمهم
ومن فتح التاء فمعناه النبيين لا نبي بعده قال الحسن الخاتم الذي ختم به
قال المبرد خاتم فعل ماض على وزن فاعل وهو في معنى ختم النبيين ونصب
النبيين على هذا الوجه فانه مفعول به وفي صحد وعبد لله ولكن نبيا
ختم النبيين اللغة قال الزجاج الخيرة التخير وقال علي بن عيسى الخيرة ارادة
اختيار الشيء على غيره والوطر الارب الحاجة وقضاء الشهوة وقال
وكيف ثوائي في المدينة بعد ما قضى وطرى منها جميل بن معمر قال الخليل
الوطر كل حاجة يكون بها فيها همة فاذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره
واذنه الاعراب سنة الله منصوب تقديره سن الله له سنة الذين
يبلغون يجوز ان يكون رفعا على المدح تقديره هم الذين يبلغون رسالات
الله ويجوز ان يكون نصبا على اعني الذين ولكن رسول الله تقديره ولكن
كان رسول الله وكان خاتم النبيين ولو قرى رسول وخاتم بالرفع لجاز اي
ولكن هو رسول الله وخاتم النبيين النزول نزلت في زينب بنت جحش الاسدية
وكانت بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله خطبها رسول
الله على مولاه زيد بن حارثة ورأت انه يخطبها على زيد ابت وانكرت وقالت
انا ابنة عمتك فلم اكن لافعل وكذلك قال اخوها عبد الله بن جحش فنزل وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة الاية يعني عبد الله بن جحش واخته زينب فلما نزلت الاية قالت
رضيت يا رسول الله وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك
اخوها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيدا فدخل بها وساق اليها
رسول الله عليه السلام عشرة دنانير وستين درهما مهرا وخمارا وملحفة ودرعا
وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين من تمر عن ابن عباس ومجاهد وقتاده

وقالت زينب خطبني عدة من قريش فبعثت اختي حمنة بنت جحش الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم استشيره فاشار بزيد فغضبت اختي وقالت تزوج بنت عمتك مولاك
ثم اعلمتني فغضبت من غضبها فنزلت الاية فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وقلت زوجني ممن شئت فزوجني من زيد وقيل نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط
وكانت وهبت نفسها للنبي عليه السلام فقال قد قبلت وزوجها زيد بن حارثة فسخطت
هي واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وآله فزوجنا عبده فنزلت الاية
عن ابن زيد وذكر علي ابن ابراهيم في تفسيره ان رسول الله عليه السلام كان شديد
الحب لزيد وكان اذا ابطا عليه زيد اتى منزله فيسأل عنه فابطا عليه يوما فاتى
رسول الله منزله فاذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيبا بفهر لها فدفع رسول الله
الباب فلما نظر اليها قال سبحان الله خالق النور تبارك الله احسن الخالقين ورجع
فجاء زيد واخبرته زينب بما كان فقال لها لعلك وقعت في قلب رسول الله فهل لك
ان اطلقك حتى يتزوجك رسول الله فقالت اخشى ان تطلقني ولا يتزوجني فجاء
زيد الى رسول الله تمام القصة فنزلت الاية واذ تقول للذي انعم الله الاية المعنى
لما تقدم ذكر نساء النبي عقبه ثم بذكر زيد وزوجته فقال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله اي اوجب الله ورسوله امرا والزماه وحكما به ان يكون لهم
الخيرة اي الاختيار من امرهم على اختيار الله تعالى والمعنى ان كل شيء امر الله تعالى به
او حكم به فليس لاحد مخالفته وترك ما امر به الى غيره ومن يعص الله ورسوله فيما
يختاران له فقد ضل ضلالا مبينا اي ذهب عن الحق ذهابا ظاهرا ثم خاطب النبي عليه السلام
فقال واذ تقول اي واذكر يا محمد حين تقول للذي انعم الله عليه بالهداية الى الايمان وانعمت
عليه بالعتق وقيل انعم الله عليه بمحبة رسوله وانعمت الرسول عليه بالتبني عن السدي
والثوري وهو زيد ابن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب تقول احبسها ولا
تطلقها وهذا الكلام يقتضي مشاجرة جرت بينهما حتى وعظه الرسول وقال له
واتق الله في مفارقتها ومضاربتها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس

والله احق ان تخشاه والذي اخفاه في نفسك هو ان الله تع اعلمه انها ستكون من
ازواجه وان زيد سيطلقها فلما جاء زيد وقال له اريد ان اطلق زينب قال له امسك
عليك زوجك فقال تعالى لم قلت امسك عليك زوجتك وقد علمت انها ستكون
من ازواجك روى ذلك عن علي بن الحسين عليهما السلام وهذا التاويل مطابق لتلاوة
الاية وذلك انه تعالى اعلم انه يبدي ما اخفاه ولم يظهر غير التزوج فقال زوجناكها
فلو كان الذي ضمره محبتها او ارادة طلاقها لاظهر الله تعالى ذلك مع وعده بانه يبديه
فدل ذلك على انه انما عوتب على قوله امسك عليك زوجك مع علمه بانها تكون زوجته
وكتمانه ما اعلمه الله به حيث استحيا ان يقول لزيد ان التي تحتك ستكون امراتي قال البلخي
ويجوز ايضا على ما يقولونه ان النبي عليه السلام استحسنها فتمنى ان يفارقها زيد فيتزوجها وكتم
ذلك لان هذا التمني قد طبع عليه البشر ولا حرج على احد في ان يتمنى شيئا استحسنه وقيل انه
عليه السلام انما اضمر ان يتزوجها ان طلقها زيد من حيث انها كانت ابنة عمته فاراد ضمها
الى نفسه لئلا يصيبها ضيعة كما يفعل الرجل باقاربه عن الجبائي قال فاخبر الله تعالى بما كان
يضمره من ايثار ضمها الى نفسه ليكون ظاهره مطابقا لباطنه ولهذا المعنى قال
عليه السلام لاصحابه يوم فتح مكة وقد جاءه عثمان بن عفان بعبد الله بن سعيد بن ابي سرح
يستامنه وكان عليه السلام قبل ذلك قد اهدر دمه وامر بقتله فلما راى عثمان استحيا من رده
وسكت طويلا ليقتله بعض المومنين ثم امنه بعد تردد المسئلة من عثمان وقال اما كان
منكم رجل رشيد يقوم الى هذا فيقتله فقال له عباد بن بشر يا رسول الله ان عيني ما زالت
في عينك انتظارا ان تومي اليه فاقتله فقال عليه السلام ان الانبياء لا يكون لهم خائنة
اعين فلم يستجز عليه السلام ان الانبياء لا يكون لهم الاشارة بقتل كافر وان كان مباحا وقيل كان النبي
عليه السلام يريد ان يتزوج بها اذا فارقها ولكنه عزم على ان يتزوجها مخافة ان يطعنوا
عليه فانزل الله تعالى هذه الاية لكي لا يمتنع عن فعل المباح خشية الناس ولم يرد بقوله والله
احق ان تخشاه خشية التقوى لان صلوات الله عليه كان يتقي الله حق تقاته ويخشاه فيما يجب
ان يخشاه فيه ولكنه اراد خشية الاستحياء لان الحياء كان غالبا على شيمته الكريمة كما قال الله ذلكم

كان يوذي النبي فيستحيي منكم وقيل ان زينب كانت شريفة فزوجها رسول الله من زيد مولاه
ولحقها بذلك بعض العار فاراد عليه السلام ان يزيدها شرفا بان يتزوجها لانه كان السبب
في تزويجها من زيد فعزم ان يتزوج بها اذا فارقها وقيل ان العرب كانوا ينزلون الادعياء
منزلة الابناء في الحكم فاراد عليه السلام ان يبطل ذلك بالكلية وينسخ سنة الجاهلية فكان يخفي
في نفسه تزويجها لهذا الغرض كيلا تقول الناس تزوج امراة ابنه ويعرفونه بما هو
منزه عنه ولهذا قال له امسك عليك زوجك عن ابي مسلم ويشهد لهذا التاويل قراءة
فيما بعد فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا ومعناه فلما قضى زيد حاجته من نكاحها فطلقها وانقضت عدتها
ولم يكن في قلبه ميل اليها ولا وحشة من فراقها فان معنى القضاء هو الفراغ من الشيء على التمام
زوجناكها اي اذنا لك في تزويجها وانما فعل ذلك توسعة على المومنين حتى لا يكون
عليهم اثم اي في ان يتزوجوا ازواج ادعيائهم الذين تبنوهم اذا قضى الادعياء منهن حاجتهن
وفارقوهن فبين تعالى ان الغرض في ذلك ان لا يجري المتبنى في تحريم امراته اذا طلقها
على المتبني مجرى الابن من النسب او الرضاع في تحريم امراته اذا طلقها على الاب وكان امر الله
مفعولا اي كائنا لا محالة وفي الحديث ان زينب كانت تفتخر على سائر نساء النبي عليه وآله السلام
وتقول زوجني الله من النبي عليه السلام وانتن انما زوجكن اولياؤكن وروى ثابت عن انس
بن مالك قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وآله لزيد اذهب فاذكرها علي قال
زيد فانطلقت فقلت يا زينب ابشري ارسلني نبي الله يذكرك ونزل القران وجاء رسول
الله صلى الله عليه وآله فدخل عليها بغير اذن لقوله زوجناكها وفي رواية اخرى قال زيد
فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في نفسي حتى ما استطيع ان انظر اليها
حين علمت ان رسول الله عليه السلام ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله
يخطبك ففرحت بذلك وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها
فنزل زوجناكها فتزوجها رسول الله ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه
ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم ثم امتد النهار وعن الشعبي قال كانت

زينب تقول للنبي عليه السلم انى لادل عليك بثلاث ما من نسائك امرات تدل بهن
جدى وجدك واحد وانى انكحنيك الله فى السماء وان السفير لجبرئيل عليه السلام
ثم قال تعالى ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له اى ما كان على النبى من اثم وضيق
فيما احل الله له من التزوج بامراة الابن المتبنى وقيل فيما فرض واوجب عليه من التزوج
بها ليبطل حكم الجاهلية فى الادعياء سنة الله فى الذين خلوا من قبل اى كسنة الله
فى الانبياء الماضين وطريقته وشريعته فيهم فى زوال الحرج عنهم وعن امهم بما احل الله
تعالى لهم من ملاذهم وقيل فى كثرة الازواج كما فعله داود وسليمان وكان لداود
ماية امراة ولسليمان ثلاثماية امراة وسبعماية سرية وقيل اشار بالسنة الى ان النكاح
من سنة الانبياء كما قال عليه السلم النكاح سنتى فمن رغب عنه فليس منى وكان امر الله قدرا
مقدورا اى كان ما ينزله الله على انبيائه من الامر الذى يريد قضاء مقضيا وقيل معنا
جاريا على مقدار لا يكون فيه تفاوت من جهة الحكمة وقيل ان القدر المقدور هو كان
على مقدار ما تقدم من زيادة ولا نقصان وعليه قول الشاعر شعر واعلم بان ذا الجلال
قد قدر فى الصحف الاولى التى كان سطر ثم وصف تعالى الانبياء الماضين واثنى عليهم فقال
الذين يبلغون رسالات الله اى يؤدونها الى من بعثوا اليهم ولا يكتمونها ويخشونه
اى ويخافون الله مع ذلك فى ترك ما اوجبه عليهم ولا يخشون احدا الا الله ولا يخافون
من سوى الله فيما يتعلق بالاداء والتبليغ وفى هذا دلالة على ان الانبياء لا يجوز عليهم التقية
فى تبليغ الرسالة ومتى قيل فكيف قال لنبينا عليه السلام وتخشى الناس فالقول انه
لم يكن كذلك فيما يتعلق بالتبليغ وانما خشى عليه السلام انفا له القبيحة فيه والعاقل كما يتحرز
من المضار يتحرز من اساءة الظنون به والقول السيء فيه ولا يتعلق شيء من ذلك بالتكليف
وكفى بالله حسيبا اى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبا مجازيا عليها ولما تزوج عليه السلم زينب بنت
جحش قال الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه فقال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الذين
لم يلدهم وفيه بيان انه ليس بابن زيد فيحرم عليه زوجته فان تحريم زوجة الابن معلق
بثبوت النسب فمن لا نسب له لا حرمة لامراته ولهذا اشار اليهم فقال من رجالكم وقد ولد له عليه السلم

اولاد

اولاد ذكور ابراهيم والقسم والطيب والمطهر فكان اباهم وقد صح انه قال للحسن ان ابنى
هذا سيد وقال ايضا للحسن والحسين عليهما السلم ابناى هذان امامان قاما او قعدا
او قال عليه السلم ان كل بنى بنت ينتسبون الى ابيهم الا اولاد فاطمة فانى انا ابوهم وقيل اراد
رجالكم البالغين من رجال ذلك الوقت ولم يكن احد من ابنائه رجلا فى ذلك الوقت
ولكن رسول الله اى ولكن كان رسول الله لا يترك ما اباحه الله تعالى له بقول
الجهال وقيل ان الوجه فى اتصاله بما قبله انه اراد تعالى ليس يلزم طاعته عليه السلم وتعظيمه
لمكان النسب بينه وبينكم ولمكان الابوة بل انما يجب ذلك عليكم لمكان النبوة وخاتم النبيين
اى واخر النبيين ختم النبوة به فشريعته باقية الى يوم الدين وهذه فضيلة
له عليه السلام اختص بها من بين سائر المسلمين فان قيل ان اليهود يدعون
فى موسى عليه السلم مثل ذلك فالجواب ان بعض اليهود يدعون ان شريعته لا تنسخ وهم
مع ذلك يجوزون ان يكون بعده انبياء ونحن اذا اثبتنا نبوة نبينا عليه السلام
بالمعجزات القاهرة وجب نسخ شريعته بذلك وكان الله بكل شيء عليما لا يخفى عليه
من مصالح العباد وصح الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبى عليه السلم قال ان مثلى
فى الانبياء كمثل رجل بنى دارا وحسنها فاكملها الا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر
اليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة فانا موضع اللبنة ختم بى الانبياء اورده
البخارى ومسلم فى صحيحيهما قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا
وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَرِيمًا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ثم ان آيات المعنى ثم خاطب
تعالى المومنين فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا روى ابن عباس عن النبى
صلى الله عليه وآله قال من عجز عن الليل ان يكابده وجبن عن العدو ان يجاهده وبخل بالمال

ان ينفقه فليكثر ذكر الله تعالى اختلف في معنى الذكر الكثير فقيل هو ان لا ينساه ابدا
عن مجاهد وقيل هو ان يذكره تعالى بصفاته العلى واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به
وقيل هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر على كل حال عن مقاتل
وقد ورد عن ائمتنا عليهم السلام انهم قالوا من قالها ثلثين مرة فقد ذكر الله كثيرا
وروى الواحدي باسناده عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال جاء جبرئيل الى النبي ع
فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فانه من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين
الله كثيرا وكان افضل من ذكره بالليل والنهار وكان له غرسا في الجنة وتحاتت عنه خطاياه
كما تحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله اليه ومن نظر اليه لم يعذبه وسبحوه بكرة
واصيلا اي ونزهوه تعالى عن جميع ما لا يليق به بالغداة والعشي والاصيل العشي وقيل يعني
به صلوة الصبح وصلوة العصر عن قتاده وقيل صلوة الصبح وصلوة العشاء خصهما
بالذكر لان لهما مزية على غيرهما من حيث ان ملائكة الليل والنهار يجتمعون فيهما وقال
الكلبي اما بكرة فصلوة الفجر واما اصيلا فصلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وسمي
الصلوة تسبيحا لما فيها من التسبيح والتنزيه هو الذي يصلي عليكم وملائكته الصلوة
من الله تعالى المغفرة والرحمة عن سعيد بن جبير والحسن وقيل الثناء عن ابي العالية
وقيل هي الكرامة عن سفين واما صلوة الملائكة فهي دعاؤهم عن ابن عباس وابي العالية
وقيل طلبهم انزال الرحمة من الله تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من الجهل بالله تعالى
الى معرفته فشبه الجهل بالظلمات وشبه المعرفة بالنور لان هذا يعود الى الجنة وذاك يعود
الى النار وقيل من الضلالة الى الهدى بالطافه وهدايته وقيل من ظلمات النار الى نور
الجنة وكان بالمؤمنين رحيما خص المؤمنين بالرحمة دون غيرهم لانه تعالى جعل الايمان
بمنزلة العلة في ايجاب الرحمة والنعمة العظيمة التي هي الثواب تحيتهم يوم يلقونه سلام
اي يحيي بعضهم بعضا يوم يلقون ثواب الله بان يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات ولقاء
الله معناه لقاء ثوابه كما سبق القول فيه وروي عن البراء بن عازب انه قال يوم يلقونه

ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا سلم عليه فعلى هذا يكون المعنى تحية المؤمن
من ملك الموت يوم يلقونه اي يسلم عليهم ملك الموت مذكور في الملائكة واعد لهم
اجرا كريما اي ثوابا جزيلا ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلام فقال يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا على امتك فيما يفعلونه من طاعة او معصية وايمان وكفر لتشهد لهم
وعليهم يوم القيمة ويجازيهم بحسبه ومبشرا اي مبشرا لمن اطاعني واطاعك
بالجنة ونذيرا لمن عصاني وعصاك بالنار وداعيا اي وبعثناك داعيا الى الله
والاقرار بوحدانيته وامتثال اوامره ونواهيه باذنه اي بعلمه وامره وسراجا
منيرا يهتدى بك في الدين كما يهتدى بالسراج والمنير الذي يصدر النور من جهته
اما بفعله واما لانه سببه فالقمر منير والسراج منير بهذا المعنى والله منير السموات
والارض وقيل عنى بالسراج المنير القران والتقدير وبعثناك ذا سراج منير
فحذف المضاف عن الزجاج وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي زيادة
على ما يستحقونه من الثواب ولا تطع الكافرين والمنافقين هو مفسر في اول السورة
ودع اذاهم اي واعرض عن اذاهم فاني ساكفيك امرهم اذا توكلت علي وعملت
بطاعتي فان جميعهم في سلطاني بمنزلة ما هو في قبضة عبدي وقيل معناه
كف عن اذاهم وقتالهم وذلك قبل ان يؤمر بالقتال عن الكلبي وتوكل على الله
اي فوض امرك الى الله ينصرك عليهم وكفى بالله وكيلا اي كافيا متكفلا
بما يسند اليه انما اتصلت الآيات بما تقدمها من قوله ولكن رسول
الله فانه من عليهم به ثم امرهم بان يشكروه على ذلك وقوله هو الذي يصلي
عليكم يتصل بما قبله من الامر بالذكر والتقدير ان الله عز اسمه مع غناه
عنكم يذكركم فانتم اولى بان تذكروه وتقبلوا عليه مع احتياجكم اليه
وقيل انه تعالى عدد نعمه على المؤمنين وعد من جملتها صلوته عليهم ثم بين
ارساله النبي عليه السلام اليهم مع جلالة قدره وعلو امره قوله عز وجل يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ

فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا
جميلا يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مومنة
ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك
من دون المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت
ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما القراءة في الشواذ
قراءة ابي بن كعب والثقفي ان وهبت بفتح الالف الحجة قال ابن جني تقديره لان وهبت
نفسها اي انها تحل له من اجل ان وهبت نفسها له وليس يعني بذلك امراة
بعينها قد كانت وهبت نفسها وانما محصوله انه وهبت امراة نفسها للنبي
حلت له من اجل هبتها اياه فالحل انما هو مسبب عن الهبة متى كانت واكد ذلك
القراءة بالكسر فصح به الشرط الاعراب العامل في الظرف من قوله اذا نكحتم ما يتعلق
به لكم والتقدير اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن لم يثبت
لكم عليهن عدة مما افاء الله عليكم الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من الضمير
المحذوف في قوله وما ملكت يمينك اي ملكته ان وهبت نفسها جزاء الشرط محذوف
تقديره ان وهبت نفسها احللناها له وجزاء الشرط الذي هو ان اراد النبي ان
يستنكحها الشرط والجزاء المتقدم تقديره ان اراد النبي ان يستنكحها ان وهبت
نفسها له احللناها له وان يستنكحها في موضع نصب بانه مفعول اراد خالصة
لك نصب على الحال والهاء فيه للمبالغة المعنى ثم عاد تعالى الى ذكر النساء فقال يا ايها
الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي من قبل
ان تدخلوا بهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تستوفونها بالعدد
وتحصون عليها بالاقراء او بالاشهر اسقط الله تعالى العدة عن المطلقة قبل المسيس
لبراءة رحمها فان شاءت تزوجت يومها فمتعوهن قال ابن عباس هذا اذا لم يكن

سمى صداقا

سمى صداقا فاذا فرض لها صداقا فلها نصفه ولا تستحق النفقة وهو المروي عن ائمتنا
عليهم السلام فالاية محموله عندنا على التي لم يسم لها مهر فيجب لها المتعة وسرحوهن
سراحا جميلا اي طلقوهن طلاقا للسنة من غير ظلم عليهن عن الجبائي وقيل سرحوهن
عن البيت فانه ليس عليها عدة فلا يلزمها المقام في منزل الزوج سراحا جميلا
بغير جفوة ولا اذية وقيل السراح الجميل هو دفع المتعة بحسب الميسرة والعسر عن حبيب
عن ابي ثابت قال كنت قاعدا عند علي بن الحسين عليهما السلام فجاءه رجل اني قلت يوم اتزوج
فلانة هي طالقة فقال اذهب فتزوجها فان الله تعالى بدا بالنكاح قبل الطلاق وقرا
الاية هذه ثم خاطب تعالى النبي عليه السلام فقال يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي
اتيت اجورهن اي اعطيت مهورهن والايتاء قد يكون بالاداء وقد يكون بالالتزام
وما ملكت يمينك اي واحللنا لك ما ملكت يمينك من الاماء مما افاء الله عليك
من الغنائم والانفال وكانت من الغنائم مارية القبطية ام ابنه ابراهيم ومن الانفال
صفية وجويرية اعتقهما وتزوجهما وبنات عمك اي واحللنا لك بنات عمك وبنات
عماتك يعني نساء قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعني نساء بني زهرة اللاتي
هاجرن معك الى المدينة وهذا انما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة
في التحليل وامراة مومنة ان وهبت نفسها منك بغير صداق وغير المومنة ان وهبت
نفسها منك لا تحل لك ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان اثر النبي نكاحها ورغب فيها
خالصة لك من دون المومنين اي خاصة لك دون غيرك قال ابن عباس يقول
لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال وهذا من خصائصه صلوات الله عليه واله
في النكاح وكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة ولا ينعقد ذلك لاحد غيره واختلف
في انه هل كانت عند النبي عليه واله السلام امراة وهبت نفسها له ام لا فقيل انه لم يكن عنده
امراة وهبت نفسها له عن ابن عباس ومجاهد وقيل بل كانت عنده ميمونة بنت الحارث
بلا مهر قد وهبت نفسها للنبي في رواية اخرى عن ابن عباس وقتادة وقيل هي زينب بنت
خزيمة ام المساكين امراة من الانصار عن الشعبي وقيل هي امراة من بني اسد وقيل انها

لما وهبت نفسها للنبي قالت عايشه ما بال النساء يبذلن نفسهن بلا مهر فنزلت الاية
فقالت عايشه ما ارى الله تعالى الا يسارع في هواك فقال صلى الله عليه وآله وانك ان اطعت
الله سارع في هواك عن علي ابن الحسين عليهما السلام والضحاك ومقاتل وقيل هي خوله بنت حكيم
عن عروه ابن الزبير يقال لها ام شريك بنت حازم قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم معناه
قد علمنا ما اخذنا على المومنين في ازواجهم من المهر والحصر بعدد محصور ووضعناه
عنك تخفيفا عنك وما ملكت ايمانهم اي وما اخذنا عليهم في ملك اليمين ان لا يقع لهم الملك
الا بوجوه معلومة من الشري والهبة والارث والسبي واحللنا لك غير ذلك وهو الصفي
الذي تصطفيه لنفسك من السبي وانما خصصناك على علم منا بالمصلحة فيه من غير محاباة
ولا جزاف لئلا يكون عليك حرج اي ليرتفع عنك الحرج وهو الضيق والاثم وكان الله غفورا
رحيما للذنوب عباده رحيما بهم او رحيما بك في دفع الحرج عنك قوله عز وجل ترجي من تشاء
منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى
ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم
وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو
اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين ولكن اذا دعيتم
فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب
ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله
كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء
اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله
ان الله كان على كل شيء شهيدا خمس آيات القراءة قراء اهل الكوفة غير ابي بكر والاعشى
وعباس واهل المدينة ترجي يعني بغير همزة وقرا ابو عمرو ويعقوب لا تحل بالتاء والباقون بالياء

سهل ابو حاتم

سهل ابو حاتم بخير فيهما الحجة قال ابو علي جاء في هذا الحرف الهمزة وغيره وكذلك ارجيه
وارجيه فالقراء بكل واحد من الامرين حسنه والتاء والياء في لا يحل حسنان لان التاء
تانيثه ليس بحقيقي انما هو تانيث الجمع فالتانيث حسن والتذكير كذلك اللغة
الارجاء هو التاخير ويكون من بعيد وقت الشيء عن وقت غيره ومنه الارجاء في
فساق اهل الصلوة وهو تاخير حكمهم بالعقاب الى الله تعالى والايواء ضم القادر غيره
من الاحياء الذين هم من جنس ما يعقل الى ناحيته يقال اويت الانسان اووي ايواء
واوى هو ياوي ويا اذا انضم الى ماواه ويقال اني الطعام ياني اناء مقصور اذا بلغ
حاله النضج وادرك وقته واذا فتح مد فقيل آناء قال الحطيه   واتيت العشاء
الى سهيل او الشعرى فطال في الاناء   والاستيناس ضد الاستيحاش والضد الانس
ضد الوحشة الاعراب ذلك ادنى ان تقر تقديره من ان يقر الى ان يقر له عينهن كلهن
تاكيد للضمير وهو النون في يرضين ولو نصب جاز على تاكيد قوله هن في اتيتهن غير
ناظرين منصوب على الحال ولا مستانسين معطوف عليه فهو حال معطوف على حال قبله
وتقديره ولا تدخلوا مستانسين لحديث النزول نزلت الاية الاولى حين غار بعض
امهات المومنين على رسول الله عليه السلام وطلب بعضهن زيادة النفقه فهجرهن شهرا حتى نزلت
آية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن بين الدنيا والاخرة وان يخلي سبيل من اختار
الدنيا ويمسك من اختار الله ورسوله على انهن امهات المومنين ولا ينكحن ابدا
وعلى انه توي من تشاء وترجي من تشاء منهن ويرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم
لبعضهن او فضل بعضهن على بعض في النفقه والقسمة والعشرة او سوى بينهن والامر
في ذلك اليه يفعل ما يشاء وهذه من خصايصه عليه السلام فرضين بذلك كله واخترنه
على هذا الشرط وكان عليه السلام يسوي بينهن مع هذا الا امراة منهن اراد طلاقها
وهي سوده بنت زمعه فرضيت بترك القسم وجعلت يومها لعايشه عن ابن زيد
وغيره وقيل لما نزلت اية التخيير اشفقن ان يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك
ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت الاية فكان ممن ارجى منهن سوده وجويره

وصفيه وميمونه وام حبيبه وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكان ممن اوى اليه عايشه
وحفصه وام سلمه وزينب كان يقسم لهن على السواء لا يفضل بعضهن على بعض عن ابن زيد
ونزلت اية الحجاب لما بنى رسول الله صلى الله عليه وآله بزينب بنت جحش واولم عليها قال
انس اولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة امى ام سليم بحيس فى تور من حجارة فامرنى رسول
الله عليه السلم ان ادعوا الصحابة الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون وياكلون ويخرجون
ثم يجئ القوم فياكلون ويخرجون قلت يا نبى الله قد دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه
فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا وخرج القوم وبقى ثلثه نفر يتحدثون فى البيت فاطالوا
المكث فقام صلى الله عليه وآله وقمت معه لكى يخرجوا فمشى حتى بلغ حجرة عايشه ثم ظن
انهن قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم جلوس مكانهم فنزلت الاية وروى ذلك
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يريد ان يخلو له
المنزل لانه كان حديث عهد بعرس وكان محبا لزينب وكان يكره اذى المومنين وقيل كان
رسول الله يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشه وكانت معهم
فكره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فنزلت اية الحجاب عن مجاهد ونزل قوله وما
كان لكم ان توذوا رسول الله الى اخر الاية فى رجل من الصحابة قال لئن قبض رسول الله
لانكحن عايشه بنت ابى بكر عن ابن عباس قال مقاتل هو طلحه ابن عبيد الله وقال ان رجلين
قالا اينكح محمد نسائنا ولا تنكح نسائه والله لئن مات لنكحنا نساءه وكان احدهما
يريد عايشه والاخر يريد ام سلمه عن ابى حمزة الثمالى المعنى ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلم
يخيره فى نسائه فقال ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء اى تؤخر وتبعد
من تشاء من ازواجك وتضم اليك من تشاء منهن واختلف فى معناه على اقوال
احدها ان المراد تقدم من تشاء من نسائك فى الايواء اليك وهو الدعاء الى
الفراش وتؤخر ما تشاء فى ذلك وتدخل من تشاء منهن فى القسم ولا تدخل من تشاء
عن قتاده قال وكان عليه السلام يقسم بين ازواجه فاباح الله له ترك ذلك وثانيها
ان المراد يعزل من يشاء منهن بغير طلاق ويرد اليك من تشاء منهن وتمسك من تشاء

عن ابن عباس

عن ابن عباس وثالثها ان المراد تترك نكاح من تشاء من نساء امتك وتنكح
منهن من تشاء عن الحسن قال كان صلى الله عليه وآله اذا خطب امراة لم يكن لغيره
ان يخطبها حتى يتزوجها او يتركها ورابعها تقبل من تشاء من المومنات
اللاتى يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء منهن فلا يقبلها
عن زيد بن اسلم والطبرى قال ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلم من ارجا لم ينكح
ومن اوى فقد نكح ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك اى ان اردت ان تؤوى
اليك امراة ممن عزلتهن عن ذلك وتضمها اليك فلا سبيل عليك بلوم ولا عتاب ولا
اثم عليك فى ابتغائها اباح الله له ترك القسم فى النساء حتى يؤخر من يشاء عن وقت
نوبتها ويطا من يشاء فى غير وقت نوبتها وله ان يعزل من يشاء وله ان يرد
المعزولة ان شاء فضله الله تعالى بذلك على جميع الخلق ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما يفعله النبى من التسوية والتفضيل لانهن يعلمن انهن
لم يطلقهن عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه وذلك طيب لنفوسهن واقل لحزنهن
اذا علمن ان لك الرخصة بذلك من الله تعالى ويرضين بما اعطيتهن من التسوية
والتفضيل عن قتاده وقرة العين عبارة عن السرور وقيل ذلك المعروف منهن
بانك اذا عزلت واحدة كان لك ان توويها بعد ذلك ادنى الى سرورهن وقرة اعينهن
عن الجبائى وقيل معناه نزول الرخصة من الله تعالى اقر لاعينهن واتى الى رضائهن
بذلك لعلمهن بما لهن فى ذلك من الثواب فى طاعة الله تعالى ولو كان ذلك من قبل
كان حزن وحملن ذلك على ميلك الى بعضهن والله يعلم ما فى قلوبكم من الرضى والسخط
والميل الى بعض النساء دون بعض وكان الله عليما بمصالح عباده حليما فى ترك
معاجلتهم بالعقوبة لا يحل لك النساء من بعد اى من بعد النساء اللواتى
احللناهن لك فى قولنا انا احللنا لك ازواجك اللاتى اتيت اجورهن
الاية وهو ستة اجناس النساء اللاتى اتاهن اجورهن اى اعطاهن مهورهن
وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتى هاجرن معه ومن وهبت

نفسها لم يجمع ما شاء من العدد لا يحل له غيرهن من النساء عن ابي بن كعب وعكرمة
والضحاك وقيل يريد المحرمات في سورة النساء عن ابي عبد الله عليه السلم
وقيل معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات ولا ان تبدل بهن اي ولا
ان تتبدل الكتابيات بالمسلمات لانه لا ينبغي ان يكن امهات المومنين
الا ما ملكت يمينك من الكتابيات فاحل له ان يتسرى بهن عن مجاهد وقيل
معناه لا يحل لك النساء من بعد نسائك التي خيرتهن فاخترن الله ورسوله
وهن التسع صرت مقصورا عليهن وممنوعا من غيرهن ومن ان يتبدل
بهن غيرهن وان اعجبك حسنهن اي وقع في قلبك حسنهن مكافاة لهن على
اختيارهن الله ورسوله عن الحسن وقتادة الشعبي وقيل ان التي اعجبه صلوات الله
عليه حسنها اسما بنت عميس بعد قتل جعفر بن ابي طالب عنها وقيل انه منع
من طلاق من اختارته من نسائه كما امر بطلاق من لم تختره فاما تحريم
النكاح عليه فلا عن الضحاك وقيل ايضا ان هذه الاية منسوخة واببح له بعدهن
تزويج ما شاء فروي عن عايشه انها قالت فارق رسول الله صلى الله عليه وآله
الدنيا حتى احل الله ما اراد من النساء وقوله ولا ان تبدل بهن من ازواج قيل
ايضا في معناه ان العرب كانت تتبادل بازواجهم فيعطي احدهم زوجته رجلا ويأخذ
بها زوجته منه بدلا عنها فنهي عن ابي عبد الله عليه السلم وكان الله على كل شيء رقيبا
اي عالما حافظا عن الحسن وقتاده يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن
لكم الى طعام غير ناظرين اناه نهاهم تعالى عن دخول دار النبي بغير اذن وهو قوله
الا ان يوذن لكم اي في الدخول يعني الا ان يدعوكم الى الطعام فادخلوا غير ناظرين
اناه اي غير منتظرين ادراك الطعام فيطول مقامكم في منزله المعنى لا تدخلوها
بغير اذن قبل نضج الطعام انتظار النضجه فيطول لبثكم ومقامكم ولكن اذا دعيتم
فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا اي فاذا اكلتم فتفرقوا واخرجوا ولا مستانسين
لحديث اي ولا تدخلوا فتقعدوا بعد الاكل متحدثين بحديث بعضهم بعضا ليونسه

ثم بين المعنى

ثم بين المعنى في ذلك فقال ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم اي طول مقامكم في منزل
النبي يوذيه لضيق منزله فيمنعه الحيا ان يامركم بالخروج من المنزل والله
لا يستحيي من الحق اي لا يترك ابانة الحق فيامركم بتعظيم رسوله وبترك دخول بيته
بغير اذن والامتناع عما يوذي الى اذاه وكراهته قال ابو عايشه ان الله تعالى لم يحتملهم
فقال واذا طعمتم فانتشروا وقال بعض العلماء هذا ادب ادب الله به الثقلاء واذا سالتموهن
متاعا فاسالوهن من وراء حجاب يعني واذا سالتم ازواج النبي عليه السلم شيئا تحتاجون
اليه فاسالوهن من وراء ستر قال مقاتل امر الله المومنين ان لا يكلموا نساء النبي
الا من وراء حجاب وروى مجاهد عن عايشه قالت كنت اكل مع النبي عليه السلم حيسا في قعب
فمر بنا عمر فدعاه فاكل فاصابت اصبعه اصبعي فقال حس لو اطاع فيكن ما رأتكن عين
فنزل الحجاب ذلكم اي سوالكم اياهن المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن
من الريبة ومن خواطر الشيطان التي تدعو الى ميل الرجال الى النساء والنساء
الى الرجال وما كان لكم ان توذوا رسول الله اي ليس لكم ايذاء رسول الله بمخالفته
ما امر في نسائه في شيء من الاشياء ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي من بعد
وفاته المعنى ولا يحل لكم ان يتزوجوا واحدة من نسائه بعد مماته كما لا يحل لكم ان توذوه
في حال الحيوة وقيل من بعد فراقه في حيوته كما قال بئسما خلفتموني من بعدي ان ذلكم
كان عند الله عظيما اي ان ايذاء الرسول بما ذكرنا كان ذنبا عظيم الموقع عند الله
تعالى ان تبدوا شيئا او تخفوه اي ان تظهروا شيئا او تضمروه مما نهيتهم عنه من تزويجهن
فان الله كان بكل شيء عليما من الظواهر والسرائر وهذا تهديد وروى عن حذيفة
انه قال لامرأته ان تريدي ان تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فان المراة لاخر
ازواجها فلذلك حرم الله تعالى على ازواج النبي ان يتزوجن بعده وروى ان النبي عليه السلم
سئل عن المراة يكون لها زوجان فتموت فتدخل الجنة لايهما تكون قال لاحسنهما خلقا
كان معه في الدنيا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة ولما نزلت آية الحجاب قال الاباء
والابناء والاقارب لرسول الله عليه السلام ونحن ايضا يكلمهن من وراء حجاب فانزل الله تعالى

لا جناح عليهن في اباٰئهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ان يرونهن ولا
عنهم ولا نسائهن قيل يريد نساء المومنين لا نساء اليهود والنصارى فيصفن نساء
رسول الله لازواجهن ان رايتهن عن ابن عباس وقيل يريد جميع النساء ولا ما ملكت
ايمانهن يعني العبيد والاماء واتقين الله اي تركن معاصيه وقيل اتقين عقاب
الله من دخول الاجانب عليكن ان الله كان على كل شيء شهيدا اي حفيظا لا يغيب
عنه شيء قال الشعبي وعكرمة وانما لم يذكر العم والخال لئلا ينعتاهن لابنائهما
قوله عز وجل إِنَّ اللّٰهَ وَمَلَآئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ
مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ
وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ
وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ
فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا
أُخِذُوا وَقُتِّلُوا سُنَّةَ اللّٰهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلًا بهم صح / تقتيلا صح
سبع آيات القراءة في الشواذ قراءة فصلوا عليه الحجة انما جاز دخول الفاء في
الكلام من معنى الشرط وذلك ان الصلوة انما وجبت عليه منا لان الله تعالى قد صلى
عليه وملائكته فجرى مجرى قول القائل قد اعطيتك فخذ اي انما وجب عليك الاخذ
من اجل العطية اللغة الجلباب خمار المراة التي يغطي رأسها ووجهها اذا خرجت لحاجة
والارجاف اشاعة الباطل للاغتمام به واصله الاضطراب ومنه يقال للبحر رجاف
لاضطرابه فارجاف الناس بالشيء اضطرابهم بالخوض فيه ومنه يرجف الراجفة والاغراء
الدعاء الى تناول الشيء بالتحريض عليه يقال اغراه بالشيء اغراء فغري به او اولع به الاعراب
يدنين في موضع جزم بانه جواب شرط مقدر وتقديره قل لازواجك ادنين عليكن من
جلابيبكن فانك ان تقل ذلك يدنين ملعونين نصب على الذم اينما ثقفوا اخذوا شرط

وجزاء واين ظرف لثقفوا ومعمول له وانما جاز ذلك لان الجازم في الاصل ان المحذوفة
وصار اينما تتضمنها فيغني عنها ويقوم مقامها ولا يجوز ان يعمل فيه اخذوا لانه جواب
الشرط ولا يعمل الجواب فيما قبل الشرط المعنى لما صدر تعالى هذه السورة بذكر النبي صلى الله
عليه وآله وفرد في اثناء السورة ذكر تعظيمه ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم
ولا يدانيه فقال ان الله وملائكته يصلون على النبي ويثني عليه بالثناء الجميل ويبجله
باعظم التبجيل وملائكته يصلون عليه يثنون عليه باحسن الثناء ويدعون له بازكى الدعاء
يا ايها الذين امنوا وصلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو حمزة الثمالي حدثني السدي
وحميد بن سعيد الانصاري وزيد بن الخباز عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب ابن عجرة
قال لما نزلت هذه الاية قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلوة
عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك
حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد
وعن عبد الرحمن ابن مسعود قال اذا صليتم على النبي عليه السلم فاحسنوا الصلوة عليه
فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الدين وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد
وعن ابي بصير قال سألت اباعبد الله عليه السلم عن هذه الاية فقلت كيف صلوة الله
على رسوله فقال يا محمد تزكيته له في السماوات العلى فقلت قد عرفت صلوتنا عليه
فكيف التسليم فقال هو التسليم له في الامور فعلى هذا يكون معنى قوله وسلموا تسليما
اي انقادوا لامره وابذلوا الجهد في طاعته وفي جميع ما يامركم به وقيل معناه
سلموا عليه بالدعاء اي قولوا السلام عليك يا رسول الله وعن انس بن مالك عن
ابي طلحة قال دخلت على النبي عليه السلم فلم اره اشد استبشارا منه يومئذ ولا اطيب
نفسا قلت يا رسول الله ما رايتك قط اطيب نفسا ولا اشد استبشارا منذ اليوم

فقال وما يمنعني وخرج انفا جبرئيل من عندي فقال قال الله تعالى من صلى عليك صلوة صلى الله
بها عليه عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات ان الذين يوذون الله
ورسوله قيل هم الكافرون والمنافقون والذين وصفوا الله بما لا يليق به وكذبوا رسوله
وكذبوا عليه فعلى هذا يكون معنى يوذون الله يخالفون امره ويصفونه بما هو منزه
عنه ويشبهونه بغيره فان الله عز اسمه لا يلحقه اذى ولكن لما كانت مخالفة الامر فيما بيننا
تسمى ايذاء خوطبنا بما نتعارفه وقيل يوذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل
معناه يوذون رسول الله فقدم ذكر الله على وجه التعظيم اذ جعل اذى رسوله
اذى له تشريفا له وتكريما فكانه يقول لو جاز ان ينالني اذى من شيء لكان ينالني هذا
واتصاله بما قبله انه كانه يقول صلوا عليه ولا توذوه فان من اذاه فهو كافر ثم اوعد
عليه بقوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة ان يبعدهم الله من رحمته ويحل بهم وبال نقمته
بكرمان زيادات الهدى في الدنيا والخلود في النار في الاخرة واعد لهم في الاخرة عذابا
مهينا اى مذلا لهم حدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثنا
عبد الله الحافظ قال حدثنا احمد بن محمد بن ابي دارم الحافظ قال حدثنا علي بن احمد
العجلي قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا ارطاة بن حبيب قال حدثني ابو خالد الواسطي
وهو اخذ بشعره قال حدثني زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وهو اخذ بشعره قال حدثني
علي بن ابي طالب ع وهو اخذ بشعره قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وهو اخذ
بشعره فقال من اذى شعرة منك فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن
اذى الله فعليه لعنة الله والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا
اى يوذونهم من غير ان عملوا ما يوجب اذاهم فقد احتملوا بهتانا اى فقد فعلوا
ما هو في عظم الاثم مثل البهتان وهو الكذب على الغير يواجهه به فجعل اذا
المومنين والمومنات مثل البهتان وهو الكذب على الغير وقيل يعني بذلك
اذية اللسان فيتحقق فيها البهتان واثما مبينا اى معصية ظاهرة قال قتادة
والحسن اياكم واذى المومنين فان الله تعالى يغضبه وقيل نزلت في قوم من الزناة

كانوا يمشون في الطرقات ليلا فاذا راوا امراة غمزوها وكانوا يطلبون الاماء
عن الضحاك والسدي والكلبي ثم خاطب النبي عليه السلام فقال يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن اى قل لهولاء ليسترن
موضع الجيب بالجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المراة عن الحسن وقيل الجلباب مقنعة
المراة اى يغطين جباههن ورؤسهن اذا خرجن لحاجة بخلاف الاماء اللاتي يخرجن
مكشفات الرؤس والجباه عن ابن عباس ومجاهد وقيل اراد بالجلابيب الثياب
والقميص والخمار وما تستتر به المراة عن الجبائي وابي مسلم ذلك ادنى ان يعرفن فلا
يوذين ذلك اقرب الى ان يعرفن بهن انهن حرائر وليس باماء فلا يوذيهن اهل
الريبة فانهم كانوا يمازحون الاماء وربما كان يتجاوز المنافقون الى ممازحة
الحرائر فاذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبناهن اماء فقطع الله عذرهم وقيل
معناه ذلك اقرب الى ان يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لهن لان الفساق
اذا عرفوا امراة بالستر والصلاح لم يتعرضوا لها عن الجبائي وكان الله غفورا
رحيما اى ستار الذنوب عباده رحيما بهم ثم اوعد تعالى هولاء الفساق فقال
لئن لم ينته المنافقون اى لئن لم يمتنع المنافقون والذين في قلوبهم مرض
اى فجور وضعف في الايمان وهم الذين لا دين لهم عما ذكرناه من مراودة النساء
وايذائهم والمرجفون في المدينة وهم المنافقون ايضا الذين كانوا يرجفون
بالاخبار الكاذبة المضعفة لقلوب المسلمين بان يقولوا اجتمع المشركون في موضع
كذا قاصدين لحرب المسلمين ونحو ذلك ويقولوا لسرايا المسلمين انهم قتلوا
وهزموا وفي الكلام حذف وتقديره لئن لم ينته هولاء عن اذى المسلمين وعن
الارجاف بما يشغل قلوبهم لنغرينك بهم اى لنسلطنك عليهم يا محمد عن ابن
عباس والمعنى امرناك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة وقد حصل الاغراء بهم
بقوله جاهد الكفار والمنافقين عن ابي مسلم وقيل لم يحصل الاغراء بهم لانهم
انتهوا عن الجبائي قال لو حصل الاغراء لفعلوا وشردوا واخرجوا عن المدينة ثم

لا يجاورونك فيها الا قليلا اى ثم لا يساكنوك فى المدينة الا يسيرا وهو ما بين الامر
بالقتل وبين قتلهم ملعونين اى مطرودين منفيين عن المدينة مبعدين عن الرحمة
وقيل ملعونين على السنة المومنين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا اى اينما
وجدوا وظفر بهم اخذوا وقتلوا ابلغ القتل سنة الله فى الذين خلوا من قبل
اى سنة الله التى قد خلت من قبل والسنة الطريق فى تدبير الحكيم وسنة
رسول الله طريقته التى اجراها بامر الله تعالى فاضيفت اليه ولا يقال سنة اذا فعلها
مرة او مرتين لان السنة الطريقة الجارية والمعنى من الله فى الذين ينافقون
الانبياء ويرجفون بهم ان يقتلوا حيث ما ثقفوا عن الزجاج ولن تجد لسنة الله
تبديلا اى تحويلا وتغييرا اى لا يتهيا لاحد تغييرها ولا قلبها عن جهتها لانه تعالى
القادر الذى لا يتهيا لاحد منعه مما اراد فعله قوله عز وجل يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ
السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا إِنَّ اللَّهَ
لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا وَقَالُوا
رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى
فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا سبع آيات القراة قرا ابن عامر
ويعقوب وسهل ساداتنا بالالف وكسر التاء والباقون سادتنا بغير الالف وقرا
عاصم كبيرا بالباء والباقون كثيرا بالثاء وفى الشواذ قراة عيسى ابن عمر
يوم تقلب وجوههم وقراة ابن مسعود والاعمش وكان عبدا لله وجيها الحجة قال
ابو على سادة فعلة مثل كتبة وفجرة قال [illegible] سليل قوم مثل ذادة يبيدون
اهل الجمع يوم المحصب ووجه الجمع بالالف والتاء انهم قالوا الطرقات والمصات و
فى معنى جمع معين وقال الاعشى حسنا لتالد الطريف من السادات اهل
القباب والاكال قال ابو الحسن هى غريبة والكبير مثل العظيم والكثرة اشبه بالموضع

لانهم يلعبون مرة بعد مرة وقد جاء يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فالكثرة اشبه بالمواضع
المتكررة من الكبر وقوله يوم تقلب وجوههم تقديره يوم تقلب السعير وجوههم بسبب الفعل
الى النار لما كان التقليب فيها كما قال بل مكر الليل والنهار لوقوع المكر فيهما وعليه قوله ونمت وما
ليل المطى بنائم وقوله عبدا لله لا يفهم منه وجاهته عند الله فقراة الناس
المشهورة اقوى منه لاسناد وجاهته الى الله تعالى المعنى قال تعالى يسالك الناس يا محمد
عن الساعة يعنى القيمة قل انما علمها عند الله لا يعلمها غيره وما يدريك يا محمد اى شى
يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اى انت لا تعرفه ثم قال لعل الساعة تكون قريبا اى قريبا
مجيئها ويجوز ان يكون امره اى يجيب كل من يساله عن الساعة بهذا فيقول لعلها يستطيبه
قريب فما ينكره كاين ويجوز ان يكون تسلية له عليه السلام اى فاعلم انه قريب فلا يضيقن صدرك
استهزائهم باخفائها ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا اى نارا تسعر وتلتهب خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا ينصرهم ولا نصيرا يدفع عنهم يوم تقلب وجوههم فى النار
العامل فى يوم تقلب قوله واعد لهم سعيرا والتقليب تصريف الشى فى الجهات ومعناه
تقلب وجوه هولاء السائلين عن الساعة واشباههم من الكفار فتسود وتصفر
وتصير كالحة بعد ان لم تكن وقيل معناه نقل وجوههم من جهة الى جهة فى النار
فيكون ابلغ فيما يصل اليها من العذاب يقولون متمنين متاسفين يا ليتنا اطعنا الله
فيما امرنا به ونهانا عنه واطعنا الرسولا فيما دعانا اليه قالوا ربنا انا اطعنا
فيما فعلناه سادتنا وكبراءنا والسيد المالك المعظم يملك تدبير السواد الاعظم
وهو جمع الاكثر قال مقاتل هم المطعمون فى غزوة بدر وقال طاوس هم العلماء والوجه
ان المراد جميع قادة الكفر وايمة الضلال فاضلونا السبيلا اى اضلنا هولاء
عن سبيل الحق وطريق الرشاد ربنا اتهم ضعفين من العذاب بضلالهم فى نفوسهم
واضلالهم ايانا اى عذبهم مثلى ما تعذب غيرهم والعنهم لعنا كثيرا مرة بعد
اخرى وزدهم غضبا الى غضبك وسخطا الى سخطك ثم خاطب تعالى المظهرين
للايمان فقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله

مما قالوا اي لا تؤذوا محمدا كما اذى بنوا اسرائيل موسى فان حق النبي ان يعظم ويبجل
لا ان يؤذى واختلفوا فيما اوذى به موسى على اقوال احدها ان موسى وهرون
صعد الجبل فمات هرون فقالت بنوا اسرائيل انت قتلته فامر الله تعالى الملائكة فحملته
حتى مروا على بنوا سرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا انه قد مات فبراه الله
من ذلك عن علي عليه السلام وابن عباس واختاره الجبائي وثانيها ان موسى ع كان حييا ستيرا
يغتسل وحده فقالوا ما يستتر منا الا لعيب بجلده اما ابرص واما ادر فذهب مرة يغتسل
فوضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى فراه بنوا سرائيل عريانا كاحسن الرجال
خلقا فبراه الله مما قالوا رواه ابو هريرة مرفوعا وقال قوم ان ذلك لا يجوز لان فيه
اشهار النبي وابداء سوأته على رؤس الاشهاد وذلك ينفر عنه وثالثها ان قارون
استاجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على راس الملاء فعصمه الله تعالى من ذلك
على ما مر ذكره عن ابي العالية ورابعها انهم اذوه من حيث نسبوه الى السحر والجنون
والكذب بعد ما راوا الايات عن ابي مسلم وكان عند الله وجيها اي عظيم القدر
رفيع المنزلة يقال وجه وجاهة فهو وجيه اذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان
عند الله خطيرا لا يساله شيئا الا اعطاه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله
فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان
الله غفورا رحيما اربع آيات المعنى ثم امر تعالى اهل الايمان والتوحيد بالتقوى والقول
السديد فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي اتقوا عقاب الله اي اتقوا عقاب الله
باجتناب معاصيه وفعل واجباته وقولوا قولا سديدا اي صوابا بريا من الفساد خالصا
من شائب الكذب واللغو موافق الظاهر للباطن وقال الحسن وعكرمة صادقا يعني كلمة التوحيد
لا اله الا الله وقال مقاتل هذا يتصل بالنهي عن الايذاء اي قولوا قولا صوابا ولا تنسبوا رسول الله

الى ما لا يحل

الى ما لا يحل ولا يليق به يصلح لكم اعمالكم معناه ان فعلتم ذلك يصلح لكم اعمالكم بان بلطف
فيها حتى يستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد ويوفقكم لما فيه الصلاح
والرشاد وقيل معناه يزكي اعمالكم وتتقبل حسناتكم عن ابن عباس ومقاتل ويغفر لكم ذنوبكم
باستقامتكم في الاقوال والافعال ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز
فوزا عظيما اي فقد افلح افلاحا عظيما وقيل قد ظفر برضوان الله وكرامته انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال اختلف في معنى الامانة فقيل هي ما امر الله تعالى به من طاعته
ونهى عنه من معصيته عن ابي العالية وقيل هي الفرايض والاحكام التي اوجبها الله تعالى على العباد
عن ابن عباس ومجاهد وهذان القولان متقاربان وقيل هي امانات الناس والوفاء
بالعهود واولها ايتمان ادم ابنه قابيل على اهله وولده حين اراد التوجه الى مكة
عن امر ربه فخان قابيل اذ قتل هابيل عن السدي والضحاك واختلف في معنى عرض
الامانة على هذه الاشياء وقيل فيه اقوال احدها ان المراد العرض على اهلها فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعرضها عليهم هو تعريفها اياهم ان في تضييع الامانة
الاثم العظيم وكذلك في ترك اوامر الله واحكامه فبين تعالى جراة الانسان على المعاصي
واشفاق الملائكة من ذلك فيكون المعنى عرضنا الامانة على اهل السموات والارض
والجبال من الملائكة والانس والجن فابين ان يحملنها اي فابى اهلهن ان يحملوا تركها
وعقابها والماثم فيها واشفقن منها اي واشفق اهلهن من حملها وحملها الانسان
انه كان ظلوما لنفسه بارتكاب المعاصي جهولا بموضع الامانة في استحقاق العقاب على الخيانة
فيها عن ابي علي الجبائي وقال اذا لم يصح حمله على نفس السموات والارض والجبال فلا بد ان يكون
المراد به اهلها لانه لا يجوز ان يكون المراد به المكلفين دون غيرهم لان ذلك لا يصح الا فيهم ولا بد
من ان يكون المراد به المكلفين بحمل الامانة تضييعها لان نفس الامانة قد حملتها الملائكة
وقامت بها قال الزجاج كل من خان الامانة فقد حملها ومن لم يخن الامانة فقد اداها
وكذلك كل من اثم فقد احتمل الاثم قال تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فقد اعلم الله
تعالى ان من اثم يسمى حاملا للاثم وهو قول الحسن قال الكافر والمنافق حملا الامانة اي خانا ولم يطيعا

وانشد بعضهم في حمل الامانة بمعنى الخيانة قول الشاعر شعر اذا انت لم تبرح تودي امانة وتحمل
اخرى ا وزحتك الودايع واقول ان الظاهر لا يدل على ذلك لانه يجوز ان يكون المراد بالحمل هنا
قبول الامانة لان الشاعر جعله في مقابلة الاداء فكانه قال اذا كنت لا تزال تقبل امانة وتودي
اخرى متغلب ا مانك بقبول الودايع وادائها فاثقلتك وثانيها ان معنى عرضنا
عارضنا وقابلنا فان عرض الشيء على الشيء ومعارضته سواء والامانة ما عهد الله تعالى
الى عباده من امره ونهيه وانزل فيه الكتب وارسل الرسل واخذ عليه الميثاق والمعنى
ان هذه الامانة في جلالة موقعها وعظم شانها لو قيست بالسموات والارض
والجبال وعورضت بها لكانت ارجح واثقل وزنا ومعنى قوله ابين ان يحملنها
ضعفن عن حملها كذلك واشفقن منها لان الشفقة ضعف القلب لذلك صار
كناية عن الخوف الذي يضعف عنده القلب ثم قال ان هذه الامانة التي من صفتها انها
اعظم من هذه الاشياء العظيمة تقلد بها الانسان فلم يحفظها بل حملها وضيعها
بظلمه على نفسه وجهله بمبلغ الثواب والعقاب عن ابي مسلم وثالثها انه على وجه التقدير
الا انه اجرى عليه لفظ الواقع لان الواقع ابلغ من المقدر وقيل معناه لو كانت السموات
والارض والجبال عاقلة ثم عرضت عليها الامانة وهي وظايف الدين اصولا وفروعا
وما ذكرناه من الاقاويل فيهما بما فيها من الوعد والوعيد عرض تخيير لاستثقلت
ذلك مع كبر اجسامها وشدتها وقوتها ولامتنعت من حملها خوفا من القصور عن
اداء حقها ثم حملها الانسان مع ضعف جسمه ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله وعلى هذا
يحمل ما روي عن ابن عباس انها عرضت على نفس السموات والارض فامتنعت من حملها
ورابعها ان معنى العرض والاباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام بل المراد تعظيم شان الامانة
لا خطاب الجماد والعرب تقول سالت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب
وانما هو اخبار عن الحال عبر عنه بذكر الجواب والسوال ويقول اتى فلان بكذب لا تحمله
الجبال وقال تعالى فقال لها وللارض ايتنا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وخطاب
من لا يفهم لا يصح وقال الشاعر شعر فاجهشت للبوبات حين رايته وكبر للرحمان حين راني

والبوبات اسم جبل فقلت له اين الذين عهدتهم بحيك في خفض وطيب زمان قال
مضوا واستودعتني بلادهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان وقال الاخر فقال لي
البحر اذا جيته وكيف يجيب من ضريرا فالامانة على هذا ما اودع الله تعالى السموات
والارض والجبال من الدلايل على وحدانيته وربوبيته فاظهرتها والانسان تركها
وجحدها لظلمه وجهله وبالله التوفيق ولم يرد بقوله الانسان جميع الناس بل هو
مثل قوله ان الانسان لفي خسر وان الانسان لربه لكنود فاما الانسان اذا
ما ابتليه ربه والانبياء والاولياء والمومنون عن عموم الله من جميع
خلقه موصوفا بالظلم والجهل ثم بين تعالى العرض الصحيح والحكمة البالغة
في عرضه هذه الامانة فقال ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات يعني بتضييع الامانة فالمعنى انا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق
وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان المومن فيتوب الله عليه
ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات ويتوب الله على المومنين والمومنات
بحفظهم الامانة ووفائهم بها وهذا هو العرض بالتكليف عند من عرف
المكلف والمكلف لحسن هما اللذان حملاها وظلما حاملها وكان الله
غفورا اي ستارا لذنوب المومنين رحيما بهم سورة سبا مكية وهي اربع
وخمسون اية شامي ربع في الباقين اختلافها اية عن يمين وشمال شامي
فضلها ابي بن كعب عن النبي عليه السلام قال من قرا سورة سبا لم يبق نبي ولا رسول
الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا وروى ابن اذينة عن ابي عبد الله
عليه السلام من قرا الحمدين جميعا سبا وفاطر في ليلة لم يزل ليلته في حفظ الله
وكلاءته فان قراهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه واعطي من خير الدنيا
وخير الاخرة شيئا ثم يخطر على قلبه ولم يبلغ منه تفسيرها لما ختم الله تعالى
سورة الاحزاب ببيان العرض في التكليف وانه تعالى يجزي المحسن باحسانه والمسيء
باسائته افتتح هذه السورة بالحمد لله على نعمته وكمال قدرته فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة و
هو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل
بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك
لهم عذاب من رجز اليم خمس ايات القراءة قرأ اهل المدينة والشام عالم الغيب بالرفع
وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب بالجر واللام قبل الالف والباقون بالجر الحجة قال ابو علي
الجر على قوله الحمد لله عالم الغيب وقال غيره عالم الغيب بالجر صفة لقوله وربي وبدل
منه فاما الرفع فيجوز ان يكون خبر مبتداء محذوف وتقديره هو عالم الغيب ويكون
ابتداء وخبره لا يعزب علام ابلغ من عالم والرجز العذاب بدلالة قوله لئن كشفت
عنا الرجز وانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء واذا كان العذاب يوصف باليم
كان نفس العذاب جاز ان يوصف به والجر في اليم ابين لانه اذا كان عذاب من عذاب
اليم كان العذاب الاول اليما واذا اجريت الاليم على العذاب كان المعنى عذاب اليم من عذاب
فالاول اكثر فائدة اللغة الحمد الوصف بالجميل على جهة التعظيم ونقيضه الذم
وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ثم ينقسم فمنه ما هو اعلى ومنه ما هو ادنى
فالاعلى ما يقع على وجه العبادة ولا يستحقها الا الله تعالى لان احسان الله عز اسمه
لا يوازنه احسان احد من المخلوقين ويستحق الحمد على الاحسان والانعام فلا يستحق
احد من المخلوقين مثل ما يستحقه تعالى والولوج والدخول والعروج الصعود والمعارج
الدرج بهذا وعزب عنه يعزب اذا بعد في الحديث من قرأ القران في اربعين
ليلة فقد عزب اي فقد بعد عهده بما ابتداء منه وابطاء في تلاوته الاعراب
ليجزي الذين امنوا يتعلق بقوله لا يعزب المعنى الحمد لله معناه قولوا الحمد لله وهو

تعريف لوجوب

تعريف لوجوب الشكر على نعم الله تعالى وتعليم لكيفية الشكر الذي له ما في السموات
وما في الارض اي الذي يملك التصرف في جميع ما في السموات وجميع ما في الارض
ليس لاحد الاعتراض عليه ولا منعه وله الحمد في الاخرة اي هو المستحق للحمد
على افعاله الحسنى في الدارين لكونه منعما فيهما والاخرة وان كانت ليست بدار التكليف
فلا يسقط فيه الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى بل العباد ملجؤن الى ذلك لمعرفتهم
الضروري بنعم الله تعالى عليهم من الثواب والعوض وضروب التفضل ومن حمد
اهل الجنة لا على جهة التعبد لكن على جهة السرور والتلذذ بالحمد ولا يكون عليهم
فيه تعب ولا مشقة وقيل يحمده اهل الجنة على نعمه وفضله ويحمده اهل النار
على عدله وهو الحكيم في جميع افعاله لانها كلها واقعة على وجه الحكمة
الخبير بجميع المعلومات يعلم ما يلج في الارض اي ما يدخل فيها من مطر وكنز
او ميت وما يخرج منها من زرع او نبات وجوهر وحيوان وما ينزل من
السماء من مطر او رزق او ملك وما يعرج اي يصعد فيها من الملائكة واعمال
العباد فهو يجري جميع ذلك على تقدير تقتضيه الحكمة وتدبير توجبه المصلحة
وهو الرحيم بعباده مع علمه بما يعملون من المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة ويمهلهم
للتوبة الغفور اي الساتر عليهم ذنوبهم في الدنيا المتجاوز عنها في الاخرة العقبى
كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال الذين كفروا يعني منكري البعث والنشور
لا تأتينا الساعة اي القيامة قل لهم يا محمد بلى وربي اي وحق الله ربي الذي خلقني
واوجدني لتأتينكم القيمة عالم الغيب يعلم كل شيء يغيب عن العباد علمه لا يعزب عنه اي لا
يفوته مثقال ذرة في السموات ولا في الارض بل هو عالم بجميع ذلك ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ وقد مضى هذا مفسرا في سورة يونس
كذب الله تعالى في هذه الاية الكفار الجاحدة للبعث وبين ان القيامة اتية كائنة
لا محالة وامر رسول الله صلى الله عليه واله بان يحلف على ذلك تاكيدا له ثم مدح
نفسه بانه يعلم ما غاب عن العباد علمه ما هو كائن او سيكون ولم يوجد بعد ليجزي الذين

امنوا وعملوا الصالحات اى انما اثبت ذلك فى الكتاب المبين ليكافيهم بما يستحقونه
من الثواب على صالح اعمالهم اولئك لهم مغفرة لذنوبهم وستر لها ولهم مع ذلك
رزق كريم اى هنا لا تنغص فيه ولا تكدير وقيل هو الجنة عن قتاده والذين سعوا
فى اياتنا معاجزين اى والذين عملوا بجهدهم وجدهم فى ابطال حججنا وفى تزهيد
الناس عن قبولها مقدرين اعجازنا بهم وظانين انهم يفوتونه وقيل معاجزين
مسابقين ومعجزين مثبطين وقد مضى تفسير هذه الاية فى سورة الحج اولئك لهم
عذاب من رجز اليم اى سيئ العذاب عن قتاده اليم اى مولم   وجه اتصال قوله
عالم الغيب بما قبله انه لما حكى عن المشركين ما يضاد الاقرار له بالربوبية والاعتراف
بالنعمة من انكار القيمة ذكر بعده ان من يعلم افعال العباد وما يستحقونه من الجزاء
لو لم يجعل دارا اخرى يجازى فيها المحسن على احسانه والمسيء على اساته وينتصف
للمظلوم من الظالم كان ذلك خروجا عن موجب الحكمة قوله عز وجل ويرى الذين
اوتوا العلم الذى الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل
ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة
بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فى العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لاية لكل عبد منيب اربع ايات القراءة
قرا حمزة والكسائى وخلف ان يشا يخسف بهم او يسقط بالياء فى الجميع والباقون
كل ذلك بالنون وادغم الكسائى وحده الفاء فى الباء فى نخسف بهم الحجة قال ابو على
حجة النون قوله ولقد اتينا داود فالنون اشبه باتينا وحجة الياء قوله
افترى على الله كذبا فحمل على اسم الله قال وادغام الفاء فى الباء لا يجوز لان
الفاء من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا وانحدر الصوت به
الى الفم حتى اتصلت بمخرج الثاء حتى جاء مثل الجدث والجدف والمغاثير والمغافير
فتعاقبا للمقاربة بينهما فلما اتصل بمخرج الثاء صارت بمنزلة حرف من تلك الحروف

من ربك
انزل اليك هو الحق
ويهدي صح

فلم يجز

فلم يجز ادغامها فى الباء لانها اذا اتصل بما ذكرنا صارت بمنزلة حرف من ذلك الموضع
فكما ان ذلك الحرف الذى اتصل بالفاء لا يدغم فى الباء كذلك الفاء لا تدغم فى الباء
وكذلك لا يجوز ان يدغم الفاء فى الباء لزيادة صوتها المتصل بحرف من حروف
الفم الاعراب يرى يحتمل ان يكون منصوبا عطفا على ليجزى ويحتمل ان يكون مرفوعا
على الاستيناف الذى انزل اليك فى موضع نصب لانه مفعول يرى وهو فصل والحق
مفعول ثان ليرى وقوله اذا مزقتم قال الزجاج اذا فى موضع نصب لانه مفعول
يرى وهو بمزقتم ولا يجوز ان يعمل فيها جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها
والتاويل هل ندلكم على رجل يقول لكم اذا مزقتم تبعثون ويكون اذا بمنزلة ان
الجزاء يعمل فيها الذى يليها قال قيس بن الخطيم شعر اذا قصرت اسيافنا كان
وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب والمعنى يكن وصلها والدليل على جزم
فنضارب ويجوز ان يكون العامل فى اذا مضمرا يدل عليه انكم لفى خلق جديد ويكون
المعنى هل ندلكم على رجل يقول اذا مزقتم بعثتم قال ابو على ان جعل موضع اذا نصبا بمزقتم
لزم ان يحكم موضعه بالجزم لان اذا هذه لا يجوز ان ينتصب به حتى يقدر جزم الفعل
الذى هو الشرط بها والجزم بها لا يسوغ ان يحمل عليه الكتاب لان ذلك انما يكون فى ضرورة
الشعر وان حمل موضع اذا على انه نصب بالفعل غير مقدر فى موضع الجزم لم يجز لانه اذا لم
يجاز بها اضيفت الى الفعل والمضاف اليه لا يعمل فى المضاف ولا فيما قبله وموضع
الفعل الواقع بعدها اذا خفض وكما لم يجز زيدا غلام ضارب زيدا عندك فكذلك لا يجوز
ان يكون موضع اذا نصبا بمزقتم فالتقدير ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق بعثتم او نشرتم
او ما اشبه ذلك من الافعال التى تكون قوله انكم لفى خلق جديد دالا عليه ومفسرا له وان
قدر هذا الفعل قبل اذا كان سائغا فيكون التقدير ينبئكم فيقول لكم تبعثون اذا
مزقتم كل ممزق ويكون جواب اذا على هذا التقدير ينبئكم فيقول لكم تبعثون اذا مزقتم
كل ممزق بعثتم فتستغنى اذا عن اظهار الجواب اذا تقدمها ما يدل عليه نحو انت ظالم ان فعلت
وكذلك يحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه اذا وقع بعد كلام غير واجب نحو الامر والاستفهام

ومااشبه ذلك بانهم ذلك فانه فصل جليل الموقع فى النحو تستخرجه من كلام ابى على افترى
اصله أافترى دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فاسقطتها المعنى ثم ذكر تعالى
المومنين واعترافهم بما جحده من تقدم ذكرهم من الكافرين فقال ويرى الذين
اوتوا العلم اى ويعلم الذين اعطوا المعرفة بوحدانية الله تعالى وهم اصحاب محمد عليه السلم
عن قتاده وقيل هم المومنون من اهل الكتاب عن الضحاك وقيل هم كل من اوتى العلم
بالدين وهذا اولى لعمومه الذى انزل اليك من ربك يعنى القران هو الحق اى يعلمونه
الحق لانهم يتدبرونه ويتفكرون فيه فيعلمون بالنظر والاستدلال انه ليس من قبل البشر
فهولاء لطف البارى تعالى لهم بما اداهم الى العلم فكانه تعالى اتاهم العلم وقوله ويهدى
اى ويعلمون انه يهدى القران ويرشد الى صراط العزيز الحميد اى دين القادر الذى
لا يغالب على جميع افعاله وهو الله تعالى وفى هذه الاية دلالة على فضيلة العلم وشرف
العلماء وعظم اقدارهم ثم عاد تع الى الحكاية عن الكفار فقال وقال الذين كفروا اى بعضهم
لبعض والقادة للاتباع على وجه الاستبعاد والتعجب هل ندلكم على رجل يعنون محمدا
عليه السلم ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد اى يزعم انكم تبعثون بعد ان
يكونوا عظاما ورفاتا وترابا وهو قوله اذا مزقتم كل ممزق اى فرقتم كل تفرق وقطعتم
كل تقطيع واكلتكم الارض والسباع والطيور والجديد المستانف المعاد والمعنى
انكم يجدد خلقكم بان تنشروا وتبعثوا افترى على الله كذبا معناه هل كذب على الله
متعمدا حين زعم انا نبعث بعد الموت وهو استفهام تعجب وانكار ام به جنة اى جنون
فهو يتكلم بما لا يعلم ثم رد الله تعالى عليهم قولهم فقال بل ليس الامر على ما قالوا من الافتراء
والجنون الذين لا يومنون بالاخرة اى هولاء الذين لا يصدقون بالبعث والجزاء
والثواب والعقاب فى العذاب فى الاخرة والضلال البعيد من الحق فى الدنيا ثم وعظهم
تعالى ليعتبروا فقال افلم يروا اى افلم ينظر هولاء الكفار الى ما بين ايديهم وما خلفهم من
السماء والارض كيف احاطت بهم وذلك ان الانسان حيث ما نظر راى السماء والارض
قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يقدر على الخروج منها وقيل معناه افلم يتدبروا

ويتفكروا فى السماء والارض فيستدلوا بذلك على قدرة الله تعالى ثم ذكر قدرته
على اهلاكهم فقال ان نشأ نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا
من السماء اى قطعة من السماء تغطيهم وتهلكهم ان فى ذلك لاية معناه ان فيما ترون
من السماء والارض لدلالة على قدرة الله تعالى على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم
لكل عبد منيب اناب الى الله ورجع الى طاعته فلا يرتدع هولاء عن التكذيب بايات
الله والانكار لقدرته على البعث قوله عز وجل وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ
أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا
صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ
وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ
مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ
وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ
الشَّكُورُ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ خمس آيات
القراءة قرأ يعقوب وعبيد بن عمير الاعرج والطير بالرفع وقرأ سائر القراء الطير
بالنصب وقرأ ابو بكر ولسليمان الريح بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو كالجوابي بياء فى
الاصل الا ان ابن كثير وقف بيا وابو عمرو بغير ياء والباقون بغير ياء فى الوصل
والوقف وقرأ اهل المدينة وابو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب منساته بغير همز
وقرأ ابن عامر منسأته بهمزة ساكنة والباقون منسأته بهمزة مفتوحة وقرأ
يعقوب تبينت الجن بضم التاء والباء وكسر الياء والباقون تبينت بفتح الجميع
وفى الشواذ قراءة ابن عباس والضحاك تبينت الانس وهو قراءة على بن الحسين
زين العابدين وابى عبد الله عليهما السلام الحجة قال الزجاج اما الرفع فى والطير
ففيه وجهان احدهما ان يكون نسقا على الياء فى اوبى المعنى يا جبال رجعى التسبيح
معه انت والطير والاخر ان يكون معطوفا على لفظ جبال التقدير يا جبال والطير

واما النصب ففيه ثلثة اوجه احدها ان يكون عطفا على فضلا اى اتينا داود منا
فضلا والطير بمعنى وسخرنا له الطير حكى ذلك ابو عبيدة عن ابى عمرو بن العلا والثانى
ان يكون نصبا على النداء ويكون معطوفا على محل جبال كانت قال ادعوا الجبال
والطير والثالث ان يكون منصوبا على معنى مع والمعنى اوبى معه ومع وقال ابو على
من قرا ولسليمان الريح عاصفة بالرفع ووجه الرفع ان الريح اذا سخرت لسليمن
جاز ان يقال له الريح معناه تسخير الريح فالرفع على هذا يول الى معنى النصب لان المصدر
المقدر فى تقدير الاضافة الى المفعول به قال والقياس فى الجوابى ان يثبت اليا
مع الالف واللام واما وقف ابو عمرو بغير ياء لانه فاصلة او مشبهة بها من حيث
هو تمام الكلام ومن حذف اليا فى الوصل والوقف فلان هذا النحو قد يحذف كثيرا
والقياس فى همزة منساة اذا خففت الهمزة منها ان تجعل بين الا انهم خففوا همزها
على غير القياس قال الشاعر انشده ابو الحسن اذا دببت على المنساة من هرم فقد تباعد
عنك اللهو والغزل واما قوله تبينت الانس فمعناه تبينت الانس ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب فهكذا هو مصحف عبد الله ويول الى هذا المعنى قراءة
يعقوب تبينت الجن اللغة التاويب الترجيع بالتسبيح قال سلامة بن جندل شعر
يومان يوم مقامات واندية ويوم سير الى الاعداء تاويب اى رجوع بعد رجوع
والسابغ التام من اللباس وسرد الحديد نظمه قال الشاعر شعر على بن ابى العاص
دلاص حصينة اجاد المسدى سردها واذالها وقال ابو ذويب وعليهما مسرودتان
قضاهما داود وصنع السوابغ تبع وهو ماخوذ من سرد الكلام يسرده سردا
اذا تابع بعض حروفه ببعض قال المبرد لا يسمى محرابا الا ما يرتقى اليه بدرج قال عدى
بن زيد كدمى العاج فى المحاريب كالبيض فى الروض زهره مستنير وقال وضاح
اليمن ربة محراب اذا جئتها لم القها او ارتقى سلما والتماثيل صور الانسان واحدها
تمثال واصله من المثول وهو القيام كانه نصب قائما ومنه الحديث من سره ان يمثل
له الناس قياما فليتبوا مقعده من النار والجوابى جمع جابية وهى الحوض العظيم يجبى فيه الماء

قال الاعشى تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق والمنساة
العصا الكبيرة التى يسوق بها الراعى غنمه مفعلة من نسات الناقة
والبعير اذا زجرته الاعراب انه اعمل سابغات ان بها هنا فى تاويل
التفسير والقول قال ابو على فلما خر تبين امر الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب
فحذف المضاف وان لو كانوا بدل من الجن ولفظ تبين ههنا لازم غير
متعد مثله فى قوله وتبين لكم كيف فعلنا بهم وقوله فلما تبين له قال اعلم
ان الله على كل شىء قدير والمعنى فلما انكشف للانس امر الجن من جهلهم
بالغيب وذلك لان الجن ما ادعوا الغيب انما اعتقد الانس فيهم انهم يعلمون
الغيب فابطله الله تعالى عقيدتهم فيهم بموت سليمان عليه السلم وهى تدعى
المفسرة بمعنى اى كانه وقيل وانا له الحديد اى اعمل سابغات والتقدير
قلنا له اعمل ويكون فى معنى لان يعمل وانما فصل ان هذه بلفظ الامر ومثله
من الكلام ارسل اليه ان قم الى فلان وقد ر مفعوله محذوف اى قدر الحلق
والمسامير وقوله غدوها شهر ورواحها شهر فى موضع نصب على الحال
والتقدير غدوها مسيرة شهر ورواحها كذلك لان حذف المضاف والعامل
فى الحال معنى التسخير فى قوله ولسليمان الريح ومن يعمل فى موضع نصب
على تقدير وسخرنا من الجن من يعمل شكرا يجوز ان يكون مفعولا له او على
تقدير اشكروا شكرا كما تقول حمدا لله شكرا وقوله ان كانوا يعلمون
الغيب ان هذه مخففة من الثقيلة على تقدير انهم كانوا يعلمون قال ابو على
والتقدير فلما خر تبين امر الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب فحذف المضاف
فان لو كانوا بدل من الجن ولفظ تبين ههنا لازم غير متعد ومثله
فى قوله وتبين لكم كيف فعلنا بهم وقوله فلما تبين له قال اعلم ان الله
على كل شىء قدير والمعنى فلما انكشف للانس امر الجن من جهالتهم بالغيب وذلك
لان الجن ما ادعوا الغيب وانما اعتقد الانس فيهم انهم يعلمون الغيب فابطل الله تعالى

عقيدة تم فيهم بموت سليمان عليه السلم المعنى لما تقدم ذكر عباد الله المنيبين
اليه وصله تعالى بذكر داود وسليمان عليهما السلم فقال ولقد اتينا داود منا
فضلا معناه ولقد اعطينا داود من عندنا نعمة واحسانا اي فضلناه
على غيره بما اعطيناه من النبوة والكتاب وفصل الخطاب والمعجزات
ثم فصل تعالى ما اعطاه فقال يا جبال اوبي معه والطير اي قلنا للجبال
يا جبال سبحي معه اذا سبح واما الطير فيجوز ان يسبح ويحصل له من التمييز ما
ينافي منه ذلك بان يزيد الله في فطنته فيفهم ذلك عن ابن عباس والحسن ومجاهد
قالوا امر الله الجبال ان تسبح معه اذا سبح فسبحت معه وتاويله عند اهل
اللغة رجعي معه التسبيح من آب يؤوب ويجوز ان يكون تعالى فعل في الجبال ما يأتي به
منها التسبيح معجزا له وقيل معناه سيري معه وكانت الجبال والطير تسير معه
اين ما سار وكان ذلك معجزة له عن الجبائي والنا ويبالها ر وقيل معناه ارجعي
الى مراد داود فيما يريده من حفر واستنباط عين واستخراج معدن ووضع طريق
والنا له الحديد فصار في يده كالشمع يعمل به ما شاء من غير ان يدخله النار
ولا ان يضربه بالمطرقة عن قتاده ان اعمل سابغات اي قلنا اعمل من الحديد له علمه في
صنعة الدروع وكان اول من اتخذها فكان يبيعها وياكل ثمنها ويطعم عياله ويتصدق
عنه وروي عن الصادق عليه السلم قال ان الله اوحى الى داود نعم العبد انت الا انك تاكل
من بيت المال فبكى داود اربعين صباحا فالان له الحديد وكان يعمل كل يوم درعا
فيبيعها بالف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعا فباعها بثلثمائة الف وستين الفا
فاستغنى عن بيت المال وقدر في السرد اي عدل في نسج الدروع ومنه قيل لصانعها
سراد وزراد والمعنى لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل
السرد المسامير التي في حلق الدروع عن قتاده حكي ان لقمن حضر عند داود درع
عملها فجعل يتفكر فيها ولا يدري ما يريد ولم يسأله حتى فرغ منها ثم قام فلبسها
وقال نعم جنة الحرب هذه فقال لقمن عند ذلك الصمت حكم وقليل فاعله واعملوا صالحا

او قلنا

اي وقلنا اعملوا انت واهلك الصالحات وهي الطاعات شكرا لله سبحانه على عظم نعمائه
اني بما تعملون بصير اي انا عالم بما تفعلونه لا يخفى علي شيء من اعمالكم ثم ذكر سبحانه
سليمان وما اتاه من الفضل والكرامة فقال ولسليمان الريح اي سخرنا لسليمان
الريح غدوها شهر ورواحها شهر اي مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة
شهر ومسير رواح تلك الريح مسيرة شهر والمعنى انها كانت تسير في اليوم مسيرة
شهرين قال قتاده كانت تغدو مسيرة شهر الى نصف النهار وتروح مسيرة شهر
الى آخر النهار وقال الحسن كانت تغدو من دمشق فيقيل باصطخر من ارض همدان وبينهما
مسيرة شهر للمسرع وتروح من اصطخر فتبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر تحمله
الريح مع جنوده اعطاه الله الريح بدلا من الصافنات الجياد واسلنا له عين
القطر اي اذبنا له عين النحاس واظهرناها له قالوا اجريت له عين الصفر ثلثة ايام
بلياليهن جعلها الله له كالماء وانما يعمل الناس بما اعطي سليمان منه ومن الجن
من يعمل بين يديه باذن ربه المعنى وسخرنا له من الجن من يعمل بحضرته وامام عينه
ما يامرهم به من الاعمال كما يعمل الادمي بامر ربه تعالى وكان يكلفهم الاعمال الشاقة
مثل عمل الطين وغيره وقال ابن عباس سخرهم الله لسليمان وامرهم بطاعته
فيما يامرهم به وفي هذا دلالة على انه قد كان من الجن من هو غير مسخر له ومن يزغ
منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير المعنى ومن يعدل من هؤلاء الجن الذين سخرناهم
لسليمان عما امرناهم من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير اي عذاب النار
في الاخرة عن اكثر المفسرين وفي هذا دلالة على انهم قد كانوا مكلفين وقيل معناه
نذقه العذاب في الدنيا وان الله سبحانه وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ
منهم عن طاعة سليمان ضربه ضربة احرقته يعملون له ما يشاء من محاريب وهي
بيوت الشريعة وقيل هي القصور والمساجد يتعبد فيها عن قتاده والجبائي قال
وكان مما عملوه بيت المقدس وقد كان الله عز اسمه سلط على بني اسرائيل الطاعون
فهلك خلق كثير في يوم واحد فامرهم داود ان يغتسلوا ويبرزوا الى الصعيد بالذراري

والاهلين ويتضرعوا الى الله تعا لعله يرحمهم وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء
المسجد وارتفع داوٗد فوق الصخرة فخر ساجدا يبتهل الى الله تعا وسجد وامعه
فلم يرفعوا رؤسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما ان شفع الله داوٗد فى بنى اسرائيل
جمعهم داوٗد بعد ثلث وق لهم ان الله تعا قد من عليكم و رحمكم فجددوا له شكرا
بان تتخذوا من هذا الصعيد الذى رحمكم فيه مسجدا ففعلوا واخذوا فى بناء
بيت المقدس فكان داوٗد ينقل الحجارة لهم على عاتقه وكذلك خيار بنى اسرائيل
حتى رفعوه قامة ولداود يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة فاوحى الله تعا
الى داوٗد ان تمام بنائه يكون على يد ابنه سليمن فلما صار داود ابن اربعين ومائة
سنة توفاه الله واستخلف سليمن واحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين
وقسم عليهم الاعمال يخص كل طايفة منهم بعمل فارسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام
والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط ولما فرغ
من بناء المدينة ابتداء فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقة يستخرجون
الذهب واليواقيت من معادنها وفرقة يقلعون الجواهر والاحجار من اماكنها وفرقة
ياتونه بالمسك والعنبر وساير الطيب وفرقة ياتونه بالدر من البحار فاتى من ذلك
بشىء لا يحصيه الا الله تعا ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار حتى صيروها
الواحا ومعالجة تلك الجواهر واللالى قال وبنى سليمن المسجد بالرخام الابيض والاصفر
والاخضر وعمده باساطين المها الصافى وسقفه بالواح الجواهر وفصص سقوفه
وحيطانه باللالى واليواقيت والجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن فى
الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضئ فى الظلمة كالقمر ليلة البدر
فلما فرغ منه جمع احبار بنى اسرائيل فاعلمهم انه بناء لله واتخذ ذلك اليوم الذى
فرغ منه عيدا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان ع حتى غزا بخت نصر بنى
اسرائيل فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما فى سقوفه وحيطانه
من الذهب والدر واليواقيت والجواهر فحملها الى دار مملكته من ارض العراق قال سعيد

بن المسيب

بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت ابوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح
حتى قال فى دعائه بصلوات ابى داوٗد الا فتحت الابواب ففتحت ففرغ له سليمان عشرة
الاف من قراء بنى اسرائيل خمسة الاف بالليل وخمسة الاف بالنهار ولا ياتى ساعة
من ليل ولا نهار الا ويعبد الله فيها وتماثيل يعنى صورا من نحاس وشبه وزجاج
ورخام كانت الجن تعملها ثم اختلفوا فقال بعضهم كانت صورا للحيوانات وقال
آخرون كانوا يعملون صور السباع والبهايم على كرسيه وكان اذا اراد ان يصعد
الكرسى بسط الاسدان ذراعيهما واذا علا على كرسى نشر النسران اجنحتهما ظللاه
من الشمس ويقال ان ذلك مما لا يعرفه احد من الناس فلما حاول بخت نصر قعود
الكرسى بعد سليمان حين غلب على بنى اسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان
فوقع الاسد ذراعيه فضرب ساقه فقدها فخر منشيا عليه فما جسر احد بعده ان يصعد
ذلك الكرسى قال الحسن ولم يكن يومئذ التصاوير محرمة وهى محظورة فى شريعة
نبينا عليه السلام فانه قال لعن الله المصورين ويجوز ان يكن ذلك فى زمن دون
زمن داوٗد وقد بين الله سبحانه ان المسيح ع كان يصورها بامر الله من الطين
كهيئة الطير وقال ابن عباس كانوا يعملون صور الانبياء والعباد فى المساجد
ليقتدى بهم وروى عن الصادق عليه السلام انه قال والله ما هى تماثيل النساء
والرجال ولكنها الشجر وما اشبه وجفان كالجواب اى صحاف كالحياض التى يجبى
فيها الماء اى يجمع وكان سليمان عليه السلام يصلح طعام جيشه فى مثل هذه الجفان
فانه لم يمكنه ان يطعمهم فى مثل قصع الناس لكثرتهم وقيل انه كان يجمع على كل
جفنه الف رجل ياكلون بين يديه وقدور راسيات اى ثابتات لا يزلن عن
امكنتهن لعظمهن عن قتاده وكانت باليمن وقيل كانت عظيمة كالجبال يحملونها
مع انفسهم وكان سليمن يطعم جنده ثم نادى سبحانه آل داوٗد وامرهم بالشكر
على ما انعم به عليهم من هذه النعمة العجيبة لان نعمته على سليمان نعمة عليهم
فقال اعملوا آل داوٗد شكرا اى قلنا لهم يا آل داوٗد اعملوا بطاعة الله شكرا له

على ما اتاكم من النعم عن مجاهد وفي هذا دلالة على وجوب شكر النعمة وان الشكر انما
المنعم وتعظيمه فيه اشارة ايضا ان لقرابة انبياء الله تعالى اثرا في القرب الى رضى
الله حين خص آل داود بالامر وقليل من عبادي الشكور والفرق بين الشكور والشاكر
ان الشكور من تكرر منه الشكر والشاكر من وقع منه الشكر قال ابن عباس اراد به المؤمن
الموحد وفي هذا دلالة على ان المؤمن الشاكر نقل في كل عصر فلما قضينا عليه الموت
اي فلما حكمنا على سليمان بالموت وقيل معناه اوحينا على سليمان الموت ما دلهم على موته
الا دابة الارض تاكل منساته اي ما دل الجن على موته الا الارضة ولم يعلموا موته حتى اكلت
عصاه فسقط فعلموا انه ميت وقيل ان سليمان كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة
والسنتين والشهر والشهرين واقل واكثر ويدخل فيه طعامه وشرابه ويتعبد
فيه فلما كان في المرة التي مات فيها لم يكن يصبح يوما الا وتنبت شجرة كان يسالها
سليمان فتخبره عن اسمها ونفعها وضرها فراى يوما نبتا فقال لها ما اسمك قالت
الخرنوب قال لاي شيء انت قال للخراب فعلم انه سيموت فقال اللهم عم عن الجن موتي
ليعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب وكان قد بقي من بنائه سنة وقال لاهله لا تخبروا
الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه وقام متكيا على عصاه فمات وبقي
قايما سنة وتم البناء ثم سلط الله على منساته الارضة حتى اكلتها فخر ميتا فعرف
الجن موته وكانوا يحسبونه حيا لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك
وقيل ان في اماتته قايما وبقائه كذلك اغراضا فيها اتمام البناء ومنها
ان تعلم الانس ان الجن لا تعلم الغيب وانهم في ادعاء ذلك كاذبون ومنها ان يعلم
ان من حضر اجله فلا يتاخر اذ لم يوخر سليمان مع جلالته وروي انه اطلعه الله
على حضور وفاته فاغتسل وتحنط وتكفن والجن في عملهم وروى ابو بصير
عن ابي جعفر ع قال ان سليمان امر الشياطين فعملوا له قبة من قوارير فبينا
هو قايم متكي على عصاه في القبة ينظر الى الجن كيف يعملون وهم ينظرون اليه لا يصلون
اليه اذا رجل معه في القبة فقال من انت قال انا الذي لا اقبل الرشى ولا اهاب

الملوك فقبضه وهو قايم متكي على عصاه في القبة قال فمكثوا سنة يعملون له حتى بعث
الله الارضة فاكلت منساته وفي حديث آخر عن ابي عبد الله عليه السلام قال كان آصف يدبر
امره حتى دبت الارضة فلما خر اي سقط سليمان ميتا تبينت الجن اي ظهرت الجن فانكشف
للناس ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين معناه في الاعمال
الشاقة وانما سماها عذابا للمشاق التي فيها الا انه كان عذابا فليس في ذلك
ان يكون عبادة له او بمنزلة ما يعرضون عليه اي ما عملوا مسخرين لسليمان
وهو ميت وهم يظنون انه حي وقيل ان المعنى تبينت عامة الجن ضعفتهم
ان الجن كانوا لا يعلمون الغيب فانهم كانوا يوهمون الانس انا نعلم الغيب وانما قال
تبينت الانس مضى بيانه وذكر اهل التاريخ ان عمر سليمان كان ثلثا وخمسين
سنة مدة ملكه منها اربعون سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدا
في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه والله اعلم واما الوجه
في عمل الجن تلك الاعمال العظيمة فهو ان الله تعالى زاد في اجسامهم وقوتهم
وغير خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون للطافتهم ورقة اجسامهم على سبيل
الاعجاز الدال على نبوة سليمان فكانوا بمنزلة الاسرى في يده وكانوا تتهيا لهم
الاعمال التي كان يكلفها ايام ثم لما مات عليه السلام جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه
فلا يتهيا لهم في هذا الزمان شيء من ذلك قوله عز وجل لقد كان لسبا في مسكنهم
آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم جنتين بجنتيهم
ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا
وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ليالي
واياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم
احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور خمس آيات
القراءة قرا مسكنهم على التوحيد بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسر الكاف الكسائي

وظلفه الباقون مساكنهم على الجمع وقرأ اكل خمط مضافا غير منون اهل البصرة
وقرأ الباقون غير مضاف بالتنوين وقرأ اهل الكوفة غير ابى بكر ويعقوب
وهل نجازى بالنون الا الكفور بالنصب وادغم الكسائى اللام من هل فى النون
وغيره لم يدغم والباقون يجازى بالياء وفتح الزاء والكفور بالرفع وقرأ
ابو عمرو وابن كثير وهشام بعد بين اسفارنا بالتشديد على لفظ الامر وقرأ
يعقوب وسهل ربنا بالضم ربنا باعد بالالف وفتح الباء والعين والدال
مخففة وهو قراءة محمد بن على الباقر عليه السلام وابن عباس وقرأ الباقون ربنا
بالنصب باعد بالالف على الدعاء وفى الشواذ قراءة ابن يعمر ومحمد ابن السميقع ربنا
بالنصب بعد بفتح الباء والدال وضم العين بين اسفارنا بالرفع الحجة قال ابو على
من قرأ مساكنهم اتى باللفظ وفقا للمعنى لان لكل ساكن مسكن ومن قرأ مسكنهم فيشبه
ان يكون جعل المسكن مصدرا وحذف المضاف والتقدير فى مواضع سكناهم فلما
جعل المسكن كالسكنى والسكون افرد كما يفرد المصادر وهذا اشبه من ان يحمله
على نحو كلوا فى بعض بطنكم وعلى هذا قوله تعالى فى مقعد صدق اى فى موضع قعود
الا ترى ان لكل واحد من المتقين موضع قعود والاشبه فى الكاف الفتح لان
اسم المكان والمصدر من باب يفعل على المفعل وقد يشذ عن القياس نحو هذا
كما جاء المسجد وسيبويه يحمل على اسم البيت وكذلك المطلع الا ان ابا الحسن يقول
ان المنكر اذا كسرته لغة الناس اليوم والفتح لغة اهل الحجاز فاما الاضافة
فى اكل خمط فان ابا عبيدة قال الخمط اكل شجرة مرة ذات شوكة والاكل الجنى فعلى
هذا التفسير يحسن الاضافة وذلك ان الاكل اذا كان الجنى فان جنى كل شجرة منه
وغير الاضافة ليس فى حسن الاضافة لان الخمط انما هو اسم شجرة وليس بوصف
واذا لم تكن وصفا لم يجر على ما قبله كما يجرى الوصف على الموصوف والبدل ليس
بالسهل ايضا لانه ليس هو هو ولا بعضه لان الجنى من الشجرة وليس الشجرة من الجنى
فيكون اجراوه عليه على وجه عطف البيان كانه بين ان الجنى لهذا الشجر ومنه قال ابو الحسن

الاحسن

الاحسن فى كلام العرب ان يضيفوا ما كان من نحو دار اجر وثوب خز قال فاكل خمط قرأ
كثيرة وليست جيدة فى العربية وحجة من قرأ وهل نجازى بالنون قوله جزيناهم
ومن قرأ يجازى على بناء الفعل للمفعول فان المجازى ايضا هو الله تعالى وانما خص
الكفور بالجزاء لان المومن قد يكفر عن سياته قال سبحانه ونتجاوز عن سياتهم
وقال ان الحسنات يذهبن السيات وليس كذلك الكافر فانه يجازى بكل سوء
يعمله واما ادغام الكسائى اللام فى النون فجائز حكاه سيبويه والبيان احسن واما قوله
ربنا باعد بين اسفارنا فذكر سيبويه ان فاعل وفعل يجيئان بمعنى كقولهم ضاعف
وضعف وقارب وقرب فاللفظان جميعا على معنى الطلب والدعاء قال ابن جنى بين
منصوب نصب الفعل المفعول به اى بعد وباعد مسافة اسفارنا وليس نصبه
على الظرف يدلك على ذلك قراءة من قرأ بعد بين اسفارنا كما يقول بعد مدى
اسفارنا فرفعه دليل كونه اسما وعليه قوله كان رماحهم اشطان بئر
بعيد بين جاليها جرور اى بعيد مدى جاليها ومسافة جاليها اللغة العرم
المسناه التى تلبس الماء واحدها عرمة اخذ من عرامة الماء وهى
ذهابه قال الاعشى شعر ففى ذاك للمؤتسى اسوة ومارب عفى عليه العرم
رخام بنته له حمير اذا جاء ماؤهم لم يرم وقيل العرم اسم واد كان
يجتمع فيه سيول من اودية شتى وقيل العرم هنا اسم الجرذ الذى نقب السكر
عليهم وهو الذى يقال له الخلد وقيل العرم المطر الشديد بالاعرابية
اسم كان جنتان رفع على انه بدل من اية ويجوز ان يكون خبر مبتدا
محذوف وكانه قيل ما الاية فقال الاية جنتان عن يمين وشمال صفة لجنتان
وعلى هذا يقف على قوله اية ويبتدى به بقوله جنتان كلوا من رزق
ربكم اى يقال كلوا من رزق ربكم فحذف القول العامل من الصفة الى الموصوف
كما حذف القول بلدة طيبة والله رب غفور المعنى ثم اخبر سبحانه عن قصة
سبا بما دل على حسن عاقبة الشكور وسوء عاقبة الكفور فقال لقد كان لسبا

وهو ابو عرب اليمين كلها وقد تسمى به القبيلة وفي الحديث عن فروه بن مسيك انه قال سالت
رسول الله صلى الله عليه واله عن سبا ارجل هو ام امراة فقال هو رجل من العرب ولد عشرة
تيامن منهم ستة وتشام منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج
والاشعرون وانمار وحمير فقال رجل من القوم ما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيله
واما الذين تشاموا فعامله وجذام ولخم وغسان فالمراد بسبا ههنا القبيلة
الذين هم اولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم اى في بلدهم اية اى حجة
على وحدانية الله عز اسمه وكمال قدرته وعلامة على سبوغ نعمه ثم فسر سبحانه الاية
فقال جنتان عن يمين وشمال اى بستانان عن يمين من اتاها وشماله وقيل عن يمين
البلد وشماله وقيل انه لم يرد جنتين اثنين والمراد كانت ديارهم على وتيرة
واحدة اذ كانت البساتين عن يمينهم وشمالهم متصله بعضها ببعض وكان من كثرة
النعم ان المراة تمشي والمكتل على راسها فيمتلي بالفواكه من غير ان تمس بيدها شيا
وقيل الاية المذكورة هي انه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب
ولا حية وكان الغريب اذا دخل بلدهم وفي ثيابه قمل ودواب ماتت عن ابن زيد
وقيل ان المراد بالاية خروج الازهار والثمار من الاشجار على اختلاف الوانها
وطعومها وقيل انها كانت ثلث عشرة قرية في كل قرية نبي يدعوهم الى الله سبحانه
يقولون لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له اى كلوا ثمار رزقكم في هذه الجنان واشكروا له
يزدكم نعمه واستغفروه يغفر لكم بلدة طيبة اى هذه بلدة مخصبة نزهة ارضها عذبة
تخرج النبات وليست سبخة وليس فيها شيء من الهوام الموذية وقيل اراد به
صحة هوائها وعذوبة مائها وسلامة تربتها وانه ليس فيها حر يوذي في القيظ
ولا برد يوذي في الشتاء ورب غفور اى كثير المغفرة للذنوب فاعرضوا عن الحق ولم يشكروا
الله سبحانه ولم يقبلوا ممن دعاهم الى الله من انبيائه فارسلنا عليهم سيل العرم وذلك
ان الماء كان ياتي ارض سبا من اودية اليمن وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر
والسيول بينهما فسدوا ما بين الجبلين فاذا احتاجوا بثقوا السد بقدر الحاجة فكانوا

يسقون زرعهم وبساتينهم فلما كذبوا رسلهم وتركوا امر الله بعث الله جرذا نقبت ذلك
المردم وفاض الماء عليهم فاغرقهم عن وهب فهذا تفسير العرم وقال ابن الاعرابي العرم السيل
الذي لا يطاق وبدلناهم بجنتيهم اللتين فيهما انواع الفواكه والخيرات جنتين اخراوين
سماهما جنتين لازدواج الكلام كما قال ومكروا ومكر الله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه ذواتي اكل خمط واثل اى صاحبتي اكل وهو اسم لثمر كل شجرة وثمر الخمط البريرة لابن عباس
والخمط هو الاراك وقيل هو شجرة الغضا وقيل هو كل شجر له شوك والاثل الطرفا عن ابن عباس
وقيل ضرب من الخشب عن قتاده وقيل هو السمر وشيء من سدر قليل يعني ان الاثل والخمط
كان اكثر فيهما من السدر وهو النبق قال قتاده كان شجرهم خير شجر فصيره الله شر شجر بسوء
اعمالهم وذلك اى ما فعلنا بهم جزيناهم بما كفروا اى بكفرهم وهل نجازي هذا الجزاء الا الكفور
الذي يكفر نعم الله تعالى وقد استدل الخوارج بهذا على ان مرتكب الكبيرة كافر وهذا الاستدلال
غير سديد من حيث انه سبحانه انما بين بذلك انه لا يجازي بهذا النوع من العذاب الذي
هو الاستيصال الا الكافر ويجوز ان يعذب الفاسق بغير ذلك العذاب وقيل معناه
هل يجازي بجميع سيئاته الا الكافر لان المومن قد يكفر عنه بعض سيئاته وقيل
ان المجازاة من التجازي وهو التقاضي اى لا يقضي ولا يرتجع ما اعطى الا الكافر
وانهم لما كفروا النعمة اقتضوا ما اعطوا اى ارتجع منهم عن ابي مسلم وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة اى وقد كان من قصتهم انا جعلنا بينهم وبين
قرى الشام التي باركنا فيها بالماء والشجر قرى متواصلة وكان متجرهم من ارض اليمن
الى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى حتى يرجعوا وكانوا لا يحتاجون
الى زاد من وادي سبا الى الشام ومعنى الظاهرة ان الثانية كانت ترى من الاولى
لقربها منها وقدرنا فيها السير اى وجعلنا السير من القرية الى القرية نصف يوم وقلنا
لهم سيروا فيها اى في تلك القرى ليالي واياما اى ليلا شيتم المسير ونهارا امنين
من الجوع والعطش والتعب ومن السباع وكل المخاوف وفي هذا اشارة الى تكامل نعمه
عليهم في السفر كما انه كذلك في الحضر ثم اخبر سبحانه انهم بطروا وبغوا فقالوا ربنا باعد بين

اسفارنا اي اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب اليها الرواحل ونقطع
المنازل وهذا كما قالت بنو اسرائيل لما ملوا النعمة اخرج مما تنبت الارض من بقلها
بدلا من المن والسلوى وظلموا انفسهم بارتكاب الكفر والمعاصي فجعلناهم احاديث لمن بعد
يتحدثون امرهم وشانهم ويضربون بهم المثل فيقولون تفرقوا ايادي سبا اذا تشتتوا
اعظم التشتت ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل تفريق ان في
ذلك لايات اي دلالات لكل صبار على الشدايد شكور على النعماء وقيل عن المعاصي
شكور للنعم بالطاعات القصة عن الكلبي عن ابي صالح قال القت طريفة الكاهنة
الى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء وكانت قد رات في كهانتها
ان سد مارب سيخرب وانه سياتي سيل العرم فيخرب الجنتين فباع عمرو بن عامر امواله
وسار هو وقومه حتى انتهوا الى مكة فاقاموا بها وما حولها فاصابتهم الحمى وكانوا
ببلد لا يدرون فيه ما الحمى فدعوا طريفة فشكوا اليها الذي اصابهم فقالت لهم قد اصابني
الذي تشكون وهو مفرق بيننا قالوا فماذا تامرين قالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل
شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد وكانت ازد عمان ثم قالت من كان
منكم ذا جلد وقسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر وكانت خزاعة
ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب
ذات النخل وكانت الاوس والخزرج ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك
والتامير وملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وغوير وهما من ارض الشام وكان
الذين سكنوها آل جفنة بن غسان ثم قالت من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل
العتاق وكنوز الارزاق والدم المهراق فليلحق بارض العراق وكان الذين سكنوها
آل جذيمة الابرش ومن كان بالحيرة وآل محرق قوله تعالى وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ
ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ
زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ

وماله

وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ
عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة
صدق بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وقرا يعقوب صدق بالتشديد وابليس نصب
ظنه بالرفع وقرا ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم الا الاعشى والبرجمي اذن بضم الهمزة
والباقون بفتحها وقرا ابن عامر ويعقوب فزع بفتح الفاء والزاء و
الباقون بضم الفاء وكسر الزاء وفي الشواذ قراءة الحسن بخلاف وقتادة
فرغ بفتح الفاء والراء والعين والتشديد وعن الحسن ايضا
فرغ بضم الفاء وبالراء والتشديد وعنه وعن قتادة فرغ بضم
الفاء وبالراء والتخفيف الحجة قال ابو علي معنى التخفيف في صدق
انه صدق ظنه الذي ظنه بهم من متابعتهم اياه اذا اغواهم وذلك
نحو قوله فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ولاغوينهم
اجمعين فهذا ظنه لانه لم يقل ذلك عن تيقن وظنه على هذا ينتصب
انتصاب المفعول به ويجوز ان ينتصب انتصاب الظرف اي في ظنه وقد
يقال اصاب الظن واخطا الظن وقال الشاعر شعر فان يك ظني صادقي
وهو صادقي بشملة يحبسهم بها محبسا وعرا فعداه الى المفعول به
ومن قرا بالتشديد نصب الظن على انه مفعول به ومن قرا صدق عليهم
ابليس ظنه بالرفع فالمعنى ان ابليس كان سول له نفسه شيئا فصدق ظنه
ومن قرا الا لمن اذن له فالمعنى لمن اذن الله له ان يشفع ومن قرا اذن بني
الفعل للمفعول به فهو يريد هذا المعنى ايضا لان قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم
وفزع وهل نجازي الا الكفور وهل يجازى الا الكفور واحد في معنى وان اختلفت
الالفاظ اللغة يقال صدقت زيدا وصدقته وكذبته وكذبته وينشد للاعشى

وصدقته وكذبته والمن ينفعه كذا بر ابو عبيدة فزع عن قلوبهم نفس عنها يقال
فزع وفزع اذا ازيل الفزع عنها الاعراب لنعلم قال الزجاج ما امتحناهم في ابليس الا لنعلم
ذلك علم وقوعه منهم وهو الذي يجازون عليه لا يملكون الاجود ان يكون جملة
مستانفة ويجوز ان يكون حالا وقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
المعنى ثم قال سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه الضمير في عليهم يعود الى اهل
سبا وقيل الى الناس كلهم الا من اطاع الله عن مجاهد والمعنى ان ابليس كان قال
لاغوينهم ولاضلنهم وما كان ذلك على علم وتحقيق وانما قاله ظنا فلما تابعه اهل
الزيغ والشرك صدق ظنه وحققه فاتبعوه فيما دعاهم اليه الا فريقا من المومنين
من هنا للتبيين يعني المومنين كلهم عن ابن عباس اي علموا قبح متابعته فلم يتبعوه
واتبعوا امر الله تعا وما كان له عليهم من سلطان اي ولم يكن لابليس عليهم من سلطان
ولا ولاية يتمكن بها من اجبارهم على الغي والضلال وانما كان يمكنه الوسوسة فقط
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الا لنعلم من يومن بالاخرة
ممن هو منها في شك المعنى انا لم نمكنه من اغوائهم ووسوستهم الا لنميز بين من يقبل
منه ومن يمتنع ويابى متابعته فتعذب من تابعه ونثيب من خالفه فعبر عن التميز
بين الفريقين بالعلم وهذا التمييز متجدد لانه لا يكون الا بعد وقوع ما يستحقون
به ذلك واما العلم بخلاف ذلك فانه سبحانه كان عالما باحوالهم بما يكون منهم
فيما لم يزل وقيل معناه لنعلم طاعاتهم موجودة ومعاصيهم ان عصوا فيجازيهم
بحسبها لانه سبحانه لا يجازي احدا على ما يعلم من حاله الا بعد ان يقع ذلك منه
وقيل معناه لنعامله معاملة من كانه لا يعلم وانما يعمل بالعلم من يصدق بالاخرة
ويعترف بها ممن يرتاب فيها او يشك وربك يا محمد على كل شيء حفيظ اي عالم
لا يفوته علم شيء من احوالهم ثم قال سبحانه قل يا محمد لهولاء المشركين ادعوا الذين
زعمتم من دون الله انهم الهة وانهم شركاء لله تعا وانهم شفعا وكموا انها
تستحق الالهية هل يستجيبون لكم الى ما تسالونهم وهذا نوع توبيخ لا امر ليعلموا

ان اوثانهم

ان اوثانهم لا تنفعهم ولا تضرهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
اي لا يملكون زنة ذرة من خير وشر ونفع وضر وما لهم فيهما اي ليس لهم في خلق السموات
والارض من شرك ونصيب وما له منهم من ظهير اي وليس له سبحانه منهم معاون
على خلق السموات والارض ولا على شيء من الاشياء ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن
له المعنى انه لا تنفع الشفاعة عند الله تعا الا لمن رضيه الله وارتضاه واذن له في
الشفاعة مثل الملائكة والانبياء والاولياء ويجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن الله في ان
يشفع له فيكون مثل قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وانما قال سبحانه ذلك لان الكفار كانوا
يقولون نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهولاء شفعاونا عند الله فحكم تعا ببطلان اعتقادهم
حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوبهم وفزع كشف الله الفزع عن قلوبهم واختلف
في الضمير في قوله في قلوبهم فقيل يعود الى المشركين الذين تقدم ذكرهم فيكون المعنى
حتى اذا اخرج عن قلوبهم الفزع وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة قالوا اي قالت
الملائكة لهم ماذا قال ربكم قالوا اي قال هولاء المشركون مجيبين لهم الحق اي قال الحق فيعترفون
ان ما جاء به الرسل كان حقا عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل ان الضمير يعود
الى الملائكة ثم اختلف في معناه على وجوه احدها ان الملائكة اذا صعدوا باعمال
العباد ولهم زجل وصوت عظيم فتحسب الملائكة انها الساعة فيخرون سجدا ويفزعون
فاذا علموا انه ليس في ذلك قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وثانيها ان الفترة لما كانت بين عيسى
ومحمد عليهما السلام وبعث الله محمدا انزل الله سبحانه جبرئيل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة
انه نزل بشيء من امر الساعة فصعقوا لذلك فجعل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا
رووسهم وقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي عن مقاتل والكلبي و
ثالثها ان الله تعا اذا اوحى الى بعض ملائكته لحق الملائكة غشي عند سماع الوحي ويصعقون
ويخرون سجدا للاية العظيمة فاذا فزع عن قلوبهم سالت الملائكة ذلك الملك الذي
اوحي اليه ما قال ربك ويسال بعضهم بعضا فيعلمون ان الامر في غيرهم عن ابن مسعود
واختاره الجبائي وهو العلي اي القادر السيد المطاع وقيل العلي في صفاته الكبير في قدرته

قل من يرزقكم من السموات والارض فانهم لا يمكنهم ان يقولوا ترزقنا الهتنا التي نعبدها
ثم عند ذلك قل من يرزقكم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين انما قال ذلك على وجه
الانصاف في الحجاج دون الشك كما يقول القائل لغيره احدنا كاذب وان كان هو عالما
بالكاذب وعلى هذا يقول ابو الاسود الدؤلي يمدح اهل البيت عليهم السلام يقول الارذلون
بنو قشير : طول الدهر لا تنسى عليا : بنو عم النبي واقربوه : احب الناس كلهم اليا فان يك
حبهم رشدا اصبه : ولست بمخطئ ان كان غيا : لم يقل هذا لكونه شاكا في محبتهم وقد ايقن
ان محبتهم رشد وهدى وقيل انه جمع بين الخبرين وفوض التمييز الى العقول فكانه
قال انا على هدى وانتم في ضلال كقول امرئ القيس شعر كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى
وكرها العناب والحشف البالي فجمع بين القلوب الرطبة واليابسة : وجمع بين العناب
والحشف البالي وقيل انما قاله على وجه الاستعطاف في المداراة ليسمع الكلام وهذا
من احسن ما ينسب به المحق نفسه الى الهدى وخصمه الى الضلال لانه كلام من لا يكاشف بالتضليل
بل ينسبه اليه على احسن وجه ويحثه على النظر ولا يجب النظر الا بعد التردد قل يا محمد اذا لم
ينقادوا للحجة لا تسالون ايها الكفار عما اجرمنا اي اقترفنا من المعاصي ولا نسال
نحن عما تعملون اي تعملونه انتم بل كل انسان يسال عما يعمله ويجازى على فعله دون فعل
غيره وفي هذا دلالة على ان احدا لا يجوز ان يؤخذ بذنب غيره قوله تعالى قل يجمع بيننا
ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء
كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد
يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون خمس آيات الاعراب الذين الحقتم العائد
من الصلة الى الموصول محذوف والتقدير الحقتموهم به وشركاء حال منهم الى
المحذوف وكافة حال من الكاف في ارسلناك اي وما ارسلناك الا تكفهم وتردعهم
وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي وما ارسلناك الا للناس كافة وكافة كالعافية
والعاقبة وما اشبه ذلك وبشيرا حال بعد حال ونذيرا معطوف عليه المعنى

ثم امر

ثم امر سبحانه ان يحاكمهم الى الله لاعراضهم عن الحجة فقال قل يا محمد يجمع بيننا ربنا
يوم القيمة ثم يفتح بيننا اي يحكم بالحق وهو الفتاح اي الحاكم العليم بالحكم لا يخفى عليه
شيء قل يا محمد اروني الذين الحقتم به شركا انما ذكر هذا سبحانه على وجه التعظيم و
التعجب اي اروني الذين زعمتم انهم شركاء لله تعبدونهم معه وهذا كالتوبيخ لهم
فيما اعتقدوه من الاشراك مع الله كما يقول القائل لمن افسد عملا اروني ما عملته
توبيخا له بما افسده فانهم سيفتضحون بذلك اذا اشاروا الى الاصنام ثم قال سبحانه
كلا اي ليس كما يزعمون وقيل معناه ارتدعوا عن هذا المقال وتنبهوا من الغي والضلال
بل هو الله العزيز الحكيم اي القادر الذي لا يغالب الحكيم في جميع افعاله فيكون له شريك
ثم بين سبحانه نبوة نبيه صلى الله عليه وآله فقال وما ارسلناك يا محمد بالرسالة
التي حملناكها الا كافة للناس اي عامة للناس كلهم العرب والعجم وسائر الامم عن الجبائي
وغيره ويؤيده الحديث المروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله اعطيت
خمسا ولا اقول فخرا بعثت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا واحل لي
المغنم ولم يحل لاحد قبلي ونصرت بالرعب فهو يسير امامي مسيرة شهر واعطيت
الشفاعة فادخرتها لامتي يوم القيمة وقيل معناه جامعا للناس بالانذار و
الدعوة وقيل كافا للناس اي مانعا لهم عما هم عليه من الكفر والمعاصي بالامر والنهي
والوعيد والانذار والهاء للمبالغة عن ابي مسلم بشيرا لهم بالجنة ونذيرا بالنار
ولكن اكثر الناس لا يعلمون رسالتك لاعراضهم عن النظر في معجزاتك وقيل لا
يعلمون ما لهم في الاخرة في اتباعك من الثواب والنعيم وما عليهم في مخالفتك
من العذاب الاليم ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال ويقولون متى هذا الوعد الذي
تعدوننا به ان كنتم صادقين فيما تقولونه يا معاشر المؤمنين ثم امر سبحانه نبيه
باجابتهم فقال قل يا محمد لكم ميعاد يوم اي ميقات يوم ينزل بكم ما وعدتم به وهو
يوم القيمة وقيل يوم وفاتهم وقبض ارواحهم عن ابي مسلم لا تستاخرون عنه ساعة
ولا تستقدمون اي لا تتاخرون عن ذلك اليوم ولا تتقدمون عليه بان يزاد في اجالكم

او ينقص منها قوله عز وجل وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه
ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول
الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا
أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا
الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون وما أرسلنا في قرية
من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا
وما نحن بمعذبين خمس آيات الاعراب بل مكر الليل والنهار فيه وجهان احدهما ان يكون
مكر مبتدا محذوف الخبر اى مكركم فى الليل والنهار صدنا عن ذلك حين امرتمونا
ان نكفر بالله والاخر ان يكون فاعل فعل محذوف تقديره بل صدنا مكركم فى الليل
والنهار والعرب تضيف الاحداث الى الازمان على سبيل الاتساع فتقول صيام النهار
وقيام الليل والمعنى ان الصيام فى النهار والقيام فى الليل قال الشاعر شعر لقد لمتنا
يا ام غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم فوصف الليل بالنوم وهذا على حد قولك
نهارك صائم وليلك قائم المعنى ثم بين سبحانه حالهم فى القيمة فقال حكاية عنهم وقال
الذين كفروا وهم اليهود وقيل هم مشركوا العرب وهو الاصح لن نؤمن بهذا القرآن
اى لا نصدق بانه من الله تعالى ولا بالذى بين يديه من امر الآخرة وقيل يعنون به التورية
والانجيل وذلك انه لما قال مؤمنوا اهل الكتاب ان صفة محمد فى كتابنا وهو نبى مبعوث
كفر المشركون بكتابهم ثم قال ولو ترى يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم
اى محبوسون للحساب يوم القيمة يرجع بعضهم الى بعض القول اى يرد بعضهم على بعض
القول فى الجدال يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا وهم
الاشراف والقادة لولا انتم لكنا مؤمنين مصدقين بتوحيد الله انتم منعتمونا
من الايمان والمعنى لولا دعاؤكم ايانا الى الكفر لآمنا بالله فى الدنيا قال الذين استكبروا

للذين

للذين استضعفوا اى قال المتبوعون للاتباع على طريق الانكار انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم اى لم نصدكم عن قبول الهدى بل كنتم مجرمين اى بل انتم كفرتم ولم
نحملكم على الكفر قهرا وكل واحد من الفريقين ترك الذنب على صاحبه واتهمه
ولم يضف واحد منهم الذنب الى الله تعالى وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
يعنى الاتباع للمتبوعين بل مكر الليل والنهار اى مكركم فى الليل والنهار صدنا
عن قبول الهدى اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اى حين امرتمونا
ان نجحد وحدانية الله تعالى ودعوتمونا الى ان نجعل له شركاء فى العبادة
واسروا الندامة فيه وجهان احدهما ان معناه اظهروا الندامة و
الاخر ان المعنى اخفوها وقد فسر الاسرار فى بيت امرء القيس شعر تجاوزت
احراسا اليها ومعشرا على حراصا لو يسرون مقتلى على الوجهين فمن قال
بالاول قال معناه اظهر المتبوعون الندامة على الضلال واظهر الاتباع
الندامة على الضلال وقيل معناه اقبل بعضهم على بعض يلومونه ويظهر
ندمه ومن قال بالثانى قال معناه اخفوا الندامة فى انفسهم خوف الفضيحة
وقيل معناه ان الرؤساء اخفوا الندامة عن الاتباع لما رأوا العذاب
اى حين رأوا منزل العذاب بهم وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا
قال ابن عباس غلوا بها فى النيران هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا
يجازون الا باعمالهم التى عملوها على قدر استحقاقهم وما ارسلنا فى قرية من نذير
اى من نبى مخوف بالله تعالى الا قال مترفوها اى جبابرتها واغنياؤها المتنعمون
فيها انا بما ارسلتم به كافرون فهذا بيان للنبى صلى الله عليه وآله ان اهل
قريته جروا على منهاج الاولين واشارة الى انه كان اتباع الانبياء فيما مضى
الفقراء واوساط الناس دون الاغنياء ثم بين سبحانه علة كفرهم بان قال
وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اى فتخروا باموالهم واولادهم ظنا بان الله
سبحانه انما خولهم المال والولد كرامة لهم عنده فقالوا اذا رزقنا وحرمتم فنحن

اكرم منكم وافضل عند الله فلا يعذبنا على كفرنا بكم وذلك قوله وما نحن بمعذبين
ولم يعلموا بان الاموال والاولاد عطاء من الله تعالى يستحق به الشكر عليهم وليس ذلك
للاكرام والتفضيل قوله عز وجل قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ
عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا
وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي
الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ خمس آيات القراءة قرا
حمزة وحده في الغرفة والباقون في الغرفات على الجمع وقرا يعقوب جزاء بالنصب
الضعف بالرفع الحجة حجة من قرا الغرفة قوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا
وفي الجنة غرفات وهو غرف غير ان العرب قد تجتزي بالواحد عن الجمع اذا كان
اسم الجنس قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم ومن قرا فاولئك لهم جزاء
الضعف فالتقدير فاولئك لهم الضعف جزاء اي في حال المجازاة فهو مصدر وضع
موضع الحال اي مجزيين ويجوز ان يكون مفعولا له واما اضافة جزاء الى الضعف
في القراءة المشهورة فهو على اضافة الى المفعول الاعراب زلفى في موضع نصب على
المصدر تقديره تقربكم قربة او تقريبا وقوله الا من آمن الموصول والصلة
في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في تقربكم ويجوز ان يكون نصبا على الاستثناء
المعنى لما حكى الله سبحانه عن الكفار انهم قالوا ما نحن بمعذبين لان الله تعالى
اغنانا في الدنيا فلا يعذبنا في الاخرة قال رادا عليهم قل يا محمد ان ربي الذي خلقني
يبسط الرزق لمن يشاء على ما يعلمه من مصلحته ومصلحة غيره ويقدر اي يضيق
ايضا على حسب المصلحة فبسط الرزق وهو الزيادة فيه على قدر الكفاية والقدر
تضييقه على قدر الكفاية ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لجهلهم بالله وبحكمته

فيظنون ان كثرة مال الانسان يدل على كرامته عند الله تعالى ثم صرح هذا المعنى فقال
وما اموالكم اي ليس اموالكم التي خولتموها ولا اولادكم التي رزقتموها بالتي تقربكم عندنا
زلفى اي قربى عن مجاهد قال الاخفش اراد بالتي تقربكم عندنا تقريبا فزلفى اسم للمصدر
وقال الفراء التي يجوز ان يقع على الاموال والاولاد وجاء الخبر بلفظ الواحدة وان دخل
فيه الاخرى الا من آمن وعمل صالحا معناه لكن من آمن بالله وعرفه وصدق نبيه واطاعه
فيما امر به وانتهى عما نهاه عنه فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يضاعف الله
حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا الى ما زاد والضعف اسم جنس يدل على القليل
والكثير ويجوز ان تكون الاموال والاولاد تقرب الى الله زلفى بان يكسب المؤمن المال مستغنيا
به على القيام بحق التكليف ويستولد الولد كذلك فيقربانه عند الله زلفى فعلى هذا
يكون الاستثناء متصلا ولا يكون بمعنى لكن وقيل ان جزاء الضعف ان يعطيهم في الاخرة
مثل ما كان لهم في الدنيا من النعيم والضعف المثل عن ابي مسلم وهم في الغرفات
اي في غرف الجنة وهي البيوت فوق الابنية آمنون فيها لا يخافون شيئا مما يخاف مثله
في دار الدنيا من الموت والغير والافات والاحزان والذين يسعون في آياتنا اي
يجتهدون في ابطال آياتنا وتكذيبها معاجزين لانبيائنا ومعجزين اي مثبطين
غيرهم عن افعال البر اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له مر تفسيره وانما كرر سبحانه لاختلاف الفائدة فالاول توبيخ
للكافرين وهم المخاطبون والثاني وعظ للمؤمنين فكانه قال ليس اغناء الكفار
واعطاؤهم بدلالة على كرامتهم به وسعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبة واغناء المؤمنين
يجوز ان يكون زيادة في سعادتهم بان ينفقوها في سبيل الله ويدل على ذلك قوله
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين اي وما اخرجتم من اموالكم
في وجوه البر فانه سبحانه يعطيكم خلفه وعوضه اما في الدنيا بزيادة النعمة واما
في الاخرة بثواب الجنة يقال اخلف الله له وعليه اذا ابدل له ما ذهب عنه وهو خير
الرازقين لانه يعطي المنافع عباده لا لدفع ضرر ولا جر نفع لاستحالة المنافع والمضار

عليه قال الكلبي ما تصدقتم به في خير فهو يخلفه اما ان يعجله لكم في الدنيا او يدخره لكم
في الاخرة وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال قال الله عز وجل انفق انفق عليك
وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال ينادي مناد كل ليلة لدوا للموت
وينادي مناد ابنوا للخراب وينادي مناد اللهم هب للمنفق خلفا وينادي مناد اللهم
هب للممسك تلفا وينادي مناد ليت الناس لم يخلقوا وينادي مناد ليتهم اذ خلقوا
فكروا فيما له خلقوا وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله قال كل معروف صدقة وما وقى
الرجل به عرضه فهو صدقة وما انفق المومن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا الا ما كان
من نفقة في بنيان او معصية وعن ابي امامة قال انكم تاولون هذه الاية في غير تاويلها
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقد سمعت رسول الله ص والا فصمتا يقول اياكم والسرف
في المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم قط اقتصدوا ثم قال سبحانه ويوم
نحشرهم جميعًا يعني يوم القيمة نجمع العابدين لغير الله والمعبودين من الملائكة
للحساب ثم نقول للملائكة اهولاء الكفار اياكم يعبدون اي كانوا يعتقدونكم و
يقصدونكم بالعبادة وهذا على وجه التقريع والاستشهاد للملائكة على اعتقادات
الكفار حتى تتبرأ الملائكة منهم ومن عبادتهم كما قال سبحانه انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله   ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انهم لما قالوا نحن
اكثر اموالا واولادا بين ان دعواهم مردودة وانهم معذبون محجوبون قوله عز وجل
قَالُوا سُبْحَانَكَ اَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ اَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ
النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ وَاِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ اٰيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا اِلَّا رَجُلٌ
يُرِيدُ اَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هٰذَا اِلَّا اِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ اِنْ هٰذَا اِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَا اٰتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا
وَمَا اَرْسَلْنَا اِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ
مَا اٰتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ خمس آيات الاعراب بينات نصب

على الحال واباءكم فاعل يعبد واسم كان محذوف تفسيره اباوكم والتقدير عما كان
اباوكم يعبدون ويدرسونها ان يكون في محل جر صفة لكتب ويجوز ان يكون في محل
نصب على موضع الجار والمجرور لان المعنى ما اتيناهم كتبا مدروسة كيف كان
نكيري كيف خبر كان ونكير اسمه والنكير مصدر مثل غدير في قوله عذير الحي
من عدوان كانوا حية الارض المعنى قالوا اي قالت الملائكة سبحانك اي تنزيها
لك عن ان نعبد سواك ونتخذ معك معبودا غيرك انت يا الله ولينا اي ناصرنا
واولى بنا من دونهم اي دون هولاء الكفار ودون كل احد وما كنا نرضى بعبادتهم
ايانا مع علمنا بانك ربنا وربهم بل كانوا يعبدون الجن بطاعتهم اياهم فيما
دعوهم اليه من عبادة الملائكة وقيل المراد بالجن ابليس وذريته واعوانه اكثرهم
بهم مومنون مصدقون بالشياطين مطيعون لهم ثم يقول الله سبحانه فاليوم
يعني في الاخرة لا يملك بعضكم لبعض يعني العابدين والمعبودين نفعًا ولا ضرا
اي نفعًا بالشفاعة ولا ضرا بالتعذيب ونقول للذين ظلموا بان عبدوا غير
الله ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون اي لا تعترفون بها وتجحدونها
ثم عاد سبحانه الى الحكاية عن حال الكفار في الدنيا فقال واذا تتلى عليهم اياتنا
اي تقرأ عليهم حججنا بينات اي واضحات من القران الذي انزلناه على نبينا قالوا
عند ذلك ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم اي يمنعكم عما كان يعبد اباوكم فدعى
الى تقليد الاباء لما اعوزتهم الحجة وقالوا ما هذا القران الا افك اي كذب مفترى
قد تخرصه وافتراه وقال الذين كفروا للحق اي للقرآن لما جاءهم ان هذا اي ليس هذا
الا سحر مبين اي ظاهر ثم اخبر سبحانه انهم لم يقولوا ذلك عن بينة فقال وما
اتيناهم من كتب يدرسونها اي وما اعطينا مشركي قريش كتبا قط يدرسونه
فيعلمون بدرسه ان ما جئت به حق او باطل وانما يكذبونك بهواهم من غير حجة
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي رسولا يامرهم بتكذيبك ويخبرهم ببطلان
قولك يعني انهم لا يرجعون في تكذيبك الا الى الجهل والعناد واتباع الهوى ثم اخبر

سبحانه عن عاقبة من كذب الرسل قبلهم تخويفا لهم فقال وكذب الذين من قبلهم
من بعث اليهم من الرسل وما اتاهم الله من الكتب وما بلغوا معشار ما آتيناهم
اي وما بلغ قومك يا محمد معشار ما اعطينا من قبلهم من القوة وكثرة المال وطول
العمر فاهلكهم الله عن ابن عباس وقتاده فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اي عقوبتي
وتغييري حالهم وقيل معناه انظر في آثارهم كيف كان انكاري عليهم بالهلاك [illegible]
والمراد انا كما اهلكنا اولئك حين كذبوا رسلنا فليحذر هؤلاء مثل ما نزل بهم من الهلاك
والاستيصال قوله عز وجل قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى
ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ
قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ خمس آيات الاعراب ان تقوموا في موضع جر على البدل من واحدة ويجوز ان يكون
في موضع نصب بحذف حرف الجر وافضاء الفعل اليه والتقدير اعظكم بطاعة الله
لان تقوموا واعظكم بان تقوموا ومثنى وفرادى في موضع نصب على الحال ما سألتكم
ما شرطية وهي في محل النصب بانها مفعول ثان لسألت ويجوز ان تكون موصولة فيكون
التقدير ما سألتكموه فيكون مع الصلة في موضع رفع بالابتداء علام الغيوب
يجوز ان يكون بدلا من الضمير المستكن في يقذف ويجوز ان يكون خبر مبتدأ
محذوف اي هو علام الغيوب ولو نصب على انه نعت لربي لكان جائزا لكن الرفع
اجود لانه جاء بعد تمام الكلام المعنى ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله
فقال قل يا محمد لهم انما اعظكم بواحدة اي آمركم واوصيكم بخصلة واحدة وهي
كلمة التوحيد وقيل بطاعة الله عن مجاهد ومن قال بالاول قال انه فسر الواحدة
بما بعده فقال ان تقوموا لله مثنى وفرادى اي اثنين اثنين وواحدا واحدا
ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة معناه ان يقوم الرجل منكم وحده او مع غيره

ثم تتساءلون

ثم تتساءلون هل جربنا على محمد كذبا او هل رأينا به جنة ففي ذلك دلالة على بطلان
ما ذكرتم فيه ليس معنى القيام هنا على الارجل وانما المراد به القصد للاصلاح
والاقبال عليه مناظرا مع غيره ومفكرا في نفسه لان الحق انما يتبين للانسان
لهما وقد تم الكلام عند قوله يتفكروا وما للنفي قال قتاده اي ليس بمحمد
جنون وان جعلت تمام الكلام آخر الاية فالمعنى ثم تتفكروا اي شيء بصاحبكم
من الجنون اي هل رأيتم من منشأه الى مبعثه وصمة تنافي النبوة من كذب
او ضعف في العقل واختلاف في القول والفعل فيدل على الجنون ان هو الا نذير لكم
اي مخوف من معاصي الله بين يدي عذاب شديد يعني عذاب القيمة ثم قال للنبي صلى
الله عليه وآله قل لهم يا محمد ما سألتكم من اجر فهو لكم يعني لا اسئلكم على تبليغ الرسالة
شيئا من عرض الدنيا فتتهموني فما طلبته منكم من اجر على اداء الرسالة وبيان
الشريعة فهو لكم وهذا كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصحه ما اعطيتني من اجر
فخذه ومالي في هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء ومنه النصح مجاز
وقال الماوردي معناه ان اجر ما دعوتكم اليه من اجابتي وذخره هو لكم دوني وهو
المروي عن ابي جعفر ع ان اجري الا على الله اي ليس ثوابي الا على الله فهو يثيبني
عليه ولا يضيعه وهو على كل شيء شهيد اي عليم به لم يغب عنه شيء فيعلم ما يلحقني
من اذاكم قل يا محمد ان ربي يقذف بالحق اي يلقيه الى انبيائه عن قتاده ومقاتل
علام الغيوب علم جميع الخفيات وما غاب عن خلقه في الارضين والسموات
قل يا محمد جاء الحق وهو امر الله بالاسلام والتوحيد وقيل هو الجهاد والسيف
عن ابن مسعود وما يبدئ الباطل وما يعيد اي ذهب الباطل ذهابا لم يبق منه
ابتداء ولا اعادة ولا اقبال ولا ادبار لان الحق اذا جاء لا يبقى للباطل بقية وقيل ان
الباطل ابليس لا يبدئ الخلق ولا يعيدهم عن قتاده وقيل معناه ما يبدئ الباطل
لاهله خيرا في الآخرة عن الحسن قال الزجاج يجوز ان يكون ما استفهاما في موضع نصب
على معنى واي شيء يبدئ الباطل واي شيء يعيد قال ابن مسعود دخل رسول الله صلى الله عليه وآله

مكه وحول البيت ثلثماية وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت عن الحق كما تدعون فانما اضل على نفسي اي فانما يرجع وبال الضلال علي لاني ماخوذ به دون غيري وان اهتديت الى الحق فبما يوحي الي ربي فبفضل ربي حيث اوحى الي فله المنة بذلك علي دون خلقه انه سميع لاقوالنا قريب منا فلا يخفى عليه المحق والمبطل قوله عز وجل وَلَوْ تَرَى اِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَاُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَاَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِاَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ اِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ اربع آيات القراءة قرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم التناوش بالمد والهمز والباقون بغير همز ولا مد الاعراب التناوش التناول من قولهم نشت انوش قال الشاعر شعر فهي تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع اجواز الفلا فمن لم يهمز جعله تفاعلا منه ومن همز احتمل امرين احدهما انه ابدل من الهمزة واو لانضمامها مثل اقتت وادؤر ونحو ذلك والاخر ان يكون من الناش وهو الطلب قال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش اليك ناش القدر النؤوش والناش الحركة والابطاء قال الشاعر شعر تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور اي تمنى مدة مديدة فنصب نئيشا على الظرف المعنى ثم قال سبحانه ولو ترى يا محمد اذ فزعوا اي عند البعث فلا فوت اي فلا يفوتني منهم احد ولا ينجو مني ظالم واخذوا من مكان قريب يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه وجواب لو محذوف ويدل الكلام عليه والتقدير لرايت امرا عظيما وقيل ان فزعوا في الدنيا حين ذاقوا باس الله عند معاينة الملائكة لقبض ارواحهم عن قتاده وقيل هو فزعهم يوم بدر حيث ضربت اعناقهم فلم يستطيعوا فرارا من العذاب ولا رجوعا الى التوبة عن الضحاك والسدي قال ابو حمزة الثمالي

علي بن الحسين

علي بن الحسين والحسن بن الحسين بن علي عليهم السلام يقولون هو جيش البيداء يؤخذون من تحت اقدامهم قال وحدثني عمرو بن مرة وحمران بن اعين انهما سمعا مهاجر المكي يقول سمعت ام سلمه تقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله يعوذ عائذ بالبيت فيبعث اليه جيش حتى اذا كانوا بالبيداء بيداء المدينه خسف بهم وروى عن حذيفه بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين اهل المشرق والمغرب قال فبيناهم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق واخر الى المدينه حتى ينزلوا بارض بابل من المدينه الملعونه يعني بغداد فيقتلون اكثر من ثلثة الاف ويفضحون اكثر من مائة امراة ويقتلون ثلثماية كبش من بني العباس ثم ينحدرون الى الكوفه فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام فتخرج راية هدى من الكوفه فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنايم ويحل الجيش الثاني بالمدينه فينهبونها ثلثة ايام بلياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكه حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرئيل فيقول يا جبرئيل اذهب فابدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم الا رجلان من جهينة فلذلك جاء القول مصراع وعند جهينة الخبر اليقين فذلك قوله ولو ترى اذ فزعوا الى اخره اورده الثعلبي في تفسيره وروى اصحابنا في احاديث المهدي عن ابي جعفر وعن ابي عبد الله عليهما السلام وقالوا اي ويقولون في ذلك الوقت وهو يوم القيمة او عند روية الناس او عند الخسف في حديث السفياني امنا به واني لهم التناوش اي ومن اين لهم الانتفاع بهذا الايمان الذي الجئوا اليه بين سبحانه انهم لا ينالون به نفعا كما لا ينال احد التناوش من مكان بعيد وقيل معناه انهم طلبوا المرد الى الدنيا فالمراد انهم طلبوا الامر من حيث لا يناله لم يرد بعد المكان وانما اراد بعد انتفاعهم بذلك وبعدهم عن الصواب قد كفروا به من قبل المعنى وكيف تقبل توبتهم

اويردون الى الدنيا وقد كفروا بالله من قبل ذلك ويقذفون بالغيب من مكان
بعيد اى يرجمون بالظن فيقولون لا جنة ولا نار ولا بعث وهذا ابعد ما يكون
من الظن عن قتاده وقيل معناه يرمون محمدا بالظنون من غير يقين وذلك
قولهم هو ساحر وهو شاعر وهو مجنون وجعله قذفا لخروجه فى غير حق وقيل
معناه يبدون امر الاخرة فيقولون لا نبعث هيهات هيهات لما توعدون
وذلك كالشيء يرى فى موضع بعيد المرمى وحيل بينهم وبين ما يشتهون اى فرق
بينهم وبين مشتهياتهم بالموت الذى حل بهم كما حل بامثالهم عن ابى مسلم وقيل
مشتهاهم هو التوبة والايمان او الرد فى الدنيا وقد منعوا منه وقيل هو نعيم
الجنة عن الجبائى وقيل معناه منعوا من كل مشتهى فيلحق الله تع فيهم الفساد
فلا يدركون شيئا الا ويتالمون به كما فعل بمثل ذلك باشياعهم من قبل اى بامثالهم
من الكفار وقيل معناه موافقيهم واهل دينهم من الامم الماضية حتى لم يقبل منهم
التوبة وقت روية الباس والعذاب قال الضحاك اراد بذلك اصحاب الفيل حين
ارادوا خراب الكعبة انهم كانوا فى شك من البعث والنشور وقيل فى شك من وقوع
العذاب بهم مريب اى مشكك كما قالوا عجب عجيب سورة فاطرة الحسن الا آيتين ان الذين
يتلون كتاب الله الاية وثم اورثنا الكتاب الاية عدد آياتها ست واربعون آية شامى والمدنى
الاخير وخمس فى الباقين اختلافها سبع ايات الذين كفروا لهم عذاب شديد بصرى
شامى جديد والبصير والنور ثلثهن غير البصرى من فى القبور غير الشامى ان
تزولا بصرى تبديلا بصرى شامى والمدنى الاخير فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله
عليه وآله قال من قرا سورة الملائكة دعته يوم القيمة ثلثة ابواب من الجنه ان ادخل
من اى الابواب شئت تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة المتقدمة بالرد على اهل الشرك
والشك والعنود افتتح هذه السورة بذكر كمال قدرته ووحدانيته ودلايل التوحيد
فقال بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث

ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز
الحكيم يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم
من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك والى الله ترجع الامور يا ايها الناس ان وعد الله حق
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور خمس آيات القراءة قرا اهل
الكوفة غير عاصم وابو جعفر غير الله بالجر والباقون بالرفع الحجة قال ابو على
من قرا غير الله بالجر جعله صفة على اللفظ والخبر يرزقكم من السماء والارض
ومن قرا غير الله بالرفع احتمل وجوها احدها ان يكون خبر المبتدا والاخر ان يكون
صفة على الموضع والخبر مضمر تقديره هل خالق غير الله فى الوجود والعالم
والثانى ان يكون غير استثناء والخبر مضمر كانه قال هل من خالق الا الله
ويدل على جواز الاستثناء قوله ما من اله الا الله اللغة الفطر الشق عن الشيء
باظهاره للحس وفاطر السموات خالقها الاعراب مثنى وثلث ورباع صفة لاجنحة
معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ما يفتح الله ما شرطية
فى محل النصب لكونها مفعول يفتح المعنى الحمد لله فاطر السموات والارض
اى خالقها مبتديا على غير مثال سبق حمد سبحانه نفسه ليعلمنا كيف نحمده
وليبين ان الحمد كله له جاعل الملائكة رسلا الى الانبياء بالرسالات والوحى
اولى اجنحة اى ذوى اجنحة مثنى وثلث ورباع تقدم تفسيرها وانما جعلهم
اولى اجنحة ليتمكنوا بها من العروج الى السماء ومن النزول الى الارض فمنهم
من له جناحان ومنهم من له ثلثة اجنحة ومنهم من له اربعة اجنحة عن
قتاده قال ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله يزيد فى الخلق ما يشاء قال ابن
عباس راى رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج جبرئيل وله ستمائة
جناح وهذا اختيار الزجاج والفراء وقيل اراد بقوله يزيد فى الخلق ما يشاء حسن

الصورة عن الزهري وابن جريج وقيل هو الملاحة في العينين عن قتادة وروى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن
ان الله على كل شيء قدير لا شيء الا وهو قادر عليه بعينه او قادر على مثله ثم بين
سبحانه انعامه على خلقه فقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
اي ما يأتيهم به من مطر او عافية او اي نعمة شاء فان احدا لا يقدر على امساكه
وما يمسك من ذلك فلا مرسل له من بعده اي فان احدا لا يقدر على ارساله
وقيل معناه ما ارسل الله من رسول الى عباده في وقت دون وقت فلا مانع
له لان ارسال الرسول رحمة كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما
يمسكه في زمان الفترة او عمن يقترحه من الكفار فلا مرسل له عن الحسن واللفظ
محتمل للجميع وهو العزيز اي القادر الذي لا يعجز الحكيم في افعاله ان انعم وان امسك
لانه يفعل ما تقتضيه الحكمة ثم خاطب المؤمنين فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة
الله عليكم الظاهرة والباطنة التي من جملتها انه خلقكم واوجدكم واحياكم
واقدركم وشهاكم وخلق لكم انواع الملاذ والمنافع هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض هذا استفهام تقرير لهم ومعناه النفي ليقروا بانه
لا خالق الا الله يرزق من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات وهل يجوز اطلاق
لفظ خالق على غير الله سبحانه فيه وجهان احدهما انه لا تطلق هذه اللفظة
على احد سواه وانما يوصف به غيره على جهة التقييد وان جاز اطلاق لفظ
الصانع والفاعل ونحوهما على غيره والاخر ان المعنى لا خالق يرزق ويخلق
الرزق الا الله تعالى لا اله الا هو اي لا معبود يستحق العبادة سواه سبحانه
فانى تؤفكون اي كيف تصرفون عن طريق الحق الى الضلال وقيل معناه انى
يعدل بكم عن هذه الادلة التي اقمتها لكم على التوحيد مع وضوحها ثم سلى
سبحانه نبيه عن تكذيب قومه اياه فقال وان يكذبوك يا محمد فقد كذبت
رسل من قبلك والى الله ترجع الامور فيجازي من كذب رسله وينصر من كذب

من رسله

من رسله ثم خاطب الخلق فقال يا ايها الناس ان وعد الله حق من البعث
والنشور والجنة والنار والجزاء والحساب حق وصدق كائن لا محالة
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فتغترون بملاذها ونعيمها ولا يخدعنكم حب
الرياسة وطول البقاء فان ذلك عن قليل نافد بائد ويبقى الوبال والوزر
ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الذي عادته ان يغر غيره والدنيا وزينتها
بهذه الصفة لان الخلق يغترون بها وقيل الغرور الشيطان الذي هو
ابليس عن الحسن ومجاهد قوله عز وجل إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ
يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا
فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ
النُّشُورُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ خمس آيات القراءة قرأ ابو جعفر
فلا تذهب بضم التاء نفسك بالنصب والباقون تذهب نفسك والوجه فيها
ظاهر الاعراب حسرات مصدر فعل محذوف تقديره فلا تذهب نفسك
تتحسر عليهم حسرات وجميعا نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام
من لله ومكر اولئك هو يبور هو فصل بين المبتدا وخبره المعنى
ثم انه سبحانه حذرهم الشيطان فقال ان الشيطان لكم عدو يدعوكم
الى ما فيه الهلاك والخزي ويصرفكم عن افعال الخير ويدعوكم الى الشر
فاتخذوه عدوا اي فعادوه ولا تتبعوه بان تعملوا على وفق مراده وتد

لانقياده انما يدعوا حزبه اى اتباعه واولياؤه واصحابه ليكونوا من اصحاب
السعير اى النار المسعرة والمعنى لا سلطان له على المؤمن ولكنه يدعوا
اتباعه الى ما يستحقون به النار ثم بين سبحانه حال من اجابه وحال
من خالفه فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد جزاء على كفرهم والذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة من الله لذنوبهم واجر كبير اى ثواب عظيم
ثم قال سبحانه مقررا لهم افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعنى الكفار
زينت لهم نفوسهم اعمالهم السيئة فتصوروها حسنة او زينها الشيطان
لهم بان اداهم الى الشبه المضلة وترك النظر فى الادلة واغواهم حتى تشاغلوا
بما فيه عاجل اللذة وطرح الكلفة وخبر قوله افمن زين له سوء عمله محذوف
اى هو كمن علم الحسن والقبيح وعمل بما علم ولم يزين له سوء عمله وقيل تقديره كمن
هداه الله وقيل كمن زين له صالح عمله فان الله يضل من يشاء ويهدى
من يشاء مر بيانه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اى لا تهلك نفسك يا محمد
حسرة ولا يغمك حالهم اذ كفروا واستحقوا العقاب فهو مثل قوله لعلك باخع نفسك
الا يكونوا مؤمنين والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر ان الله عليم بما يصنعون
فيجازيهم ثم عاد سبحانه الى ذكر ادلة التوحيد فقال والله الذى ارسل الرياح فتثير
سحابا اى تهيجه وتزعجه من حيث هو فسقناه اى سقنا السحاب الى بلد ميت
اى قحط وجدب لم يمطر فيمطر على ذلك البلد فاحيينا به اى بذلك المطر او الماء
الارض بعد موتها بان انبتنا فيها الزرع والكلاء بعد ان لم يكن كذلك
النشور اى كما فعل هذا بهذه الارض الجدبة من احيائها بالزرع والنبات
ينشر الخلائق بعد موتهم ويحشرهم للجزاء من الثواب والعقاب من كان يريد
العزة فلله العزة جميعا اختلف فى معناه فقيل المعنى من كان يريد علم العزة
وهى القدرة على القهر والغلبة لمن هى فانها لله جميعا عن الفراء وقيل معناه
من اراد العزة فليتعزز بطاعة الله يعزه عن قتاده يعنى ان قوله فلله العزة

جميعا



جميعا معناه الدعاء الى طاعة من له العزة كما يقال من اراد المال فالمال لفلان
اى فليطلبه من عنده يدل على صحة هذا ما رواه انس عن النبى صلى الله عليه وآله
قال ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز فمن اراد عز الدارين فليطع العزيز
اليه يصعد الكلم الطيب والكلم جمع الكلمة يقال هذا كلم فيذكر ويؤنث وكل جمع ليس
بينه وبين واحده الا الهاء يجوز فيه التذكير والتانيث ومعنى الصعود
ههنا القبول من صاحبه والاثابة عليه وكل ما يتقبل الله سبحانه من الطاعات يوصف
بالرفع والصعود لان الملائكة يكتبون اعمال بنى آدم ويرفعونها الى حيث شاء
الله تعالى وهذا كقوله ان كتاب الابرار لفى عليين وقيل معنى اليه يصعد الى سمائه
والى حيث لا يملك الحكم سواه فجعل صعوده الى سمائه صعودا اليه تعالى كما يقال
ارتفع امرهم الى السلطان والكلم الطيب الكلمات الحسنة من التعظيم والتقديس
واحسن الكلم لا اله الا الله والعمل الصالح يرفعه قيل فيه وجوه احدها العمل
الصالح يرفع الكلم الطيب الى الله فالهاء من يرفعه يعود الى الكلم وهو معنى قول الحسن
والثانى على القلب من الاول اى والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب والمعنى ان العمل
الصالح يرفعه الله لصاحبه اى يقبله عن قتاده وعلى هذا فيكون ابتداء اخبار
لا يتعلق بما قبله ثم ذكر سبحانه من لا يوحد الله سبحانه فقال والذين يمكرون
السيئات اى يعملون السيئات عن الكلبى وقيل يمكرون اى يشركون بالله وقيل يعنى
الذين مكروا برسول الله فى دار الندوة عن ابى العالية وهو قوله واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية لهم عذاب شديد فى الاخرة ثم اخبر سبحانه ان مكرهم مبطل
فقال ومكر اولئك هو يبور اى يفسد ويهلك ولا يكون شيئا ولا ينفذ فيما
ارادوه قوله تعالى وَاللّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ
إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ
سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً

تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يُولِجُ
اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ
إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ
بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
سبع آيات القراة قرا روح وزيد عن يعقوب ولا ينقص بفتح اليا وهو قراة
الحسن وابن سيرين والباقون ولا ينقص على البنا للمفعول به وقرأ قتيبه
عن الكسائى والذين يدعون باليا والباقون بالتا وفي الشواذ قرأة عيسى
الثقفى سيغ شرابه الحجة من قرأ ينقص فالتقدير ولا ينقص الله من عمره والقراة
المشهورة ولا ينقص وهي اوفق لما تقدمه من قوله وما يعمر من معمر وكذلك
قرأه تدعون على الخطاب اوفق بما تقدم من الكلام وما تأخر ويدعون باليا
على الغيبة ومن قرأ سيغ شرابه فانه على التخفيف من سيّغ على يا التشديد على
فيعل واصله سيوغ مثل هيّن وهين وميّت وميت اللغة النطفه الماء القليل
والماء الكثير وهو من الاضداد ومنه قول امير المومنين عليه السلم لما قيل له ان
الخوارج عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفه والعمر البقا واصله طول
المدة وقولهم لعمر والله بالفتح لا غير والقطمير لفافة النواة وقيل الحبة في بطن النواة
الجديد القريب العهد بانقطاع العمل واصله من القطع الاعراب لا ينقص تقديره
لا ينقص من عمره شي فمفعول ما لم يسم فاعله محذوف وقوله الا في كتاب الجار والمجرور
في موضع خبر محذوف تقديره الا هو كاين في كتاب يلبسونها يجوز ان يكون جملة
منصوبة الموضع على الحال من يستخرجون ويجوز ان يكون صفة لحلية اى حلية
ملبوسة واللام من قوله ليبتغوا يتعلق بمواخر لان المعنى ان الفلك تشق الما
لابتغاء من فضل الله وقوله من دونه في موضع الحال من الضمير المحذوف

من قوله

من قوله تدعون والتقدير والذين تدعونهم كاينين من دونه المعنى ثم نسق سبحانه
على ما تقدم من دلايل التوحيد فقال والله خلقكم من تراب بان خلق اباكم آدم منه
فان الشي يضاف الى اصله وقيل اراد به ادم نفسه ثم من نطفه اى ماء الرجل
والمراة ثم جعلكم ازواجا اى ذكورا واناثا وقيل ضروبا واصنافا وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه اى وما تحمل من الاناث حامله ولدها في بطنها الا بعلم الله
تعا والمعنى الا وهو عالم بذلك وما يعمر من معمر وما يمد في عمر معمر اى لا يطول عمر احد
ولا ينقص من عمره اى من عمر ذلك المعمر بانقضاء الاوقات عليه عن ابى مالك يعني
ولا يذهب بعض عمره بمضي الليل والنهار وقيل معناه ولا ينقص من عمره غير ذلك
المعمر عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل هو ما يعلمه الله تعا ان فلانا لو اطاع
لبقي الى وقت كذا واذا عصى نقص عمره فلا يبقى فالنقصان على ثلثه اوجه اما
ان يكون من عمر المعمر او من عمر معمر آخر او يكون بشرط الا في كتاب اى الا وذلك
مثبت في الكتاب وهو الكتاب المحفوظ اثبته الله تعا قبل كونه قال
سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا سنة ثم يكتب اسفل ذلك
ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلثه ايام حتى ياتي على اخر عمره ان ذلك على الله يسير
يعني ان تعمير من يعمره ونقصان من ينقصه واثبات ذلك في الكتاب سهل
على الله غير متعذر فقال وما يستوي البحران يعني العذب والمالح ثم ذكرهما
فقال هذا عذب فرات اى طيب بارد سايغ شرابه اى جايز في الحلق هنى وهذا
ملح اجاج شديد الملوحة عن ابن عباس وما بعد هذا مفسر في سورة النحل
الى اخر الاية يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اى يدخل احدهما في الاخر
بالزيادة والنقصان وسخر الشمس والقمر اى يجريهما كما يريد كل يجري لاجل مسمى اى
لوقت معلوم وقد مضى تفسيره ذلكم الله ربكم اى مدبر هذه الامور هو الله
خالقكم له الملك في الدنيا والاخرة والذين تدعون من دونه اى تدعونهم
الهة من الاصنام والاوثان وتوجهون عبادتكم اليهم ما يملكون من قطمير

اى نشرنواة عن ابن عباس اى لا يقدرون من ذلك على قليل ولا كثير ان تدعوهم
لكشف ضر لا يسمعوا دعاكم لانها جماد لا تنفع ولا تضر ولو سمعوا بان يخلق الله لها
سمعا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم اى يتبرأون عن عبادتكم ينطقهم
الله يوم القيمة لتوبيخ عابديها فيقولون لهم ما عبدتمونا وما دعوناكم الى ذلك
قال البلخي ويجوز ان يكون المراد به الملائكة وعيسى عليه السلم ويكون معنى قوله لا يسمعوا
دعاكم انه بحيث لا يسمعونه او انهم مشتغلون عنهم لا يلتفتون اليهم ويجوز ان يكون
المراد به الاصنام ويكون ما يظهر من بطلان ما ذكروه كفرا بشركهم وجحود
الله كما ان ما يحصل في الجماد من الدلالة على الله تع تسبيح منهم ولا ينبئك مثل
خبير اى لا يخبرك بما فيه الصلاح والفساد المنافع والمضار مثل الله سبحانه
العليم بالاشياء كلها يا ايها الناس انتم الفقراء المحتاجون الى الله والله
هو الغنى عن عبادتكم لا يحتاج الى شئ الحميد المستحق للحمد على جميع افعاله فلا يفعل
الا ما يستحق به حمدا ثم اخبر عن كمال قدرته فقال ان يشاء يذهبكم ويفنكم
ويأت بخلق جديد سواكم كما خلقكم ولم يكونوا شيئا وما ذلك على الله بعزيز
اى ممتنع بل هو عليه هين يسير قوله عز وجل وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرَى وَاِنْ تَدْعُ
مُثْقَلَةٌ اِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى اِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَاِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ
وَمَا يَسْتَوِى الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّوْرُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُوْرُ
وَمَا يَسْتَوِى الْاَحْيَاءُ وَلَا الْاَمْوَاتُ اِنَّ اللّٰهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا اَنْتَ بِمُسْمِعٍ
مَنْ فِى الْقُبُوْرِ اِنْ اَنْتَ اِلَّا نَذِيْرٌ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا وَاِنْ
مِنْ اُمَّةٍ اِلَّا خَلَا فِيْهَا نَذِيْرٌ وَاِنْ يُكَذِّبُوْكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ
جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيْرِ ثُمَّ اَخَذْتُ الَّذِيْنَ
كَفَرُوْا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرِ سبع آيات بصرى تسع فى غيرهم اللغة الحرور السموم
وهى الريح الحارة قال الفراء السموم لا يكون الا بالنهار والحرور يكون بالليل والنهار

والاستواء

والاستواء حصول احد الشيئين على مقدار الاخر ومنه الاستواء في العود والطريق
خلاف الاعوجاج لمره على مقدار وضع له من غير انعدال والاسماع ايجاد السمع
بحيث يدركه السامع المعنى ثم اخبر سبحانه عن عدله في حكمه فقال ولا تزر
وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى اى لا يواخذ احد بذنب غيره
وانما يواخذ كل بما يقترفه من الاثام وان تدع مثقلة الى حملها اى وان تدع مثقلة
بالاثام غيرها الى ان تحمل عنها شيئا من اثمها لا يحمل منه شئ اى لا تحمل غيرها شيئا
من ذلك الحمل ولو كان ذا قربى اى ولو كان المدعو الى التحمل ذا قرابة منها واقرب
الناس اليها ما حمل عنها شيئا فكل نفس بما كسبت رهينة قال ابن عباس يقول
الاب والام يا بنى احمل عنى فيقول حسبى ما على انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب
اى وهم غايبون عن احكام الاخرة واهوالها وهذا كقوله انما انت منذر من يخشيها
والمعنى ان انذارك لا ينفع الا الذين يخشون ربهم فكانك تنذرهم دون
غيرهم ممن لا ينفعهم الانذار وقيل الذين يخشون ربهم فى خلواتهم وغيبتهم
عن الخلق واقاموا الصلوة اى اداموها واقاموا بشرايطها وانما عطف الماضى
على المستقبل اشعارا باختلاف المعنى لان الخشية لازمة فى كل وقت الصلوة لها
اوقات مخصوصة ومن تزكى اى فعل الطاعات وقام بما يجب عليه من الزكوة
وغيرها من الواجبات وقيل تطهر الاثام فانما يتزكى لنفسه لان جزاء ذلك
يصل اليه دون غيره والى الله المصير اى مرجع الخلق كلهم الى حيث لا يملك الحكم
الا الله سبحانه فيجازى كلا على قدر عمله وما يستوى الاعمى والبصير اى لا يساوى
الاعمى عن طريق الحق والذى اهتدى اليه قط وقيل المشرك والمومن ولا الظلمات
اى ظلمات الشرك والضلالة ولا النور اى نور الايمان والهداية وفى قوله ولا النور
وما بعده من زيادة لا قولان احدهما انها زايدة موكدة للنفى والثانى انها
نافية لاستواء كل واحد منها لصاحبه على التفضيل ولا الظل ولا الحرور يعنى الجنة
والنار عن الكلبى وقيل يعنى ظل الليل والسموم بالنهار وما يستوى الاحياء ولا الاموات

يعني المؤمنين والكافرين وقيل يعني العلماء والجهال وقال بعضهم اراد نفس الاعمى والبصير
والظل والحرور والظلمات والنور على طريق ضرب المثل اي كما لا يستوي المؤمن والكافر
والحق والباطل والعالم والجاهل ان الله يسمع من يشاء اي ينفع بالاسماع من يشاء
ان يلطف له ويوفقه ولم يرد به نفي حقيقة السماع لانهم كانوا يسمعون ايات
الله وما انت بمسمع من في القبور اي انك لا تقدر ان تنفع الكفار باسماعك
اياهم اذ لم يقبلوا كما لا تسمع من في القبور من الاموات ان انت الا نذير اي ما
انت الا مخوف لهم بالله انا ارسلناك بالحق اي بالدين الصحيح بشيرا ونذيرا اي مبشرا
للمؤمنين ونذيرا للكافرين وان من امة اي وما من الامم الماضية الا خلا فيها
نذير اي مضى فيها مخوف يخوفهم وينذرهم فانت مثلهم نذير لمن جحد بشير
لمن وحد قال الجبائي في هذا دلالة على انه لا احد من المكلفين الا وقد بعث
اليه الرسول وانه سبحانه اقام الحجة على جميع الامم ثم قال سبحانه تسلية لنبيه عليه السلام
وان يكذبوك يا محمد ولم يصدقوا قولك فقد كذب الذين من قبلهم من الكفار
انبياء ارسلهم الله اليهم جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الباهرات
والحجج الواضحات وبالزبر اي بالكتب والكتاب المنير الواضح البين وانما كرر
ذكر الكتاب بعطفه على الزبر لاختلاف الصفتين فان الزبور اثبت في الكتاب
من الكتابة لانه يكون منقورا منقوشا فيه كالنقر في الحجر ثم اخذت الذين كفروا
فكيف كان نكير اي فلما كذبوا رسلهم ولم يعترفوا بنبوتهم اخذتهم بالعذاب
واهلكتهم ودمرت عليهم فكيف كان تغييري وانكاري عليهم وانزالي العقاب
بهم قوله عز وجل أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ
سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا
يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ
اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً

لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ اربع ايات
اللغة واحد الجدد جدة واما الجادة فجمع جواد قال المبرد الجدد الطرائق
والخطوط قال امرؤ القيس كان سراته وجدة متنه كنائن يجري فوقهن
دليص يعني خطة السواد في ظهر حمار الوحش وكل طريقة جدة وجادة قال
الفراء هي الطرائق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر والغربيب الشديد
السواد الذي يشبه لون الغراب الاعراب مختلفا صفة لثمرات والوانها
مرفوع بانه فاعله مختلف الوانه خبر مبتدا محذوف وتقديره ما هو مختلف الوا
نه فالهاء في الوانه عائدة الى هو ويجوز ان يكون الهاء عائدة الى موصوف مختلف تقديره
جنس مختلف الوانه وهو الاصح سرا وعلانية يجوز ان يكون نصبهما على الحال
على تقدير انفقوا مسرين ومعلنين ويجوز ان يكون على صفة مصدر انفق
تقديره انفقوا انفاقا مسرا ومعلنا ويرجون في موضع نصب على الحال المعنى
ثم عاد الكلام الى ذكر دلائل التوحيد فقال سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء
ماء اي غيثا ومطرا فاخرجنا اخبر عن نفسه بنون الكبرياء والعظمة به اي بذلك
الماء ثمرات جمع ثمرة وهي ما يجتنى من الشجر مختلفا الوانها وطعومها وروائحها
اقتصر على ذكر الالوان لانها اظهر ولدلالة الكلام على الطعوم والروائح ومن
الجبال جدد اي ومما خلقنا من الجبال جدد وبيض وحمر اي طرق بيض وطرق
حمر مختلف الوانه وغرابيب سود اي ومن الجبال غرابيب سود على لون واحد لا خطط
فيها قال الفراء هذا على التقديم والتاخير تقديره وسود غرابيب لانه يقال
اسود غربيب واسود حالك واقول ينبغي ان تكون سود عطف بيان من غرابيب
به والاجود ان يكون تاكيدا اذ الغرابيب لا تكون الا سودا فيكون كقولك رايت
زيدا زيدا وهذا اولى من ان يحمل على التقديم والتاخير ومن الناس ايضا و
الدواب التي تدب على وجه الارض والانعام كالابل والبقر والغنم خلق مختلف
الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ثم قال انما يخشى الله من عباده

العلماء الذين يعرفونه حق معرفته وروى عن الصادق عليه السلام انه قال يعنى بالعلماء
من صدق قوله فعله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعن ابن عباس
قال يريد انما يخافنى خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وفى الحديث اعلمكم بالله
اخوفكم لله قال مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعمله
وانما خص سبحانه العلماء بالخشية لان العالم احذر لعقاب الله من الجاهل حيث يختص
بمعرفة التوحيد والعدل ويصدق بالبعث والحساب والجنة والنار ومتى قيل
فقد نرى من العلماء من لا يخاف الله ويرتكب المعاصى فالجواب انه لا بد ان يخاف مع العلم به
وان كان ربما يوثر المعصية عند غلبة الشهوة لعاجل اللذة ان الله عزيز فى انتقامه
من اعدائه غفور لزلات اوليائه ثم وصف سبحانه العلماء فقال ان الذين يتلون كتاب
الله اى يقرؤن القران فى الصلوة وغيرها اثنى سبحانه عليهم بقراءة القران قال مطرف
بن عبد الله الشخير هذه اية القراء واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم اى ملكناهم
التصرف فيه سرا وعلانية اى فى حال سرهم وفى حال علانيتهم وعن عبد الله بن عبيد
بن عمير الليثى قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ما لى لا احب
الموت قال الك مال قال نعم قال فقدمه قال لا استطيع قال فان قلب الرجل مع ماله
ان قدمه احب ان يلحق به وان اخره احب ان يتاخر معه يرجون تجارة لن تبور اى راجين
بذلك تجارة لن تكسد ولن تفسد ولن تهلك ليوفيهم اجورهم اى قصدوا باعمالهم
الصالحة وفعلوها لان يوفيهم الله اجورهم بالثواب ويزيدهم على قدر استحقاقهم
من فضله انه غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم عن الزجاج وقال الفراء خبر
ان قوله يرجون تجارة لن تبور وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله
انه قال فى قوله ويزيدهم من فضله هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع
اليه معروفا فى الدنيا وعن الضحاك قال يفسح لهم فى قبورهم وقيل معنى شكور انه
يقبل اليسير ويثيب على الكثير تقول العرب اشكر من بروقة وتزعم انها شجرة
عارية من الورق تغيم السماء فوقها فتخضر وتورق من غير مطر قوله عز وجل

والذى

والذى اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله
بعباده لخبير بصير ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله
ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور
من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
ان ربنا لغفور شكور الذى احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا
فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب اربع آيات القراءة قرا ابو عمرو يدخلونها بضم الياء على ما لم يسم
فاعله ليشاكل قوله يحلون والباقون بفتح الياء لانهم اذا دخلوا فقد دخلوا
وقد ذكرنا اختلافهم فى لؤلؤا فى سورة الحج اللغة المقامة الاقامة وموضع الاقامة
واذا فتحت الميم كان بمعنى القيام وموضع القيام قال الشاعر شعر يومان يوم مقامات
واندية ويوم سير الى الاعداء تاويب والنصب التعب فيه لغتان النصب والنصب
كالرشد والرشد والحزن والحزن واللغوب الاعياء من التعب الاعراب من الكتاب فى موضع
الحال من الضمير المنصوب المحذوف من الصلة والتقدير والذى اوحيناه اليك
كائنا من الكتاب جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون بدلا من قوله
الفضل الكبير يدخلونها فى موضع نصب على الحال وكذلك يحلون فيها من اساور
من يتعلق بيحلون من ذهب فى موضع الصفة لاساور اى اساور كائنة من ذهب
ذهبه لا يمسنا فى موضع نصب على الحال المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه فقال والذى
اوحينا اليك يا محمد وانزلناه من الكتاب وهو القران هو الحق اى الصحيح الذى
لا يشوبه فساد الصدق الذى لا يمازجه كذب لان العقل يدعو الى الحق ويصرف عن الباطل
مصدقا لما بين يديه اى لما قبله من الكتب لانه جاء موافقا لما بشرت به تلك الكتب
من حاله وحال من اتى به ان الله بعباده لخبير اى عالم بصير باحوالهم ثم اورثنا
الكتاب يعنى القران وقيل هو التورية عن ابى مسلم وقيل اراد الكتب لان الكتاب يطلق
ويراد به الجنس عن الجبائى والصحيح الاول لان ظاهر لفظ الكتاب لا يطلق الا على القران الذى

اصطفينا من عبادنا اى اخترناهم ومعنى الارث انتهاء الحكم ومصيره لهم كما قال وتلك الجنة
التى اورثتموها وقيل معناه اورثناهم الايمان بالكتب لمبالغه اذ الميراث انتقال
الشئ من قوم الى قوم والاول اصح واختلف فى الذين اصطفاهم الله من عباده فى الاية
فقيل هم الانبياء اختارهم الله برسالته وكتبه عن الجبائى وقيل هم المصطفون الداخلون
فى قوله ان الله اصطفى آدم الى قوله وآل ابراهيم وآل عمران يريد بنى اسرائيل
عن ابى مسلم قال لان الانبياء لا يرثون الكتب بل يورث علمهم وقيل هم امة محمد صلى الله عليه
وآله اورثهم الله كل كتاب انزله عن ابن عباس وقيل هم علماء امة محمد صلى الله عليه
وآله لما ورد فى الحديث العلماء ورثة الانبياء والمروى عن الباقر والصادق عليهما السلام
انهما قالا هى لنا خاصة وايانا عنى وهذا اقرب الاقوال لانهم احق الناس بوصف الاصطفاء
والاجتباء وايراث علم الانبياء اذ هم المتعبدون بحفظ القران وبيان حقايقه
العارفون بجلايله ودقايقه فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
اختلف فى الضمير فى منهم الى من يعود على قولين احدهما انه يعود الى العباد وتقدير
الكلام فمن العباد ظالم لنفسه وروى نحو ذلك عن ابن عباس والحسن وقتاده واختاره
المرتضى قدس الله روحه من اصحابنا قال والوجه فيه انه لما علق توريث الكتاب
بمن اصطفاه من عباده وبين عقيبه انه علق وراثة الكتاب ببعض العباد
دون بعض لان فيهم من هو ظالم لنفسه ومن هو سابق بالخيرات والقول الثانى
ان الضمير يعود الى المصطفين من العباد عن اكثر المفسرين ثم اختلف فى احوال الفرق
الثلث على قولين احدهما ان جميعهم ناج ويؤيد ذلك ما ورد فى الحديث عن ابى الدرداء
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فى الاية اما السابق فيدخل الجنة بغير
حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام
ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وعن عايشة انها
قالت كلهم فى الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله وشهد له رسول الله
صلى الله عليه وآله بالجنة واما المقتصد فمن تبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم

فظالم مثلكم

فظالم مثلكم وروى عنها ايضا انها قالت السابق الذى اسلم قبل الهجرة والمقتصد الذى اسلم
بعد الهجرة والظالم نحن وروى عن عمر بن الخطاب انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج
وظالمنا مغفور له وقيل ان الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذى
استوى باطنه وظاهره والسابق الذى باطنه خير من ظاهره وقيل منهم ظالم لنفسه
بالصغاير ومنهم مقتصد فى الطاعات بالدرجة الوسطى ومنهم سابق بالخيرات
فى الدرجة العليا عن جعفر بن حرب روى اصحابنا عن ميسر بن عبد العزيز عن جعفر
الصادق عليه السلام الظالم لنفسه منا من لا يعرف حق الامام والمقتصد منا العارف بحق الامام
والسابق بالخيرات هو الامام وهؤلاء كلهم مغفور لهم وعن زياد بن المنذر عن ابى جعفر
عليه السلام اما الظالم لنفسه منا فمن عمل عملا صالحا وآخر سيئا واما المقتصد فهو المتعبد
المجتهد واما السابق بالخيرات فعلى والحسن والحسين ومن قتل من آل محمد شهيدا
والقول الاخر ان الفرقة الظالمة لنفسها غير ناجية قال قتاده الظالم لنفسه اصحاب
المشامة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس
كلهم كما قال سبحانه وكنتم ازواجا ثلاثة وقال عكرمة عن ابن عباس ان الظالم هو
المنافق والمقتصد والسابق من جميع الناس وقال الحسن السابقون هم الصحابة
والمقتصدون هم التابعون والظالمون هم المنافقون فان قيل لم قدم الظالم
واخر السابق وانما يقدم الافضل فالجواب انهم قد يقدمون الادنى فى الذكر على
الافضل قال سبحانه يولج الليل فى النهار وقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
وقال خلق الموت والحيوة وقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقيل انما قدم الظالم لئلا
ييأس من رحمته واخر السابق لئلا يعجب بعمله وقيل انما رتبهم على هذا الترتيب على
مقامات الناس لان احوال العباد ثلث معصية وغفلة ثم التوبة ثم القربة
فاذا عصى فهو ظالم واذا تاب فهو مقتصد واذا صحت توبته وكثرت مجاهداته
اتصل بالله وصار من جملة التابعين وقوله باذن الله اى بامره وتوفيقه ولطفه
ذلك هو الفضل الكبير معناه ان ايراث الكتاب واصطفاء الله اياهم هو الفضل

العظيم من الله عليهم جنات عدن يدخلونها هذا تفسير للفضل كانه قيل ما ذلك
الفضل فيقال هي جنات اي جزاء جنات او دخول جنات ويجوز ان يكون بدلا من الفضل
كانه قال ذلك دخول جنات يحلون فيها من اساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب
ولؤلؤ ومن قرأ ولؤلؤا فالمعنى يحلون فيها لؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهو
الابريسم المحض واذا قلنا ان المراد به الفرق الثلث فالظالم انما يدخلها بفضل الله
تعالى او الشفاعة وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن اخبر سبحانه عن حالهم انهم اذا دخلوا
الجنة يقولون الحمد لله اعترافا منهم بنعمته لا على وجه التكليف وشكرا له على
ان اذهب الغم الذي كانوا عليه في دار الدنيا عنهم وقيل يعنون الحزن الذي اصابهم
قبل دخول الجنة لانهم كانوا يخافون دخول النار اذا كانوا مستحقين لذلك فاذا
تفضل الله عليهم باسقاط عقابهم وادخلهم الجنة حمدوه على ذلك وشكروه ان ربنا
لغفور لذنوب عباده وقبيح افعالهم شكور يقبل اليسير من محاسن اعمالهم وقيل ان شكره
سبحانه هو مكافاة لهم على الشكر له والقيام بطاعته وان كان حقيقة الشكر لا يجوز
عليه سبحانه من حيث كان اعترافا بالنعمة ولا يصح ان يكون سبحانه منعما عليه الذي
احلنا دار المقامة اي انزلنا دار الخلود يقيمون فيها ابدا لا يموتون ولا يتحولون
عنها من فضله اي ذلك بتفضله وكرمه لا يمسنا فيها نصب ولا يصيبنا في الجنة عناء وتعب
ولا يمسنا فيها لغوب ولا يصيبنا فيها اعياء ومتعب في طلب المعاش وغيره قوله عز وجل
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك
نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين
من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور
هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل ارايتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك

في السموات

في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم
بعضا الا غرورا خمس آيات القراءة قرأ ابو عمرو وخلف يجزى كل كفور على ما لم يسم
فاعله والباقون نجزي بالنون كل بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص
وخلف على بينه بالتوحيد والباقون بينات بالجمع الحجة من قرأ نجزي بالنون
فانه على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه ومن قرأ على بناء الفعل للمفعول به
فحجته ان قبله لا يقضى عليهم ولا يخفف عنهم والوجه في قراءة بينه على الافراد
انه يجعل ما في الكتاب وما ياتي به النبي صلى الله عليه وآله بينه كما قال ارايتم ان كنت
على بينه من ربي وقد جاءتكم بينه من ربكم ومن قرأ بالجمع فلان لكل نبي بينه
كما قال فاذا اجمعوا جمعت البينة بجمعهم على ان في الكتاب ضروبا من البينه فجمع
لذلك اللغة الاصطراخ الصياح والنداء بالاستغاثة افتعال من الصراخ
قلبت التاء طاء لاجل الصاد الساكنة قبلها وانما فعل ذلك لتعديل الحروف
بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والاطباق ويوافق التاء بالمخرج
والمقت البغض مقته بمقته وهو ممقوت ومقيت الاعراب فيموتوا جواب النفي
ويموتوا منصوب باضمار ان وعلامة النصب سقوط النون ما يتذكر فيه من تذكر
الموصول والصلة في محل النصب على انه ظرف زمان لان المعنى اولم نعمركم زمانا طويلا
يتذكر فيه من تذكر والهاء في فيه تعود الى ما وقل ما يجيء ما في معنى الظرف وهو اسم
وانما يجيء حرفا مصدريا المعنى لما قدم سبحانه ذكر ما اعده لاهل الجنة من انواع النعم
عقبه بذكر ما اعده للكفار من اليم العقاب فقال والذين كفروا بوحدانية الله وجحدوا
نبوة نبيه لهم نار جهنم جزاء على كفرهم لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا ولا يخفف
عنهم من عذابها اي ولا يسهل عليهم عذاب النار كذلك اي ومثل هذا العذاب نطين
نجزي كل كفور جاحد كثير الكفران مكذب لانبياء الله وهم يصطرخون فيها اي يتصايحون
بالاستغاثة يقولون ربنا اخرجنا من عذاب النار نعمل صالحا اي نؤمن بدل الكفر ونطيع
بدل المعصية والمعنى ردنا الى الدنيا نعمل بالطاعات التي تامرنا بها غير الذي

كنا نعمل من المعاصي فوبخهم الله تعالى فقال اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اى لم نعطكم
من العمر مقدارا ما يمكن ان يتفكر ويعتبر وينظر في امور دينه وعواقب حاله من يريد
ان يتفكر ويتذكر واختلف في هذا المقدار فقيل ستون سنه وهو المروى عن
امير المؤمنين عليه السلام قال العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وهو
احدى الروايتين عن ابن عباس وروى عن النبى ايضا مرفوعا انه قال من عمره الله
ستين سنة فقد اعذر اليه وقيل هو اربعون سنة عن ابن عباس ومسروق
وقيل هو توبيخ لابن ثماني عشرة سنة عن وهب وقتاده وروى ذلك عن الصادق ع
وجاءكم النذير اى المخوف من عذاب الله وهو محمد صلى الله عليه وآله عن ابن زيد
والجبائى وجماعة وقيل النذير القرآن عن زيد بن على وقيل النذير الشيب عن عكرمه
وسفين بن عيينه ومنه قيل رايت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير
وقائله تبيض العوانى نوافر من معاينه القتير فقلت لها المشيب نذير عمرى
ولست مسودا وهو النذير وقال العدى بن زيد وابيضاض السواد من نذر
الموت وهل بعده يجيء نذير وقيل النذير الحمى وقيل هو موت الاهل والاقارب
وقيل كمال العقل فذوقوا اى فذوقوا العذاب وحسرة الندم فما للظالمين من نصير
يدفع عنهم العذاب ان الله عالم غيب السموات والارض فلا يخفى عليه شيء مما يغيب عن الخلايق
علمه انه ان الله عليم بذات الصدور اى فلا تضمروا في انفسكم ما يكرهه سبحانه
فانه عالم به هو الذى جعلكم خلائف في الارض اى جعلكم معاشر الكفار امة
بعد امة وقرنا بعد قرن عن قتاده وقيل جعلكم خلائف القرون الماضية
بان احدثكم بعدهم واورثكم ما كان لهم فمن كفر فعليه كفره اى فعليه ضرر كفره
وعقاب كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اى اشد البغض ولا يزيد
الكافرين كفرهم الا خسارا اى خسرانا وهلاكا قل يا محمد ارايتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض معناه اخبروني ايها
المشركون عن الاوثان الذين اشركتموهم مع الله في العبادة اروني ماذا خلقوا

من الارض

من الارض اى باى شيء اوجبتم لهم شركا في العباد اى شيء خلقوه من الارض ام لهم شرك
في السموات اى شركه في خلقها ثم ترك هذا النظم فقال ام آتيناهم كتابا اى ام انزلنا
عليهم كتابا يصدق دعواهم فيما هم عليه من الشرك فهم على بينات اى فهم دلالات
واضحات منه اى من ذلك الكتاب فان جميع ذلك محال لا يمكنهم اقامة حجة
ولا شبهة على شيء منه وقيل ام آتيناهم كتابا بان الله لا يعذبهم على كفرهم فهم واثقون
به بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا معناه ليس شيء من ذلك لكن
ليس يعد بعض الظالمين بعضا الا غرورا لا حقيقة له يغرونهم يقال غره يغره غرورا
اذا اطمعه فيما لم يطمع فيه اتصال قوله ان الله عالم غيب السموات والارض
الآية بما قبله ان المعنى يعلم الله انه لو ردكم الى الدنيا لعدتم الى كفركم فاتصل
بقوله نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل واتصل قوله هو الذى جعلكم خلائف في الارض
بما قبله على معنى انه كما اورثكم الكتاب اورثكم الارض لتشكروه على نعمه وتعتبروا
بمن سلف من الامم قوله عز وجل إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا
ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما
جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق
المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله
تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء
في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله
كان بعباده بصيرا اخمس آيات القراءة قرا حمزة ومكر السيء بسكون الهمزة والباقون
بالجر اللغة قال الزجاج تسكين هذه الهمزة لحن عند البصريين وانما يجوز في الشعر
الاضطرار انشدوا اذا اعوججن قلت صاحب قوم والاصل يا صاحب قوم لكنه حذف مضطر

وانشدوا فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وانشد ابو العباس المبرد
اذا اعوججن قلت صاح قوم واليوم فاشرب هذا جيد وقال ابو علي في اسكان
الهمزة اجراها في الوصل مجراها في الوقف فهو مثل قوله تبارك وجاء او عيهل
وقوله مثل الحريق وافق القصبا الاعراب ان تزولا مفعول له اى كراهة ان تزولا
ولئلا تزولا واستكبارا مفعول له ايضا ومكر السيء معطوف عليه ويجوز ان يكون
مصدرا على تقدير استكبروا استكبارا في الارض ويجوز ان يكون حالا ايضا اى مستكبرين
في الارض وان يكون بدلا من نفورا اى ما زادهم مجيء النذير الا استكبارا في الارض من شيء
فاعل يعجز من مزيدة ومن دابة في محل نصب لانه مفعول ترك ومن مزيدة ايضا المعنى
ثم اخبر سبحانه عن عظيم قدرته وسعة ملكه فقال ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا معناه انه يمسك السموات من غير علاقة فوقها ولا عماد
تحتها ويمسك الارض كذلك ان تزولا اى لئلا تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد
من بعده اى فان قدر ان تزولا عن مراكزهما ما امسكهما احد ولا يقدر على امساكهما احد من
بعد الله تعالى وقيل من بعد زوالهما انه كان حليما اى قادرا لا يعاجل بالعقوبة
من استحقها غفورا اى ساترا للذنوب كثيرا لغفران ثم حكى عن الكفار فقال واقسموا
بالله جهد ايمانهم يعني كفار مكه حلفوا بالله قبل ان اتاهم محمد صلى الله عليه وآله
بايمان غليظه غاية وسعهم وطاقتهم لئن جاءهم نذير اى رسول مخوف من جهة
الله تعالى ليكونن اهدى الى قبول قوله واتباعه من احدى الامم الماضيه يعني اليهود
والنصارى والصابئين فلما جاءهم نذير ما زادهم مجيئه الا نفورا اى تباعدا عن
الهدى وهربا من الحق والمعنى انهم ازدادوا عند مجيئه نفورا استكبارا اى تكبرا
وتجبرا وعتوا على الله وانفه من ان يكونوا تبعا لغيرهم في الارض ومكر السيء كل
مكر اصله الكذب الخديعة وكان تاسيسه على فساد لان من المكر ما هو حسن
وهو مكر المومنين بالكافرين اذا طالبوهم من الوجه الذي يحسن ذلك مكروا بهم والمراد
ههنا المكر برسول الله صلى الله عليه وآله وباهل دينه واضيف المصدر الى صفة المصدر والتقدير

ومكروا

ومكروا المكر السيء بدلالة قوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله والمعنى ولا ينزل جزاء
المكر السيء الا بمن فعله فهل ينظرون الا سنة الاولين اى فهل ينتظرون الا عادة
الله في الامم الماضية ان يهلكهم اذا كذبوا رسله وينزل بهم العذاب ويحل عليهم
النقمه لا تغير الله عادته من عقوبة من كفر نعمته وجحد ربوبيته ولا يبدلها
فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا فالتبديل تصيير الشيء
مكان غيره والتحويل تصيير الشيء في غير المكان الذي كان فيه والتغيير تصيير الشيء على خلاف
ما كان اولم يسيروا في الارض اى لم يسر هولاء الذين انكروا هلاك الله الامم الماضية
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى كيف اهلك الله المكذبين
من قبلهم مثل قوم لوط وعاد وثمود فيعتبروا بهم وكانوا وكان اولئك اشد منهم
اى من هولاء قوة وما كان الله ليعجزه من شيء اى لم يكن الله يفوته شيء في السموات
ولا في الارض انه كان عليما بجميع الاشياء قديرا على ما لا نهاية له ثم بين سبحانه
علي خلقه خيره العقاب عنهم فقال ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا من الشرك
والتكذيب لعجل لهم العقوبة وهو قوله ما ترك على ظهرها من دابة و
الضمير العائد الى الارض وان لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام على ذلك و
العلم الحاصل به ولكن يوخرهم الى اجل مسمى والايه مفسره في سورة النحل
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا اى هو بصير بمكانهم
يواخذهم حيث كانوا وقيل بصير باعمالهم فيجازيهم عليها سورة يس
مكية عند الجميع قال ابن عباس الا ايه منها واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم
الله الاية نزلت بالمدينة عدد ايها ثلاث وثلثون آية كوفي آيتان في الباقين اختلافها
آية واحدة يس كوفي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرا
سورة يس يريد بها الله عز وجل غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن
اثنتي عشرة مرة وايما مريض قرئ عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف منها
عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا ويستغفرون له ويشهدون قبضه

ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مريض قرأها
وهو في سكرات الموت وقرب عنائه جاءه رضوان خازن الجنة بشربة
من شراب الجنة فسقاه اياها وهو على فراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث
ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان ابو بكر
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال سورة يس تدعى في التورية المعمة قيل وما المعمة
قال تعم صاحبها خير الدنيا والاخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا وتدفع عنه اهاويل
الاخرة وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل شر وتقضي له كل حاجة
ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له الف دينار في سبيل الله
ومن كتبها ثم شربها ادخلت جوفه الف دواء والف نور والف يقين والف بركة
والف رحمة ونزعت منه كل داء وغل انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله
قال ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال من دخل المقابر
فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وروى
ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس فمن قرأ يس
في نهاره قبل ان يمسي كان من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي ومن قرأها في ليلة
قبل ان ينام وكل به الف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم ومن كل آفة وان مات
في يومه ادخله الله الجنة وحضر غسله ثلثون الف ملك كلهم يستغفرون له ويشيعونه
الى قبره بالاستغفار له فاذا ادخل لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله وثواب
عبادتهم له وفسح له في قبره مد بصره وامن ضغطة القبر ولم يزل له في قبره
نور ساطع الى عنان السماء الى ان يخرجه الله من قبره فاذا اخرجه الله لم تزل
ملائكة الله معه يشيعونه ويحدثونه ويضحكون في وجهه ويبشرونه بكل خير
حتى يجوزوا به الصراط والميزان ويوقفوه من الله موقفا لا يكون عند الله
خلق اقرب منه الا ملائكة الله المقربون وانبياؤه المرسلون وهو موضع النبيين
واقف بين يدي الله لا يحزن مع من يحزن ولا يهتم مع من يهتم ولا يجزع مع من يجزع

ثم يقول الله

ثم يقول له الرب اشفع عبدي اشفعك في جميع ما تشفع وسلني عبدي اعطك جميع
ما تسأل فيسأل فيعطى ثم يشفع فيشفع ولا يحاسب فيمن يحاسب ولا يذل ولا يبكت بخطيئة
ولا بشيء من سوء عمله ويعطى كتابا منشورا فيقول جميع الناس سبحان الله ما كان لهذا
العبد خطيئة واحدة ويكون من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله وروى محمد بن مسلم
عن ابي جعفر عليه السلام قال ان لرسول الله صلى الله عليه وآله اثني عشر اسما خمسة منها في
القرآن محمد واحمد وعبد الله ويا سين ونون تفسيرها لما ذكر سبحانه في آخر السورة
انهم اقسموا بالله ليؤمنن ان جاءهم نذير ففتح هذه السورة بانهم لم يؤمنوا
وقد جاءهم النذير فقال بسم الله الرحمن الرحيم
يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم
لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم فهم لا
يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء
عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون عشر آيات القراءة قرأ اهل الكوفة
غير عاصم الا حماد ويحيى عن ابي بكر يس بالامالة والباقون بالتفخيم وقرأ ابو جعفر
وابو عمرو وحمزة وابن كثير برواية القواس والبزي ونافع برواية اسمعيل وورش
بخلاف باظهار النون من يس عند الواو وكذلك نون والقلم وقرأ ابن عامر والكسائي
باخفاء النون فيهما وقرأ قالون عن نافع باظهار النون من نون واخفائها من يس
واما عاصم فانه يظهر النون منهما في رواية حفص وفي رواية البرجمي عن ابي بكر ومحمد
بن غالب عن الاعشى عن ابي بكر ويظهر النون من يس ويخفيها من نون وفي رواية العليمي
عن حماد واما يعقوب فانه يظهر النونين في رواية روح وزيد ويخفيها في رواية
رويس وقرأ اهل الحجاز والبصرة وابو بكر تنزيل بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ
قراءة الثقفي ياسين بفتح النون وقراءة ابي السمال ياسين بكسر النون وقراءة الكلبي ياسين
بالرفع وقراءة ابن عباس وعكرمة وابن يعمر والنخعي وعمر بن عبد العزيز فاعشيناهم بالعين

وقرأة ابن محيصن والزهرى انذرتهم بهمزة واحدة الحجة قال ابو على مما يحسن امالة الفتحة نحو
الكسرة انهم قالوا يا زيد فى النداء فاما لوا الفتحة نحو الكسرة والالف نحو الياء فى
قولهم يا حرفا على حرفين والحروف التى على حرفين لا يمال منها شىء نحو لا وما فاذا كانوا قد اما لوا
ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فان يميلوا الاسم الذى هو من ياسين احدر الا ترى
ان هذه الحروف مبنية على الوقف ومما يدل على ذلك استجازتهم فيها الجمع بين ساكنين
كما يجتمعان فى الكلم التى يوقف عليها ولولا ذلك لم يجز الجمع بينهما فاما من لم يبين فلانه
وان كان فى تقدير الوقف لم يقطع فيه همزة الوصل وذلك قوله الم الله الا ترى انه
حذف همزة الوصل ولم يثبت كما لم يثبت مع غيرها من الكلام الذى يوصل ومن رفع
تنزيل فعلى تقدير هو تنزيل العزيز وتنزيل العزيز الرحيم وهذا وان نصب على نزل تنزيل
العزيز واما من قال ياسين بالنصب والجر فكلاهما لالتقاء الساكنين ومن رفع
فعلى ما روى عن الكلبى انه قال هى بلغة طى يا انسان قال ابن جنى ويحتمل عندى ان يكون اكتفى
من جميع الاسم بالسين فيما فيه حرف النداء كقولك يا رجل ونظير حذف بعض الاسم قول
النبى صلى الله عليه وآله كفى بالسيف شا اى شاهدا فحذف العين واللام فكذلك حذف من
انسان الفاء والعين وجعل ما بقى منه اسما قائما برأسه وهو السين فقيل ياسين
وهو شبيه بقول الشاعر شعر قلنا لها قفى لنا قالت قاف اى وقفت ومن قرأ فاعشيناهم
بالعين فانه منقول من عشى يعشى اذا ضعف بصره واعشيته انا واما اغشيناهم بالغين
المعجمة فعلى حذف المضاف اى فاغشينا ابصارهم اى جعلنا عليها غشاوة والعشاوة
على العين كالعشى على القلب فليلتقى معنى القرائتين واما من قرأ انذرتهم بهمزة
واحدة فانه حذف الهمزة التى للاستفهام تخفيفا وهو يريدها كما قال الكميت شعر
طربت وما شوقا الى البيض اطرب ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب والمعنى او ذو الشيب
يلعب تأكيدا لذلك وكبيت الكتاب لعمرك ما ادرى وان كنت داريا شعيب بن سهم
او شعيب بن منقر اللغة المقمح الغاض بصره بعد رفع راسه وقيل هو المقنع وهو
الذى يجذب ذقنه حتى يصير فى صدره ثم يرفع وقيل للكانونين شهرا قماح لان الابل

اذا اوردت

٣٠٢

اذا اوردت الماء ترفع رؤسها لشدة برده ويقال قمح البعير اذا رفع راسه
ولم يشرب الماء وبعير قامح وابل قماح والمقمحها انا قال الشاعر شعر يصف سفينه
ركبها ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح الاعراب على فى قوله على صراط
مستقيم يتعلق بالمرسلين تقديره ارسلوا على صراط مستقيم ويجوز ان يكون
الجار والمجرور فى موضع خبر ان فيكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون فى موضع
نصب على الحال فكانه قال ارسلوا مستقيما طريقهم ما انذر اباؤهم والاجود ان يكون
ما نافية وتكون الجملة فى موضع نصب لانها صفة قوم ويجوز ان يكون ما حرفا موصولا
مصدريا على تقدير لتنذر قوما انذار ابائهم النزول قيل نزل قوله انا جعلنا فى
اعناقهم اغلالا فى ابى جهل كان حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلى
ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه اثبتت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه
واخبرهم بما رأى سقط الحجر من يده فقال رجل من بنى مخزوم انا اقتله بهذا الحجر
فاتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر فاغشى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه
فلم يرهم حتى نادوه ما صنعت فقال ما رايته ولكن سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة
الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلنى وروى ابو حمزة الثمالى عن عمار بن عاصم عن
شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود ان قريشا اجتمعوا بباب النبى صلى الله عليه وآله
فخرج اليهم فطرح التراب على رؤسهم وهم لا يبصرونه قال عبد الله هم الذين سحبوا
فى القليب قليب بدر وروى ابو حمزة عن مجاهد عن ابن عباس ان قريشا اجتمعت
فقالت لئن دخل محمد لنقومن اليه قيام رجل واحد فدخل النبى صلى الله عليه وآله فجعل الله
من بين ايديهم سدا فلم يبصروه فصلى النبى صلى الله عليه وآله ثم اتاهم فجعل
ينثر على رؤسهم التراب وهم لا يرونه فلما خلى عنهم رأوا التراب قالوا هذا ما سحركم
ابن ابى كبشه المعنى قد مضى الكلام فى الحروف المعجمة عند مفتتح السور فى اول البقرة
واختلاف الاقوال فيها وقيل ايضا يس معناه يا انسان عن ابن عباس واكثر المفسرين
وقيل معناه يا رجل عن الحسن وابى العالية وقيل معناه يا محمد عن سعيد بن جبير ومحمد بن

الحنفية وقيل معناه يا سيد الاولين والاخرين وقيل هو اسم النبي صلى الله عليه وآله
عن علي بن ابي طالب وابي جعفر الباقر عليهما السلام وقد ذكرنا الرواية فيه فيما قبل والقران الحكيم
اقسم الله سبحانه بالقران المحكم من الباطل وقيل سماه حكيما لما فيه من الحكمة
فكانه المظهر للحكمة الناطق بها انك لمن المرسلين اي ممن ارسله الله تعالى
بالنبوة والرسالة على صراط مستقيم يؤدي بسالكه الى الحق والى الجنة وقيل معناه
على شريعة واضحة وحجة لائحة تنزيل العزيز اي هذا القران تنزيل العزيز
في ملكه الرحيم بخلقه ولذلك ارسله ثم بين سبحانه الغرض في بعثته فقال
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اي لتخوف به من معاصي الله قوما لم ينذر اباؤهم
قبلهم لانهم كانوا في زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام عن قتادة وقيل لم
يأتهم نذير من انفسهم وقومهم وان جاءهم من غيرهم عن الحسن وقيل معناه لم يأتهم
من انذرهم بالكتاب حسب ما اتيت وهذا على قول من قال كان في العرب قبل نبينا من هو
نبي كخالد بن سنان وقس بن ساعدة وغيرهما وقيل معناه لتنذر قوما كما انذر
اباؤهم عن عكرمة فهم غافلون عما تضمنه القران وعما انذرهم الله به من نزول العذاب
والغفلة مثل السهو وهو ذهاب المعنى عن النفس ثم اقسم سبحانه مرة اخرى فقال لقد
حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون اي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم فهم لا يؤمنون
ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله وقيل تقديره لقد سبق القول على اكثرهم
انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون وذلك انه سبحانه اخبر ملائكته انهم لا يؤمنون نحو قوله
عليهم انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان يعني ايديهم كنى عنها وان لم يذكرها لان
الاغلال والاعناق تدل عليها وذلك ان الغل انما يجمع اليد الى الذقن والعنق ولا يجمع
الغل الى الذقن وروي عن ابن عباس وابن مسعود انهما قرءا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
وقرأ بعضهم في ايديهم والمعنى في الجميع واحد لان الغل لا يكون في العنق دون اليد
ولا في اليد دون العنق ومثل هذا قول الشاعر شعر وما ادري اذا يممت ارضا اريد الخير
ايهما يليني الخير الذي انا ابتغيه ام الشر الذي لا يأتليني ذكر الخير وحده ثم قال

يأتليني لانه قد علم ان الخير والشر يعرضان للانسان فلم يدر ايلقاه هذا ام ذلك
ومثله في التنزيل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ولم يقل والبرد لان ما يقي من الحر يقي
من البرد واختلف في معنى الاية على وجوه احدها انه سبحانه انما ذكر ضربا للمثل
وتقديره مثل هؤلاء المشركين في اعراضهم عما تدعوهم اليه كمثل رجل غلت يداه
الى عنقه لا يمكنه ان يبسطهما الى الخير ورجل طامح برأسه لا يبصر موطئ قدميه عن الحسن
والجبائي قال ونظيره قول الافوه الاودي شعر كيف الرشاد وقد صرنا الى امم لهم عن الرشد
اغلال واقياد ونحوه كثير في كلام العرب وثانيها ان المعنى كان هذا القران اغلال
في اعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبره لثقله عليهم وذلك انهم لما استكبروا
عنه وانفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعا رأسه لاويا عنقه شامخا بانفه
لا ينظر الى الارض صاروا كانما غلت اعناقهم الى ايديهم وانما اضاف ذلك الى نفسه
لان عند تلاوته القران عليهم ودعوته اياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله
حتى انسوكم ذكري عن ابي مسلم وثالثها ان المعنى بذلك ناس من قريش هموا بقتل النبي
صلى الله عليه وآله فجعلت ايديهم الى اعناقهم فلم يستطيعوا ان يبسطوا اليه يدا عن
ابن عباس والسدي ورابعها ان المراد به وصف حالهم يوم القيمة فهو مثل قوله
اذ الاغلال في اعناقهم وانما ذكره بلفظ الماضي للتحقيق وقوله فهم مقمحون اراد
ان ايديهم لما غلت الى اعناقهم ودفعت الاغلال اذقانهم ورؤسهم صعدا فهم
مرفوعوا الرأس برفع الاغلال اياها عن الازهري ويدل على هذا المعنى قول
قتادة مقمحون مغلولون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون هذا على احد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه حاله
في اعراضهم عن الايمان وقبول الحق وذلك عبارة عن خذلان الله اياهم لما كفروا
وكانه قال تركناهم مخذولين فصار ذلك من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا واذا قلنا
انه وصف حالهم في الاخرة فالكلام على حقيقته ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار
بحيث لا يجدون متقدما ولا متأخرا اذ سد عليهم جوانبهم واذا حملناه على صفة القوم

الذين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله فالمراد جعلنا بين ايدى اولئك الكفار منعا ومن خلفهم
منعا حتى لم يبصروا النبي عليه السلام وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون اى اغشينا ابصارهم
فهم لا يبصرون النبي عليه السلام فقد روي ان ابا جهل هم بقتله ع فكان اذا خرج بالليل لا يراه
ويحول الله بينه وبينه وقيل فاغشيناهم اى فاعميناهم فهم لا يبصرون الهدى وقيل فاغشيناهم
بالعذاب فهم لا يبصرون في النار وقيل معناه انهم لما انصرفوا عن الايمان والقرآن
لزمهم ذلك حتى لم يكادوا يتخلصون منه بوجه كالمغلول المسدود عليه طرقه وسواء
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هذا مفسر في سورة البقرة قوله عز وجل إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ
وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ وَاضْرِبْ لَهُمْ
مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا
بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ
قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ
رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ عشر آيات القراءة قرأ ابو بكر فعززنا
بالتخفيف والباقون بتشديد الزاء وقرأ ابو عمرو وقالون عن نافع وزيد
عن يعقوب اين ذكرتم بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابن كثير ويعقوب
ونافع اين ذكرتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابو جعفر بهمزة واحدة مطولة
والثانية ملينة مفتوحة ذكرتم مخففة والباقون ءان ذكرتم بهمزتين الحجة
قال ابو علي قال بعضهم عززنا قوينا وكثرنا واما عززنا فغلبنا من قوله تعالى
وعزني في الخطاب وقوله ءان ذكرتم فانما هي ان الجزاء دخلت عليها الف الاستفهام
والمعنى ان ذكرتم تشاءمتم فحذف الجواب لان تطيرنا بكم تشاءمنا بكم واصل تطيرنا
تفعلنا من الطائر عند العرب الذي يتشاءمون ويتيمنون ومن قرأ ءان ذكرتم

بفتح ان فالمعنى الآن ذكرتم تشاءمتم واما تخفيف الهمزة وتحقيقها قد تقدم
ذكرها في مواضع الاعراب كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر الذي هو
احصيناه والتقدير احصينا كل شيء احصيناه اصحاب القرية بدلا من مثلا
اذ جاءها المرسلون العامل في اذ محذوف تقديره قصة اصحاب القرية
واذ ارسلنا بدل من الاول المعنى لما اخبر سبحانه عن اولئك الكفار انهم
لا يؤمنون وانهم سواء عليهم الانذار وترك الانذار عقبه بذكر من ينتفع
بالانذار فقال انما تنذر من اتبع الذكر والمعنى انما ينتفع بانذارك وتخويفك
من اتبع القرآن لان نفس الانذار قد حصل للجميع وخشي الرحمن بالغيب اى في حال
غيبته عن الناس بخلاف المنافق وقيل معناه وخشي الرحمن فيما غاب عنه من امر الآخرة
فبشره اى فبشر يا محمد من هذه صفته بمغفرة من الله لذنوبه واجر كريم اى ثواب
خالص من الشوائب ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال انا نحن نحيي الموتى في القيمة
للجزاء ونكتب ما قدموا من طاعتهم ومعاصيهم في دار الدنيا عن مجاهد
وقتادة وقيل نكتب ما قدموه من عمل ليس له اثر وآثارهم اى ما يكون له
اثر عن الجبائي وقيل يعني بآثارهم اعمالهم التي صارت سنة بعدهم يقتدى
فيها بهم حسنة كانت ام قبيحة وقيل معناه ونكتب خطاياهم الى المساجد
وسبب ذلك ما رواه ابو سعيد الخدري ان بني سلمة كانوا في ناحية من المدينة
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله ان اعظم الناس اجرا في الصلوة ابعدهم
اليها ممشى فابعدهم رواه البخاري ومسلم في الصحيح وكل شيء احصيناه في امام
مبين اى واحصينا وعددنا كل شيء من الحوادث في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ
والوجه في احصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به اذا قابلوا به ما يحدث من
الامور ويكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على التفصيل وقيل اراد به
صحايف الاعمال وسمى ذلك مبينا لانه لا يدرس اثره عن الحسن ثم قال سبحانه لنبيه
صلى الله عليه وآله واضرب لهم يا محمد مثلا اى مثل لهم مثلا وهو من قولهم هو لا

اضراب اى امثال وقيل معناه واذكر لهم اصحاب القرية وهذه القرية انطاكية
فى قول المفسرين اذ جاءها المرسلون اى حين بعث الله اليهم المرسلين اذ ارسلنا
اليهم اثنين اى رسولين من رسلنا فكذبوهما اى فكذبوا الرسولين قال
ابن عباس ضربوهما وسجنوهما فعززنا بثالث اى فقوينا وشددنا ظهورهما
برسول ثالث ماخوذ من العزة وهى القوة والمنعه ومنه قولهم من عز بز اى من
غلب سلب قال شعبه كان اسم الرسولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس
وقال ابن عباس وكعب صادق وصدوق والثالث سلوم وقيل انهم رسل عيسى
وهم الحواريون عن وهب وكعب قالا وانما اضافهم الى نفسه لان عيسى ع ارسلهم بامره
فقالوا انا اليكم مرسلون اى قالوا يا اهل القرية ان الله ارسلنا اليكم قالوا
يعنى اهل القرية ما انتم الا بشر مثلنا فلا تصلحون للرسالة كما لا نصلح نحن لها
وما انزل الرحمن من شىء تدعوننا اليه ان انتم الا تكذبون اى ما انتم الا كاذبون
فيما تزعمون اعتقدوا ان من كان مثلهم فى البشرية لا يصلح ان يكون رسولا
وذهبا عليهم ان الله عز اسمه يختار من يشاء لرسالته وانه علم من حال هولاء
صلاحهم للرسالة ومحل اعيانهم قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون انما قالوا ذلك
بعد ما قامت الحجة بظهور المعجزة فلم يقبلوها ووجه الاحتجاج بهذا القول انهم
الزموهم بذلك النظر فى معجزاتهم ليعلموا انهم صادقون على الله ففى ذلك تحذير
شديد وما علينا الا البلاغ المبين اى وليس يلزمنا الا اداء الرسالة والتبليغ
الظاهر وقيل معناه وليس علينا ان نحملكم على الايمان فانا لا نقدر عليه قالوا اى قال
هولاء الكفار فى جواب الرسل حين عجزوا عن ايراد شبهة وعدلوا عن النظر فى المعجزة
انا تطيرنا بكم اى تشاءمنا بكم لئن لم تنتهوا عما تدعونه من الرسالة لنرجمنكم
بالحجارة عن قتاده وقيل معناه ليشتمنكم عن مجاهد وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا
يعنى الرسل طايركم معكم اى الشوم كله معكم باقامتكم على الكفر بالله تعا فاما الدعاء
الى التوحيد وعباده الله تعا ففيه غاية البركة والخير واليمن ولا شوم فيه وقيل معنى

طايركم

طايركم حظكم ونصيبكم من الشر والخير عن ابى عبيده والمبرد اين ذكرتم اى ان ذكرتم قلتم
هذا القول وقيل معناه لين ذكرناكم هددتمونا وهو مثل الاول وقيل معناه ان تدبرتم
عرفتم صحة ما قلناه لكم بل انتم قوم مسرفون معناه ليس فينا ما يوجب التشام بنا ولكن
انتم متجاوزون عن الحد فى التكذيب للرسل والمعصية والاسراف والافساد ومجاوزة
الحد والسرف الفساد قاله طرفة شعر ان امرأ سرف الفواد يرى عسلا بماء سحابة شتمى
اى فاسد القلب وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وكان اسمه حبيب النجار عن ابن عباس
وجماعة من المفسرين وكان قد امن بالرسل عند ورودهم القرية وكان منزله
عند اقصى باب من ابواب المدينة فلما بلغه ان قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم
جاء يعدو ويشتد وقال يا قوم اتبعوا المرسلين الذين ارسلهم الله اليكم واقروا
برسالتهم قالوا وانما علم هو نبوتهم لانهم لما دعوه قال اتاخذون على ذلك اجرا
قالوا لا وقيل انه كان به زمانه او جذام فابراوه فامن بهم عن ابن عباس القصه
قالوا بعث عيسى عليه السلم رسولين من الحواريين الى مدينه انطاكيه فلما قربا من المدينه
رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا
رسولا عيسى يدعوكم منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك نطلع حاله فذهب بهما
فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر فى المدينه وشفى الله على
ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام فانهى الخبر اليه فدعاهما
من انتما قالا رسولا عيسى جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة
من يسمع ويبصر فقال الملك ولنا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك
قال قوما حتى انظر فى امركما فاخذهما الناس فى السوق وضربوهما قال وهب بن منبه بعث
عيسى هذين الرسولين الى انطاكيه فاتياها ولم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما
فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله فغضب وامر بحبسهما وجلد كل واحد منهما
مائة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى عليه السلم شمعون الصفا راس
الحواريين على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك

حتى اتوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال
له ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك
الى غير دينك فهل سمعت قولهما قال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى
الملك دعاهما حتى تطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما
الى هنا قالا الله الذي خلق كل شيء لا شريك له قال وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك
حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى
انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين
يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع صنعاً
مثل هذا فيكون لك ولالهك شرفا فقال الملك ليس لي عنك سر ان الهنا الذي نعبده
لا يضر ولا ينفع ثم قال الملك للرسولين ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به وبكما
قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا مات منذ سبعة ايام لم ندفنه
حتى يرجع ابوه وكان غائباً فجاؤا بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان ربهما
علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم اني قد مت منذ سبعة
ايام وادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا بالله
فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قوله اثر في الملك دعاه الى الله فآمن وآمن من اهل
مملكته قوم وكفر آخرون وروى مثل ذلك العياشي باسناده عن الثمالي وغيره
عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام الا ان في بعض الروايات بعث الله الرسولين الى انطاكية
ثم بعث الثالث وفي بعضها ان عيسى اوحى الله اليه ان يبعثهما ثم بعث وصيه
شمعون ليخلصهما وان الميت الذي احياه الله بدعائه كان ابن الملك وانه قد خرج
من قبره ينفض التراب عن راسه فقال يا بني ما حالك قال كنت ميتا فرأيت رجلين
ساجدين يسألان الله ان يحييني قال يا بني فتعرفهما اذا رأيتهما قال نعم فاخرج الناس
الى الصحراء فكان يمر عليه رجل بعد رجل فمر احدهما بعد جمع كثير فقال هذا احدهما ثم مر
الآخر فعرفهما واشار بيده اليهما فآمن الملك واهل مملكته وقال ابن اسحق بل كفر الملك واجمع هو

وقومه

وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم
الى طاعة الرسل قوله تعالى ذكره اتبعوا من لا يسألكم اجراً وهم مهتدون وما لي لا
اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون اني اذاً لفي ضلال مبين اني آمنت
بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول (من تسولهم)
الا كانوا به يستهزءون عشر آيات القراءة قرأ ابو جعفر الا صيحة واحدة بالرفع والباقون
بالنصب وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وعبد الرحمن بن الاسود الا زقية وقراءة الاعرج
ومسلم بن جندب يا حسره على العباد ساكنة الهاء وقراءة علي بن الحسين وابي بن كعب وابن
عباس والضحاك ومجاهد يا حسرة العباد مضافا الحجة قال ابن جني الرفع ضعيف لتأنيث
الفعل فلذلك لا يقوى ان يقال ما قامت الا هند والمختار ما قام الا هند وذلك ان الكلام
محمول على معناه اي ما قام احد الا هند ثم انه لما كان محصول الكلام قد كانت هناك
صيحة واحدة جيء بالتأنيث حملا عليه ومثله قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم بالتاء
في ترى وعليه قول ذي الرمة شعر ترى النحز والاجراز ما في غروضها فما بقيت الا الصدور
الجراشع وأما زقية فمن زقا الطائر يزقو ويزقي زقاء وزقوا اذا صاح وهي الزقوة
والزقية وكأنه انما استعمل هنا صياح الديك ونحوه تنبيها على ان البعث بما فيه من عظيم
القدرة في استثارة الموتى من القبور سهل على الله تعالى كزقية زقاها طاير فهذا كقوله
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وأما من قرأ يا حسره على العباد بسكون الهاء فيمكن
ان يكون حسرة غير معلقة بعلى فيحسن الوقف عليها ثم يعلق على بمضمر يدل عليه قوله
حسرة فكأنه قال اتحسر على العباد ومثل ذا كثير في التنزيل واذا كان حسرة معلقة
بعلى وموصوفة فلا يحسن الوقف عليها دونه وعلى هذا فيمكن ان يكون ذلك
التقوية المعنى في النفس وذلك انه موضع تنبيه وتذكير فطال الوقف على الهاء كما يفعله

المستعظم للامر المتعجب منه الدال على انه قد يهوه وملك عليه لفظه وخاطره ثم قال بعد
على العباد واما من قرا يا حسرة العباد مضافا فان فيه وجهين احدهما ان يكون
العباد فاعلين في المعنى كقوله يا قيام زيد والمعنى كان العباد لما شاهدوا العذاب
تحسروا والاخر ان العباد مفعولون في المعنى يدل عليه القراة الظاهرة يا حسرة على العباد
اى يتحسر عليهم من نعينه امرهم وهذا واضح وفتح ابو عمرو الياء من قوله وما لي لا اعبد
لئلا يكون الابتداء بلا اعبد وقرى في النمل ما لي لا ارى الهدهد بسكون الياء المعنى
ثم ذكر سبحانه تمام الحكاية عن الرجل الذي جاءهم من اقصى المدينة فقال اتبعوا من لا
يسالكم اجرا اى وقال لهم اتبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الاجر ولا يسالونكم
اموالكم على ما جاءكم به من الهدى وهم مع ذلك مهتدون الى طريق الحق سالكون
سبيله ق ل فلما قال هذا اخذوه فرفعوه الى الملك فقال له الملك فانت تتبعهم
فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني اى واى شيء لي اذا لم اعبد خالقي الذي انشاني
وانعم علي وهداني واليه ترجعون اى تردون عند البعث فيجزيكم بكفركم ثم انكر اتخاذ
الاصنام وعبادتها فقال اتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر
اى ان اراد الله اهلاكي والاضرار بي لا تغن عني شفاعتهم شيئا اى لا يدفع ولا يمنع شفاعتهم
عني شيئا والمعنى لا شفاعة لهم فتغني ولا ينقذون اى ولا يخلصوني من ذلك الهلاك
والضرر المكروه اني اذا لفي ضلال مبين اى اني ان فعلت ذلك في عدول عن الحق واضح
والوجه في هذا الاحتجاج ان العبادة لا يستحقها الا الله سبحانه المنعم باصول النعم
وبما لا يوازيه نعمة منعم اني امنت بربكم الذي خلقكم واخرجكم من العدم الى الوجود فاسمعوا
قولي ثم قتلوه عن وهب وقيل انه خاطب بذلك الرسل اى فاسمعوا ذلك مني حتى تشهدوا لي
به عند الله عن ابن مسعود قال ثم ان قومه لما سمعوا ذلك القول منه وطئوه بارجلهم
حتى مات فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق وهو قوله قيل ادخل الجنة وقيل رجموه
حتى قتلوه عن قتاده وقيل ان القوم لما ارادوا ان يقتلوه رفعه الله اليه فهو في الجنة
ولا يموت الا بفناء الدنيا وهلاك الجنة عن الحسن ومجاهد قالا ان الجنة التي دخلها يجوز هلاكها

وقيل انهم

وقيل انهم قتلوه الا ان الله سبحانه احياه وادخله الجنة فلما دخلها قال يا ليت قومي يعلمون بما
غفر لي ربي تمنى ان يعلم قومه ما اعطاه الله تعالى من المغفرة وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله و
ليؤمنوا لينالوا ذلك وفي تفسير الثعلبي بالاسناد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وآله قال سباق الامم ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب
يس ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون وعلي افضلهم وجعلني من المكرمين اى من اهل
الجنة والاكرام هو اعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التبجيل والاعظام وفي هذا دلالة
على نعيم القبر لانه انما قال ذلك وقومه احياء واذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر
فان الخلاف فيهما واحد وما في قوله بما غفر لي مصدرية والمعنى بغفران الله لي
ويجوز ان يكون معناه بالذي غفر لي به ربي فيكون اسما موصولا ويجوز ان يكون
المعنى باي شيء غفر لي ربي فيكون استفهاما يقال علمت بما صنعت هذا باثبات الالف
وبم صنعت هذا بحذفها الا ان الحذف اجود في هذا المعنى ثم حكى سبحانه ما انزله
بقومه من العذاب والاستيصال فقال وما انزلنا على قومه من بعده اى من بعد
قتله او من بعد رفعه من جند من السماء يعني الملائكة اى لم ينتصر منهم بجند
من السماء ولم ينزل لاهلاكهم بعد قتلهم الرسل جندا من السماء يقاتلونهم وما كنا
منزلين اى وما كنا ننزلهم على الامم اذا اهلكناهم وقيل معناه وما انزلنا على قومه
بعده رسالة من السماء قطع الله عليهم الرسالة حين قتلوا رسله عن مجاهد
والحسن والمراد ان الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الانبياء عليهم السلام
ثم بين سبحانه باي شيء كان هلاكهم فقال ان كانت الا صيحة واحدة اى كان اهلاكهم
عن آخرهم بايسر امر صيحة واحدة حتى هلكوا باجمعهم فاذا هم خامدون اى ساكتون
قد ماتوا قيل انهم لما قتلوا حبيب بن مرى النجار غضب الله عليهم فبعث جبرئيل
حتى اخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم
حس كالنار اذا طفيت يا حسرة على العباد معناه يا ندامة على العباد في الاخرة باستهزائهم
بالرسل في الدنيا ثم بين سبب الحسرة فقال ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون

عن مجاهد وهذا من قول الله سبحانه والمعنى انهم حلوا محل من يتحسر عليه وقيل انه المعنى
تاويله على العباد عن ابن عباس ويحتمل ان يكون ذلك من كلام الرجل المذكور وقال
ابو العالية انهم لما عاينوا العذاب قالوا يا حسرة على العباد يعني الرسل حيث لن يؤمنوا
بهم فتمنوا الايمان وندموا حين لم تنفعهم الندامة قال الزجاج اذا قال قائل ما الفائدة
في مناداة الحسرة والحسرة مما لا يجيب فالفائدة في ذلك ان النداء باب تنبيه فاذا قلت للمخاطب
انا اعجب مما فعلت فقد افدته انك متعجب واذا قلت واعجباه مما فعلت ويا عجباه تفعل كذا
كان دعاؤك العجب ابلغ في الفائدة والمعنى يا عجب اقبل فانه من اوقاتك وكذلك
يا ويلتا ويا حسرتا ويا حسرة على العباد والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم
ما لا نهاية بعده حتى يبقى قاصرا قوله عز وجل أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ
الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ
مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ
أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ خمس آيات القراءة قرا عاصم وحمزة وابن عامر لما جميع
بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وقرا اهل الكوفة غير حفص وما عملت بغير ها
والباقون وما عملته الحجة من خفف الميم من لما فان من قوله وان كل مخففة من
الثقيلة وما من لما زيدة والتقدير وانه كل جميع لدينا محضرون ومن شدد الميم
من لما فان لما ههنا بمعنى الا يقال سالتك لما فعلت كذا والا فعلت كذا وان نافيه
فيكون التقدير ما كل الا محضرون وقوله وما عملت ايديهم فان الحذف في التنزيل
من هذا كثير نحو قوله وسلام على عباده الذين اصطفى واهذا الذي بعث الله
رسولا وموضع ما جر والتقدير لياكلوا ما عملته ايديهم ويجوز ان يكون ما نافيه
اي ولم تعمله ايديهم ويقوي ذلك قوله انتم تزرعونه ام نحن الزارعون الاعراب
انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا والتقدير الم يروا انهم اليهم لا يرجعون
وكم في موضع نصب باهلكنا المعنى ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال الم يروا اي الم يعلم

هولاء

هولاء الكفار كم اهلكنا قبلهم من القرون اي كم قرنا اهلكناهم مثل عاد وثمود وقوم
لوط وغيرهم انهم اليهم لا يرجعون والمعنى الم يروا ان القرون التي اهلكناهم اي لا يرجعون
اليهم اي لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون بهم ووجه التذكير بكثرة المهلكين
اي انكم ستصيرون الى مثل حالهم فانظروا لانفسكم واحذروا ان ياتيكم الهلاك وانتم
في غفلة وغرة كما اتاهم ويسمى كل اهل عصر قرنا لاقترانهم في الوجود وان كل لما جميع لدينا
محضرون معناه ان الامم يوم القيمة يحضرون فيقفون على ما عملوه في الدنيا
اي وكل الماضين والباقين مبعوثون للحساب والجزاء ثم قال سبحانه واية لهم اي دلالة
وحجة قاطعة على قدرتنا على البعث الارض الميتة احييناها اي الارض المجدبة المحلة
التي لا تنبت احييناها بالنبات واخرجنا منها حبا اي كل حب يتقوتونه مثل الحنطة
والشعير والارز وغيرها من الحبوب فمنه ياكلون اي فمن الحب ياكلون وجعلنا فيها جنات
اي بساتين من نخيل واعناب وانما خص النوعين لكثرة انواعهما ومنافعهما وفجرنا فيها
من العيون اي وفجرنا في تلك الارض الميتة وفي تلك الجنات عيونا من الماء ليسقونها
الكرم والنخيل ثم بين سبحانه انه انما فعل ذلك لياكلوا من ثمره اي من ثمر النخيل رد الضمير
الى احد المذكورين كما قال ولا ينفقونها في سبيل الله والمعنى غرضنا نفعهم بذلك
وانتفاعهم باكل ثمار الجنات وما عملته ايديهم اي ولم تعمل تلك الثمار ايديهم هذا
اذا كان ما بمعنى النفي وان الثمار اي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها اراد انه
من صنع الخالق ولم يدخل في مقدورات الخلايق واذا كان بمعنى الذي فالتقدير
والذي عملته ايديهم من انواع الاشياء المتخذة من النخل والعنب الكثيرة منافعها
وقيل تقديره من ثمره ما عملته ايديهم يعني الغروس والزروع التي في ساحاتها
افلا يشكرون اي الا تشكرون الله تعالى على مثل هذه النعم وهذا تنبيه منه سبحانه لخلقه
على شكر نعمايه وذكر جميل بلاييه قوله عز وجل سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ
مُظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ

حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
وكل في فلك يسبحون خمس آيات القراءة قرأ زيد عن يعقوب لمستقرلها بكسر القاف
والباقون بفتحها وقرأ اهل الحجاز والبصرة غير ابي جعفر وروح والقمر بالرفع
والباقون بالنصب وروي عن علي بن الحسين زين العابدين وابي جعفر الباقر وجعفر الصادق
عليهم السلام وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن ابي رباح لا مستقر لها
بنصب الراء الحجة قال ابو علي الرفع على تقدير وآية لهم القمر قدرناه منازل مثل
قوله وآية لهم الليل فهو على هذا اشبه بالجمل التي قبلها والقول في آية انه يرتفع
بالابتداء ولهم صفة للنكرة والخبر مضمر وآية لهم في المشاهدة والوجود وقوله
الليل نسلخ منه النهار والقمر قدرناه منازل تفسير الآية كما ان قوله تعالى لهم مغفرة
تفسير للوعد وللذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية ومن نصب فقد حمله على زيد
ضربته واما قوله لا مستقر لها فظاهره العموم والمعنى الخصوص فهو بمنزلة قوله
شعر ابكي لفقدك ما ناحت مطوقة * وما سما فنن يوما على ساق * والمعنى لو عشت
ابدا لبكيتك وكذلك لا مستقر لها اي ما دامت السموات على ما هي عليه فاذا زالت
السموات استقرت الشمس وبطل سيرها اللغة السلخ اخراج الشيء من لباسه
ومنه اخراج الحيوان من جلده ومنه قوله فانسلخ منها اي فاخرج منها خروج
الشيء مما لابسه والعرجون العذق الذي فيه الشماريخ وهو العثكول والعثكال
والكباسة والقنو وهو فعلول قال رؤبة * في خدر مياس الدمى معرجن
الاعراب والقمر قدرناه منازل تقديره ذا منازل ثم حذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه ولا يجوز ان يكون بلا حذف لان القمر غير المنازل وانما
يجري فيها ولا يجوز ان ينصب منازل على الظرف لانه محدود والفعل لا يصل الى المحدود
الا بحرف جر نحو جلست في المسجد ولا يجوز جلست المسجد المعنى ثم نزه سبحانه نفسه
وعظمها دالا بذلك على انه هو الذي يستحق منتهى الحمد وغاية الشكر فقال
سبحان الذي خلق الازواج كلها اي تنزيها وتعظيما وبراءة عن السوء للذي

خلق الاصناف والاشكال من الاشياء فالحيوان على مشاكلة الذكر للانثى
وكذلك النخل والحبوب اشكال والتين والكرم ونحوها اشكال فلذلك قال مما
تنبت الارض اي من سائر النبات ومن انفسهم اي وخلق منهم اولادا ازواجا
ذكورا واناثا ومما لا يعلمون في بطون الارض وقعر البحار فلم يشاهدوه ولم يتصل
خبره بهم وآية لهم اي ودلالة لهم اخرى الليل نسلخ منه النهار اي ننزع منه ونخرج
ضوء الشمس فيبقى الهواء مظلما كما كان لان الله سبحانه يضيء الهواء بضياء الشمس
فاذا سلخ منه الضياء اي كشط وازيل بقي مظلما وقيل انما قال سبحانه نسلخ منه النهار
لانه جعل الليل كالجسم وقوله فاذا هم مظلمون اي داخلون في ظلام الليل لا ضياء
لهم فيه والشمس تجري لمستقر لها معناه ودلالة اخرى لهم الشمس وفي قوله لمستقر لها
اقوال احدها انها تجري لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجري
حتى تنقضي الدنيا عن جماعة المفسرين وقال ابو مسلم ومعنى هذا ولا مستقر لها
واحد اي ولا قرار لها الى انقضاء الدنيا وثانيها انها تجري لوقت واحد لا تعدوه
ولا يختلف عن قتادة وثالثها انها تجري الى اقصى منازلها في الشتاء والصيف
لا تجاوزها ولا تقصر عنها فهو مستقرها ذلك تقدير العزيز القادر الذي
لا يعجزه شيء العليم الذي لا يخفى عليه شيء والقمر قدرناه منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا
ينزل كل يوم وليلة منزلا منها لا يختلف حاله في ذلك الى ان يقطع الفلك حتى عاد كالعرجون
القديم اي عاد في آخر الشهر دقيقا كالعذق اليابس العتيق ثم يخفى يومين آخر الشهر
وانما شبهه سبحانه بالعذق لانه اذا مضت عليه الايام جف وتقوس فيكون اشبه
الاشياء بالهلال وقيل ان العذق يصير كذلك في كل ستة اشهر وروى علي بن ابراهيم
باسناده قال دخل ابو سعيد المكاري وكان واقفيا على ابي الحسن الرضا عليه السلام فقال له
ابلغ من قدرك انك تدعي ما ادعاه ابوك فقال له ابو الحسن عليه السلام ما لك اطفأ الله
نورك وادخل الفقر بيتك اما علمت ان الله عز وجل اوحى الى عمران اني واهب لك ذكرا
يبرئ الاكمه والابرص فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ومريم من عيسى ومريم

وعيسى شيء واحد وانا من ابي وابي مني وانا وابي شيء واحد قال له ابو سعيد فاسألك
عن مسئلة قال سل ولا اخالك تقبل مني ولست من غنمي ولكن هلمها قال ما تقول في رجل
قال عند موته كل مملوك لي قديم فهو حر لوجه الله فقال ابو الحسن ما ملكه لستة اشهر فهو
قديم وهو حر قال وكيف صار كذلك قال لان الله تعالى يقول والقمر قدرناه منازل حتى
عاد كالعرجون القديم سماه الله قديما ويعود كذلك لستة اشهر قال فخرج ابو سعيد
من عنده وذهب بصره وكان يسأل على الابواب حتى مات لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر في سرعة سيره لان الشمس ابطأ سيرا من القمر فانها تقطع منازلها في سنة والقمر يقطعها
في شهر والله سبحانه يجريهما اجراء التدوير بين فلكيهما فلا يمكن ان يدرك احدهما
الآخر ما داما على هذه ولا الليل سابق النهار وقيل معناه ولا يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم
بل يتعاقبان كما قدره الله تعالى عن عكرمة وروى العياشي في تفسيره بالاسناد عن الاشعث
بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا والفضل بن سهل والمأمون في الايوان بمرو فوضعت
المائدة فقال الرضا ان رجلا من بني اسرائيل سألني بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل
فما عندكم قال واداروا الكلام فلم يكن عندهم في ذلك شيء فقال الفضل للرضا اخبرنا
بها اصلحك الله قال نعم من القرآن ام من الحساب قال له الفضل من جهة الحساب فقال
قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها فزحل
في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل
على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط الدنيا فالنهار خلق
قبل الليل وفي قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق
النهار اي قد سبقه النهار ثم قال وكل من الشمس والقمر والنجوم في فلك
يسبحون يسيرون فيه بانبساط وكل ما انبسط في شيء فقد سبح فيه ومنه
السباحة في الماء وانما قال يسبحون بالواو والنون لما اضاف اليها ما هو
فعل الآدميين كما قال ما لكم لا تنطقون لما وصفها بصفة من يعقل وقال ابن عباس
يسبحون اي يجري كل واحد منها في فلكه كما يدور المغزل في فلكة قوله عز وجل

وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا
الى حين واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله
اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون عشر آيات القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب
وسهل ذرياتهم بالجمع والباقون ذريتهم على التوحيد وقرأ ابن كثير وورش
ومحمد بن حبيب عن الاعشى وروح وزيد عن يعقوب يخَصّمون بفتح الياء والخاء
وتشديد الصاد وقرأ ابو عمرو بفتح الخاء ايضا الا انه يشم الفتح ولا يشبعه
وقرأ اهل المدينة غير ورش يخصّمون ساكنة الخاء مشددة الصاد وقرأ حمزة
يخصمون ساكنة الخاء خفيفة الصاد والباقون يخصمون بفتح الياء وكسر الخاء
وتشديد الصاد الحجة من قرأ يخصّمون حذف الحركة من التاء المدغم في يختصمون
والقاها على الساكن الذي قبلها وهو الخاء وهذا احسن الوجوه بدلالة
قولهم رد وفر وعض القوا حركة العين على الساكن الذي قبلها ومن قرأ
يخصمون حذف الحركة من الحرف المدغم الا انه لم يلقها على الساكن قبلها
كما القاها في الاول فالتقى الساكنان فحركه الحرف الذي قبل المدغم ومن قرأ
يخصمون جمع بين الساكنين الخاء والحرف المدغم قال ابو علي ومن زعم ان ذلك
ليس في طاقة اللسان فقد ادعى ما يعلم فساده بغير استدلال واما من قرأ يخصمون
فتقديره يخصم بعضهم بعضا فحذف المضاف وحذف المفعول به ويجوز ان
يكون المعنى يخصمون مجادلهم عند انفسهم فحذف المفعول به ومعنى يخصمون
يغلبون في الخصام خصومهم اللغة الحمل منع الشيء ان يذهب الى جهة السفل والفلك

السفن لانها تدور في الماء ومنه الفلكة لانها تدور في المغزل والفلك لانها تدور
بالبحور وفلك ثدي المرأة اذا استدار والمشحون المملو شحنت الثغر بالرجال اشحنه
شحنا اذا ملأته ومنه الشحنة لانه يملأ به البلد الاعراب رحمة منا نصب على انه مفعول
له ومتاعا عطف عليه ويمكن ان يكون على معنى الا ان يرحمهم رحمة ويمتعهم متاعا
المعنى ثم امتن سبحانه على خلقه بذكر فنون نعمه الدالة على وحدانيته
فقال وآية لهم اي وحجة وعلامة لهم على اقتدارنا انا حملنا ذريتهم يعني اباءهم
واجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم في الفلك المشحون يعني سفينة نوح المملو
من الناس وما يحتاج اليه من فيه فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير ويسمى
الاباء ذرية من ذرأ الله الخلق لان الاولاد خلقوا منهم ويسمى الاولاد ذرية لانهم
خلقوا من الاباء عن الضحاك وقتاده وجماعة من المفسرين وقيل الذرية
هم الصبيان والنساء والفلك هي السفن الجارية في البحار وخص الذرية
بالحمل في الفلك لضعفهم ولانه لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال فسخر الله لهم
السفن ليمكن الحمل في البحر والابل ليمكن الحمل في البر يقول القايل حملني فلان
اذا اعطاه ما يحمل وهداه الى ما يحمل عليه قال الشاعر شعر الا فتى عنده خفان
يحملني عليهما انني شيخ على سفر وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اي وخلقنا
لهم مثل سفينة نوح سفنا يركبون فيها كما ركب نوح يعني السفن التي عملت بعد
سفينة نوح مثلها على صورتها وهيئتها عن ابن عباس وغيره وقيل ان المراد
به الابل وهو سفن البر عن مجاهد وقيل مثل السفينة من الدواب كالابل
والبقر والحمير عن الجبائي وان نشأ نغرقهم اي وان نشأ انا حملناهم في السفن
نغرقهم بتهيج الرياح والامواج فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون
اي لا يخلصون من الغرق اذا اردناه الا رحمة ومتاعا الى حين اي الا ان يرحمهم
بان يخلصهم في الحال من اهوال البحر ويمتعهم الى وقت ما قدرناه ليقضي
اجالهم وقيل معناه بقيناهم نعمة منا عليهم وامتاعا الى مدة واذا قيل لهم

اي للمشركين اتقوا ما بين ايديكم من امر الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم من امر الدنيا
فاحذروها ولا تغتروا بها لعلكم ترحمون اي ليكونوا على رجاء الرحمة عن ابن عباس
وقيل معناه اتقوا ما مضى من الذنوب وما ياتي من الذنوب عن مجاهد اي اتقوا
عذاب الله بالتوبة للماضي والاجتناب للمستقبل وقيل اتقوا العذاب المنزل على الامم
الماضية وما خلفكم من عذاب الاخرة عن قتاده وروى الحلبي عن ابي عبد الله ع
قال معناه اتقوا ما بين ايديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة وجواب اذا محذوف
تقديره واذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على هذا المحذوف قوله وما تاتيهم من آية
من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين اي اعرضوا عن الداعي وعن التفكر في الحجج وفي
المعجزات ومن في قوله من اية هي التي تزاد في النفي للاستغراق ومن الثانية للتبعيض
اي ما ياتيهم آية اية اية كانت الا ذهبوا عنها واعرضوا عن النظر فيها وذلك سبيل
من ضل عن الهدى وخسر الدنيا والاخرة واذا قيل لهم ايضا انفقوا مما رزقكم الله
في طاعته واخرجوا ما اوجب الله عليكم في اموالكم قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه احتجوا في منع الحقوق بان قالوا كيف نطعم من يقدر الله
على اطعامه ولو شاء الله اطعامه اطعمه فاذا لم يطعمه دل على انه لم يشأ اطعامه
وذهب عليهم ان الله سبحانه انما تعبد بذلك لما لهم فيه من المصلحة فامر الغني
بالانفاق على الفقير ليكسبه الاجر والثواب واختلف في هؤلاء الذين قالوا ذلك
فقيل هم اليهود حين امروا باطعام الفقراء عن الحسن وقيل هم مشركوا قريش قال لهم
اصحاب رسول الله اطعمونا من اموالكم ما زعمتم انه لله وذلك قوله هذا لله
بزعمهم عن مقاتل وقيل هم الزنادقة الذين انكروا الصانع تعلقوا بقوله رزقكم الله
فقالوا ان كان هو الرازق فلا فائدة في التماس الرزق وقد رزقنا وحرمكم فلم
تامرون باعطاء من حرمه الله ان انتم الا في ضلال مبين هذا من قول الكفار
لمن امرهم بالاطعام عن قتاده وقيل انه من قول الله تعالى حين ردوا هذا الجواب
عن علي بن عيسى ويقولون متى هذا الوعد الذي يعدنا به من نزول العذاب

ان كنتم صادقين في ذلك انت واصحابك وهذا استهزاء منهم بخبر النبي صلى الله عليه وآله
وخبر المومنين فقال تعالى في جوابهم ما ينظرون اى ما ينتظرون الا صيحة واحدة
يريد النفخة الاولى عن ابن عباس يعني ان القيمة تأتيهم بغتة تاخذهم الصيحة وهم يخصمون
اى يختصمون في امورهم ويتبايعون في الاسواق وفي الحديث تقوم الساعة والرجلان
قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم والرجل يرفع اكلته الى فيه فما تصل
الى فيه حتى تقوم والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم وقيل وهم يختصمون
هل ينزل بهم العذاب ام لا فلا يستطيعون توصية يعني ان الساعة اذا اخذتهم بغتة
لم يقدروا على الايصاء بشيء ولا الى اهلهم يرجعون اى ولا الى منازلهم يرجعون من الاسواق
وهذا اخبار عما يلقونه في النفخة الاولى عند قيام الساعة قوله عز وجل ونفخ في الصور
فَاِذا هُمْ مِنَ الاَجْداثِ اِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هٰذا
ما وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ اِنْ كانَتْ اِلّا صَيْحَةً واحِدَةً فَاِذا هُمْ جَميعٌ لَدَيْنا
مُحْضَرُونَ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ اِلّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اِنَّ اَصْحابَ الْجَنَّةِ
الْيَوْمَ في شُغُلٍ فاكِهُونَ هُمْ وَاَزْواجُهُمْ في ظِلالٍ عَلَى الاَرائِكِ مُتَّكِؤُنَ لَهُمْ فيها
فاكِهَةٌ وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحيمٍ وَامْتازُوا الْيَوْمَ اَيُّهَا
الْمُجْرِمُونَ اَلَمْ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ يا بَني آدَمَ اَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبينٌ
عشر آيات القراة قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وروح في شغل ساكنة الغين
والباقون في شغل بضم الغين وقرا ابو جعفر فكهون بغير الف حيث وقع ووافقه
حفص في المطففين انقلبوا فكهين وقرا الاخرون بالالف كل القران وقرا اهل الكوفة
غير عاصم في ظلل بضم الظاء بلا الف والباقون في ظلال وروى عن امير المومنين ع
انه قرا من بعثنا من مرقدنا وفي الشواذ قرا ابن ابي ليلى يا ويلتا وقرا ابي ابن كعب من هبنا
من مرقدنا الحجة الشغل والشغل لغتان وكذلك الفكه والفاكهة والظلل جمع
ظلة والظلال يجوز ايضا ان يكون جمع ظلة فيكون كبرمة وبرام وعلبة وعلاب
ويجوز ان يكون جمع ظل واما قوله من بعثنا فهو كقولك يا ويلي من اخذك مني قال ابن جني

من الاولى

من الاولى متعلقة بالويل كقولك يا تألمي منك وان شئت كانت حالا فتعلقت بمحذوف
حتى كانه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا فجاز ان يكون حالا منه كما جاز ان يكون خبرا عنه
في مثل قول الاعشى شعر قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يا رجل وذلك
ان الحال ضرب من الخبر واما من في قوله من مرقدنا فمتعلقة بنفس البعث ومن قرا
يا ويلتنا فاصله يا ويلتي فابدلت الياء الفا لانه نداء في موضع خفيف فتارة يحذف
هذه الياء نحو غلام وتارة بالبدل نحو يا غلاما قال يا ابتا علك او عساكا فان قلت
كيف قال يا ويلنا وهذا لفظ الواحد وهم جماعة فالقول انه يكون على ان كل واحد منهم
قال يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ونحوه قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة اى فاجلدوا
كل واحد منهم ومثله ما حكاه ابو زيد من قولهم اتينا الامير فكسانا كلنا حلة واعطانا
كلنا مائة اى كسا كل واحد منا حلة واعطى كل واحد منا مائة واما هبنا فيمكن ان يكون
هب لغة في اهب ويمكن ان يكون على معنى هب بنا اى ايقظنا ثم حذف حرف الجر فوصل الفعل
قال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل بسرة وبسر فهو مشتق من صاره يصوره
صورا اى اماله فالصور يميل الى مثلها بالمشاهدة والجدث القبر وجمعه الاجداث
وهذه لغة اهل العالية ويقول اهل السافلة بالفاء جدف والنسول الاسراع في
الخروج يقال نسل ينسل وينسل قال امرؤ القيس شعر وان تك قد ساءتك مني خليقة
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل وقال الآخر شعر عسلان الذئب امسى قاربا برد الليل عليه
فنسل الاعراب هذا ما وعد الرحمن مبتدا وخبره ويكون من بعثنا من مرقدنا
كلاما تاما ما يوقف عليه ويجوز ان يكون هذا من نعت مرقدنا الذى كنا راقدين
فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا ويكون ما وعد الرحمن خبر مبتدا محذوف او مبتداء
محذوف الخبر على تقدير هذا ما وعد الرحمن اى حق ما وعد الرحمن سلام بدل من ما
والمعنى لهم ما يتمنون لهم سلام وقولا منصوب على انه مصدر فعل محذوف اى يقوله
الله قولا المعنى ثم اخبر سبحانه عن النفخة الثانية وهو ما يلقونه فيها وبعثوا
بعد الموت فقال ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث وهي القبور الى ربهم الى الموضع

الذي يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك ينسلون اي يخرجون سراعا فلما راوا اهوال
القيمة قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا اي من حشرنا من منامنا الذي كنا فيه
نياما ثم يقولون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيما اخبرنا عن هذا المقام
وهذا البعث عن قتادة اول الاية للكافرين واخرها للمسلمين قال الكافرون يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا وقال المسلمون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وانما
وصفوا القبر بالمرقد لانهم لما احيوا كانوا كالمتنبهين عن الرقدة وقيل انهم لما عاينوا
احوالهم في القيمة عدوا احوالهم في قبورهم بالاضافة الى تلك الاهوال رقادا قال
قتادة هي النومة بين النفختين لا يفتر عذاب القبر الا فيما بينهما فيرقدون ثم اخبر
سبحانه عن سرعة بعثهم فقال ان كانت الا صيحة واحدة اي لم يكن المدة الا مدة
صيحة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي فاذا الاولون والاخرون مجموعون
في عرصات القيمة محصلون في موقف الحساب ثم حكى سبحانه ما يقوله يومئذ
للخلايق فقال فاليوم لا تظلم نفس شيئا اي لا ينقص من له حق شيئا من حقه
من الثواب او العوض وغير ذلك ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب
بل الامور جارية على مقتضى العدل وذلك قوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
ثم ذكر سبحانه اولياءه فقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل شغلهم النعيم الذي
شملهم وغمرهم بسروره عما فيه اهل النار من العذاب عن الحسن والكلبي فلا يذكرونهم
ولا يهتمون بهم وان كانوا اقاربهم وقيل شغلوا باقتضاض العذارى عن ابن عباس
وابن مسعود وهو المروي عن الصادق عليه السلام قال حواجبهن كالاهلة واشفار
اعينهن كقوادم النسور وقيل باستماع الالحان عن وكيع وقيل شغلهم في الجنة سبعة
انواع من الثواب لسبعة اعضاء فثواب الرجل بقوله ادخلوها بسلام امنين وثواب
اليد يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها وثواب الفرج وحور عين وثواب البطن
كلوا واشربوا هنيئا الاية وثواب اللسان واخر دعواهم وثواب الاذن لا يسمعون
فيها لغوا ونظائرها وثواب العين وتلذ الاعين فاكهون اي فرحون عن ابن عباس

وقيل ناعمون

وقيل ناعمون متعجبون بما هم فيه قال ابو زيد الفكه الطيب النفس الضحوك رجل فكه وفاكه
ولم يسمع لهذا فعل في الثلاثي وقال ابو مسلم انه ماخوذ عن الفكاهة فهو كناية عن الاحاديث
الطيبة وقيل فاكهون ذووا فاكهة كما يقال لاحم شاحم اي ذو لحم وشحم وعاسل ذو عسل
قال الحطيئة شعر وغررتني وزعمت انك لابن في الصيف تامر اي ذو لبن وتمر ثم اخبر
سبحانه عن حالهم فقال هم وازواجهم في ظلال اي هم وحلائلهم في الدنيا ممن وافقهم
على ايمانهم في استتار عن وهج الشمس وسمومها فهم في مثل تلك الحال الطيبة من الظلال
التي لا حر فيها ولا برد وقيل ازواجهم اللواتي زوجهم الله تعالى من الحور العين في ظلال اشجار
الجنة وقيل في ظلال تسترهم من نظر العيون اليهم على الارائك وهي السرر عليها الحجال وقيل
هي الوسائد متكئون اي جالسون جلوس الملوك اذ ليس عليهم من الاعمال شيء قال الازهري
كل ما اتكي عليه فهو اريكة والجمع ارائك لهم فيها اي في الجنة فاكهة ولهم ما يدعون اي ما
يتمنون ويشتهون قال ابو عبيدة تقول العرب ادع على ما شئت اي تمن علي وقيل معناه
ان كل من يدعي شيئا فهو له بحكم الله تعالى لانه قد هذب طباعهم فلا يدعون الا ما يحسن منهم
قال الزجاج هو ماخوذ من الدعاء يعني ان اهل الجنة كل ما يدعونه ياتيهم ثم بين سبحانه
ما يشتهون فقال سلام اي لهم سلام ومنى اهل الجنة ان يسلم الله عليهم قولا اي يقوله
الله قولا من رب رحيم بهم يسمعونه من الله فيوذنهم بدوام الامن والسلامة
مع سبوغ النعمة والكرامة وقيل ان الملائكة يدخل عليهم من كل باب يقولون سلام
عليكم من ربكم الرحيم ثم ذكر سبحانه اهل النار فقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون
اي يقال لهم انفصلوا معاشر العصاة فاعتزلوا من جملة المؤمنين وقيل معناه
كونوا على حدة عن السدي وقيل معناه ان لكل كافر بيتا في النار يدخله فيردم
بابه لا يرى ولا يرى عن الضحاك ثم خصهم سبحانه بالتوبيخ فقال الم اعهد اليكم
يا بني ادم اي الم امركم على السنة الانبياء والرسل في الكتب المنزلة ان لا تعبدوا
الشيطان ان لا تطيعوا الشيطان فيما يامركم به انه لكم عدو اي وقلت لكم ان الشيطان
لكم عدو مبين ظاهر عداوته يدعوكم الى ما فيه هلاككم وفي هذه دلالة على انه سبحانه

لايخلق عبادة الشيطان لانه حذر من ذلك ووبخ عليه قوله عز وجل وَأَنِ اعْبُدُونِي
هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هٰذِهِ
جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ
أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ خمس آيات
القراءة قرأ ابو عمرو وابن عامر جُبْلًا بضم الجيم وسكون الباء وقرأ اهل المدينه
وعاصم وسهل جِبِلًّا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ روح وزيد جُبُلًّا
بضم الجيم والباء وتشديد اللام وهو قراءة الحسن والاعرج والزهري وقرأ الباقون
جُبُلًا بضمهما وتخفيف اللام اللغة معناهن جميعا الخلق الكثير والجماعة و
الجمع الذين جبلوا على خليقه اى طبعوا واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لانه مطبوع
على الثبات وقال ابو مسلم اصله الغلظه والشدة المعنى ثم قال سبحانه في حكاية
ما يقوله للكفار يوم القيمة وان اعبدونى هذا صراط مستقيم فوصف عبادته
بانه طريق مستقيم من حيث كان طريقا الى الجنة ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان
لبنى آدم فقال ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اى اضل الشيطان عن الدين خلقا كثيرا
منكم بان دعاهم الى الضلال وحملهم على الضلال واغواهم افلم تكونوا تعقلون انه
يغويكم ويصدكم عن الحق فتتنبهون عليه صورته استفهام ومعناه الانكار عليهم و
التبكيت لهم وفي هذا بطلان مذهب اهل الجبر في ان الله سبحانه اراد اضلالهم ولو كان
كما قالوه لكان ذلك اضر عليهم وانكر من ارادة الشيطان ذلك هذه جهنم التى كنتم
توعدون بها في دار التكليف حاضرة لكم تشاهدونها اصلوها اليوم اى الزموا
العذاب بها واصل الصلا اللزوم ومنه المصلى الذى يجئ في اثر السابق للزومه
اثره وقيل معناه صيروا صلاها اى وقودها عن ابى مسلم بما كنتم تكذبون جزاء لكم
على كفركم بالله وتكذيبكم انبياء اليوم نختم على افواههم هذا حقيقة الختم فيوضع على افواه
الكفار يوم القيمة فلا يقدرون على الكلام والنطق وتكلمنا ايديهم بما عملوا وتشهد
ارجلهم بما كانوا يكسبون اى نستنطق الاعضاء التى كانت لا تنطق في الدنيا لتشهد عليهم ونختم

على افواههم

على افواههم التى عهد منها النطق واختلف في كيفية شهادة الجوارح على وجوه احدها ان الله
تعالى يخلقها خلقة يمكن ان تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها وثانيها ان الله تعالى يجعل
فيها كلاما وانما نسب الكلام اليها لانه لا يظهر الا من جهتها وثالثها ان معنى شهادتها
وكلامها ان الله تعالى يجعل فيها من الآيات ما يدل على ان اصحابها عصوا الله بها
فسمى ذلك شهادة منها كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقد ذكرنا امثال ذلك فيما سلف
قوله عز وجل وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ وَلَوْ نَشَاءُ
لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ
أَفَلَا يَعْقِلُونَ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ
مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ خمس آيات القراءة قرأ ابو بكر وحده مكاناتهم
على الجمع والباقون على التوحيد وقد تقدم ذكر ذلك وقرأ عاصم وحمزه وسهل ننكسه
بضم النون الاولى وفتح الثانيه وكسر الكاف وتشديدها وقرأ الباقون بضم الكاف
وتخفيفها وقرأ اهل المدينه والشام ويعقوب وسهل لتنذر بالتاء والباقون بالياء
الحجة يقال نكسته وانكسته مثل رددته وارددته غير ان التشديد للتكثير
والتخفيف يحتمل القليل والكثير ومن قرأ لتنذر بالتاء فهو خطاب للنبى صلى الله عليه
وآله ومن قرأ بالياء اراد القرآن ويجوز ان يريد لينذر الله اللغة الطمس محو
الشى حتى يذهب اثره والطمس على العين كالطمس على الكتاب ومثله الطمس على المال وهو
اذهابه حتى لا يقع عليه ادراك واعمى مطموس وطميس وهو ان يذهب الشق بين الجفنين
والمسخ قلب الصورة التى خلقه مشوهه كما مسخ قوم قردة وخنازير الاعراب انى
في محل النصب على الحال من يبصرون او على انه في معنى مصدر ع المعنى ثم اخبر
سبحانه عن قدرته على اهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اى لاعميناهم عن الهدى عن ابن عباس وقيل معناه
لتركناهم عميا يترددون عن الحسن وقتاده والجبائى فاستبقوا الصراط اى فطلبوا
طريق الحق وقد عموا عنه فانى يبصرون اى فكيف يبصرون عن ابن عباس وقيل معناه

فطلبوا النجاة والسبق اليها ولا بصر لهم فكيف يبصرون وقد اعميناهم وقيل طلبوا
الطريق الى منازلهم فلم يهتدوا اليها ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اى على مكانهم
الذى فيه قعودهم والمعنى ولو نشاء لعذبناهم بنوع اخر من العذاب فاقعدناهم
فى منازلهم ممسوخين قردة وخنازير والمكانة والمكان واحد وقيل معناه ولو نشاء
لمسخناهم حجارة فى منازلهم ليس فيهم ارواحهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون
اى فلم يقدروا على ذهاب ولا مجىء لو فعلنا ذلك بهم وقيل معناه فما استطاعوا
مضيا عن العذاب ولا رجوعا الى الخلقة الاولى بعد المسخ وهذا كله تهديد يهددهم
الله به ثم قال سبحانه ومن نعمره ننكسه فى الخلق اى من نطول عمره نصيره بعد
القوة الى الضعف بعد زيادة الجسم الى النقصان وبعد الجدة والطراوة الى البلى
والخلوقة فكانه نكس خلقه وقيل ننكسه نرده الى حالة الهرم التى تشبه حال الصبى
فى ضعف القوة وعزوب العلم عن قتاده افلا تعقلون اى افلا تتدبرون فى ان
الله تعالى يقدر على الاعادة كما قدر على ذلك وانما قال على الخطاب لقوله الم اعهد
اليكم ومن قرأ بالياء فالمعنى افليس لهم عقل فيعتبروا ويعلموا ذلك ثم اخبر سبحانه
عن نبيه ص توكيدا لقوله انك لمن المرسلين فقال وما علمناه الشعر يعنى قول
الشعر وصناعة الشعر من عند نفسه وقيل معناه ما يتسهل له الشعر وما كان
يتزن له بيت شعر حتى انه اذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن
ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتمثل بهذا البيت كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا
فقال ابو بكر يا رسول الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا اشهد انك
رسول الله صلى الله عليه وآله وما علمك الشعر وما ينبغى لك وعن عايشة انها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وآله يتمثل ببيت اخى بنى قيس ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فيقول ابو بكر
ليس هكذا يا رسول الله فيقول انى لست بشاعر وما ينبغى لى فاما قوله عليه السلم انا النبى لا كذب
انا ابن عبد المطلب فقد قال قوم ان هذا ليس بشعر وقال اخرون انما هو اتفاق منه وليس

بقصد الى قول

بقصد الى قول الشعر وقيل ان معنى الاية وما علمناه الشعر بتعليم القران وما ينبغى له
للقران بان يكون شعرا فان نظمه ليس بنظم الشعر وقد صح انه ص كان يسمعه ويحث
عليه وقال لحسان بن ثابت لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك
ان هو اى ما الذى انزلناه عليه الا ذكر وقران مبين من عند رب العالمين
ليس بشعر ولا زجر ولا خطبة والمراد بالذكر انه يتضمن ذكر الحلال والحرام والدلالات
واخبار الامم الماضية وغيرها وبالقران انه مجموع بعضه الى البعض فجمع سبحانه
بينهما لاختلاف فايدتهما لتنذر من كان حيا اى انزلناه لتخوف به من معاصى الله
من كان مؤمنا لان الكافر كالميت بل اقل من الميت لان الميت وان كان لا ينتفع ولا يتضرر
والكافر لا ينتفع بدينه ويتضرر به ويجوز ان يكون اراد بمن كان حيا عاقلا
وروى عن على عليه السلم وقيل من كان حى القلب حى البصر عن قتاده ويحق القول
على الكافرين اى يجب الوعيد والعذاب على الكافرين بكفرهم قوله عز وجل اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها
ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون واتخذوا
من دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند
محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ست آيات
القراءة فى الشواذ قراءة الحسن والاعمش ركوبهم وقراءة عايشة وابى بن كعب ركوبتهم
الاعراب اما الركوب فمصدر والكلام على حذف المضاف والتقدير فمنها ذو ركوبهم
وذو الركوب هو المركوب ويجوز ان يكون التقدير فمن منافعها ركوبهم كما يقول
الانسان لغيره من بركاتك وصول الخير الى اى على يديك واما ركوبتهم فهى المركوبة
كالقتوبة والحلوبة والجزورة لما يقتب ويحلب ويجزر المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر الادلة
على التوحيد فقال سبحانه اولم يروا معناه اولم يعلموا انا خلقنا لهم اى لمنافعهم مما عملت
ايدينا اى مما تولينا خلقه بابداعنا وانشائنا لم يشاركنا فى خلقه ولم نخلقه باعانة
معين واليد فى اللغة على اقسام منها الجارحة ومنها النعمة ومنها القوة ومنها

تحقيق الاضافة يقال في معنى النعمة لفلان عندي يد بيضاء وبمعنى المقدرة تلقى فلان
قولي باليدين اي بالقوة والقبول ومعنى تحقيق الاضافة قول الشاعر شعر دعوت لما نابني مسورا
فلبى فلبي يدي مسور وانما ثناه لتحقيق المبالغة في الاضافة الى مسور ويقولون هذا
ما جنت يداك وهو المعنى في الاية واذا قال الواحد منا عملت هذا بيدي دل ذلك
على انفراده بعمله من غير ان يكله الى احد انعاما يعني الابل والبقر فهم لها مالكون
ولو لم يخلقها لما ملكوها ولما انتفعوا بها وبالبانها وركوب ظهورها ولحومها
وقيل فهم لها ضابطون قاهرون لم يخلقها وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها
فهي مسخرة لهم وهو قوله وذللناها لهم اي سخرناها حتى صارت منقادة فمنها ركوبهم
ومنها ياكلون قسم الانعام بان جعل منها ما يركب ومنها ما يذبح فينتفع بلحمه ويوكل
قال مقاتل الركوب الحمولة يعني الابل والبقر ولهم فيها منافع ومشارب من منافعها
لبس اصوافها واشعارها واوبارها واكل لحومها وركوب ظهورها الى غير ذلك
من انواع المنافع الكثيرة فيها والمشارب من البانها افلا يشكرون الله تعالى
على هذه النعم ثم ذكر سبحانه جهلهم فقال واتخذوا من دون الله الهة يعبدونها
لعلهم ينصرون اي لكي ينصروهم ويدفعوا عنهم عذاب الله لا يستطيعون نصرهم
يعني هذه الالهة التي عبدوها لا يقدرون على نصرهم والدفع عنهم وهم لهم جند
محضرون يعني ان هذه الالهة معهم في النار محضرون لان كل حزب مع ما عبده
من الاوثان في النار فلا الجند يدفعون عنها الاحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب
وهذا كما قال سبحانه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عن الجبائي وقيل
معناه ان الكفار جند للاصنام يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا عن قتاده
اي يغضبون للالهة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا قال
بالسنتهم فجادلهم على ذلك قوله عز وجل أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ
فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ

الاخضر

الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون سبع ايات القراءة
قرا يعقوب يقدر بالياء وكذلك في الاحقاف والوجه فيه ظاهر وفي الشواذ قراءة طلحة
وابراهيم التيمي والاعمش ملكه كل شيء ومعناه فسبحان الذي بيده القدرة على كل شيء
وهو من ملكت العجين اذا اجدت عجنه فقويته بذلك الملكوت فعلوت منه زادوا فيه
الواو والياء للمبالغة بزيادة اللفظ ولهذا لا يطلق الملكوت الا على الامر العظيم الاعراب
الذي جعل لكم بدل من الذي انشاها ويجوز ان يكون مرفوعا او منصوبا على المدح
ان يقول في موضع رفع بانه خبر مبتدا النزول قيل ان ابي بن خلف او العاص بن وائل
جاء بعظم بال متفتت وقال يا محمد اتزعم ان الله يبعث هذا فقال نعم فنزلت الاية اولم
ير الانسان الى اخر السورة المعنى ثم نبه سبحانه خلقه على الاستدلال على صحة الاعادة
والبعث فقال اولم ير اي اولم يعلم الانسان انا خلقناه من نطفه والتقدير ثم نقلناه
من النطفة الى العلقة الى المضغة ومن المضغة الى العظم ومن العظم الى ان جعلناه خلقا
سويا ثم جعلنا فيه الروح واخرجناه من بطن امه وربيناه ونقلناه من حال الى حال
الى ان كمل عقله وصار متكلما خصيما وذلك قوله فاذا هو خصيم مبين اي مخاصم ذو بيان
اي فمن قدر على جميع ذلك فكيف لا يقدر على الاعادة وهي اسهل من الانشاء والابتداء ولا يجوز
ان يكون خلق الانسان واقعا بالطبيعة لان الطبيعة في حكم الموات في انها
ليست بحية قادرة فكيف يصح منها الفعل ولا ان يكون كذلك بالاتفاق لان المحدث
لا بد له من محدث قادر عالم وفي الاية دلالة على صحة استعمال النظر في الدين
لان الله سبحانه اقام الحجة على المشركين بقياس النشاة الثانية على النشاة
الاولى فالزم من اقر بالاولى ان يقر بالثانية ثم اكد سبحانه الانكار عليه فقال وضرب
لنا مثلا اي ضرب المثل في انكار البعث بالعظم البالي وفته بيده وتعجب ممن يقول
ان الله يحييه ونسي خلقه اي وترك النظر في خلق نفسه اذ خلق من نطفة ثم من

ذلك المثل بقوله قال من يحيي العظام وهي رميم اى بالية واختلف في القايل لذلك فقيل ابي بن خلف عن قتاده ومجاهد وهو المروى عن الصادق عليه السلم وقيل هو العاص
بن وايل السهمي عن سعيد بن جبير وقيل امية بن خلف عن الحسن ثم قال سبحانه في الرد
عليه قل يا محمد لهذا المتعجب من الاعادة يحييها الذى انشاها اول مرة لان من قدر
على اختراع ما يبقى فهو على اعادته قادر لا محالة وهو بكل خلق عليم من الابتداء والاعادة
فيعلم به قبل ان يخلقه انه اذا خلقه كيف يكون ويعلم به قبل ان يعيده انه اذا اعاده
كيف يكون ثم زاد سبحانه في البيان واخبر من صنعه بما هو عجيب البيان فقال الذى
جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اى جعل لكم من الشجر الرطب
المطفى للنار نارا محرقة يعني بذلك المرخ والعفار وهما شجرتان تتخذ الاعراب زنودها
منهما فبين سبحانه ان من قدر على ان يجعل في الشجر الذى هو في غاية الرطوبة نارا حامية
على مضادة النار للرطوبة حتى اذا احتاج الانسان حك بعضه ببعض فيخرج منه النار
وينقدح قدر ايضا على الاعادة تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
وقال الكلبي كل شجرة ينقدح منها النار الا العناب ثم ذكر سبحانه من خلقه ما هو اعظم
من الانسان فقال اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
هذا استفهام معناه التقرير يعني من قدر على خلق السموات والارض واختراعهما
مع عظمهما وكثرة اجزائهما يقدر على اعادة خلق البشر ثم اجاب سبحانه هذا الاستفهام
بقوله بلى اى هو قادر على ذلك وهو الخلاق اى يخلق خلقا بعد خلق العليم بجميع ما خلق
ثم ذكر سبحانه على ايجاد الاشياء فقال انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
والتقدير ان يكونه فيكون فعبر عن هذا بكن لانه ابلغ فيما يراد وليس ههنا قول وانما هو
اخبار بحدوث ما يريده تعالى وقيل ان المعنى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول من اجله
كن فعبر عن هذا المعنى بكن وقيل ان هذا انما هو في التحويلات نحو قوله كونوا قردة
خاسئين وكونوا حجارة او حديدا وما اشبه ذلك ولفظ الامر في الكلام على عشرة
اوجه احدها الامر نحو هود ونك والثاني الندب كقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا

وثالثها

وثالثها الاباحة نحو قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا واذا حللتم فاصطادوا
والرابع الدعاء ربنا اتنا من لدنك رحمة الخامس الترفيه كقوله ارفق بنفسك
السادس الشفاعة نحو قولك شفعني فيه والسابع التحويل نحو قوله قردة خاسئين
وكونوا حجارة الثامن التهديد نحو قوله اعملوا ما شئتم التاسع الاختراع
والاحداث نحو قوله كن فيكون العاشر نحو اسمع بهم وابصر قال علي بن عيسى في قوله
كن فيكون الامر ههنا افخم من الفعل فجاء للتفخيم والتعظيم قال ويجوز ان يكون
بمنزلة التسهيل والتهوين فانه اذا اراد فعل شيء فعله بمنزلة ما يقول للشيء كن فيكون
في الحال وانشد شعر فقالتا له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب
وانما اخبر عن سرعة دمعه دون ان يكون ذلك قولا على الحقيقة ثم نزه سبحانه
نفسه من ان يوصف بما لا يليق به فقال فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء
اى تنزيها له من نفي القدرة على الاعادة وغير ذلك مما لا يليق بصفاته الذى
بيده اى بقدرته ملك كل شيء ومن قدر على كل شيء قدر على احياء العظام الرميم
وعلى خلق كل شيء وافنائه واعادته واليه ترجعون يوم القيمة تردون الى حيث
لا يملك الامر والنهي احد سواه فيجازيكم بالثواب والعقاب على الطاعات والمعاصي
على قدر اعمالكم سورة والصافات مكية عدد آيها مائة واحدى وثمانون اية كوفي
وايتان في الباقين اختلافها ايتان وما كانوا يعبدون غير البصري وكلهم
يعدون وان كانوا ليقولون غير ابي جعفر فضلها قال ابي بن كعب قال رسول الله
صلى الله عليه وآله ومن قرأ سورة والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل
جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشيطان وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه
يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين وروى الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله ع
قال من قرأ سورة والصافات في كل يوم جمعة لم يزل محفوظا من كل افة مدفوعا
عنه كل بلية في حيوة الدنيا مرزوقا في الدنيا باوسع ما يكون من الرزق ولم يصبه
الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا جبار عنيد وان مات في يومه

اوليلته بعثه الله شهيدا واماته شهيدا وادخله الجنة مع الشهداء في اعلى درجة
من الجنة تفسيرها افتتح الله هذه السورة بمثل ما اختتم به سورة يس من ذكر البعث
فقال بسم الله الرحمن الرحيم
وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا اِنَّ اِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمٰوَاتِ
وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ اِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاۤءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ
وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ اِلَى الْمَلَاِ الْاَعْلٰى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ اِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ
عشر آيات القراءة ادغم ابو عمرو وحمزة التاء في الصاد وفي الزاي وفي الذال من الصافات
صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والذاريات ذروا وقرأ ابو عمرو وحده
والعاديات ضبحا مدغما فالمغيرات صبحا فالملقيات ذكرا والسابحات سبحا فالسابقات
سبقا مدغما عباس لا يدغم شيئا من ذلك والباقون باظهار التاء في ذلك كله قرأ
عاصم وحمزة بزينة الكواكب بالتنوين الكواكب بالجر وقرأ ابو بكر بزينة منونة ايضا
الكواكب بالنصب وقرأ الباقون بزينة الكواكب مضافة وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر لا يسمعون
بتشديد السين والميم والباقون لا يسمعون بالتخفيف الحجة قال ابو علي ادغام التاء
في الصاد حسن لمقاربة اللفظين الا ترى انهما من طرف اللسان واصول الثنايا ويجتمعان
في الهمس والمدغم يزيد على المدغم بخلتين هما الاطباق والصفير ويحسن ادغام الانقص
في الازيد ولا يجوز ان يدغم الازيد صوتا فلهذا يحسن ادغام الانقص التاء في الزاي
من قوله فالزاجرات زجرا لان التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة
صفير كما كان في الصاد وكذلك حسن ادغام التاء في الذال في قوله فالتاليات
ذكرا والذاريات ذروا لاتفاقهما في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا فاما
ادغام التاء في الضاد من قوله والعاديات ضبحا فان التاء اقرب الى الدال والى
الزاي منهما الى الضاد لان الذال والزاي والصاد من حروف طرف اللسان واصول
الثنايا وطرفها والضاد ابعد منهن لانها من وسط اللسان وكذلك حسن ادغام

التاء فيها

التاء فيها لان الضاد تفشي الصوت بها واتسع واستطال حتى اتصل صوتها باصول
الثنايا وطرف اللسان فادغم التاء فيها وسائر حروف طرف اللسان واصول الثنايا
الاحرف الصفير فانها لم تدغم في الضاد ولم يدغم الضاد في شيء من هذه الحروف
لما فيها من زيادة الصوت واما الادغام في السابحات سبحا والسابقات سبقا
فحسن لمقاربة الحروف فاما من قرأ بالاظهار في هذه الحروف فلاختلاف المخارج واما من
قرأ بزينة الكواكب جعل الكواكب بدلا من الزينة كما يقول مررت بابي عبد الله
زيد ومن قرأ الكواكب بالنصب اعمل الزينة في الكواكب والمعنى بان زينا الكواكب فيها
ومثل ذلك واطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ومن قرأ بزينة الكواكب اضاف المصدر الى
المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وبسؤال نعجتك ومن قرأ لا يسمعون فانما هو لا
يتسمعون فادغم التاء في السين وقد يتسمع ولا يسمع فاذا نفى السمع عنهم فقد نفى
سمعهم من جهة التسمع ومن جهة غيره فهو ابلغ ويقال سمعت الشيء واستمعته
كما يقال حقرته واحتقرته وشويته واشتويته وقد قال تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا
له وقال ومنهم من يستمع اليك فقد تعدى الفعل مرة بالى ومرة باللام وحجة
من قرأ يسمعون قوله انهم عن السمع لمعزولون اللغة قال ابو عبيدة كل شيء بين
السماء والارض ثم يضم فطربه فهو صاف ومنه والطير صافات اذا نشرت اجنحتها
والصافات جمع الجمع لانه جمع صافة والزجر الصرف عن الشيء لخوف الذم والعقاب
المارد الخارج الى الفساد العظيم وهو من صفة الشياطين وهم المردة واصله
الانجراد ومنه الامرد فالمارد التجرد من الخير الدحور الدفع بالعنف يقال دحره يدحره
دحرا ودحورا والواصب الدايم الثابت قال ابو الاسود لا اشتري الحمد القليل بقاؤه
يوما بذم الدهر اجمع واصبا والخطفة الاستلاب بسرعة فقال خطفه واختطفه
والشهاب شعلة نار ساطعة يقال فلان شهاب حرب اذا كان ماضيا والثاقب المضيء
كانه يثقب بضوئه ومنه حسب ثاقب اي شريف الاعراب حفظا مصدر فعل محذوف اي
زيناها وحفظناها حفظا لا يسمعون محله مجرور الموضع بانه صفة شيطان دحورا

مصدر فعل دل عليه يقذفون اي يدحرون دحورا الا من خطف الخطفة يحتمل ان يكون
من خطف في محل نصب على الاستثناء والعامل فيه ما يتعلق باللام في لهم عذاب
والمستثنى منه هم من لهم ويحتمل ان يكون استثناء منقطعا فيكون من خطف مبتدا
وخبره فاتبعه شهاب ثاقب المعنى والصافات صفا اختلف في معنى الصافات
على وجوه احدها انها الملائكة تصف نفسها صفوفا في السماء كصفوف المومنين
للصلوة عن ابن عباس ومسروق وعن الحسن وقتاده والسدي وثانيها ان الملائكة
تصف اجنحتها في الهواء اذا ارادت النزول الى الارض واقفة تنتظر ما يامرها الله تعالى
عن الجبائي وثالثها انهم جماعة المومنين يقومون مصفين في الصلوة وفي الجهاد
عن ابي مسلم فالزاجرات زجرا اختلف فيها ايضا على وجوه احدها انها الملائكة
تزجر الخلائق عن المعاصي زجرا عن السدي ومجاهد وعلى هذا فانه يوصل الله
مفهومه الى قلوب العباد كما يوصل مفهوم اغواء الشيطان الى قلوبهم ليصح التكليف وثانيها
انها الملائكة موكلة بالسحاب تزجرها وتسوقها عن الجبائي وثالثها انها زواجر
القران وايات الناهية عن القبائح عن قتاده ورابعها انهم المومنون يرفعون
اصواتهم عند قرأة القران لان الزجرة الصيحة عن ابي مسلم فالتاليات ذكرا
اختلف فيها ايضا على اقوال احدها انها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى والذكر الذي
ينزل على الوحي اليه عن مجاهد والسدي وثانيها انها الملائكة تتلو كتاب الله الذي
كتبه لملائكته وفيه ذكر الحوادث فتزداد يقينا بوجود المخبر على وفق الخبر وثالثها
جماعة قراء القران من المومنين يتلونه في الصلوة عن ابي مسلم وانما لم يقل فالتاليات
تلوا كما قال فالزاجرات زجرا لان التالي قد يكون بمعنى التابع ومنه قوله والقمر اذا تلاها
فلما كان اللفظ مشتركا بينه بما يزيل الابهام ان الحكم لواحد وهذه اقسام اقسم الله
سبحانه بها انه واحد ليس له شريك ثم اختلف في مثل هذه الاقسام فقيل انها اقسام
بالله تعالى على تقديره ورب الصافات ورب الزاجرات ورب التين والزيتون لان في القسم
تعظيما للمقسم به ولانه يجب على العباد ان لا يقسموا الا بالله تعالى الا انه حذف لان حجج العقول

دالة على

دالة على المحذوف عن الجبائي والقاضي وقيل بل اقسم سبحانه بهذه الاشياء وانما جاز ذلك
لانه ينبه عن تعظيمها بما فيه من الدلالة على توحيده وصفاته العلى فله سبحانه ان يقسم
بما شاء من خلقه وليس لخلقه ان يقسموا الا به ثم قال سبحانه رب السموات والارض
اي خالقهما ومدبرهما وما بينهما من ساير الاجناس من الحيوان والجماد ورب المشارق
وهي مشارق الشمس اي مطالعها بعدد ايام السنة ثلثماية وستون مشرقا والمغارب
مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب في مغرب عن ابن عباس والسدي
وانما خص المشارق بالذكر لان الشروق قبل الغروب انا زينا السماء الدنيا يعني التي
هي اقرب السموات الينا وانما خصها بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة بزينة الكواكب اي
بحسنها وضوءها والتزيين تحسين الشيء وجعله على صورة يميل اليها النفس فالله سبحانه
زين السماء على وجه يمتع الرائي لها وفي ذلك اعظم النعمة على العباد مع ما لهم من المنفعة
بالفكر فيها والاستدلال بها على صانعها وحفظا من كل شيطان اي وحفظناها من كل
شيطان مارد اي خبيث خال من الخير متمرد والمعنى وحفظناها من دنو كل شيطان لاستماع
فانهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون الى كلام الملائكة ويلقون ذلك الى ضعفة الجن
وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة ويوهمونهم انهم يعرفون الغيب فمنعهم الله تعالى
عن ذلك لا يسمعون الى الملأ الاعلى اي لكيلا يتسمعوا الى الكتبة من الملائكة في السماء
عن الكلبي وقيل الى كلام الملأ الاعلى لكيلا يتسمعوا والملأ الاعلى عبارة عن الملائكة
لانهم في السماء ويقذفون من كل جانب اي يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء
اذا ارادوا الصعود الى السماء للاستماع دحورا اي دفعا لهم بالعنف وطردا ولهم عذاب
واصب اي ولهم مع ذلك ايضا عذاب دايم يوم القيمة الا من خطف الخطفة والتقدير
لا يتسمعون الى الملائكة الا من وثب الوثبة الى قريب من السماء فاختلس خلسة من الملائكة
واستلب استلابا بسرعة فاتبعه شهاب ثاقب اي فلحقه واصابه نار مضية محرقة
والثاقب النير المضيء وهذا كقوله الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين
قوله عز وجل فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب

بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا
ان هذا الا سحر مبين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اواباؤنا
الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين عشر آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم
بل عجبت بضم التاء والباقون بفتحها وكذلك في الواقعة الحجة قال ابو علي من قرا
بل عجبت بالفتح فالمعنى بل عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون او عجبت من نزول
الوحي عليك وهم يسخرون والضم فيما زعموا قراءة علي وابن عباس وروي عن
شريح من انكاره له فانه قال ان الله لا يعجب وقد احتج بعضهم للضم بقوله وان تعجب
فعجب قولهم عندكم والمعنى في الضم ان انكار البعث والنشر مع ثبات القدرة على
الابتداء والانشاء عجيب في بين ذلك عندنا استدل عندكم مما يقولون
فيه هذا النحو من الكلام اذا اورد عليكم مثله كما ان قوله اسمع بهم وابصر معناه
ان هؤلاء ممن يقولون انتم فيه هذا النحو وكذلك قوله فما اصبرهم على النار عند
من لم يجعل اللفظ على الاستفهام وعلى هذا النحو قوله ويل للمطففين وويل للمكذبين
وقوله لعله يتذكر او يخشى ولا يجوز ان يكون العجب في وصف القديم سبحانه كما يكون
في وصف الانسان لان العجب فينا انما يكون اذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف
سببه وهذا منتف عن القديم سبحانه اللغة واللازب اللازم بمعنى ابدلت من الميم
الباء قال النابغة شعر ولا يحسبون الخير لا شر عنده ۞ ولا يحسبون الشر ضربة لازب
وبعض بني عقيل يقولون لاتب ايضا بالتاء والداخر الصاغر اشد الصغر المعنى خاطب الله
سبحانه نبيه عليه السلام فقال فاستفتهم يا محمد اي فسلهم يا محمد سؤال تقرير اهم اشد خلقا
اي احكم صنعا ام من خلقنا قبلهم من الامم الماضية والقرون السالفة يريد انهم
ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بالعذاب وقيل اهم اشد خلقا
ام من خلقنا من الملائكة والسموات والارض وغلب ما يعقل على ما لا يعقل انا خلقناهم
من طين لازب معناه وانهم ان قالوا نحن اشد فاعلمهم ان الله خلقهم من طين فكيف

صاروا

صاروا اشد قوة منهم والمراد ان آدم خلقه الله من طين وان هؤلاء نسله وذريته
فكانهم خلقوا منه وقال ابن عباس اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد بل عجبت يا محمد
من تكذيبهم اياك وهم يسخرون ومن ضم التاء فالمراد انه سبحانه امر نبيه ان يخبر
عن نفسه انه عجب من هذا القرآن حين اعطيه وسخر منه اهل الضلالة وتقديره
قل بل عجبت عن المبرد وقيل يسخرون اي يهزؤون بدعائك اياهم الى الله والنظر
في دلائله واياته وروي عن الاعمش عن ابي وائل قال قراءة عبد الله بل عجبت بالضم
فقال شريح ان الله لا يعجب انما يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرته لابراهيم فقال ان شريحا
كان معجبا برايه ان عبد الله قرا بل عجبت وعبد الله اعلم من شريح فاضافة العجب
الى الله ورد الخبر به كقوله عجب ربكم من شاب ليس له صبوة وعجب ربكم من الّكم وقنوطكم
ويكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى ومعناه الاستحسان والخبر عن تمام الرضى وعجب
مما يكره ومعناه الانكار له والذم واذا ذكروا لا يذكرون اي واذا خوفوا بالله ووعظوا
بالقرآن لا ينتفعون بذلك ولا يتعظون به واذا راوا اية من ايات الله تعالى
ومعجزة مثل انشقاق القمر وغيرها يستسخرون اي يستهزؤون ويقولون هذا عمل
السحرة ويسخروا ويستسخر بمعنى واحد وقيل معناه يستدعي بعضهم بعضا الى اظهار السخرية
وقيل معناه يعتقدونه سخرية كما تقول استقبحه اي اعتقده قبيحا واستحسنه اعتقده
حسنا وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي وقالوا لتلك الاية ما هذا الا سحر ظاهر ومموه
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون بعد ذلك ومحشورون اي كيف نبعث بعد ما
صرنا ترابا او اباؤنا الاولون الذين تقدمونا بهذه الصفة اي او يبعث اباؤنا بعد ما
صاروا ترابا يعنون ان هذا لا يكون ومن فتح الواو جعلها واو العطف دخل عليها
همزة الاستفهام كقوله او امن اهل القرى ثم قال سبحانه لنبيه قل لهم نعم تبعثون وانتم
داخرون صاغرون اشد الصغار ثم ذكر سبحانه ان بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال
فانما هي اي فانما قصة البعث زجرة واحدة اي صيحة واحدة من اسرافيل يعني نفخة البعث
والزجرة الصرفة عن الشيء بالمخافة فكانهم زجروا عن الحال التي هم فيها الى المحشر فاذا هم ينظرون

الى البعث الذي كذبوا به وقيل معناه فاذا هم احيا ينظرون ما ينزل بهم من عذاب الله
وقالوا اي ويقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان يا ويلنا من العذاب
وهو كلمة يقولها القائل عند الوقوع في الهلكة ومثله يا حسرتنا ونداء مثل
هذه الاشياء على وجه التنبيه على عظم الحال هذا يوم الدين اي يوم الحساب
عن ابن عباس وقيل يوم الجزاء عن قتاده والمراد انهم اعترفوا بالحق خاضعين
نادمين قوله تعالى هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ
إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ
لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ عشر آيات المعنى ثم اخبر سبحانه
عن حالهم ايضا فقال هذا يوم الفصل بين الخلائق والحكم وتمييز الحق من الباطل
على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه وذلك بان يدخل المطيع الجنة على وجه الاكرام و يدخل
العاصي النار على وجه الاهانة الذي كنتم يا معشر الكفار به تكذبون وهذا كلام بعضهم
لبعض وقيل بل هو كلام الملائكة ثم حكى سبحانه ما يقوله للملائكة بان قالوا احشروا
الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي اي اجمعوا من كل جهة وقيل ظلموا انفسهم بمخالفة
امر الله سبحانه وتكذيبهم الرسل وقيل ظلموا الناس وازواجهم اي واشباههم
عن ابن عباس ومجاهد ومثله وكنتم ازواجا ثلثة اي اشباها وامثالا ثلثة فيكون
المعنى ان صاحب الزنا يحشر مع اصحاب الزنا وصاحب الخمر مع اصحاب الخمر وغيرهم
وقيل واتباعهم من الكفار عن قتاده وقيل وازواجهم المشركات كانه قال احشروا
المشركين والمشركات عن الحسن وقيل واتباعهم على الكفر ونظراءهم وضرباءهم فاهدوهم
الى صراط الجحيم انما عبر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلا من الهداية الى الجنة
كقوله فبشرهم بعذاب اليم من حيث ان هذه البشارة وقعت بدلا لهم من البشارة
بالنعيم وقفوهم اي قفوا هؤلاء الكفار واحبسوهم عن دخول النار انهم مسئولون

روي انس بن مالك

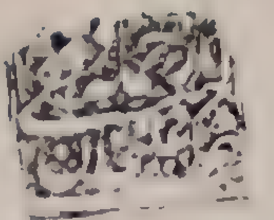
روي انس بن مالك مرفوعا انهم مسئولون عما دعوا اليه من البدع مسئولون وقيل عن اعمالهم وخطاياهم
عن الضحاك وقيل عن قول لا اله الا الله عن ابن عباس وقيل عن ولاية علي بن ابي طالب عن ابي سعيد الخدري
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا حدثناه عن الحاكم ابي القسم الحسكاني بالاسناد يقال
اوقفت انا ووقفت غيري وبعض بني تميم يقول وقفت الدابة والدار وانشد الفراء شعر ترى الناس
ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن اومانا الى الناس وقفوا ما لكم لا تناصرون اي لا تتناصرون
وهذا على وجه التوبيخ والتبكيت اي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا في دفع العذاب والتقدير ما لكم غير
متناصرين ثم بين سبحانه انهم لا يقدرون على التناصر فقال بل هم مستسلمون اي منقادون خاضعون و
معنى الاستسلام ان يلقي بيده غير منازع فيما يراد منه واقبل بعضهم على بعض يتساءلون هذا اخبار
منه سبحانه ان كل واحد منهم يقبل على صاحبه الذي اغواه فيقول له على وجه التانيب والتعنيف لم غررتني
ويقول ذاك لم قبلت مني وقيل يقبل الاتباع على المتبوعين على الاتباع يتلاومون ويتعاتبون
ويتخاصمون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي يقول الكفار لغواتهم انكم كنتم تاتوننا من جهة
النصيحة واليمن والبركة فلذلك اقررنا لكم بتيمن ما جاء على اليمين عن الجبائي وقيل معناه
كنتم تاتوننا من قبل الدين فتروننا ان الحق والدين ما تضلوننا به واليمين عبارة عن الحق
عن الزجاج وقيل معناه كنتم تاتوننا من قبل القوة والقدرة فتخدعوننا من اقوى الوجوه
ومنه قوله فراغ عليهم ضربا باليمين عن الفراء قالوا في جواب ذلك ليس الامر كما قلتم بل لم تكونوا
مؤمنين مصدقين بالله وما كان لنا عليكم من سلطان اي قدرة وقوة فنجبركم على الكفر
فلا تستطيعوا اللوم عن انفسكم فانه لازم لكم ولاحق بكم بل كنتم قوما طاغين اي خارجين
عن الحق باغين تجاوزتم الحد الى افحش الظلم واعظم المعاصي قوله تعالى فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ
رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللّٰهُ يَسْتَكْبِرُونَ
وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ
إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ
عشر آيات المعنى هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين قالوا وما كان لنا عليكم من سلطان

ثم قالوا فحق علينا قول ربنا اى وجب علينا قول ربنا بانا لانومن و نموت على الكفر او وجب علينا
العذاب الذى نستحقه على الكفر والاغواء انا لذايقون العذاب اى ندركه كما ندرك
الطعوم بالمذوق ثم يعترفون بانهم اغووهم بان قالوا فاغويناكم اى اضللناكم
عن الحق ودعوناكم الى الغى انا كنا غاوين اى ضالين فى الضلال والغى وقيل فخيبنا
انا كنا خائبين فانهم يومئذ اى فى ذلك اليوم فى العذاب مشتركون واشتراكهم
اجتماعهم فيه والمعنى ان ذلك لتخاصم اذا اجتمع الاتباع والمتبوعون كلهم فى
النار الاتباع بقبول الكفر والمتبوعون بالكفر والاغواء انا كذلك نفعل بالمجرمين
اى الذين جعلوا لله شركاء عن ابن عباس وقيل معناه انا مثل ما فعلنا بهولاء
نفعل بجميع المجرمين ثم بين سبحانه انما فعل ذلك بهم من اجل انهم كانوا اذا قيل
لهم لا اله الا الله مستكبرون عن قبول ذلك ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر
مجنون اى يانفون من هذه المقالة ويستخفون بمن يدعوهم اليها ويقولون لا ندع
عبادة الاصنام لقول شاعر مجنون يعنون النبى صلى الله عليه وآله يدعونا الى الضلالة فها
وقيل لاجل شاعر عن ابى مسلم فرد الله لهذا القول عليهم وكذبهم بان قال بل جاء بالحق اى ليس
بشاعر ولا مجنون ولكن اتى بما تقبله العقول من الدين الحق وصدق المرسلين اى حقق
ما اتى به المرسلون من بشاراتهم والكتاب الحق بدين الاسلام وقيل صدقهم بانه اتى
بمثل ما اتوا به من الدعاء الى التوحيد وقيل صدقهم بالنبوة ثم خاطب الكفار فقال
انكم ايها المشركون لذايقوا العذاب الاليم على كفركم و نسبتكم اياه الى الشعر والجنون
وما تجزون الا ما كنتم تعملون اى على قدر اعمالكم ثم استثنى من جملة المخاطبين
المعذبين فقال الا عباد الله المخلصين الذين اخلصوا العبادة لله واطاعوه
فى كل ما امرهم به فانهم لا يذوقون العذاب وانما ينالون الثواب قوله تعالى اولئك لهم رزق
معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس
من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم
قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون

عشر آيات

عشر آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم ينزِفون بكسر الزاى وكذلك فى سورة الواقعه
الا عاصم فانه قرا ههنا بفتح الزاى والباقون بفتح الزاى وكذلك فى سورة الواقعة الا عاصم
فانه قرا ههنا بفتح الزاى وهناك بكسر الزاى الحجة قال ابو على انزف يكون على معنيين احدها
بمعنى سكر قال شعر لعمرى لئن انزفتم او صحوتم ٭ لبئس الندامى انتم آل ابجرا فمقابلته بصحوتم
يدل على انه اراد سكرتم والاخر بمعنى انفد شرابه فمعنى انزف صار ذا انفاد لشرابه
كما ان الاول معناه النفاذ من عقله فمن قرا ينزِفون يجوز ان يريد به لا يسكرون
عن شربها ويجوز ان يريد لا ينفد ذلك عندهم كما ينفد شراب اهل الدنيا ومن
قرا ينزَفون بفتح الزاى فانه من نزف الرجل فهو منزوف ونزيف اذا ذهب عقله بالسكر
اللغة قال الاخفش كل كاس فى القرآن فالمراد به الخمر معين يحتمل ان يكون فعيلا من امعن
فى الامر اذا اشتد دخوله فيه وهو الماء الشديد الجرى ويحتمل ان يكون مفعولا من عين
الماء لانه يجرى ظاهرا للعين واللذة الذيذة يقال شراب لذ ولذيذ والغول فساد يلحق
الشئ خفيا يقال اغتاله اغتيالا وغاله غولا ومنه الغيلة وهى القتل سرا قال الشاعر
شعر وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول والقاصرات جمع قاصرة وهن
اللاتى يقصرن طرفهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم والقصر معناه الحبس والعين النجل العيون
الحسان العيون والمكنون المصون من كل شئ قال الشاعر شعر وهى زهراء مثل لولوة الغواص
ميزت من جوهر مكنون المعنى ثم بين سبحانه ما اعده لعباده المخلصين من انواع النعيم
فقال اولئك لهم رزق معلوم جعل لهم التصرف فيه وحكم لهم به فى الاوقات المستانفة وفى كل وقت
سببا معلوما مقدارا ثم فسر ذلك الرزق بان قال فواكه وهى جمع فاكهة تقع على الرطب واليابس
من الثمار كلها يتفكهون بها ويتنعمون بالتصرف فيها وهم مكرمون مع ذلك معظمون
مبجلون وضد الاكرام الاهانة فى جنات النعيم اى وهم مع ذلك فى بساتين فيها انواع
النعيم يتنعمون بها على سرر وهى جمع سرير متقابلين يستمتع بعضهم بالنظر الى وجوه
بعض ولا يرى بعضهم قفا بعض يطاف عليهم بكاس وهو الاناء بما فيه من الشراب من معين
اى من خمر جارية فى انهار ظاهرة العيون عن الحسن وقتادة والضحاك والسدى وقيل شديدة

الجرى ثم وصف الخمر فقال بيضاء وصفها بالبياض لانها في نهاية الرقة مع الصفاء واللطافة
النورانية التي لها قال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن وذكر ان قراءة ابن مسعود صفراء
فيحتمل ان تكون بيضاء الكاس صفراء اللون لذة اى لذيذة للشاربين ليس فيها ما في
خمر الدنيا من المرارة والكراهة لا فيها غول اى لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم
منها وجع في البطن ولا في الراس ويقال للوجع غول لانه يودى الى الهلاك ولا هم عنها
ينزفون اى يسكرون ولا ينزفون اى لا تفنى خمورهم وتحمل هذه القراءة على هذه لزيادة
الفائدة على القراءة الاولى فيحمل الغول على الصداع والوجع واذى الخمار وقال ابن عباس
معناه ولا يبولون قال وفي الخمر اربع خصال السكر والصداع والقىء والبول فنزه
الله سبحانه خمر الجنة عن هذه الخصال وعندهم قاصرات الطرف قصرن طرفهن
على ازواجهن فلا يردن غيرهم لحبهن اياهم وقيل معناه لا يفتحن اعينهن دلالا وغنجا عين
اى واسعات العيون والواحدة عيناء وقيل هى الشديدة بياض العين الشديدة
سوادها عن الحسن كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام مكنة بالريش من الغبار
والريح عن الحسن وابن زيد وفي معناه قول امرء القيس شعر كبكر المقاناة البياض بصفرة
غذاها نمير الماء غير محلل وقيل شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر وقبل ان تمسه
الايدى والمكنون المصون ثم قال فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون يعنى اهل الجنة يسال
بعضهم بعضا عن احوالهم من حين بعثوا الى ان ادخلوا الجنة فيخبر كل صاحبه بانعام الله
عليه قوله تعالى قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَئِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ أَفَمَا نَحْنُ
بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
عشر آيات القراءة في الشواذ قراءة ابن عباس وابن محيصن هل انتم مطلعون بالتخفيف
فاطلع اللغة الاطلاع الاقبال فعلى هذا يكون معناه فهل انتم مقبلون فاقبل واطلع
يكون مسندا الى المصدر اى فاطلع الاطلاع كما يقال قد قيم القيام الاعراب الا موتتنا



الاولى نصب بقوله بميتين انتصاب المصدر بالفعل الواقع قبله كما تقول ما ضربت الا ضربة
واحدة والتقدير انا لا نموت الا موتتنا الاولى المعنى هذا تمام الحكاية عن احوال اهل الجنة
واقبال بعضهم على بعض في المسائلة عن الاخبار والاحوال قال قائل منهم اى من اهل الجنة
انى كان لى قرين في دار الدنيا اى صاحب يختص بى اما من الانس على قول ابن عباس
او من الشياطين على قول مجاهد يقول لى على وجه الانكار على والتهجين لفعلى ائنك
لمن المصدقين بيوم الدين وبالبعث والنشور والحساب والجزاء والاستفهام
هنا على وجه الانكار ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اى مجزيون محاسبون
من قولهم كما تدين تدان والمعنى ان ذلك القرين كان يقول لى في الدنيا على طريق
الاستبعاد والاستنكار انبعث بعد ان صرنا ترابا وعظاما بالية ونجزى على اعمالنا
اى ان هذا لا يكون ابدا وهذا ابلغ في النفى من ان نقول لا نبعث ولا نجازى قال
هل انتم مطلعون اى ثم قال هذا المومن لاخوانه في الجنة هل انتم مطلعون على موضع
من الجنة يرى منه هذا القرين يقال اطلع على كذا اذا اشرف عليه فالمعنى هل تؤثرون
اى تروا مكان هذا القرين في النار وفي الكلام حذف اى فيقولون له نعم اطلع
انت فانت اعرف بصاحبك قال الكلبى وذلك لان الله تعالى جعل لاهل الجنة كوة ينظرون
منها الى النار فاطلع فراه اى فاطلع هذا المومن فراى قرينه في سواء الجحيم اى وسط
النار قال اى فقال له المومن تالله ان كدت لتردين هذه ان المخففة من الثقيلة
بدلالة مصاحبة لام الابتداء لها في قوله لتردين اقسم بالله على وجه التعجب انك كدت
تهلكنى بما قلت لى ودعوتنى اليه حتى يكون هلاكى كهلاك المتردى من شاهق ومنه
قوله وما يغنى عنه ماله اذا تردى في النار ولولا نعمة ربى على بالعصمة واللطف
والهداية حتى امنت لكنت من المحضرين معك في النار ولا يستعمل احضر مطلقا الا في
الشر قال قتادة فوالله لولا ان الله عرفه اياه لما كان يعرفه لقد تغير حبره وسبره
اى حسنه وسحناؤه افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين معناه
ان هذا المومن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ والتقريع اليس كنت تقول في الدنيا

انالانموت الا الموتة التي تكون في الدنيا ولا نعذب فقد ظهر الامر بخلاف ذلك وقيل
ان هذا من قول اهل الجنة بعضهم لبعض على وجه اظهار السرور بدوام نعيم الجنة
ولهذا عقبه بقوله ان هذا لهو الفوز العظيم معناه افما نحن بميتين في هذه الجنة
الا موتتنا التي كانت في الدنيا وما نحن بمعذبين كما وعدنا الله تعالى ويريدون
به التحقيق لا الشك وانما قالوا هذا القول لان لهم في ذلك سرورا وفرحا مضاعفا
وان كانوا قد عرفوا انهم سيخلدون في الجنة وهذا كما ان الرجل يعطي المال الكثير
فيقول مستعجبا كل هذا المال وهو يعلم ان ذلك له وهذا كقوله شعر ابطحاء
مكة هذا الذي اراه عيانا وهذا انا قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون
اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها
فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم
لالى الجحيم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون عن ابات
اللغة النزول الريع والفضل يقال لهذا الطعام نزل ونزول وقيل هي الانزال
التي تقوم بها فيقيم الابدان وتبقى عليها الارواح يقال اقمت للقوم نزلهم
اي ما يصلح ان ينزلوا عليه من الغذاء وزعم قطرب ان الزقوم شجرة مرة تكون
بتهامة قال ابو مسلم وظاهر التلاوة يدل على ان العرب كانت لا تعرفها فلذلك
فربعد ذلك والطلع حمل النخلة سمي بذلك لطلوعه والشوب خلط الشيء
بما ليس منه وهو شر منه والحميم الحار الذي يدني من الاحراق المهلك قال شعر
احم الله ذلك من لقاء احاد احاد في الشهر الحلال اي ادناه وحمم ريش الفرخ حتى
يدنو من الطيران والحميم الصديق القريب اي الداني من القلب هرع الرجل
واهرع اذا استحث فاسرع قال الانهري الاهراع الاسراع والمهرع الحريص المعنى ثم قال
سبحانه في تمام الحكاية عن قول اهل الجنة لمثل هذا فليعمل العاملون اي لمثل الثواب
والفوز والفلاح فليعمل العاملون في دار التكليف وقيل ان هذا من قول الله تعالى

اى لمثل هذا

اى لمثل هذا النعيم الذي ذكرناه وهو من قوله لهم رزق معلوم الى قوله بيض مكنون
فليعمل العاملون وهذا ترغيب في طلب الثواب بالطاعة اي من كان يريد ان يعمل النفع
يرجوه فليعمل لمثل هذا النفع العظيم اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اي اذلك الذي
ذكرناه من قرى اهل الجنة وما اعد لهم خير في باب الانزال التي يتقوون بها يمكن معها
الاقامة ام نزل اهل النار فيها عن الزجاج وقيل معناه اسبب هذا المودي اليه خير ام
ذلك لان الزقوم لا خير فيه وقيل انما جاز ذلك لانهم لما عملوا بما ادى اليه فكانهم قالوا
فيه خير وقيل انما قال خير على وجه المقابلة فهو مثل قوله اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا واحسن مقيلا وهذا يقول الرجل لعبده ان فعلت كذا اكرمتك وان فعلت كذا
ضربتك هذا خير ام ذلك وان لم يكن في الضرب خير والزقوم ثمر شجرة منكرة جدا
من قولهم تزقم هذا الطعام اذا تناوله على تكره ومشقة شديدة وقيل الزقوم شجرة
في النار يقتاتها اهل النار ثمرة مرة خشنة اللمس منتنة الرايحة وقيل انها معروفة
من شجر الدنيا تعرفها العرب وقيل انها لا تعرف فقد روي ان قريشا لما سمعت هذه الاية
قالت ما نعرف هذه الشجرة قال ابن الزبعرى الزقوم بكلام البربر التمر والزبد وفي رواية
بلغة اليمن فقال ابو جهل لجاريته يا جارية زقمينا فاتته الجارية بتمر وزبد فقال لاصحابه
تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد فزعم ان النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر فانزل
الله سبحانه انا جعلناها فتنة للظالمين اي خبرة لهم افتتنوا وكذبوا بكونها فصارت
فتنة لهم عن قتادة والزجاج وقيل ان المراد بالفتنة العذاب اي جعلناها شدة
عذاب لهم من قوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون عن الجبائي وابي مسلم انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم اي ان الزقوم شجرة تنبت في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
عن الحسن ولا يبعد ان يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة في النار من جنس النار او من جوهر
لا تاكله ولا تحرقه كما انها لا تحرق السلاسل والاغلال وكما لا تحرق عقاربها وحياتها وكذلك
الضريع وما اشبه ذلك طلعها كانه رؤس الشياطين يسال عن هذا فيقال كيف شبه
طلع هذه الشجرة برؤس الشياطين وهي لا تعرف وانما يشبه الشيء بما يعرف واجيب بثلاثة

اوجه احدها ان رؤوس الشياطين ثمرة يقال لها الاستن واياه عنى النابغة شعر
تحيد عن استن سود اسافله * مثل الاماء اللواتى تحمل الحزما * وهذه الشجرة تشبه بنى آدم
قال الاصمعى ويقال له الصوم وانشد شعر موكل بشدوف الصوم يرقبه * من المغارم مهضوم
الحشا وزم * يصف وعلا يطن هذا الشجر فناصيين فهو يرقبه والشدوف الشخوص واحدها
شدف وثانيها ان الشيطان جنس من الحياة فشبه سبحانه طلع تلك الشجرة برؤس تلك الحياة
انشد الفراء شعر عنجرد تحلف حين احلف * كمثل شيطان الحماط اعرف * اى له عرف وانشد المبرد
شعر وفى البقل ان لم يدفع الله شره * شياطين يعدو بعضهن على بعض * وثالثها
ان قبح صورة الشيطان متصور فى النفس لذلك يقولون لما استقبحوه جدا كانه
شيطان فشبه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرت بشاعته فى قلوب الناس قال الراجز
ابصرتها تلتهم الثعبانا شيطانة تزوجت شيطانا وقال ابو النجم الراس قمل كله وصئبان
وليس فى الرجلين الا خيطان وهى التى يفزع منها الشيطان وقال امرؤ القيس شعر اتقتلنى
والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كانياب اغوال * فشبه اسنته بانياب الاغوال وان لم يقل
احدا نراى الغول وهذا قول ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى وقال الجبائى ان الله تعالى
يشوه خلق الشيطان فى النار حتى انه لو راه راى من العباد لاستوحش منهم فلذلك
شبه برؤوسهم فانهم لاكلون منها يعنى اهل النار انهم لياكلون من ثمرة تلك الشجرة
فمالئون منها البطون اى يملؤن بطونهم منها لشدة ما يلحقهم من الم الجوع وقد
روى ان الله تعالى يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون الى مالك
فيحملهم الى تلك الشجرة وفيهم ابو جهل فياكلون منها فتغلى بطونهم كغلى الحميم فيستسقون
فيسقون شربة من الماء الحار الذى بلغ نهايته فى الحرارة فاذا قربوها من وجوههم
فذلك قوله تشوى الوجوه فاذا وصل الى بطونهم صهر ما فى بطونهم كما قال سبحانه
يصهر به ما فى بطونهم والجلود وذلك طعامهم وشرابهم فذلك قوله ثم ان لهم عليهم زيادة
على شجرة الزقوم لشوبا من حميم اى خلطا ومزاجا من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا
الشراب وقيل انهم يكرهون على ذلك عقوبة لهم ثم ان مرجعهم بعد اكل الزقوم وشرب

الحميم لالى الجحيم وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الابل
الماء ثم يردون الى الجحيم ويدل على ذلك قوله يطوفون بينها وبين حميم آن والجحيم النار
المتوقدة والمعنى ان الزقوم والحميم طعامهم وشرابهم والجحيم المسعرة منقلبهم ومأوا
هم انهم الفوا اباهم ضالين اى ان هؤلاء الكفار صادفوا اباهم ذاهبين عن الحق
والذين فهم على آثارهم يهرعون فى الضلال اى يقلدونهم ويتبعونهم اتباعا فى سرعة
وقيل معناه يسرعون عن ابن عباس والحسن وقيل يعملون بمثل اعمالهم عن الكلبى وقيل
يستحثون من خلفهم عن ابى عبيدة قوله عز وجل ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد
ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين
ولقد نادينا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته
هم الباقين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين اثنتا عشرة آية المعنى ثم
اقسم سبحانه فقال ولقد اللام هى التى تدخل فى جواب القسم وقد للتاكيد ضل قبلهم اى قبل
هؤلاء الكفار الذين هم فى عصر النبى صلى الله عليه وآله عن طريق الهدى واتباع الحق
اكثر الاولين من الامم الخالية والاكثر هو الاعظم فى العدد والاول قبل كل شئ هو الله
سبحانه لان كل ما سواه موجود بعده وفى هذه الاية دلالة على ان اهل الحق فى كل زمان
كانوا اقل من اهل الباطل ولقد ارسلنا فيهم منذرين من الانبياء والرسل يخوفونهم
من عذاب الله تعالى ويحذرونهم معاصيه فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم استثنى
من المنذرين فقال الا عباد الله المخلصين الذين قبلوا من الانبياء واخلصوا
عباداتهم لله تعالى فان الله خلصهم من ذلك العذاب ووعدهم بجزيل الثواب ولقد
نادانا نوح بعد ما يئس من ايمان قومه لننصره عليهم وذلك قوله انى مغلوب فانتصر
فلنعم المجيبون نحن لنوح فى دعائه اجبناه الى ما سأل وخلصناه من اذى قومه باهلاكهم
وقيل هو على العموم اى فلنعم المجيبون نحن له دعا ونجيناه واهله من الكرب العظيم
اى المكروه الذى كان ينزل به من قومه والكرب كل غم يصل حره الى الصدر واصل النجاة

من النجوه للمكان المرتفع فهى المدفع من الهلاك واهله هم الذين نجوا معه فى السفينة وجعلنا
ذريته هم الباقين بعد الغرق فالناس كلهم بعد نوح من ولد نوح عن ابن عباس وقتاده
فالعرب والعجم من اولاد سام بن نوح والترك والصقالبه والخزر وياجوج وماجوج
من اولاد يافث بن نوح والسودان من اولاد حام بن نوح قال الكلبى لما خرج نوح
من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساوه وتركنا
عليه فى الاخرين اى تركنا عليه ذكرا جميلا واثنينا عليه فى امة محمد صلى الله عليه وآله فحذف
عن ابن عباس ومجاهد وقتاده ومعنى تركنا ابقينا قال الزجاج معناه تركنا
عليه الذكر الجميل الى يوم القيمة وذلك الذكر قوله سلام على نوح فى العالمين
اى تركنا عليه ان يصلى عليه الى يوم القيمة فكانه قال وتركنا عليه التسليم فى الاخرين ثم
فسر التسليم بقوله سلام على نوح فى العالمين وقال الفرا تركنا عليه قولا وهو ان يقال
فى اخر الامم سلام على نوح فى العالمين قال الكلبى معناه سلامة على نوح وهذا هو
السلام المراد بقوله اهبط بسلام منا وبركات عليك انا كذلك نجزى المحسنين
اى جزيناه ذلك الثناء الحسن فى العالمين باحسانه عن مقاتل وقيل ان معناه مثل ما
فعلنا بنوح نجزى كل من احسن بافعال الطاعات وتجنب المعاصى وكافيهم باحسانهم
انه من عبادنا المومنين يعنى نوحا عليه السلام وهذه الاية تتضمن مدح المومنين حيث
خرج من بينهم مثل نوح ع ثم اغرقنا الاخرين اى من لم يومن به والمعنى ثم اخبركم
انى اغرقت الاخرين النظم الوجه فى اتصال قصه نوح والانبياء عليهم السلام بما قبلها
تسليه النبى صلى الله عليه وآله فى كفر قومه بان حالهم معه شبيهه بحال من تقدم من الامم
مع انبيائهم وتحذير القوم عن سلوك مثل طريقتهم لئلا يعاقبوا مثل عقوبتهم قوله
عز وجل وَاِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَاِبْرَاهِيمَ اِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ اِذْ قَالَ لِاَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا
تَعْبُدُونَ اَئِفْكًا اٰلِهَةً دُونَ اللّٰهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَنَظَرَ نَظْرَةً
فِى النُّجُومِ فَقَالَ اِنِّى سَقِيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ اِلٰى اٰلِهَتِهِمْ فَقَالَ اَلَا تَاْكُلُونَ
مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ فَاَقْبَلُوا اِلَيْهِ يَزِفُّونَ قَالَ اَتَعْبُدُونَ

ما تنحتون

مَا تَنْحِتُونَ وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَاَلْقُوهُ فِى الْجَحِيمِ فَاَرَادُوا
بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْاَسْفَلِينَ وَقَالَ اِنِّى ذَاهِبٌ اِلٰى رَبِّى سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِى
مِنَ الصَّالِحِينَ ثمانى عشر آيات القراة قرا حمزه وحده يزفون بضم الياء والباقون
بفتحها وفى الشواذ قراة الحسن فراغ عليهم سفقا وقراة عبد الله بن زيد يزفون
خفيفه الخاء الحجة زفت الابل اذا اسرعت وقراة حمزه يزفون اى يحملون غيرهم
على الزفيف قال الاصمعى ازففت الابل حملتها على ان تزف وهو سرعة المشى ومقاربة
الخطو والمفعول محذوف على قراته وقيل ايضا ازف لغة فى زف واما يزفون بالتخفيف
فذهب قطرب الى انها تخفيف يزفون كقوله وقرن فى بيوتكن اى اقررن قال الهذلى
وزفت الشول من برد العشى كما زف النعام الى حفانه الروح والظاهر ان يزفون من وزف
يزف مثل وعد يعد واما قوله سفقا باليمين فهو من قولهم سفقت الباب وصفقته
والصاد اعرف وروى عن الحسن بالصاد ايضا اللغة الشيعة الجماعة التابعه لرئيسهم
وصار بالعرف عبارة عن شيعة على بن ابى طالب عليه السلام الذين كانوا معه على اعدائه
وبعده مع من قام مقامه من ابنائه روى ابو بصير عن جعفر ع قال ليهنكم الاسم قلت
وما هو قال الشيعة قلت ان الناس يعيروننا بذلك قال اما تسمع قول الله سبحانه
وان من شيعته لابراهيم وقوله فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه
والروغ الميل من جهة الى جهة يقال راغ يروغ روغا وروغانا اى حاد والرواغ الحياد
قال عدى بن زيد شعر حين لا ينفع الرواغ ولا ينفع الا المصادق النحرير الاعراب الهه
بدل من قوله ائفكا فكا مفعول يريدون فما ظنكم ما مبتداء وظنكم خبره وقوله
ضربا مصدر فعل محذوف التقدير يضربهم ضربا والباء فى قوله باليمين يتعلق بالفعل
المحذوف يزفون حال من اقبلوا والله خلقكم فى موضع نصب على الحال من يعبدون و
التقدير اتعبدون ما تنحتون مخلوقين هب لى مفعوله محذوف اى ولدا المعنى ثم اتبعه
سبحانه بقصه ابراهيم فقال وان من شيعته لابراهيم اى وان من شيعة نوح ابراهيم
يعنى انه على منهاجه وسنته فى التوحيد والعدل واتباع الحق عن مجاهد وقيل ان معناه

وان من شيعته لابراهيم كما قال انا حملنا ذريتهم اى ذرية من هو ابيهم فجعلهم ذرية
لهم وقد سبقوهم عن الفراء اذ جاء ربه بقلب سليم اى حين صدق الله وامن به بقلب خالص
من الشرك برى من المعاصى والغل والغش على ذلك عاش وعليه مات وقيل بقلب سليم
من كل ما سوى الله تعالى لم يتعلق بشى غيره عن ابى عبد الله عليه السلم اذ قال لابيه وقومه
حين راهم يعبدون الاصنام من دون الله على وجه التهجين لفعالهم والتقريع
لهم ماذا تعبدون اى اى شى تعبدون ائفكا الهة دون الله تريدون والافك اشنع
الكذب وافظعه واصله قلب الشى عن جهته التى له فلذلك كان الكذب كذبا وانما قال
الهة من اعتقاد المشركين وتوهمهم الفاسد فى الهية الاصنام لما اعتقدوا انها
تستحق العبادة ثم اكد التقريع بقوله دون الله تريدون اى تريدون عبادة الهة
دون عبادة الرحمن فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لان الارادة لا يصح
تعلقها الا بما يصح حدوثه والاجسام مما يصح ان يراد فما ظنكم برب العالمين اى يصنع
بكم مع عبادتكم غيره وقيل معناه كيف تظنون برب تاكلون رزقه وتعبدون غيره
وقيل معناه ما تظنون بربكم انه على اى صفة ومن اى جنس من اجناس الاشياء حتى
شبهتم به هذه الاصنام وفيه اشارة الى انه لا يشبه شيئا فنظر نظرة فى النجوم فقال
انى سقيم اختلف فى معناه على اقوال احدها انه عليه السلم نظر فى النجوم فاستدل بها على وقت
حمى تعتاده فقال انى سقيم اراد انه قد حضر وقت علته وزمان نوبتها فكانه قال انى
سا سقم لا محالة وحان الوقت الذى تعترينى فيه الحمى وقد يسمى المشارف للشى باسم الداخل
فيه قال الله سبحانه انك ميت وانهم ميتون ولم يكن نظره فى النجوم على حسب ما ينظره
المنجمون طلبا للاحكام ومثله قول الشاعر شعر اسهرى ما سهرت ام حكيم واقعدى
مرة لذلك وقومى وافتحى الباب فانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وثانيها
انه نظر فى النجوم كنظرهم لانهم كانوا يتعاطون علم النجوم واوهمهم انه يقول بمثل
قولهم فقال عند ذلك انى سقيم فتركوه ظنا منهم ان نجمه يدل على سقمه ويجوز ان يكون
الله تعالى اعلمه بالوحى انه سيسقمه فى وقت مستقبل وجعل العلامة على ذلك اما طلوع

نجم على وجه مخصوص فلما راى ابراهيم تلك الامارة قال انى سقيم تصديقا بما
اخبره الله تعالى وثالثها ان معناه نظر فى النجوم نظر تفكر فاستدل بها كما قصه
الله تعالى فى سورة الانعام على كونها محدثة غير قديمة ولا الهة واشار بقوله
انى سقيم على انه فى حال مهلة النظر وليس على تعيين من الامر ولا شفاء من العلم وقد
يسمى الشك بانه سقم كما يسمى العلم بانه شفاء وانما زال عنه هذا السقم عند زوال الشك
وكمال المعرفة عن ابى مسلم وهذا الوجه ضعيف لان سياق الاية يمنع منه فان قوله اذ جاء
ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون الى هذا الموضع من قصته يبين
انه عم لم يكن فى زمان مهلة النظر وانه كان كامل المعرفة وخالص اليقين والبصيرة
ورابعها ان معنى قوله انى سقيم القلب او الراى حزنا من اصرار القوم على عبادة الاصنام
وهى لا تسمع ولا تبصر ويكون على هذا معنى نظره فى النجوم فكرته فى انها محدثة مخلوقة
مدبرة وتعجبه كيف ذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى عبدوها ومما رواه العياشى
باسناده عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم انهما قالا والله ما كان سقيما وما كذب
فيمكن ان يحمل على احد الوجوه التى ذكرناها ويمكن ان يكون على وجه التعريض يعنى ان كل
من كتب عليه الموت فهو سقيم وان لم يكن به سقم فى الحال وما روى ان ابراهيم عليه السلام
كذب ثلاث كذبات قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله فى سارة انها
اختى فيمكن ان يحمل ايضا على المعاريض اى سا سقم وفعله كبيرهم على ما ذكرناه فى موضعه
وسارة اخته فى الدين وقد ورد فى الخبر ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب والمعاريض
ان يقول الرجل شيئا يقصد به غيره فيفهم منه غير ما يقصده ولا يكون ذلك كذبا
فان الكذب قبيح لعينه ولا يجوز ذلك على الانبياء لانه يرفع الثقة بقولهم جل انبيا
الله واصفياؤه عن ذلك وقوله فتولوا عنه مدبرين اخبار عن قومه انهم لما سمعوا
قوله انى سقيم تركوه واعرضوا عنه وخرجوا الى عيدهم فراغ الى الهتهم معناه فمال
الى اصنامهم التى كانوا يدعونها الهة فقال الا تاكلون خاطبها وان كانت جمادا
على وجه التهجين لعابديها وتنبيههم على ان من لا يتكلم ولا يقدر على الجواب فكيف

تصح عبادتها وكانوا صنعوا للاصنام طعامًا تقربا اليها وتبركا بها فلما لم يجيبوه قال ما لكم
لا تنطقون زيادة في تهجين عابديها كانهم حاضرون لها اي ما لكم لا تجيبون وفي هذا
تنبيه على انها جماد لا تاكل ولا تنطق فهي اخس الاشياء واقلها فراغ عليهم ضربا باليمين
اي فمال على الاصنام يضربها ويكسرها باليد اليمنى لانها اقوى على العمل عن
الربيع بن انس وقيل المراد باليمين القوة كما في قوله تلقاها عرابة باليمين عن الفراء
وهو قول السدي وقيل معناه بالقسم الذي سبق منه وهو قوله تالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون اي اقبلوا بعد الفراغ من عيدهم الى ابراهيم ع
يسرعون عن الحسن وابن زيد وقيل يزفون زفيف النعام وهو حال بين المشي
والعدو عن مجاهد وفي هذا انهم اخبروا بصنيع ابراهيم باصنامهم فقصدوه
مسرعين وحملوه الى بيت اصنامهم وقالوا له انت فعلت هذا بالهتنا فاجابهم على
وجه الحجاج عليهم بان قال اتعبدون ما تنحتون فهو استفهام معناه الانكار
والتوبيخ اي كيف يصح ان يعبد الانسان ما يعمله بيده فانهم كانوا ينحتون الاصنام
بايديهم والله خلقكم وما تعملون اي وخلق ما عملتم من الاصنام فكيف تدعون
عبادته وتعبدون معمولكم وهذا كما يقال فلان يعمل الحصير وهذا الباب من عمل
فلان النجار قال الحسن معناه وخلق اصل الحجارة التي يعملون منها الاصنام وهذا
يجري مجرى قوله تلقف ما يافكون وقوله تلقف ما صنعوا في انه اراد المنحوت من
الجسم هنا دون العرض الذي هو النحت كما اراد هناك المافوك فيه والمصنوع فيه
من الحبال والعصي دون العرض الذي هو فعلهم وانما كانوا يعبدون الاصنام التي
هي الاجسام وقوله ما تنحتون هو ما يعملون في المعنى على ان مبنى الاية على التقريع
للكفار والازراء عليهم بقبيح فعلهم ولو كان معناه والله خلقكم وخلق عبادتكم لكانت
الاية الى ان يكون عذرا لهم اقرب من ان يكون لوما وتهجينا ولكان لهم ان يقولوا
لم توبخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل لذلك فتكون الحجة لهم لا عليهم
ولانه قد اضاف العمل اليهم بقوله تعملون فكيف تكون مضافا الى الله تعالى وهذا

تناقض

تناقض ولما لزمهم الحجة قالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة
طوله في السماء ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملاوه نارا وطرحوه فيها
ذلك قوله فالقوه في الجحيم قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم وقيل ان الجحيم
النار العظيمة وارادوا به كيدا اي حيلة وتدبيرا في اهلاكه واحراقه بالنار
فجعلناهم الاسفلين بان اهلكناهم ونجينا ابراهيم وسلمناه ورددنا كيدهم
عنه وقيل بان اشرفوا عليه فراوه سالما وتحققوا ان كيدهم لا ينفذ وعلموا
انهم مغلوبون وقال ابراهيم اني ذاهب الى ربي قال ابن عباس معناه مهاجرا الى ربي
اي اهجر ديار الكفار واذهب الى حيث امرني الله تعالى بالذهاب اليه وهي الارض
المقدسة وقيل اني ذاهب الى مرضات ربي بعملي ونيتي عن قتاده سيهدين اي
يهديني ربي فيما بعد الى طريق المكان الذي امرني بالمصير اليه او الى الجنة بطاعتي
اياه قال مقاتل هو اول من هاجر ومعه لوط وسارة الى الشام وانما قال
سيهدين ترغيبا لمن هاجر معه في الهجرة وتوبيخا لقومه فلما قدم الارض المقدسة
سال ابراهيم ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين اي ولدا صالحا من الصالحين
كما يقول اكلت من الطعام فحذف ولدا لدلالة الكلام عليه قوله عز وجل فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا
تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا
وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ
وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ثلث عشر آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم
ماذا تُري بضم التاء وكسر الراء والباقون بفتح التاء والراء وفي الشواذ قراءة
الاعمش والضحاك بضم التاء وفتح الراء وروي عن علي عليه السلام وابن مسعود وابن عباس

ومجاهد والضحاك والاعمش في جعفر بن محمد فلما سلما بغير الف ولام مشددة الجيم قال
ابو علي من فتح التاء فقال ماذا ترى كان مفعول ترى احد الشيئين اما ان يكون ماذا
في موضع نصب بانه مفعوله ويكون بمنزله اسم واحد واما ان تكون بمنزله الذى
فيكون مفعول ترى الهاء المحذوفه من الصلة ويكون ترى على هذا التي معناها
الراى وليس ادراك الحاسة كما تقول فلان يرى راى ابي حنيفه واذا جعلت ذا بمعنى الذى
صار تقديره ما الذى تراه فيصير ما في موضع ابتداء والذى في موضع خبره ويكون
المعنى ما المذهب تذهب اليه فيما القيت اليك هل تستسلم اليه وتتلقاه بالقبول او تاتي
غيره ذلك ومن قرأ ماذا ترى فيجوز ان يكون ما مع ذا بمنزله اسم واحد فيكونان في موضع
نصب المعنى اجلدا ترى على ما يحمل عليه ام خورا ويجوز ان يكون ما مبتداء وذا بمعنى الذى
ويعود اليه بالذكر المحذوف من الصله والفعل منقول من رأى زيد الامر واريته الشئ
الا انه من باب اعطيت فيجوز الاقتصار على احد المفعولين دون الاخر كما ان اعطيت كذلك
ولو ذكرت المفعول الاخر كان اريت زيدا خالدا وقال ابن جنى من قرأ ماذا ترى فالمعنى
ماذا تلقي اليك ويوقع في خاطرك ومن قرأ ماذا ترى فالمعنى ماذا تشير به وتدعوا
الى العمل بحسبه وهو من قولك ما رايك في كذا واما الذى يحضرك اياه الراى
والخاطر واما قوله اسلما فضا فرضا واطاعا واما سلما فمن التسليم اي سلما انفسهما
واراهما كالتسليم باليد لما امرا به ولم يخالفا ما اريد منهما من اجماع ابراهيم
الذبح واسحق او اسمعيل الصبر اللغة التل الصرع ومنه التل من التراب جمعه
تلول والتليل العنق لانه يتل والجبين عن يمين الجبهة وشمالها وللوجه جبينان
الجبهة بينهما والذبح بكسر الذال المهيا لان يذبح وبفتح الذال المصدر الاعراب
اختلف في جواب لما من قوله فلما اسلما فقيل هو محذوف وتقديره فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه فازا وظفرا بما ارادا وقيل جوابه ناديناه والواو زائدة نبيا
منصوب بانه حال من بشرناه وذو الحال اسحق المعنى ثم اخبر سبحانه انه استجاب
لابراهيم دعاؤه بقوله فبشرناه بغلام حليم اي بابن وقور عن الحسن وقال ومانعت الله تعالى

نحل عباده شيئا اجل من الحلم والحليم الذى لا يعجل في الامر قبل وقته مع القدرة عليه
وقيل الذى لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج وهذه البشارة تدل على ان الغلام سيبقى
حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم ثم اخبر سبحانه ان الغلام الذى بشر به ولد له
وترعرع بقوله فلما بلغ معه السعي اي شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم عن مجاهد
والمعنى بلغ الى ان ينصرف ويمشي معه ويعينه على اموره قالوا وكان يومئذ
ابن ثلاث عشر سنه وقيل يعني بالسعي العمل لله والعبادة عن الحسن والكلبي
وابن زيد ومقاتل قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى معنى
راى في الكلام على خمسة اوجه احدها ابصر والثاني علم نحو رايت زيدا عالما
والثالث ظن كقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا والرابع اعتقد نحو قوله
شعر وانا القوم لا نرى القتل سبة اذا ما راته عامر وسلول والخامس بمعنى
الراى نحو رايت هذا الراى واما رايت في المنام فمن رؤية البصر فمعنى الاية
ان ابراهيم قال لابنه اني ابصرت في المنام رؤيا تاويلها الامر بذبحك فانظر
ماذا ترى واي شئ ترى من الراى ولا يجوز ان يكون ترى ههنا بمعنى تبصر لانه
لم يشر الى شئ يبصر بالعين ولا يجوز ان يكون بمعنى علم او ظن واعتقد لان هذه
الاشياء تتعدى الى مفعولين وليس ههنا الا مفعول واحد مع استحالة المعنى
فلم يبق الا ان يكون من الراى قالوا اولى ان يكون الله تعالى قد اوحى اليه في حال
اليقظه وتعبده بان يمضي ما يامره بذلك في حال نومه من حيث ان منامات
الانبياء لا تكون الا صحيحة ولو لم يامره بذلك في حال اليقظه لما كان يجوز له ان يعمل
على ما يراه في المنام وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس منامات الانبياء وحي
وقال قتاده رؤيا الانبياء حق اذا راوا شيئا فعلوا وقال ابو مسلم رؤيا الانبياء
مع انها جميعها صحيحة ضربان احدهما ان ياتي الشئ كما راوا منه قوله سبحانه
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الاية والاخر
ان يكون عبارة عن خلاف الظاهر مما راوه في النوم وذلك كرؤيا يوسف الاحد عشر

كوكبا والشمس والقمر ساجدين وكان رويا ابراهيم من هذا القبيل لكنه لم يات ان يكون
ما اراه مما يلزمه به العمل على الحقيقه ولا يسعه غير ذلك فلما اسلما اعلمه الله سبحانه
انه صدق الرويا بما فعله وفدى ابنه من الذبح بالذبح قال يا ابت افعل ما تومر
اى ما امرت به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين اى ستجدنى بمشية الله
وحسن توفيقه ممن يصبر على الشدايد فى جنب الله وتسلم لامره فلما اسلما اى استسلما
لامر الله ورضيا به واطاعاه وقيل معناه سلم الاب ابنه لله وسلم الابن نفسه لله
وتله للجبين اى اضجعه على جبينه عن الحسن وقيل معناه وضع جبينه على الارض لئلا يرى
وجهه فيلحقه رقة الاباء عن ابن عباس رض روى انه قال اذا ذبحتنى وانا ساجد لا تنظر الى وجهى
فعسى ان ترحمنى فلا تذبحنى وناديناه ان يا ابراهيم تقديره وناديناه بان يا ابراهيم
اى بهذا الضرب من القول قد صدقت الرويا اى فعلت ما امرت به فى الرويا انا
كذلك نجزى المحسنين اى كما جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه نجزى من سلك طريقتهما
فى الاحسان بالاستسلام والانقياد لامر الله ان هذا لهو البلاء المبين ان هذا
لهو الامتحان الظاهر والاختبار الشديد وقيل ان هذا لهو النعمة الظاهرة
وتسمى النعمة بلاء بسببها المودى اليها كما يقال الاسباب الموت هى الموت لانها تودى
اليه واختلف العلماء فى الذبيح على قولين احدهما انه اسحق وروى ذلك عن على ع
وابن مسعود وقتاده وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمه وعطا والزهرى والسدى
والجبائى والقول الاخر انه اسمعيل عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبى
ومجاهد والربيع بن انس والكلبى ومحمد بن كعب القرظى وكلا القولين قد رواه اصحابنا
عن ايمتنا عليهم السلام الا ان الاظهر فى الروايات انه اسمعيل ويعضده قوله بعد قصة
الذبح وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ومن قال انه بشر بنبوة اسحق نبيا من الصالحين
فقد ترك الظاهر ولانه قال فى موضع اخر فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فبشره
باسحق وبانه سيولد له يعقوب فكيف يبشره بذرية اسحق ثم يامره بذبح اسحاق مع ذلك
وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال انا ابن الذبيحين ولا خلاف انه من ولد اسمعيل

والذبح

والذبيح الاخر هو عبد الله ابوه ووجه من قال انه اسحق ان اهل الكتابين اجمعوا
على ذلك وجوابه ان اجماعهم ليس بحجه وقولهم غير مقبول وروى محمد بن اسحق
عن محمد بن كعب القرظى قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فسالنى عن الذبيح فقلت
اسمعيل واستدللت بقوله وبشرناه باسحق نبيا فارسل الى رجل بالشام كان
يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فساله عمر بن عبد
العزيز عن ذلك وانا عنده فقال اسمعيل ثم قال والله يا امير المومنين ان اليهود
لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون ابوكم الذى كان من
امر الله فيه ما كان منهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق ابوهم وقال الاصمعى سالت
ابا عمرو بن العلا عن الذبيح اسحاق ام اسمعيل فقال يا اصيمع اين ذهب عنك عقلك
ومتى كان اسحاق وانما كان بمكه اسمعيل وهو بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكه لا شك
فيه وقد استدل بهذه الاية من اجاز نسخ الشى قبل فعله فقال ان الله تع نهاه
عن ذبحه بعد ان امره به وقد اجيب عن ذلك باجوبه احدها انه سبحانه
لم يامر ابراهيم بالذبح الذى هو فرى الاوداج وانما امره بمقدمات الذبح
من الاضجاع وتناول المديه وما يجرى مجرى ذلك والعرب قد تسمى الشى باسم
مقدماته ولهذا قال قد صدقت الرويا ولو كان امره بالذبح لكان انما صدق
بعض الرويا واما الفداء بالذبح فلما كان يتوقع من الامر بالذبح ولا يمتنع
ايضا ان يكون فدية عن مقدمات الذبح فان الفدية لا يجب ان تكون من جنس
المفدى الا ترى ان حلق الراس قد يفدى بدم ما يذبح وكذلك لبس الثوب
المخيط والجماع وغير ذلك وثانيها انه ع انما امر بصورة الذبح وقد فعله
لانه فرى اوداج ابنه ولكنه كلما فرى جزا منه وجاوزه الى غيره عاد فى الحال
ملتحما فان قلت ان حقيقه الذبح ذلك كان لنا ان نحمل الذبح على المجاز للدليل
الدال عليه وثالثها ان الله تعالى امره بالذبح الا انه سبحانه جعل على عنقه صفيحه
من نحاس فكلما امر ابراهيم السكين عليه لم تقطع او كان كلما اعتمد على السكين انقلب

على اختلاف الرواية فيه وهذا التاويل يسوغ اذا قلنا انه كان مامورا بما يجرى مجرى
الذبح ولا يسوغ اذا قلنا انه امر بحقيقة الذبح لانه يكون تكليفا لما لا يطاق ثم قال
سبحانه وفديناه بذبح عظيم الفدا جعل الشى مكان الشى لدفع الضرر عنه
والذبح هو المذبوح وما يذبح ومعناه انا جعلنا الذبح بدلا عنه كالاسير
يفدى بشى واختلف فى الذبح فقيل كان كبشا من الغنم عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك
وسعيد بن جبير عن ابن عباس هو الكبش الذى تقبل من هابيل حين قربه وقيل فدى
بوعل اهبط عليه من ثبير عن الحسن ولم سمى عظيما فيه خلاف فقيل لانه كان مقبولا عن مجاهد
وقيل لان قدر غيره من الكباش يصغر بالاضافة اليه وقيل لانه رعى فى الجنة اربعين خريفا
عن سعيد بن جبير وقيل لانه كان من عند الله كونه ولم يك عن نسل وقيل لانه فداء
عبد عظيم وتركنا عليه فى الاخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا
المومنين قد مضى تفسير ذلك وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اى ولدا نبيا من جملة
الانبياء الصالحين وهذا ترغيب فى الصلاح بان مدح مثله فى جلالته بالصلاح ومن قال
ان الذبيح اسحق قال يعنى بشرناه بنبوة اسحق واتينا اسحق النبوة بصبره وباركنا عليه
وعلى اسحق اى وجعلنا فيما اعطيناهما من الخير والبركة يعنى النما والزيادة ومعناه
جعلنا ما اعطيناهما من الخير دايما ثابتا ناميا ويجوز ان يكون اراد كثرة ولدهما
وبقاهم قرنا بعد قرن الى ان تقوم الساعة ومن ذريتهما اى ومن اولاد ابراهيم
واسحق محسن بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى مبين بين الظلم
شعر من ذهب الى ان الذبيح اسحق ذكر ان ابراهيم لما فارق قومه مهاجرا الى
الشام هاربا بدينه كما حكى الله سبحانه عنه من قوله انى ذاهب الى ربى سيهدين
دعا الله تعالى ان يهب له ولدا ذكرا من ساره فلما نزل به اضيافه من الملائكة
المرسلين الى الموتفكه وبشروه بغلام حليم قال ابراهيم حين بشر به هو اذا لله ذبيح
فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له اوف بنذرك الذى نذرت فكان هذا
هو السبب فى امره بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب

قربانا لله

قربانا لله واخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى اذا ذهب به بين الجبال قال له
الغلام يا ابت اين قربانك فقال له يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك الى اخره عن
السدى وقيل ان ابراهيم راى فى المنام ان يذبح ابنه اسحق وقد كان حج بوالدته
سارة واهله فلما انتهى الى منى رمى الجمرة هو واهله وامر سارة فزارت واحتبس
الغلام فانطلق به الى موضع الجمرة الوسطى فاستشاره فى نفسه فامره الغلام ان يمضى
ما امره الله وسلما لامر الله فاقبل شيخ فقال يا ابراهيم ما تريد من هذا الغلام
قال اريد ان اذبحه فقال سبحان الله تريد ان تذبح غلاما لم يعص الله طرفة عين
قط قال ابراهيم ان الله امرنى بذلك قال ربك ينهاك عن ذلك وانما امرك بهذا
الشيطان فقال ابراهيم لا والله فلما عزم على الذبح قال الغلام يا ابتاه خمر وجهى
وشد وثاقى قال يا بنى الوثاق مع الذبح والله لا اجمعهما عليك اليوم ودفع راسه
الى السماء ثم انحنى عليه بالمدية وقلب جبرئيل المدية على قفاها واجتر الكبش من قبل
ثبير واجتر الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودى من ميسرة مسجد
الخيف يا ابرهيم قد صدقت الرويا باسحاق انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو
البلاء المبين قال ولحق ابليس بام الغلام حين نادت البيت فقال لها ما شيخ رايته
بمنى قالت ذاك بعلى قال فوصيف رايته قالت ذاك ابنى قال فانى رايته وقد اضجعه واخذ
المدية ليذبحه قالت كذبت ابرهيم ارحم الناس فكيف يذبح ابنه قال فورب السماء و الارض
ورب هذه الكعبة قد رايته كذلك قالت ولم قال زعم ان ربه امره بذلك قالت حق له
ان يطيع ربه فوقع فى نفسها انه قد امر فى ابنها بامر فلما قضت نسكها اسرعت فى
الوادى راجعة الى منى واضعة يديها على راسها وهى تقول يا رب لا تواخذنى بما عملت
بام اسمعيل فلما جاءت ساره واخبرت الخبر قالت الى ابنها تنظر فرات الى اثر السكين
خدشا فى حلقه ففزعت واشتكت وكان بدو مرضها الذى هلكت به رواه العياشى
وعلى بن ابراهيم بالاسناد فى كتابيهما ومن قال ان الذبيح اسمعيل فمنهم محمد بن اسحق
بن يسار وذكر ان ابراهيم كان اذا زار اسمعيل وهاجر حمل على البراق فيغدو من الشام

فيقيل بمكه ويروح من مكه فيبيت عند اهل الشام حتى اذا بلغ معه السعي رى في المنام ان
يذبحه فقال له يا بني خذ الحبل والمديه ثم انطلق بنا الى الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم
بابنه في شعب ثبير اخبره بما قد ذكره الله عنه فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب
واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح من دمي شيء فتراه امي واشحذ شفرتك واسرع مر
السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد فقال له ابراهيم نعم العون
انت يا بني على امر الله ثم ذكر نحوا مما تقدم ذكره وروى العياشي باسناده عن بريد
بن معوية العجلي قال قلت لابي عبد الله ع كم كان بين بشارة ابرهيم باسمعيل وبين
بشارته باسحق قال كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه فبشرناه بغلام حليم
يعني اسمعيل وهي اول بشارة بشر الله بها ابرهيم في الولد ولما ولد لابرهيم اسحق
من ساره وبلغ اسحق ثلث سنين اقبل اسمعيل الى اسحق وهو في حجر ابراهيم فنحاه
وجلس في مجلسه فبصرت به سارة فقالت يا ابرهيم تحي ابن هاجر من حجرك ويجلس هو
مكانه لا والله لا تجاورني هاجر وابنها ابدا فنحها عني وكان ابرهيم مكرما لسارة يعز ها
ويعرف حقها وذلك لانها كانت من ولد الانبياء وبنت خالته فشق ذلك على ابراهيم
واغتم بفراق اسمعيل فلما كان في الليل اتى ابراهيم ات من ربه فاراه الرويا في ذبح ابنه
اسمعيل بموسم مكة فاصبح ابراهيم حزينا للرويا التي راها فلما حضر موسم ذلك العام
حمل ابراهيم هاجر واسمعيل في ذي الحجة من ارض الشام فانطلق بهما الى مكة ليذبحه
في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما دفع قواعده خرج الى منى حاجا وقضى
نسكه بمنى رجع الى مكه فطافا بالبيت اسبوعا ثم انطلقا فلما صارا في السعي قال
ابراهيم لاسمعيل يا بني اني رايت في المنام اني اذبحك في الموسم عامي هذا فماذا ترى
قال يا ابت افعل ما تومر فلما فرغا من سعيهما انطلق به ابراهيم الى منى وذلك يوم
النحر فلما انتهى الى الجمرة الوسطى واضجعه لجنبه الايسر واخذ الشفرة ليذبحه نودي ان يا
ابراهيم قد صدقت الرويا الى اخره وفدى اسمعيل بكبش عظيم فذبحه وتصدق
بلحمه على المساكين وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر قال سالته عن كبش ابراهيم ما كان لونه

قال الملح

قال الملح اقرن ونزل من السماء على الجبل الايمن من مسجد منى بحيال الجمرة الوسطى
وكان يمشي في سواد وياكل في سواد وينظر ويبعر في سواد ويبول في سواد وعن عبد
الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلم انه سئل عن صاحب الذبح قال هو اسمعيل
عليه السلم وعن زياد بن سوقه عن ابي جعفر عليه السلم قال سالته عن صاحب الذبح
فقال اسمعيل ع قوله تعالى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا
وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ وَآتَيْنَاهُمَا
الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ
سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ
تسع آيات اللغة اصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع
وحبل متين اي منقطع والنصر المعونه الا ان كل نصر معونه وليس كل معونه
نصرا لان النصر يختص بالمعونه على الاعداء والمعونه عامه المعنى ثم عطف سبحانه
على ما تقدم بذكر موسى وهرون فقال ولقد مننا على موسى وهارون اي انعمنا
عليهما نعما قطعت عنهما كل اذية فمنها النبوة ومنها النجاة من ال فرعون ومنها
ساير النعم الدينية والدنياوية ونجيناهما وقومهما بني اسرائيل من الكرب
العظيم من تسخير قوم فرعون اياهم واستعمالهم في الاعمال الشاقه وقيل من الغرق
ونصرناه على فرعون وقومه فكانوا هم الغالبين القاهرين بعد ان كانوا مغلوبين
مقهورين واتيناهما الكتاب المستبين يعني التورية الداعي الى نفسه بما فيه من
البيان وكذلك كل كتب الله بهذه الصفة وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما
على الطريق المودي الى الحق الموصل الى الجنه وتركنا عليهما الثناء الجميل في الاخرين
بان قلنا سلام على موسى وهرون وقد مر القول في ذلك انا كذلك مثل ما فعلنا
بهما نجزي المحسنين نفعل بالمطيعين نجزيهم ذلك على طاعاتهم وفي هذا دلالة على ان
ما ذكره الله كان على وجه الثواب لموسى وهرون وقد تقدم ذكره لان لفظه
الجزاء يفيد ذلك انهما من عبادنا المومنين اي من جملة عبادنا المصدقين

بجميع ما اوجبه الله عليهم العاملين بذلك قوله تعالى وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ
رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ عشر آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير ابي عمرو وابي بكر
ربكم ورب آبائكم الاولين بالنصب والباقون برفع الجميع وقرأ ابن عامر ونافع
ورويس عن يعقوب آل ياسين بفتح الالف وسكون اللام موصول بياسين
وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والاعمش والحكم بن عيينة وان ادريس سلام
على ادراسين وقراءة ابن محيصن وابي رجاء وان الياس سلام على الياسين
بغير همز الحجة من قرأ ربكم ورب آبائكم فهو على الاستيناف ومن نصب فعلى البدل
من احسن الخالقين وقال ابو علي من قرأ آل ياسين فحجته انها في المصحف مفصولة
من ياسين وفي فصلها دلالة على ان آل هو الذي تصغيره اهيل وقال الزجاج
من قرأ الياسين فانه جمع الياس جمع هو وامته المؤمنون وكذلك يجمع ما ينسب
الى الشيء بلفظ الشيء يقول رايت المسامعة والمهالبة تريد بني المسمع وبني
المهلب وكذلك رايت المهلبين والمسمعين وفيها وجه آخر وهو ان يكون
لغتان الياس والياسين كما قيل ميكال وميكائيل وقال ابو علي هذا لا يصح لان ميكال
وميكائيل لغتان في اسم واحد وليس احدهما مفردا والآخر جمعا كالياس والياسين
وادريس وادراسين ومثله قد في من دين الخبيبين قدي اراد عبد الله ومن كان
على رايه فكذلك الياسين وادراسين من كان من شيعته واهل دينه
على ارادة ياء النسب التقدير الياسيين وادراسيين فحذف كما حذف من سائر
هذه الكلم التي تراد للصفة كالاعجمين والاشعرين الاعراب سلام في هذه
الآي كلها مبتدأ والخبر بعدها الجار والمجرور والجملة في موضع المفعول لقوله
تركنا ولو اعمل تركنا فيه لقال سلاما ويجوز ان يكون التقدير وتركنا عليه في الآخرين

الثناء

٣٣٣

الثناء الحسن فحذف مفعول تركنا ثم ابتدأ فقال سلام المعنى ثم بين سبحانه قصة الياس
فقال وان الياس لمن المرسلين واختلف فيه فقيل هو ادريس عن ابن مسعود وقتادة
وقيل هو من انبياء بني اسرائيل من ولد هرون بن عمران ابن عم اليسع عن ابن عباس
ومحمد بن اسحاق وغيرهما قالوا انه بعث بعد حزقيل لما عظمت الاحداث في بني اسرائيل
فكان يوشع لما فتح الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم واحل سبطا منهم ببعلبك
وهم سبط الياس بعث فيهم نبيا اليهم فاجابه الملك ثم ان امراته حملته على ان ارتد
وخالف الياس وطلبه ليقتله فهرب الى الجبال والبراري وقيل انه استخلف اليسع على
بني اسرائيل ورفعه الله تعالى من بين اظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشراب وكساه
الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله على الملك وقومه عدوا لهم
فقتل الملك وامراته وبعث الله اليسع رسولا فامنت به بنو اسرائيل وعظموه
وانتهوا الى امره عن ابن عباس وقيل ان الياس صاحب البراري والخضر صاحب الجزائر
ويجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات وذكر وهب انه ذو الكفل اذ قال لقومه الا تتقون
عذاب الله ونقمته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه اتدعون بعلا يعني صنما لهم من ذهب
كانوا يعبدونه عن عطا والبعل بلغة اهل اليمن هو الرب والسيد عن عكرمة ومجاهد
وقتاده والسدي والتقدير اتدعون ربا غير الله تعالى وتذرون احسن الخالقين
اي تتركون عبادة احسن الخالقين الله ربكم اي خالقكم ورازقكم فهو الذي يحق له
العبادة ورب آبائكم الاولين وخالق من مضى من آبائكم واجدادكم فكذبوه
فيما دعاهم اليه ولم يصدقوه فانهم لمحضرون للحساب او في العذاب والنار الا عباد
الله المخلصين استثنى من جملتهم الذين اخلصوا عبادتهم لله من قومه وتركنا
عليه في الآخرين فيه القولان اللذان ذكرناهما سلام على آل ياسين قال ابن عباس
آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وآله وياسين من اسمائه ومن قرأ الياسين قال
اراد الياس ومن اتبعه وقيل ياسين اسم السورة فكانه قال سلام على من
بكتاب الله تعالى والقران الذي هو ياسين انا كذلك نجزي المحسنين باحسانهم انه

من عبادنا المؤمنين المصدقين العاملين بما اوحيناه عليهم قوله عز وجل وان لوطاً
لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين
وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وان يونس لمن المرسلين
اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو
مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء
وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
فآمنوا فمتعناهم الى حين ست عشر آية القراءة قرأ جعفر بن محمد الصادق عليهما السلم
ويزيدون بالواو والوجه فيه ظاهر اللغة الغابر الباقي قليلاً بعد ما مضى
ومنه الغبار لانه يبقى بعد ذهاب التراب قليلا والتدمير الاهلاك على وجه التنكيل
والابق الفار الى حيث لا يهتدي اليه طالبه قد ابق يابق ويابق اباقا والمشحون المملو
والمساهمة المقارعة ماخوذ من القاء السهام ودحضت حجته اى سقطت وادحضها
الله ماخوذ من الدحض وهو الزلق لانه يسقط المار فيه قال الشاعر شعر وحدت كما حاد
البعير عن الدحض والالتقام ابتلاع اللقمة يقال لقمه والتقمه وتلقمه بمعنى والام
الرجل فهو مليم اى بما يلام عليه قال لبيد شعر سفها عذلت ولمت غير مليم وهداك
قبل اليوم غير حكيم والعراء الفضا الذي لا يواريه شجر ولا غيره وقيل العراء وجه
الارض الخالي قال شعر رفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي واليقطين
كل شجرة سقى من الشتاء الى الصيف ليس لها ساق قال امية بن ابي الصلت شعر فانبت يقطينا
عليه برحمه من الله لولا الله الفى ضاحيا وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام
به اقامه زايل لا اقامه راسخ والقطاني من الحبوب التي تقيم في البيت مثل الحمص والعدس
والخلر واحدها قطنيه وقطنيه الاعراب مصبحين حال من قوله يمرون وبالليل
الجار والمجرور ايضا في موضع نصب عطفا عليه تقديره لتمرون عليهم مصبحين وممسين
المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم خبر لوط فقال وان لوطا لمن المرسلين
اى رسولا من جملة من ارسله الله الى خلقه داعيا لهم الى طاعته ومنبها على وحدانيته

اذ نجيناه واهله اجمعين اذ يتعلق بمحذوف وكانه قيل اذكر يا محمد اذ نجيناه اى خلصناه
ومن امن به من قومه من عذاب الاستيصال الا عجوزا في الغابرين اى في الباقين
الذين اهلكوا استثنى من جملة قومه امراته ثم دمرنا الاخرين اى اهلكناهم وانكم
لتمرون عليهم مصبحين وبالليل هذا خطاب لمشركي العرب اى تمرون في ذهابكم
ومجيئكم الى الشام على منازلهم وقراهم بالنهار وبالليل افلا تعقلون فتعتبرون
بهم ومن كثر مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان الوم ممن قال ذلك منه والمعنى
افلا تتفكرون فيما نزل بهم ليجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر والضلال والوجه
في ذكر قصص الانبياء وتكريرها التشويق الى مثل ما كانوا عليه من مكارم الاخلاق
ومحاسن الخلال وصرف الخلق عما كان عليه الكفار من مساوي الخصال ومقابح
الافعال وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون اى فر من قومه الى السفينة
المملوة من الناس والاحمال خوفا من ان ينزل العذاب بهم وهو مقيم فيهم فساهم يونس
القوم بان القوا السهام على سبيل القرعة اى فارعهم فكان من المدحضين اى من
المقروعين عن الحسن وابن عباس وقيل المسهومين عن مجاهد والمراد من الملقين
في البحر واختلف في سبب ذلك فقيل انهم اشرفوا على الغرق فراوا انهم ان طرحوا واحدا
منهم في البحر لم يغرق الباقون وقيل ان السفينة احتبست فقال الملاحون ان هنا عبدا
ابقا فان من عادة السفينة اذا كان فيها ابق لا تجري فلذلك اقترعوا فوقعت القرعة
على يونس ثلاث مرات فعلموا انه المطلوب فالقى نفسه في البحر وقيل انه لما وقعت القرعة
عليه القوه في البحر فالتقمه الحوت اى ابتلعه وقيل ان الله سبحانه اوحى الى الحوت اني لم
اجعل عبدي رزقا لك ولكني جعلت بطنك مسجدا له فلا يكسرن له عظما ولا
تخدشن له جلدا وهو مليم اى مستحق للوم لوم العتاب على خروجه من بين قومه
من غير امر ربه وعندنا ان ذلك انما وقع منه تركا للاولى وقد يلام الانسان
على ترك المندوب ومن جوز الصغيرة على الانبياء قال قد وقع ذلك صغيرة مكفرة
واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت فقيل ثلثة ايام عن مقاتل بن حيان وقيل سبعة ايام

عن عطا وقيل عشرين عن الضحاك وقيل اربعين يوما عن السدى ومقاتل بن سليمان
والكلبى فلولا انه كان من المسبحين اى كان من المصلين فى حال الرخا فنجاه الله
عند البلاء عن قتاده وقيل كان تسبيحه انه كان يقول لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين عن سعيد بن جبير وقيل من المسبحين اى المنزهين الله
عما لا يليق به ولا يجوز فى صفته الذاكرين له للبث فى بطنه الى يوم يبعثون اى لصار
بطن الحوت قبرا له الى يوم القيمة فنبذناه بالعراء اى طرحناه بالمكان الخالى الذى
لا نبت فيه ولا شجر وقيل بالساحل الهم الله سبحانه الحوت حتى قذفه ورماه من جوفه
على وجه الارض وهو سقيم اى مريض حين القاه الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وهو القرع عن ابن مسعود وقيل هو نبت ينبسط على وجه الارض ولا ساق له عن ابن
عباس والحسن وروى ابن مسعود قال خرج يونس من بطن الحوت كهيئة فرخ ليس عليه
ريش فاستظل بالشجرة من الشمس وارسلناه الى ماية الف او يزيدون وقيل ان الله سبحانه
ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل عن قتاده وكانت رسالته هذه بعد ما نبذه
الحوت عن ابن عباس فعلى هذا يجوز ان يكون ارسل الى قوم بعد قوم ويجوز ان يكون
ارسل الاولين بشريعة فامنوا بها وقيل فى معنى او من كان قوله ومن يزيدون
وجوه احدها انه على طريق الابهام على المخاطبين كانه قال ارسلناه الى احد العددين
وثانيها ان او للتخيير كان الرائى خير بين ان يقول هم ماية الف او يزيدون عن سيبويه
والمعنى انهم كانوا عددا لو نظر اليهم الناظر لقال ماية الف او يزيدون وثالثها ان او بمعنى
الواو كانه قال ويزيدون عن بعض الكوفيين وقال معناه بعضهم بل يزيدون وهذان
القولان الاخيران غير مرضيين عند المحققين واجود الاقوال الاول والثانى واختلف
فى الزيادة على ماية الف كم هى فقيل عشرون الفا عن ابن عباس ومقاتل وقيل بضع وثلثون
الفا عن الحسن والربيع وقيل سبعون الفا عن مقاتل بن حيان فامنوا فمتعناهم الى حين
حكى سبحانه عنهم انهم امنوا بالله وراجعوا التوبة فكشف عنهم العذاب ومتعهم بالمنافع
واللذات الى انقضاء اجالهم قوله عز وجل فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا

الملائكة

الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ
فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ
إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ اثنتا عشرة آية
القراءة قرا ابو جعفر ونافع برواية اسمعيل وورش من طريق الاصفهانى لكاذبون اصطفى
البنات بالوصل والابتداء اصطفى بكسر الهمزة والباقون اصطفى بفتح الهمزة وكذلك
من طريق البخارى الحجة قال ابو على الوجه الهمز على وجه التقريع لهم والتوبيخ ويقويه قوله تعالى
ام اتخذ مما يخلق بنات وقوله ام له البنات ولكم البنون الكم الذكر وله الانثى
فكما ان هذه المواضع كلها استفهام كذلك قوله اصطفى البنات ووجه القراءة الاخرى
على وجه الخبر كانه اصطفى البنات فيما يقولون كقوله ذق انك انت العزيز الكريم اى عند
نفسك وفيما كنت تقوله وتذهب اليه ويجوز ان يكون اصطفى البنات بدلا من قوله
ولد الله لان ولادة البنات واتخاذهن اصطفاء لهن فصار اصطفى بدلا من المثال
الماضى كما كان قوله يضاعف له العذاب بدلا من قوله يلق اثاما ويجوز ان يكون اصطفى
البنات تفسيرا لكذبهم فى قوله وانهم لكاذبون كما ان قوله لهم مغفرة تفسير للوعد
ويجوز ان يكون متعلقا بالقول على انه اريد حرف العطف فلم يذكر واستغنى بما فى الجملة
الثانية من الاتصال بالاولى عن حرف العطف كقوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم
ونحو ذلك المعنى ثم عاد الكلام الى الرد على مشركى العرب فقال سبحانه فاستفتهم
اى سلهم واطلب الحكم فى هذه القصة الربك البنات ولهم البنون اى كيف اضفتم
البنات الى الله تعالى واخترتم لانفسكم البنين وكانوا يقولون ان الملائكة بنات
الله على وجه الاصطفاء لا على وجه الولادة ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون
اى حاضرون خلقنا اياهم اى كيف جعلوهم اناثا ولم يشهدوا ثم اخبر عن كذبهم
فقال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله حين زعموا ان الملائكة بنات الله وانهم
لكاذبون فى قولهم اصطفى البنات على البنين دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل

فسقطت همزة الوصل ومنه قول ذي الرمة استحدث الركب عن اشياعهم خبرا
ام راجع القلب من اطرابه طرب والمعنى كيف يختار الله سبحانه الادون
على الاعلى مع كونه مالكا حكيما ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون لله بالبنات
ولانفسكم بالبنين افلا تذكرون اى فلا تتعظون فتنتهون عن مثل هذا
القول ام لكم سلطان مبين اى حجة بينة على ما يقولون ويدعون وهذا كلمة
انكار في صورة الاستفهام فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين المعنى فاتوا بكتابكم
الذى لكم فيه الحجة ان كنتم صادقين في قولكم والمراد انه لا دليل لكم على ما يقولونه
من جهة العقل ولا من جهة السمع وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اختلف في معناه
على اقوال احدها ان المراد به قول الزنادقة ان الله وابليس اخوان وان الله
خلق النور والخير والحيوان النافع وابليس خلق الظلمة والشر والحيوان الضار
عن الكلبي وعطيه وثانيها انه قول المشركين ان الملئكة بنات الله وسمى الملائكة
جنة لاستتارهم عن العيون عن مجاهد وقتاده والجبائى وثالثها انهم قالوا
صاهر الله الجن فحدثت الملائكة تعالى الله عن قولهم ورابعها انهم اشركوا الجن
في عبادة الله تعالى فذلك هو النسب الذى جعلوه بينه وبين الجنة عن الحسن ولقد
علمت الجنة انهم لمحضرون اى علمت الملائكة ان هؤلاء الذين قالوا هذا القول
محضرون للعذاب يوم القيمة عن السدى وقيل معناه قد علمت الجنة وهم الجن الذين
دعوهم انهم محضرون العذاب بدعائهم الى هذا القول سبحان الله عما يصفون
نزه سبحانه نفسه عما يصفوه به واضافوه اليه الا عباد الله المخلصين من جملة
الكفار والقائلين فيه ما لا يليق به قوله عز وجل فَاِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا اَنْتُمْ
عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ اِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ وَمَا مِنَّا اِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَاِنَّا لَنَحْنُ
الصَّافُّونَ وَاِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ وَاِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ اَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ
الْاَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عشر آيات القراءة
في الشواذ قراءة الحسن صال الجحيم بضم اللام الحجة قال ابن جنى كان الشيخ ابو على يحمله على انه

حذف كلام

حذف لام صال تخفيفا واعرب اللام بالضم كما حذفت لام البالية من قولهم ما باليت به بالة
وذهب قطرب الى انه جمع صال اى صالون فحذفت النون للاضافة والواو لالتقاء الساكنين
وحمل على معنى من لانه جمع كقوله ومنهم من يستمعون اليك وهذا حسن عندى وقول
ابى على مأخوذ به اللغة الفاتن الداعى الى الضلال بتزيينه واصل الفتنة من قولهم
فتنت الذهب بالنار اذا اخرجته الى حال الخلاص الصالى اللازم للنار المحترق بها والمصطلى
المستدفى بالنار ومنه الصلوة للزوم الدعاء فيها والمصلى الذى يجئ بعد السابق لازمه
اثره المعنى ثم خاطب الكفار بان قال لهم فانكم وما تعبدون موضع ما نصب عطفا على الكاف
والميم والمعنى انكم يا معاشر الكفار والذى تعبدونه ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال
الجحيم الهاء في عليه الى ماذا يعود فيه قولان احدهما انه يعود الى ما تعبدون والتقدير
انكم وما تعبدونه ما انتم بفاتنين على عبادته احدا الا من يصلى الجحيم ويحترق بسوء
اختياره وقيل معناه ما انتم بمضلين احدا لا تقدرون على اضلال احد الا من سبق
في علم الله تعالى ان سيكفر بالله تعالى ويصلى الجحيم والاخر ان الضمير في عليه يعود الى الله
والتقدير ما انتم على الله وعلى دينه بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم باختياره وهذا
كما يقال لا يهلك على الله هالك وفلان يربح على فلان ويخسر على فلان وما منا الا له مقام
معلوم هذا قول جبرئيل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وآله وقيل انه قول الملائكة وفيه مضمر
اى وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه وقيل معناه
انه لا يتجاوز ما امر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذى حد له فكيف
يجوز ان يعبد من هو بهذه الصفة وهو عبد مربوب وانا لنحن الصافون حول العرش
ننتظر الامر والنهى من الله تعالى وقيل القائمون صفوفا في الصلوة قال الكلبى صفوف الملائكة
في السماء كصفوف اهل الدنيا في الارض وقال الجبائى صافون باجنحتنا في الهواء للعبادة
والتسبيح وانا لنحن المسبحون اى المصلون المنزهون الرب عما لا يليق به ومنه قوله فرغت
من سبحتى اى صلوتى وذلك لما في الصلوة من تسبيح الله تعالى وتعظيمه والمسبحون القائلون
سبحان الله على وجه التعظيم لله وان كانوا ليقولون ان هذه المخففة من الثقيلة الاترى

ان للام قد لزم خبرها والمعنى ان هؤلاء الكفار يعني اهل مكة كانوا يقولون لو ان عندنا
ذكرا اي كتابا من الاولين اي من كتب الاولين التي انزلها على انبيائه وقيل ذكرا اي علما
من الاولين الذين تقدمونا وما فعل الله بهم فسمى العلم ذكرا لان الذكر من اسباب
العلم لكنا عباد الله المخلصين الذين يخلصون العبادة لله فجعلوا العذر
في امتناعهم من الايمان انهم لا يعرفون اخبار من تقدمهم وهل حصلوا في جنة
او نار فكفروا به في الكلام حذف وتقديره فلما اتاهم الكتاب وهو القران كفروا
به فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم قوله عز وجل وَلَقَدْ سَبَقَتْ
كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا
نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اثنتا عشرة آية المعنى ثم اقسم سبحانه فقال ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين اي سبق الوعد منا لعبادنا الذين بعثناهم الى الخلق
انهم لهم المنصورون في الدنيا والاخرة على الاعداء بالقهر والغلبة بالحجج الظاهرة
وقيل معناه سبقت كلمتنا لهم بالسعادة ثم ابتدأ فقال انهم اي ان المرسلين لهم
المنصورون واللام للتاكيد وهم فصل وقيل عنى بالكلمة قوله كتب الله لاغلبن
انا ورسلي الآية وسميت جملة من الكلام بانها كلمة لانعقاد بعض معانيه ببعض
حتى صار خبرا واحدا وقصة واحدة كالشيء الواحد قال الحسن لم يرد بالاية نصرهم
في الحرب فانه لم يقتل نبي قبل النصرة او قتل فقد اجرى الله العادة ان ينصر قومه
من بعده فيكون في نصرة قومه نصرة له فقد تحقق قوله هم المنصورون وقال
السدي المراد بالاية النصر بالحجة وان جندنا لهم الغالبون اضاف المؤمنين
الى نفسه ووصفهم بانه جنده تشريفا لهم وتنويها بذكرهم حيث قاموا بنصرة
دينه وقيل معناه ان رسلنا هم المنصورون لانهم جندنا وان جندنا هم الغالبون

يقهرون

يقهرون الكفار فتول عنهم حتى حين اي الى وقت يامرك فيه بقتالهم يعني يوم بدر عن مجاهد
والسدي وقيل الى يوم الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل الى يوم القيمة وقيل الى انقضاء
مدة الامهال وابصرهم فسوف يبصرون اي انظرهم وابصر ما ضيعوا من امر الله فسوف
يرون العذاب عن ابن زيد وقيل وابصرهم اذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون
وقيل وابصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ذلك في القيمة معاينة وفي هذا اخبار
بالغيب لانه وعد نبيه عليه السلم بالنصر والظفر فوافق المخبر الخبر وكانهم قالوا متى هذا
العذاب فانزل الله تعالى افبعذابنا يستعجلون اي يطلبون تعجيل عذابنا فاذا نزل
بساحتهم اي اذا نزل العذاب بافنية دورهم كما يستعجلون فساء صباح المنذرين
اي فبئس الصباح صباح من خوف وحذر فلم يحذر ولم يخف والساحة فناء الدار
وفضاؤها الواسع فالمراد ان العذاب لعظمه لا يسعه الا الساحة ذات الفضاء الواسع
وقيل نزل بساحتهم اي بدارهم عن السدي وكانت العرب تفاجئ اعداءها بالغارات
صباحا فخرج الكلام على عاداتهم لان الله سبحانه اجرى العادة بتعذيب الامم وقت الصباح
كما مضى ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف
يبصرون مضى تفسيره وانما كرر ما سبق للتاكيد وقيل لان المراد باحدهما عذاب
الدنيا وبالاخر عذاب الاخرة اي فكن على بصيرة من امرك فسوف يبصرون على بصيرة
من امرهم حين لا ينفعهم ثم نزه سبحانه نفسه عن وصفهم ونعتهم فقال سبحان ربك
رب العزة عما يصفون اي تنزيها لربك مالك العزة يعز من يشاء من الانبياء والاولياء
لا يملك احد اعزاز احد سواه فسبحانه عما يصفونه مما لا يليق به من الصفات وهو
قولهم باتخاذ الاولاد واتخاذ الشريك وسلام على المرسلين اي سلام وامان لهم
من ان ينصر عليهم اعداؤهم وقيل هو خبر معناه امر اي سلموا عليهم كلهم لا تفرقوا
بينهم والحمد لله رب العالمين اي احمدوا الله الذي هو مالك العالمين وخالقهم
والمنعم عليهم واخلصوا له الثناء والحمد ولا تشركوا به احدا فان النعم كلها منه
وروى الاصبغ بن نباتة عن علي عليه السلم وقد روي ايضا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه واله

قال من اراد ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه في مجلسه
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ص مكية عدد آيها هي ثمان وثمانون آية كوفي ست حجازي بصري شامي
وخمس عدد ايوب بن المتوكل وحده اختلافها ثلث آيات ذي الذكر كوفي
وغواص غير البصري والحق اقول كوفي وبصري في رواية المعلى عن الجحدري
وتركها ايوب هو موافق الجحدري الا في هذا الحرف فضلها ابي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة ص اعطي من الاجر بوزن كل جبل سخره الله
لداود حسنات وعصمه الله ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا وروى العياشي باسناده
عن ابي جعفر عليه السلم قال من قرأ سورة صاد في ليلة الجمعة اعطي من خير الدنيا والاخرة
ما لم يعط احد من الناس الا نبي مرسل او ملك مقرب وادخله الجنة وكل من احب من اهل بيته
حتى خادمه الذي يخدمه وان كان ليس في حد عياله ولا في حد من شفع له وآمنه الله
يوم الفزع الاكبر تفسيرها لما ختم سبحانه سورة والصافات بذكر القرآن والرسول
وانكار الكفار لما دعاهم اليه افتتح هذه السورة بالقرآن ذي الذكر وبالرد على الكفار ايضا
فقال بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

صٓ وَالقُرآنِ ذِي الذِّكرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَم اَهلَكنَا مِن قَبلِهِم مِن قَرنٍ
فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ وَعَجِبُوا اَن جَاءَهُم مُنذِرٌ مِنهُم وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا
سَاحِرٌ كَذَّابٌ اَجَعَلَ الآلِهَةَ اِلَهًا وَاحِدًا اِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَابٌ خمس آيات القراءة في الشواذ
قرأة ابي بن كعب والحسن وابن ابي اسحق صادِ بكسر الدال وقراءة الثقفي صادَ بفتح الدال والقراءة
بالوقف وهو الصحيح لان حروف الهجاء يوقف عليها وقراءة عيسى بن عمر وابي عبد الرحمن
السلمي عجّاب بتشديد الجيم الحجة من كسر فلاجتماع الساكنين ولانه جعله من المصاداة وهي
المعارضة اي عارض القرآن بعملك ومن فتح فلان الفتحة اخف من الكسرة ويجوز ان يكون
من فتح جعل صاد علما للسورة فلم يصرفه والعجاب بالتشديد هو المفرط في العجب يقال شيء
عجيب ثم عجاب بالتخفيف ثم عجّاب بالتشديد كما قالوا رجل وضيء ووضاء وانشدوا والمرء يلحقه

بفتيان

بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضاء وقال اخر شعر جاءوا بصيد عجب من العجب
ازيرق العينين طوال الذنب اللغة الشقاق والمشاقة الخلاف واصله ان يصير كل
واحد من الفريقين في شق اي في جانب ومنه يقال شق فلان العصا اذا خالف والمناص
من النوص وهو التأخر ناص ينوص اذا تأخر وباص يبوص بالباء اذا تقدم قال امرؤ القيس شعر
امن ذكر ليلى ان نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص الاعراب اختلف في جواب القسم
على وجوه احدها ان جوابه محذوف فكأنه قال والقرآن ذي الذكر لقد جاء الحق وظهر الامر
لان حذف الجواب في مثل هذا ابلغ فان ذكر الجواب يقصر المعنى على وجه والحذف يصرف
الى كل وجه فيعم والثاني ان جوابه ص فان معناه صدق اقسم سبحانه بالقرآن ان محمدا صدق
والله وفعل والله والثالث ان الجواب مما كفى منه قوله كم اهلكنا وقيل مما كفى منه بل الذين
كفروا فكأنه قال والقرآن ذي الذكر ما الامر كما قالوا واحدهما عن الفراء والاخر عن قتادة
والرابع ان جوابه كم اهلكنا والتقدير لكم اهلكنا فلما طال الكلام حذف اللام
ومثله قد افلح من زكيها والتقدير لقد افلح عن الفراء وهذا غلط لان اللام لا تدخل
على المفعول وكم مفعول والخامس ان الجواب في اخر السورة ان ذلك لحق تخاصم اهل النار
الا انه بعد من اول الكلام عن الكسائي ولات حين فيه قولان احدهما ان التاء متصلة
بلا وانهما بمنزلة ليس قال الزجاج ويجوز ولات حين مناص في اللغة واما النصب فعلى
ان المعنى ليس الوقت حين مناص والرفع على ان يجعل حين اسم ليس ويضمر الخبر والمعنى
ليس حين ملجأ لنا والوقف عليها لات بالتاء والكسائي بالهاء لاه والاول اصح لان
هذه التاء نظيرة التاء في الفعل نحو ذهبت وفي الحرف نحو رايت زيدا ثمت عمروا فانها
دخلت في الموضعين على ما لا يعرب ولا هو في طريق الاسماء وقال الاخفش انه لات حين
مثل لا رجل في الدار ودخلت التاء للتانيث قال الشاعر شعر تذكر حب ليلى لات حينا وأضحى
الشيب قد قطع القرينا والقول الاخر ان التاء متصلة بحين كما قال الشاعر شعر العاطفون
تحين ما من عاطف والمطعمين زمان ما من مطعم وقد اجازوا الجر بلات
وانشد والابي زبيد طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقاء قال الزجاج

والذى انشدناه ابو العباس المبرد بالرفع وقد روى بالكسر النزول قال المفسرون
ان اشراف قريش وهم خمسة وعشرون منهم الوليد بن المغيرة وهو اكبرهم
وابو جهل وابى وامية ابنا خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحرث
اتوا ابا طالب قالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد اتيناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك
فانه سفه احلامنا وشتم الهتنا فدعا ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وآله
وقال يا ابن اخ هؤلاء قومك يسالونك فقال وماذا يسالونني قالوا دعنا و
الهتنا ندعك والهتك فقال ع تعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم
فقال ابو جهل لله ابوك نعطيك ذلك وعشر امثالها فقال قولوا لا اله الا الله
فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا فنزلت هذه الايات وروى ان النبى
صلى الله عليه وآله استعبر ثم قال يا عم والله لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى
ما تركت هذا القول حتى انفذه او اقتل دونه فقال له ابو طالب امض لامرك فوالله
لا اخذلك ابدا المعنى ص اختلف فى معناه فقيل هو اسم للسورة وقيل غير ذلك
على ما ذكرناه فى اول البقرة وقال ابن عباس هو اسم من اسماء الله تعالى اقسم به وروى
ذلك عن الصادق عليه السلم وقال الضحاك معناه صدق وقال قتاده هو اسم من اسماء
القران فعلى هذا يجوز ان يكون موضعه نصبا على تقدير حذف حرف القسم ويجوز
ان يكون رفعا على تقدير هذه ص فى مذهب من جعله اسما للسورة والقران ذى
الذكر اى ذى الشرف عن ابن عباس يوضحه قوله وانه لذكر لك وقيل معناه
ذى الشان الذى يودى الى الحق ويهدى الى الرشد لان فيه ذكر الادلة التى اذا تفكر
فيها العاقل عرف الحق عقلا وشرعا وقيل ذى التذكر لكم عن قتاده وقيل فيه
ذكر الله وتوحيده واسماء الحسنى وصفاته العلى وذكر الانبياء واخبار الامم وذكر البعث
والنشور وذكر الاحكام وما يحتاج اليه المكلف من الاحكام عن الجبائى ويؤيد
قوله ما فرطنا فى الكتاب من شى بل الذين كفروا من اهل مكة فى عزة اى فى تكبر
عن قبول الحق وحمية جاهلية عن قتاده ويدل عليه قوله اخذته العزة بالاثم

وقيل فى ملكه

وقيل فى ملكه واقتدار وقوة بتمكين الله اياهم وشقاق اى عداوة وعصيان ومخالفة
لانهم يانفون عن متابعتك ويطلبون مخالفتك ثم خوفهم سبحانه فقال كم اهلكنا
من قبلهم من قرن بتكذيبهم الرسل فنادوا عند وقوع الهلاك بهم بالاستغاثة
ولات حين مناص اى ليس الوقت حين منجى ولا فوت وقيل لات حين نداء ينجى قال
قتاده نادى القوم على غير حين النداء وعجبوا ان جاءهم منذر منهم يعنى جاءهم
رسول من انفسهم يخوف من جهة الله تعالى يحذرهم المعاصى وينذرهم النار وقال
الكافرون هذا ساحر كذاب حين يزعم انه رسول اجعل الالهة الها واحدا ان هذا
استفهام انكار وتعجيب وذلك ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابطل عبادة ما كانوا يعبدونه
من الالهة واحد لشى عجاب لامر عجيب مفرط فى العجب قوله عز وجل وانطلق الملاء
منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشىء يراد ما سمعنا بهذا فى الملة
الاخرة ان هذا الا اختلاق ء انزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من
ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب خمس آيات اللغة
الانطلاق الذهاب بسهولة ومنه طلاقة الوجه والخلق والاخلاق والهرى والافتراء
متقارب والارتقاء الصعود من سفل الى علو درجة درجة قال لو لم يجد سلما لكان
مرتقبا والمرتقى والذى رقاه سبان الاسباب جمع سبب والسبب ما يوصل به الى المطلوب
واسباب السموات ابوابها قال زهير ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب
السماء بسلم والفرق بين السبب والعلة فى عرف المتكلمين ان السبب ما يوجب ذاتا والعلة
ما يوجب صفة الاعراب ان امشوا ان هذه هى التى تسمى المفسرة بمعنى اى امشوا قال الزجاج
ويجوز ان يكون تقديره بان امشوا اى بهذا القول المعنى وانطلق الملاء منهم
هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين تقدم ذكرهم اى وانطلق الاشراف منهم ان امشوا
اى يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على الهتكم يعنى انهم خرجوا من مجلسهم الذى كانوا فيه
عند ابى طالب وهم يقولون اثبتوا على عبادة الهتكم واصبروا على دينكم وتحملوا المشاق لاجله

وقيل ان القايل لذلك عقبه بن ابي معيط ان هذا الذي من زيادة اصحاب محمد لشي
يراد اي امر يراد بنا وقيل معناه ان هذا فساد في الارض وعن قريب ينزل به الهلاك
وتخلص منه وقيل ان هذا الامر يراد بنا من زوال نعمه او نزول شده لانهم كانوا
يعتقدون في الاصنام انهم لو تركوا عبادتها اصابهم القحط والشده ثم حكى
عنهم ايضا بانهم قالوا ما سمعنا بهذا الذي يدعونا اليه محمد من التوحيد وخلع الانداد
من دون الله في الملة الاخرة يعنون النصرانية لانها الملل عن ابن عباس قال لان
النصارى لا يوحدون لانهم يقولون ثالث ثلاثه وقيل يعنون ملة قريش اي ملة
زماننا هذا عن مجاهد وقتاده قيل معناه ما سمعنا بان هذا يكون في اخر الزمان
عن الحسن ان هذا اي ما هذا الذي يقوله محمد الا اختلاق اي تخرص وكذب افتعال
ثم انكروا تخصيص الله اياه بالقران والنبوة بان قالوا انزل عليه الذكر من بيننا
اي كيف نزل على محمد القران من بيننا وليس باكبر سنا منا ولا باعظم شرفا فقال
سبحانه بل هم في شك من ذكرى اي ليس يحملهم على هذا القول الا الشك في الذكر الذي
انزلته على رسولي بل لما يذوقوا عذاب وهذا تهديد لهم والمعنى انهم سيذوقونه
ثم اجابهم عن انكارهم نبوته بقوله ام عندهم خزاين رحمة ربك يقول ابايديهم
مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤوا اي انها ليست بايديهم ولكنها
بيد العزيز في ملكه الوهاب الكثير الهبات والعطايا على حسب المصالح فيختار للنبوة
من يشا من عباده ونظيره قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما فيتهيا لهم ان يمنعوا الله من مراده فليرتقوا اي ان ادعوا ذلك
فليصعدوا في الاسباب اي في ابواب السما وطرقها عن مجاهد وقتاده وقيل الاسباب
الحبل اي فليحتالوا في اسباب توصلهم الى السموات لياتوا بالوحي الى من يختاروا
قوله عز وجل جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ
وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ
إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ

قرأ اهل الكوفه غير عاصم من فُواق بضم الفاء والباقون بفتحها الحجة وهما لغتان
مثل قصاص الشعر وقصاصه وجمام المكوك وجمامه وهو من الافاقة وما بين
الرضعتين فواق وقيل بينهما فرق فبالفتح يكون بمعنى الراحة وبالضم بمعنى المهلة
والانتظار عن ابي عبيدة والفراء اللغة هنالك اشارة الى المكان البعيد وهناك
بين القريب والبعيد وهنا للقريب مثله ذا وذاك وذلك والاحزاب جمع حزب
الجماعة التي تجتمع من كل اوب وقال الزجاج ما لها من فواق اي رجوع وفواق
الناقة مشتق من الرجوع ايضا لانه يعود اللبن الى الضرع بين الحلبتين وافاق
من مرضه اي رجع الى الصحة الاعراب ما مزيده في قوله جند ما ومثلها قول الاعشى
شعر فاذهبي ما اليك ادركني الحلم عداني عن هيجكم اشتغالي وجند مبتدا وهنالك
صفة اي جند ثابت هنالك ومهزوم خبر المبتدا ويجوز ان يكون هنالك ظرفا
لمهزوم اي جند مهزوم في ذلك الموضع كذبت قبلهم قوم نوح يجوز ان يقف على قوله
نوح ويكون عاد مبتدا وما بعده معطوف عليه ويكون اولئك الاحزاب خبرا
عن الجميع ويجوز ان يكون الخبر قوله ان كل الا كذب الرسل ويجوز ان يكون اولئك
الاحزاب ابتداء ويقف على قوم لوط المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار انهم سيهزمون
ببدر فقال جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب قال قتاده اخبره الله سبحانه
وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى بدر
ومصارعهم بها اي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند مهزومون مغلوبون
من جملة الكفار الذين تحزبوا على الانبياء وانت منصور عليهم مظفر غالب وقيل
هم الاحزاب الذين حاربوا نبينا صلى الله عليه وآله يوم الخندق ووجه اتصاله بما قبله
ان المعنى كيف يرتقون السما وهم فرق من قبايل شتى مهزومون كذبت قبلهم
اي قبل هؤلاء الكفار قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد قيل في معناه اقوال احدها
انه كانت له ملاعب من اوتاد يلعب له عليها عن ابن عباس وقتاده وعطا والثاني
انه كان يعذب الناس بالاوتاد وذلك انه اذا غضب على احد وتد يديه ورجليه

وراسه على الارض عن السدى والربيع ابن انس ومقاتل والكلبى والثالث ان معناه
ذو البنيان اوتادا عن الضحاك والرابع ان المعنى ذو الجنود والجموع الكثيرة يعنى انهم
يشدون ملكه ويقوون امره كما يقوى الوتد الشىء عن الجبائى والقتيبى والعرب
تقول هو فى عز ثابت الاوتاد والاصل فيه ان بيوتهم انما تثبت بالاوتاد قال الاسود
بن يعفر شعر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد * والخامس انه
سمى ذا الاوتاد لكثرة جيوشه السائرة فى الارض وكثرة اوتاد خيامهم فعبر بكثرة
الاوتاد عن كثرة الاجناد وثمود يعنى قوم لوط وقوم صالح واصحاب الايكة وهم قوم شعيب
اولئك الاحزاب لما ذكر هؤلاء المكذبين اعلمنا ان مشركى قريش حزب من هؤلاء الاحزاب
ومعناه هم الاحزاب حقا اى احزاب الشيطان كما يقال هم هم قال ان الذى حانت بفلج
دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد ان كل الا كذب اى ما كل حزب منهم الا كذب
الرسل فحق عليهم عقابى اى فوجب عليهم عقابى بتكذيبهم رسلى وما ينظر اى وما ينتظر
هؤلاء يعنى كفار مكة الا صيحة واحدة وهى النفخة الاولى فى الصور ما لها من فواق
اى لا يكون لتلك الصيحة افاقة بالرجوع الى الدنيا عن قتاده والسدى والمراد
ان عقوبة امة محمد بعذاب الاستيصال موخرة الى يوم القيمة وعقوبة ساير الامم
معجلة فى الدنيا كما قال بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر قال الفراء اذا
ارتضعت البهيمة ثم تركتها حتى ينزل فتلك الافاقة والفواق ثم قيل لكل راحة
وانظار للاستراحة فواق وقيل معناه ما لها مثنوية اى صرف ورد عن الضحاك
وقيل ما لها من فتور كما يفترى المريض عن ابن زيد قوله عز وجل وقالوا ربنا عجل
لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد
انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة
كل له اواب وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب خمس آيات اللغة
القط الكتاب قال الاعشى شعر ولا الملك النعمان يوم لقيته * بنعمته يعطى القطوط ويافق
اى كتب الجوايز واشتقاقها من القط وهو القطع لانها يقطع النصيب لكل واحد

بما كتب فيها

بما كتب فيها والقط النصيب يقال ابو عبيدة والقط الحساب وفى الاثر ان عمر
وزيدا كانا لا يريان ببيع القطوط باسا اذا خرجت والفقهاء لا يجيزونه
وهى الجوايز والارزاق وقوله ما رايته قط اى قطع الدهر الذى يمضى المعنى
وقالوا يعنى هؤلاء الكفار الذين وصفهم ربنا عجل لنا قطنا اى قدم لنا نصيبنا
من العذاب قبل يوم الحساب قالوه على وجه الاستهزاء يخبر الله تعالى عن ابن عباس
ومجاهد وقتاده وقيل معناه ارنا حظنا من النعيم فى الجنة حتى نومن عن السدى
وسعيد بن جبير وقيل لما نزل فاما من اوتى كتابه بيمينه واما من اوتى كتابه
بشماله قالت قريش زعمت يا محمد انا نؤتى كتابنا بشمالنا فعجل لنا كتبنا التى نقراها
فى الاخرة استهزاء منهم بهذا الوعيد وتكذيبا به عن ابى العالية والكلبى ومقاتل فقال
الله عز اسمه لنبيه صلى الله عليه وآله اصبر يا محمد اى احبس نفسك على ما يقولون
من تكذيبك فان وبال ذلك يعود عليهم واذكر عبدنا داود ذا الايد اى ذا القوة
على العبادة عن ابن عباس ومجاهد وذكر انه يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر
كان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد الصوم وقيل ذا القوة على الاعداء وقهرهم
وذلك انه رمى بحجر من مقلاعه صدر الرجل فانفذه من ظهره فاصاب اخر فقتله وقيل
ذا التمكين العظيم والنعم العظيمة وذلك انه كان يبيت كل ليلة حول محرابه الوف كثيرة
من الرجال انه اواب اى تواب رجاع عن كل ما يكره الله تعالى الى كل ما يحب من آب يؤوب
اذا رجع عن مجاهد وابن زيد وقيل مسبح عن سعيد بن جبير وقيل مطيع عن ابن عباس
انا سخرنا الجبال معه يسبحن اذا سبح ويحتمل ان يكون الله سبحانه خلق فى الجبال
التسبيح ويمكن ان يكون بنى فيها بنية يتاتى فيها التسبيح بالعشى والاشراق اى
الرواح والصباح والطير اى وسخرنا الطير محشورة مجموعة اليه تسبح الله تعالى معه كل
يعنى كل الطير والجبال له اواب رجاع الى ما يريد مطيع له بالتسبيح معه قال الجبائى لا يمتنع
ان يكون الله تعالى خلق فى الطيور من المعارف ما تفهم به امر داود ونهيه فتطيعه
فيما يريد منها وان لم تكن كاملة العقل مكلفة وشددنا ملكه اى قويناه ملكه بالحرس والجنود

والمهيبة وكثرة العدد والعدة واتيناه الحكمة وهي النبوة وقيل الاصابة في الامور وقيل العلم
بالله وشرايعه عن ابي العالية والجبائي وفصل الخطاب يعني الشهود والايمان فان البينة
على المدعي واليمين على من انكر لان خطاب الخصوم لا ينفصل ولا ينقطع الا بهذا وهو قول الاكثر
وقيل فصل الخطاب هو العلم بالقضاء والفهم عن ابن مسعود والحسن ومقاتل وقتاده وقال البلخي
يجوز ان يكون المراد بتسبيح الجبال معه ما اعطاه الله من حسن الصوت بقراءة الزبور
فكان اذا قرا الزبور ورفع صوته بالتسبيح بين الجبال رد الجبال مثله عليه من الصدى فسمى الله
تعالى ذلك تسبيحا قوله عز وجل وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ
فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ
كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ
لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ خمس آيات القراءة في الشواذ قراءة ابي رجاء وقتاده
ولا تَشطط بفتح التاء وضم الطاء وقراءة الحسن والاعرج نعجه ولي نعجة بكسر النون وقراءة
ابي حيوة وعزني بتخفيف الزاي وقراءة عمر بن الخطاب فتّناه بتشديد التاء والنون وقراءة
قتاده وابي عمرو في بعض الروايات الشاذه فتناه بتخفيف النون الحجة اما قراءة ولا تَشطط
من شط يشط اذا بعد قال عنتره شطت مزار العاشقين فاصبحت عسرا علي طلابك
ابنة مخرم قال ابن جني معناه بعدت عن مزار العاشقين ولما بالغ في ذكر استضرارها
بها خاطبها بذلك لانه ابلغ فعدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال طلابك
فاما النعجة فهي لغة في النعجة ومثله لقوة ولقوه وقوم شجعه وشجعة اي شجعان
واما عزني بالتخفيف فيمكن ان يكون اصله عززني غير انه خفف بحذف الزاي الثانيه
والاولى كما قالوا في مسست وظللت مست وظلت واما قوله فتّناه فانما هو فعلنا
للمبالغة واما فتناه بتخفيف النون فان المراد بالتثنيه هنا الملكان اللذان اختصما

اليه اي اختيراه

اليه اي اختبراه اللغة الخصم هو المدعي على غيره حقا من الحقوق المنازع له فيه ويعبر به
عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد لان اصله المصدر فيقال رجل خصم ورجال خصم
يقال خاصمته فخصمته اخصمه خصما والتسور الاتيان من جهة السور يقال تسور فلان
الدار اذا اتاها من قبل سورها والمحراب مجلس الاشراف الذي يحارب دونه لشرف صاحبه
ومنه سمي المصلى محرابا وموضع القبلة محرابا واشط الرجل في حكمه فهو مشط وشط عليه
في السوم يشط شططا قال الا يا لقومي قد اشطت عواذلي ويزعمن ان اودى بحقي
باطلي الاعراب اذ دخلوا بدل من قوله اذ تسوروا وقيل ان التسور في زمان غير زمان
الدخول خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان وقيل ما هم هم مبتدا وقليل خبره
وما زايده ويجوز ان يكون ما بمعنى الذي وهم مبتدا والخبر محذوف اي وقليل هم
الذين كذلك المعنى لما ذكر سبحانه ايتاه داود الحكمة وفصل الخطاب عقبه بذكر من تخاصم
اليه فقال وهل اتيك يا محمد نبأ الخصم اي هل بلغك خبرهم والمراد بالاستفهام
هنا الترغيب في الاستماع والتنبيه على موضع اخلاله ببعض ما كان ينبغي ان يفعله
اذ تسوروا المحراب اي حين صعدوا اليه المحراب واتوه من اعلى سوره وهو مصلاه
وانما جمعهم لانه اراد المدعي والمدعى عليه ومن معهما وقد يتعلق به من قال ان اقل الجمع
اثنان واجيب عن ذلك بانه اراد الفريقين اذ دخلوا على داود ففزع منهم لدخولهم
عليه في غير الوقت الذي يحضر فيه الخصوم من غير الباب الذي كان يدخل منه الخصوم
ولانهم دخلوا عليه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض جئناك لتقضي
بيننا وذلك قوله فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر علينا في حكمك ولا تجاوز
الحق بالميل لاحدنا على صاحبه واهدنا الى سواء الصراط اي دلنا وارشدنا الى وسط
الطريق الذي هو طريق الحق ثم حكى سبحانه ما قاله احد الخصمين لصاحبه بقوله
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة قال الخليل النعجه الانثى من الضأن
والبقر الوحشية والشاة الجبلية والعرب تكني عن النساء بالنعاج والظباء قال
الاعشى شعر فرميت غفلة عينه عن شاته فاصبت حبة قلبها وطحالها وقال عنتره

شعر يا شاة ما قنص لمن حلت له ۞ حرمت عليه وليتها لم تحرم ۞ فقال اكفلنيها اى
الى واجعلنى كافلها الذى يلزم نفسه القيام بها وحياطتها والمعنى اعطنيها
وقيل معناه انزل لى عنها حتى تصير فى نصيبى عن ابن عباس و ابن مسعود ومجاهد
وعزنى فى الخطاب اى غلبنى فى مخاطبة الكلام وكان معناه انه اذا تكلم كان ابين
منى وان بطش كان اشد منى وان دعا كان اكثر منى عن الضحاك قال داود عم
لقد ظلمك بسؤال نعجتك معناه ان كان الامر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤاله
اياك ضم نعجتك الى نعاجه فاضاف المصدر الى المفعول به وان كثيرا من الخلطاء
اى الشركاء المخالطين جمع الخليط ليبغى بعضهم على بعض ثم استثنى من جملة الخطا
الذى يبغى بعضهم على بعض الذين امنوا فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم لا يظلم بعضهم بعضا وقليل ما هم اى وقليل هم وما مزيدة وظن داود انما فتناه
اى علم داود انا اختبرناه وابتليناه وقيل انا شددنا عليه فى التعبد عن على
بن عيسى وقيل اراد الظن المعروف الذى هو خلاف اليقين فاستغفر ربه اى سال
الله سبحانه المغفرة والستر عليه وخر راكعا اى صلى لله تعا واناب اليه وقيل سقط
ساجدا لله تعا ورجع اليه وقد يعبر عن السجود بالركوع قال الشاعر شعر فخر على وجهه
راكعا ۞ وتاب الى الله من كل ذنب ۞ قال الحسن انما قال وخر راكعا لانه لا يصير ساجدا
حتى يركع وقال مجاهد مكث اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه الا الصلوة
مكتوبة يقيمها او لحاجة لا بد منها فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى اى قربة
وكرامة وحسن ماب فى الجنة واختلف فى استغفار داود عليه السلم من اى شىء كان فقيل
انه حصل منه على سبيل الانقطاع الى الله تعا والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود
كما حكى سبحانه بقوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين واما قوله
فغفرنا له ذلك فالمعنى انا قبلناه منه واثبناه عليه فاخرجه على لفظ الجزاء مثل
قوله يخادعون الله وهو خادعهم وقوله الله يستهزئ بهم فلما كان المقصود
من الاستغفار التوبة القبول قيل فى جوابه غفرنا وهذا قول من نزه الانبياء

عن جميع

عن جميع الذنوب من الامامية وغيرهم من المعتزلة ومن جوز على الانبياء الصغا
قال ان استغفاره عم كان لذنب صغير وقع منه ثم انهم اختلفوا فى ذلك على وجوه
احدها ان اوريا بن حيان خطب مراة فكان اهلها ارادوا ان يزوجها منه فبلغ
داود جمالها وخطبها ايضا فزوجوها منه فقدموه على اوريا فعوتب داود عم
على الحرص على الدنيا عن الجبائى وثانيها انه اخرج اوريا الى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع
جزعه على امثاله من جنده اذ مالت نفسه الى نكاح امراته فعوتب على ذلك بنزول
الملكين وثالثها انه كان فى شريعته ان الرجل اذا مات وخلف مراة فاولياؤه
احق بها الا ان يرغبوا عن التزوج بها فحينئذ يجوز لغيرهم ان يتزوج بها
فلما قتل اوريا خطب داود امراته ومنعت هيبة داود وجلالته اولياءه
ان يخطبوها فعوتب على ذلك ورابعها ان داود كان متشاغلا بالعبادة فاتاه
رجل وامراتان متحاكمين اليه فنظر الى المراة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح
فمالت نفسه ميل الطباع ففصل بينهما وعاد الى عبادة ربه فشغله الفكر فى امرها
عن بعض نوافله فعوتب وخامسها انه عوتب على عجلته فى الحكم قبل التثبت
وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من احد الخصمين ان يسال الاخر عما عنده فيها
ولا يحكم عليه قبل ذلك وانما انساه التثبت فى الحكم فزعه من دخولهما فى غير وقت
العادة واما ما ذكر فى القصة ان داود كان كثير الصلوة فقال يا رب فضلت
ابراهيم على فاتخذته خليلا وفضلت على موسى فكلمته تكليما فقال يا داود انا
ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فان شئت ابتليتك فقال نعم يا رب فابتلنى فبينا
هو فى محرابه ذات يوم اذ وقعت حمامة فاراد ان ياخذها فصارت الى كوة المحراب
فذهب لياخذها فاطلع من الكوة فاذا امراة اوريا بن حيان تغتسل فهوى بها
وهم بتزويجها فبعث باوريا الى بعض سراياه وامر بتقديمه امام التابوت
الذى فيه السكينة ففعل ذلك وقتل فلما انقضت عدتها تزوجها وبنى بها فولد
له منها سليمان فبينا هو ذات يوم فى محرابه يقرا اذ دخل عليه رجلان ففزع منهما

فقالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض الى قوله وقليل ما هم فنظر احد الرجلين
الى صاحبه ثم ضحك فتنبه داوود على انهما ملكان بعثهما الله اليه في صورة خصمين
ليبكتاه على خطيئته فتاب وبكى حتى نبت الزرع من كثرة دموعه فما الاشبه في فساد
فان ذلك مما يقدح في العدالة فكيف يجوز ان يكون انبياء الله تعالى الذين هم
امناؤه على وحيه وسفراء بينه وبين خلقه بصفة من لا تقبل شهادته وعلى حالة
تنفر عن الاستماع اليه والقبول منه جل انبياء الله عن ذلك وقد روى عن امير
المؤمنين علي عليه السلام انه قال لا اوتى برجل يزعم ان داوود تزوج امراة اوريا الا جلدته
حدين حدا للنبوة وحدا للاسلام وقال ابو مسلم لا يمتنع ان يكون الداخلان على
داوود كانا خصمين من البشر وان يكون ذكر النعاج محمولا على الحقيقة دون الكناية
وانما فزع منهما لدخولهما من غير اذن وعلى غير مجرى العادة وانما عوتب على انه حكم
بالظلم على المدعى عليه قبل ان يسأله قوله عز وجل يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي
الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا
ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ كِتَابٌ
أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ
اربع آيات القراءة قرأ ابو جعفر والاعشى والبرجمي ليدبروا بالياء وتخفيف الدال
والباقون بالتاء وتشديد الدال الحجة لتدبروا اصله لتتدبروا فحذف التاء
الثانية التي هي فاء الفعل قوله ليدبروا اصله ليتدبروا فادغم التاء في الدال
الاعراب الخليفة هو المدبر للامور من قبل غيره بدلا من تدبيره وفلان خليفة الله
في ارضه معناه انه جعل اليه تدبير عباده بامره المعنى ثم ذكر سبحانه اتمام نعمته
على داود بقوله يا داوود انا جعلناك خليفة في الارض اي صيرناك خليفة تدبر
امر العباد من قبلنا بامرنا وقيل معناه جعلناك خلفا ممن مضى من الانبياء

في الدعا

الى الدعا الى توحيد الله وعدله وبيان شرايعه عن ابي مسلم فاحكم بين الناس بالحق اي افصل
امورهم بالحق وضع كل شيء موضعه ولا تتبع الهوى اي ما يميل طبعك اليه ويدعوا هواك
اليه معناه انك اذا اتبعت الهوى عدل الهوى بك عن سبيل الحق الذي هو سبيل الله
اذا كان مخالفا للحق فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله اي يعدلون
عن العمل بما امرهم الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب بتركهم طاعات الله في الدنيا عن عكرمة والسدي ويكون على هذا
يتعلق يوم الحساب بعذاب شديد باعراضهم عن ذكر يوم القيمة فيكون يوم متعلقا
بنسوا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا لا غرض فيه حكمي بل خلقناهما لغرض حكمي
وهو ما في ذلك من اظهار الحكمة وتعريض انواع الحيوان للمنافع الجليلة وتعريض
العقلاء منهم للثواب العظيم وهذا ينافي قول اهل الجبر ان كل باطل وضلال فهو من فعل
الله ذلك ظن الذين كفروا بالله وجحدوا حكمته فويل للذين كفروا من النار ظاهر المعنى
ثم قال سبحانه على وجه التوبيخ للكفار على وجه الاستفهام ام نجعل الذين امنوا معناه
بل انجعل الذين صدقوا الله ورسله وعملوا الصالحات والطاعات كالمفسدين في الارض
العاملين بالمعاصي ام نجعل المتقين كالفجار اي بل انجعل المتقين الذين اتقوا المعاصي
لله خوفا من عقابه كالفجار الذين عملوا بالمعاصي وتركوا الطاعات اي ان هذا لا يكون
ابدا ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال كتاب انزلناه اليك مبارك اي هذا
القران كتاب منزل اليك مبارك اي كثير نفعه وخيره فان في التدبر به يستديم
الناس ما انعم الله به عليهم ليدبروا اياته اي ليتفكر الناس ويتعظوا بمواعظه
وليتذكر اولوا الالباب اي اولوا العقول فهم المخاطبون به قوله عز وجل
وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ
الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا
عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ
جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ

فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين
مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب احدى عشرة آية اللغة الصافنات جمع الصافنة من الخيل
وهي التي تقوم على ثلاث قوايم وترفع احدى يديها حتى يكون على طرف الحافر يقال
صفنت الخيل تصفن صفونا اذا وقفت كذلك قال شعر الف الصفون فلا يزال كانه مما يقوم
على الثلث كثيرا والجياد جمع جواد والياء ههنا منقلبة عن واو والاصل جواد وهي
السراع من الخيل كانها تجود بالركض وقيل هو جمع جود فيكون مثل سوط وسياط
والكرسي السرير واصله من التكرس وهو الاجتماع ومنه الكراسة لاجتماعها الرخاء
الريح اللينة وهو من رخاوة وسهولته والاصفاد جمع صفد وهو القيد ومنه يقال
للعطاء صفد لانه يرتبط به قال شعر ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا الاعراب حب الخير
نصب على انه مفعول به والتقدير اخترت حب الخير عن قوله عن ذكر ربي بمعنى شعر
وعلى هذا فيكون احببت بمعنى استحببت مثل قوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا
على الآخرة اي يؤثرونها وقال ابو علي احببت بمعنى قعدت ولزمت من قولهم احب
البعير اذا برك وقوله حب الخير مفعول له اي لزمت الارض لحب الخير معرضا عن ذكر
ربي فعن في موضع نصب على الحال وذكر مصدر مضاف الى المفعول ويجوز ان يكون
مضافا الى الفاعل اي عما ذكرني ربي حيث امرني في التورية باقامة الصلوة توارت
بالحجاب اي توارت الشمس ولم يجر لها ذكر وقوله كل من عليها فان يعني الارض قال
الزجاج في الآية دليل على الشمس وهو قوله اذ عرض عليه بالعشي فهو في معنى
عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب قال وليس يجوز الاضمار الا انه
يجري ذكر او دليل بمنزلة الذكر وقوله مسحا هو مصدر فعل محذوف هو خبر طفق
التقدير فطفق يمسح مسحا وقوله رخاء منصوب على الحال والعامل فيه تجري فهو حال
من حال لان تجري في محل نصب بكونه حالا وكل بناء بدل من الشياطين بدل البعض من الكل
وقوله بغير حساب في موضع نصب على الحال التقدير غير محاسب المعنى ثم عطف سبحانه على قصة

داود عليه السلم حديث سليمان عم فقال ووهبنا لداود سليمان اي وهبناه له ولدا
نعم العبد اي نعم سليمان العبد انه اواب اي رجاع الى الله تعالى في اموره دينه اذ عرض
عليه يجوز ان يتعلق اذ بنعم العبد اي نعم العبد هو حين عرض عليه ويجوز ان يتعلق
باذكر يا محمد المحذوف لدلالة الكلام عليه بالعشي اي في آخر النهار بعد زوال
الشمس الصافنات الخيل الواقفة على ثلث قوايم الواضعة طرف السنبك الرابع
على الارض الجياد السريعة المشي الواسعة الخطو قال مقاتل انه ورث من ابيه
الف فرس وكان ابوه قد اصاب ذلك من العمالقة وقال الكلبي غزا سليمان دمشق
ونصيبين فاصاب الف فرس وقال الحسن كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة وكان
سليمان قد صلى الصلوة الاولى وقعد على كرسيه والخيل تعرض عليه حتى غابت
الشمس فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي والمراد بالخير الخيل هنا فان العرب
تسمي الخيل الخير عن قتادة والسدي فالمعنى آثرت حب الخير عن ذكر ربي على ذكر
ربي قال الفراء كل من احب شيئا فقد آثره وفي قراءة ابن مسعود حب الخيل وسمى النبي
زيد الخيل زيد الخير وقال عم الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقيل
معناه حب المال عن سعيد بن جبير والخيل مال والخير بمعنى المال الكثير في التنزيل وقيل
ان هذه الخيل كانت شغلته عن صلوة العصر حتى فات وقتها عن علي عليه السلم وقتادة
والسدي وفي روايات اصحابنا انه فاته اول الوقت وقال الجبائي لم يفته الفرض
وانما فاته نفل كان يفعله آخر النهار لاشتغاله بالخيل وقيل ان ذكر ربي كناية عن
كتاب الله التورية فالمعنى اني احببت الخيل عن كتاب الله وكما ان ارتباط الخيل ممدوح
في كتابنا كذلك كان في كتابهم عن ابي مسلم حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس عن ابن مسعود
وجماعة المفسرين وجاز وان لم يجد للشمس ذكر كما قال لبيد شعر حتى اذا القت يدا في كافر
واجن عورات الثغور ظلامها وقيل الضمير للخيل يعني حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى انها
شغلت فكره الى تلك الحال وهي غيبوبتها عن بصره وذلك انه امر باجراء الخيل فاجريت
حتى غابت عن بصره عن ابي مسلم وعلي بن عيسى ردوها علي اي قال لاصحابه ردوا الخيل علي

اكثر المفسرين وقيل معناه انه سال الله تعالى ان يرد الشمس عليه فردها عليه حتى صلى العصر
فالهاء في ردوها كناية عن الشمس عن علي بن ابي طالب عليه السلام فطفق مسحا بالسوق
والاعناق قيل فيه وجوه احدها ان المسح ههنا القطع والمعنى انه اقبل يضرب
سوقها واعناقها لانها كانت سبب فوت صلوته عن الحسن ومقاتل وقال ابو عبيدة
تقول العرب مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل انما فعل ذلك لانها كانت اعز ماله
فتقرب الى الله ان ذبحها ليتصدق بلحومها ويشهد بصحته قوله تعالى لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون وثانيها ان معناه فجعل يمسح اعراف خيله وعراقيبها
بيده حبا لها عن ابن عباس والزهري وابن كيسان قال ابن عباس سالت عليا
عليه السلام عن هذه الاية فقال ما بلغك فيها يا ابن عباس قلت بل سمعت كعبا يقول
اشتغل سليمن بعرض الافراس حتى فاتته الصلوة فقال ردوها علي يعني الافراس وكانت
اربعة عشر فامر بضرب سوقها واعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه اربعة عشر
يوما لانه ظلم الخيل بقتلها فقال علي كذب لكن اشتغل سليمان بعرض الافراس ذات يوم
لانه اراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بامر الله للملائكة الموكلين
بالشمس ردوها علي فردت فصلى العصر في وقتها وان انبياء الله لا يظلمون ولا يامرون
بالظلم لانهم معصومون مطهرون وثالثها انه مسح اعناقها وسوقها وجعلها مسبلة
في سبيل الله وقيل لتغلب قطربا يقول مسحها وبارك عليها فانكر ذلك وقال القول
ما قال الفرا بانه ضرب اعناقها ثم قال سبحانه ولقد فتنا سليمن اي اختبرناه وابتليناه
وشددنا المحنة والقينا على كرسيه جسدا اي طرحناه على كرسيه جسدا والجسد الذي
لا روح فيه ثم اناب سليمن ع واختلف العلماء في زلته وفتنته والجسد الذي القي على كرسيه
على اقوال منها ان سليمان قال يوما في مجلسه لاطوفن الليلة على سبعين امراة تلد كل امراة
منهن غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امراة
واحدة جاءت بشق ولد رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله قال ثم قال فوالذي
نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل فرسانا فالجسد الذي القي على كرسيه كان هذا

ثم اناب الى الله تعالى وفزع الى الصلوة والدعاء على وجه الانقطاع اليه سبحانه وهذا لا يقتضي
انه وقع منه ع معصية صغيرة ولا كبيرة لانه ع وان لم يستثن ذلك لفظا فلا بد ان يكون استثناه
ضميرا واعتقادا اذ لو كان قاطعا للقول بذلك لكان مطلقا لما لا يامن ان يكون كذبا الا انه
لما لم يذكر لفظة الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب اليه ومنها
ما روي ان الجن والشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لنلقين
منه ما لقينا من ابيه من البلاء فاشفق عليه السلام منهم عليه فاسترضعه في المزن وهو السحاب
فلم يشعر الا وقد وضع على كرسيه ميتا تنبيها على ان الحذر لا ينفع عن القدر وانما عوتب ع
على خوفه من الشيطان عن الشعبي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام ومنها ولد له ميت
جسدا بلا روح فالقي على سريره عن الجبائي ومنها ان الجسد المذكور هو جسد سليمن
لمرض امتحنه الله تعالى به وتقدير الكلام والقينا منه على كرسيه جسدا لشدة المرض
فيكون جسدا منصوبا على الحال والعرب تقول بالانسان اذا كان ضعيفا هو جسد
بلا روح ولحم على وضم ثم اناب رجع الى حال الصحة عن ابي مسلم واستشهد على ذلك
بقوله سبحانه ومنهم من يستمع اليك الى قوله يقول الذين كفروا منهم اي من المجادلين
كما قال سبحانه محمد رسول الله صلى الله عليه واله الى قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة ومثله قول الاعشى شعر وكان السموط علقها السلك بعطفي
جيداء ام غزال ولو اتى بالشرح لكان علقها السلك منها وقال كعب بن زهير شعر زالوا
فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل ولو اتى بالشرح لقال فما زال
منهم انكاس واما ما ذكر عن ابن عباس انه القي شيطان اسمه صخر على كرسيه وكان
ماردا عظيما لا يقوى عليه جميع الشياطين وكان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه
فجاء صخر بصورة سليمان حتى اخذ الخاتم من امراة من نسائه واقام اربعين يوما
في ملكه وسليمان هارب وعن مجاهد ان شيطانا اسمه اصف قال له سليمان كيف
تفتنون الناس قال ارني خاتمك اخبرك بذلك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب
ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان

يستطع ان يطعم حتى اعطته امراة يوماً حوتاً فشق بطنه فوجد خاتمه فيه فرد الله
عليه ملكه وعن السدى ان اسم ذلك الشيطان خيقيق ومما ذكر ان السبب في ذلك ان الله
سبحانه امره ان لا يتزوج في غير بنى اسرائيل فتزوج من غيرهم وقيل بل السبب فيه انه
وطى امراة في حال الحيض فسال منها الدم فوضع خاتمه ودخل الحمام فجاء الشيطان
واخذه وقيل تزوج امراة مشركة ولم يستطع ان يكرهها على الاسلام فعبدت الصنم
في داره اربعين يوماً فابتلاه الله بحديث الشيطان والخاتم اربعين يوماً وقيل
احتجب ثلثة ايام ولم ينظر في امر الناس فابتلى بذلك فان جميع ذلك مما لا يعول عليه
لان النبوة لا تكون في خاتم ولا يجوز ان يسلبها النبى ولا ان يمكن الشيطان من التمثل بصورة
النبى والقعود على سريره والحكم بين عباده وبالله التوفيق ثم حكى سبحانه دعا
سليمان حين اناب بقوله رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت
الوهاب يسال عن هذا فيقال ان هذا القول من سليمان يقتضى الضن والمنافسة
لانه لم يرض بان يسال الملك حتى اضاف الى ذلك ان يمنع غيره منه واجيب عنه باجوبة
احدها ان الانبياء لا يسالون الا ما يوذن لهم في مسئلته وجايز ان يكون الله تعالى
اعلم سليمن انه ان سال ملكا لا يكون لغيره كان اصلح له في الدين واعلمه انه لا صلاح
لغيره في ذلك ولو ان احدنا صرح في دعائه بهذا الشرط حتى يقول اللهم اجعلنى اكثر
اهل زمانى مالا اذا علمت ان ذلك اصلح لى لكان ذلك منه حسنا جايزا ولا ينسب في ذلك الى شح
وضن واختاره الجبائى وثانيها انه يجوز ان يكون عم التمس من الله تعالى اية لنبوته مبين
بها من غيره واراد لا ينبغى لاحد غيرى ممن انا مبعوث اليه ولم يرد من بعدى الى
يوم القيمة من النبيين عليهم السلم كما يقال انا لا اطيع احدا بعدك اى لا اطيع احدا
سواك وثالثها ما قاله المرتضى قدس الله روحه انه يجوز ان يكون انما سال
ملك الاخرة وثواب الجنة ويكون معنى قوله لا ينبغى لاحد من بعدى لا يستحقه بعد
بعد وصولى اليه احد من حيث لا يصح ان يعمل ما يستحق به ذلك لانقطاع التكليف
ورابعها انه التمس معجزة تختص به كما ان موسى عليه السلم اختص بالعصا واليد واختص صالح

بالناقة

بالناقة ومحمد صلى الله عليه وآله بالمعراج والقران ويدل عليه ما روى مرفوعاً
عن النبى صلى الله عليه وآله انه صلى صلوة فقال ان الشيطان عرض لى ليفسد على الصلوة
فامكننى الله منه فدعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى يصبحوا او ينظروا
اليه اجمعين فذكرت قول سليمن هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرده الله
خاسيا خايبا اورده البخارى ومسلم في الصحيحين ثم بين سبحانه انه اجاب دعاه بقوله
فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء اى لينة سهلة عن ابن زيد وقيل طيبة سريعة
عن قتاده وقيل مطيعة تجرى الى حيث يشاء عن ابن عباس حيث اصاب اى حيث
اراد سليمان من النواحى عن اكثر المفسرين وحقيقته حيث قصدوا بمعنى انه
تطاع له كيف اراد قال الحسن كان يغدو من ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل
سوال كيف وصف سبحانه الريح بالعاصف في قوله ولسليمان الريح عاصفة ووصفها
هنا بخلافه جوابه يجوز ان يكون الله سبحانه جعلها عاصفة تارة ورخا باخرى
بحسب ما اراد سليمن ع والشياطين اى وسخرنا الشياطين ايضا كل بناء في البر يبنى له
ما اراد من الابنية الرفيعة وغواص في البحر على اللالى والجواهر فيستخرج له ما شا
منها واخرين مقرنين في الاصفاد اى سخرنا له اخرين من الشياطين مشددين
في الاغلال والسلاسل من الحديد وكان يجمع بين اثنين وثلثة منهم في سلسلة
لا يمتنعون عليه اذا اراد ذلك بهم عند تمردهم وقيل انه انما كان يفعل ذلك
بكفارهم فاذا امنوا اطلقهم هذا عطاؤنا اى هذا الذى تقدم ذكره من الملك
الذى لا ينبغى لاحد من بعدك عطاؤنا فامنن او امسك اى فاعط من الناس
من شئت منهم وامنع من شئت والمن الاحسان الذى لا يستثيبه بغير حساب
اى لا يحاسب يوم القيمة على ما يعطى ويمنع فيكون اهنا لك عن قتاده والضحاك
وسعيد بن جبير وقيل معناه بغير جزاء اى اعطيناكه تفضلا لا مجازاة عن الزجاج
وقيل ان المعنى فانعم على من شئت من الشياطين باطلاقه او امسك من شئت منهم
في وثاقه وصرفه في عمله من غير حرج عليك فيما تفعله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب

معناه وان لسليمن عندنا لقربة وحسن مرجع فى الاخرة وهذا من اعظم النعم اذهى النعمة
الباقية الدايمة قوله عز وجل واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان
بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب
به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب اربع آيات القراة
قراء ابو جعفر بنصب بضمتين وقرأ يعقوب بنصب بفتحتين والباقون بضم النون
وسكون الصاد الاعراب قال الزجاج النصب والنصب لغتان كالرشد والرشد والبخل
والبخل يقول نصبت نصبا ونصبا قال ابو عبيدة النصب البلاء والشر وانشد لبشر
بن ابى خازم شعر تعناك نصب من اميمة منصب ومن قرأ بنصب بضمتين فانه اتبع
الصاد ما قبله فهى اربع لغات اللغة الركض الدفع بالرجل على جهة الاسراع وفى
ركض الفرس لاسراعه اذا دفعه برجله قال سيبويه يقال ركضت الدابة وركضتها
فهو مثل جبر العظم وجبرته والضغث مثل الكف من الشجر والحشيش والشماريخ
وما اشبه ذلك المعنى ثم ذكر سبحانه قصة ايوب ع فقال واذكر يا محمد عبدنا
ايوب شرفه الله سبحانه بان اضافه الى نفسه واقتد به فى الصبر على الشدايد
وكان فى زمان يعقوب بن اسحق ع تزوج ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه اى حين
دعا ربه رافعا صوته يقول يا رب لان الندا هو الدعا بطريقة يا فلان ومتى
قال اللهم افعل بى كذا وكذا كان داعيا ولا يكون مناديا انى مسنى الشيطان بنصب
وعذاب اى بتعب ومكروه ومشقة وقيل بان يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى
من الاهل والولد والمال وكيف زال ذلك كله وحصل فيما هو فيه من البلية
طمعا ان يزله بذلك ويجد طريقا الى تضجره وتبرمه فوجده صابرا مسلما لامر الله
وقيل انه اشتد مرضه حتى تجنبه الناس فوسوس الشيطان الى الناس ان يستقذروه
ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التى تخدمه ان تدخل عليهم فكان ايوب يتأذى
بذلك ويتألم به ولم يشك الالم الذى كان من امر الله سبحانه قال قتادة دام ذلك

سبع سنين وروى ذلك عن ابى عبد الله عليه السلم قال اهل التحقيق انه لا يجوز ان يكون
بصفة يستقذره الناس عليها لان فى ذلك تنفيرا فاما الفقر والمرض وذهاب
الاهل فيجوز ان يمتحنه الله بذلك فاجاب الله سبحانه دعاءه وقال له اركض
برجلك اى ارفع برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب فى الكلام حذف اى فركض
برجله فنبعت بركضته عين ماء وقيل نبعت عينان فاغتسل من احديهما
فبرأ وشرب من الاخرى فروى عن قتادة والمغتسل الموضع الذى يغتسل
منه عن مقاتل وقيل هو اسم للماء الذى يغتسل به عن ابن قتيبة ووهبنا
له اهله ومثلهم معهم هذا مفسر فى سورة الانبياء وروى عن ابى عبد الله ع
ان الله تعالى احيا له اهله الذين كانوا ماتوا وهو فى البلية رحمة منا اى فعلنا
به ذلك لرحمتنا اياه فيكون منصوبا بانه مفعول له ويجوز ان يكون منصوبا
على المصدر لما كانت الموهبة بمعنى الرحمة وذكرى لاولى الالباب اى وليتذكر
ويعتبر به ذووا الالباب اى العقول ويعرفوا حسن عاقبة الصبر فيصبروا
كما صبر قالوا انه اطعم جميع اهل قريته سبعة ايام وامرهم بان يحمدوا الله ويشكروه
وخذ بيدك ضغثا وهو ملأ الكف من الشماريخ وما اشبه ذلك اى وقلنا له
ذلك وذلك انه حلف على امرأته لامر انكره من قولها لئن عوفى ليضربنها مائة جلدة
فقيل له خذ ضغثا بعدد ما حلفت به واضربها به دفعة واحدة فانك اذا فعلت
ذلك بررت يمينك ولا تحنث فى يمينك نهاه عن الحنث وروى عن ابن عباس انه
قال كان السبب فى ذلك ان ابليس لقيها فى صورة طبيب فدعته لمداواة ايوب
فقال اداويه على انه اذا برأ قال انت شفيتنى لا اريد جزاء سواه قالت نعم فاشارت
الى ايوب بذلك فحلف ليضربنها وقيل انها كانت ذهبت فى حاجة فابطات
فى الرجوع فضاق صدر المريض فحلف ثم اخبر سبحانه عن حال ايوب وعظم منزلته
فقال انا وجدناه صابرا على البلاء الذى ابتليناه به نعم العبد هو انه اواب
اى رجاع الى الله منقطع اليه وروى العياشى باسناده ان عباد المكى قال قال لى سفين

الثوري انى ادى لك من ابي عبد الله عليه السلام منزله فاساله عن رجل زنا وهو مريض
فان اقيم عليه الحد خافوا ان يموت ما يقول فيه قال فسالته فقال لي هذه المسألة
من تلقاء نفسك او امرك بها انسان فقلت ان سفين الثوري امرني ان
اسالك عنها فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتى برجل جبين قد استسقى
بطنه وبدت عروق فخذيه وقد زنا بامراة مريضة فامر رسول الله صلى الله
عليه وآله فاتى بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة وخلى سبيلهما وذلك
قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث قوله عز وجل واذكر عبادنا
ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع
وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن
مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب
وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا
لرزقنا ما له من نفاد عشر آيات القراءة قرأ ابن كثير وحده واذكر عبدنا ابراهيم
والباقون عبادنا وقرأ اهل المدينة وهشام بخالصة ذكرى الدار غير منون
على الاضافة والباقون بالتنوين وخلافهم في واليسع مذكور في سورة الانعام
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ما يوعدون بالياء وابن كثير وحده يقرأ في سورة
ق بالياء ايضا والباقون بالتاء في الموضعين وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي
اولي الايد بغير ياء الحجة قال ابو علي من قرأ عبدنا فانه اختصه بالاضافة
على وجه التكرمة له والاختصاص بالمنزلة الشريفة كما قيل في مكة بيت الله
ومن قرأ عبادنا اجرى هذا الوصف على غيره من الانبياء ايضا وجعل ما بعده
بدلا من العباد ولو لا ذلك لجعل ابراهيم بدلا وما بعده معطوفا على المفعول به المذكور
وقوله بخالصة ذكرى الدار يحتمل امرين احدهما ان يكون ذكرى بدلا من الخالصة
تقديره انا اخلصناهم ذكرى الدار ويجوز ان يقدر في قوله ذكرى التنوين فيكون

الدار في موضع نصب بتقديره بان يذكر والدار بالتاهب للآخرة والثاني ان لا يقدر
البدل ولكن تكون الخالصة مصدرا فيكون مثل قوله من دعاء الخير فيكون المعنى
بخالصة تذكير الدار ويقوي هذا الوجه ما روي عن قراءة الاعمش بخالصتهم
ذكرى الدار فهذا يقوي النصب فكانه قال بان اخلصوا تذكير الدار فاذا نونت خالصة
احتمل امرين احدهما ان يكون المعنى بان خلصت لهم الذكرى الدار فيكون ذكرى في موضع
رفع بانه فاعل والآخر ان يقدر المصدر الذي هو خالصة من الاخلاص فحذف الزيادة
فيكون المعنى باخلاص ذكرى فيكون ذكرى في موضع نصب والدار يجوز ان يعني بها
الآخرة والذي يدل عليه انه يجوز ان يراد بها الدنيا قوله تعالى في الحكاية عن ابراهيم
واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقوله وجعلنا لهم لسان صدق اللسان هو القول
لا الجارحة كما في قول الشاعر شعر ندمت على لسان فات مني فليت بانه في جوف علم
وكذلك قول الآخر شعر اني اتاني لسان لا اسر به من علو لا كذب فيه ولا سخر وقوله تعالى
وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم وسلام على نوح في العالمين والمعنى
ابقينا عليهم الثناء الجميل في الدار فالدار في هذا التقدير ظرف والقياس ان يتعدى
الفعل والمصدر اليه بالحرف لكنه على ذهبت الشام عند سيبويه وكما عسل الطريق
الثعلب واما جواز كون الدار الآخرة في قوله اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار
فيكون ذلك باخلاصهم ذكرى الدار ويكون ذكرهم لها وجل قلوبهم منها ومن
حسابها كما قال وهم من الساعة مشفقون فالدار على هذا مفعول بها وليست
كالوجه المتقدم واما من اضاف فقال بخالصة ذكرى الدار فان الخالصة
تكون على ضروب تكون للذكر وغير الذكر فاذا اضيفت الى ذكرى اختصت الخالصة
بهذه الاضافة فتكون هذه الاضافة الى المفعول به كانه باخلاصهم ذكرى الدار
اي بان اخلصوا ذكرها والخوف منها لله ويكون على اضافة المصدر الذي هو الخالصة
الى الفاعل تقديره بان اخلصت لهم ذكرى الدار والدار على هذا يحتمل الوجهين
الذين تقدما من كونها للآخرة والدنيا فاما قوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام

خالصة لذكورنا فيكون في خالصة وجهان احدهما ان يكون مصدرًا كالعاقبة
والاخر ان يكون وصفًا وكلا الوجهين يحتمل الاية فيجوز ان يكون ما في الانعام
ذات خلوص ويجوز ان يكون الصفة وانث على المعنى لانه كثير والمراد به الاجنة
والمضامين فيكون التانيث على هذا ومن قرأ اليسع جعله اسمًا على صورة
الصفات كالحارث والقياس الا ترى ان فيعلا مثل ضيغم وحيدر كثير في الصفات
ووجه قرأة من قرأ واليسع ان الالف واللام قد يدخلان الكلمة على وجه الزيادة
كما حكى ابو الحسن الخمسة العشر درهمًا قال ولقد جنيتك اكماء وعساقلا ولقد نهيتك
عن بنات الاوبر وبنات اوبر ضرب من الكماة معرفة فادخل في المعرفة الالف واللام
على وجه الزيادة فكذلك التي تكون في اليسع ومن قرأ هذا ما يوعدون بالتاء
فعلى معنى قل للمتقين هذا ما توعدون والياء على معنى ان للمتقين لحسن مآب
هذا ما توعدون والياء اعم لانه يصلح ان يدخل فيه الغيب من الانبياء واما في سورة
ق فنحو هذا وازلفت الجنة للمتقين هذا ما توعدون ايها المتقون على الرجوع من الغيبة
الى الخطاب او على قل لهم هذا ما توعدون والياء على اخبار النبي بما وعدوا كانه هذا
ما يوعدون ايها النبي ومن قرأ اولى الايد بغير ياء فانه يحتمل ان يكون اراد الايدي
فحذف الياء تخفيفًا كقوله يوم يدع الداع ونحو ذلك ويحتمل ان يكون اراد بالايد
القوة في طاعة الله ويدل عليه انه مقرون بالابصار اي البصر بما يحظى عند الله وعلى
هذا فالايدي هنا انما هي جمع اليد التي هي القوة لا التي هي الجارحة ولا النعمة لكنه
كقولك له يد في الطاعة الاعراب قال الزجاج جنات عدن بدل من حسن مآب
مفتحة لهم الابواب اي مفتحة لهم الابواب منها وقال بعضهم مفتحة لهم ابوابها والمعنى
واحد الا ان على تقدير العربية الابواب منها اجود ان يجعل الالف واللام بدلا من الهاء
لانه ليس حرف جاء لمعنى من اسم ولا ينوب عنه قال ابو علي مفتحة لهم صفة لجنات عدن
وفي مفتحة لان معنى الالف واللام ليس من معنى الهاء والالف في شيء لان الهاء والالف
اسم والالف واللام دخلتا للتعريف والالف ضمير يعود الى جنات والابواب بدل من ذلك

الضمير لانك تقول فتحت الجنان اذا فتحت ابوابها فيكون من بدل البعض من الكل
نحو ضربت زيدًا راسه وفي القران وفتحت السماء فكانت ابوابا وليس جنات
عدن معرفة اذ ليس عدن بعلم وانما هو بمنزلة جنات اقامة وقوله هذا خبر
مبتدا محذوف وتقديره الامر هذا ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر اي هذا
امرهم المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم حديث الانبياء فقال واذكر يا محمد لقومك
وامتك عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب ليقتدوا بهم في حميد فعالهم وكريم
خلالهم فيستحقوا بذلك حسن الثناء في الدنيا وجزيل الثواب في العقبى كما استحق
اولئك ومن قرأ عبدنا فيكون التقدير واذكر عبدنا خصه بشرف الاضافة
الى نفسه واذكر اسحق ويعقوب ضمهم جميعًا فقال اولي الايدي اي ذوي القوة
على العبادة والابصار الفقه في الدين عن ابن عباس ومجاهد وقتادة
ومعناه اولي العلم والعمل فالايدي العمل والابصار العلم عن ابي مسلم وقيل
اولي الايدي اولي النعم على عباد الله بالدعاء الى الدين والابصار جمع البصر
وهو العقل انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اي جعلناهم لنا خالصين
بان خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى التذكير
اي خلص لهم تذكير الدار وهو انهم كانوا يتذكرون بها الناس ويزهدونهم
في الدنيا كما هو عادة الانبياء وقيل المراد بالدار الدار الدنيا عن الجبائي وابي مسلم
اي خصصناهم بالذكر في الاعقاب من بين اهل الدنيا وانهم عندنا في حسب
ما سبق في علمنا لمن المصطفين للنبوة وتحمل اعباء الرسالة الاخيار جمع خير
كالاموات جمع ميت وهو الذي يفعل الافعال الكثيرة الحسنة وقيل هو جمع
خير فيكون كالاقبال جمع قبل وهذا مثل قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين
واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل اي واذكر لامتك هؤلاء ايضًا ليقتدوا
بهم ويسلكوا طريقتهم وقد تقدم ذكرهم وكل من الاخيار قد اختارهم الله تعالى
للنبوة هذا ذكر اي شرف لهم وذكر جميل وثناء حسن يذكرون به في الدنيا ابدا وان للمتقين

لحسن مآب اى حسن مرجع ومنقلب يرجعون فى الآخرة الى ثواب الله ورضوانه
ثم فسر حسن المآب بقوله جنات عدن فهى فى موضع جر على البدل اى جنات
اقامة وخلود مفتحة لهم الابواب اى يجدون ابوابها مفتوحة حين يردونها
ولا يحتاجون الى الوقوف عند ابوابها حتى تفتح وقيل معناه لا يحتاجون الى
مفاتيح بل تنفتح بغير مفتاح وتنغلق بغير مغلاق قال الحسن يكلم يقال
انفتحي انغلقي وقيل معناه انها معدة لهم غير ممنوعين منها وان لم يكن ابوابها
مفتوحة قبل مصيرهم كما يقول الرجل لغيره متى نشطت لزيارتي فالباب
مفتوح والمدست مطروح متكئين فيها اى مستندين فيها الى المساند
جالسين جلسة الملوك يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب اى يتحكمون
فى ثمارها وشرابها فاذا قالوا لشىء منها اقبل حصل عندهم وعندهم
قاصرات الطرف اى وعندهم فى هذه الجنان ازواج قصرن على ازواجهن
راضيات بهم ما لهن فى غيرهم رغبة والقاصر نقيض الماد يقال فلان قاصر
طرفه على فلان وماد عينه الى فلان قال امرؤ القيس من القاصرات الطرف
لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا اتراب اى اقران على سن واحد
ليس فيهن عجوز ولا هرمة وقيل امثال واشباه عن مجاهد اى متساويات
فى الحسن ومقدار الشباب لا يكون لواحدة على صاحبتها فضل فى ذلك وقيل
اتراب على مقدار سن الازواج كل واحدة منهن ترب زوجها ولا تكون
اكبر منه قال الفراء الترب اللدة مأخوذ من اللعب بالتراب ولا يقال الا فى
الاناث قال عمر بن ابى ربيعة شعر ابرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر
كواعب اتراب هذا يعنى ما ذكر فيما تقدم ما يوعدون اى يوعد به
المتقون ويخاطبون فيقال لهم هذا القول ليوم الحساب اى ليوم الجزاء
ان هذا لرزقنا اى عطاؤنا الجارى المتصل ما له من نفاد اى فناء وانقطاع
لانه على سبيل الدوام عن قتادة وقيل انه ليس لشىء فى الجنة نفاد ما اكل

من ثمارها

من ثمارها خلف مكانه مثله وما اكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حيا عن ابن عباس
قوله عز وجل هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد
هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا
بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار
قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار سبع آيات القراءة
قرأ اهل الكوفة غير ابى بكر غساق بالتشديد حيث كان فى القرآن والباقون
بالتخفيف وقرأ اهل البصرة واُخر بضم الالف والباقون آخر على الواحد الحجة
قال ابو على اما الغساق بالتشديد فلا يخلو ان يكون اسما او وصفا فالاسم
لا يجىء على هذا الوزن الا قليلا نحو الكلاء والقذاف والجبان فينبغى ان يكون وصفا
فاذا قيم مقام الموصوف فالاحسن ان لا يقام الصفة مقام الموصوف الا ان يكون
صفة قد غلبت نحو العبد والابطح والابرق والقراءة بالتخفيف احسن من حيث ذكرنا
ومن قرأ واُخر على الجمع كان اخر مبتدأ ومن شكله فى موضع صفته اى من ضربه
وازواج خبر المبتدأ لانه جمع كالمبتدأ وقد وصفت النكرة فحسن الابتداء بها والضمير
فى شكله يعود الى قوله جهنم ويجوز ان يكون المعنى من شكل ما ذكرناه ومن قرأ
وآخر على الافراد فآخر يرتفع بالابتداء فى قول سيبويه وفيه ذكر مرفوع عنده وبالظرف
فى قول الحسن ولا ذكر فى الظرف لارتفاع الظاهر به فان لم يجعل آخر فى هذا الوجه
خاصة قلت انه يكون ابتداء بالنكرة فاذا حمل على ذلك ولكن لما قال حميم وغساق
دل هذا الكلام على ان لهم حميما وغساقا فحمل المعطوف على المعنى فجعل لهم المدلول
عليه خبرا آخر فهو قول وكان التقدير لهم عذاب آخر من شكله ازواج فيكون من شكله
فى موضع الصفة وتكون ارتفاع ازواج به فى قول سيبويه وابى الحسن ولا يجوز
ان يجعل قوله من شكله ازواج فى قول من قرأ وآخر على الجمع وصفا ويضمر الخبر
كما فعلت ذلك فى قول من وحد لان الصفة لا يرجع منها ذكر الى الموصوف الا ترى
ان ازواج اذا ارتفع بالظرف لم يجز ان يكون فيه ذكر مرفوع والهاء التى للافراد لا ترجع

الى الجمع فى الوجه البين فيحصل الصفة بلا ذكر يعود منها الى الموصوف واما
امتناع اخر من الصرف فى النكرة فللعدل والوصف فمعنى العدل فيه ان هذا
النحو لا يوصف به الا بالالف واللام استعملت اخر بلا الف ولام فصارت بذلك معدوله
عن الالف واللام اللغة المهاد الفراش الموطاء يقال مهدت له تمهيدا مثل
وطات له توطية والحميم الحار الشديد الحرارة ومنه الحمى لشدة حرارتها و
الغساق قيح شديد النتن يقال غسقت القرحة تغسق غسوقا وهو مشتق من
الغسق وهو السواد والظلمة اى هو ضد ما يراه فى الشراب من الضياء والرقة
عن ابى مسلم ومنه يقال ليل غاسق وغسقت عينه اظلمت واغسق المؤذن المغرب
اخره الى الظلمة والشكل بفتح الشين الضرب المتشابه والشكل بالكسر النظير فى الحسن
وهو الدال ايضا والاقتحام الدخول فى الشى بشدة وصعوبة وقال ابو عبيده
قولهم لا مرحبا به اى لا رحبت عليه الارض القيتنى قولهم مرحبا بك اى اتيت مرحبا
وسعة قال النابغة لا مرحبا بغد ولا اهلا به ان كان تفريق الاحبه فى غد
الاعراب هذا مبتداء وحميم خبره وغساق معطوف عليه فليذوقوه خبر بعد خبر
والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه ويجوز ان يكون هذا فليذوقوه
مبتداء وخبرا وحميم خبر مبتداء محذوف اى هو حميم ويجوز ان يكون هذا فى
موضع نصب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر المعنى لما بين سبحانه احوال اهل الجنة
وما اعد لهم من جزيل الثواب عقبه ببيان احوال اهل النار وما لهم من اليم العذاب
فقال هذا اى هذا ما ذكرناه للمتقين ثم ابتداء فقال وان للطاغين الذين
طغوا على الله وكذبوا رسله لشر مآب هو ضد ما للمتقين ثم فسر ذلك فقال
يصلونها اى يدخلونها فيصيرون صلا لها فبئس المهاد اى فبئس المسكن و
المهد هذا فليذوقوه حميم وغساق اى هذا حميم وغساق فليذوقوه عن الفراء
والزجاج وقيل معناه هذا الجزاء للطاغين فليذوقوه واطلق عليه لفظ الذوق
لان الذايق يدرك الطعم بعد طلبه فهو اشد احساسا به والحميم الماء الحار و الغساق

البارد

البارد الزمهرير عن ابن مسعود وابن عباس فيكون المعنى انهم يعذبون بحار
الشراب الذى انتهت حرارته وبارده الذى انتهت برودته فبرده يحرق كما يحرق
النار وقيل ان الغساق عين فى جهنم يسيل اليها سم كل ذات حمة من حية وعقرب
عن كعب وقيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم عن السدى وقيل هو القيح
الذى يسيل منهم يجمع ويسقونه عن ابن عمرو وقتاده وقيل هو عذاب لا يعلمه الا الله
عن الحسن واخر اى وضروب اخر من شكله اى من شكل هذا العذاب فى جنسه ازواج
اى الوان وانواع متشابهة فى الشدة لا نوع واحد هذا فوج مقتحم معكم ههنا حذف
اى يقال لهم هذا فوج وهم قادة الضلالة اذا دخلوا النار ثم يدخل الاتباع فيقول
الخزنة للقادة هذا فوج اى قطع من الناس وهم الاتباع مقتحم معكم فى النار داخلوها
كما دخلتم عن ابن عباس وقيل يعنى بالاول اولاد ابليس وبالفوج الثانى بنى ادم اى يقال
لبنى ابليس بامر الله تعالى هذا جمع من بنى ادم مقتحم معكم يدخلون النار وعذابها
وانتم معهم عن الحسن لا مرحبا بهم انهم صالوا النار اى لا اتسعت لهم اماكنهم
لانهم لازموا النار فيكون المعنى على القول الاول ان القادة والروسا يقولان للاتباع
لا مرحبا بهولاء انهم يدخلون النار مثلنا فلا فرح لنا فى مشاركتهم ايانا فيقول
الاتباع لهم بل انتم لا مرحبا بكم اى لا نلتم رحبا وسعة انتم قدمتموه لنا اى حملتمونا
على الكفر الذى وجب لنا هذا العذاب فى دعوتمونا اليه واما على القول الثانى اولاد
ابليس يقولون لا مرحبا بهولاء قد ضاقت اماكنهم اذ كانت النار مملوة منا فليس
لنا منهم ضيق فى شدة وهذا كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله ان النار تضيق عليهم
كضيق الزج بالرمح قالوا بل انتم لا مرحبا بكم اى يقول بنوادم لا كرامة لكم انتم شرعتموه
لنا وزينتموه فى نفوسنا فبئس القرار الذى استقررنا عليه قالوا ربنا من قدم لنا هذا
اى يدعون عليهم بهذا اذا حصلوا فى نار جهنم اى من سبب لنا هذا العذاب فى دعانا الى ما
استوجبنا به فزده عذابا ضعفا اى مثلا مضاعفا الى ما يستحقه فى النار احد الضعفين
لكفرهم بالله والضعف الاخر لدعائهم ايانا الى الكفر قوله عز وجل وقالوا ما لنا لا نرى

رجالاً كنا نعدهم من الاشرار أتخذناهم سخرياً ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل
النار قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض
وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبؤ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملأ
الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين تسع آيات القراءة قرأ اهل العراق
غير عاصم اتخذناهم موصولة الهمزة والباقون اتخذناهم بقطع الهمزة وقرأ اهل المدينة
والكوفة غير عاصم سخرياً بضم السين والباقون بكسر السين وقرأ ابو جعفر ان يوحى الى الا انما
بكسر الالف والباقون بالفتح الحجة قال ابو على في الحاق همزة الاستفهام في قوله اتخذناهم
بعض البعد لانهم قد علموا انهم اتخذوهم سخرياً وكيف يستقيم ان يستفهم عنه ويدل علمهم
بذلك انه قد اخبر عنهم بذلك في قوله فاتخذتموهم سخرياً حتى انسوكم ذكرى فالجملة التى هى
اتخذناهم سخرياً صفة للنكرة فاما وجه فتح الهمزة فانه يكون على التقرير وعودلت بام
لانها على لفظ الاستفهام كما عودلت بام في قوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
وان لم تكن استفهاماً في المعنى وكذلك قولهم ما ابالى ازيداً ضربت ام عمراً فان قلت
فما الجملة المعادلة لقوله زاغت عنهم الابصار في قول من كسر الهمزة في قوله اتخذناهم فالقول
فيه ان الجملة المعادلة لام محذوفة والمعنى اتراهم ام زاغت عنهم الابصار وكذلك قوله
ام كان من الغايبين لان المعنى اخبرونى عن الهدهد احاضر هو ام كان من الغايبين هذا
قول ابى الحسن ويجوز عندى في قوله تعالى قل تمتع بكفرك قليلاً انك من اصحاب النار ام من هو
قانت ان يكون المعادلة لام محذوفة تقديره فاصحاب النار خير ام من هو قانت
وحكى عن ابى عمرو انه قال ما كان من مثل العبودية فسخرى مضموم وما كان من مثل الهزء
فسخرى مكسور السين وقد تقدم ذكر هذا قال ابن جنى من قرأ انما فعلى الحكاية فكانه
قال ان يقال الا انما انا نذير مبين وهذا كما تقول لصاحبك انت قلت انك شجاع
ونحو ذا قول الشاعر شعر تنادوا بالرحيل غداً ۞ وفى ترحالهم نفسى ۞ قال اجاز لى ابو على
ثلثة اضرب من الاعراب بالرحيل والرحيلُ والرحيلَ رفعاً ونصباً وجراً فمن رفع او نصب
فقد وفى الحكاية اللفظ المقول البتة فكانهم قالوا الرحيلُ غداً والرحيلَ غداً فاما الجر

فعلى اعمال الباء فيه هو معنى ما قالوه ولكن حكيت منه قولك غداً وحده وهو خبر
او في موضع رفع لانه خبر المبتدا ولا يكون ظرفاً لقوله تنادوا لان الفعل الماضى لا يعمل
في الزمان الاتى واذا قال بالرحيل غداً فان غداً يجوز ان يكون ظرفاً لنفس الرحيل
ويجوز ان يكون ظرفاً لفعل اخر نصب الرحيل اى يحدث الرحيل غداً المعنى ثم حكى
سبحانه عن اهل النار ايضاً بقوله وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الاشرار
اى يقولون ذلك حين ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم فيها معهم وهم
المومنون عن الكلبى وقيل نزلت في ابى جهل والوليد بن المغيرة وذويهما يقولون
ما لنا لا نرى عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً الذين كنا نعدهم في الدنيا من جملة الذين
يفعلون الشر والقبيح ولا يفعلون الخير عن مجاهد وروى العياشى بالاسناد عن
جابر عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال ان اهل النار يقولون ما لنا لا نرى رجالاً كنا
نعدهم من الاشرار يعنونكم لا يرونكم في النار لا يرون والله احداً منكم في النار
اتخذناهم سخرياً ام زاغت عنهم الابصار معناه انهم يقولون لما لم يروهم في النار
اتخذناهم هزءاً في الدنيا فاخطأنا ام عدلت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم معنا
في النار ان ذلك لحق اى ان ما ذكر قبل هذا لحق اى كاين لا محالة ثم بين ما هو فقال
تخاصم اهل النار يعنى تخاصم الاتباع والقادة او مجادلة اهل النار بعضهم لبعض
على ما اخبر عنهم ثم خاطب نبيه عليه السلم فقال قل يا محمد انما انا منذر اى مخوف من معاصى الله
ومحذر من عقابه وما من اله يحق له العبادة الا الله الواحد القهار لجميع خلقه
المتعالى بسعة مقدوراته فلا يقدر احد على الخلاص من عقوبته اذا اراد عقابه رب
السموات والارض وما بينهما من الانس والجن وكل خلق العزيز الذى لا يغلبه شئ ولا يمتنع
منه شئ الغفار لذنوب عباده مع قدرته على عقابهم قل يا محمد هو نبأ عظيم اختلف فيه
وقيل يعنى القران هو حديث عظيم لانه كلام الله المعجز ولان فيه انباء الاولين انتم
عنه اى عن تدبره والعمل به معرضون عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدى وقيل
خبر القيمة خبر عظيم انتم عنه معرضون اى عن الاستغفار لها غافلون وبها مكذبون

عن الحسن وقيل معناه النبأ الذي انبأتكم به عن الله نبأ عظيم عن الزجاج يعني ما انبأتهم
به من قصص الاولين انتم عنه معرضون لا يتفكرون فيه فيعلموا صدقي في نبوتي قال
ويدل على صحة هذا المعنى قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى يعني الملائكة اذ
يعني ما ذكر من قوله اني جاعل في الارض الى آخر القصة وهو قول ابن عباس وقتاده
والسدي اي ما علمت ما كانوا فيه الا بوحي من الله تعالى وروى ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وآله قال قال لي ربي اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت لا قال اختصموا
في الكفارات والدرجات واما الكفارات فاسباغ الوضوء في السبرات ونقل
الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد الصلوة واما الدرجات فافشاء
السلام واطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين
معناه ما كان لي من علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا لولا ان الله تعالى اخبرني به
لم يمكني اخباركم ولكن ما يوحى الي الا الانذار والبيان الواضح وقيل معناه ليس يوحى
الي الا اني نذير مبين مخوف مظهر للحق قوله عز وجل اذ قال ربك للملائكة اني خالق
بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما
منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا
خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم
وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين ثلث عشر آية المعنى ثم دل على اختصام الملائكة
كان في امر آدم ع بقوله اذ قال ربك للملائكة فالظاهر ان اذ يتعلق بقوله يختصمون
وان اعترض بينهما كلام اني خالق بشرا من طين يعني آدم ع فاذا سويته اي فاذا
سويت خلق هذا البشر وتممت اعضاءه وصورته ونفخت فيه من روحي اي احييته
وجعلت فيه الروح واضاف الروح الى نفسه تشريفا له ومعنى نفخت فيه اي توليت

فعله

فعله من غير سبب وواسطة كالولادة المؤدية الى ذلك فان الله شرف آدم وكرمه
بهذه الحالة فقعوا له ساجدين اي فاسجدوا له اجمعين وفي الكلام حذف التقدير
ثم ان الله تعالى ذكر البشر الذي وعدهم بخلقه فسجد له الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس استكبر وكان من الكافرين مفسر في سورة البقرة قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي هذا سؤال توبيخ وتعريف للملائكة انه لا عذر له في
الامتناع عن السجود ومعنى قوله لما خلقت بيدي توليت خلقه بنفسي من غير
واسطة عن الجبائي ومثله قوله مما عملت ايدينا وذكر اليدين لتحقيق الاضافة
لخلقه الى نفسه وهو قول مجاهد ومثله قوله ويبقى وجه ربك وقيل معناه
خلقته بقدرتي عن ابي مسلم وغيره والعرب كما تطلق لفظة اليد للقدرة والقوة
فقد تطلق لفظة اليدين قال لحملت من ثقل ما ليس به ولا للجبال الراسيات
يدان وقال آخر تحملت امرا انكم لم تبلغوه وما لكم بذلكم يدان وقال عروة بن حزام
قال الحي ودي وودك تقدحي وما لك بالحمل اليقين يدان اي رفعت نفسك
فوق قدرك وتعظمت عن امتثال امري ام كنت من الذين تعلوا اقدارهم عن السجود
فتعاليت عنه قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فضل النار على الطين
قال فاخرج منها اي من الجنة فانك رجيم اي طريد مبعد وان عليك لعنتي الى يوم
الدين قال ابليس عند ذلك رب فانظرني الى يوم يبعثون اي اخرني الى يوم يحشرون
للحساب وهو يوم القيمة قال الله تعالى له فانك من المنظرين اي المؤخرين الى يوم الوقت
المعلوم قد فسرنا جميع ذلك فيما تقدم قال ابليس فبعزتك اي اقسم بقدرتك
التي تقهر بها جميع خلقك لاغوينهم يعني بني آدم كلهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين اي ادعوهم الى الغي وازين لهم القبائح الا عبادك الذين استخلصتهم
واخترتهم وعصمتهم فلا سبيل لي عليهم قوله عز وجل قال فالحق والحق اقول لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا
من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين اربع آيات

القراءة قرأ اهل الكوفة عن الكسائي وهبيرة وروح وزيد عن يعقوب قال فالحق
بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو علي من نصب الحق الاول كان منصوبا بفعل مضمر
نحو انتصاب الحق عليه في ذلك الفعل هو ما ظهر في قوله ويحق الله الحق بكلماته
ويجوز ان ينتصب على التشبيه بالقسم فيكون الناصب له ما ينتصب القسم من نحو الله
لافعلن فيكون التقدير الحق لاملأن وقد يجوز ان يكون الحق الثاني الاول
وكرر على وجه التاكيد ومن رفع كان محتملا لوجهين احدهما ان يكون خبر مبتداء
محذوف تقديره انا الحق والاخر ان يكون مبتداء محذوف الخبر تقديره فالحق
مني كما قال الحق من ربك المعنى ثم حكى سبحانه ما اجاب به ابليس انه قال الله فالحق والحق
اقول اي حقا لاملأن والحق اقول اعتراض بين القسم والمقسم عليه وجاز ذلك لانه
مما يوكد القصة قال الشاعر شعر اراني ولا كفران لله ايه لنفسي لقد طالبت غير منيل
فاعترض بقوله ولا كفران لله بين المفعول الاول والثاني ومن رفع فعلى معنى فانا
الحق والحق مني واقول الحق لاملأن جهنم منك وممن تبعك قبل قولك اي من بني آدم
اجمعين ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال قل يا محمد لكفار مكة ما اسالكم عليه
اي على تبليغ الوحي والقرآن والدعا الى الله سبحانه من اجر اي مال تعطونيه وما انا
من المتكلفين لهذا القرآن من تلقاء نفسي وقيل معناه اني ما اتيتكم رسولا من قبل
نفسي ولم اتكلف هذا الاتيان بل امرت به وقيل معناه ولست ممن يتعسف في طلبه
الامر الذي لا يقتضيه العقل وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال يا ايها الناس
من علم شيئا فليقل ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله
اعلم فان الله قال لنبيه قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المكلفين اورده
البخاري في الصحيح ان هو الا ذكر للعالمين اي ما القرآن الا موعظة للخلق اجمعين
وقيل ما القرآن الا شرف لمن آمن به ولتعلمن نباه بعد حين اي لتعلمن يا كفار مكة
خبر صدقه بعد الموت عن ابن عباس وقتاده وقيل بعد يوم بدر عن السدي وقيل
من عاش علم ذلك اذا ظهر امره وعلا دينه ومن مات علم بعد الموت عن الكلبي سورة الزمر

وتسمى ايضا سورة الغرف وهي مكية كلها عن مجاهد وقتاده والحسن وقيل سوى
ثلث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة قل يا عبادي الى اخرهن وقيل
غير آية قل يا عبادي عدد آيها خمس وسبعون آية كوفي وثلث شامي وثنتان في الباقين
اختلافها سبع آيات فيما هم فيه يختلفون غير الكوفي مخلصا له الدين الثاني و
له ديني من هاد الثاني فسوف تعلمون اربعهن كوفي فبشر عباد عراقي شامي
المدني الاخير من تحتها الانهار مكي شامي والمدني الاول فضلها ابي بن كعب عن
النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه واعطاه ثواب
الخائفين الذين خافوا الله تعالى وروى هارون بن خارجه عن ابي عبد الله عليه السلام
قال من قرأ سورة الزمر اعطاه الله شرف الدنيا والاخرة واعزه بلا مال ولا عشيرة
حتى يهابه من يراه وحرم جسده على النار ويبني له في الجنة الف مدينة الف قصر في كل
قصر مائة الف حوراء وله مع ذلك عينان تجريان وعينان نضاختان وجنتان
مدهامتان وحور مقصورات في الخيام تفسيرها ختم سبحانه سورة ص بذكر القرآن
وافتتح هذه السورة ايضا به فقال بسم الله الرحمن الرحيم
تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى
مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ اربع آيات اللغة التكوير طرح الشيء بعضه على بعض
يقال كور المتاع اذا القى بعضه على بعض ومنه كور العمامة الاعراب تنزيل مبتداء وخبره
من الله اي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما تقول استقامة الناس من الانبياء اي انها
لا يكون الا منهم ويجوز ان يكون تنزيل الكتاب خبر مبتداء محذوف وهذا تنزيل الكتاب

يجوز ان يكون من الله خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون في موضع نصب لانه يتعلق بتنزيل
بالحق مفعول انزلنا ويجوز ان يكون في موضع الحال والتقدير انزلنا الكتاب محقين
او محقا فيكون ذو الحال نا من انزلنا او الكتاب الدين في موضع نصب على المصدر والتقدير
ليقربونا قربى التقدير يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا فيكون يقولون خبرا الذين
اتخذوا والاول مبتدأ او يكون حالا من الضمير في اتخذوا ويكون الخبر قوله ان الله يحكم
بينهم يكون يحتمل ان يكون حالا ويحتمل ان يكون استينافا في كلام فلا يكون له محل المعنى
عظم الله سبحانه امر القران وحث المكلفين على القيام بما فيه واتباع اوامره ونواهيه
بان قال تنزيل الكتاب من الله العزيز المتعال عن المثل والشبه الحكيم في افعاله واقواله
فوصف هنا نفسه بالقوة تحذيرا من مخالفة كتابه وبالحكمة اعلاما بانه يحفظه
حتى يصل الى المكلفين من غير تغيير لشئ منه انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي لم ننزله
باطلا بغير غرض وقيل معناه بالامر الحق اي بالدين الصحيح فاعبد الله اي فوجه عبادتك
الى الله وحده مخلصا له الدين من شرك الاوثان والاصنام والاخلاص ان يقصد
العبد بنيته وعمله الى خالقه لا يجعل ذلك لغرض الدنيا الا لله الدين الخالص والخالص
هو ما لا يشوبه الريا والسمعة ولا وجه من وجوه الدنيا والدين الخالص الاسلام عن
الحسن وقيل هو شهادة ان لا اله الا الله عن قتاده وقيل معناه الا لله الطاعة بالعبادة
التي يستحق بها الجزاء فهذا لله وحده لا يجوز ان يكون لغيره وقيل هو الاعتقاد الواجب
في التوحيد والعدل والنبوات والاقرار بها والشرايع بموجبها والبراءة من كل دين
سواها فهذا تفصيل قول الحسن انه الاسلام والذين اتخذوا من دونه اولياء اي عبدوا
الهم من دون الله ما لا يملكهم فهم ههنا حذف يدل الكلام عليه اي يقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى اي ليشفعوا لنا الى الله والزلفى القربى وهو اسم اقيم مقام
المصدر ان الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما هم فيه يختلفون من امور الدين فيعاقب
كلا منهم على قدر استحقاقه ان الله لا يهدي الى طريق الجنة او لا يحكم بهدايته الى الحق
من هو كاذب على الله وعلى رسوله كفار بما انعم الله عليه جاحد لاخلاص العبادة لله

ولم يرد به

ولم يرد به الهداية الى الايمان لقوله سبحانه واما ثمود فهديناهم لو اراد الله ان يتخذ
ولدا على ما يقوله هؤلاء من ان الملائكة بنات الله او ما يقوله النصارى من ان المسيح
ابن الله واليهود ان عزيرا ابن الله لاصطفى اي لاختار مما يخلق ما يشاء اي ما كان
يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا اليه من شاؤوا بل كان يختص من خلقه
من يشاء كذلك لانه غير ممنوع من مراده ومثله قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا
لاتخذناه من لدنا ثم اخبر انه منزه من اتخاذ الاولاد بقوله سبحانه اي تنزيها
له عن ذلك هو الله الواحد لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد له القهار
خلقه بالموت وهو حي لا يموت ثم نبه سبحانه عن كمال قدرته فقال خلق السموات
والارض بالحق اي لم يخلقهما باطلا لغير غرض بل خلقهما للغرض الحكمي يكور الليل
على النهار ويكور النهار على الليل اي يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة
والنقصان فما نزيد في احدهما ينقص من الاخر عن الحسن وجماعة المفسرين وقيل
يغشي هذا هذا كما قال يغشي الليل النهار ويولج الليل في النهار عن قتاده وسخر
الشمس والقمر بان اجراهما على وتيرة واحدة كل يجري لاجل مسمى اي الى مدة قدرها
الله لهما ان يجريا اليها وقيل الى قيام الساعة وقيل لاجل مسمى اي لوقت معلوم في
الشتاء والصيف هو المطلع والمغرب لكل واحد منهما الا هو العزيز الغفار معناه
وفايدة الاية ان من قدر على خلق السموات والارض وادخال الليل في النهار
فهو منزه عن اتخاذ الولد والشريك فان ذلك من صفة المحتاجين قوله
عز وجل خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنها زَوجَها وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ الأَنعامِ
ثَمانِيَةَ أَزواجٍ يَخلُقُكُم في بُطونِ أُمَّهاتِكُم خَلقًا مِن بَعدِ خَلقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ
اللهُ رَبُّكُم لَهُ المُلكُ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ فَأَنّى تُصرَفونَ إِن تَكفُروا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنكُم
وَلا يَرضى لِعِبادِهِ الكُفرَ وَإِن تَشكُروا يَرضَهُ لَكُم وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى ثُمَّ
إِلى رَبِّكُم مَرجِعُكُم فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلونَ إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ وَإِذا مَسَّ
الإِنسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنيبًا إِلَيهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعمَةً مِنهُ نَسِيَ ما كانَ يَدعو

اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك
من اصحاب النار امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا
رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر
اولوا الالباب قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب ست آيات القراءة قرأ ابو عمرو في رواية اوقية وابي شعيب السوسي وابي عمر الدوري
عن اليزيدي عنه وحمزة وفي رواية العجلي يرضه لكم ساكنة الهاء وقرأ ابن كثير وابن عامر
والكسائي وخلف ونافع برواية اسمعيل وابو بكر برواية البرجمي يرضه مضمومة الهاء
مشبعة وقرأ الباقون بضم الهاء مختلسة غير مشبعة وقرأ ابن كثير ونافع
وحمزة امن هو قانت خفيفة الميم والباقون بتشديد الميم الحجة قال ابو علي من قرأ
يرضهو فالحق الواو ان ما قبل الهاء متحرك فيكون بمنزلة ضربهو وهذا هو
ومن قال يرضه فحرك الهاء ومن لم يلحق الواو وان الالف المحذوفة للجزم ليس بلازم
حذفها لان الكلمة اذا نصبت او رفعت عادت الالف فصارت الالف في حكم الثابت
واذا ثبت الالف فالاحسن ان لا يلحق الواو نحو قوله القى موسى عصاه وذلك ان الهاء خفيفة
فلو الحقها الواو وقبلها الالف لاشبه الجمع بين الساكنين واما من اسكن فقال
يرضه لكم فان ابا الحسن يزعم ان ذلك لغة وعلى هذا قوله ونضواي مشتاقان له
ارقان ومن قرأ امن هو قانت ففيه وجهان احدهما ان المعنى الجاحد الكافر
خير ام من هو قانت وبكت على الحذف وفي قوله هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون ودل عليه ايضا قوله قل تمتع بكفرك قليلا وقد تقدم ذكره والاخر ان المعنى
بل ام من هو قانت كغيره اي من هو مطيع كمن هو عاص ويكون على هذا الخبر محذوفا
لدلالة الكلام عليه كقوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب واما من خفف فقال امن هو قانت فالمعنى ايضا امن هو قانت كمن هو
بخلاف هذا الوصف ولا وجه للنداء هنا لان هذا موضع معادلة فانما يقع فيه

الجمل التي

الجمل التي يكون اخبارا وليس النداء كذلك وقال ابو الحسن القراءة بالتخفيف ضعيفة
لان الاستفهام انما يبتدأ ما بعده ولا يحمل على ما قبله وهذا الكلام ليس قبله شيء
يحمل عليه الا في المعنى اللغة التخويل العطية العظيمة على وجه الهبة وهي المنحة خوله الله
مالا ومنه الحديث كان يتخولهم بالموعظة مخافة السآمة عليهم اي يتعهدهم والحديث
الآخر اذا بلغ بنو ابي العاص ثلثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ودين الله دغلا
وعباد الله خولا اي يظنون عباد الله عبيدا لهم اعطاهم الله ذلك قال ابو النجم
اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول والقانت الداعي والقانت
المصلي قال قانتا لله يتلو كتابه وعلى عمد من الناس اعتزلا آناء الليل ساعاته واحدها
انى واني الاعراب ذلكم الله ربكم له الملك ذلكم مبتدأ والله عطف بيان وربكم بدل
من لفظة الله وان شئت كان خبر المبتدأ له الملك يرتفع الملك والظرف مع ما
ارتفع به في موضع الحال اي متوحدا بالوحدانية وجاز ان يكون خبرا آخر فانى تصرفون
انى في موضع نصب على الحال وعلى المصدر ومعناه كيف يصرفون المعنى ثم ابان
سبحانه عن كمال قدرته بخلق آدم وذريته فقال خلقكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام
لان جميع البشر من نسله ثم جعل منها زوجها يعني حوا اي من فضل طينته وقيل
من ضلع من اضلاعه وفي قوله ثم جعل منها زوجها ثم يقتضي التراخي والمهلة
وفي خلق الوالدين قبل الولد ثلثة اقوال احدها انه عطف يوجب ان الكلام الثاني
بعد الاول ويجري مجرى قول القائل قد رايت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك
امس وان كان ما كان امس قبل ما يكون اليوم ونحوه قول الشاعر شعر ولقد ساد
ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده والثاني انه معطوف على معنى واحدة
فكانه قال خلقكم من نفس واحدة اوجدها وحدها ثم جعل منها زوجها والثالث
انه خلق الذرية في ظهر آدم واخرجها من ظهره كالذر ثم خلق من بعد ذلك
حواء من ضلع من اضلاعه على ما ورد في الاخبار وهذا ضعيف وقد مضى الكلام عليه
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اختلف في معناه على وجوه احدها ان معنى الانزال هنا

الاحداث والانشاء كقوله قد انزلنا عليكم لباسا ولم ينزل اللباس ولكن انزل الماء
الذي هو سبب القطن والصوف واللباس يكون منهما فكذلك الانعام يكون بالنبات والنبات
يكون بالماء والثاني انه انزلها بعد ان خلقها في الجنة عن الجبائي قال وفي الخبر الشاة من دواب
الجنة والابل من دواب الجنة والثالث ان المعنى جعلها نزلا ورزقا لكم ويعنى بالازواج
الثمانية من الانعام الابل والبقر والغنم الضان والمعز من كل صنف اثنان هما زوجان وهو
مفسر في سورة الانعام يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم عظاما ثم يكسى العظام لحما ثم ننشاه خلقا اخر عن قتاده ومجاهد والسدى وقيل
خلقا في بطون الامهات بعد الخلق في ظهر آدم عن ابن زيد في ظلمات ثلث ظلمة البطن
وظلمة الرحم وظلمة المشيمة عن ابن عباس ومجاهد وقتاده والسدى وابن زيد وهو
المروى عن ابي جعفر عليه السلام وقيل ظلمة الليل وظلمة صلب الرجل وظلمة الرحم وظلمة البطن ثم خاطب سبحانه
خلقه فقال ذلكم الله الذي خلق هذه الاشيا ربكم الذي يملك التصرف فيكم له الملك
على جميع المخلوقات لا اله الا هو فاني تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان مثل قوله
فاني تؤفكون ان تكفروا اي تجحدوا نعم الله تعالى ولم تشكروه فان الله غني عنكم وعن
شكركم فلا يضره كفركم ولا يرضى لعباده الكفر وفي هذا اوضح دلالة على انه سبحانه لا يريد
الكفر الواقع من العباد لانه لو اراده لوجب متى وقع ان يكون راضيا به لعبده لان الرضا
بالفعل ليس الا ما ذكرناه الا ترى انه يستحيل ان نريد من غيرنا شيئا ويقع منه على ما نريده
فلا يكون راضين به او ان نرضى شيئا ولم نرده البته وان تشكروا الله تعالى على نعمه
وتعترفوا بها يرضه لكم ويرده منكم ويثبكم والهاء في يرضه كناية عن المصدر الذي
دل عليه ان تشكروا والتقدير يرض الشكر لكم كقولهم من كذب كان شرا له اي كان الكذب
شرا له ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى والمعنى لا يوخذ بالذنب
الا من يرتكبه ويفعله ثم الى ربكم مرجعكم اي مصيركم فينبئكم بما كنتم تعملون اي يخبركم
بما عملتموه ويجازيكم بحسب ذلك انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه سر وعلانيه
واذا مس الانسان ضر من شدة ومرض وقحط وغير ذلك دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه

وحده لا يرجوا سواه ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه
من قبل اي نسي الضر الذي كان يدعوا الله الى ان يكشفه من قبل نيل هذه
النعمة قال الزجاج معناه نسي الدعا الذي كان يتضرع به الى الله عز وجل
من قبل وجايز ان يكون المعنى نسي الله الذي كان يتضرع اليه من قبل ومثله
ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد وكانت ما تدل على الله تعالى
ومن عبارة عن كل مميز وما يكون لكل شيء وجعل لله اندادا اي سمى له امثالا في توجيه
عبادته اليها من الاصنام والاوثان ليضل الناس عن سبيله اي عن دينه او يضل
هو عن الدين واللام لام العاقبة وذلك انهم لم يفعلوا ما فعلوا وغرضهم ذلك
لكن عاقبتهم كان اليه قل تمتع بكفرك قليلا هذا امر معناه الخبر كقوله اذا لم تستحي
فاصنع ما شئت والمعنى ان مدة تمتعه في الدنيا بكفره قليله زايله انك من اصحاب
النار تعذب فيها دايما امن هو قانت اي هذا الذي ذكرناه خير ام من هو دايم على الطاعة
عن ابن عباس والسدى وقيل على قراءة القرآن وقيام الليل عن ابن عمر وقيل يعني صلوة
الليل عن ابي جعفر ع اناء الليل اي ساعات الليل ساجدا وقايما يسجد تارة في الصلوة و
يقوم اخرى يحذر الاخرة اي عذاب الاخرة ويرجوا رحمة ربه اي يتردد بين الخوف والرجا اي
ليسا سواء وهو قوله قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون اي لا يستوى الذين
يعلمون ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون ذلك انما يتذكر اولوا الالباب
اي انما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين وروى عن ابي عبد الله عليه السلام قال نحن الذين
يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون وشيعتنا اولوا الالباب قل يا محمد لهم يا عبادي
الذين امنوا اي صدقوا بتوحيد الله اتقوا ربكم اي عقاب ربكم باجتناب معاصيه وتم الكلام
ثم قال للذين احسنوا اي فعلوا الاعمال الحسنة واحسنوا الى غيرهم في هذه الدنيا حسنة اي لهم
على ذلك في هذه الدنيا حسنة اي ثناء حسن وذكر جميل ومدح وشكر وصحة وسلامة عن السدى وقيل
معناه للذين احسنوا العمل في هذه الدنيا مثوبة حسنة في هذه الاخرة وهو الخلود في الجنة وارض
الله واسعة هذا حث لهم على الهجرة من مكة عن ابن عباس اي لا عذر لاحد في ترك طاعة الله

فان لم يتمكن منها فى ارض فليتحول الى اخرى متمكن منها فيها كقوله الم يكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها وقيل معناه وارض الجنة واسعة فاطلبوها بالاعمال الصالحة عن مقاتل وابى مسلم انما يوفى
الصابرون اجرهم اى ثوابهم على طاعاتهم وصبرهم على شدائد الدنيا بغير حساب لكثرته
لايمكن عده وحسابه وروى العياشى بالاسناد عن عبد الله بن سنان عن ابى عبد الله ع
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لاهل
البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان ثم تلا هذه الاية انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
قوله عز وجل قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ
الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا
لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ
اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا
وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا
غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ عشر آيات
اللغة الظلة السترة العالية جمعها ظلل والانقاذ الانجاء والغرف المنازل الرفيعة
واحدها غرفة الاعراب ذلك مبتداء ويخوف الله به عباده خبره ان يعبدوها
فى موضع نصب بدل من الطاغوت والتقدير والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت
وخبر الذين اجتنبوا قوله لهم البشرى والبشرى ترفع بالظرف لجريه خبرا على المبتداء
قال الزجاج افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى النار معناه معنى الشرط
والجزاء والف الاستفهام ههنا معناها معنى التوقيف فالالف الثانية جاءت موكدة
معادله لما طال الكلام والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه ومثله ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اعاد ان الثانية والمعنى انكم اذا متم وكنتم

ترابا وعظاما

ترابا وعظاما يخرجون ويكون على وجه اخر على انه حذف الخبر وفى الكلام دليل على المحذوف
على معنى افمن حق عليه كلمة العذاب يتخلص منه او ينجو منه افانت تنقذه اى لا تقدر
احد ان تنقذه المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال قل يا محمد لهؤلاء
الكفار الذين تقدم ذكرهم انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له
لا اعبد معه سواه والعبادة الخالصة هى التى لا يشوبها شئ من المعاصى وامرت
ايضا لان اكون اول المسلمين فيكون لى فضل السبق وثوابه قل انى اخاف ان عصيت
ربى عذاب يوم عظيم اى عذاب يوم القيمة قل لهم الله اعبد مخلصا له دينى وطاعتى
فاعبدوا انتم معاشر الكفار ما شئتم من دونه من الاصنام وهذا على وجه التهديد
لهم بذلك قل لهم ان الخاسرين فى الحقيقة هم الذين خسروا انفسهم واهليهم عن مجاهد
وابن زيد وقيل خسروا انفسهم بان قذفوها بين اطباق الجحيم وخسروا اهليهم الذين
اعدوا فى جنة النعيم عن الحسن قال ابن عباس ان الله تعالى جعل لكل انسان فى الجنة
منزلا واهلا فمن عمل بطاعته كان له ذلك ومن عصاه فصار الى النار ودفع منزله
واهله الى من اطاع فذلك قوله اولئك هم الوارثون الا ذلك هو الخسران المبين
اى البين الظاهر الذى لا يخفى لهم من فوقهم ظلل من النار اى سرادقات واطباق
من النار ودخانها نعوذ بالله منها ومن تحتهم ظلل اى فرش ومهاد منها وقيل
انما سمى ما تحتهم من النار ظللا لانها ظلل لمن تحتهم اذ النار ادراك وهم بين اطباقها
وقيل انما اجرى اسم الظلل على قطع النار على سبيل التوسع والمجاز لانها فى مقابلة
ما لاهل الجنة من الظلل والمراد ان النار تحيط بجوانبهم ذلك يخوف الله به عباده
اى ذلك الذى وصف من العذاب يخوف الله به عباده رحمة لهم ليتقوا عذابه
بامتثال اوامره ثم امرهم بالاتقاء فقال يا عباد فاتقون فقد انذرتكم والزمتكم
الحجة وانما حذفت الياء فى الموضعين لان الكسرة يدل عليها والذين اجتنبوا الطاغوت
اى الاوثان والشيطان وقيل كل ما دعا الى عبادة غير الله تعالى وانما انث للجماعة
وفى القراءة الحسن اجتنبوا الطواغيت ان تعبدوها اى اجتنبوا عبادتها وانابوا

الى الله اى تابوا اليه فاقلعوا عما كانوا عليه لهم البشرى ان البشارة وهى الاعلام بما يظهر
السرور فى بشرة وجوههم جزاء على ذلك وروى ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلم
قال انتم هم ومن اطاع جبارا فقد عبده ثم قال سبحانه مخاطبا لنبيه صلى الله
عليه وآله فبشر يا محمد عباد اجتزاء بالكسرة عن الياء الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اى اولاه بالقبول والعمل به وارشده الى الحق وقيل فيتبعون
احسن ما يؤمرون ويعملون به عن السدى وروى عن ابى الدرداء قال لولا ثلث
ما احببت ان اعيش يوما واحدا الظماء بالهواجر والسجود فى جوف الليل ومجالسه
اقوام ينتقون خير الكلام كما ينتقى طيب التمر وقيل معناه يستمعون القران وغيره
فيتبعون القران عن الزجاج وقيل يستمعون ما فى القران والسنة من الطاعات
والمباحات فيتبعون الطاعة التى هى احسن اذ يستحق الثواب عليه اكثر وهو ان ياخذ
بافضل الامرين كما ان القصاص حق والعفو افضل فياخذون بالعفو اولئك
الذين هداهم الله اى هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين هداهم فاهتدوا به
الى الحق واولئك هم اولوا الالباب اى ذوو العقول الذين انتفعوا بعقولهم وقال عبد
الرحمن بن زيد نزل قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الايتين فى ثلثة نفر كانوا يقولون
فى الجاهلية لا اله الا الله زيد بن عمرو بن نفيل وابوذر الغفارى وسلمان الفارسى
افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى النار اختلف فى تقديره فقيل معناه
افمن وجب عليه وعيد الله بالعقاب افانت تخلصه من النار فاكتفى بذكر من فى النار
عن الضمير العايد الى المبتدا عن الزجاج والاخفش وقيل تقديره افانت تنقذ من فى
النار منهم وانما ذكر الاستفهام مرتين توكيدا للتنبيه على المعنى وقال ابن الانبارى
الوقف على قوله كلمة العذاب والتقدير كمن وجبت له الجنة ثم يبتدى افانت تنقذ
واراد بكلمة العذاب قوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وانما قال
ذلك للنبى صلى الله عليه وآله لحرصه على اسلام المشركين والمعنى انك لا تقدر على ادخال
الاسلام فى قلوبهم شاؤوا او ابوا فلا عليك اذا لم يؤمنوا فانما اتوا فى ذلك من قبل نفوسهم

وهذا

وهذا كقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ثم بين سبحانه ما اعده للمؤمنين
كما بين ما اعده للكفار فقال لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف فى الجنة اى قصور فى الجنة
من فوقها غرف قصور مبنية وهذا فى مقابلة قوله لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل فان فى الجنة منازل رفيعة بعضها فوق بعض وذلك ان النظر
من الغرف الى الخضر والمياه اشهى والذى تجرى من تحتها الانهار اى من تحت
الغرف وعد الله اى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلف الله الميعاد
قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض
ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان
فى ذلك لذكرى لاولى الالباب افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين الله
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء
ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون خمس آيات اللغة الينابيع جمع ينبوع وهو الموضع الذى ينبع
منه الماء يقال نبع الماء من موضع كذا اذا فار منه والزرع ما ينبت على غير ساق و
الشجر ماله ساق واغصان والنبات يعم الجميع وهاج النبت يهيج هيجا اذا جف وبلغ نهايته
فى اليبوسة والحطام فتات التبن والحشيش والحطم الكسر للشئ اليابس ومنه سميت جهنم
حطمة لانها تكسر كل شئ ومنه الحطيم بمكة قال النضر لان البيت رفع وترك ذلك محطوما
وهو حجر الكعبة مما يلى الميزاب الاعراب افمن شرح الله من مع صلته مبتدأ والخبر محذوف
تقديره افمن شرح الله صدره كمن قسا قلبه من ذكر الله اى من ترك ذكر الله لان القلب
انما يقسو من ترك ذكر الله ويجوز ان تشمئز عند ذكر الله فيقال قست من ذكر الله
اى من ذكر الناس الله كتابا منصوب لانه بدل من قوله احسن الحديث المعنى لما قدم سبحانه ذكر

الدعاء الى التوحيد عقبه بذكر دلايل التوحيد فقال يخاطب نبيه صلى الله عليه وآله
وان كان المراد جميع المكلفين الم تر ان الله انزل من السماء ماء اى مطرا فسلكه
ينابيع فى الارض مثل العيون والانهار والقنى والابار ونظيره قوله وانزلنا
من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض ثم يخرج به اى بذلك الماء من الارض
زرعا مختلفا الوانه اى صنوفه من البر والشعير والارز وغير ذلك يقال هذا لون
من الطعام اى صنف وقيل مختلف الالوان من اخضر واصفر وابيض واحمر ثم يهيج
اى يجف وييبس فتراه مصفرا بعد خضرته ثم يجعله حطاما اى دقاقا متكسرا
متفتتا ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب معناه ان فى اخراج هذه الزروع الوانا مختلفة
بماء واحد ونقلها من حال الى حال لتذكيرا لذوى العقول السليمة اذا تفكروا فى ذلك
عرفوا الصانع المحدث وعلموا صحة الابتداء والبعث والاعادة افمن شرح الله
صدره للاسلام اى فسح صدره ووسع قلبه لقبول الاسلام والثبات عليه وشرح
الصدر يكون بثلثة اشياء احدها بقوة الادلة التى نصبها الله تعالى وهذا يختص
به العلماء والثانى بالالطاف التى تتجدد حالا بعد حال كما قال سبحانه والذين اهتدوا
زادهم هدى والثالث توكيد الادلة وحل الشبهة والقاء الخواطر فهو على نور
اى على دلالة وهدى من ربه شبه الادلة بالنور لان بها يعرف الحق كما بالنور يعرف
امور الدنيا عن الجبائى وقيل النور كتاب الله عز وجل فيه ناخذ واليه ننتهى عن قتاده
وحذف كمن هو قاسى القلب لدلالة الكلام على المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله
وهم الذين القوا الكفر وتعصبوا له وتصلبت قلوبهم حتى لا ينجع فيها وعظ ولا ترغيب
ولا ترقف عند ذكر الله وقراءة القرآن عليه اولئك فى ضلال اى عدول عن الحق
مبين اى واضح ظاهر الله نزل احسن الحديث يعنى القرآن سماه الله حديثا لانه
كلام الله تعالى والكلام يسمى حديثا كما يسمى كلام النبى صلى الله عليه وآله حديثا ولانه
حديث التنزيل بعد ما تقدم من الكتب المنزلة على الانبياء وهو احسن الحديث
لفرط فصاحته ولاعجازه ولاشتماله على جميع ما يحتاج المكلف اليه من التنبيه على ادلة التوحيد

والعدل وبيان احكام الشرع وغير ذلك من المواعظ وقصص الانبياء والترغيب
والترهيب كتابا متشابها يشبه بعضه بعضا ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل
معناه انه يشبه كتب الله المتقدمة وان كان اعم واجمع وانفع وقيل متشابها
فى حسن النظم وجزالة اللفظ وجودة المعانى مثانى سمى بذلك لانه يثنى فيه القصص
والاخبار والاحكام والمواعظ بتصريفها فى ضروب البيان ويثنى ايضا فى التلاوة
فلا يمل لحسن مسموعه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم اى ياخذهم قشعريرة
خوفا مما فى القرآن من الوعيد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اذا سمعوا
ما فيه من الوعد بالثواب والرحمة والمعنى ان قلوبهم تطمئن وتسكن الى ذكر الجنة
والثواب فحذف مفعول الذكر للعلم به وروى عن العباس بن عبد المطلب ان النبى
صلى الله عليه وآله قال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات
عن الشجرة اليابسة ورقها وقال قتاده هذا نعت لاولياء الله نعتهم الله بان تقشعر
جلودهم وتطمئن قلوبهم الى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم
انما ذلك فى اهل البدع وهو من الشيطان ذلك يعنى القرآن هدى الله يهدى
به من يشاء من عباده بما نصب فيه من الادلة وهم الذين آتاهم القرآن من امة محمد ص
عن الجبائى وقيل يهدى به من يشاء من الذين اهتدوا به انما خصهم بذلك لانهم
المنتفعون بالهداية ومن لم يهتد لا يوصف بانه هداه الله اذ ليس معه هداية
ومن يضلل الله عن طريق الجنة فما له من هاد اى لا يقدر على هدايته احد عن الجبائى
وقيل معناه من ضل عن الله ورحمته فلا هادى له يقال اضللت بعيرى اذا ضل
عن ابى مسلم وقيل معناه من يضلله عن زيادة الهدى والالطاف لان الكافر لا لطف
له افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة تقديره اكمن يدفع عذاب الله بوجهه
يوم القيمة كمن ياتى امنا لا تمسه النار وانما قال بوجهه لان الوجه اعز اعضاء
الانسان وقيل معناه من يلقى فى النار منكوسا فاول عضو منه مسه النار وجهه عن عطاء
ومعنى يتقى يتوقى كما قال عنترة شعر اذ يتقون بى الاسنة لم اخم عنها ولكنى تضايق مقدمى

اى يقدموها الى القتال فيتوقون بحرها ثم اخبر سبحانه عما يقوله خزنة النار للكفار
بقوله وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون اى جزاء ما كسبتموه من المعاصى ثم
اخبر سبحانه عن امثال هؤلاء الكفار من الامم الماضية فقال كذب الذين من قبلهم
بايات الله وجحدوا رسله فاتاهم العذاب عاجلا من حيث لا يشعرون اى وهم امنون
غافلون النظم انما اتصل قوله افمن شرح الله صدره بما تقدم من ذكر ادلة التوحيد
والعدل التى اذا تفكر فيها العاقل انشرح صدره واطمانت نفسه الى ثلج اليقين
واتصل قوله الله نزل احسن الحديث بما تقدمه من قوله فبشر عبادى الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه اى فان احسن الحديث القران فهو اولى بالاتباع عن ابى مسلم واتصل
قوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب بما قبله على تقدير ان من لم يهتد بهدى الله
لا يهتدى بغيره فكيف يهتدى من يتقى بوجهه سوء العذاب يعنى المقيم على كفره
قوله عز وجل فاذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون قرانا
عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت
وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون ست ايات القراءة قرا
ابن كثير واهل البصرة غير سهل سالما بالالف والباقون سلما بغير الف واللام
مفتوحة وفى الشواذ سعيد بن جبير سلما بكسر السين وسكون اللام الحجة قال
ابو على يقوى قراءة من قرا سالما قوله فيه شركاء متشاكسون فكما ان الشريك عبارة
عن العين وليس باسم حدث فكذلك الذى بازائه ينبغى ان يكون فاعلا ولا يكون اسم
حدث ومن قال سلما او سلما فهما مصدران وليسا بوصفين كحسن وبطل ونقض
ونضو يقال سلم سلما وسلامة وسلما والمعنى فيمن قال سلما ذا سلم اى رجلا ذا سلم قال
ابو الحسن سلم من الاستسلام وقال غيره السلم خلاف الحارب اللغة الخزى المكروه
والهوان التشاكس التمانع والتنازع تشاكسوا فى الامر تشاكسا واصله من الشكاسة

وهو سوء الخلق والاختصام رد كل واحد من الاثنين ما اتى به الاخر على وجه الانكار عليه
وقد يكون احدهما محقا والاخر مبطلا وقد يكونان جميعا مبطلين كاليهود والنصارى
وقد يكونان جميعا محقين الاعراب قال الزجاج عربيا منصوب على الحال اى فى حال عربيته
وذكر قرانا توكيدا كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وجاءنى عمرو انسانا عاقلا فيذكر رجلا
وانسانا توكيدا ضرب الله مثلا رجلا ورجلا بدل من قوله مثلا والتقدير ضرب الله
مثلا مثل رجل فحذف المضاف وقوله له فيه شركاء يرتفع بالظرف ورجلا عطف على الاول
اى ومثل رجل سالم المعنى ثم اخبر سبحانه عما فعله بالامم المكذبة بان قال فاذاقهم الله
الخزى اى الذل والهوان فى الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اى اعظم واشد لو كانوا
يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل يعنى ذكر الامم الماضية مثلا
كما قال وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال والمعنى انا وصفنا وبينا للناس
فى هذا القران كل ما يحتاجون اليه فى مصالح دينهم لعلهم يتذكرون اى لكى يتذكروا و
يتدبروا فيعتبروا قرانا عربيا غير ذى عوج اى غير ذى ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل
الى الحق لعلهم يتقون اى لكى يتقوا معاصى الله ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر وعبادته
الاصنام فقال ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون اى مختلفون سيئوا الاخلاق
متنازعون وانما ضرب هذا المثل لساير المشركين ولكنه ذكر رجلا واحدا وصفته بصفة
موجودة فى ساير المشركين فيكون المثل المضروب له مضروبا لهم جميعا ويعنى بقوله
رجلا فيه شركاء اى تعبد الهة مختلفة واصناما كثيرة وهم متشاجرون متعاسرون
هذا يامره وهذا ينهاه ويريد كل واحد منهم ان يفرده بالخدمة ثم يكل كل منهم امره
الى الاخر ويكل الاخر الى الاخر فيبقى هو خاليا عن المنافع وهذا حال من يخدم جماعة
مختلفة الاراء والاهواء هذا مثل الكافر ثم ضرب سبحانه مثل المؤمن الموحد فقال
ورجلا سالما لرجل اى خالصا يعبد مالكا واحدا لا يشرك بخدمته غيره
ولا يامل سواه ومن كان بهذه الصفة نال ثمرة خدمته لا سيما اذا كان المخدوم حكيما
قادرا كريما وروى الحاكم ابو القسم الحسكانى بالاسناد عن على عليه السلم انه قال انا ذلك

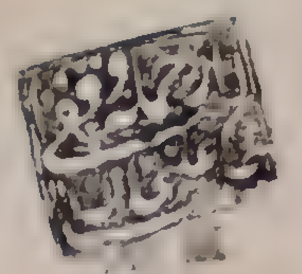
الرجل السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله وروى العياشي باسناده عن ابي خالد عن ابي جعفر
عليه السلم قال الرجل السلم للرجل حقا علي وشيعته هل يستويان مثلا اي هل يستوى
هذان الرجلان صفة وشبها في حسن العاقبة وحصول المنفعة اي لا يستويان فان
الخالص المالك واحد يستحق من معونته وحياطته ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين
في امره وتم الكلام ثم قال الحمد لله اي احمد والله المستحق للشكر والثناء على هذا
المثل الذي علمكموه فازال به للمؤمنين الشبهة واوضح الدلالة وقيل معناه احمدوا
الله حيث لطف بكم حتى عبدتموه وحده واخلصتم الايمان له والتوحيد فهي النعمة
السابغة بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة ذلك ثم بين سبحانه المقام الذي يتبين فيه
المحق من المبطل فقال انك ميت وانهم ميتون اي عاقبتك الموت وكذلك عاقبة
هؤلاء ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم
عن ابن عباس وكان ابو العالية يقول الاختصام يكون بين اهل القبلة قال ابن عمر
كنا نرى ان هذه الاية فينا وفي اهل الكتابين وقلنا كيف نختصم نحن ونبينا واحد
وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعلمت انها فينا نزلت
وقال ابو سعيد الخدري في هذه الاية كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد ودينا
واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف
قلنا نعم هو هذا وقال ابن عباس الاختصام يكون بين المهتدين والمضلين والصادقين
والكاذبين قوله تعالى فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا
وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ اربع آيات الاعراب والذي جاء بالصدق
الذي هنا جنس لان خبره جمع وهو قوله اولئك فلا يراد به واحد معين ليكفر الله
اللام من صلة قوله لهم ما يشاؤن عند ربهم وقيل هو لام القسم والتقدير والله
ليكفرن فكسرت اللام وحذفت النون المعنى ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال فمن اظلم

ممن كذب

ممن كذب على الله بان ادعى له ولدا وشريكا وكذب بالصدق بالتوحيد والقرآن
لما جاءه ثم هدده الله سبحانه من هذه صورته بان قال اليس في جهنم مثوى للكافرين
اي منزل ومقام للجاحدين وهذا استفهام يراد به التقرير ومعناه انه لكذلك
ويقال ثوى يثوي ثويا بمعنى اطال الثواء على ربع بمودداء ودي وكلاجد يد مرة
مود والذي جاء بالصدق وصدق به اختلف في المعني به فقيل الذي جاء بالصدق
محمد صلى الله عليه وآله جاء بالقرآن وصدق به المؤمنون فهو حجتهم في الدنيا و
الاخرة عن ابن زيد وقتاده ومقاتل واحتجوا بقوله اولئك هم المتقون وقيل الذي
جاء بالصدق وهو القرآن جبرئيل وصدق به محمد تلقاه بالقبول عن السدي وقيل
الذي جاء بالصدق وهو قول لا اله الا الله هو محمد وصدق به هو ايضا وبلغه
الى الخلق عن ابن عباس قال ولو كان المصدق غيره لقال الذي صدق به وهو اقوى
الاقوال وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله وصدق به ابو بكر عن ابي العاليه
والكلبي وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به اتباعهم عن عطا والربيع وعلى
هذا فيكون الذي للجنس كالذي في قول الشاعر شعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم
كل القوم يا ام خالد الا ترى انه عاد اليه ضمير الجمع وقيل الذي جاء بالصدق
محمد وصدق به علي ابن ابي طالب عن مجاهد ورواه الضحاك عن ابن عباس وهو
المروي عن ائمة الهدى من آل محمد عليهم السلم ثم بين سبحانه بما اعد لهم من النعيم فقال
لهم ما يشاؤن من الثواب والنعيم في الجنة عند ربهم ينالونه من جهته ذلك
جزاء المحسنين على احسانهم الذي فعلوه في الدنيا واعمالهم الصالحة ليكفر الله
عنهم اسواء الذي عملوا اي سقط عنهم عقاب الشرك والمعاصي التي فعلوها قبل
ذلك بايمانهم واحسانهم ورجوعهم الى الله تعالى ويجزيهم اجرهم اي ثوابهم باحسن الذي
كانوا يعملون اي بالفرايض والنوافل فهي احسن اعمالهم لان المباح وان كان حسنا
فلا يستحق به ثواب ولا مدح قوله عز وجل أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ

اليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة
غير عاصم وابو جعفر بكاف عباده على الجمع والباقون عبده على التوحيد وقرا
اهل البصرة كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين وما بعدهما منصوبان وقرا الباقون
بغير تنوين على اضافة كل واحدة منهما الى ما بعدهما الحجة قال ابو علي حجة من قرا
عبده ويخوفونك فكان المعنى اليس الله بكافيك وهم يخوفونك ومن قرا عباده فالمعنى
اليس الله بكاف عباده الانبياء كما كفى ابرهيم النار ونوحا الغرق ويونس ما وقع اليه
فهو سبحانه كافيك كما كفى الانبيا قبلك ومن قرا كاشفات ضره وممسكات رحمته
فالوجه فيه انه مما لم يقع وما لم يقع من اسماء الفاعلين وكان للحال فالوجه
فيه النصب ووجه الجر انه لما حذف التنوين وان كان المعنى على اثباته عاقبة الاضافة
التنوين المعنى لما وعد سبحانه الصادق والمصدق عقبه بان يكفيهم وان كانت الاعداء
تقصدهم وتوذيهم فقال اليس الله بكاف عبده استفهام يراد به التقرير يعني به
محمدا صلعم يكفيه عداوة من يعاديه ويناويه ويخوفونك يا محمد بالذين من دونه
كانت الكفار تخيفه بالاوثان التي كانوا يعبدونها عن قتاده والسدي وابن زيد
لانهم قالوا انا نخاف ان يهلكك الهتنا وقيل انه لما قصد خالد بكسر العزى بامر النبي
صلى الله عليه وآله قالوا اياك يا خالد فباسها شديد فضرب خالد انفها بالفاس
فهشمها وقال يا عزى كفرانك لا سبحانك سبحان من اهانك اني رايت الله قد اهانك
ومن يضلل الله فما له من هاد اي من اضله الله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه
فليس له هاد يهديه اليها وقيل معناه ان من وصفه بانه ضال اذا ضل هو عن الحق
فليس له من يسميه هاديا وقيل من يحرمه الله من زيادات الهدى فليس له زايد ومن
يهد الله فما له من مضل اي من يهده الى طريق الجنة فلا احد يضله عنها وقيل

من يهد الله



م عم ٣

من يهده الله فاهتدى فلا يقدر احد على صرفه عنه وقيل من بلغ استحقاق زيادات
الهدى فقد ارتفع عن تاثير الوسواس اليس الله بعزيز اي قادر قاهر لا يقدر احد على
مغالبته ذي انتقام من اعدائه الجاحدين لنعمه ثم قال لنبيه ع ولئن سالتهم
يا محمد من خلق السموات والارض واوجدها وانشاها بعد ان كانت معدومة
ليقولن الله الفاعل لذلك لانهم مع عبادتهم الاوثان يقرون بذلك ثم احتج
عليهم بان ما يعبدونه من دون الله لا يملك كشف الضر والسوء عنهم فقال قل لهم
افرايتم ما تدعون ان ارادني الله بضر اي بمرض وفقر او بلاء او شدة
هل هن كاشفات ضره اي هل يكشفن ضره او ارادني برحمة اي بخير او صحة
هل هن ممسكات رحمته اي هل يمسكن ويحبسن عني رحمته والمعنى ان من عجز
عن النفع والضر وكشف السوء والشر عمن يتقرب اليه كيف يحسن منه عبادته
وانما تحسن العبادة لمن قدر على جميع ذلك ولا يلحقه العجز والمنع وهو الله تع قل يا محمد
حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وبه يثق الواثقون ومن توكل على غيره
توكل على غير كاف وقل لهم يا محمد يا قوم اعملوا على مكانتكم اي قدر جهدكم
وطاقتكم في اهلاكي وتضعيف امري اني عامل قدر جهدي وطاقتي فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قد مضى مفسرا وفي هذا غاية الوعيد
والتهديد النظم انما اتصل قوله ولئن سالتهم بقوله ويخوفونك بالذين
من دونه والمعنى انه لا ينبغي ان يخوفوك بها مع اعترافهم بان الخالق
هو الله دون غيره قوله تعا انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق
فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك
التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه

ترجعون وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون خمس آيات القراءة قرأ أهل الكوفة
غير عاصم وقتيبة قضي بالضم الموت بالرفع والباقون قضى الموت بالنصب الحجة
قال أبو علي حجة بناء الفعل للفاعل قوله ويرسل الأخرى فكما أن هذا مبني للفاعل
فكذلك حكم الذي عطف عليه ومن بنى الفعل للمفعول به فهو في المعنى مثل بناء الفعل
للفاعل والأول أبين اللغة التوفي قبض الشيء على الإيفاء والإتمام يقال توفيت حقي
من فلان واستوفيته بمعنى الاشمئزاز الانقباض والنفور عن الشيء قال عمرو بن كلثوم
شعر إذا عض الثقاف بها اشمأزت وولتهم عشوزنة زبونا وروى ثعلب عن ابن الأعرابي
المشمئز الذعر الشيء من الشيء يكرهه المعنى ثم بين سبحانه تحقيق وعيده بالعذاب المقيم
بأن قال إنا أنزلنا عليك الكتاب يعني القرآن للناس أي لجميع الخلق عن ابن عباس
بالحق أي ليس فيه شيء من الباطل وقيل بالحق معناه بأنه بالحق وعلى أنه الحق الذي يجب النظر
في موجبه ومقتضاه فما صححه وجب تصحيحه وما أفسده وجب إفساده وما رغب فيه وجب
العمل به وما حذر منه وجب اجتنابه وما دعا إليه فهو الرشد وما صرف عنه فهو الغي
فمن اهتدى بما فيه من الأدلة فلنفسه لأن النفع في عاقبته يعود إليه ومن ضل عنه وجار
فإنما يضل عليها أي على نفسه لأن مضرة عاقبته من العقاب يعود عليه وما أنت يا محمد
عليهم بوكيل أي برقيب في إيصال الحق إلى قلوبهم وحفظه عليهم حتى لا يتركوه ولا ينصرفوا عنه
إذ لا تقدر على إكراههم على الإسلام وقيل بكفيل يلزمك إيمانهم فإنما عليك البلاغ الله يتوفى
الأنفس حين موتها أي يقبضها إليه وقت موتها وانقضاء آجالها والمعنى حين موت
أبدانها وأجسادها على حذف المضاف والتي لم تمت في منامها أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت
في منامها والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز فهي التي تفارق
النائم فيتنفس فالفرق بين قبض النوم وقبض الموت أن قبض النوم يضاد اليقظة وقبض
الموت يضاد الحيوة وقبض النوم يكون الروح معه في البدن وقبض الموت يخرج الروح
معه من البدن فيمسك التي قضى عليها الموت إلى يوم القيمة ولا يعود إلى الدنيا ويرسل

الاخرى

الأخرى يعني الأنفس الأخرى التي لم تقض على موتها يريد نفس النائم إلى أجل مسمى قد سمي لموته
إن في ذلك لآيات أي دلالات واضحات على توحيد الله وكمال قدرته لقوم يتفكرون في الأدلة
إذ لا يقدر على قبض النفس تارة بالنوم وتارة بالموت غير الله تعالى قال ابن عباس في ابن آدم
نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس
والتحرك فإذا نام قبض الله نفسه ولم يقبض روحه فإذا مات قبض الله نفسه وروحه
ويؤيده ما رواه العياشي بالإسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت عن أبي المقدام
عن أبيه عن أبي جعفر ع قال ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه
في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس
وإن أذن الله في رد الروح أجابت النفس الروح وهو قوله سبحانه الله يتوفى الأنفس
حين موتها الآية فمهما رأت في ملكوت السموات فهو مما له تأويل وما رأت فيما
بين السماء والأرض فهو مما يخيله الشيطان ولا تأويل له أم اتخذوا أي بل اتخذوا
من دون الله آلهة شفعاء قل يا محمد أولو كانوا يعني الآلهة لا يملكون شيئا من الشفاعة
ولا يعقلون وجواب هذا الاستفهام محذوف تقديره أولو كانوا بهذه الصفة
يتخذونهم شفعاء ويعبدونهم راجين شفاعتهم ثم قال قل لله الشفاعة جميعا
أي لا يشفع أحد إلا بإذنه عن مجاهد والمعنى لا يملك أحد الشفاعة إلا بتمليكه
كما قال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وفي هذا إبطال الشفاعة لمن ادعيت
له الشفاعة من الآلهة له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون معناه
ثم أخبر سبحانه عن سوء اعتقادهم وشدة عنادهم فقال وإذا ذكر الله وحده
اشمأزت أي نفرت عن السدي والضحاك والجبائي وقيل انقبضت عن ابن عباس
ومجاهد ومقاتل وقيل كفرت واستكبرت عن قتادة قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة كان المشركون إذا سمعوا قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا
من هذا لأنهم كانوا يقولون الأصنام آلهة وإذا ذكر الذين من دونه يعني
الأصنام التي عبدوها من دونه إذا هم يستبشرون يفرحون ويسرون حتى يظهر

السرور في وجوههم النظم اتصل قوله الله يتوفى الانفس بقوله وما انت عليهم بوكيل
فبين سبحانه ان الحفيظ عليهم هو الذي يتوفاهم ويصرفهم كيف يشاء وقيل يتصل
بقوله اليس الله بكاف عبده اي من كان هذه صفته فانه يكفيك امرهم واتصل قوله ام
اتخذوا من دون الله شفعاء بقوله اليس الله بكاف عبده اي فكما ان اصنامهم لا يملك
الضر والنفع فانها لا تملك الشفاعة قوله عز وجل قُلِ اللّٰهُمَّ فاطِرَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ
عالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ اَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ وَلَوْ اَنَّ لِلَّذينَ
ظَلَمُوا ما فِي الْاَرْضِ جَميعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ
وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ فَاِذا مَسَّ الْاِنْسانَ
ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ اِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنّا قالَ اِنَّما اُوتيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلٰكِنَّ
اَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ قَدْ قالَهَا الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما اَغْنىٰ عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ
خمس آيات المعنى لما قدم سبحانه ذكر الادلة فلم ينظروا فيها والمواعظ فلم يتعظوا
بها امر نبيه ع ان يحاكمهم اليه ليفعل بهم ما يستحقونه فقال قل يا محمد ادع
بهذا الدعاء اللهم فاطر السموات والارض اي خالقهما ومنشيهما عالم الغيب والشهادة
اي يا عالم ما غاب علمه عن جميع الخلق وعالم ما شهدوه وعلموه انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون في دار الدنيا من امر دينهم ودنياهم وتفصل بينهم بالحق
في الحقوق والظالم اي فاحكم بيني وبين قومي بالحق وفي هذا بشارة للمؤمنين بالظفر
والنصر لانه سبحانه انما امره للاجابة لا محالة وعن سعيد بن المسيب قال اني لاعرف
موضع اية لم يقرأها احد قط فسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه قوله اللهم فاطر السموات
والارض ثم اخبر سبحانه عن وقوع العقاب بالكفار بان قال ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه زيادة لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة
من صنوف العذاب ما لم يكونوا ينتظرونه ولا يظنونه واصلا اليهم ولم يكن في حسابهم
قال السدي ظنوا اعمالهم حسنات فبدت لهم سيات وقيل ان محمد بن المنكدر
جزع عند الموت فقيل له الجزع قال اخذتني اية من كتاب الله عز وجل وبدا لهم الاية

اخذتني ان يبدو لي من الله ما لم احتسب وبدا لهم اي فظهر لهم ايضا سيات ما كسبوا
اي جزاء سيات اعمالهم وحاق بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو كل ما ينذرهم
النبي صلى الله عليه وآله مما كانوا ينكرونه ويكذبون به ثم اخبر عن شدة تقلب الانسان
من حال الى حال فقال فاذا مس الانسان ضر من مرض او شدة دعانا واستغاث بنا مخلصا
في كشفه علما بانه لا يقدر غيرنا عليه ثم اذا خولناه نعمة منا اي اعطيناه نعمة من الصحة
في الجسم والسعة في الرزق او غير ذلك من النعم قال انما اوتيته على علم قيل فيه وجوه احدها
قال انما اوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي عن الحسن والجبائي فيكون هذا اشارة الى جهلهم بمواضع
المنافع والمضار وثانيها على علم على خير علمه الله عندي عن قتادة ومقاتل وثالثها على علم
يرضاه عني فلذلك اتاني ما اتاني من النعم ثم قال ليس الامر على ما يقولونه بل هي فتنة اي بلية
واختبار يبتليه الله بها فيظهر كيف شكره او صبره في مقابلتها فيجازيه بحسبها وقيل معناه
هذه النعمة فتنة اي عذاب لهم اذا اضافوها الى انفسهم وقيل معناه هذه المقالة التي قالوها
فتنة لهم لانهم يعاقبون عليها ولكن اكثرهم لا يعلمون البلوى من النعمى وقيل لا يعلمون ان النعم
كلها من الله وان حصل باسباب من جهة العبد قد قالها اي قد قال مثل هذه الكلمة وهذه
المقالة الذين من قبلهم مثل قارون حيث قال انما اوتيته على علم عندي فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون اي فلم ينفعهم ما كانوا يجمعونه من الاموال وصارت وبالا عليهم قوله عز وجل فَاَصابَهُمْ
سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَالَّذينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلاءِ سَيُصيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَما هُمْ بِمُعْجِزينَ
اَوَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ اِنَّ في ذٰلِكَ لَاٰياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
قُلْ يا عِبادِيَ الَّذينَ اَسْرَفُوا عَلىٰ اَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَميعاً اِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ وَاَنيبُوا اِلىٰ رَبِّكُمْ وَاَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا
تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا اَحْسَنَ ما اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً
وَاَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ خمس آيات المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال فاصابهم
سيات ما كسبوا اي اصابهم عقاب سياتهم فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقيل انما سمي
عقاب سياتهم سيئة لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا من هؤلاء

من كفار قومك يا محمد سيصيبهم سيئات ما كسبوا ايضاً وما هم بمعجزين اى لا يفوتون
الله تعالى وقيل لا يعجزون الله الخروج قدرته اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر اى يوسع الرزق على من يشاء ويضيق على من يشاء بحسب ما يعلم من المصلحة ان فى
ذلك لآيات اى دلالات واضحات لقوم يؤمنون اى يصدقون بتوحيد الله تعالى
لانهم المنتفعون بها يا محمد قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم بارتكاب الذنوب
لا تقنطوا من رحمة الله اى لا تيأسوا من مغفرة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو
الغفور الرحيم وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما احب ان لى الدنيا
وما فيها بهذه الآية وعن امير المؤمنين على عليه السلم انه قال ما فى القرآن آية اوسع من
يا عبادى ان الذين اسرفوا الآية وفى مصحف عبد الله ان الله يغفر الذنوب
جميعاً لمن يشاء وقيل ان الآية نزلت فى وحشى قاتل حمزة حين اراد ان يسلم وخاف
ان لا يقبل توبته فلما نزلت الآية اسلم فقيل يا رسول الله هذه له خاصة ام للمسلمين
عامة فقال صلى الله عليه وآله بل للمسلمين عامة وهذا لا يصح لان الآية نزلت بمكة ووحشى
اسلم بعدها بسنين كثيرة ولكن يمكن ان يكون قرئت عليه فكانت سبب اسلامه فالآية
محمولة على عمومها والله سبحانه يغفر جميع الذنوب للتائب لا محالة فان مات الموحد من غير
توبة فهو فى مشية الله ان شاء عذبه بعدله وان شاء غفر له بفضله كما قال ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ثم دعا سبحانه عباده الى التوبة وامرهم بالانابة اليه فقال
وانيبوا الى ربكم اى ارجعوا من الشرك والذنوب الى الله فوحدوه واسلموا له اى انقادوا
له بالطاعة فيما يأمركم به وقيل معناه اجعلوا انفسكم خالصة له فحث الله سبحانه
بهذه الآية على التوبة كيلا يرتكب الانسان المعصية ويدع التوبة اتكالا على الآية ثم
من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون عند نزول العذاب بكم واتبعوا احسن ما انزل
اليكم من ربكم اى من الحلال والحرام والامر والنهى والوعد والوعيد فمن اتى المأمور به
وترك المنهى عنه فقد اتبع الاحسن عن ابن عباس وقيل انما قال احسن ما انزل لانه اراد به
الواجبات والنوافل وهى الطاعات دون المباحات وقيل اراد بالاحسن الناسخ دون المنسوخ

عن الجبائي

عن الجبائي قال على بن عيسى وهذا خطأ لان المنسوخ لا يجوز العمل به فلا يكون حسناً بل هو قبيح
ولا يكون الحسن اقبح من قبيح وقد اجيب عن هذا بان المنسوخ قد يكون حسناً الا ان العمل
بالناسخ يكون اصلح واحسن من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة اى فجأة فى وقت لا تتوقعونه
وانتم لا تشعرون اى لا تعرفون وقت نزوله بكم قوله عز وجل أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى
مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى
قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ
خمس آيات القراءة قرأ ابو جعفر يا حسرتاى بياء مفتوحة بعد الالف والباقون
يا حسرتا بغير ياء الحجة قال ابن جنى فى قوله حسرتاى اشكال وذلك ان الالف فى حسرتا
انما هى بدل من ياء حسرتى ابدلت الياء الفاً هرباً الى خفة الالف من ثقل الياء قال والذى
عندى فيه انه جمع بين العوض والمعوض منه كما ذهب ابو اسحق وابو بكر فى قول الفرزدق
شعر هما نفثا فى فى من فمويهما على النابح العاوى اشد رجام فجمع بين الميم والواو
وانما الميم بدل من الواو ومثله ما انشده ابو زيد شعر انى اذا ما حدث الما اقول
يا اللهم يا اللهما فجمع بين يا وميم وانما الميم عوض من يا اللغة التفريط اهمال
ما يجب ان يتقدم فيه حتى يفوت وقته ومثله التقصير وضده الاخذ بالحزم يقال فلان
حازم وفلان مفرط والتحسر الاغتمام مما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه
ومثله التأسف واصل الباب الانقطاع يقال انحسرت الدابة اى انقطع سيرها كلالا
والجنب العضو المعروف والجنب ايضاً معظم الشئ واكثره يقال هذا قليل من جنب مودتك
ويقال ما فعلت فى جنب حاجتى اى فى امره قال كثير شعر الا تتقين الله فى جنب عاشق
له كبد حرى عليك تقطع الاعراب بلى قد جاءتك جواب قوله او يقول لو ان الله
هدانى لكنت من المتقين لان معناه ما هدانى فقيل له بلى قد جاءتك آياتى لان بلى
جواب النفى وليس فى الظاهر نفى فحمل على المعنى وجوههم مسودة مبتدأ وخبر فالجملة فى موضع

نصب على الحال واستغنى عن الواو لمكان الضمير ويجوز في غير القرآن وجوههم بالنصب على
البدل من الذين كذبوا اي ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة بالنصب ومثل
قول عدي بن زيد شعر ذريني ان امرك لن يطاعا وما الفيتني حلمي مضاعا المعنى
لما امر سبحانه باتباع الطاعات واجتناب المقبحات تحذيرا من نزول العقوبات
بين الغرض في ذلك بقوله ان تقول نفس اي خوف ان تقول وحذرا من ان تقول والمعنى
كراهة ان تصيروا الى حال يقولون فيها يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله اي يا ندامتى
على ما ضيعت من ثواب الله عن ابن عباس وقيل قصرت في امر الله عن مجاهد والسدي و
وقيل في طاعة الله عن الحسن قال الفراء الجنب القرب اي في قرب الله وجواره ومنه قوله تعالى
والصاحب بالجنب فيكون المعنى على هذا القول على ما فرطت في طلب جنب الله اي في طلب
جواره وقربه وهو الجنة وقال الزجاج اي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله
فيكون الجنب بمعنى الجانب اي قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضى الله وروى العياشي
بالاسناد عن ابي الجارود عن ابي جعفر عليه السلام انه قال نحن جنب الله وان كنت لمن الساخرين
واني كنت لمن المستهزئين بالنبي والقرآن وبالمؤمنين في دار الدنيا عن قتادة والسدي و
وقيل من الساخرين ممن يدعوني الى الايمان او يقول لو ان الله هداني لكنت
من المتقين اي فعلنا ذلك كراهة ان يقول لو اراد الله هدايتي لكنت ممن
يتقي معاصيه خوفا من عقابه وقيل انهم لما لم ينظروا في الادلة واعرضوا عن القرآن
واشتغلوا بالدنيا والاباطيل توهموا ان الله تعالى لم يهدهم فقالوا ذلك
بالظن ولهذا رد الله تعالى عليهم بقوله بلى قد جاءتك اياتي الاية وقيل معناه لو
ان الله هداني الى النجاة بان يردني الله حال التكليف لكنت ممن يتقي المعاصي عن
الجبائي قال لانهم يضطرون يوم القيمة الى العلم بان الله قد هداهم ويقولوا حين
يرى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين اي لو ان لي رجعة الى الدنيا فاكون
من الموحدين المطيعين ثم قال سبحانه منكرا على هذا القائل بلى اي ليس كما قلت جاءتك
اياتي اي حججي ودلالاتي فكذبت بها وانفت من اتباعها وذلك قوله واستكبرت وكنت

من الكافرين وانما قال جاءتك وان كانت النفوس مؤنثة لان المراد بالنفس هنا
الانسان وروي في الشواذ عن عاصم الجحدري ويحيى بن يعمر بكسر الكاف والتاء بلى
اي قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله فزعموا ان له شريكا وولدا وجوههم مسودة اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين الذين تكبروا عن الايمان بالله هذا استفهام تقرير اي فيها مثواهم
ومقامهم وروى العياشي باسناده عن خيثمة قال سمعت ابا عبد الله ع يقول من حدث
عنا بحديث فنحن سائلوه عنه يوما فان صدق علينا فانما يصدق على الله وعلى
رسوله وان كذب علينا فانما يكذب على الله وعلى رسوله لانا اذا حدثنا لا نقول قال
فلان وقال فلان انما نقول قال الله وقال رسوله ثم تلا هذه الاية ويوم القيمة ترى
الذين كذبوا على الله الاية ثم اتى ابا خيثمة الى اذنيه فقال صمتا ان لم اكن سمعته وعن
سورة بن كليب قال سالت ابا جعفر عليه السلام عن هذه الاية فقال كل امام انتحل امامة ليست له
من الله قلت وان كان علويا قال ع وان كان علويا قلت وان كان فاطميا قوله
وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ وَلَقَدْ أُوحِيَ
إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ست ايات القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص بمفازاتهم
والباقون بمفازتهم وقرا اهل المدينة تامروني خفيفة النون مفتوحة الياء وقرا
ابن عامر تامرونني بنونين ساكنة الياء وقرا ابن كثير تامروني مشددة النون
مفتوحة الياء والباقون تامروني مشددة النون ساكنة الياء وقرا زيد عن يعقوب
ليحبطن عملك والباقون ليحبطن عملك الحجة قال ابو علي الافراد ان المفازة والفوز
واحد فافراد المفازة كافراد الفوز ووجه الجمع ان المصادر قد يجمع اذا اختلفت
اجناسها ومثله في الافراد والجمع على مكانتكم ومكاناتكم وقوله افغير الله تامروني اعبد

غير ينتصب على وجهين احدهما اعبد غير الله فيما تأمروني والآخر ان ينتصب بتأمروني
اي تأمروني بعبادة غير الله فلما حذف الباء ارتفع اعبد فصار ان وصلتها في موضع
نصب ولا يجوز انتصاب غير باعبد على هذا لانه في تقدير الصلة فلا يعمل فيما تقدم عليه
فموضع اعبد وان المضمرة نصب على تقدير البدل من غير لانه قال العبادة غير الله
تامروني الا ان الجار حذف كما حذف من قوله امرتك الخير وصار التقدير بعد الحذف
اغير الله تامروني عبادته فاضمر المفعول الثاني لامر المفعول الاول علامة للمتكلم
وان اعبد بدل من غيره ومثل هذا في البدل قوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
اي ما انساني ذكره الا الشيطان واقول في بيانه وشرحه ان تقديره كان في الاصل
ابعبادة غير الله تامروني ثم حذف الجار الذي هو الباء بوصل الفعل فنصبه فصار
فعبادة غير الله تامروني ثم حذف المضاف الذي هو عبادة واقيم المضاف اليه
الذي هو غيره مقامه فصار افغير الله تامروني ثم جعل الذي تقديره ان اعبد
وهو في معنى عبادته بدلا من غيره وبيانا للمحذوف الذي هو عبادة في قوله ابعبادة
غير الله فصار مثل قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ومن قال ان قوله
اعبد في موضع نصب على الحال فلا وجه لقوله واما على الوجه الاول وهو ان يكون غير
الله منصوبا باعبد فانه يكون تامروني اعتراضا بين العامل والمعمول رجعنا الى الكلام
اي على ما تامروني فالقياس تامرونني ومدغم فصير تامروني وجاز الادغام واسكان
النون المدغمة لان قبلها حرف لين وهو الواو في تامروني ومن خفف فقال تامروني
ينبغي ان يكون حذف النون الثانية المصاحبة لعلامة المنصوب المتكلم لانها قد حذفت
في مواضع نحو يسوء الغاليات اذا فليني واني وكاني وقدي وانما قدرنا حذف الثانية
لان التكرير والتثقيل به وقع ولان حذف الاولى لحن لانها دلالة الرفع وعلى هذا يحمل
قول الشاعر شعر ابالموت الذي لابد اني ملاق لا اباك تخوفيني وفتح النا من تامروني
واسكانها جميعا سائغ حسن المعنى لما اضرب سبحانه عن حال الكفار عقبه بذكر حال الاتقياء
الابرار فقال وينجي الله الذين اتقوا معاصيه خوفا من عقابه بمفازتهم اي بمنجاتهم من النار

واصل المفازة

واصل المفازة المنجاة وبذلك سميت المفازة على وجه التفاؤل بالنجاة منها كما سموا الله تعالى
سليما لا يمسهم السوء اي لا يصيبهم المكروه والشدة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من لذات
الدنيا ولما ذكر الوعيد والوعد بين سبحانه انه القادر على كل شيء بقوله الله
خالق كل شيء اي محدث كل شيء ومبدعه وهو على كل شيء وكيل اي حافظ مدبر له
مقاليد السموات والارض واحدها مقليد ومقلاد يريد مفاتيح السموات
والارض بالرزق والرحمة عن ابن عباس وقتاده وقيل خزائن السموات والارض
يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه عمن يشاء عن الضحاك والذين كفروا بآيات الله
اولئك هم الخاسرون لانهم يخسرون الجنة ونعيمها ويصلون النار وسعيرها
ثم اعلم سبحانه انه المعبود لا معبود سواه بقوله قل يا محمد لهولاء الكفار افغير الله
تامروني اعبد اي اتامروني ان اعبد غير الله ايها الجاهلون فيما تامرونني به
اذ تامرون بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ثم قال لنبيه صلى الله
عليه وآله ولقد اوحي اليك يا محمد والى الذين من قبلك من الانبياء والمرسلين
لئن اشركت ليحبطن عملك قال ابن عباس هذا ادب من الله تعالى لنبيه وتهديد لغيره
لان الله تعالى قد عصمه من الشرك ومداهنة الكفار وليس في هذا ما يدل على صحة القول
بالاحباط على ما يذهب اليه اهل الوعيد لان المعنى فيه ان من اشرك في عبادة الله
غيره من الاصنام وغيرها وقعت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب ولذلك
وصفها بانها محبطة اذ لو كانت العبادة خالصة لوجه الله تعالى لاستحق عليها
الثواب ثم امره سبحانه بالتوحيد فقال بل الله فاعبد اي وجه عبادتك اليه تعالى
وحده دون الاصنام وكن من الشاكرين الذين يشكرون على نعمه ويخلصون العبادات
له قال الزجاج الله منصوب بقوله فاعبد في قول البصريين والكوفيين والفاء جاءت
على معنى المجازاة والمعنى قد تبينت فاعبد الله قوله عز وجل وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ
قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ

الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس
ما عملت وهو اعلم بما يفعلون اربع آيات الاعراب جميعا نصب على الحال والعامل
فيه محذوف تقديره والارض اذا كانت مجتمعة قبضته واذا ظرف زمان والعامل
فيه قبضته وكان ههنا تامة اذ لو كانت ناقصة لكان جميعا خبرها ولم يجز ان يكون
حالا وهذا كما قالوا في اخطب ما يكون الامير قائما ان التقدير اذا كان قائما او اذا كان
قائما وهذا بسرا اطيب منه تمرا ان التقدير اذا كان بسرا اطيب منه اذا كان تمرا ومثله
قول الشاعر شعر اذا المرء اعيته المروة ناشئا، فمطلبها كهلا عليه شديد، اى اذا كان
كهلا والمعنى والارض في حال اجتماعها قبضته قال الامام النحوي البصير قال ابو علي في الحجة
ان التقدير والارض ذات قبضته اذا كانت مجتمعة وقال في الجليات التقدير والارض
مقبوض اذا كانت مجتمعة وقال فعلى التقدير الذي في الحجة لا تتاتى اعمال قبضته في اذا لانه
قدره ذات قبضته والمضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف وعلى التقدير في الجليات تتاتى
اعمال قبضته في اذا بمعنى مفعول اقول ان المضاف اليه اذا قيم مقام المضاف بعد ان
حذف المضاف جاز ان يعمل عمل المضاف كما اعرب باعرابه فارتفع بعد ان كان مجرورا
في الاصل فلما جاز ان يعمل المضاف فيما قبله جاز لما قام مقامه ان يعمل فيما قبله كما اكتسى
اعرابه وكيف يجوز ان يستقيم ما ذكره هذا الجامع للعلوم على مثل ابي علي مع انه يشق الشعر
في هذا الفن المعنى ثم اخبر سبحانه عن احوالهم فقال وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا
الله حق عظمته اذ عبدوا غيره وامروا نبيه بعبادة غيره عن الحسن والسدي قال
المبرد واصله من قولك فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته والقدر اختصاص
الشيء بعظم او صغر او مساواة وقيل معناه وما وصفوا الله حق صفته اذ جحدوا
البعث فوصفوه بانه خلق الخلق عبثا وانه عاجز عن الاعادة والبعث والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والقبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك اخبر الله
سبحانه عن كمال قدرته فذكر ان الارض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض

على القابض

على القابض بكفه فيكون في قبضته وهذا تفهيم لنا على عادة التخاطب فيما بيننا لانه يقول
هذا في قبض فلان وفي يد فلان اذا هان عليه التصرف فيه وان لم يقبض عليه وكذا قوله
والسموات مطويات بيمينه اي يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور
له طيه بيمينه وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتحقق للملك كما قال او ما ملكت
ايمانكم اي ما كان تحت قدرتكم اذ ليس الملك يخصص باليمين دون الشمال وساير
الجسد وقيل معناه انها محفوظات مصونات بقوته واليمين القوة كما في قول
الشاعر شعر اذا ما راية رفعت لمجد: تلقاها عرابة باليمين: ثم نزه سبحانه نفسه
عن شركهم فقال سبحانه وتعالى عما يشركون اي عما يضيفونه اليه من المثل والشبيه ونفخ
في الصور وهو قرن ينفخ فيه اسرافيل ووجه الحكمة في ذلك انها علامة جعلها الله
تعالى ليعلم بها العقلاء آخر امرهم في دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبه ذلك بما يتعارف فيه
من بوق الرحيل والنزول ولا يتصور باحسن من هذه الطريقة وقيل ان الصور جمع
صورة فكانه نفخ في صور الخلق عن قتادة وروي عنه انه قرأ في الصور بفتح الواو فصعق
من في السموات ومن في الارض اي يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور
جميع من في السموات والارض يقال صعق فلان اذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة
العظيمة الا من شاء الله اختلف في المستثنى فقيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت عن السدي وهو المروي عن حديث مرفوع وقيل هم الشهداء الذين قتلوا
في سبيل الله عن سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وآله انه سال جبرئيل عن هذه الآية من الذي لم يشاء الله ان يصعقهم
قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش ثم نفخ فيه اخرى يعني نفخة البعث
وهي النفخة الثانية وقال قتادة في حديث رفعه ان ما بين النفختين اربعين سنة
وقيل ان الله تعالى يفني الاجسام كلها بعد الصعق وموت الخلق ثم يعيدها وقوله
فاذا هم قيام اخبار عن سرعة ايجادهم لانه سبحانه اذا نفخ الثانية اعادهم عقيب ذلك
فيقومون من قبورهم احيا وينظرون اي ينتظرون ما يفعل بهم وما يومرون به واشرقت

الارض بنور ربها اى اضاءت الارض بعدل ربها يوم القيمة لان نور الارض بالعدل
كما ان نور العلم بالعمل عن الحسن والسدى وقيل بنور خلقه الله عز وجل لتضئ به يوم القيمة
من غير شمس ولا قمر ووضع الكتاب اى كتب الاعمال التى كتبتها الملائكة على بنى آدم ووضع
فى ايديهم ليقرأوا منها اعمالهم والكتاب اسم جنس فيؤدى معنى الجمع اى يوضع
كتاب كل انسان بيمينه او شماله وجئ بالنبيين والشهداء اى يجئ بهم والشهداء
هم الذين يشهدون للانبياء على الامم بانهم بلغوا وان الامم قد كذبوا عن ابن عباس
وسعيد بن جبير وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله عن السدى وقيل هم عدول
الآخرة يشهدون على الامم بما شاهدوا عن الجبائى وابى مسلم وهذا كما جرت العادة
بان القضاء يكون بشهود الشهداء والعدول وقيل هم الحفظة من الملائكة
ويدل على قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقيل هم جميع الشهداء من
الجوارح والمكان والزمان وقضى بينهم بالحق اى يفصل بينهم بالحق لا ينقص احد
منهم شيئا مما يستحقه من الثواب ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب ووفيت
كل نفس ما عملت اى يعطى كل نفس عاملة بالطاعات جزاء ما عملته على الوفا والكمال دون
النقصان وهو اعلم بما يفعلون اى والله سبحانه اعلم من كل احد بما يفعلونه
من طاعة او معصية ولم يأمر الملائكة بكتبة الاعمال لحاجته الى ذلك بل للزيادة
تاكيد وليعلموا انه يجازيهم بحسب ما عملوا الآية اتصل قوله والارض جميعا قبضته يوم
القيمة بقوله وما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق عظمته اذ عبدوا معه
غيره مع اقتداره على السموات والارض قوله عز وجل وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ
زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ

خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خمس آيات القراءة قرأ
اهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف فيهما والباقون بالتشديد الحجة حجة
التشديد قوله مفتحة لهم الابواب وان التشديد يختص بالكثرة ووجه
التخفيف ان التخفيف يصلح للقليل والكثير اللغة السوق الحث على السير ومنه قولهم
الكلام يجرى على سياقة واحدة ومنه السوق لان المعاملة تساق فيها بالبيع والشراء
والزمر جمع زمرة وهى الجماعة لها صوت كصوت المزمار ومنه مزامير داود
وهى اصوات كانت له مستحسنة قال الله رجلا كان صوت حاد اذا طلب الوسيقة
او زمير وقال ابو عبيدة هم جماعات فى تفرقة بعضهم فى اثر بعض وحفافا القوم يقال
اذا طافوا به واحده حاف والحافان الجانبان الاعراب قال المبرد الواو فى قوله تعالى
اذا جاؤها وفتحت ابوابها زائدة وكان ينكر قول من يقول هو واو الثمانية
وانشد لامرء القيس شعر فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى قفاف
عنقنقل قال والمعنى فلما اجزنا ساحة الحى انتحى قال على بن عيسى انما جئ بهذه الواو
تارة وحذفت اخرى للتصرف فى الكلام وجواب اذا فى صفة اهل الجنة محذوف وتقديره
حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وكان كيت وكيت فازوا ونالوا المنى وما اشبه ذلك
وهذا معنى قول الخليل لانه قال فى بيت امرء القيس الجواب محذوف والتقدير فلما اجزنا
ساحة الحى وانتحى بنا خلونا ونعمنا ومثله قول بعض الهذليين حتى اذا سلكوهم
فى قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا فحذف جواب اذا لان هذا البيت اخر القصيدة
وتحقيقه ان التقدير حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها قالوا وطالوا وجواب اذا مضمر
كما اضمر فى قوله حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الى قوله ثم تاب عليهم التقدير
قاربوا الهلاك ثم تاب عليهم المعنى ثم اضرب سبحانه عن قسمة احوال الخلائق فى المحشر بعد فصل

القضاء فقال وسيق الذين كفروا اي يساقون سوقا في عنف الى جهنم زمرا اي فوجا بعد فوج
وزمرة بعد زمرة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها اي حتى اذا انتهوا الى جهنم فتحت ابواب
جهنم عند مجيئهم اليها وهي سبعة ابواب وقال لهم خزنتها الموكلون بها على وجه التهجين
لفعلهم والانكار عليهم الم ياتكم رسل منكم اي من امثالكم من البشر يتلون عليكم يقراون
عليكم ايات ربكم حجج ربكم وما يدلكم على معرفته ووجوب عبادته وينذرونكم لقاء يومكم
هذا اي يخوفونكم من مشاهدة العذاب فيه قالوا اي قال الكفار بلى قد جاءنا
رسل ربنا وخوفونا بايات الله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اي وجب العقاب
على من كفر بالله تعالى لانه اخبر بذلك وعلم من يكفر ويوافي بكفره فقطع على عقابه فلم يكن
يقع خلاف ما علم واخبر به فصار كونهم في جهنم موافقا لما اخبر به تعالى ولما علمه وقيل
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي فيقول عند ذلك خزنة جهنم وهم الملائكة الموكلون
ادخلوا ابواب جهنم مؤبدين لا اخر لعقابكم فبئس مثوى المتكبرين اي بئس موضع
اقامة المتكبرين عن الحق وقبوله جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا اي يساقون
مكرمين زمرة بعد زمرة كقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وانما ذكر السوق
على وجه المقابلة لسوق الكافرين الى جهنم كلفظ البشارة في فبشرهم بعذاب اليم وانما
البشارة هي الخبر السار حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها اي وقد فتحت ابوابها
قبل مجيئهم وابواب الجنة ثمانية عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله
عليه وآله قال ان في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخلها الا الصائمون
رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وقال لهم خزنتها عند استقبالهم سلام عليكم اي سلامة
من الله عليكم يحيونهم بالسلامة ليزدادوا بذلك سرورا وقيل هو دعاء لهم بالسلامة
والخلود اي سلمتم من الآفات طبتم اي طبتم بالعمل الصالح في الدنيا وطابت اعمالكم
الصالحة وزكت وقيل معناه طابت انفسكم بدخول الجنة وقيل انهم طيبوا قبل دخول
الجنة بالمغفرة واقتص لبعضهم من بعض فلما هذبوا وطيبوا قال لهم الخزنة طبتم عن قتادة
وقيل طبتم اي طاب لكم المقام وقيل انهم اذا قربوا من الجنة يردون على عين من الماء

فيغسلون

فيغسلون بها ويشربون منها فيطهر الله اجوافهم فلا يكون بعد ذلك منهم
حدث واذى ولا تتغير الوانهم فيقول الملائكة طبتم فادخلوها خالدين اي فادخلوا
الجنة خالدين مخلدين مؤبدين وقالوا اي ويقول اهل الجنة اذا دخلوها اعترافا
بنعم الله تعالى عليهم الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدناه على السنة
الرسل واورثنا الارض اي ارض الجنة لما صارت الجنة عاقبة امرهم عبر عن ذلك
بلفظ الميراث والايراث وقيل لانهم ورثوها عن اهل النار نتبوء من الجنة
اي نتخذ من الجنة منزلا ومأوى حيث نشاء وهذا اشارة الى كثرة قصورهم ومنازلهم
وسعة نعمتهم فنعم اجر العاملين اي نعم ثواب المحسنين الجنة والنعيم فيها وترى
الملائكة حافين من حول العرش معناه ومن عجائب امور الاخرة انك ترى الملائكة
محدقين بالعرش عن قتادة والسدي يطوفون حوله يسبحون بحمد ربهم اي
ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو عليها وقيل
يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحدون الجنة وقيل ان تسبيحهم في ذلك
الوقت على سبيل التلذذ والتنعم لا على وجه التعبد اذ ليس هناك تكليف
وقد عظم الله سبحانه امر القضاء في الاخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله
معظمين له سبحانه ومسبحين كما ان السلطان اذا اراد الجلوس للمظالم
قعد على سريره واقام جنده حوله تعظيما للامر وان استحال كونه عز وعلا على العرش
اذ ليس بصفة الجواهر والاجسام والجلوس على العرش من صفات الاجسام وقضي
بينهم بالحق اي وفصل بين الخلائق بالعدل وقيل بين الانبياء والامم وقيل بين اهل الجنة
والنار وقيل الحمد لله رب العالمين اهل الجنة يقولون ذلك شكرا لله على نعمه التامة
وقيل انه من كلام الله تعالى فقال في ابتداء الخلق الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وقال بعد افناء الخلق ثم بعد بعثهم واستقرار اهل الجنة في الجنة الحمد لله
رب العالمين فوجب الاخذ بادبه في ابتداء كل امر بالحمد وختمه بالحمد سورة المؤمن مكية
وقال ابن عباس وقتادة الا آيتين منها نزلتا في المدينة ان الذين يجادلون في

فى آيات الله الى قوله لا يعلمون وفى الحشر الا قوله وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار
يعنى بذلك صلوة الفجر والمغرب وقد ثبت ان فرض الصلوة نزل بالمدينة عدد
آيها خمس وثمانون آية كوفى وشامى واربع حجازى وآيتان بصرى اختلافها تسع آيات
حم كوفى كاظمين غير الكوفى يوم التلاق غير الشامى بارزون شامى بنى اسرائيل
الكتاب مكى كوفى والمدنى الاول والبصير شامى والمدنى الاخير يسحبون كوفى شامى
والمدنى الاخير كنتم تشركون كوفى شامى فضلها عموما وفضلها خصوصا روى ابو بردة
الاسلمى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من احب ان يرتفع فى رياض الجنة فليقرأ الحواميم فى
صلوة الليل انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله قال الحواميم ديباج القرآن ابن عباس
قال لكل شىء لباب ولباب القرآن الحواميم ابن مسعود قال اذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات
دمثات اتأنق فيهن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة حم المؤمن لم يبق
روح نبى ولا صديق ولا مؤمن الا صلوا عليه واستغفروا له وروى ابو بصير عن ابى عبد الله ع
قال الحواميم ريحان القرآن فاحمدوا الله واشكروه بحفظها وتلاوتها وان العبد ليقوم
يقرأ الحواميم فيخرج من فيه اطيب من المسك الاذفر والعنبر وان الله ليرحم تاليها وقاريها
ويرحم جيرانه واصدقاءه ومعارفه وكل حميم او قريب له وانه فى القيمة يستغفر له العرش
والكرسى وملائكة الله المقربون وروى ابو الصباح عن ابى جعفر عليه السلم قال من قرأ
حم المؤمن فى كل ثلاث غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر والزمه التقوى وجعل الآخرة
له خيرا من الدنيا تفسيرها لما ختم سبحانه سورة الزمر بذكر الملائكة والجنة والنار افتتح
هذه السورة بمثل ذلك بمثل ذلك فقال بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى
الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك
تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم
ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب خمس آيات
القراة قرأ اهل الكوفة غير عاصم الا حماد او يحيى عن ابى بكر حم بامالة الالف والباقون

بالفتح

بالفتح بغير امالة وهما لغتان فصيحتان الحجة من جعل حم اسما للسورة يؤيده قول شريح
بن اوفى العجلى شعر يذكرنى حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فجعله اسما
معربا وقول الكميت شعر وجدنا لكم فى آل حاميم آية تأولها منا تقى ومعرب والعزيز
القادر الذى لا يغالب المنيع بقدرته على غيره والتوب يجوز ان يكون جمع توبة كدومة
ودوم ويجوز ان يكون مصدر تاب يتوب توبا والطول الانعام الذى تطول مدته
على صاحبه كما ان التفضل النفع الذى فيه افضال على صاحبه ولو وقع النفع على خلاف
هذا لم يكن تفضلا الاعراب اذا قدرت آل حم فموضعه نصب قيل موضعه جر بالقسم وقال
يجوز ان يكون مرفوع الموضع على تقدير هذا حم وقد فتح الميم عيسى بن عمر جعله
اسما للسورة فنصبه ولم ينون لانه على وزن هابيل ويجوز ان يكون فتحه
لالتقاء الساكنين والقراء على تسكين الميم واذا كان من حروف التهجى فلا بد
الاعراب فى تنزيل خبر مبتدأ محذوف غافر الذنب جر لانه صفة بعد صفة ومعناه ان من شأنه
غفران الذنب فيما مضى وفيما يستقبل فلذلك كان صفة المعرفة وكذلك قابل
التوب ولو جعلته بدلا كانت المعرفة والنكرة سواء المعنى قد مضى ذكره لا قوال فيه
وقيل اقسم الله بحلمه وملكه لا يعذب من عاذ به وقال لا اله الا الله مخلصا
من قبله عن القرظى وقيل هو افتتاح اسما به حليم حميد حى حكيم حنان ملك محمد
مبدئ معيد عن عطاء الخراسانى وقيل معناه حم اى قضى ما هو كائن عن الكلبى
تنزيل الكتاب اى هذا تنزيل الكتاب من الله الذى يحق له العبادة العزيز فى ملكه
العليم الكبير المعلوم غافر الذنب لمن يقول لا اله الا الله وهم اولياؤه واهل
طاعته والذنب اسم جنس فالمعنى غافر الذنوب فيما مضى وفيما يستقبل وقابل التوب
يقبل توبة من تاب اليه من المعاصى بان يثيب عليها ويسقط عقاب معاصيه المتقدمة
على وجه التفضل منه ولذلك كان صفة مدح ولو كان سقوط العقاب عندها
واجبا لما كان فيه مدح قال الفراء معناه ذى الغفران وذى قبول التوبة ولذلك
صار نعتا للمعرفة شديد العقاب اى شديد عقابه وذكر ذلك عقيب قوله غافر الذنب

لئلا يعول المكلف على الغفران بل يكون بين الرجاء والخوف ذى الطول اى ذى النعم على عباده
عن ابن عباس وقيل ذى الغنى والسعة عن مجاهد وقيل ذى التفضل على المؤمنين عن الحسن
وقتاده وقيل ذى القدرة والسعة عن ابن زيد والسدى وروى عن ابن عباس
انه قال غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله قابل التوب عمن قال لا اله الا الله ذى الطول
ذى الغنى عمن لم يقل لا اله الا الله وقيل لما ذكر ذى الطول عقيب قوله شديد العقاب
ليعلم ان العاصى اتى فى هلاكه من قبل نفسه لا من قبل ربه والا فنعمه عليه سابغه
دينا ودنيا لا اله الا هو الموصوف بهذه الصفات دون غيره ولا يستحق العبادة
سواه اليه المصير اى المرجع للجزاء والمعنى ان الامور تؤول الى حيث لا يملك احد
النفع والضر والامر والنهى غيره تعالى وهو يوم القيمة ما يجادل فى ايات الله الا
الذين كفروا اى لا يخاصم فى دفع حجج الله وانكارها وجحدها الا الذين كفروا بالله
واياته وجحدوا نعمه ودلالاته فلا يغررك يا محمد تقلبهم فى البلاد اى تصرفهم فى
البلاد للتجارات سالمين اصحاء بعد كفرهم فان الله لا يخفى عليه حالهم وانما
يمهلهم لانهم فى سلطانه فلا يفوتونه ولا يهملهم وفى هذا غاية التهديد ثم بين
ان عاقبتهم الهلاك كعاقبة من قبلهم من الكفار فقال كذبت قبلهم قوم نوح يعنى
رسلهم نوحا والاحزاب من بعدهم وهم الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب
نحو عاد وثمود ومن بعدهم وهمت كل امة منهم برسولهم اى قصدوه ليأخذوه
اى ليقتلوه ويهلكوه عن ابن عباس وانما قال برسولهم ولم يقل برسولها لان المراد
الرجال وجادلوا بالباطل اى خاصموا برسلهم بان قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وهلا
ارسل الله الينا ملائكة وبامثال هذا من القول ليدحضوا به الحق الذى بينه
الله وجاءت به رسله اى ليبطلوه ويزيلوه يقال ادحض الله حجته اى ازالها وازالها
فاخذتهم بالعقاب اى اهلكتهم ودمرت عليهم وعاقبتهم فكيف كان عقاب اى فانظر
كيف كان عقابى وهذا استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم قوله عز وجل
وَكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ

العرش

الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ
لَمَقْتُ اللّٰهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ خمس آيات
القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر كلمات ربك على الجمع والباقون كلمة ربك على التوحيد
الحجة قال ابو على الكلمة تقع مفردة على الكثرة فاذا كان كذلك استغنى فيها عن
الجمع كما يقول يعجبنى قيامكم وقعودكم قوله سبحانه لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا
ثبورا كثيرا وقال ان انكر الاصوات لصوت الحمير فافرد الصوت مع الاضافة الى الكثرة
فكذلك الكلمة وقد قالوا قس فى كلمته يعنون خطبته ومن جمع فلان هذه الاشياء
وان كانت تدل على الكثرة فقد تجمع اذا اختلفت اجناسها الاعراب انهم اصحاب النار
يجوز ان يكون موضعه نصبا على تقدير بانهم او لانهم ويجوز ان يكون رفعا على البدل
من كلمة ومن حوله معطوف على الذين يحملون العرش ورحمة وعلما منصوبان على
التمييز ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم فى موضع نصب على الهاء والميم فى
وادخلهم اى وادخل من صلح من ابائهم وازواجهم وقوله لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم اذ تدعون لا يجوز ان يكون ظرفا للمقت الثانى فى قوله من مقتكم انفسكم
لان الدعاء الى الايمان كان فى الدنيا ومقتهم انفسهم يكون فى الاخرة ولا يجوز ان يكون
ظرفا لتدعون لان تدعون فى موضع جر بالاضافة والمضاف اليه لا يجوز ان يعمل
فى المضاف فالوجه ان يتعلق الظرف بفعل مضمر دل عليه الجملة تقديره مقتكم اذ تدعون
او يتعلق بالمقت الثانى على تقدير تسمية الشئ بما يؤول اليه المعنى ثم قال سبحانه
وكذلك اى ومثل ما حق على الامم المكذبة من العقاب حقت كلمة ربك اى العذاب
على الذين كفروا من قومك اى اصروا على كفرهم انهم اى لانهم او بانهم اصحاب النار

عن الاخفش ثم اخبر سبحانه عن حال المؤمنين وانهم يستغفر لهم الملائكه مع عظم منزلتهم
عند الله تعا فحالهم بخلاف احوال من تقدم ذكرهم من الكفار فقال الذين يحملون العرش
عباده الله تعا وامتثالا لامره ومن حوله يعني الملائكة المطيعين بالعرش وهم
الكروبيين وساده الملائكه يسبحون بحمد ربهم اي ينزهون ربهم عما يصفه به هولاء
المجادلون وقيل يسبحونه بالتسبيح المعهود ويحمدونه على انعامه ويومنون به
اي يصدقون به ويعترفون بوحدانيته ويستغفرون اي يسالون الله المغفرة
للذين امنوا من اهل الارض اي صدقوا بوحدانية الله واعترفوا بالالهية بما يجب الاعتراف
به يقولون في دعائهم لهم ربنا وسعت كل شيء رحمه وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك
كل شيء والمراد بالعلم المعلوم كما في قوله ولا يحيطون بشيء من علمه اي بشيء من معلومه
على التفصيل فجعل العلم في موضع المعلوم والمعنى انه لا اختصاص لمعلوماتك
بل انت عالم بكل معلوم ولا يختص رحمتك حيا دون حي بل شملت جميع الحيوان وفي هذا
تعليم الدعا ليبدا بالثناء عليه قبل السؤال فاغفر للذين تابوا من الشرك
والمعاصي واتبعوا سبيلك الذي دعوت اليه خلقك وهو دين
الاسلام وقهم اي ادفع عنهم عذاب الجحيم وفي هذه دلالة على ان اسقاط
العقاب عند التوبة بفضل من الله اذ لو كان واجبا لكان لا يحتاج فيه
الى مسئلتهم بل كان يفعله الله سبحانه لا محاله ربنا وادخلهم مع قبول
توبتهم ووقايتهم النار جنات عدن التي وعدتهم على السن انبيائك
ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ليكمل انسهم ويتم سرورهم انك
انت العزيز القادر على من تشاء الحكيم في فعالك وقهم السيئات اي وقهم عذاب
السيئات وسماه السيئات اتساعا كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمه اي ومن تصرف عنه شر معاصيه فتفضلت عليه
يوم القيمة باسقاط عقابها فقد انعمت عليه وذلك هو الفوز العظيم اي الظفر
بالبغية والفلاح العظيم ثم عاد الكلام الى من تقدم ذكرهم من الكفار فقال عز اسمه

ان الذين كفروا ينادون اي يناديهم الملائكه يوم القيمة لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم اذ تدعون الى الايمان فيكفرون والمقت اشد العداوة والبغض والمعنى
انهم لما راوا اعمالهم ونظروا في كتابهم وادخلوا النار مقتوا انفسهم لسوء صنيعهم
فنودوا لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم
انفسكم اليوم عن مجاهد وقتاده والسدي وقيل انهم لما تركوا الايمان وصاروا
الى الكفر فقد مقتوا انفسهم اعظم المقت وهذا كما يقول احدنا لصاحبه اذا كنت
لا تبالي بنفسك فبالاتي بك اولي وليس يريد انه لا يبالي بنفسه بل يريد انه يفعل فعل
من هو كذلك عن البلخي قوله عز وجل قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ
فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ
يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ
يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
سبع آيات القراة قرا روح وزيد عن يعقوب لتنذر بالتاء والباقون بالياء الحجة
التاء على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وقراة القراء بالياء على ان الضمير
يعود الى من يشاء من عباده الاعراب لمن الملك اليوم انتصب اليوم بمدلول قوله
لمن الملك اي لمن ثبت الملك في هذا اليوم ويجوز ان يتعلق بنفس الملك وقال
قوم ان الوقف على الملك حسن يبتدي اليوم لله الواحد القهار اي في هذا اليوم
المعنى ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين تقدم وصفهم بعد حصولهم في النار بانهم
قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اختلف في معناه على وجوه احدها ان
الاماتة الاولى في الدنيا بعد الحيوة الثانية في القبر قبل البعث والاحياء في القبر للمسائله
والثانيه في الحشر عن السدي وهو اختيار البلخي وثانيها ان الاماتة الاولى حال كونهم

نطفا فاحياهم الله فى الدنيا ثم اماتهم الموتة الثانية ثم احياهم للبعث فهاتان
حياتان وموتتان ونظيره قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الاية عن ابن عباس
وقتاده والضحاك واختاره ابو مسلم وثانيها ان الحيوة الاولى فى الدنيا والثانية
فى القبر ولم يرد الحيوة يوم القيمة والموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر عن الجبائى
فاعترفنا بذنوبنا التى اقترفناها فى الدنيا فهل الى الخروج من سبيل هذا تلطف
منهم فى الاستدعا اى هل بعد الاعتراف سبيل الى الخروج وقيل انهم سالوا الرجوع
الى الدنيا اى هل من خروج من النار الى الدنيا لنعمل بطاعتك ولو علم الله
سبحانه انهم لا يفلحون لردهم الى حال التكليف ولذلك قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا
تنبيها على انهم لو صدقوا فى ذلك لاجابهم الى ما تمنوه وفى الكلام حذف تقديره فاجيبوا
بانه لا سبيل لكم الى الخروج ذلكم العذاب الذى حل بكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم
اى اذا قيل لا اله الا الله قلتم اجعل الالهة الها واحدا وجحدتم ذلك وان يشرك به
تؤمنوا اى وان يشرك به معبود اخر من الاصنام والاوثان تصدقوا فالحكم لله
فى ذلك والفصل بين الحق والباطل العلى القادر على كل شئ ليس فوقه من هو اقدر منه
او من يساويه فى مقدور ونقلت هذه اللفظة من علو المكان الى علو الشان
ولذلك جاز وصفه سبحانه بذلك يقال استعلى فلان عليه بالقوة والحجة وليس كذلك
الرفعة ولذلك لا يوصف مكانه بانه رفيع كما وصف بانه على والكبير والعظيم
فى صفاته التى لا يشاركه فيها غيره وقيل ما هو السيد الجليل عن الجبائى هو الذى
يريكم اياته اى مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته وتوحيده من السماء والارض والشمس
والقمر وينزل لكم من السماء رزقا من الغيث والمطر الذى ينبت ما هو رزق للخلق
وما يتذكر اى وما يتعظ بهذه الايات وليس يتفكر فى حقيقتها الا من ينيب اى يرجع
اليه وقيل الا من يقبل الى طاعة الله عن السدى ثم امر المؤمنين بتوحيده
فقال فادعوا الله مخلصين له الدين اى وجهوا عبادتكم اليه تعالى وحده ولو كره
الكافرون فلا تبالوا بهم ثم وصف سبحانه نفسه فقال رفيع الدرجات الرفيع

بمعنى الرافع اى هو رافع درجات الانبياء والاولياء فى الجنة عن عطا عن ابن عباس
وقيل معناه رافع السموات السبع عن سعيد بن جبير وقيل معناه انه عالى الصفات
ذو العرش اى مالك العرش وخالقه وربه وقيل ذو الملك والعرش الملك عن ابى
مسلم يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده وقيل الروح هو القران وكل كتاب
انزله الله تعالى على نبى من انبيائه وقيل الروح الوحى هنا لانه يحيا به القلب اى يلقى
الوحى على قلب من يشاء ممن يراه اهلا له يقال القيت عليه كذا اى فهمته اياه وقيل
ان الروح جبرئيل عليه السلام يرسله الله تعالى بامره عن الضحاك وقتاده والسدى وابن
زيد وقيل تلتقى فيه الاولون والاخرون والخصم والخصوم والظالم والمظلوم
عن الجبائى وقيل تلتقى الخلق والخالق يعنى ان يحكم بينهم وقيل تلتقى المرء وعمله والكل
مراد والله اعلم يوم هم بارزون من قبورهم وقيل بارز بعضهم لبعض فلا يخفى
على احد حال غيره لانه ينكشف ما كان مستورا لا يخفى على الله منهم شئ اى من اعمالهم
واحوالهم ويقول الله فى ذلك اليوم لمن الملك اليوم فيقر المؤمنون والكافرون
بانه لله الواحد القهار وقيل انه سبحانه هو القائل لذلك وهو المجيب لنفسه ويكون
الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين وقال محمد بن كعب القرظى يقول الله تعالى ذلك بين
النفختين حين يفنى الخلايق كلها ثم يجيب نفسه لانه بقى وحده والاول اصح لانه بين
انه يقول ذلك يوم التلاق يوم برز العباد فيه من قبورهم وانما خص ذلك بان له
الملك فيه لانه قد ملك العباد بعض الامور فى الدنيا ولا يملك احد شيئا ذلك اليوم
فان قيل اليس يملك الانبياء والمؤمنون فى الاخرة الملك العظيم فالجواب ان احدا
لا يستحق اطلاق الصفة بالملك الا الله تعالى لانه يملك جميع الامور من غير تمليك
مملك وقيل ان المراد به يوم القيمة قبل تمليك اهل الجنة ما يملكهم اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت يجزى المحسن باحسانه والمسئ باسائته وفى الحديث ان الله تعالى
يقول انا الملك انا الديان لا ينبغى لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولا لاحد من اهل
النار ان يدخل النار وعنده مظلمة حتى اقصه منه ثم تلا هذه الاية لا ظلم اليوم اى لا ظلم

لاحد على احد ولا ينقص من ثواب احد ولا يزاد في عقاب احد ان الله سريع الحساب
لا يشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره النظم اتصل قوله ربنا امتنا اثنتين
بما تقدم من ذكر انكار الكفار البعث فعقبه سبحانه بذكر اعترافهم بذلك
يوم القيمة وايضا فانه سبحانه لما ذكر مقتهم انفسهم لعظم ما نزل بهم ذكر بعده
سوالهم الرجعة الى الدنيا فانما اتصل قوله اعترفنا بذنوبنا لما تقدم من
اقرارهم بصفة الرب سبحانه فكانهم قالوا اعترفنا بك ربنا فانك امتنا واحييتنا
ومع هذا فقد اعترفنا بذنوبنا واتصل قوله هو الذي يريكم اياته بقوله
العلي الكبير اي ومن هذه صفاته يريكم اياته واتصل قوله رفيع الدرجات
بقوله هو الذي يريكم اياته اي وهو رفيع الدرجات وقيل انما لما ذكر
حال الفريقين ذكر الدرجات قوله عز وجل وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ
الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ يَعْلَمُ
خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ثلث آيات القراءة
قرأ نافع وهشام عن ابن عامر والذين تدعون بالتاء والباقون بالياء الحجة
من قرأ بالتاء فعلى الخطاب والتقدير قل لهم يا محمد ومن قرأ بالياء جعل الاخبار
عن الغائب اللغة الازفة الدانية من قولهم ازف الامر اذا دنا وقته قال النابغة
شعر ازف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكان قد ی والحناجر جمع
حنجرة وهي الحلقوم والكاظم الممسك على ما في قلبه يقال كظم غيظه اذا تجرعه
واصل الكظم للبعير على جرته يردها في حلقه الاعراب قال الزجاج كاظمين منصوب
على الحال والحال محمولة على المعنى لان القلوب لا يقال لها كاظمون وانما الكاظمون
اصحاب القلوب والمعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر حال كظمهم وهو حال من الضمير
في لدى ومعناه متوقفين عن كل شيء الا عما دفعت اليه من فكرها فيه ونسب
الكظم الى القلب كنسبة الكتابة الى الايدي في قوله كتبت ايديهم وانما ذلك للجملة

يطاع جملة في موضع جر لكونها صفة شفيع اي ولا من شفيع مطاع المعنى ثم امر سبحانه
نبيه ان يخوف المكلفين يوم القيمة فقال وانذرهم يوم الازفة اي الدانية وهو
يوم القيمة لان ما هو آت دان قريب وقيل يوم دنو المجازاة اذ القلوب لدى
الحناجر وذلك انها تزول عن مواضعها من الخوف حتى تصير الى الحنجرة ومثله
قوله وبلغت القلوب الحناجر كاظمين اي مغمومين مكروبين ممتلئين غما قد
اطبقوا افواههم على ما في قلوبهم من شدة الخوف ما للظالمين من حميم يريد
ما للمشركين والمنافقين من قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع فيهم فيقبل شفاعته
عن ابن عباس ومقاتل يعلم خائنة الاعين اي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا
يحل النظر اليه عن مجاهد وقتاده والخائنة مصدر مثل الخيانة كما ان الكاذبة
واللاغية بمعنى الكذب واللغو وقيل ان تقديره يعلم الاعين الخائنة عن مورج وقيل
هو الرمز بالعين عن السدي وقيل هو قول الانسان ما رايت وقد رای ورايت وما
رای عن الضحاك وما تخفي الصدور ويعلم ما يضمره الصدور وفي الخبر ان النظرة
الاولى لك والثانية عليك فعلى هذا يكون الثانية محرمة فهي المراد بخائنة الاعين
والله يقضي بالحق اي يفصل بين الخلق بالحق فيوصل كل ذي حق الى حقه والذين يدعون
من دونه من الاصنام لا يقضون بشيء لانها جماد ان الله هو السميع البصير اي الذي
يجب ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات اذا وجدنا وهاتان الصفتان في الحقيقة
يرجعان الى كونه حيا لا آفة به وقيل معناها العالم بالمسموعات العالم بالمبصرات
والاول هو الصحيح قوله عز وجل أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ
مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا
قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

خمس آيات القراءة قرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف في الميم والباقون منهم بالهاء والميم الحجة
قال ابو علي من قال منهم فانه بلفظ الغيبة فلان ما قبله افلم يسيروا فينظروا ومن قال
منكم فلانصرافه من الغيبة الى الخطاب كقوله اياك نعبد بعد قوله الحمد لله المعنى
ثم نبههم سبحانه على النظر بقوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من المكذبين من الامم لرسلهم كانوا هم اشد منهم قوة في انفسهم وآثارا
في الارض اي واكثر عمارة للابنية العجيبة وقيل ابعد ذهابا في الارض لطلب
الدنيا فاخذهم الله بذنوبهم اي اهلكهم الله بسبب ذنوبهم وما كان لهم من الله
من واق اي دافع يدفع عنهم عذابه ويمنع من نزوله بهم ذلك العذاب الذي
نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الباهرات والدلالات
الظاهرات فكفروا بها فاخذهم الله اي اهلكهم عقوبة على كفرهم انه قوي قادر
على الانتقام منهم شديد العقاب اي شديد عقابه ثم ذكر قصة موسى وفرعون
ليعتبروا بها فقال ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي بعثناه بحججنا ودلالاتنا وسلطان
مبين اي حجة ظاهرة نحو قلب العصى حية وفلق البحر الى فرعون وهامان وقارون
كان موسى رسولا الى كافتهم الا انه خص فرعون لانه كان رئيسهم وكان هامان
وزيره وقارون صاحب جنوده والباقون تبع وانما عطف السلطان على الآيات
لاختلاف اللفظين تاكيدا وقيل المراد بالايات حجج التوحيد والعدل وبالسلطان
المعجزات الدالة على نبوته فقالوا ساحر اي مموه كذاب فيما يدعوا اليه فلما جاءهم
بالحق من عندنا اي فلما اتاهم موسى بالتوحيد والدلالة عليه من عندنا وقيل
بالدين الحق قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم اي امروا
بقتل الذكور من قوم موسى لئلا يكثر قومه ولا يتقوى بهم وباستبقاء نسائهم
للخدمة وهذا القتل غير القتل الاول لانه امر بالقتل الاول لئلا ينشأ منهم
من يزول حكمه على يديه ثم ترك فلما ظهر موسى عليه السلام عاد الى تلك العادة فمنعهم الله
عنه بارسال الدم والضفادع والطوفان والجراد كما مضى ذكر ذلك ثم اخبر سبحانه

انما فعله

ان ما فعله من قتل الرجال واستحياء النساء لم ينفعه بقوله وما كيد الكافرين
الا في ضلال اي في ذهاب عن الحق لا ينتفعون به قوله عز وجل وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي
أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ
الْفَسَادَ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ
رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ
وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ
إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ
وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ خمس آيات
القراءة قرأ اهل المدينة وابو عمرو وان بغير الف قبل الواو ويظهر بضم الياء
وكسر الهاء الفساد بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وان يظهر الفساد بالرفع
وقرأ حفص ويعقوب او ان يظهر الفساد بالرفع وقرأ حفص ويعقوب او ان يظهر
بضم الياء الفساد بالنصب والباقون وان يظهر بفتح الياء الفساد بالرفع
وقرأ اهل الكوفة عن عاصم وابو عمرو واسمعيل عن نافع وابو جعفر عذت هنا
وفي الدخان بادغام الذال في التاء وكذلك قوله فنبذتها حيث كان و
الباقون بالاظهار الحجة قال ابو علي من قرأ او ان يظهر فالمعنى
اخاف هذا الضرب منه كما يقال كل خبزا او تمرا اي هذا الضرب ومن قرأ وان يظهر
فالمعنى اخاف هذين الامرين منه ومن قرأ يظهر في الارض الفساد فاسند الفعل
الى موسى فلانه اشبه بما تقدم من قوله يبدل دينكم ومن قرأ او ان يظهر
فالمعنى وان يظهر الفساد في الارض كانه اراد انه اذا بدل الدين ظهر الفساد
بالتبديل واما الادغام في عذت فحسن لتقارب الحرفين والاظهار حسن لان الذال
ليست من مخرج التاء وانما الذال والظاء والثاء من حيز والدال والطاء والتاء

من ضير الا انها كلها من طرف اللسان واصول الثنايا فلذلك صارت متقاربة
المعنى وقال فرعون ذروني اقتل موسى اى قال لقومه اتركوني اقتله وفي هذا دلالة
على انه كان في خاصة فرعون قوم يشيرون عليه بان لا يقتل موسى ويخوفونه بانه
يدعو ربه فيهلك ولذلك قال وليدع ربه اى كما يقولون وقيل انهم قالوا له انه
ساحر فان قتلته قبل ظهور الحجة قويت الشبهة بمكانه بل ارجه واخاه وابعث
في المداين حاشرين وقوله وليدع ربه معناه وقولوا له ليدع ربه وليستعن
به في دفع القتل عنه فانه لا يجي من دعائه شي قاله تجبرا وعتوا وجراة على الله
اني اخاف ان يبدل دينكم ان لم اقتله وهو ما يعتقدونه من الهيتي او ان يظهر
في الارض بان يتبعه قوم ويحتاج الى ان نقاتله فيخرب فيما بين ذلك البلاد ويظهر
الفساد وقيل ان الفساد عند فرعون ان يعمل بطاعة الله عن قتاده فلما قال
فرعون هذا استعاذ موسى بربه وذلك قوله وقال موسى انى عذت بربي وربكم
من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب انى اعتصمت بربي الذى خلقني وربكم الذى
خلقكم من شر كل متكبر على الله متجبر عن الانقياد له لا يصدق بيوم المجازاة
ليدفع شره عني ولما قصد فرعون قتل موسى وعظهم المومن من اله وهو
قوله وقال رجل مومن من آل فرعون يكتم ايمانه فصدره على وجه التقيه وقال
ابو عبد الله عليه السلم التقية من ديني ودين ابائي ولا دين لمن لا تقية له والتقيه
ترس الله في الارض لان مومن آل فرعون لو اظهر الاسلام لقتل قال ابن عباس
لم يكن من آل فرعون مومن غيره وغير امرأة فرعون وغير المومن الذى
انذر موسى فقال ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك قال السدى ومقاتل كان ابن عم
فرعون وكان امن بموسى وهو الذى جاء من اقصى المدينة وقيل انه كان
ولي عهده من بعده وكان اسمه حبيب قيل اسمه حزبيل اتقتلون رجلا ان يقول
الله ربي وهو استفهام انكار ولو قال اتقتلون رجلا قائلا ربي الله لم يدل
على ان القتل من اجل الايمان لان يقول يكون صفة لرجل بخلاف اتقتلون رجلا قائلا

ربي الله

ربي الله فموضع ان يقول نصب على انه مفعول له وقد جاءكم بالبينات من ربكم
اى بما يدلك على صدقه من المعجزات مثل العصى واليد وغيرهما وان يك كاذبا فعليه
كذبه وانما قال هذا على وجه التلطف كقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين ومعناه فان يك كاذبا فعلى نفسه وبال كذبه وان يك صادقا يصبكم
بعض الذى يعدكم قيل ان موسى ع كان يعدهم بالنجاة ان امنوا وبالهلاك
ان كفروا فقال يصبكم بعض الذى يعدكم لانهم اذا كانوا على احد الحالين
نالهم احد الامرين فذلك بعض الامر لا كله وقيل انما قال بعض الذى يعدكم
لانه لو عدهم امورا مختلفة منها الهلاك في الدنيا والعذاب في الاخرة فيكون
هلاكهم في الدنيا بعض ما توعدهم به وقيل استعمل البعض في موضع الكل تلطفا
في الخطاب وتوسعا في الكلام كما قال الشاعر ❊ قد يدرك المتانى بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل ❊ وكانه قال اقل ما فيه ان يصيبكم بعض الذى
يعدكم وفي ذلك البعض هلاككم وقال على بن عيسى انما قال البعض الذى يعدكم على
المظاهرة بالحجاج على انه يكفي بعضه فكيف جميعه ان الله لا يهدى من هو مسرف
كذاب لا يهدى الى جنته وثوابه من هو مسرف على نفسه متجاوز عن الحد في المعصية
كذاب على ربه ويجوز ان يكون ابتداء كلام من الله تعالى ثم ذكرهم هذا المومن
ما هم فيه من الملك ليشكروا الله تعالى على ذلك بالايمان به فقال يا قوم لكم الملك
اليوم اى لكم السلطان على اهل الارض يعني ارض مصر اليوم ظاهرين في الارض
اى عالين فيها غالبين عليها قاهرين لاهلها فمن ينصرنا من باس الله اى من
يمنعنا من عذاب الله ان جاءنا ومعناه لا تعرضوا لعذاب الله بقتل النبي وتكذيبه
فلا مانع لعذاب الله ان حل بكم فقال فرعون عند ذلك ما اريكم الا ما ارى
ما اشير عليكم الا بما اراه صوابا وارضاه لنفسي وقيل معناه ما اعلمكم الا ما
اعلم وما اهديكم الا سبيل الرشاد اى وما ارشدكم الا الى ما هو طريق الرشاد
والصواب عندي وهو قتل موسى والتكذيب به واتخاذي الها وربا ثم ذكرهم

ما نزل بمن قبلهم وذلك قوله وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
قال الجبائي القائل لذلك موسى ع لان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه وهذا
لا يصح لانه قريب من قوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله واراد بالاحزاب
الجماعات التي تحزبت على انبيائها بالتكذيب وقد يطلق اليوم على النعمة و
المحنة فكانه قال يوم هلاكهم قوله عز وجل مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اني اخاف عليكم يوم
التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله
فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك
مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير
سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار خمس آيات القراءة قرأ ابو عمرو وابن ذكوان وقتيبة على كل
قلب بالتنوين والباقون على كل قلب متكبر على الاضافة وفي الشواذ قراءة ابن عباس
والضحاك وابي صالح والكلبي يوم التناد بتشديد الدال الحجة قال ابو علي من نون
فانه جعل المتكبر صفة لقلب فاذا وصف القلب بالتكبر كان صاحبه في المعنى متكبرا
فكانه اضاف التكبر الى القلب كما اضيف الصعر الى الخد في قوله تعالى ولا تصعر خدك
للناس فكما لا يكون بتصعير الخد متكبرا كذلك يكون بالتكبر في القلب متكبرا
بجملة واما من اضافه فقال على كل قلب متكبر فلا يخلو من ان يقدر الكلام على ظاهره
او تقدر فيه حذفا فان من تركه على ظاهره كان المعنى يطبع الله على كل قلب متكبر
اي يطبع على جملة القلب من المتكبر وليس المراد ان يطبع على كل قلبه فنعم الجميع بالطبع
انما المعنى انه يطبع على القلوب اذا كانت قلبا قلبا والطبع علامة في جملة القلب
كالختم عليه فاذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت ان الكلام ليس على ظاهره
وانه حذف منه شيء وذلك المحذوف اذا ظهر كذلك يطبع الله على كل قلب كل

فيكون المعنى

فيكون المعنى يطبع على القلوب اذا كانت قلبا قلبا من كل متكبر ويختم عليه وذلك ان في حرف
ابن مسعود فيما زعموا على قلب كل متكبر واظهار كل في حرفه يدل على انه في حرف العامة ايضا
مراد وحسن حذف كل لتقدم ذكره كما جاز ذلك في قوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار
توقد بالليل نارا وفي قولهم ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة فحذف كل لتقدم ذكرها
فكذلك في الآية واما التناد بالتشديد فانه تفاعل من ند يند اذا نفر اللغة الجبار
الذي يقتل على الغضب يقال اجبر فهو جبار مثل ادرك فهو دراك قاله الفراء ولا ثالث
لهما قال ابن خالويه وجدت لهما ثالثا اسأد فهو سآد المعنى ثم فسر سبحانه ذلك
فقال مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود وحالهم حين اهلكهم الله واستأصلهم جزاء
على كفرهم وما الله يريد ظلما للعباد وفي هذا اوضح دلالة على فساد قول المجبرة القائلة
بان كل ظلم يكون في العالم فهو بارادة الله ثم حذرهم عذاب الآخرة فقال ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد حذف الياء للاجتزاء بالكسرة الدالة عليها وهو يوم القيمة
ينادي فيه بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور وقيل انه اليوم الذي ينادي فيه اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا الآية وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة
ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله عن الحسن وقتادة وابن زيد وقيل ينادي
فيه كل اناس بامامهم يوم تولون مدبرين اي يوم يعرضون على النار فارين منها
مقدرين ان الفرار ينفعكم وقيل منصرفين الى النار بعد الحساب عن قتادة
ومقاتل ما لكم من الله من عاصم اي مانع من عذاب الله ومن يضلل الله فما له من هاد
اي من يضلله عن طريق الجنة فما له من هاد يهديه اليها ولقد جاءكم يوسف
هو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولا الى القبط من قبل اي من قبل موسى
بالبينات اي بالحجج الواضحات فما زلتم في شك مما جاءكم به اي من عبادة الله
تعالى وحده لا شريك له عن ابن عباس وقيل مما دعاكم اليه من الدين حتى اذا هلك
اي مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان الله تعالى
لا يجدد لكم ايجاب الحجة كذلك اي مثل ذلك الضلال يضل الله من هو مسرف على نفسه كافر

واصل الاسراف مجاوزة مرتاب اي شاك في التوحيد ونبوة الانبياء الذين يجادلون
في ايات الله اي في دفع ايات الله وابطالها وموضع الذين نصب لانه بدل من قوله هو
مسرف ويجوز ان يكون رفعا بتقدير هم بغير سلطان اي بغير حجة اتاهم كبر مقتا
عند الله اي كبر ذلك الجدال منهم عداوة عند الله وعند الذين امنوا بالله
والمعنى مقته الله ولعنه واعد له العذاب ومقته المومنون وابغضوه بذلك
الجدال وانتم جادلتم وخاصمتم في رد ايات الله مثلهم فاستحققتم ذلك كذلك
اي مثل ما طبع على قلوب اولئك بان ختم عليها علامة لكفرهم يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار يفعل ذلك عقوبة له على كفره والجبار صفة للمتكبر وهو الذي يانف من قبول الحق
وقيل هو القتال قوله عز وجل وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ
أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ
اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ
هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ خمس آيات
القراءة قرأ حفص فاطلع بالنصب والباقون بالرفع واختلافهم في صد عن السبيل وفي
يدخلون الجنة قد تقدم ذكره الحجة من رفع فاطلع فعلى معنى لعلي ابلغ ولعلي اطلع
ومثله قوله لعله يزكى او يذكر وليس بجواب ومن نصب جعله جوابا بالفاء لكلام
غير موجب والمعنى اني اذا بلغت اطلعت ومما يقوى بناء الفعل للفاعل في صد قوله
وصدوا عن سبيل الله وفي موضع آخر يصدون عن سبيل الله فكذلك وصد
عن السبيل ينبغي ان يكون الفعل فيه مبنيا للفاعل ومن ضم الصاد فلان ما قبله
مبني للمفعول به وهو قوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله اللغة الصرح البناء
الظاهر الذي لا يخفى على عين الناظر وان بعد وهو من التصريح بالامر وهو اظهاره
بابلغ الاظهار والسبب كل ما يتوصل به الى شيء يبعد عنك وجمعه الاسباب والتباب

الخسار

الخسار والهلاك بالانقطاع المعنى ثم بين سبحانه ما موه به فرعون على قومه لما وعظه
المومن وخوفه من قبل موسى وانقطعت حجته بقوله وقال فرعون يا هامان وهو و
زيره وصاحب امره ابن لي صرحا اي قصرا مشيدا بالاجر وقيل مجلسا عاليا عن الحسن
لعلي ابلغ الاسباب ثم فسر تلك الاسباب فقال اسباب السموات والمعنى لعلي ابلغ
الطرق من سماء الى سماء عن السدي وقيل ابلغ ابواب طرق السموات عن قتاده
وقيل منازل السموات عن ابن عباس وقيل لعلي اتسبب واتوصل به الى مرادي والى علم
ما غاب عني ثم بين مراده فقال اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي فانظر اليه
فاراه اراد به التلبيس على الضعفة مع علمه باستحالة ذلك عن الحسن وقيل اراد فاصل
الى اله موسى وقلبه الجهل واعتقد ان الله سبحانه في السماء وانه يقدر على بلوغ
السماء معناه واني لاظنه كاذبا في قوله ان له الها غيري ارسله الينا وكذلك
اي ومثل ما زين لهولاء الكفار سوء اعمالهم زين لفرعون سوء عمله اي قبح عمله
وانما زين له ذلك اصحابه وجلساؤه وزين له الشيطان كما قال وزين لهم الشيطان
اعمالهم وصد عن السبيل من ضم الصاد فالمعنى انه صده غيره ومن فتح فالمعنى انه
صد نفسه او صد غيره وما كيد فرعون في ابطال ايات موسى الا في تباب اي هلاك
وخسار لا ينفعه ثم عاد الكلام الى ذكر نصيحة مومن آل فرعون وهو قوله وقال
الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى وهو الايمان
بالله وتوحيده والاقرار بموسى وقيل ان هذا القائل موسى ايضا عن الجبائي
يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي انتفاع قليل ثم يزول وينقطع ويبقى وزره
واثامه وان الاخرة هي دار القرار اي دار الاقامة التي يستقر الخلق فيها فلا تغتروا
بالدنيا الفانية ولا توثروها على الدار الباقية من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
اي من عمل معصية فلا يجزى الا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا اكثر من ذلك
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن مصدق بالله وانبيائه شرط الايمان
في قبول العمل الصالح فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي زيادة

على ما يستحقونه تفضلا منه تعالى ولو كان على مقدار العمل فقط لكان بحساب وقيل معناه
لا تبعة عليهم فيما يعطون من الخير في الجنة عن مقاتل قال الحسن هذا كلام مؤمن
آل فرعون ويحتمل ان يكون كلام الله تعالى اخبارا عن نفسه قوله عز وجل وَيَا قَوْمِ
مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ
مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ
لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ
فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ
أَشَدَّ الْعَذَابِ خمس آيات القراءة قرأ اهل المدينة والكوفة الا ابا بكر ويعقوب
ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء والباقون بالوصل وضم الخاء الحجة قال ابو علي
القوم مراد في الوجهين جميعا كانه يقال ادخلوهم يقال ادخلوا فمن قال ادخلوا
كان آل فرعون مفعولا بهم واشد العذاب مفعولا ثانيا والتقدير بزيادة حرف الجر
ثم حذف كما انك اذا قلت دخل زيد الدار كان معناه في الدار كما ان خلافه الذي
هو خرج كذلك في التقدير وكذلك قوله لتدخلن المسجد الحرام ومن قال
ادخلوا آل فرعون كان انتصاب آل فرعون على النداء واشد العذاب في موضع
مفعول به وحذف الجار فانتصب انتصاب المفعول به وحجة من قال ادخلوا قوله
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون وادخلوها بسلام آمنين وادخلوا
ابواب جهنم وحجة من قرأ ادخلوا انه امر بهم فادخلوا المعنى ثم قال ويا قوم مالي
اي ما لكم كما يقول الرجل مالي اراك حزينا معناه ما لك ومعناه اخبروني عنكم كيف
هذه الحال ادعوكم الى النجاة من النار بالايمان بالله وتدعونني الى النار اي الى الشرك
الذي يوجب النار ومن دعا الى سبب الشيء فقد دعا اليه فسر الدعوتين بقوله تدعونني
لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم ولا يجوز حصول العلم به اذ لا يجوز قيام الدلالة

على اثبات

على اثبات شريك لله تعالى لا من طريق السمع ولا من طريق العقل وانا ادعوكم الى العزيز
الغفار اي الى عبادة القادر الذي لا يقهر ولا يمنع فينتقم من كل كفار عنيد الغافر للذنوب
لمن يشاء من اهل التوحيد لا جرم قيل معناه حقا مقطوعا به من الجرم وهو القطع قال
الزجاج حكاية عن الخليل هو رد الكلام والمعنى وجب وحق ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة
اي وجب بطلان دعوته بقول لا بد ان ما تدعونني اليه من عبادة الاصنام او عبادة
فرعون ليس له دعوة نافعة في الدنيا ولا في الآخرة فاطلق انه ليس له دعوة ليكون ابلغ
فان توهم جاهل انه له دعوة ينتفع بها فانه لا يعتد بذلك لفساده وتناقضه وقيل
معناه ليست لهذه الاصنام استجابة دعوة احد في الدنيا ولا في الآخرة فحذف المضاف
عن السدي وقتاده والزجاج وقيل معناه ليست له دعوة في الدنيا لان الاصنام لا تدعوا
الى عبادتها فيها ولا في الآخرة لانها تبرأ من عبادها فيها وان مردنا الى الله اي
ان مرجعنا ومصيرنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه وان المسرفين اي وجب ان المشركين
الذين اسرفوا على انفسهم بالشرك وسفك الدماء بغير حقها هم اصحاب النار
الملازمون لها ثم قال لهم على وجه التخويف والوعظ فستذكرون صحة ما اقول لكم
اذا حصلتم في العذاب يوم القيمة وقيل معناه فستذكرون عند نزول العذاب
بكم ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله اي اسلم امري الى الله واتوكل
عليه واعتمد على لطفه والانزام جنس ان الله بصير بالعباد اي عالم باحوالهم وبما يفعلونه
من طاعة ومعصية واظهر ايمانه بهذا القول فوقاه الله سيئات ما مكروا اي صرف
الله عنه سوء مكرهم فنجا مع موسى حتى عبر البحر معه عن قتاده وقيل انهم هموا
بقتله فهرب الى جبل فبعث فرعون رجلين في طلبه فوجداه قائما يصلي وحوله الوحوش
صفوفا فخافا ورجعا هاربين وحاق بآل فرعون اي احاط ونزل بهم سوء العذاب
اي مكروهه وما يسوء منه وآل فرعون اشياعه واتباعه وقيل من كان على دينه
عن الحسن وانما ذكر آله ولم يذكره لانهم اذا هلكوا بسببه فكيف يكون حاله وسوء
العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار وذلك قوله النار يعرضون عليها غدوا

وعشيا اي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحا ومساء فيعذبون
وانما رفع النار بدلا من قوله سوء العذاب وعن نافع عن ابن عمران رسول الله
صلى الله عليه وآله قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال
مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة اورده البخاري ومسلم في الصحيح وقال ابو عبد
الله عم ذلك في الدنيا قبل يوم القيمة لان نار القيمة لا تكون غدوا وعشيا
ثم قال ان كانوا انما يعذبون في النار غدوا وعشيا ففيما بين ذلك هم من السعداء
لا ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيمة الم تسمع قوله عز وجل ويوم تقوم
الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب هذا امر لآل فرعون بالدخول وامر
للملائكة بادخالهم في اشد العذاب وهو عذاب جهنم قوله عز وجل واذ يتحاجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم
مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها
ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال اربع
آيات اللغة التبع يصلح ان يكون مصدرا يقال تبع تبعا ويجوز ان يكون
جمع تابع نحو خادم وخدم وخايل وخول وغايب وغيب الاعراب اولم تك تاتيكم
رسلكم التقدير او لم تك القصة وتاتيكم رسلكم تفسير للقصة فاسم كان
مضمر المعنى ثم ذكر سبحانه ما يجري بين اهل النار من التحاج فقال واذ يتحاجون
في النار معناه واذكر يا محمد لقومك الوقت الذي يتحاج فيه اهل النار ويتخاصم
الروسا والاتباع فيقول الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا وهم الروسا
انا كنا لكم معاشر الروسا تبعا وكنا نمتثل امركم ونجيبكم الى ما تدعوننا اليه فهل
انتم مغنون عنا نصيبا من النار لانه يلزم الرئيس الدفع عن اتباعه والمنقادين

لامره اي هل انتم حاملون عنا قسطا من النار والعذاب الذي نحن فيه قال الذين استكبروا
انا كل فيها اي نحن وانتم في النار وكل فيها مبتدا وخبر في موضع رفع بانه خبر ان ويجوز
ان يكون خبران والمعنى انا مجتمعون في النار ان الله قد حكم بين العباد بذلك وبان
لا يحمل احد عن احد وانه يعاقب من اشرك به وعبد معه غيره لا محالة وقال الذين
في النار اي حصلوا في النار من الاتباع والمتبوعين لخزنة جهنم وهم الذين يتولون
عذاب اهل النار من الملائكة الموكلين بهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
يقولون ذلك لانه لا طاقة لهم على شدة العذاب ولشدة جزعهم انهم يطمعون في التخفيف
لان معارفهم ضرورية يعلمون ان عقابهم لا ينقطع ولا يخفف عنهم قالوا اي قالت الخزنة
اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اي بالحجج والدلالات على صحة التوحيد والنبوات اي فكفرتم
وعاندتم حتى استحققتم هذا العذاب قالوا بلى جاءتنا الرسل والبينات فكذبناهم وجحدنا
نبوتهم قالوا فادعوا اي قالت الخزنة فادعوا انتم فانا لا ندعوا الا باذن ولم يوذن لنا فيه
وقيل انما قالوا ذلك استخفافا بهم وقيل معناه فادعوا بالويل والثبور وما دعاء
الكافرين الا في ضلال اي في ضياع لانه لا ينفع قوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل
الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار خمس آيات القراءة قرا ابو جعفر وابن كثير وابن عامر
واهل البصرة يوم لا تنفع بالتاء والباقون بالياء الحجة والوجهان حسنان لان المعذرة
والاعتذار بمعنى كما ان الوعظ والموعظة كذلك الاعراب يوم يقوم الاشهاد
محمول على موضع قوله في الحيوة الدنيا كما يقال جئتك امس واليوم المعنى ثم اخبر سبحانه
عن نفسه بانه ينصر رسله ومن صدقهم فقال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا
في الحيوة الدنيا اي ننصرهم بوجوه النصر فان النصر قد يكون بالحجة ويكون ايضا
بالغلبة والمحاربة وذلك بحسب ما تقتضيه الحكمة ويعلمه سبحانه من المصلحة ويكون ايضا

للانبياء
بالالطاف والتأييد وتقوية القلب ويكون باهلاك العدو وكل هذا قد كان
والمومنين من قبل الله تعالى فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصروا
ايضاً بالقهر على من ناواهم وقد نصروا باهلاك عدوهم وانجائهم مع من
معهم وقد يكون النصر بالانتقام لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل به سبعين الفا فهم
لا محالة منصورون في الدنيا باحد هذه الوجوه ويوم تقوم الاشهاد جمع
شاهد مثل الاصحاب جمع صاحب وهم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين وعلى
المبطلين والكافرين يوم القيمة وفي ذلك سرور للمحق وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع
العظيم وقيل هم الملائكة والانبياء والمومنون عن قتاده وقيل هم الحفظة من
الملائكة عن مجاهد يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب وقيل هم
الانبياء وحدهم يشهدون للناس وعليهم ثم اخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ان اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم فان
تابوا لم ينفعهم التوبة وانما نفى ان ينفعهم المعذرة في الاخرة مع كونها نافعة
في دار الدنيا لان الاخرة دار الالجاء الى العمل والملجأ غير محمود على العمل الذي الجي
اليه ولهم اللعنة اي البعد من الرحمة والحكم عليهم بدوام العقاب ولهم سوء الدار
جهنم نعوذ بالله منها ثم بين سبحانه نصرته موسى وقومه فقال ولقد اتينا موسى الهدى
اي اعطيناه التورية فيها ادلة واضحة على معرفة الله وتوحيده واورثنا بني اسرائيل
التورية وما فيه من البيان هدى اي هو هدى اي دلالة يعرفون بها معالم دينهم وذكرى
لاولي الالباب اي تذكيراً لاولي العقول لانهم الذين يتمكنون من الانتفاع به
دون من لا عقل له ويجوز ان يكون هدى وذكرى منصوبين على ان يكونا مصدرين
وضعا موضع الحال من الكتاب بمعنى هادياً ومذكراً ويجوز ان يكون بمعنى المفعول له
اي للهدى والتذكير ثم امر نبيه بالصبر فقال فاصبر يا محمد على اذى قومك وتحمل
المشاق في تكذيبهم اياك ان وعد الله الذي وعدك به من النصر في الدنيا والثواب
في الاخرة حق لا خلف فيه واستغفر لذنبك من جوز الصغاير على الانبياء قال معناه

اطلب المغفرة

اطلب المغفرة من الله على صغيرة وقعت منك ولعظيم نعمته على الانبياء كلفهم التوبة
من الصغاير ومن لا يجوز ذلك عليهم وهو الصحيح قال هذا تعبد من الله سبحانه لنبيه
بالدعاء والاستغفار لكي يزيده في الدرجات وليصير سنة لمن بعده وسبح بحمد
ربك اي نزه الله تعالى واعترف بشكره واضافة النعم اليه ونفي التشبيه عنه وقيل نزه
صفاته عن صفات المحدثين ونزه افعاله عن افعال الظالمين وقيل معناه صل
بامر ربك بالعشي من زوال الشمس الى الليل والابكار من طلوع الفجر الثاني الى
طلوع الشمس عن مجاهد وقيل يريد الصلوات الخمس عن ابن عباس وروي عن النبي
صلى الله عليه وآله انه قال قال الله جل جلاله يا ابن آدم اذكرني بعد الغداة ساعة وبعد
العصر ساعة اكفك ما اهمك قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ
قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ
وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة تتذكرون بالتاء والباقون بالياء
وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابو بكر غير الشموني وسهل سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء
والباقون بفتح الياء وضم الخاء الحجة التاء على قل لهم قليلا ما تتذكرون والياء
على ان الكفار قليلا ما يتذكرون وقوله سيدخلون الوجه في القراءتين ظاهر النزول
نزل قوله ان الذين يجادلون في آيات الله الاية في اليهود لانهم كانوا يقولون سيخرج
المسيح الدجال فنعينه على محمد واصحابه فنستريح منهم ويرد الملك الينا عن ابي العالية
المعنى ثم قال سبحانه ان الذين يجادلون اي يخاصمون في آيات الله اي في دفع آيات
وابطالها بغير سلطان اي حجة اتاهم الله اياها يتسلط بها على انكار مذهب مخالف
مذهبهم ان في صدورهم الا كبر اي ليس في صدورهم الا عظمة وتكبر على محمد وجبرئيل

ماهم ببالغيه اى ماهم ببالغى مقتضى تلك لعظمه لان الله تعا مذلهم وقيل معناه كبر
حسدك على النبوة التى اكرمك الله بها ماهم ببالغيه لان الله تعا يرفع بشرف
الانبياء من يشاء وقيل ماهم ببالغى وقت خروج الدجال فاستعذ بالله من شر اليهود
والدجال ومن جميع ما يجب الاستعاذة منه انه هو السميع لاقوال هولاء البصير
بضمايرهم وفى هذا تهديد فيما اقدموا عليه ثم قال سبحانه لخلق السموات والارض
مع عظمها وكثرة اجزائهما ووقوفهما بغير عمد وجريان الفلك والكواكب من غير
سبب اكبر اى اعظم واهول فى النفس من خلق الناس وان كان خلق الناس عظيما بما فيه
من الحيوة والحواس الهياءه لانواع مختلفه من الادراكات ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لعدولهم عن التفكر فيه والاستدلال على صحته والمعنى انهم اذا اقروا بان الله تعا
خلق السماء والارض فكيف انكروا قدرته على احياء الموتى ولكن هم اعرضوا عن التدبر
فحلوا محل الجاهل الذى لا يعلم شيئا وما يستوى الاعمى والبصير اى لا يستوى من اهمل نفسه
ومن تفكر فعرف الحق شبه الذى لا يتفكر فى الدلايل بالاعمى والذى يستدل بها بالبصير والذين
امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اى وما يستوى المومنون الصالحون ولا الكافر
والفاسق فى الكرامة والاهانة والهدى والضلال قليلا ما يتذكرون يجوز ان يكون
ما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية فيكون تقديره قليلا تذكرهم اى قل نظرهم
فيما ينبغى ان ينظروا فيه مما دعوا اليه ان الساعة يعنى القيمة اى جائيه واقعة لا ريب
فيها اى لا شك فى مجيئها ولكن اكثر الناس لا يومنون اى لا يصدقون بذلك لجهلهم
بالله تعا وشكهم فى اخباره وقال ربكم ادعونى استجب لكم يعنى اذا اقتضت المصلحة
اجابتكم وكل من يسال الله تعا شيئا ويدعوه فلا بد ان يشترط المصلحة فى ذلك اما
لفظا او اضمارا والا كان قبيحا لانه ربما كان دعا بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاؤها
فيكون قبيحا وقيل معناه وحدونى واعبدونى اثبكم عن ابن عباس ويدل عليه قول النبى
صلى الله عليه وآله الدعاء هو العبادة ولما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة
ليتجانس اللفظ ان الذين يستكبرون عن عبادتى دعائى سيدخلون جهنم داخرين

ای صاغرین

اى صاغرين ذليلين وفى هذه الاية دلالة على عظم قدر الدعاء عند الله تعا وعلى فضل الانقطاع
اليه وقد روى معوية بن عمار قال قلت لابى عبد الله عليه السلم جعلنى الله فداك ما تقول
فى رجلين دخلا المسجد جميعا كان احدهما اكثر صلاة والاخر اكثر دعاء فايهما افضل
قال كل حسن قلت قد علمت ولكن ايهما افضل قال اكثرهما دعاء اما تسمع قول الله ادعونى
استجب لكم الى اخر الاية وقال هى العبادة الكبرى وروى زرارة عن ابى جعفر عليه السلم فى هذه
الاية قال هو الدعاء وافضل العبادة الدعاء وروى حنان بن سدير عن ابيه قال قلت
لابى جعفر عليه السلم اى العبادة افضل قال ما من شىء احب الى الله من ان يسال ويطلب ما عنده
وما احد ابغض الى الله جل وعز عمن يستكبر عن عبادته ولا يسال ما عنده قوله عز وجل
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ذَلِكُمُ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى
تُؤْفَكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خمس آيات المعنى ثم ذكر سبحانه ما يدل على توحيده
فقال الله الذى جعل لكم معاشر الخلق الليل وهو ما بين غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى
لتسكنوا فيه اى وغرضه فى خلق الليل سكونكم واستراحتكم فيه من كد النهار وتعبه
والنهار مبصرا اى وجعل لكم النهار وما بين طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس
مضيئا تبصرون فيه مواضع حاجاتكم فجعل سبحانه النهار مبصرا لما كان يبصر فيه
المبصرون ان الله لذو فضل على الناس بهذه النعم من غير استحقاق منهم لذلك
ولا تقدم طلب لكن اكثر الناس لا يشكرون اى ومع هذا فان اكثر الناس لا يعترفون
بهذه النعم بل يجحدونها ويكفرون بها ثم قال سبحانه مخاطبا لخلقه ذلكم الله
ربكم اى الذى اظهر هذه الدلالات وانعم بهذه النعم هو الله خالقكم ومالككم خالق
كل شىء من السموات والارض وما بينهما لا اله الا هو اى لا يستحق العبادة سواه فانى تؤفكون

اى فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع وضوح الدلالة على توحيده ثم قال كذلك
اى مثل ما صرف وافك هولاء يوفك الذين بايات الله يجحدون وهم من تقدمهم
من الكفار صرفهم اكابرهم ورؤساهم ثم عاد سبحانه الى ذكر ادلته على توحيده فقال
الله الذى جعل لكم الارض قرارا اى مستقرا تستقرون عليها والسماء بناء اى وجعل
السماء بناء مرتفعا فوقها ولو جعلها رتقا لما امكن الخلق الانتفاع بما بينهما ثم قال
وصوركم فاحسن صوركم لان صورة ابن آدم احسن صور الحيوان وقال ابن عباس
خلق ابن آدم قايما معتدلا ياكل بيده ويتناول بيده وكل ما خلق الله يتناول بفيه
ورزقكم من الطيبات لانه ليس شيء من الحيوان له طيبات الماكل والمشارب والثمار
وفنون النبات واللحوم وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ثم قال ذلكم الله ربكم اى فاعل هذه
الاشياء خالقكم فتبارك الله رب العالمين اى جل الله بانه الدايم الثابت الذى
لم يزل ولا يزال هو الحى معناه ان الذى انعم عليكم بهذه النعم هو الحى على الاطلاق من غير
علة ولا فاعل ولا بنية لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين اى مخلصين فى دعايه وعبادته
الحمد لله رب العالمين قال الفرا هو خبر وفيه اضمار كانه قال ادعوه واحمدوه على هذه
النعم وقولوا الحمد لله رب العالمين وروى مجاهد عن ابن عباس قال لا اله الا الله فليقل
على اثرها الحمد لله رب العالمين يريد قول الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين
قوله عز وجل قُلْ إِنِّي نُهِيتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ
مِنْ رَبِّي وَاُمِرْتُ اَنْ اُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا اَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ
مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا اَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَاِذَا قَضَى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ
اَنَّى يُصْرَفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا اَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
خمس آيات المعنى ثم خاطب نبيه عليه السلام فقال قل يا محمد للكفار قومك انى نهيت اى نهانى
الله تعالى ان اعبد الذين يدعون من دون الله او وجه العبادة الى من تدعونه

من دون الله

من دون الله من الاصنام التى يجعلونها الهة لما جاءنى البينات من ربى اى حين اتانى
الحجج والبراهين من جهة الله تعالى لتنبيه على ذلك وامرت مع ذلك ان اسلم لرب العالمين
اى استسلم لامر رب العالمين الذى يملك تدبير الخلايق اجمعين ثم دعا الى ذكر الادلة
فقال هو الذى خلقكم معاشر البشر من تراب اى خلق اباكم آدم من تراب وانتم نسله
واليه تنتمون ثم من نطفة ثم انشاء من ذلك الاصل الذى خلقه من تراب النطفة
وهى ماء الرجل والمراة ثم من علقة وهى قطعة من الدم ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا
واحدا واحدا فلذلك ذكره بالتوحيد قال يونس العرب تجعل الطفل للواحد
والجماعة قال الله تعالى او الطفل الذى لم يظهروا على عورات النساء والمعنى ثم نقلكم
اطوارا الى ان يخرجكم من ارحام الامهات اطفالا صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وهو
حال استكمال القوة وهذا يحتمل ان يكون معطوفا على معنى قوله ثم يخرجكم طفلا
لتنشؤا وتشبوا ثم لتبلغوا اشدكم ويحتمل ان اى لتقصد بطفوليتكم ثم لتكونوا
شيوخا بعد ذلك ومنكم من يتوفى من قبل ان يصير شيخا ومنكم من يبلغ اشده هذا
ولتبلغوا اجلا مسمى اى ولتبلغ كل منكم ما يسمى له من الاجل الذى يموت عنده وقيل
للقران الذى يقوم عليهم القيمة والاجل المسمى هو القيمة عن الحسن لعلكم تعقلون
خلقكم لهذه الاغراض التى ذكرها ولكى تتفكروا فى ذلك فتعقلوا ما انعم الله به
عليكم من انواع النعم واراد منكم من اخلاص العبادة ثم قال هو الذى يحييكم وهو
الذى يميتكم فاولكم من تراب واخركم الى تراب فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
معناه انه يفعل ذلك من غير ان يتعذر ويمتنع عليه فهو بمنزلة ما يقال له كن فيكون
لانه سبحانه يخاطب المعدوم بالتكوين الم تر الى الذين يجادلون فى ايات الله يعنى المشركين
الذين يخاصمون فى ابطال حجج الله ودفعها انى يصرفون اى كيف ومن اين يقلبون
عن الطريق المستقيم الى الضلال ولو كانوا يخاصمون فى ايات الله بالنظر
فى صحتها والفكر فيها لما ذمهم الله تعالى ثم وصفهم سبحانه فقال الذين كذبوا
بالكتاب اى بالقرآن وجحدوه وبما ارسلنا به رسلنا اى وكذبوا بما ارسلنا

به من الكتب والشرايع رسلنا قبلك فسوف يعلمون عاقبة امرهم اذا حل بهم وبال
ما جحدوه ونزل بهم عقاب ما ارتكبوه فيعرفون ان ما دعوتهم اليه حق وان ما
ارتكبوه ضلال وفساد قوله عز وجل إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا
ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ
تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ خمس آيات القراءة قراء ابن مسعود وابن
عباس والسلاسل بفتح اللام يسحبون الجيم قال ابن الجني تقديره ان الاغلال في اعناقهم
ويسحبون فعطف الجملة من الفعل والفاعل على الجملة التي من المبتداء والخبر كما
قد عودل احداهما بالاخرى نحو قوله انس بن مسعود بن قيس بن خالد اموف بادراع
ابن طيبه ام تذم اى انت موف بها ام تذم فقابل بالمبتداء والخبر التي من الفعل
والفاعل الجارى مجرى المفاعل اللغة الاغلال جمع غل وهو طوق يدخل في العنق
للذل والالم واصله الدخول يقال انغل العنق في الشئ اى دخل فيه والغلول الخيانه
لانها تصير كالغل في عنق صاحبها السلاسل جمع سلسله وهي الحلق منتظمة في جهة
الطول مستمرة والسحب جر الشئ على الارض هذا اصله والسجر القاء الحطب في معظم النار
كالتنور الذي يسجر بالوقود والفرح والبطر والاشر نظاير والمرح شدة الفرح
وفرس مروح اى نشيط ولا ينثني على الحدثان عرضي ولا ارخى من المرح الا ذا الا
يسحبون في موضع نصب على الحال تقديره يسحبون على النار مسحوبين فيها والعامل
في اذ الاغلال قوله تعالى فسوف يعلمون اذا لم يوقف على السلاسل ومن وقف على
يعلمون فالعامل اذ يسحبون المعنى ثم قال سبحانه اذ الاغلال في اعناقهم اى يعلمون
وبال امرهم في حال يكون الاغلال في اعناقهم يسحبون في الحميم اى يجرون في الماء الحار
الذي انتهت حرارته ثم في النار يسجرون اى ثم تقذفون في النار ويلقون فيها
وقيل معناه ثم يصيرون وقود النار عن مجاهد والمعنى توقد بهم النار ثم
قيل لهم اى لهؤلاء الكفار اذا دخلوا النار على وجه التوبيخ اين ما كنتم تشركون من دون الله

اى اينما كنتم تزعمون انها تنفع وتضر من اصنامكم التي عبدتموها قالوا
عنا وهلكوا ولا نقدر عليهم ثم يستدركون ويقولون بل لم نكن ندعوا من قبل
شيئا والمعنى لم نكن ندعوا شيئا يستحق للعبادة ولا ما ينتفع بعبادته عن الجبائى
وقيل لم نكن ندعوا شيئا والمعنى لم نكن ندعوا ولا ينفع ويضر ويسمع ويبصر قال
ابو مسلم وهذا كما يقال لكل ما لا يغني شيئا هذا ليس بشئ لان قولهم ضلوا عنا
بعبادتهم ولان الاخرة دار الجاء فهم ملجاؤون الى ترك القبيح وقيل معناه ضاعت
عبادتنا لهم فلم نكن نصنع شيئا اذ عبدناها كما يقول المتحسر ما فعلت شيئا كذلك
يضل الله الكافرين معناه كما اضل الله اعمال هؤلاء وابطل ما كانوا يؤملونه كذلك
يفعل بجميع ما يتدين بالكفر فلا ينتفعون بشئ من اعمالهم وقيل يضل الله اعمالهم
اى يبطلها عن الحق وقيل يضل الكافرين عن طريق الجنة والثواب كما اضلهم عما اتخذوه
الها بان صرفهم عن الطمع في نيل منفعة من جهتها عن الجبائى ذلكم العذاب الذي
نزل بكم بما كنتم تفرحون فبدأ الفرح واطلق المرح لان الفرح قد يكون بحقه فيحمد عليه
وقد يكون بالباطل فيذم عليه والمرح لا يكون الا باطلا ومعناه ان ما فعل بكم جزاء
بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق بما كان يصيب انبياء الله تعالى واوليائه من
المكاره وبما كنتم تمرحون وتبطرون قوله عز وجل ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي
نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم
مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ اللَّهُ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا
حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ خمس آيات المعنى ثم حكى سبحانه عن هؤلاء
الكفار انه يقال لهم ادخلوا ابواب جهنم وهي سبعة ابواب خالدين فيها اى مؤبدين فيها
لا انقطاع لكونكم فيها ولا نهاية لعقابكم وقيل انما جعل لجهنم ابواب كما جعل لها دركات تشبيها

بما يتصور الانسان فى الدنيا من المطابق والسجون والمطامير فان ذلك هون واعظم فى الزجر فبئس مثوى المتكبرين اى بئس مقام الذين تكبروا عن عبادة الله وتجبروا عن الانقياد له وانما اطلق عليه اسم بئس وان كان حسنا لان الطبع ينفر عنه كما ينفر عن القبيح فلهذه العلة اسم بئس عليه ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله فاصبر يا محمد على اذى قومك لك وتكذيبهم اياك ومعناه اثبت على الحق صبرا للمشقة التى تلحق به كما يلحق بتجرع المر ولذلك لا يوصف اهل الجنة بالصبر وان وصفوا بالثبات على الحق وان كان فى الوصف به فى الدنيا فضل ولكنهم يوصفون بالحلم لانه مدح ليس فيه صفة نقص ان وعد الله حق معناه ان ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب فى الجنة حق لا شك فيه بل هو كاين لا محاله وقيل ان وعد الله بالنصر لانبيائه والانتقام من اعدائه حق وصدق ولا خلف فيه فاما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب فى حيوتك وانما قال بعض الذى نعدهم من المعجل من عذابهم فى الدنيا هو بعض ما يستحقون من العقاب ولا يفوتوننا ثم زاد سبحانه فى تسلية النبى صلى الله عليه وآله بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد منهم من قصصنا عليك قصصهم واخبارهم ومنهم من لم نقصص عليك اخبارهم وقيل معناه منهم من تلونا عليك ذكرهم ومنهم من لم نتل عليك ذكره وروى عن على عليه السلام انه قال بعث الله نبيا اسود لم يقص علينا قصته واختلفت الاخبار فى عدد الانبياء فروى فى بعضها ان عددهم مائة الف واربع وعشرون الفا وفى بعضها ان عددهم ثمانية الاف نبى اربعة الاف من بنى اسرائيل واربعة الاف من غيرهم وما كان لرسول ان ياتى باية اى بمعجزة ودلالة الا باذن الله وامره والمعنى ان الاتيان بالمعجزات ليس الى الرسول ولكنه الى الله تعالى ياتى بها على وجه المصلحة واذا جاء امر الله وهو القيمة قضى بالحق بين المسلمين والكفار والابرار والفجار وخسر هنالك اى عند ذلك المبطلون لانهم يخسرون الجنة ويحصلون النار بدلا منها وذلك هو الخسران المبين والمبطل صاحب الباطل ثم عدد سبحانه نعمه على خلقه فقال الله الذى جعل لكم الانعام من الابل

والبقر والغنم

والبقر والغنم لتركبوا منها اى لتنتفعوا بركوبها ومنها تاكلون يعنى ان بعضها للركوب والاكل كالابل والبقر وبعضها للاكل كالاغنام وقيل ان المراد بالانعام ههنا الابل خاصة لانها التى تركب ويحمل عليها فى اكثر العادات واللام فى قوله لتركبوا لام الغرض واذا كان الله تعالى خلق هذه الانعام واراد ان ينتفع خلقه بها وكان جل جلاله لا يريد القبيح ولا المباح فلا بد ان يكون اراد انتفاعهم بها على وجه القربة اليه والطاعة له ولكم فيها منافع يعنى من جهة البانها واصوافها واوبارها واشعارها ولتبلغوا عليها حاجة بان تركبوها وتبلغوا المواضع التى تقصدونها لحوائجكم وعليها وعلى الفلك تحملون يعنى على الابل فى البر وعلى الفلك فى البحر تحملون فى الاسفار علم الله سبحانه انا نحتاج الى ان نسافر فى البر والبحر فخلق لنا مركبا للبر ومركبا للبحر قوله عز وجل وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ خمس آيات المعنى ثم قال سبحانه مخاطبا للكفار الذين جحدوا آيات الله وانكروا ادلته الدالة على توحيده ويريكم اياته اى ويعلمكم حججه ويعرفكم اياها فمنها اهلاك الامم الماضيه ووجه الاية فيه انهم بعد حصولهم فى النعم صاروا الى النقم بكفرهم وجحودهم ومنها الاية فى خلق الانعام التى تقدم ذكرها ووجه الاية فيها تسخيرها لمنافع الخلق بالتصريف فى الوجوه التى قد جعل كل شئ منها لما يصلح له ذلك يقتضى ان الجاعل لذلك قادر على تصريفه عالم بتدبيره واى ايات الله تنكرون هذا توبيخ لهم على الجحد وقد يكون الانكار والجحد تارة بان يجحد كونها دالة على ما هى دلالة عليه والخلاف يكون من ثلثة اوجه اما فى صحتها فى نفسها واما فى كونها دلالة واما فيهما جميعا وانما يجوز فى الجهال دفع الاية بالشبهة مع الاية وضعف الشبهة

الامور منها اتباع الهوى ودخول الشبهة التي تغطي على الحجة حتى لا يكون لها في النفس ممكن له
ومنها التقليد لمن ترك النظر في الامور ومنها السبق الى اعتقاد فاسد بشبهه
فيمنع من توليد النظر للعلم ثم نبههم سبحانه فقال افلم يسيروا في الارض بان يمروا
في جنباتها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم عددا واشد
قوة اي واعظم قوة واثارا في الارض بالابنية العظيمة التي بنوها والقصور المشيدة
التي شيدوها وقيل بمشيهم على ارجلهم على عظم خلقهم عن مجاهد فلما عصوا الله سبحانه
وكفروا به وكذبوا رسله اهلكهم الله واستاصلهم بالعذاب فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون اي لم يغن عنهم من الاموال والبنيان شيئا من عذاب الله تعالى وقيل ان ما
في قوله ما اغنى بمعنى اي فالمعنى فاي شيء اغنى عنهم كسبهم ويكون موضع ما الاولى نصبا
وموضع ما الثانية رفعا ثم قال سبحانه فلما جاءتهم رسلهم بالبينات اي فلما اتى هؤلاء
الكفار رسلهم الذين دعوهم الى توحيد الله واخلاص العبادة له بالحجج والايات
وفي الكلام حذف وتقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها وانكروا دلالتها
ووعد الله الرسل باهلاك اممهم ونجاة قومهم فرحوا بما عندهم من العلم اي فرح الرسل
بما عندهم من العلم بذلك عن الجبائي وقيل معناه فرح الكفار بما عندهم من العلم
اي بما كان عندهم انه علم وهو جهل على الحقيقة لانهم قالوا نحن اعلم منهم ما نبعث ولا نعذب
واعتقدوا انه علم فاطلق عليه لفظ العلم على اعتقادهم كما قال حجتهم داحضة وقال ذق انك
انت العزيز الكريم اي عند نفسك او عند قومك عن الحسن ومجاهد وقيل معناه فرحوا
بالشرك الذي كانوا عليه واعجبوا به وظنوا به انه علم وهو جهل وكفر عن الضحاك قال والمراد
بالفرح شدة الاعجاب وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي حل بهم ونزل بهم جزاء استهزائهم
برسلهم من العذاب والهلاك فلما راوا باسنا اي عذابنا النازل بهم قالوا امنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا مشركين اي كفرنا بالاصنام والاوثان فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا اي رؤيتهم باس الله وعذابه لانهم يصيرون عند ذلك ملجئين
وفعل الملجا لا يستحق به المدح سنة الله التي قد خلت في عباده نصب سنه على المصدر